

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

شِخْ

الكافية الشافية  
في الانتصار للفرقة الناجية

①

ح مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، محمد بن صالح

شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية. /

محمد بن صالح العثيمين - الرياض، ١٤٣٤هـ

٤مج؛ (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ١٢٣)

ردمك: ٤ - ٦٢ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

١ - ٦٣ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج ١)

١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد ٣ - أهل السنة

أ.العنوان ب.السلسلة

١٤٣٤/١٠٢٢٧

ديوي ٢٤٠

## حقوق الطبع محفوظة

لمؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

إلا لمن أراد طبع الكتاب لتوزيعه خيراً بعد مراجعة المؤسسة

## الطبعة الأولى

محرم ١٤٣٥هـ

يُطلب الكتاب من:

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

المملكة العربية السعودية

القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص. ب: ١٩٢٩

هاتف: ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ - فاكس: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩

جوال: ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧

[www.ibnothaimeen.com](http://www.ibnothaimeen.com)

[info@binothaimeen.com](mailto:info@binothaimeen.com)

شرح

# الكافي في الشافعية في الانتصار للفرقة الناجية

للمافظ الحق

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قسيم الجوزية  
تقره الله بوسع رحمته ورضوانه وأشكته فيح جهانه

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الأول

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تقديم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فقد كان من الأعمال الجليلة لصاحب الفضيلة شيخنا الوالد محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى-، أنه اعتنى عناية بالغة بالمتون العلمية وشرحها والتعليق عليها وتوضيحها وتقريبها لطلاب العلم والدارسين والباحثين، وذلك بأسلوبه المتميز بالوضوح والتأصيل المنهجي وجودة السبك بلا تكلف ولا تعقيد.

وكان من اختياراته في العقيدة من المتون المتقدمة: قراءته للنونية وهي: «الكافية الشافية في اعتقاد الفرقة الناجية»، للحافظ العلامة شمس الدين

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قَيم الجوزية، المتوفى بدمشق عام (٧٥١هـ)<sup>(١)</sup>، تغمّده الله بواسع رحمته ورضوانه، وأسكنه فسيح جنّاته، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وفي شهر ذي الحجة من عام (١٣٩١هـ) شرع -رحمه الله- في تدوين قراءة علمية لتلك القصيدة «الرائعة» -كما كان يصفها في كل مناسبة-، وكتب بخطه مختارات من أبياتها، جعلها فصولاً متنوعة، وقد أضيفت إلى آخر هذا الكتاب تكميلاً للفائدة، كما جلس -رحمه الله- في حلقات متعددة لشرحها ضمن دروسه العلمية التي كان يعقدها للطلاب في جامعِه بعُنيزة، وكان أول الشروح المسجلة صوتياً لفضيلته -رحمه الله- تلك الدروس التي كانت خلال الفترة من (١٤٠٨-١٤١٢هـ)، وقد شملت متن النونية كاملاً.

وفي حجّ عام (١٤١٧هـ) بادر الشيخ الدكتور علي بن عبدالعزيز الشبل -أثابه الله- باقتراح إلى فضيلة شيخنا العلامة الوالد محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- للشروع في العمل اللازم لطباعة ذلك الشرح المسجل، فوافقَه على ذلك؛ على أن يتم عرض المادة المفرّغة على فضيلته قبل النشر، ثم طلب منه تأجيل إعداد ذلك الشرح للطباعة؛ لعزمه -بمشيئة الله تعالى- على إعادة شرح النونية شرحاً مفصّلاً، وقد تحقّق ذلك فعلاً -ولله الحمد والشكر- فكان الشرح الأخير، وهو المسجل خلال الفترة من (١٤١٩هـ) حتى وفاته -رحمه الله- عام (١٤٢١هـ)،

(١) ترجم له الكثيرون؛ انظر: (ذيل طبقات الحنابلة) لابن رجب -رحمه الله- (١٧٠/٥)، (الدرر الكامنة) لابن حجر العسقلاني -رحمه الله- (٢١/٤)، (البدر الطالع) للشوكاني -رحمه الله- (١٤٣/٢)، (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي -رحمه الله- (١٦٨/٦)، (الأعلام) للزركلي -رحمه الله- (٥٦/٦)، وغيرهم.

وقد بدأ فيه - رحمه الله - بـ (فصل: في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المسلمين وتوحيد النفاة المعطلين) إلى آخر المنظومة، ثم عاد بشرحها من أولها حتى بلغ قول الناظم - رحمه الله -:

وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِالْمُرَادِ بِقَوْلِهِ

وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ<sup>(١)</sup>

وإنفاذاً للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلة الشيخ الوالد محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - لإخراج تراثه العلمي قام القسم العلمي بـ (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية) بتهيئة وإعداد تلك الشروح والمنظومة، وتخريج أحاديثها وتجهيزها للطباعة والنشر، وقد تفضل الشيخ الدكتور: (علي بن عبدالعزيز الشبل) - مشكوراً - بمراجعتها، وضبط متن التونية من خلال ثنتي عشرة نسخة تجمعت لديه بالإضافة إلى تقارير فضيلة الشيخ الشارح - رحمه الله - أثناء الدرس بالتنويه على الفروق بين النسخ.

وفي هذا الشأن كتب الشيخ الدكتور علي بن عبدالعزيز الشبل - حفظه الله - إفادة علمية مجملة هذا نصها:

[تنويه مجمل بالنسخ:]

١ - نسخة برلين وهي المنوّهة عنها بـ (الأصل)، وهي منسوخة سنة (٧٧٠هـ)، أي: بعد وفاة ابن القيم - رحمه الله - بـ ١٩ سنة، وتقع في ١٦٦ لوحة،

بخط نُسْخِيٍّ واضح، وُصورتها بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سُعود الإسلاميَّة، برقم ٧٠٨٧ ف.

٢- نُسخة الإفتاء في الرياض، وأصلها من مكتبة سَمَاحَة الشَّيْخ مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشَّيْخ -رحمه الله-، وهي محفوظة بمكتبة الرياض، برقم ٨٦/٣٤٧، ومنسوخة سنة (٧٨٢هـ)، أي: بعد وفاة ابن القيم -رحمه الله- -٣١ سنة، وتقع في ١٢٦ ورقة.

٣- نُسخة السَّفَّارينيَّة، وعليها تَمَلُّكُ عبد القادر بن الشَّيْخ محمد السَّفَّارني الحنْبلِي -رحمه الله-، وهي محفوظة بمكتبة بَرْلِين بألمانيا، ومنسوخة سنة (١٢٠٧هـ)، وتقع في ١٣٧ ورقة، وُصورتها بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سُعود الإسلاميَّة، برقم ٧١٠١ ف.

٤- نُسخة الظَّاهريَّة: وهي ضِمَّنَ المجموع الكبير «الكواكب الدَّرَّاري»، ومنسوخة سنة (٨٢٨هـ)، في ١٣١ ورقة، وُصورتها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، برقم ٢٩٥٣ ف.

٥- نُسخة ابن سَحَّان الأولى، وهي نُسخة جيِّدة مُقابلة على نُسختين، وبها حواشٍ تَصْحيحِيَّة ذات قيمة عالية؛ محفوظ أصلها لدى أُسْرَتنا بمكتبة الجَدِّ الشَّيْخ صالح الحمد الشَّبل -رحمه الله-، ومنسوخة سنة (١٣٠٦هـ) بخط الشَّيْخ سليمان بن سَحَّان -رحمه الله-، في ١٥١ ورقة، وجملة أبياتها (٥٨٥٩) بيتاً، ومضبوطة بالشَّكل كلها سنة (١٣١٤هـ).

٦- نُسخة ابن سَحَّان الثانية، وتقع في ١٥٣ ورقة، وقد نُسخت في المحرم (١٣٠٨هـ)، وفَلَمَها في جامعة الإمام مُحَمَّد بن سُعود الإسلاميَّة، برقم ٦٥٨٠ ف، وهي مصوَّرة عن أصلها بحائل.

٧- نُسخة التَّيْمُورِيَّة، وهي بدار الكُتُبِ المِصرِيَّة، برقم ١٧٠ عقائد تيمور، ومنسوخة سنة (٧٦٨هـ)، مجرّدة عن التَّصْويبات، وفيها ١٥٦ ورقة.

وهذه النُّسخ هي النُّسخ الأُصليَّة للمقابلة والمراجعة، وأما بقية النُّسخ فمُسانِدة وهي:

٨- نُسخة بُرَيْدَة، وتقع في ١٣٥ ورقة، بمكتبة بُرَيْدَة العامَّة، بخط مُحَمَّد بن عبد العزيز -رحمه الله-، وهي نسخة مضبوطة بالشَّكْل.

٩- نُسخة الإفتاء الثَّانية، في الرِّياض، وتقع في ١٥٤ ورقة، مَجْهولة المِصدر، وهي برقم ٣٣٣.

١٠- نُسخة مكتبة آل يَعْقُوب، بحائل، في ١٨٤ لوحة، منسوخة سنة ١١٦٩هـ، وآلت إليهم وَقَفًا من مُحَمَّد العبيد الرشيدي -رحمه الله-.

١١- المطبوعة ضِمن شرح الشَّيْخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى -رحمه الله-، المُسمَّى «توضيح المقاصد وتصحیح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم».

١٢- المطبوعة ضِمن شرح الشَّيْخ مُحَمَّد خَلِيل هَرَّاس -رحمه الله- على النُّونية]. انتهى ما كتبه الشَّيْخ الدُّكتور علي بن عبد العزيز الشبل، فجزاه الله خيرًا على جهده المشكور وعمَّله الجليل.

نَسألُ اللهَ تَعَالَى أنْ يَجْعَلَ هذا العَمَلُ خالِصًا لوجْهِه الكَرِيم؛ نافعًا لِعِبَادِهِ، وأنْ يَجْزِيَّ فَضِيلَةَ شَيْخِنَا عَنِ الإِسْلامِ والمُسلِمِينَ خَيْرَ الجَزَاءِ، وَيُضَاعِفَ لَهُ المَثُوبَةَ والأَجْرَ، وَيُعَلِّيَ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ،  
وَسَيِّدِ الْأَوْلِيَيْنَ وَالْآخِرِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ  
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

القِسْمُ الْعِلْمِيُّ

فِي مُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُنَيْنِيِّ الْخَيْرِيِّ

غُرَّةِ شَعْبَانَ ١٤٣٤ هـ

\*\*\*

## نبذة مختصرة عن

## العلامة محمد بن صالح العثيمين

١٣٤٧ - ١٤٢١ هـ

### نسبه ومولده:

هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسر، الورع الزاهد، محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم.

ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧ هـ في عنيزة - إحدى مدن القصيم - في المملكة العربية السعودية.

### نشأته العلمية:

ألحقه والده رحمه الله تعالى - ليتعلم القرآن الكريم عند جدّه من جهة أمه المعلّم عبد الرحمن بن سليمان الداغ - رحمه الله -، ثمّ تعلّم الكتابة، وشيئاً من الحساب، والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الداغ - حفظه الله -، وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلّم علي بن عبد الله الشحيتان - رحمه الله تعالى - حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولمّا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره بعد.

وبتوجيه من والده - رحمه الله - أقبل على طلب العلم الشرعي، وكان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - يدرّس العلوم

الشرعية والعربية في الجامع الكبير بعنيزة، وقد رتّب اثنين<sup>(١)</sup> من طلبته الكبار؛ لتدريس المبتدئين من الطلبة، فانضم الشيخ إلى حلقة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع - رحمه الله - حتى أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، فدرس عليه في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتوحيد، والفقه، والأصول، والفرائض، والنحو، وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم.

ويُعدّ فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفةً وطريقةً أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله، وطريقة تدريسه، وأتباعه للدليل.

وعندما كان الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان - رحمه الله - قاضيًا في عنيزة قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرّسًا في تلك المدينة.

ولما فتح المعهد العلمي في الرياض أشار عليه بعض إخوانه<sup>(٢)</sup> أن يلتحق به، فاستأذن شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - فأذن له، والتحق بالمعهد عامي ١٣٧٢ - ١٣٧٣ هـ.

ولقد انتفع - خلال السنتين اللتين انتظم فيهما في معهد الرياض العلمي - بالعلماء الذين كانوا يدرّسون فيه حينذاك ومنهم: العلامة المفسّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدث عبد الرحمن الإفريقي - رحمه الله تعالى -.

(١) هما الشيخان محمد بن عبد العزيز المطوع، وعلي بن حمد الصالحي رحمهما الله تعالى.

(٢) هو الشيخ علي بن حمد الصالحي رحمه الله تعالى.

وفي أثناء ذلك اتصل بساحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويُعدُّ ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به.

ثم عاد إلى عنيزة عام ١٣٧٤هـ وصار يدرِّس على شيخه العلامة عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتساباً في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءاً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حتى نال الشهادة العالية.

### تدريسه:

توسَّم فيه شيخه النّجابة وسرعة التحصيل العلمي فشجّعه على التدريس وهو ما زال طالباً في حلّقتة، فبدأ التدريس عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة. ولما تخرّج من المعهد العلمي في الرياض عُيِّن مدرِّساً في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ.

وفي سنة ١٣٧٦هـ توفي شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى- فتولّى بعده إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي التي أسسها شيخه -رحمه الله- عام ١٣٥٩هـ.

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة الشيخ -رحمه الله- يدرِّس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى كانوا يبلغون المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة

تحصيل جاد، لا لمجرد الاستماع، وبقي على ذلك، إمامًا وخطيبًا ومدرّسًا، حتى وفاته - رحمه الله تعالى -.

بقي الشيخ مدرّسًا في المعهد العلمي من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذًا فيها حتى وفاته - رحمه الله تعالى -.

وكان يدرّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج ورمضان والإجازات الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ، حتى وفاته - رحمه الله تعالى -.

وللشيخ - رحمه الله - أسلوب تعليمي فريد في جودته ونجاحه، فهو يناقش طلابه ويتقبل أسئلتهم، ويُلقى الدروس والمحاضرات بهمة عالية ونفسٍ مطمئنة واثقة، مبتهجًا بنشره للعلم وتقريبه إلى الناس.

### آثاره العلمية:

ظهرت جهوده العظيمة - رحمه الله تعالى - خلال أكثر من خمسين عامًا من العطاء والبذل في نشر العلم والتدريس والوعظ والإرشاد والتوجيه وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى -.

ولقد اهتم بالتأليف وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميّزت بالتأصيل العلمي الرصين، وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات، كما صدر له آلاف الساعات الصوتية التي سجلت محاضراته وخطبه ولقاءاته وبرامجه الإذاعية ودروسه العلمية في تفسير القرآن الكريم والشروحات المتميزة للحديث الشريف والسيرة النبوية والمتون والمنظومات في العلوم الشرعية والنحوية.

وإنفاذاً للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلته -رحمه الله تعالى- لنشر مؤلفاته، ورسائله، ودروسه، ومحاضراته، وخطبه، وفتاواه ولقاءاته، تقوم مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية -بعون الله وتوفيقه- بواجب وشرف المسؤولية لإخراج كافة آثاره العلمية والعناية بها.

وبناءً على توجيهاته -رحمه الله تعالى- أنشئ له موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية<sup>(١)</sup>، من أجل تعميم الفائدة المرجوة -بعون الله تعالى- وتقديم جميع آثاره العلمية من المؤلفات والتسجيلات الصوتية.

### أعماله وجهوده الأخرى:

إلى جانب تلك الجهود المثمرة في مجالات التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- كان لفضيلة الشيخ أعمال كثيرة موفقة منها ما يلي:

- عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ إلى وفاته.
- عضواً في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العامين الدراسيين ١٣٩٨-١٤٠٠هـ.
- عضواً في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ورئيساً لقسم العقيدة فيها.
- وفي آخر فترة تدريسه بالمعهد العلمي شارك في عضوية لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألّف عددًا من الكتب المقررة بها.

- عضوًا في لجنة التوعية في موسم الحج من عام ١٣٩٢ هـ إلى وفاته - رحمه الله تعالى - حيث كان يلقي دروسًا ومحاضرات في مكة والمشاعر، ويفتي في المسائل والأحكام الشرعية.
- ترأس جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة من تأسيسها عام ١٤٠٥ هـ إلى وفاته.
- ألقى محاضرات عديدة داخل المملكة العربية السعودية على فئات متنوعة من الناس، كما ألقى محاضرات عبر الهاتف على تجمعات ومراكز إسلامية في جهات مختلفة من العالم.
- من علماء المملكة الكبار الذين يجيبون على أسئلة المستفسرين حول أحكام الدين وأصوله عقيدة وشرعية، وذلك عبر البرامج الإذاعية من المملكة العربية السعودية وأشهرها برنامج (نور على الدرب).
- نذر نفسه للإجابة على أسئلة السائلين مهاتفة ومكاتبه ومشافهة.
- رتب لقاءات علمية مجدولة، أسبوعية وشهرية وسنوية.
- شارك في العديد من المؤتمرات التي عقدت في المملكة العربية السعودية.
- ولأنه يهتم بالسلوك التربوي والجانب الوعظي اعتنى بتوجيه الطلاب وإرشادهم إلى سلوك المنهج الجاد في طلب العلم وتحصيله، وعمل على استقطابهم والصبر على تعليمهم وتحمل أسئلتهم المتعددة، والاهتمام بأمورهم.
- وللشيخ - رحمه الله - أعمال عديدة في ميادين الخير وأبواب البرّ ومجالات الإحسان إلى الناس، والسعي في حوائجهم وكتابة الوثائق والعقود بينهم، وإسداء النصيحة لهم بصدق وإخلاص.

### مكانته العلمية :

يُعَدُّ فضيلة الشيخ -رحمه الله تعالى- من الراسخين في العلم الذين وهبهم الله -بمنه وكرمه- تأصيلاً ومَلَكة عظيمة في معرفة الدليل واتباعه واستنباط الأحكام والفوائد من الكتاب والسنة، وسبر أغوار اللغة العربية معاني وإعراباً وبلاغة.

ولما تحلَّى به من صفات العلماء الجليلة وأخلاقهم الحميدة والجمع بين العلم والعمل أحبَّه الناس محبة عظيمة، وقدَّره الجميع كل التقدير، ورزقه الله القبول لديهم واطمأنوا لاختياراته الفقهية، وأقبلوا على دروسه وفتاواه وآثاره العلمية، ينهلون من معين علمه ويستفيدون من نصحه ومواعظه.

وقد مُنح جائزة الملك فيصل -رحمه الله تعالى- العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، وجاء في الحيثيات التي أبدتها لجنة الاختيار لمنحه الجائزة ما يلي:

- أولاً: تحلَّيه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.
- ثانياً: انتفاع الكثيرين بعلمه؛ تدریساً وإفتاءً وتأليفاً.
- ثالثاً: إلقاءه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة.
- رابعاً: مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.
- خامساً: اتباعه أسلوباً متميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حياً لمنهج السلف الصالح؛ فكراً وسلوكاً.

**عقبه:**

له خمسة من البنين، وثلاث من البنات، وبنوه هم: عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم.

**وفاته:**

تُوفي -رحمه الله- في مدينة جدّة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصُليّ عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيعته تلك الآلاف من المصلّين والحشود العظيمة في مشاهد مؤثرة، ودفن في مكة المكرمة.

وبعد صلاة الجمعة من اليوم التالي صُليّ عليه صلاة الغائب في جميع مدن المملكة العربية السعودية.

رحم الله شيخنا رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، ومنّ عليه بمغفرته ورضوانه، وجزاه عما قدّم للإسلام والمسلمين خيرًا.

**القِسْمُ الْعِلْمِيُّ**

فِي مَوْسَسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينَ الْخَيْرِيَّةِ

\*\*\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الكتاب

قال ابن القيم - رحمه الله -: « الحمدُ لله الذي شَهِدَتْ له بِالرُّبُوبِيَّةِ جَمِيعُ مخلوقاته، وأَقَرَّتْ له بِالْعُبُودِيَّةِ جَمِيعُ مَصْنُوعَاتِهِ، وَأَدَّتْ له الشَّهَادَةَ جَمِيعُ الكائِناتِ أَنَّهُ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ بما أودَعَهَا مِنْ لَطِيفِ صُنْعِهِ وبَدِيعِ آيَاتِهِ، وسَبْحانَ اللهُ وبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضًا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ، ولا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ في رُبُوبِيَّتِهِ، ولا شَبِيهَ لَهُ في أفعالِهِ، ولا في صِفَاتِهِ، ولا في ذَاتِهِ.»

### الشرح

قال الشارح رحمه الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

القصيدة التوننية معروفة بـ(الكافية الشافية في اعتقاد الفرقة الناجية)، فهي كتابٌ ذَكَرَ فيه المؤلِّفُ - رحمه الله - عقيدة أهل السنَّة والجماعة في نظمٍ رقيقٍ وشيقٍ، والإنسان إذا حَفِظَ هذه التوننية، وصار في الخُلُوة يَتَرَتَّمُ بها، انتفع بها وَرَقَّ بها قلبه،

فهي قصيدة مهمة ينبغي حفظها، ومن كان صاحب همّة فإنه يسهل عليه حفظها، ولذا أنا أشير بحفظها، وكان شيخنا عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - يتمثل بأبياتها أحياناً عند المناسبة، فهي في الحقيقة كنز ثمين، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بها، وأن يرزقنا علماً نافعاً، وعملاً صالحاً.

قوله: «الحمد لله الذي شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته» هذه شهادة فعلية، فكل المخلوقات تشهد بأنه الرب عز وجل لأن هذا المخلوق لا بد له من خالق، قال الله عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾؟ [الطور: ٣٥]، الجواب: لا هذا، ولا هذا.

إذن فلا بد من خالق، فجميع المخلوقات شهدت بربوبية الله عز وجل وأنه تعالى الرب الخالق الحكيم المبدع، قال الله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

قوله: «أقرت له بالعبودية جميع مصنوعاته» كل المصنوعات تقر له بالألوهية (بالعبودية)، فإن أراد المؤلف - رحمه الله - العبودية الكونية، فلا شك أنها عامة، لأن جميع المصنوعات مقررة لله تعالى بالعبودية الكونية، لا تخرج عن ذلك أبداً، قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، ولذلك تجد أكبر الرؤساء في أكبر الدول خاضعاً للمرض إذا أصابه، ومن الذي أصابه به؟ الله عز وجل خاضعاً للموت إذا أخذه، ومن الذي قدر عليه الموت؟ الله عز وجل.

إذن العبودية الكونية لا يستثنى منها أحد.

أَمَّا الْعُبُودِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ فَيُسْتَنْتَى مِنْهَا الْكَافِرُ، فَالْكَافِرُ لَمْ يُقَرَّرْ بِعُبُودِيَّتِهِ، بَلْ قَالَ الْكَافِرُونَ لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص:٥].

إِذَنْ إِذَا أَثْبَتْنَا أَنَّ الْخَلْقَ مَصْنُوعٌ، فَهَلْ تُثْبِتُ أَنَّ اللَّهَ صَانِعٌ؟

الجواب: نعم، لأنَّ الله تعالى قال: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، لَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ، بَلْ يُخْبَرُ بِهِ عَنْهُ، وَتَجِدُ الْمُتَكَلِّمِينَ دَائِمًا فِي كَلَامِهِمْ يُعَبَّرُونَ عَنِ الْخَالِقِ بِ(الصَّانِعِ)، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ حَقًّا، لَكِنَّهُ لَا يَنْبَغِي، بَلِ التَّعْبِيرُ بِ(الْخَالِقِ) هُوَ الْمَوْافِقُ لِلْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤].

قَوْلُهُ: «وَأَدَّتْ لَهُ الشَّهَادَةَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ لَطِيفِ صُنْعِهِ، وَبَدِيعِ آيَاتِهِ»، وَهَذَا يَقُولُ الشَّاعِرُ:

فَوَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهَ  
أَوْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاهِدُ  
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ  
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ<sup>(١)</sup>

لأنه لا منازع له، يفعل في خلقه ما يشاء، وهذا يدل على أنه عز وجل واحد. قَوْلُهُ: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» هَذَا جَمْعٌ بَيْنَ التَّنْزِيهِ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَإِثْبَاتِ الْكَمَالِ لَهُ، فَبِالْحَمْدِ ثَبَّتَ لَهُ الْكَمَالَ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يُحْمَدُ عَلَى كَمَالِهِ، وَبِالتَّسْبِيحِ ثَبَّتَ لَهُ عِزَّ وَجَلَّ التَّنْزِيَهُ عَنِ كُلِّ نَقْصٍ، وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ يُفْرَنَانِ دَائِمًا، لِأَنَّ بَيْنَهُمَا الْكَمَالَ الْمَطْلُوقَ.

قَوْلُهُ: «عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضًا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» بَيَانٌ لِمَقْدَارِ هَذَا

(١) البیتان لأبي العتاهية، كما في التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ص: ١١).

الحمد وكيفيته، ف(عَدَدَ خَلْقِهِ) بِالْكَمِّيَّةِ، وَ(رِضًا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ) هَذَا بِالْكَيفِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِدَادُ الْكَلِمَاتِ قَدْ يَكُونُ بِالْكَمِّيَّةِ أَيْضًا.

قَوْلُهُ: «الْأَحَدُ الصَّمَدُ» (الْأَحَدُ): أَي: الْمُتَفَرِّدُ، وَ(الصَّمَدُ): الْقَوْلُ الَّذِي يَجْمَعُ كُلَّ مَا قِيلَ فِيهَا: أَنَّهُ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ، الَّذِي افْتَقَرَتْ لَهُ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِهِ، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا مُفْتَقِرَةٌ لَهُ.

قَوْلُهُ: «لَا شَيْءَ لَهُ فِي أَفْعَالِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ» هَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا شَبِيهَ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهَا، وَهِيَ: أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ وَذَاتُهُ.

أَوَّلًا: الْفِعْلُ: فَمَثَلًا: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فِعْلٌ، لَكِنْ هَلْ هُوَ يُشْبِهُهُ اسْتَوَاؤُنَا عَلَى السَّرِيرِ، وَعَلَى الْبَعِيرِ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَكَذَلِكَ: «يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>. هَلْ يُشْبِهُهُ نُزُولُنَا مِنَ السَّطْحِ إِلَى الْأَرْضِ؟ الْجَوَابُ: لَا.

ثَانِيًا: الصِّفَاتُ مِثْلُ: الْعِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالْقُدْرَةَ وَالْعِزَّةَ، أَيْضًا لَا تُشْبِهُهُ صِفَاتُنَا، فَنَحْنُ عِنْدَنَا عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ وَسَمْعٌ وَبَصْرٌ وَعِزَّةٌ وَحِكْمَةٌ، لَكِنْ لَا تُشْبِهُهُ مَا لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ.

ثَالِثًا: الذَّاتُ، فَذَوَاتُ الْمَخْلُوقِينَ لَا تُشْبِهُ ذَاتَ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَاعْلَمْ أَنَّ كَلِمَةَ (ذَاتُ) تُطْلَقُ عَلَى عَيْنِ الشَّيْءِ، لَكِنْ هَذَا الْإِطْلَاقُ هَلْ هُوَ لُغَوِيٌّ أَوْ مُحَدَّثٌ؟ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ مُحَدَّثٌ، وَإِنَّمَا فِي اللُّغَةِ لَا تُطْلَقُ عَلَى ذَاتِ الشَّيْءِ، وَإِنَّمَا تُطْلَقُ عَلَى الْجِهَةِ، وَعَلَى الْحَالِ، وَأَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (صَاحِبَةٍ)، فَتَقُولُ مَثَلًا: (هَذِهِ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَالٍ) أَي: صَاحِبَةٌ مَالٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبَحُوا ذَاتَ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرَهَا، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَالْإِجَابَةِ فِيهِ، رَقْمٌ (٧٥٨).

يَبْنِيكُمْ ﴿ [الأففال: ١] أي: الحال التي بَيْنَكُمْ أَصْلِحُوهَا، وقال النَّبِيُّ - عليه الصَّلَاةُ  
والسَّلَامُ - : «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: ثُبْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي  
ذَاتِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. أي: في جانبه وجهته.

وقال خُبَيْبٌ<sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ»<sup>(٣)</sup>. أي: في جانبه وجهته.

لكن اسْتُعْمِلْتَ استعمالاً شائعاً عند العلماء، حتّى صارت حقيقة عُرْفِيَّةً،  
فاستُعْمِلْتَ في مقابلِ الصَّفَةِ، فاستعملوها بمعنى نفسِ الشَّيْءِ، وعينِ الشَّيْءِ، فكما  
تقول العربُ: (هذا زيدٌ عينه)، و(هذا زيدٌ نفسه)، يكونُ: (وهذا زيدٌ ذاته)، وصار  
الآن استعمالاً شائعاً لا يُنْكَرُ، ولهذا قال المؤلِّفُ - رحمه الله - : (في صِفَاتِهِ وَذَاتِهِ).

وقوله: «وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي أفعالِهِ» هذا من بابِ التَّجَوُّزِ، وما قاله شيخه - رحمه  
الله - من التَّعْبِيرِ بِنَفْيِ التَّمْثِيلِ أَوْلَى، يعني: الذي ينبغي ألا نُعَبِّرَ بلفظِ (التَّشْبِيهِ)، بل  
نُعَبِّرَ بلفظِ (التَّمْثِيلِ)، لأنَّ ذلك هو الذي جاء في القرآنِ الكريمِ، قال الله تعالى:  
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾  
[النحل: ٧٤]، أمَّا (التَّشْبِيهِ) وإن كان يُرادُ به معنى (التَّمْثِيلِ)، لكنّه لا يساوي نَفْيَ  
التَّمْثِيلِ، وعلى هذا فنقول: التَّعْبِيرُ بِنَفْيِ التَّمْثِيلِ أَوْلَى مِنْ وُجُوهٍ:

الأوّل: أنّه الذي جاء به القرآنُ، وكُلُّمَا وَافَقَ كَلامُ الْإِنْسَانِ ما عَبَّرَ به القرآنُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، رقم (٣١٧٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، رقم (٢٣٧١).

(٢) هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا واستشهد في عهد النبي ﷺ. انظر ترجمته في: الإصابة (٢/ ٢٢٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر، ومن رجع  
ركعتين عند القتل، رقم (٢٨٨٠).

والسُّنَّةُ فهو أَوْلَى، لِأَنَّهُ كَلَامٌ مُحْكَمٌ.

الثَّانِي: أَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ مُجْمَلٌ فِي الْوَاقِعِ، لِأَنَّ هُنَاكَ أَنَا سَا يَدْعُونَ أَنَّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً فَهُوَ مُشَبَّهٌ، فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ يُسَمُّونَ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ مُشَبَّهَةً، فَإِذَا قُلْنَا: (مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ) وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي ذَهَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ تَشْبِيهٌُ فَهَمَّ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ نَفْيُ الصِّفَاتِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ لَا يَصِحُّ، لِأَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ بِهِ مُطْلَقُ التَّشْبِيهِ فَهُوَ غَيْرُ صَاحِحٍ، لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ اشْتِرَاكِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي أَصْلِ الصِّفَةِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّشْبِيهِ، لَكِنَّهَا يَخْتَلِفَانِ فِي كَيْفِيَّتَيْهَا.

فَمَثَلًا (الْعِلْمُ)، لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمٌ، وَلِلْإِنْسَانِ عِلْمٌ، لَا بُدَّ مِنْ هَذَا، فَهِيَ اشْتَرَاكَ فِي أَصْلِ الْعِلْمِ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشَّبْهِ، فَإِذَا أَرَادَ بِذَلِكَ نَفْيَ مُطْلَقِ التَّشْبِيهِ فَهَذَا غَلَطٌ، لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ اشْتِبَاهٍ، أَعْنِي: اشْتِرَاكًا فِي أَصْلِ الْمَعْنَى، فَهَذَا لَا بُدَّ مِنْهُ، لَكِنْ يَخْتَلِفَانِ فِي الْكَيْفِيَّةِ وَالْعُمُومِ وَالشُّمُولِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَإِنْ أَرَادَ بِهِ التَّشْبِيهُ الْمُطْلَقَ قَالَ: (مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ) أَي: (التَّشْبِيهِ الْمَطْلُوقِ)، فَهَذَا لَعْوٌ مِنَ الْقَوْلِ لَا قِيَمَةَ لَهُ، لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ مِمَّنْ يُثْبِتُ الْخَالِقَ وَالْمَخْلُوقَ يَقُولُ: إِنَّ الْخَالِقَ مِثْلُ الْمَخْلُوقِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

إِذَنْ يَكُونُ نَفْيُنَا لِلتَّشْبِيهِ إِذَا أَرَدْنَا التَّشْبِيهُ الْمُطْلَقَ يَكُونُ لَعْوًا مِنَ الْقَوْلِ، لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ كَمَا لَا حَاجَةَ أَنْ نَقُولَ: (السَّمَاءُ فَوْقَنَا، وَالْأَرْضُ تَحْتَنَا)، وَلَا أَنْ نَقُولَ كَمَا قَالَ النَّازِمُ:

كَأَنَّا وَالْمَاءُ مِنْ حَوْلِنَا قَوْمٌ جُلُوسٌ حَوْلَهُمْ مَاءٌ<sup>(١)</sup>

(١) البيت في الكشكول، لبهاء الدين الحارثي (١/ ٢٦١) بلا نسبة.

إِذَنْ نَفِي التَّمثِيلِ أَوْلَى لِهَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ، وَهَذَا الَّذِي قَرَّرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ  
-رَحِمَهُ اللَّهُ- حِينَ نَازَرَ مَنْ نَازَرَهُ فِي (العقيدة الواسطيّة) (١).

\*\*\*

«وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَدَدًا مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَجَرَى بِهِ قَلَمُهُ، وَنَفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ مِنْ جَمِيعِ  
بَرِيَّاتِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، تَفْوِيضَ عَبْدٍ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا  
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً، وَلَا نُشُورًا، بَلْ هُوَ بِاللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ فِي مَبَادِي أَمْرِهِ وَنَهَايَاتِهِ».

### الشرح

قَوْلُهُ: «تَفْوِيضَ»: مَنْصُوبَةٌ بِفِعْلِ مَحذُوفٍ، يَعْنِي: أَفْوُضَ ذَلِكَ تَفْوِيضَ عَبْدٍ.  
قَوْلُهُ: «بَلْ هُوَ بِاللَّهِ وَإِلَى اللَّهِ» أَي: بِاللَّهِ وَجُودًا، فَوْجُودُ الْإِنْسَانِ بِاللَّهِ، (وَإِلَى اللَّهِ)  
غَايَةً، فَإِنَّ مَرْجِعَ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مَهْمَا طَالَتْ بِهِ الْحَيَاةُ مَرْجِعُهُ إِلَى رَبِّهِ  
-تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

\*\*\*

«وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا  
وَالِدَ لَهُ، وَلَا كُفْءَ لَهُ، الَّذِي هُوَ كَمَا أَتَنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَفَوْقَ مَا يُثْنِي عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ  
جَمِيعِ بَرِيَّاتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِينُهُ عَلَىٰ وَحْيِهِ، وَخَيْرُهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ،  
وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، وَحُجَّتُهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ بَيْنَ يَدَيِ  
السَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا، أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فِتْرَةٍ مِنْ  
الرُّسُلِ، وَطُمُوسٍ مِنَ السُّبُلِ، وَدُرُوسٍ مِنَ الْكُتُبِ، وَالْكَفْرُ قَدْ اضْطَرَمَّتْ نَارُهُ،

(١) المناظرة على العقيدة الواسطيّة، مطبوعة عقب الواسطيّة، المجلد الثالث من مجموع الفتاوى.

وَتَطَايَرَ فِي الْآفَاقِ شَرَّارُهُ، وَقَدْ اسْتَوْجِبَ أَهْلُ الْأَرْضِ أَنْ يَحْتَلَّ بِهِمُ الْعِقَابُ، وَقَدْ نَظَرَ الْجَبَّارُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِلَيْهِمْ فَمَقَّتَهُمْ عَزَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ».

## الشرح

قَوْلُهُ: «وَسَفِيرُهُ بَيْنَ عِبَادِهِ» السَّفِيرُ يَعْنِي: الرَّسُولَ، وَمِنْ ذَلِكَ سُفَرَاءُ الدُّوَلِ، لِأَنَّهُمْ وَاسِطَةٌ بَيْنَ دَوْلِهِمْ، وَبَيْنَ الدُّوَلِ الْأُخْرَى.

قَوْلُهُ: «أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ» اعْلَمْ أَنَّ الْهُدَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَأَنَّ دِينَ الْحَقِّ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، لَكِنَّ الْهُدَى فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ يَنْقَسِمُ إِلَى: هُدَى تَوْفِيقٍ، وَهُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَإِلَى هُدَى عِلْمٍ، وَهُوَ الْبَيَانُ وَالْإِرْشَادُ.

قَوْلُهُ: «وَالْكَفْرُ قَدْ اضْطَرَمَّتْ نَارُهُ» الْكَفْرُ بِالضَّمِّ: مَبْتَدَأٌ، فَهَذِهِ جُمْلَةٌ جَدِيدَةٌ.

\*\*\*

«وَقَدْ اسْتَنْدَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى ظُلْمِ آرَائِهِمْ، وَحَكَمُوا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِمَقَالَاتِهِمُ الْبَاطِلَةَ وَأَهْوَائِهِمْ، وَلَيْلُ الْكُفْرِ مُدْلِهِمْ ظِلَامُهُ، شَدِيدٌ قَتَامُهُ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ عَافِيَةٌ آتَارُهَا، مَطْمُوسَةٌ أَعْلَامُهَا، فَفَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ صُبْحَ الْإِيمَانِ، فَأَضَاءَ حَتَّى مَلَأَ الْآفَاقَ نُورًا، وَأَطْلَعَ بِهِ شَمْسَ الرِّسَالَةِ فِي حَنَادِسِ الظُّلْمِ سِرَاجًا مُنِيرًا، فَهَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَعَلَّمَ بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، وَبَصَّرَ بِهِ مِنَ الْعَمَى، وَأَرْشَدَ بِهِ مِنَ الْغَيِّ، وَكَثَّرَ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأَعَزَّ بِهِ بَعْدَ الدَّلَّةِ، وَأَغْنَى بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ، وَاسْتَنْقَذَ بِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمَيًّا، وَأَدَانَا صُبْحًا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَعَبَدَ اللَّهَ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ، وَشَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَهُ،

وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذَّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَأَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ، وَقَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ، فَإِذَا ذُكِرَ ذِكْرًا مَعَهُ، كَمَا فِي الْخُطْبِ وَالتَّشْهَدِ وَالتَّأْذِينِ، فَلَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ خُطْبَةً، وَلَا تَشْهَدٌ، وَلَا أَذَانٌ، وَلَا صَلَاةٌ حَتَّى يَشْهَدَ أَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شَهَادَةَ الْيَقِينِ، فَصَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَنْبِيَآؤُهُ وَرَسُولُهُ وَجَمِيعُ خَلْقِهِ عَلَيْهِ، كَمَا عَرَّفْنَا بِاللَّهِ، وَهَدَانَا إِلَيْهِ وَسَلَّمًا تَسْلِيمًا كَثِيرًا».

### الشرح

ابن القيم - رحمه الله - قَلَّمَهُ سَيَّالٌ، وَمِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ قَلَمُهُ سَيَّالًا، وَيَكُونَ كَلَامُهُ مُنْتَظَمًا وَمُتَأَلِّفًا، لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ مِثْلَ هَذِهِ الْخُطْبَةِ رُبَّمَا يَمَكُتُ شَهْرًا فِي كِتَابَتِهَا، هَذَا إِنْ كَتَبَهَا، وَقَدْ لَا يَسْتَطِيعُ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَمُنُّ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ عِنْدَهُ انْتِطَاقٌ فِي الْقَوْلِ وَالْكِتَابَةِ، وَبَعْضُ النَّاسِ تَجِدُهُ قَوِيًّا فِي كِتَابَتِهِ عَيِّبًا فِي خُطَابِهِ، وَبَعْضُ النَّاسِ بِالْعَكْسِ.

وقد حدثني شيخنا محمد بن عبد العزيز المطوع - رحمه الله - فقال: إِنِّي سَمِعْتُ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ رَشِيدَ رِضَا - رحمه الله تعالى - صَاحِبَ (المنار) وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لَكِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ كَلَامَهُ رَدِيءٌ - فِي خُطَابِهِ - مَعَ أَنَّ كِتَابَاتِهِ مِنْ أَرْقَى الْكِتَابَاتِ.

ولكن فضل الله يؤتیه مَنْ يَشَاءُ، وَالنَّاسُ يَخْتَلِفُونَ.

قَوْلُهُ: «وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَأَدَانَا صُمًَّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا» الْغُلْفُ: الْمُغْلَفُ عَلَيْهِ وَمِنْهُ: غِلَافُ الشَّيْءِ يُطَوَّى عَلَيْهِ فَيَخْفَى، فَالْقُلُوبُ قُلُوبٌ مُفْتَحَةٌ قَابِلَةٌ لِلْحَقِّ مَطْمَئِنَّةٌ بِهِ، وَقُلُوبٌ مُغْلَفَةٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - قَدْ رَانَ عَلَيْهَا مَا كَانَ يَكْسِبُ صَاحِبُهَا، وَخُتِمَ عَلَيْهَا، وَطُبِعَ عَلَيْهَا، فَلَا يَنْفَعُهَا شَيْءٌ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا.

قَوْلُهُ: «وَكَشَفَ الْغُمَّةَ» ليس المرادُ بِالْغُمَّةِ الْغَمُّ الَّذِي يَصِيبُ الْإِنْسَانَ، بَلِ الْمُرَادُ الْغُمَّةُ الَّتِي كَانَ غَطَّاهَا أَهْلُ الْكِتَابِ عَلَى الدِّينِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَالرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كَشَفَهَا وَبَيَّنَّهَا.

قَوْلُهُ: «وَشَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ» اللَّهُ أَكْبَرُ، رَفَعَ اللَّهُ لَهُ ذِكْرَهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَهُوَ يُذَكِّرُ مَعَ ذِكْرِ اللَّهِ، مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَفِي الْأَذَانِ، فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ عَلَى الْأَقْلَى يُشْهَدُ لَهُ بِالرِّسَالَةِ عَلَى أَعَالِي الْأَمَكِنَةِ، فَلَهُ ذِكْرٌ فِي الْعِبَادَاتِ، لِأَنَّ مِنْ شَرْطِ الْعِبَادَةِ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالثَّانِي: الْمَتَابَعَةَ لِلرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَأنت في عبادتك تستحضر أنك تابعٌ للرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَيَكُونُ ذِكْرُ الرَّسُولِ فِي قَلْبِكَ، وَإِنْ لَمْ تَقْلُهُ بِلِسَانِكَ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ رَفَعِ الذِّكْرِ، ثُمَّ الرَّفَعُ الْأَعْظَمُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَلْحَقُ النَّاسَ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ مَا لَا يَطِيقُونَ، فَيَذْهَبُونَ إِلَى آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَطْلُبُونَ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، فَلَا أَحَدَ يَشْفَعُ إِلَّا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>- وَهَذَا مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ نَزَّحُوا لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ وَالَّذِينَ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤].

قَوْلُهُ: «أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ» أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَنَّاكَ يَا أَيُّهَا الْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٧٧].

قَوْلُهُ: «وَقَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ» وَهَذَا لَيْسَ دَائِمًا، بَلِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَهَذَا كَرِهَ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ عِنْدَ الذَّبْحِ: (بِسْمِ اللَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ)، لِأَنَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، رَقْمٌ (٤٤٧٦)، وَمُسْلِمٌ كِتَابُ: الْإِيمَانِ، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ فِيهَا، رَقْمٌ (١٩٣).

المقام مقام إخلاصٍ وعبادةٍ، إنما في بعضِ الأشياءِ قرَنَ اللهُ تعالى اسمَ رسوله باسمِهِ - سبحانه وتعالى - .

قَوْلُهُ: «فَلَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ خُطْبَةٌ... حَتَّى يَشْهَدَ أَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» وهذا القولُ هو الصَّحِيحُ أَنَّ الخُطْبَةَ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ الفَقْهَاءُ - رَحِمَهُمُ اللهُ - لَمْ يَشْتَرُطُوا ذَلِكَ، لَكِنَّ قَوْلَهُمْ ضَعِيفٌ.

إِذْنُ الصَّحِيحِ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الخُطْبَةِ مِنَ الشَّهَادَةِ لَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّوْحِيدِ وَلِرَسُولِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - بِالرِّسَالَةِ.

وهذه أَضْفَهَا إِلَى المَعْلُومَاتِ فِي الفِقْهِ، بِمَعْنَى أَنَّكَ إِذَا مَرَرْتَ بِشُرُوطِ الخُطْبَةِ فِي بَابِ صَلَاةِ الجُمُعَةِ فَأَضِفْ إِلَيْهَا ذَلِكَ، وَقَدْ اخْتَارَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ وَتَلْمِيذُهُ ابْنُ الْقَيِّمِ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تُشْتَمَلَ الخُطْبَةُ عَلَى الشَّهَادَتَيْنِ: شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

\*\*\*

«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- إِذَا أَرَادَ أَنْ يُكْرِمَ عَبْدَهُ بِمَعْرِفَتِهِ، وَيَجْمَعُ قَلْبَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، شَرَحَ صَدْرَهُ لِقَبُولِ صِفَاتِهِ العُلَى، وَتَلْقِيهَا مِنْ مَشْكَاتِ الوَحْيِ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا قَابَلَهُ بِالقَبُولِ، وَتَلَقَّاهُ بِالرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ، وَأَذْعَنَ لَهُ بِالانْقِيَادِ، فَاسْتَنَارَ بِهِ قَلْبُهُ، وَاتَّسَعَ لَهُ صَدْرُهُ، وَامْتَلَأَ بِهِ سُورًا وَمَحَبَّةً، وَعَلِمَ أَنَّهُ تَعْرِيفٌ مِنْ تَعْرِيفَاتِ اللهِ تَعَالَى تَعَرَّفَ بِهِ إِلَيْهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، فَأَنْزَلَ تِلْكَ الصِّفَةَ مِنْ قَلْبِهِ مَنزِلَةَ الغَدَاءِ أَعْظَمَ مَا كَانَ إِلَيْهِ فَاقَةً، وَمَنزِلَةَ الشِّفَاءِ أَشَدَّ مَا كَانَ إِلَيْهِ حَاجَةً، فَاشْتَدَّ بِهَا فَرْحُهُ، وَعَظُمَ بِهَا غِنَاؤُهُ، وَقَوِيَتْ بِهَا مَعْرِفَتُهُ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهَا نَفْسُهُ، وَسَكَنَ إِلَيْهَا قَلْبُهُ، فَجَالَ مِنَ المَعْرِفَةِ فِي مِيَادِينِهَا، وَأَسَامَ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ

بين رياضها وبساتينها، لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته، وهو ذو الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأن شرفه أيضًا بحسب الحاجة إليه».

## الشرح

قوله: «إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا قَابِلُهُ بِالْقَبُولِ، وَتَلَقَّاهُ بِالرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ...» وهذه والله هي التجارة الرابعة أنه إذا ورد شيء من صفات الله فتلقها بالتسليم، لا تقل: لِمَ؟ وكيف؟ وهل يمكن؟ بل أقر بها بدون تردد.

فإذا بلغك أن الله -تبارك وتعالى- ينزل إلى السماء الدنيا، فقل: (ينزل) سَمْعًا وَقَبُولًا، ولا تعترض، ولا تقل: كيف ينزل وهو فوق السموات وهو العليُّ الأعلى، وعُلوُّه من لازم ذاته؟ لا تقل هكذا، ولا تقل: كيف ينزل في ثلث الليل، وثلث الليل يختلف ويتنقل؟ فإن هذا يفتح عليك باب الشر الذي لا نهاية له، ثم في النهاية تُنكر ولا بُدَّ، لكن إذا قلت: (سَمِعْنَا وَصَدَّقْنَا وَأَمْنَا، وَرَبُّنَا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، انشرح صدرك، وسلمت من المعارضات، وسلمت من الشكوك التي يلقيها الشيطان في قلبك، وما ضرَّ أولئك المتكلمين الذين نفوا ما أثبتته الله لنفسه إلا مثل هذا حيث حكّموا عقولهم الفاسدة الحربة، حتى نفوا كثيرًا من صفات الله عزَّ وجلَّ بهذه الشبهة.

ولا شك أن الله عزَّ وجلَّ إذا أراد أن يُكرم عبدًا شرَّح صدره لقبول ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فتلقاها بالتسليم والفرح والسرور، وازداد إيمانًا بالله عزَّ وجلَّ وتعظيمًا له، لأنه كلما ازدادت معرفة الإنسان بالله في صفاته وآياته، فلا شك أنه يزداد محبةً وتعظيمًا لربه، عكس أهل الباطل

-والعياذُ بالله- الذين إذا جاءتهم مثل هذه الصِّفاتِ ذهبوا يمينًا وشمالًا في التَّعْطِيلِ والتَّحْرِيفِ، حَتَّى يَبْقَوْا وهم على شكٍّ فيما وَصَفَ اللهُ به نَفْسَهُ، وفرقٌ كبيرٌ بين هذا وهذا.

فعليك يا أخي إن كنت تريدُ السَّلَامَةَ والإِيمَانَ واليَقِينَ وانسِراحَ الصِّدْرِ أن تقولَ: (هكذا قال رسولُ اللهِ ﷺ)، وهو معصومٌ مِنَ الكَذِبِ على الله عزَّ وجلَّ وهو معصومٌ من أن يقولَ على الله ما لا يَعْلَمُ، وهو يَعْلَمُ ما يقولُ، وهو أنصَحُ الخَلْقِ للخَلْقِ.

وكذلك أصحابُه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لم يقابلوا هذا بالاعتراضِ، فهم يعلمون أن الله فوق كُلِّ شيءٍ، وأن عُلُوَّهُ من لوازمِ ذاته، يعلمون هذا أشدَّ ممَّا نعلمُ، ومع ذلك لم يقولوا: (يا رسولَ اللهِ، كيف ينزلُ وهو فوقَ كُلِّ شيءٍ؟).

لم يقولوا ذلك، وهم أحرصُ منَّا على معرفةِ حقائقِ صفاتِ الله عزَّ وجلَّ وهم أيضًا إذا وجَّهوا السُّؤالَ يُوَجِّهونَه إلى أعلمِ النَّاسِ بالله عزَّ وجلَّ ومع ذلك أَمْسَكُوا، لأنَّ صُدُورَهُم منشِرحَةٌ، فكلُّ ما صَحَّحَ عن رسولِ اللهِ أخذوه بالتَّسْلِيمِ، وكلُّ ما قاله اللهُ عن نَفْسِهِ في الكتابِ أخذوه بالتَّسْلِيمِ، فَإِيَّاكَ والإِيرَادَاتِ، لا أن توردها أنت على نَفْسِكَ، ولا أن توردها على غيرِكَ مَن يَفُوقُكَ عِلْمًا، اترك هذا إن كنت تريدُ السَّلَامَةَ، أمَّا إن كنت تريدُ الهلاكَ، فَإِنَّكَ كالذي يسبحُ في ماءٍ عميقٍ، وهو لم يتعلَّم السَّباحَةَ، فهذا مَالُهُ لِلْعَرَقِ وإن كان سيطفو بِقَدْرِ ما عنده مِنَ النَّفْسِ، لكن في النِّهَايَةِ يموتُ.

فمثلاً: إذا عَلِمَ الإنسانُ أن الله تعالى سميعٌ تَقَرَّبَ إلى الله بكُلِّ قولٍ، لأنَّ الله يَسْمَعُهُ، سواء أكان جَهْرًا أم سِرًّا، وإذا عَلِمَ أن الله تعالى بصيرٌ تَقَرَّبَ إليه بكُلِّ فِعْلٍ، فتكون حركاتُه وسكناتُه كُلُّها مقرونةً بصفاتِ الله عزَّ وجلَّ.

إذا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ تَعَرَّضَ لِمَغْفِرَتِهِ، وَلَمْ يَتَّكِلْ عَلَى الْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ، وَلَمْ يُقَلِّ: إِذَا كَانَ غَفُورًا فَاللَّهُ غَفُورٌ يَغْفِرُ لِي زَلَّاتِي، لَا، بَلْ يَتَعَرَّضُ لِلْمَغْفِرَةِ بِطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ، وَفِعْلِ الْمَكْفُرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي تَقُومُ بِهِ الْمَخْلُوقَاتُ، فَإِنَّهُ لَنْ يَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ أَحَدٌ صَمَدٌ، صَمَدٌ إِلَيْهِ، وَسَأَلَهُ حَاجَاتِهِ، وَهَلُمَّ جَرًّا.

فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ فَلَاحَ الْإِنْسَانِ وَسَعَادَتَهُ، وَأَنْشِرَاحَ صَدْرِهِ هُوَ بِإِيْمَانِهِ، وَإِقْرَارِهِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَتَعَبُّدِهِ لِلَّهِ بِهَا، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>. إِحْصَاؤُهَا لَفْظًا، وَإِحْصَاؤُهَا مَعْنَى، وَإِحْصَاؤُهَا عَمَلًا، وَتَعَبُّدًا لِلَّهِ بِهَا أَي: بِمَقْتَضَاهَا.

وَالْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- ذَكَرَ هَذِهِ الْمَقْدَمَةَ كَاسْتِهْلَالٍ لِمَا يَرِيدُ أَنْ يَبْدَأَ بِهِ، وَهَذِهِ تُسَمَّى عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ (بِرَاعَةِ الْاسْتِهْلَالِ)، وَهِيَ أَنْ يَأْتِيَ الْإِنْسَانَ بِمَقْدَمَةٍ تُشِيرُ إِلَى مَوْضُوعِ الْبَحْثِ، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ بِرَاعَةَ اخْتِتَامٍ، أَنْ يَأْتِيَ بِكَلَامٍ بِمَا يُشْعِرُ أَنَّهُ سَوْفَ يَخْتَمُّهُ، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي الصِّفَاتِ بَدَأَ الْمَوْلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بِهَذِهِ الْمَقْدَمَةِ.

قَوْلُهُ: «...بِأَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ تَابِعٌ لَشَرَفِ مَعْلُومِهِ» وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُفِيدَةٌ، وَهِيَ: (الْعِلْمُ يَشْرَفُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ)، فَإِنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ بِشَرَفِ مَعْلُومِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنْ أَشْرَفَ شَيْءٌ، وَأَعْلَى شَيْءٌ هُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلِهَذَا كَانَ عِلْمُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الشُّرُوطِ، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الْإِشْتِرَاطِ وَالشُّنْيَا فِي الْإِقْرَارِ، وَالشُّرُوطُ الَّتِي يَتَعَارَفُهَا النَّاسُ بَيْنَهُمْ، رَقْمٌ (٢٥٨٥)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّوْبَةِ، بَابُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا، رَقْمٌ (٢٦٧٧).

التَّوْحِيدِ هُوَ الْفِقْهَ الْأَكْبَرُ، كَمَا يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ، فَالْعِلْمُ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ هُوَ الْفِقْهَ الْأَكْبَرُ، أَمَّا عِلْمُ أَحْكَامِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ، فَهُوَ فِقْهٌ أَصْغَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْفِقْهِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>. قلنا: وَأَيُّ فِقْهِ أَعْظَمُ مِنَ الْفِقْهِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ!؟

قَوْلُهُ: «وَأَنْ شَرَّفَهُ أَيْضًا بِحَسَبِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ» يَشْرَفُ الْعِلْمُ بِشَرَفِ آخَرَ أَيْضًا، وَهُوَ حَاجَةٌ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَكُلَّمَا احْتِاجَ النَّاسُ إِلَى الْعِلْمِ كَانَ طَلْبُهُ أَشْرَفَ مِنْ طَلَبِ غَيْرِهِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مَضِيعَةٌ لِلْوَقْتِ، وَلَا شَرَفَ فِي هَذَا الْعِلْمِ.

إِذْنُ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَفَادَنَا بِأَنَّ الْعِلْمَ يَشْرَفُ بِأَمْرَيْنِ: شَرَفِ الْمَعْلُومِ، وَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ.

\*\*\*

«وَلَيْسَتْ حَاجَةٌ الْأَرْوَاحِ قَطُّ إِلَى شَيْءٍ أَعْظَمَ مِنْهَا إِلَى مَعْرِفَةِ بَارِئِهَا وَفَاطِرِهَا، وَمَحَبَّتِهِ وَذِكْرِهِ، وَالِابْتِهَاجِ بِهِ، وَطَلَبِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ وَالزُّلْفَى عِنْدَهُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى هَذَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَوْصَافِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ بِهَا أَعْلَمَ، كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ، وَلَهُ أَطْلَبَ، وَإِلَيْهِ أَقْرَبَ، وَكُلَّمَا كَانَ لَهَا أَنْكَرَ، كَانَ بِاللَّهِ أَجْهَلَ، وَإِلَيْهِ أَكْرَهَ، وَمِنْهُ أَبْعَدَ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ يُنْزِلُهُ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ، فَمَنْ كَانَ لِذِكْرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مُبْغِضًا، وَعَنْهَا مُعْرِضًا نَافِرًا وَمُنْفَرًا، فَاللَّهُ لَهُ أَشَدُّ بُغْضًا، وَعَنْهُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم (٧١)، ومسلم:

كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (١٠٣٧).

أَعْظَمُ إِعْرَاضًا، وَهُوَ أَكْبَرُ مَقْتًا، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبُ ذِكْرِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ قُوَّتُهُ وَحَيَاتُهُ، وَنَعِيمُهُ وَقُرَّةُ عَيْنِهِ، لَوْ فَارَقَهُ ذِكْرُهَا وَمَحَبَّتُهَا سَاعَةً لَا اسْتَعَاثَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»<sup>(١)</sup>. فَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ:

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانَكُمْ      وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ<sup>(٢)</sup>

ويقول:

وَإِذَا تَقَاضَيْتِ الْفُؤَادُ تَنَاسِيًا      أَلْفَيْتِ أَحْشَائِي بِذَلِكَ شِحَاخًا<sup>(٣)</sup>

ويقول:

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمْ      فَتَرَكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَتَنْتَكِسُ<sup>(٤)</sup>

وَمِنَ الْمَحَالِ أَنْ يَذْكَرَ الْقَلْبُ مَنْ هُوَ مُحَارِبٌ لَصِفَاتِهِ، نَافِرٌ مِنْ سَاعِهَا، مُعْرَضٌ بِكُلِّيَّتِهِ عَنْهَا، زَاعِمٌ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي ذَلِكَ، كَلَّا وَاللَّهِ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا الْجَهَالَةُ وَالْخُذْلَانُ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، فَلَيْسَ الْقَلْبُ الصَّحِيحُ قَطُّ إِلَى شَيْءٍ أَشَوْقَ مِنْهُ إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَلَا أَفْرَحَ بِشَيْءٍ قَطُّ كَفَرَحِهِ بِذَلِكَ، وَكَفَى بِالْعَبْدِ خُذْلَانًا أَنْ يُضْرَبَ عَلَى قَلْبِهِ سُرَادِقُ الْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَالتَّنْفِرُ وَالتَّنْفِيرُ وَالِاسْتِعْثَالُ بِمَا لَوْ كَانَ حَقًّا لَمْ يَنْفَعِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ».

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم (٢٦٥٤).

(٢) البيت للمتنبي، كما في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني (١/٣٣٩).

(٣) البيت لابن الفارض، كما في الكشكول (٢/١٦٧).

(٤) البيت لزين الدين الصفدي، كما في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لشهاب الدين العمري (١٢/٤٧٨).

## الشرح

هذه مشكلة تقع لبعض الناس، يقول: (لا فائدة من البحث في أسماء الله وصفاته، اتركونا من هذا البحث، هذا شيء فرغ الناس منه)، وفي الحقيقة لا يقول ذلك إلا إنسان - كما قال ابن القيم رحمه الله - على خطرٍ عظيم، لأن معرفة أسماء الله وصفاته هي قوت القلب وروحه، ولا يمكن للإنسان أن يحب الله غاية المحبة، ويعظم الله غاية التعظيم إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، وقد حث النبي - عليه الصلاة والسلام - على ذلك حتى قال: «إنَّ الله تسعة وتسعين اسماً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>. وهذا عوض عظيم، فالجنة ليست بالأمر الهين، فما تكون إلا لشيء هو أعظم الأشياء، ثم إنَّ الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يُعَيِّن لنا هذه الأسماء، ولو عَيَّنْها لنا لَسَقَطَ عَنَّا كَثِيرٌ مِنَ الْمُتُونَةِ ولم نتعب في تحصيلها، ولكن جعل ذلك للبحث والنظر، واستخلاصها من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، حتى يُعْرِفَ مَنْ هو حريصٌ عليها ممن ليس بحريص.

ونظيرُ هذا إخفاء ليلة القدر، ولو شاء الله عزَّ وجلَّ لبيَّنْها لِعِبَادِهِ بِعَيْنِهَا، ولكنَّه - سبحانه وتعالى - أراد أن يَعْلَمَ مَنْ هو حريصٌ من عباده ممن ليس بحريص، هذا من وجه، ومن وجهٍ آخرٍ لأجل أن يكثر ثوابهم في الأعمال في جميع ليالي العشر.

كذلك أيضاً ساعة الإجابة في كل ليلة أخفاها، فهذه الساعة «لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه»<sup>(٢)</sup>. وهذا يقطع النظر عن الذي يكون وقت النزول الإلهي، وكذلك ساعة الجمعة لم يبيَّنْها الله، لكن أرجاها مبيَّن.

(١) سبق تخريجه (ص: ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب الإشارة في الطلاق والأموار، رقم (٤٩٨٨).

هكذا أيضًا بالنسبة لأسماء الله عزَّ وجلَّ يقول بعض الناس: دَعُونَا مِنْ الْأَسْمَاءِ، دَعُونَا مِنَ الصِّفَاتِ، هَذَا شَيْءٌ انْقَضَى، فَلَا تُوجَدُ الْآنَ جَهْمِيَّةٌ وَلَا مُعْتَزَلَةٌ، وَلَا، وَلَا...، فنقول: هذا غير صحيح، بل يُوجَدُ الْآنَ جَهْمِيَّةٌ وَمُعْتَزَلَةٌ وَأَشَاعِرَةٌ، وَمَأْتِرِيْدِيَّةٌ، فهذا موجودٌ.

وأيضًا إن لم يكن ذلك موجودًا، فلماذا نترك البحث في أسماء الله وصفاته، حتَّى نكون جاهلين؟! هذا ليس بصحيح.

أيضًا البحث مع الجهميَّة<sup>(١)</sup> والمُعْتَزَلَةِ<sup>(٢)</sup> مفيدٌ في البحث مع الشيوعيين والمُلْحِدِينَ والزَّنادِقَةِ، لأنَّ هناك مقدِّماتٍ مذكورة في مناظرة هؤلاء تفيدهُ طالب العلم في مناظرة الشيوعيين والزَّنادِقَةِ والمُلْحِدِينَ، فعلى كُلِّ حَالٍ كما قال ابنُ القيم -رحمه الله- في هذه المقدمة: (لا ينبغي لنا أن ندع البحث في أسماء الله وصفاته)، فينبغي لنا أن نبحث، ولكن لا على سبيل أهل التحريف، ولكن على سبيل السلف، وأئمة الأمة، نتلقاها بالقبول والتسليم، مع اعتقادنا أن كُلَّ ما وَصَفَ اللَّهُ

(١) هم أصحاب جَهْم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أخوز المازني بمرؤ في آخر ملك بني أمية، وافق المُعْتَزَلَةَ في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء:

منها قوله: لا يجوز أن يُوصف البارئ تعالى بصفةٍ يُوصف بها خلقه، لأن ذلك يقضي تشبيها، فنفي كونه حيًّا عالمًا، وأثبت كونه: قادرًا، فاعلًا، خالقًا، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق. الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦).

(٢) المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثيرها ببعض الفلسفات المستوردة، مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد أُطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة، والقدريَّة، والعدلية، وأهل العدل والتوحيد، والمقتصدَّة والوعيدية. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٦٤).

به نفسه فإنه لا يُشبهُ شيئاً من أوصافِ المخلوقين أبداً، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قوله: «لاستغاث: يا مُقَلَّبَ القُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» يعني: لاستغاث بهذا الدعاء قائلاً: «يا مُقَلَّبَ القُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»<sup>(١)</sup>. فالإنسان إذا رأى من قلبه إعراضاً فليلجأ إلى الله بهذا الدعاء حتى لا يزيغ القلب ويزل، فالإنسان ينبغي له دائماً أن يدعوا بهذا الدعاء مفتقراً إلى الله عز وجل عالماً بأنه - سبحانه وتعالى - هو القادر على هدايته وزَيِّغِه.

\*\*\*

«والقلب الثاني: قلبٌ مضروبٌ بسياطِ الجَهَالَةِ، فهو عن معرفةِ ربِّه ومحَبَّتِه مَصْدُودٌ، وطريقُ معرفةِ أسائِه وصفاتِه كما أُنزِلَتْ عليه مَسْدُودٌ، وقد قَمَشَ شُبُهًا من الكلامِ الباطلِ، وارتوى من ماءِ آجِنٍ غيرِ طائلٍ، تَعَجُّجٌ منه آياتُ الصِّفَاتِ وأحاديثُها إلى الله عَجِيجًا، وتَضِجُّجٌ منه إلى مَنْزِلِها ضَجِيجًا مما يسومُها تحريفًا وتعطيلًا، ويُووِّلُ معانيها تغييرًا وتبديلًا، قد أَعَدَّ لدفعِها أنواعًا من العُدَدِ، وهَيَأُ لِرَدِّها ضُروبًا من القوانين، وإذا دُعِيَ إلى تحكيمِها أَبَى واستكَبَرَ وقال: تلك أدلةٌ لفظيَّةٌ، لا تفيدُ شيئًا من اليقينِ.

قَدْ اتَّخَذَ التَّأْوِيلَ جُنَّةً يَتَرَسُّ بِهَا مِنْ مَوَاقِعِ سِهَامِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، وَجَعَلَ إِبْطَاتِ صِفَاتِ ذِي الْجَلَالِ تَجْسِيمًا وَتَشْبِيهًا، يَصُدُّ بِهِ الْقُلُوبَ عَنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، مُزَجِّجِي الْبُضَاعَةِ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ الْمُرُوْثِ عَنْ خَاتَمِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، لَكِنَّهُ مَلِيٌّ بِالشُّكُوكِ وَالشُّبُهَةِ وَالْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ، خَلَعَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ الْبَاطِلَ خِلْعَةَ الْجَهْلِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم (٢٦٥٤).

والتَّجْهِيلِ، فهو يَتَعَثَّرُ في أذْيَالِ التَّكْفِيرِ لأهل الحديث، والتبديع لهم والتَّضْلِيلِ، قد طَافَ على أبوابِ الآراءِ والمذاهبِ يتكفَّفُ أربابها، فانثنى بأخسِّ المواهبِ والمطالِبِ، عدَلَّ عن الأبوابِ العاليةِ الكفيلةِ بنهايةِ المرادِ، وغايةِ الإحسانِ، فابْتَلِيَ بالوقوفِ على الأبوابِ السَّافِلَةِ المليئةِ بالخبيبةِ والحرمانِ، وقد لَيْسَ حُلَّةً منسوجةً من الجهلِ والتقليدِ والشُّبهةِ والعنادِ، فإذا بُدِّلَتْ له النصيحةُ، ودُعِيَ إلى الحقِّ، أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بالإثمِ فَحَسَبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ المِهَادِ.

فما أعظمَ المصيبةَ بهذا وأمثاله على الإيمانِ، وما أشدَّ الجنايةَ به على السُّنَّةِ والقرآنِ، وما أحبَّ جهاده بالقلبِ واليدِ واللسانِ إلى الرَّحْمَنِ، وما أثقلَ أجرَ ذلك الجهادِ في الميزانِ، والجهادُ بالحُجَّةِ والبيانِ مُقدَّمٌ على الجهادِ بالسِّيفِ والسَّنانِ، ولهذا أمرَ به تعالى في السُّورِ المكيَّةِ، حيث لا جهادَ باليدِ إنذارًا وتَعذِيرًا، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِيعُ الكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، وأمرَ تعالى بجهادِ المنافقين، والغِلظةِ عليهم، مع كَوْنِهِم بين أظهرِ المسلمينِ في المَقَامِ والمسِيرِ، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِمُصِيرُهُ﴾ [التوبة: ٧٣]، فالجهادُ بالعلمِ والحُجَّةِ جهادُ أنبياءِ الله ورُسلِهِ وخاصَّتِهِ من عبادِهِ المَخْصُوصِينَ بالهدايةِ والتَّوفيقِ والاتِّفاقِ، و«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ»<sup>(١)</sup>. وكَفَى بالعبدِ عَمَى وخُذْلَانًا أَنْ يَرَى عَسَاكِرَ الإِيمَانِ، وجنودَ السُّنَّةِ والقرآنِ، قد لَبِسُوا للحَرْبِ لِأُمَّتِهِ، وَأَعَدُّوا له عُدَّتَهُ، وَأَخَذُوا مَصَافِيَهُمْ، ووقفوا مَوَاقِفَهُمْ، وقد حَمِيَ الوَطِيسُ، ودارت رَحَى الحَرْبِ، واشتدَّ القتالُ، وتنادت الأقرانُ: النَّزَالُ النَّزَالُ، وهو في الملجأِ والمغاراتِ والمُدْخَلِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب ذم من مات، ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، رقم

مع الحَوَالِفِ كَمِينٌ، وإذا سَاعَدَ الْقَدْرُ وَعَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ قَعَدَ فَوْقَ التَّلِّ مَعَ النَّاطِرِينَ، يَنْظُرُ لِمَنِ الدَّائِرَةُ، لِيَكُونَ إِلَيْهِمِ مِنَ الْمُتَحَيِّزِينَ، ثُمَّ يَأْتِيهِمْ وَهُوَ يُقْسِمُ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِ: إِنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ، وَكُنْتُ أَمْتَى أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ الْغَالِبِينَ.

### الشرح

قَوْلُهُ: «وَالْقَلْبُ الثَّانِي: قَلْبٌ مَضْرُوبٌ بِسِيَاطِ الْجَهَالَةِ، فَهُوَ عَنِ مَعْرِفَةِ رَبِّهِ وَمَحَبَّتِهِ مَضْدُودٌ... إلخ» كَلَامُ الْمُؤَلِّفِ هُنَا كُلُّهُ يَنْصَبُ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَكُلُّ مِنْهُمْ يَنَالُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ بِقَدْرِ تَعْطِيلِهِ جِزَاءً وَفَاقًا، فَالْمُعْطَلُ تَعْطِيلًا مُحْضًا يَسْتَحِقُّ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَالْمُعْطَلُ تَعْطِيلًا دُونَ ذَلِكَ يَسْتَحِقُّ مَا يَسْتَحِقُّ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا جُنَايَةٌ عَلَى النُّصُوصِ، وَعَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُحَرِّفَ كِتَابَهُ، وَكَلَامُ رَسُولِهِ ﷺ إِلَى مَعَانٍ لَمْ يُرِدْهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ لِمَجْرَدِ اتِّبَاعِ الْهَوَى فِي الْمُجْتَهِدِينَ مِنْهُمْ، وَالتَّقْلِيدِ الْأَعْمَى فِي الْمُقَلِّدِينَ مِنْهُمْ.

وَلَا تَقُولُوا: إِنَّ الْمُؤَلِّفَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- قَدْ بَالَعَ وَأَسْرَفَ، لِأَنَّهُ قَدْ عَاصَرَهُمْ وَنَاطَرَهُمْ وَأَتَعَبَوْهُمُ وَأَتَعَبَهُمْ، فَهُوَ لَيْسَ مِثْلَنَا الْآنَ، لَيْسَ عِنْدَنَا مَنْ يَجَادِلُنَا فِي هَذَا، أَوْ يَنَاطِرُنَا فِيهِ، لَكِنْ هُوَ وَشَيْخُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- صَارَتْ لِهَذَا مَجَالَاتٌ عَظِيمَةٌ مَعَ هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلَةِ الْمُبْتَدِعَةِ، فَكَانُوا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُوصَفُوا بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ، لِأَنَّهُمْ -فِي الْحَقِيقَةِ- قَدْ أَتَعَبَوْهُ، وَلَكِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِمَا أَعْطَاهُمَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْعَقْلِ وَالْفَهْمِ اسْتَطَاعَا أَنْ يُسَيِّطِرَا عَلَى الْمَوْقِفِ، وَأَنْ يَجْعَلَا أَوْلَئِكَ تَحْتَ أَقْدَامِهِمَا كَمَا كَانَ أَهْلُ السُّنَّةِ بِالْأَوَّلِ تَحْتَ أَقْدَامِ أَوْلَئِكَ، كَمَا سَيُشِيرُ إِلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ.

قَوْلُهُ: «وَإِذَا دُعِيَ إِلَى تَحْكِيمِهَا أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَقَالَ: تِلْكَ أَدَلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ لَا تَفِيدُ شَيْئًا مِنَ الْيَقِينِ» هذه قاعدةٌ عندهم والعياذُ بالله، فأهلُ الكلامِ يقولون: هذه أدلةٌ لفظيةٌ لا تفيدهُ اليقينَ لاحتمالاتها، ويأتون للألفاظِ باحتمالاتٍ بعيدةٍ لا تُرادُ بها، فيقولُ مثلاً: (العرشُ) له عدَّةٌ معانٍ، و(الاستواءُ) له عدَّةٌ معانٍ، و(اليُدُ) لها عدَّةٌ معانٍ، وهكذا، فيشكُّون ويُسكِّكون -والعياذُ بالله- ويقولون: هذه أدلةٌ لفظيةٌ لا تفيدهُ اليقينَ، سبحان الله!

إِذَنْ هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الدِّينَ كُلَّهُ لَيْسَ يَقِينًا، فَإِذَا كَانَتْ آيَاتُ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثُهَا لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ فَمَا الَّذِي يُفِيدُ؟! لَكِنِ اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قَوْلُهُ: «وَجَعَلَ إِبْثَاتِ صِفَاتِ ذِي الْجَلَالِ تَجْسِيمًا وَتَشْبِيهًا، يَصُدُّ بِهِ الْقُلُوبَ عَنِ طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ» هم يقولون: أنتم أيُّها المُتَّبِعَةُ مُجَسِّمَةٌ، إِذَا قَلْتُمْ: اللَّهُ يَدُ حَقِيقِيَّةً، يَأْخُذُ بِهَا، وَيَقْبِضُ وَيَبْسِطُ، فَأَنْتُمْ مُجَسِّمَةٌ، وَعَرَضْتُمْ بِهَذَا التَّنْفِيرِ عَنِ إِبْثَاتِ أَنَّ اللَّهَ يَدَا حَقِيقِيَّةً، أَوْ يَقُولُونَ: إِنَّكُمْ مُشَبَّهَةٌ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَجْلِ التَّنْفِيرِ عَنِ الطَّرِيقِ السَّلِيمِ، كَمَا قَالَ الْكَافِرُونَ: ﴿هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: ٤]، هَذَا شَاعِرٌ، هَذَا مَجْنُونٌ، سِوَاءٌ بِسِوَاءٍ، فَالطَّرِيقُ وَاحِدَةٌ، وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الْمَوَاضِعُ.

قَوْلُهُ: «وَالْجِهَادُ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْجِهَادِ بِالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ» اللَّهُ أَكْبَرُ! كَلَامٌ عَجِيبٌ! الْجِهَادُ بِالْعِلْمِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْجِهَادِ بِالسَّيْفِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْعِلْمَ مُقَدَّمٌ عَلَى الْجِهَادِ بِالسَّيْفِ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ مِنْ حَيْثُ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ.

فمَثَلًا: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ شُجْعَانَ الْمُسْلِمِينَ، كَمْ قُتِلَ عَلَى يَدِهِ مِنْ

الكفار، وأبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دونه بكثير، ومع ذلك أُبَيِّها الذي بَقِيَ ذِكْرُهُ وانتفع النَّاسُ به كثيرًا؟ الجواب: أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولهذا فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ، كما قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «العلم لا يعدله شيء لمن صَحَّحَتْ نَيْتُهُ»<sup>(١)</sup>، وصدق - رحمه الله - الآن مثلاً الإمام الشافعي، والإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم من الأئمة يُدْرُسُونَ لنا وهم في قبورهم، بل بيننا وبينهم بلادٌ شاسعة، وأما الشجعان الذين قاتلوا، ونَفَعَ اللهُ بهم، وفتح بهم البلاد لا ينفعوننا مثلهم.

فالحقيقة أن العلم لا يُدْرِكُ فضلَه أحدٌ إلا إذا تأمَّل، ورأى أن مَنْ عَامَلَ اللهُ بالصدق في العلم فَعَمِلَ به وَعَلَّمَهُ ونَشَرَهُ، ودعا النَّاسَ إليه فالله تعالى يرفعُ ذِكْرَهُ، لكن قد تقول لشخصٍ من النَّاسِ: جهادك بالسيف أفضل، وتقول لآخر: جهادك بالعلم أفضل، لكن لو نظرنا إلى الأمرين جميعًا قلنا: الجهاد العلمي أفضل، لأنَّ جهادَ العلم تستقيم به الأُمَّةُ، وتحيا به المِلَّةُ، وجهادَ السيف المقصودُ به صدُّ الأعداء وإذلالهم، حتَّى يكونَ الدينُ لله عزَّ وجلَّ.

قوله: «وَمَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النَّفَاقِ» وهل هذا عامٌّ؟ الجواب: إذا جَعَلْنَا الغزوَ عامًّا لكلِّ ما يُسَمَّى غزوًا - حتَّى جهاد النفسِ وحتَّى العلم - فلا بُدَّ أن يكونَ في قلبه شُعْبَةٌ مِنَ النَّفَاقِ إن لم يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ، وإن كان ظاهره أن المراد غزو الكفار، والجهاد قد لا يطرأ على البال خصوصًا في أيام الرُّكود، لكن في أيام الحركات يطرأ، كما في هذه الأيام مع اليهود والنصارى.

\*\*\*

(١) هذا القول حكاه علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان الصالح الحنبلي، في كتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٤/١٢٣)، دون قوله: «لمن صحت نيته».

«فَحَقِيقٌ بَمَنْ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ وَبِمَنْ أَلَّا يَبِيعُهَا بِأَخْسِ الْأَثْمَانِ، وَأَلَّا يُعَرِّضَهَا غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِمَوَاقِفِ الْحِزْبِيِّ وَالْهَوَانِ، وَأَنْ يُثَبَّتَ قَدَمَهُ فِي صَفْوَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَأَلَّا يَتَحَيَّزَ إِلَى مَقَالَةٍ سِوَى مَا جَاءَ فِي السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ.

فَكَأَنَّ قَدْ كُشِفَ الْغِطَاءُ، وَانْجَلَى الْغُبَارُ، وَأَبَانَ عَنِ وُجُوهِ أَهْلِ السُّنَّةِ مُسْفِرَةً ضَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً، وَعَنِ وُجُوهِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ تَرَهَّقُهَا قَتْرَةٌ، يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفِرْقَةِ الضَّالَّةِ»<sup>(١)</sup>.

فَوَاللَّهِ لَمُفَارَقَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَسْهَلُ مِنْ مُرَافَقَتِهِمْ إِذَا قِيلَ: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢]، قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَعْدَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «أَزْوَاجُهُمْ: أَشْبَاهُهُمْ وَنُظَرَاؤُهُمْ»<sup>(٢)</sup>.  
وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] فَجَعَلَ صَاحِبَ الْحَقِّ مَعَ نَظِيرِهِ فِي دَرَجَتِهِ، وَصَاحِبَ الْبَاطِلِ مَعَ نَظِيرِهِ فِي دَرَجَتِهِ، هُنَالِكَ - وَاللَّهِ - يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ إِذَا حَصَلَتْ لَهُ حَقِيقَةُ مَا كَانَ فِي هَذِهِ الدَّارِ عَلَيْهِ، يَقُولُ: ﴿يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾<sup>(٣٧)</sup> يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا<sup>(٣٨)</sup> لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

## الشرح

قَوْلُهُ: «وَأَلَّا يُعَرِّضَهَا غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِمَوَاقِفِ الْحِزْبِيِّ وَالْهَوَانِ»

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٣٩٥٠) دون قوله: «وتسودُّ وجوه أهل البدعة والفرقة». وحكاه ابن كثير بتمامه في التفسير (٩٢/٢).

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم في المستدرک (٤٦٧/٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الوقوف بين يدي الله أمرٌ ظاهرٌ، فنحن سنقفُ بين يدي الله عزَّ وجلَّ كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، سوف تُلاقِي ربَّك، وسوف يُحاسبُك حسابًا يسيرًا إن كنت ممن أُوتِيَ كتابه بيمينه، أو بالعكس.

أما (بين يدي رسول الله - عليه الصلاة والسلام-)، فهذا يُحمَلُ على أنَّ المعنى أنَّ الرَّسولَ - عليه الصلاة والسلام - سيشهدُ بأنه بلَّغَ أُمَّتَهُ البلاغَ المبينَ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وإذا شهدَ أنَّه بلَّغَ البلاغَ المبينَ فقد شهدَ على أُمَّتِهِ، فإنَّ مَنْ خَالَفَ مقتضى هذه الشَّهادةِ فهو في خِزْيٍ وِعَارٍ، نسألُ الله العافية.

قوله: «وتَسوَّدُ وجوهُ أهلِ البدعةِ والفرقةِ الضَّالَّةِ»، وفي نسخة: (تَسوَّدُ وجوهُ أهلِ البدعةِ والفرقةِ والضَّلالةِ)، فمع (الضَّالَّةِ) نقولُ: (الفرقةِ)، ومع (الضَّلالةِ) نقولُ: (الفرقةِ)، وهما متلازمان، لأنَّ أهلَ البدعِ متفرِّقون، وأهلَ السُّنَّةِ مجتمعون.

\*\*\*

## فصل

«وَكَانَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ أَنْ يَجْمَعَ مَجْلَسَ الْمَذَاكِرَةِ بَيْنَ مُثَبِّتِ لِلصِّفَاتِ وَالْعُلُوِّ وَمَعْطَلٍ لِدَلِكِ، فَاسْتَطَعَمَ الْمُعْطَلُ الْمُثَبِّتَ الْحَدِيثَ اسْتِطْعَامَ غَيْرِ جَائِعٍ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ غَرَضُهُ عَرَضُ بَضَاعَتِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ وَمَسْأَلَةِ الْإِسْتِوَاءِ؟ فَقَالَ الْمُثَبِّتُ: نَقُولُ فِيهِمَا مَا قَالَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَمَا قَالَهُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، نَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ، وَلَا تَمْثِيلٍ، بَلْ نُثَبِّتُ لَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مَا أَثَبَّتَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَنَنْفِي عَنْهُ النِّقَاطِصَ وَمِشَابَهَةَ الْمَخْلُوقَاتِ، إِبْتِئَاتًا بِمَا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهًا بِمَا تَعْطِيلٍ، فَمَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا، فَالْمُشَبَّهُ يَعْبُدُ صِنًا، وَالْمُعْطَلُ يَعْبُدُ عَدَمًا، وَالْمَوْحِدُ يَعْبُدُ إِلَهًا وَاحِدًا صَمَدًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١].

والكلام في الصِّفَاتِ كَالكَلَامِ فِي الدَّاتِ، فَكَمَا أَنَا نُثَبِّتُ ذَاتًا لَا تُشْبِهُ الدَّوَاتِ، فَكَذَا نَقُولُ فِي صِفَاتِهِ: إِنَّهَا لَا تُشْبِهُ الصِّفَاتِ، فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ، فَلَا تُشْبِهُ صِفَاتِ اللَّهِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا تُزِيلُ عَنْهُ - سُبْحَانَهُ - صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِأَجْلِ تَشْنِيعِ الْمُشْنَعِينَ وَتَلْقِيبِ الْمُفْتَرِينَ، كَمَا أَنَا لَا نُبْغِضُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِتَسْمِيَةِ الرَّوَافِضِ لَنَا نَوَاصِبَ، وَلَا نُكَدِّبُ بِقَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَجْحَدُ كَمَا لَمْ يَشِئْتَهُ وَقُدْرَتَهُ لِتَسْمِيَةِ الْقَدْرِيَّةِ لَنَا مُجْبِرَةً، وَلَا نَجْحَدُ صِفَاتِ رَبِّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِتَسْمِيَةِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَرِزَةِ لَنَا مُجَسِّمَةً مُشَبَّهَةً حَشَوِيَّةً، كَمَا قِيلَ:

فَإِنْ كَانَ تَجَسِّيًّا ثُبُوتُ صِفَاتِهِ      فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَهَا مُثَبِّتٌ

إلى:

فَإِنْ كَانَ تَجَسِّيًّا ثُبُوتُ صِفَاتِهِ      لَدَيْكُمْ فَإِنِّي الْيَوْمَ عَبْدٌ مُجَسَّمٌ<sup>(١)</sup>

وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الشَّافِعِيِّ إِذْ يَقُولُ:

إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ      فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

وَقَدَّسَ اللَّهُ رُوحَ الْقَائِلِ، وَهُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِذْ يَقُولُ:

إِنْ كَانَ نَضْبًا حُبُّ صَاحِبِ مُحَمَّدٍ      فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي نَاصِبِي

## الشرح

قَوْلُهُ: «وَكَانَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ أَنْ يَجْمَعَ مَجْلِسَ الْمَذَاكِرَةِ بَيْنَ مُثَبِّتِ لِلصِّفَاتِ وَالْعُلُوِّ، وَبَيْنَ مَعْطَلٍ لِذَلِكَ» هَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ قَطْعِيَّةً، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ، لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُضْرَبَ الْمَثَلُ فِي مِثْلِ هَذَا كَمَا يَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْأَمْثَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبُوكُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

(١) هذان البيتان أوردهما ابن القيم - رحمه الله - في العديد من كتبه، لكن دون عزو.

قَوْلُهُ: «نَصِفُ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِهَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ» وهذا حَقٌّ فِي الثُّبُوتِ.

قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ» يعني: لا نُحَرِّفُ النُّصُوصَ، وَلَا نُعْطِلُ معناها، وَلَا نُعْطِلُ صِفَاتِ اللَّهِ، وهذا فِي النَّفْيِ يَشْمَلُ شَيْئَيْنِ: الأَوَّلُ: تَعْطِيلُ النُّصُوصِ عَنِ مَعَانِيهَا.

الثَّانِي: تَعْطِيلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ صِفَاتِهِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا هَذِهِ النُّصُوصُ.

أَمَّا التَّحْرِيفُ فَهُوَ التَّغْيِيرُ، وَمِنْهُ: (حَرَفْتُ الدَّابَّةَ عَنْ جِهَةِ سَيْرِهَا) أَي: أَمَلْتُهَا وَغَيَّرْتُهَا، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ:

الأَوَّلُ: تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ لَا يُغَيِّرُ الْمَعْنَى كَقَوْلِ الْقَارِي: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، فَهَذَا تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ مُغَيِّرٌ لِلْمَعْنَى، لَكِنَّهُ لَا يَجُوزُ، لِأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَمْ يَتَكَلَّمْ بِالْقُرْآنِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ.

الثَّانِي: تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ يُغَيِّرُ الْمَعْنَى، مِثْلُ: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)، أَوْ يقرأ فيقول: (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، لِأَنَّ (أَهْدِنَا) يَعْنِي: (أَعْطَيْنَا هَدِيَّةً)، وَمِثْلُ أَنْ يقرأ: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)، وَالصَّوَابُ: (كَلَّمَ اللَّهُ)، لَكِنَّهُ حَرَّفَ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِ، لِأَجْلِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِنْ مُوسَى، وَلِذَا لَمَّا قَالَ النَّافِي بِأَنَّ الْقِرَاءَةَ هِيَ: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)، قَالَ لَهُ الْمُثَبِّتُ: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾؟ [الأعراف: ١٤٣]، فَهُوَ هُنَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: (الهاء) فِي (كَلَّمَهُ): فَاعِلٌ، لِأَنَّ الْهَاءَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ اللُّغَةِ ضَمِيرٌ نَصَبٍ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ.

فَقَالَ: إِذْنٌ مَعْنَى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] أَي: جَرَّحَهُ بِمُخَالَفِ الْحِكْمَةِ، لِأَنَّ الْكَلَّمَ بِمَعْنَى الْجَرْحِ، وَمِنْهُ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ...»<sup>(١)</sup>، والكَلْمُ هنا بمعنى الجرح.

قلنا: سبحان الله العظيم! هذا مُنْكَرٌ، لَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ التَّكْلِيمُ بِمَعْنَى الْجَرْحِ إِلَّا بِقَرِينَةٍ، وَلَا قَرِينَةَ هُنَا، ثُمَّ هَلْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَاشَاهُ، هَلْ لَهُ أَظْفَارٌ يُجْرِحُهَا بِهَا؟! أَنْتَ الْآنَ فَرَزْتَ مِنْ شَيْءٍ أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَوَقَعْتَ فِي أَقْبَحَ مِنْهُ.

الثالث: التَّحْرِيفُ الْمَعْنَوِيُّ، وَهَذَا مَا أَكْثَرُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ! قَالُوا: إِنَّ ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يَعْنِي: (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)، فَهَمَّ أَبَقَوْا اللَّفْظَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ قَالُوا مَعْنَاهُ: (اسْتَوَى)، فَهَذَا عَطَّلُوا النَّصَّ عَنْ مَدْلُولِهِ، وَعَطَّلُوا اللَّهَ عَنْ صِفَةِ الْإِسْتَوَاءِ، فَصَارَ تَعْطِيلُهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوجه الأول: تَعْطِيلُ النَّصِّ عَنْ مَدْلُولِهِ.

الوجه الثاني: تَعْطِيلُ اللَّهِ عَنْ صِفَةِ الْإِسْتَوَاءِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ جَنَوْا عَلَى النَّصُوصِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوجه الأول: نَفَيْهِمُ الْمَعْنَى الظَّاهِرَ مِنْ سِيَاقِهَا، أَي: نَفَيْ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ جَنَاحَةٌ، أَنْ تُتْلَى أَعْنَاقُ النَّصُوصِ إِلَى مَعْنَى آخَرَ.

الوجه الثاني: إِثْبَاتُ مَعْنَى لَمْ يُرِدْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مَرَادٍ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، فَتَأَمَّلْ حَالَ هَؤُلَاءِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَالْأَلَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا، كَيْفَ وَقَعُوا فِي الْفَخِّ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.

قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَلَا تَمَثِيلٍ» لَمَّا قَرَنَهَا بِالتَّمَثِيلِ، فَمُرَادُهُ بِالتَّشْبِيهِ التَّكْيِيفُ، يَعْنِي: أَيْضًا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يُكَيِّفُونَ صِفَاتِ اللَّهِ أَبَدًا، لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيرِ، بَابُ مَنْ يَجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، رَقْمٌ (٢٨٠٣).  
وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، رَقْمٌ (١٨٧٦).

ذلك، ولهذا قال الإمام مالك - رحمه الله - : «الكَيْفُ مجهولٌ غيرُ معقولٍ»<sup>(١)</sup>، فهم لا يُكَيِّفُونَ، لأنهم لو كَيَّفُوا لكان قولهم على الله بلا عِلْمٍ، إذ إنَّ اللهَ أَخْبَرَنَا عن الصِّفَاتِ، ولم يخبرنا عن الكيفيَّةِ.

قَوْلُهُ: «وَلَا تَمَثِّلِ» أي: ولا يُمَثِّلون صِفاتِ الله بصفاتِ الخلقِ، لا يمكن أن يتصوَّروا أنَّ وَجَهَ اللهِ مثلُ وَجِهِ المخلوقِ أبداً، ولا عَيْنَهُ، لكن يُثَبِّتُونَ العَيْنَ ويقولون: الله أعلم بكيفيَّتها، فصار مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ جامعاً بين إثباتِ ونفيِ.

قَوْلُهُ: «إِبْثَابًا بِلَا تَمَثِّلِ» رُدُّ عَلَى المَثَلَةِ، لأنَّ المُمَثِّلَةَ غَلَّوْا فِي الإِثْبَاتِ.

قَوْلُهُ: «وَتَنْزِيهَا بِلَا تَعْطِيلِ» رُدُّ عَلَى المَعْطَلَةِ، لأنَّ المَعْطَلَةَ غَلَّوْا فِي النِّفْيِ، فَفَنَّفَوْا ما دَلَّتْ عَلَيْهِ التُّصَوُّصُ غُلَّوْا فِي التَّنْزِيهِ، أمَّا أهلُ السُّنَّةِ فهم بين هؤلاء وهؤلاء، والحمد لله.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وليس ما وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ، أو وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهاً» هذه العبارةُ هي نصُّ عبارةِ نُعَيْمِ بنِ حَمَّادِ الخَزَاعِيِّ - رحمه الله<sup>(٢)</sup> - شيخِ البخاريِّ، قال: «مَنْ شَبَّهَ اللهُ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وليس فيما وَصَفَ اللهُ

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤١).

(٢) هو نعيم بن حماد بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام، العلامة، الحافظ، أبو عبد الله الخزاعي، المروزي، صاحب التصانيف. قال صالح بن مسمار: سمعت نعيم بن حماد يقول: أنا كنت جهميًّا، فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث، عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل. قال محمد بن سعد: طلب نعيم الحديث كثيرًا بالعراق والحجاز، ثم نزل مصر، فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة أبي إسحاق - يعني: المعتصم - فسئل عن القرآن، فأبى أن يجيب فيه بشيء مما أرادوه عليه، فحبس بسامراء، فلم يزل محبوسًا بها حتى مات في السجن، سنة ثمان وعشرين ومائتين. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩٦).

به نَفْسَه، أو رسوله تشبيهه»<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: «كَمَا أَنَا لَا نُبْغِضُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِتَسْمِيَةِ الرَّوَافِضِ لَنَا نَوَاصِبَ» الرَّوَافِضُ لَهُمْ قَاعِدَةٌ بَاطِلَةٌ تَقُولُ: «مَنْ لَمْ يَكْرَهُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا»، أَوْ «مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا»، يَقُولُونَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالصَّحَابَةَ نَوَاصِبٌ، وَالنَّوَاصِبُ هُمُ الَّذِينَ يَنْصِبُونَ الْعَدَاوَةَ لِآلِ الْبَيْتِ، فَكُلُّ مَنْ أَبْغَضَ آلَ الْبَيْتِ فَهُوَ نَاصِبِيٌّ، وَعَلَى ذَلِكَ فَالْخَوَارِجُ نَوَاصِبٌ.

لَكِنْ نَحْنُ لَا نُبْغِضُ آلَ الْبَيْتِ وَنَرَى أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَفْضَلُ غَيْرَهُ بِقُرْبِهِ مِنَ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَلَكِنَّا لَا نَكْرَهُ الصَّحَابَةَ، بَلْ نُحِبُّ الصَّحَابَةَ وَنَزِنُ لَهُمْ بِالْقِسْطِ.

أَمَّا الرَّوَافِضُ، فَالْقَاعِدَةُ عِنْدَهُمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا، وَكَأَنَّ الْقُلُوبَ لَا تَتَحَمَّلُ أَنْ تُحِبَّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ.

هُمُ الْآنَ يُسَمُّونَ أَهْلَ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ يُسَمُّونَهُمْ نَوَاصِبَ تَشْنِيعًا، كَمَا أَنَّ أَهْلَ التَّعْطِيلِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ يُسَمُّونَهُمْ مَثَلَةً، مُشَبَّهَةً، مُجَسِّمَةً، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «وَلَا نُكَذِّبُ بِقَدْرِ اللَّهِ، وَلَا نَجْحَدُ كَمَا لَمْ يَشِئْتَهُ وَقَدْرَتَهُ لِتَسْمِيَةِ الْقَدْرِيَّةِ لَنَا مُجْبِرَةً» الْقَدْرِيَّةُ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا عِلَاقَةَ لَهُ فِي فِعْلِ الْعَبْدِ، وَمَنْ أَثْبَتَ أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ بِمَشِئَةِ اللَّهِ فَهُوَ جَبْرِيٌّ.

قَوْلُهُ: «... فَإِنِّي الْيَوْمَ عَبْدٌ مُجَسِّمٌ» وَهَذِهِ هِيَ الْعِزَّةُ فِي الدِّينِ، يَعْنِي: لَا يَهْمُنَا أَنْ تَقُولُوا: مُجَسِّمٌ، أَوْ غَيْرُ مُجَسِّمٌ، فَإِنْ كَانَ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ تَجْسِيمًا، فَأَنَا مُجَسِّمٌ.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٩٤).

## فصل

«وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنِّي أَقُولُ: إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ صِدْقًا، وَسَمِعَهُ مِنْهُ جِبْرَائِيلُ حَقًّا، وَبَلَّغَهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَحَيًّا، وَأَنَّ ﴿كَهَيَّصَ﴾ [مريم: ١] و﴿حَمْدًا﴾ [١] عَسَقَ ﴿الشُّورَى: ١-٢﴾ و﴿الرَّ﴾ [يونس: ١] و﴿قَ﴾ [ق: ١] و﴿تَ﴾ [القلم: ١] عَيْنُ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي سَمِعَهُ الصَّحَابَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمِيعَهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَيْسَ قَوْلُ الْبَشَرِ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ قَوْلُ الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَاللَّهُ يُضْلِيهِ سَقَرَ، وَمَنْ قَالَ: لَيْسَ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ كَلَامٌ فَقَدْ جَحَدَ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ يُبَلِّغُ عَنْهُ كَلَامَهُ، وَالرَّسُولُ إِنَّمَا يُبَلِّغُ كَلَامَ مُرْسِلِهِ، فَإِذَا انْتَفَى كَلَامُ الْمُرْسِلِ انْتَفَتِ رِسَالَةُ الرَّسُولِ».

## الشرح

نحن الآن في مقامِ مُنَاطَرَةٍ بَيْنَ مُعْطَلٍ وَمُثَبِّتٍ، وَهَذَا رَأْيُ الْمُثَبِّتِ فِي كَلَامِ اللَّهِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا وَقَعَ مَعَ ابْنِ الْقَيِّمِ نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعْطَلِ مُنَاطَرَةٌ فَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ، وَمَا بَعْدَهُ بِهَذَا الْأَسْلُوبِ الْبَدِيعِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

قَوْلُهُ: «وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنِّي أَقُولُ: إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ» نَقُولُ فِي الْقُرْآنِ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا يَكْفِي قَوْلُنَا: (مُنَزَّلٌ) فَقَطْ، بَلْ نَقُولُ: (غَيْرُ مَخْلُوقٍ)، لِثَلَا يَقُولُ قَائِلٌ: هَذَا الْمَطْرُ مُنَزَّلٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا﴾ [ق: ٩]، وَبِهَيْمَةُ الْأَنْعَامِ مُنَزَّلَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ

الْأَنْعَمِ تَمَنِيَةَ أَرْوَاحٍ ﴿ [الزمر: ٦]، وهذا الحديدُ مُنَزَّلٌ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، فلا بُدَّ أن نقول: (غَيْرُ مخلوقٍ) حتَّى لا يقول قائل: إن قولكم: إنَّه مُنَزَّلٌ لا يمنعُ أن يكون مخلوقًا، ونقول: إنَّه غيرُ مخلوقٍ، لأنَّه كلامٌ، والكلامُ صِفَةُ المتكلِّمِ، وصفةُ المخلوقِ مخلوقةٌ، وصفةُ الخالقِ غيرُ مخلوقةٌ، ولهذا كان السلفُ يقولون: (إنَّه كلامُ الله مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ).

قَوْلُهُ: «منه بدأ» يعنى أن الله تعالى هو الذي تكلم به ابتداءً، لم يتكلم به جبريل، ولا محمَّدٌ -عليهما الصَّلَاةُ والسَّلَامُ-.

قَوْلُهُ: «وإليه يعودُ» أي: يرجعُ، ولكن ما معنى العود هنا، هل هو عودٌ حسيٌّ، أو عودٌ حُكْمِيٌّ، أو هما؟ الجوابُ: هو عودٌ حسيٌّ، لأنَّه يُنَزَّعُ في آخرِ الزَّمانِ، حتَّى لا يَبْقَى منه شيءٌ، لا في صدور الرِّجالِ، ولا في المصاحفِ، وهذا حين يُعْرَضُ النَّاسُ عنه إعراضًا كَلِيًّا، فإنَّه يُنَزَّعُ من بين أيديهم، لأنَّ القرآنَ أعظمُ وأجلُّ من أن يَبْقَى بين قومٍ لا يقيمون له وزنًا، أو يدوسونه بأرجلهم -والعياذُ بالله- كما أن الكعبةَ إذا أَعْرَضَ النَّاسُ عنها وامتهنوها سَلَطَ اللهُ عليها (ذو السُّؤْفَتَيْنِ) مِنَ الحَبْشَةِ، يهدمها حَجْرًا حَجْرًا حتَّى يُلْقِيَهَا في البحرِ<sup>(١)</sup>، وذلك إذا عَتَا النَّاسُ فيها، ولم يُقَدِّرُوها حقَّ قَدْرِهَا، وهذا عودٌ حسيٌّ.

وأما المعنويُّ أي: يعودُ إليه حُكْمًا بمعنى أنَّه لا يُنسَبُ إلى غيرِ الله، فلا يُقالُ: القرآنُ كلامُ جبريلَ، ولا كلامُ محمَّدٍ، وإنَّما هو كلامُ الله عزَّ وجلَّ فهو يعودُ إليه

(١) بدلالة حديث النبي ﷺ: «يُحْرَبُ الكَعْبَةُ ذُو السُّؤْفَتَيْنِ مِنَ الحَبْشَةِ». أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾، رقم (١٥١٤)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم (٢٩٠٩).

وَصَفًا وَحُكْمًا، لَأَنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ أَوْ لَا إِلَى مَنْ بَلَغَهُ، فَلَوْ قَلْتُ:

قَفَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ..... (١)

فهل هذه القصيدة لك أم أتمها لامرئ القيس<sup>(٢)</sup>؟ الجواب: لامرئ القيس.

وكذلك ولو قلت:

بَانَتْ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولٌ ..... (٢)

فهل هي لك أم أتمها لكعب بن زهير<sup>(٤)</sup>؟ الجواب: لكعب بن زهير.

إِذْنُ إِذَا قُلْنَا: (هَذَا الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ)، فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ يُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَدُلُّكَ لِهَذَا أَنَّ اللَّهَ نَسَبَهُ مَرَّةً إِلَى جَبْرِيلَ، وَمَرَّةً إِلَى مُحَمَّدٍ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَلَامٌ وَاحِدٌ مَنْسُوبًا لِاثْنَيْنِ، لَكِنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِمَا عَلَى سَبِيلِ التَّبْلِيغِ، فَجَبْرِيلُ بَلَغَهُ مُحَمَّدًا، وَمُحَمَّدٌ بَلَغَهُ أُمَّتَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١]، فالمرادُ بِالرَّسُولِ هُنَا جَبْرِيلُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى:

(١) انظر: جهمرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ص: ٥١).

(٢) هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الكِندي، مِنْ بَنِي آكِلِ المَرَارِ: أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يُماني الأصل، مولده بَنَجْد، أو بِمِخْلَافِ السَّكَّاسِكِ بِاليمَنِ، اشتهر بَلَقْبِهِ، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل: حُنْدُج، وقيل مُلَيْكَة وقيل عَدِي، وكان أبوه مَلِكِ أَسَدٍ وَعَطْفَانَ. انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (١١/٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٦٣٢).

(٤) هو كعب بن زهير بن أبي سُلمى - واسمه رَيْبَعَة - بن رِيَّاح بن قُرْط بن الحارث بن مازن المزني الشاعر المشهور، صحابيٌّ معروف، قال قصيدته (بانت سعاد) بين يدي النبي ﷺ فكساه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - بُرْدَةً لَهُ، فاشتراها معاوية مِنْ وَكْدِهِ، فَهِيَ الَّتِي يَلْبَسُهَا الخُلَفَاءُ فِي الأعياد. انظر ترجمته في: الإصابة لابن حجر (٥/٤٤٣).

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٢] فالمرادُ به محمدٌ ﷺ، إذن القرآنُ كلامُ الله.

قوله: «تكلّم الله به صدقًا، وسمعه منه جبرائيلُ حقًا» أفادنا المؤلفُ أنّ جبريلَ لم يتلقه من اللوح المحفوظ، وإنّا سمعناه من الله، والقولُ بـ(أنّ الله تكلّم به ثمّ أنزله إلى بيت العزّة في السماء الدنيا) هذا في النفس منه شيءٌ، وإن كان يُروى عن ابن عباسٍ <sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فالذي يظهرُ أنّ الله يتكلّم بالقرآن حين إنزاله، وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قَوْلٌ مِّنْ لَّدُنِّي يُؤْتَىٰ بِرُوحٍ مِّنْ أَمْرِ رَبِّي أَتَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ حَقٌّ مِّنْ رَبِّهِمْ﴾ [البروج: ٢١-٢٢] يَحْتَمِلُ أَنَّ المعنى: (في اللوح المحفوظ ذكره) كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، ومعلومٌ أنّ القرآنَ نفسه ليس في زُبُرِ الْأَوَّلِينَ، إنّما الذي في زُبُرِ الْأَوَّلِينَ هو ذكره، فيَحْتَمِلُ أَنَّ الذي في اللوح المحفوظ هو أنّ القرآنَ سيكونُ وينزلُ على محمدٍ ﷺ، وما أشبه ذلك، فيكونُ المرادُ بكونه في اللوح المحفوظ ذكره، لكن يُضَعَفُ هذا الشيءُ نحو قولهِ تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]، فإنّ ظاهره أنّ القرآنَ نفسه كُتِبَ في نفس اللوح المحفوظ، والله على كلّ شيءٍ قديرٌ، فقد يكتبه الله في اللوح المحفوظ، ولكن لا يتكلّم به إلا عند إنزاله.

قوله: «وَبَلَّغَهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَحَيًّا، وَأَنَّ ﴿كَهَيْعِصَ﴾ [مريم: ١] و﴿حَمْدَ﴾ ﴿١﴾ عَسَقَ ﴿[الشورى: ١-٢] و﴿الر﴾ [يونس: ١] و﴿ق﴾ [ق: ١] و﴿ت﴾ [القلم: ١] عينُ كلامِ الله حقيقةً...» المؤلفُ -رحمه الله- كرّر هذا، لأنّ من الناس من اختلفَ في هذا القرآن، فالجهميّة قالوا: (القرآنُ كلامُ الله مُنزَلٌ، لكنّه مخلوقٌ، وأُضيفَ إلى الله على سبيلِ التّشريفِ، فإضافته إضافةٌ تشريفٍ وخلقٍ، وليست إضافةً صفةٍ إلى موصوفها).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥١٢٩)، وابن جرير (١٨٨/٣).

وقالت الأشاعرة: (إنَّ القرآنَ عبارةٌ عن كلامِ الله، خَلَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيُعَبَّرَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ).

وهم في الحقيقة قد تَلَاقَوْا مع المُعْتَرِلةِ فيما ذهبوا إليه، بل قد يكونُ المُعْتَرِلةُ خيراً منهم من بعضِ الوجوه، لأنَّ المُعْتَرِلةَ يقولون: (هذا الذي بين أيدينا في المصحفِ هو كلامُ الله حقاً)، وأولئك يقولون: (ليس كلامُ الله، ولكنه عبارةٌ عن كلامِ الله)، والكلُّ قد اتَّفَقَ أنَّ ما بين أيدينا في المصحفِ مخلوقٌ، لكنَّ المُعْتَرِلةَ قالوا: (هو كلامُ الله)، وأولئك قالوا: (هو عبارةٌ عن كلامِ الله)، لأنَّ الأشاعرةَ من أصولِ مذهبهم الباطلة أنَّ الكلامَ هو المعنى القائمُ بالنفسِ، وليس هو الحرفَ والصَّوتَ، وقالوا: مُستحيلٌ أن يتكلَّمَ اللهُ بحرفٍ وصوتٍ، فانظر كيف خالَفُوا اللُّغَةَ وَحَكَمُوا على الله تعالى بعقولهم الفاسدة؟!!

\*\*\*

«ونقول: إنَّ اللهَ فوقَ سمواتِهِ مُسْتَوٍ على عَرْشِهِ، بائنٌ من خَلْقِهِ، ليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته، ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته، وإنَّه تعالى إليه يصعدُ الكلمُ الطيبُ، وتَعْرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه، وإنَّه يُدَبِّرُ الأمرَ من السَّماءِ إلى الأرضِ ثُمَّ يعرِجُ إليه، وإنَّ المسيحَ رُفِعَ بذاته إلى الله، وإنَّ رسولَ الله ﷺ عرِجَ به إلى الله حقيقةً، وإنَّ أرواحَ المؤمنين تصعدُ إلى الله عند الوفاة، فتُعْرَضُ عليه، وتَقِفُ بين يديه، وإنَّه تعالى هو القاهرُ فوق عباده، وهو العليُّ الأعلى، وإنَّ المؤمنين والملائكةَ المُقَرَّبِينَ يخافون ربَّهم من فوقهم، وإنَّ أيدي السَّائِلِينَ تُرْفَعُ إليه، وحوائبهم تُعْرَضُ عليه، فإنَّه - سبحانه - هو العليُّ الأعلى بكلِّ اعتبارٍ».

## الشرح

هذه القطعة في بيان صفة العلوِّ الذاتيِّ، والاستواءِ على العرشِ، فنقول: إنَّ اللهَ تعالى فَوْقَ عرشِهِ مُستَوٍ عليه، وفوقَ جميعِ المخلوقاتِ، بائنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وفَسَّرَ البَيِّنُونَ بقوله: (لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ)، وليست البيئونةُ عدمَ المماسَّةِ مثلاً، هذا لا نعلمُه، فلو قال قائلٌ: (إنَّ اللهَ استوى على العرشِ)، هل هو ممَّاسٌ للعرشِ، أو غيرُ ممَّاسٍ؟ نقولُ: اللهُ أعلمُ.

إِذْ نَ مَا مَعْنَى البَيِّنُونَ الَّتِي جَاءَتْ فِي كَلَامِ السَّلَفِ؟

معناها نفْيُ الخُلُولِ، فليس شيءٌ حالاً مِنْ المخلوقاتِ فِي ذَاتِهِ، وليس شيءٌ مِنْ ذَاتِهِ حالاً فِي المخلوقاتِ، لِأَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وبهذا نَعْرِفُ أَنَّ اللهَ تعالى إِذَا نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، لَا تَكُونُ السَّمَاوَاتُ الأخرى فَوْقَهُ، إِذْ لَوْ كَانَتْ فَوْقَهُ لَكَانَ حَالاً فِي المخلوقاتِ، وهذا مستحيلٌ، فَإِنَّهُ لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ أَبَداً، بل هو فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

قد تَعَجَّزُ عَنْ تَصَوُّرِ هَذَا الأَمْرِ، وَلَكِنْ لَا غَرَابَةَ، فَنَحْنُ عَاجِزُونَ عَنْ تَصَوُّرِ كُلِّ صِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ لَنَا شَرْعاً أَنْ نَتَصَوَّرَهَا، يَعْنِي: نَحْنُ عَاجِزُونَ قَدَرًا عَنْ تَصَوُّرِهَا، وَلَا يَحِقُّ لَنَا شَرْعاً أَنْ نَتَصَوَّرَهَا، لِأَنَّ تَصَوُّرَهَا مَعْنَاهُ مَحَاوَلَةُ إِثْبَاتِ التَّكْيِيفِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَمْتَنَعٌ، فَمَهْمَا قَدَّرْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ شَيْءٍ، فَاللهُ تعالى أَعْظَمُ وَأَجَلُّ، وَلِهَذَا لَيْسَ لَنَا الحَقُّ فِي أَنْ نَتَفَكَّرَ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصِفَاتِهِ، لِأَنَّ الوَصُولَ إِلَيْهِ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ، فَعَلَى هَذَا نَقُولُ: إِنَّ اللهَ تعالى لَا يَحِلُّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا يَحِلُّ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى البَيِّنُونَ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا السَّلَفُ فِي قَوْلِهِمْ: (بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ).

وأما العلوُّ فهو ثابتٌ أيضًا لله عزَّ وجلَّ لأنَّه العليُّ العظيمُ الأعلى، قال اللهُ تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وعُرِجَ بِالرَّسُولِ - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إلى اللهِ، وكُلُّ هذا يدلُّ على علوِّه - سبحانه وتعالى - كُلُّ هذه المعاني لا تكونُ إِلَّا للعلوِّ، هكذا أثبتَّ الموحِّدُ، أثبتَّ الموحِّدُ أنَّ القرآنَ كلامُ اللهُ حقيقةً، وأنَّ اللهُ تعالى فوقَ عرشه بائنٌ من خَلْقِهِ، ننظر ماذا كان موقفُ المَعْطَلِّ؟

\*\*\*

«فَلَمَّا سَمِعَ الْمَعْطَلُّ مِنْهُ ذَلِكَ أَمْسَكَ، ثُمَّ أَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ، وَخَلَا بِشَيَاطِينِهِ وَبَنِي جِنْسِهِ، وَأَوْحَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا، وَأَصْنَافَ الْمَكْرِ وَالِاحْتِيَالِ، وَرَأَمُوا أَمْرًا يُسْتَحْمَدُونَ بِهِ إِلَى نُظُرَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ، وَعَقَدُوا مَجْلِسًا بَيْتُوا فِي مَسَاءِ لَيْلَتِهِ مَا لَا يَرْضَاهُ اللهُ مِنَ الْقَوْلِ، وَاللَّهُ بَا يَعْمَلُونَ مَحِيطًا، وَأَتَوْا فِي مَجْلِسِهِمْ ذَلِكَ بَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْهَدْيَانِ وَاللَّغَطِ وَالتَّخْلِيطِ، وَرَأَمُوا اسْتِدْعَاءَ الْمُثَبِّتِ إِلَى مَجْلِسِهِمْ الَّذِي عَقَدُوهُ، لِيَجْعَلُوا نُزُلَهُ عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِمْ مَا لَفَّقُوهُ مِنَ الْكُذْبِ وَنَمَّقُوهُ، فَحَبَسَ اللهُ - سبحانه - عَنْهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ، فَلَمْ يَتَجَاسَرُوا عَلَيْهِ، وَرَدَّ اللهُ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، فَلَمْ يَصِلُوا بِالسُّوءِ إِلَيْهِ، وَخَذَلَهُمُ الْمَطَاعُ فَمَزَّقَ مَا كَتَبُوهُ مِنَ الْمَحَاضِرِ، وَقَلَبَ اللهُ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ وَجُنْدِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ، وَأَخْرَجَ النَّاسَ لَهُمْ مِنَ الْمُحَبَّاتِ كَمَا ثَبَّتَهَا، وَمِنَ الْجَوَائِفِ وَالْمُنْقَلَاتِ دَفَائِنَهَا.

وقوى اللهُ جَأَشَ الْمُثَبِّتِ، وَثَبَّتَ قَلْبَهُ وَلسَانَهُ، وَشَيَّدَ بِالسُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بُيَانَهُ، فَسَعَى فِي عَقْدِ مَجْلِسٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُصُومِهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَحَكَّمَ عَلَى نَفْسِهِ كُتُبَ

شيوخ القوم السالفين، وأئمتهم المتقدمين، وأنه لا يستنصر من أهل مذهبه بكتاب، ولا إنسان، وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلدتموه، ونصوص من على غيره من الأئمة قلدتموه، وصرح المثبت بذلك بين ظهرانيهم، حتى بلغه دانيهم لقاصيهم، فلم يُذعنوا لذلك، واستعفوا من عقده، فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث: مناظرة في مجلس عام على شريطة العلم والإنصاف، تُحضر فيه النصوص النبوية، والآثار السلفية، وكتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين، ف قيل لهم: لا مراكب لكم تُسابقون بها في هذا الميدان، وما لكم بمقاومة فرسانه يدان، فدعاهم إلى مكاتبتة بما يدعون إليه، فإن كان حقا قبله، وشكركم عليه، وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت، وتبين لكم حقيقة ما لديه، فأبوا ذلك أشد الإباء، واستعفوا غاية الاستعفاء، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياما في مواقف الابتهاج حاسري الرؤوس، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال.

وظن المثبت - والله - أن القوم يُجيبون إلى هذا، فوظن نفسه عليه غاية التوطين، وبات يُحاسب نفسه، ويعرض ما يُثبته وينفيه على كلام رب العالمين، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ويتجرّد عن كل هوى يُخالف الوحي المبين، ويهنوي بصاحبه في أسفل السافلين، فلم يُجيبوا إلى ذلك أيضا، وأتوا من الاعتذار بما دل على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار، فحينئذ شمّر المثبت عن ساق عزمه، وعقد لله مجلسا بينه وبين خصمه، يشهده القريب والبعيد، ويقف على مضمونه الذكي والبليد، وجعله عقد مجلس التحكيم بين المعطل الجاحد، والمثبت المرمي بالتجسيم.

## الشرح

الظاهرُ لي من كلامه هذا أنه يريد أن يقول: إنه مُثَبَّتٌ، ومُحَاكِمُ أهلِ التَّعْطِيلِ، فدَعَاهُمْ إلى هذه الخصالِ الثَّلَاثِ فَأَبَوْا، دَعَاهُمْ إلى المناظرةِ مُقَابِلَةً وَجْهًا لوجهٍ، فَأَبَوْا وامتنعوا عن الحضورِ إلى عالمِ حَقِّ يَحْكُمُ بينهم، ثُمَّ دَعَاهُمْ إلى الكتابةِ بأن يكتبَ لهم، ويكتبوا له، فامتنعوا أن يكتبَ لهم المُثَبِّتُ دليلَ ما أُثْبِتَ، لأنَّهم يعرفون أنَّهم لا طاقةَ لهم بِنَفْيِهِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إلى المَبَاهِلَةِ<sup>(١)</sup> بين الرُّكْنِ والمَقَامِ، لأنَّه إذا تَبَاهَلَ القَوْمُ حَقَّتْ العقوبةُ على مَنْ كان على خطأ، ولكنَّهم أَبَوْا، فَلَمَّا رأى أنَّ الأمورَ كُلَّهَا تَعَدَّرَتْ، وأنَّهم أَبَوْا كُلَّ الثَّلَاثِ، كَتَبَ هو مُنَاطِرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ في القصيدةِ الآتيةِ، لِيَحْكُمَ الإنسانُ بما يراه من خلالِ هذه القصيدةِ لِمَنْ يكونُ الصَّوَابُ.

قَوْلُهُ: «نَسَأَلُ اللهَ أَنْ يُنَزِّلَ بِأَسِهِ بِأَهْلِ البِدْعِ وَالضَّلَالِ» هذا ليس دعاءً منه، لأنَّه هنا يحكي القصيدةَ، فيقول: إذا أُبَيِّتُمْ هذا نذهبُ إلى مَكَّةَ، ونَقِفُ بين الرُّكْنِ والمَقَامِ، وَنَبْتَهْلُ إلى الله عزَّ وجلَّ.

وكما شَاهَدْنَا قُوَّةَ أُسْلُوبِ المَوْلَفِ -رحمه الله- وبيانه وفصاحته، وكُلُّ كُتُبِهِ على هذا النِّحْوِ تجدها في غاية ما يكونُ مِنَ البَيَانِ والفِصَاحَةِ والسَّلَاسَةِ، حتَّى إنَّ الإنسانَ إذا قرأها، أو صار يُرَاجِعُهَا لا يَمَلُّ، نَسَأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَأَنْ يَجْزِيَهُ خَيْرًا.

\*\*\*

(١) المَبَاهِلَةُ المُلَاعَنَةُ، وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: بهل.

«وقد خَاصَمَ في هذا المجلسِ باللهِ، وحاكَمَ إليه، وَبَرِيَ إلى اللهِ من كُلِّ هَوَىٰ وبدعةٍ وضلالةٍ، وتَحَيَّرَ إلى فِئَةٍ غيرِ رسولِ الله ﷺ، وما كان أصحابُه عليه، واللهُ سبحانه المسئولُ ألا يَكِلَهُ إلى نَفْسِهِ، ولا إلى شيءٍ مما لَدَيْهِ، وأن يُوقِفَهُ في جميعِ حالاتِهِ لما يُحِبُّه ويرضاه، فإنَّ أزمَةَ الأمورِ بِيَدَيْهِ، وهو يَرُغِبُ إلى مَنْ يَقِفُ على هذه الحُكُومَةِ أن يقومَ لله قيامَ مُتَجَرِّدٍ عن هَواهِ، قاصداً لِرِضَى مَولاه، ثُمَّ يقرأها مُتفَكِّراً، ويُعيدُها ويُعيدُها مُتدَبِّراً، ثُمَّ يَحْكُمُ فيها بما يُرِضِي اللهَ ورسولَه وعِبادَه المؤمنين، ولا يقابلُها بالسَّبِّ والشَّتْمِ كَفَعَلِ الجاهِلينَ والمعاندينَ، فإن رَأَى حَقًّا قَبْلَهُ، وشَكَرَ عليه، وإن رأى باطلاً رَدَّهُ على قائِلِهِ، وأهدى الصَّوابَ إليه، فإنَّ الحَقَّ لله ورسولَه، والقصدُ أن تكونَ كلمةُ السُّنَّةِ هي العُلْيَا جهادًا في الله، وفي سبيلِهِ، واللهُ عندَ لسانِ كُلِّ قائلٍ وقَلْبِهِ، وهو المُطَّلِعُ على نِيَّتِهِ وكَسْبِهِ، وما كان أهلُ التَّعْطِيلِ أولياءَهُ، إن أولياءَهُ إِلَّا المُتَّقُونَ المؤمنونَ المُصَدِّقُونَ، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].»

### الشرح

قَوْلُهُ: «وهو يَرُغِبُ إلى مَنْ يَقِفُ على هذه الحُكُومَةِ أن يقومَ لله قيامَ مُتَجَرِّدٍ عن هَواهِ، قاصداً لِرِضَى مَولاه» هو يَرُغِبُ مَنْ سَمِعَ هذه الحُكُومَةَ - ويريد بهذا القصيدةَ التَّوْنِيَّةَ - إلى مَنْ يَقِفُ على هذه الحُكُومَةِ أن يقومَ لله قيامَ مُتَجَرِّدٍ عن هَواهِ... إلخ، نسألُ اللهَ أن يجعلنا كذلك.

قَوْلُهُ: «فإنَّ الحَقَّ لله ورسولَه، والقصدُ أن تكونَ كلمةُ السُّنَّةِ هي العُلْيَا جهادًا في الله، وفي سبيلِهِ» وذلك كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

قَوْلُهُ: «قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]»، فالله عزَّ وجلَّ يرى ذلك بكتابه، ويرى ذلك بعينه - سبحانه وتعالى - .  
وقوله: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ يعني: يراه الرسول بحسب سنته، لأنَّ سُنَّةَ الرَّسُولِ - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - تَحْكُمُ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حَقٌّ، أَوْ صِدْقٌ، فَكَأَنَّهُ رَأَاهُ.

\*\*\*

## فصل

«وهذه أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبّه والموحد، ذكّرتُها قبل الشروع في المقصود، فإنّ ضرب الأمثال ممّا يأنس به العقل لتقريبها المعقول من المشهود، وقد قال تعالى وكلامه المُستَمَلُّ على أعظم الحُجج، وقواطع البراهين: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلاً، وكان بعض السلف إذا قرأ مثلاً لم يفهمه يشتد بكأوه ويقول: لست من العالمين، وسنفردها - إن شاء الله - كتاباً مستقلاً متضمناً لأسرارها ومعانيها، وما تَضَمَّتْهُ من فنون العلم وحقائق الإيمان، والله المُستَعَانُ، وعليه التُّكْلَانُ»

## الشرح

قَوْلُهُ: «وهذه أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبّه والموحد»، فهؤلاء ثلاثة: مُعَطَّلٌ، ومُشَبَّهٌ - يعني: مُمَثَّلًا - ومُوَحَّدٌ.

قَوْلُهُ: «وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلاً»، وهذه فائدة أنّ أمثال القرآن بضعة وأربعون مثلاً، والبضعة ما بين الثلاثة إلى التسعة، فأمثال القرآن - سواء أمثال الدنيا، أو الآخرة، أو الأعمال الصالحة، أو العامل، أو غير ذلك - كلّها تبلغ بضعة وأربعين مثلاً، مع أنّ القرآن أبين الكلام وأوضحه، ومع ذلك فإنّ الله - سبحانه وتعالى - قد أكثر فيه من ضرب الأمثال، وقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، و﴿الْعَالِمُونَ﴾ يعني: ذوي العلم، و﴿الْعَالِمُونَ﴾

هنا جمع مذكّر سالم، لكن هل هو جمع من (عامر) أو من (مذنب)؟ الجواب: من (مذنب)، لأن هذا وصف<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَسَنُفَرِّدُهَا كِتَابًا مُسْتَقِلًّا مُتَضَمِّنًا لِأَسْرَارِهَا وَمَعَانِيهَا...» والحمد لله أن الله - سبحانه وتعالى - قد يسّر له فوقَ بما وعدَ، فله كتابٌ مستقلُّ اسمه: (أمثال القرآن).

\*\*\*

«المثل الأول: ثيابُ المعطلِّ مُلَطَّخَةٌ بِعَدْرَةِ التَّحْرِيفِ، وَشَرَابُهُ مُتَغَيَّرٌ بِنَجَاسَةِ التَّعْطِيلِ، وَثِيَابُ الْمُشَبَّهِ مُتَضَمِّنَةٌ بِدَمِ التَّشْبِيهِ، وَشَرَابُهُ مُتَغَيَّرٌ بِفَرْثِ التَّمْثِيلِ، وَالْمَوْحَدُّ طَاهِرُ الثُّوبِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، يَخْرُجُ شَرَابُهُ ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِنًا خَالِصًا سَائِفًا لِلشَّرِيبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].»

### الشرح

قوله: «ثيابُ المعطلِّ مُلَطَّخَةٌ بِعَدْرَةِ<sup>(٢)</sup> التَّحْرِيفِ» وهذا بالنسبة إلى استعمالهم النصوص، فإنَّ المعطلَّ لم يستعملها استعمال السلف في إجرائها على ظاهرها، بل كان يُحرِّفُهَا.

قوله: «وشرابه مُتَغَيَّرٌ بِنَجَاسَةِ التَّعْطِيلِ» هذا باعتبار عقيدته.

فالأوَّلُ باعتبار استعماله للنصوص، والثاني باعتبار عقيدته، فإنَّه مُعْطَلٌّ لِلنُّصُوصِ.

(١) انظر في ذلك قول ابن مالك - رحمه الله - في ألفيته:

وَأَرْفَعُ بَوَاوِي، وَيَا أَجْرُزُ وَأَنْصِبُ سَالِمَ جَمْعِ (عَامِرٍ) وَ(مُذْنِبٍ)

(٢) العَدْرَةُ: الغائط. انظر: لسان العرب، مادة: عذر.

قَوْلُهُ: «وِثْيَابُ الْمُشَبَّهِ مُتَضَمِّحَةٌ»<sup>(١)</sup> بَدَمِ التَّشْبِيهِ، وَشَرَابُهُ مُتَغَيِّرٌ بِدَمِ التَّمْثِيلِ وَالظَّاهِرُ أَيْضًا أَنَّ الْمُشَبَّهَ عِنْدَهُ تَحْرِيفٌ لِلنُّصُوصِ، فَإِنَّهُ مُحَرَّفٌ لَهَا بِلا سَكِّ، لِأَنَّ التَّحْرِيفَ إِخْرَاجَ اللَّفْظِ عَمَّا يُرَادُ بِهِ، وَالْمُشَبَّهُ أَخْرَجَهُ عَمَّا يُرَادُ بِهِ بِلا سَكِّ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ بِهَذِهِ النُّصُوصِ أَنْ يُثَبَّتَ مِمَّا لَتَهُ لِلْمَخْلُوقِينَ، بَلْ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ كَمَا لَ صِفَاتِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تُشَبَّهَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَلَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا سَبَقَ أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ أَضَافَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ فَإِنَّهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَمِثُّهُ فِيهَا شَيْءٌ، وَلَا نَحْتَاجُ أَنْ نَسْتَدَلَّ بِالْآيَةِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، بَلْ نَقُولُ: بِمَجْرَدِ إِضَافَتِهَا إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ فِيهَا دَلَالَةً عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ كَصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ، فَمِثْلًا: تُضَافُ (الْيَدُ) إِلَى (الْبَعِيرِ)، وَتُضَافُ إِلَى (الدَّرَّةِ)<sup>(٢)</sup>، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْهَمَ أَحَدٌ أَنَّ يَدَ (الدَّرَّةِ) مِمَّاثِلَةٌ لِيَدِ (الْبَعِيرِ)، فَهَلْ يَلْزَمُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ لِّلدَّرَةِ يَدًا، وَلَيْسَتْ كَمِثْلِ يَدِ الْبَعِيرِ؟ لَوْ قُلْتَ ذَلِكَ لاسْتَخَفَّ النَّاسُ بِعَقْلِكَ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْرُوفٌ، وَإِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، فَأَضَافَ الْيَدَ إِلَيْهِ، فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّهَا كـ(يَدِ) الْمَخْلُوقِ؟ الْجَوَابُ: لَا، بِلا سَكِّ، فَيَكُونُ ذِكْرُ الْأَدَلَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْمِثَالَةِ مِنْ بَابِ التَّوَكِيدِ كَمَا سَبَقَ.

فَأَقُولُ: إِنَّ الْمُمَثَّلَ أَيْضًا ثَوْبُهُ مُتَضَمِّحٌ بِدَمِ التَّحْرِيفِ، لِأَنَّ أَدَلَّةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ لَا تَدُلُّ عَلَى التَّشْبِيهِ قَطْعًا.

\*\*\*

(١) أي متلطخة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: ضمخ.

(٢) واحدة الدرر، وهو النمل الأحمر الصغير. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: ذرر.

«المثل الثاني: شجرة المعطل مغروسة ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]،  
 وشجرة المشبه قد ﴿اجْتَثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وشجرة  
 الموحد ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَصْرِبُ اللَّهُ  
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥].»

### الشرح

وهذا المثل واضح أيضاً، فشجرة المعطل مغروسة متمكنة، لكنها على شفا<sup>(١)</sup>  
 جرف<sup>(٢)</sup>، أدنى شيء يجرفها ويسقطها، أما المشبه الممثل فقد اجتثت من فوق  
 الأرض ما لها من قرار، أي: وضعت وضعا على الأرض، فالأولى غائرة عروقتها،  
 لكنها على شفا جرف، وهذه عروقتها خارجة بارزة.

والسبب في ذلك أن المعطل يدعي أنه هو العاقل، وأن هذا هو مقتضى  
 الأدلة، وأن هذا مثلاً ينزهه الله عنه، فظاهر مذهبه التنزيه، بخلاف المشبه، فكل  
 إنسان يمكنه أن يرد عليه، لأنه يقول: الله مثلي، أو مثل فلان، أو فلان، بخلاف  
 ذلك، فإنه مموه.

أما الموحد فإن شجرته أصلها ثابت وفرعها في السماء، لا تعصفها الرياح،  
 ولا تغيرها القلاقل، بل هي ثابتة، وفرعها في السماء عالٍ، فليست كشجرة المشبه  
 اجتثت من فوق الأرض، ولا كشجرة المعطل التي بُنيت على شفا جرف هارٍ.

\*\*\*

(١) الشفا: حَرْفٌ كُلُّ شَيْءٍ. انظر: تاج العروس، مادة: شفي.

(٢) الجرف ما أكل السيل من أسفل شق الوادي والنهر. انظر: لسان العرب، مادة: جرف.

«المثلُ الثالثُ: شجرةُ المعطلِّ شجرةُ الرِّقْمِ، فالحلوقُ السَّليمةُ لا تَبْلَعُهَا، وشجرةُ المُشَبِّه شجرةُ الحنظلِّ، فالنُّفوسُ المستقيمةُ لا تَتَّبِعُهَا، وشجرةُ الموحِّدِ طوبى «يسيرُ الرَّاكِبُ في ظلِّها مئةَ عامٍ لا يَقْطَعُهَا»<sup>(١)</sup>.

### الشرحُ

وهذا المثلُ واضحٌ أيضًا.

\*\*\*

«المثلُ الرَّابِعُ: المعطلُّ قد اتخذ قلبه لوقايةِ الحرِّ والبردِ كبيتِ العنكبوتِ، والمُشَبِّهُ قد خَسِفَ بِعَقْلِهِ، فهو يَتَجَلَّجَلُ في أرضِ التَّشْبِيهِ إلى البهْموتِ، وقلبُ الموحِّدِ يطوفُ حَوْلَ العرشِ ناظرًا إلى الحيِّ الذي لا يموتُ»

### الشرحُ

الأوَّلُ: (المعطلُّ) قد بنى له بيتًا، لكنَّه كَبَيْتِ العنكبوتِ، وبيتُ العنكبوتِ كما قال ربُّنا عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْهَكِ الْأَبْصَارَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

الثَّاني: (المُشَبِّهُ) قد خَسِفَ به، فهو يَتَجَلَّجَلُ في أرضِ التَّشْبِيهِ إلى البهْموتِ، والظَّاهِرُ أَنَّ (البهْموتِ) الأرضُ العميقةُ التي يَنْبَهُمَ مَنْ يَقَعُ فِيهَا، ولا يُعْلَمُ له حالٌ، ولا خبرٌ، فهو إذن غيرُ متبوعٍ، وغيرُ مرَّضِيٍّ، ولا يُنظَرُ إلى كلامِهِ إطلاقًا.

الثَّالثُ: (الموحِّدُ) فيقول: إِنَّ قلبه يطوفُ حَوْلَ العرشِ، ناظرًا إلى الحيِّ الذي لا يموتُ، فهو مُرْتَفِعٌ بقلبه يَطَّلِعُ إلى الله - سبحانه وتعالى - ببصيرته كُلِّ حينٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦١٨٦)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، رقم (٢٨٢٧).

«المَثَلُ الخَامِسُ: مُصْبَاحُ المَعْطَلِ قَدْ عَصَفَتْ عَلَيْهِ أَهْوِيَةُ التَّعْطِيلِ فَطَفِيََ وَمَا أَنَارَ، وَمِصْبَاحُ المُشْبِهِ قَدْ غَرِقَتْ فَيْتِلُهُ فِي عَسْكَرِ التَّشْبِيهِ، فَلَا يُقْتَبَسُ مِنْهُ الأَنْوَارُ، وَمِصْبَاحُ المَوْحِدِ ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥].»

### الشرح

قوله: «قد غرقت فَيْتِلُهُ فِي عَسْكَرِ التَّشْبِيهِ»، وفي نسخة: (فِي عَكْرِ التَّشْبِيهِ)، وهي الصَّحِيحَةُ، المَعْطَلُ أَوْقَدَ المِصْبَاحَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَنْفَعُهُ، وَلَكِنْ جَاءَ الهَوَاءُ فَأَطْفَأَهُ، وَالمُشْبِهَةُ لَمْ يُوقَدِ أَصْلًا، لِأَنَّهُ وَضَعَ الفَيْتِيلَةَ فِي عَكْرِ الزَّيْتِ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ شَيْئًا، وَعَكْرُ الزَّيْتِ هُوَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ، بِحَيْثُ يَطْفُو عَلَى الزَّيْتِ، فَلَا تَصِلُ الفَيْتِيلَةُ إِلَى أَسْفَلِ.

\*\*\*

«المَثَلُ السَّادِسُ: قَلْبُ المَعْطَلِ مُتَعَلِّقٌ بِالعَدَمِ، فَهُوَ أَحَقَرُّ الحَقِيرِ، وَقَلْبُ المُشْبِهِ عَابِدُ الصَّنَمِ الَّذِي قَدْ نُحِتَ بِالتَّصْوِيرِ وَالتَّقْدِيرِ، وَالمَوْحِدُ قَلْبُهُ مُتَعَبِّدٌ لِمَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ.»

### الشرح

المُمَثَّلُ يَعْبُدُ صَنَمًا، وَالمَعْطَلُ يَعْبُدُ عَدَمًا، وَكُلُّ مِنْهُمَا خَبِيثٌ، وَلِذَا نَقُولُ: كُلُّ مُمَثَّلٍ فِي الوَاقِعِ مُعْطَلٌ، وَكُلُّ مُعْطَلٍ مُمَثَّلٌ أَيْضًا، وَلَا نَقُولُ: (وَلَيْسَ كُلُّ...)، لَكِنْ كَيْفَ يَكُونُ المُمَثَّلُ مُعْطَلًا؟ الجوابُ: نَقُولُ: هُوَ مُعْطَلٌ مِنْ وُجُوهِ ثَلَاثَةٍ:

الأوَّلُ: أَنَّهُ عَطَّلَ اللهُ مِنْ كَمَالِهِ الوَاجِبِ، حَيْثُ شَبَّهَهُ بِالمَخْلُوقِ، فَإِنَّ تَشْبِيهَ الكَامِلِ بِالنَّاقِصِ يَجْعَلُهُ نَاقِصًا، فَتَمَثِيلُهُ تَعْطِيلٌ لَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الثاني: أَنَّهُ عَطَّلَ النَّصَّ الَّذِي أَثَبَّتْ بِهِ الصِّفَةَ، فَإِنَّ النَّصَّ الَّذِي أَثَبَّتْ بِهِ الصِّفَةَ - أَوْ الْمَائِلَةَ عَلَى زَعْمِهِ - قَدْ عَطَّلَهُ، لِأَنَّ النَّصَّ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى صِفَةٍ تَلِيْقُ بِاللَّهِ، فَإِذَا أَثَبَّتْ بِهِ التَّمْثِيلَ عَطَّلَهُ عَنْ مُرَادِهِ بِلا شَكِّ، وَلَمْ يُرِدِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حِينَما وَصَفَ نَفْسَهُ بِها وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَنْ يَفْهَمَ عِبَادُهُ أَنَّهُ مُمَائِلٌ لِخَلْقِهِ أَبَدًا، إِنَّمَا أَرَادَ الْمَعْنَى وَالصِّفَةَ الَّتِي تَلِيْقُ بِهِ.

الثالث: أَنَّ الْمُمَثِّلَ عَطَّلَ كُلَّ نَصٍّ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ التَّمْثِيلِ، فَهُوَ عَطَّلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، لِأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ مِثْلَهُ شَيْءٌ، وَعَطَّلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وَاسْتَكْبَرَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَصَارَ الْمُمَثِّلُ مُعَطَّلًا مِنْ وُجُوهِ ثَلَاثَةٍ.

وَالْمُعَطَّلُ مُشَبَّهٌ أَيْضًا مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوجه الأول: أَنَّهُ إِذَا نَفَى صِفَةً عَنِ اللهِ، فَإِنَّهُ شَبَّهَهُ بِمَنْ خِلا مِنْ تِلْكَ الصِّفَةِ، فَمِثْلًا إِذَا قَالَ: (لَيْسَ اللهُ بِسَمِيعٍ) يَعْنِي: لَيْسَ لَهُ سَمْعٌ، شَبَّهَهُ بِالْأَصَمِّ، وَإِذَا قَالَ: (إِنَّ اللهُ لَا يَنْزِلُ، وَلَا يَسْتَوِي، وَلَا يَفْعَلُ) شَبَّهَهُ بِالْأَشْلُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ فِعْلٌ، وَإِذَا قَالَ: (لَيْسَ لَهُ عَيْنٌ) شَبَّهَهُ بِالْأَعْمَى، وَهَكَذَا، فَهُوَ بِنَفْيِهِ مُشَبَّهٌ.

الوجه الثاني: أَنَّهُ إِنَّمَا عَطَّلَ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ هَذِهِ الْأَدْلَةَ تَدُلُّ عَلَى التَّشْبِيهِ، يَقُولُ مِثْلًا: إِثْبَاتُ الْيَدِ مَعْنَاهَا الْمِثْلُ، وَإِثْبَاتُ الْعَيْنِ مَعْنَاهَا الْمِثْلُ، وَهَكَذَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْكَرُ هَذِهِ الصِّفَةَ، حَتَّى لَا أَقَعَ فِي التَّمْثِيلِ، فَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «مَثَلُوا أَوْلًا، وَعَطَّلُوا آخِرًا»<sup>(١)</sup>. وَبِهَذَا نَعْرِفُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - أَنَّ كِلَا الطَّرِيقَيْنِ سَيِّئٌ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَخَذَ مِنَ الْبَاطِلِ بِنَصِيبٍ.

(١) انظر: الفتوى الحموية (ص: ٢٦٧).

«المثل السابعُ: نُقُودُ الْمُعْطَلِّ كُلُّهَا زُيُوفٌ، فَلَا تَرْوِجُ عَلَيْنَا، وَبِضَاعَةُ الْمُشْبَهِ كَاسِدَةٌ، فَلَا تَنْفُقُ لَدَيْنَا، وَتِجَارَةُ الْمُوَحِّدِ يُنَادَى عَلَيْهَا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هَذِهِ بَضَعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾.»

### الشرح

الزُيُوفُ: هي المغشوشة، والزَّيْفُ: العيبُ، والمعنى أَنَّ الْمُعْطَلَّ عنده نقودٌ، ولكنها كُلُّهَا مَعِيبةٌ، والمُمَثَّلُ نُقُودُهُ كَاسِدَةٌ، أي: رَخِيصَةٌ لا تساوي شيئاً، وكانَ المؤلِّفَ -رحمه الله- يرى أَنَّ الْمُعْطَلَّ عنده مِنَ الحِرصِ، وَعَرْضِ التِّجَارَةِ أَكْثَرُ ممَّا عند المُشْبَهِ، وَأَنَّ النَّاسَ أَيضاً يَعْتَرِّونَ به أَكْثَرَ مِنَ المُشْبَهِ، ولهذا تجدون التَّعْطِيلَ في الأُمَّةِ كَثِيراً، لكنَّ التَّشْبِيهَ لم تُثَبِّتْ عليه قَدَمٌ، حتى إِنَّ بَعْضَهُم يَقُولُ: إِنَّ مَذْهَبَ التَّشْبِيهِ كانَ في الأَوَّلِ، وَأَنَّهُ بعدَ ذلك زالَ وأنمَحَى مِنَ الوجودِ.

أَمَّا تِجَارَةُ الْمُوَحِّدِ، فَإِنَّ كُلَّ النَّاسِ يَرِغِبُهَا، وَإِذَا ظَفَرَ بِهَا قالَ: ﴿هَذِهِ بَضَعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾.

\*\*\*

«المثل الثامنُ: الْمُعْطَلُّ كَنَافِعِ الكِيرِ، إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِذَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً حَبِيئَةً، وَالمُشْبَهُ كَبَائِعِ الحَمْرِ، إِمَّا أَنْ يُسْكِرَكَ، وَإِذَا أَنْ يُنَجِّسَكَ، وَالمُوَحِّدُ كَبَائِعِ المِسْكِ، إِذَا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِذَا أَنْ يَبِيعَكَ، وَإِذَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً.»

### الشرح

قَوْلُهُ: «المُشْبَهُ كَبَائِعِ الحَمْرِ، إِذَا أَنْ يُسْكِرَكَ، وَإِذَا أَنْ يُنَجِّسَكَ» هذا بناءٌ على المشهورِ عند أهلِ العلمِ مِنَ أَنَّ الحَمَرَ نَجِيسَةٌ، أَمَّا على ما أَخْتارَهُ، فَنَجَّاسَتُهَا مَعْنَوِيَّةٌ.

«المثل التاسع: المعطلُّ قد تخلفَ عن سفينة النجاة، ولم يركبها، فأدركه الطوفان، والمُشبهُ قد انكسرت به في اللجة، فهو يُشاهدُ الغرقَ بالعيان، والمُوحدُّ قد ركبَ سفينة نوح، وقد صاحَ به الربان: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسِنَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾».

«المثل العاشر: منهلُ المعطلِّ ﴿كسرابٍ بَقِيعةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمَّ يَحِدُّهُ شَيْئًا﴾ فرجع خاسئًا حسيِّراً، ومشربُ المشبهِ من ماءٍ قد تغيَّر طعمه ولونه وريحه بالنجاسة تغيِّراً، ومشربُ المُوحدِّ ﴿مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنَايَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾».

وقد سمَّيتها بـ(الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)، وهذا حينُ الشروع في المحاكمة، والله المُستعان، وعليه التكلان، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

## الشرح

قوله: «وهذا حينُ الشروع في المحاكمة» (حين) كقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، فالظرفُ قد يتسلطُّ عليه الفعل، فيصحُّ أن يُسندَ ويُسندَ إليه.

وهذه الأمثالُ عجيبةٌ تدلُّ على قُدرة المؤلف -رحمه الله- على صياغة الأساليب والألفاظ، فكونه يجمعُ هذا الجمعَ يدلُّ على أنه عجبٌ.

\*\*\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١- حُكْمُ الْمَحَبَّةِ ثَابِتُ الْأَرْكَانِ مَا لِلصُّدُودِ بَفْسُخِ ذَاكَ يَدَانِ
- ٢- أَنَّى وَقَاضِي الْحُسْنِ نَفَذَ حُكْمَهَا فَلِذَا أَقْرَبَ بِذَلِكَ الْحَضَمَانِ
- ٣- وَأَنْتَ سُهُودُ الْوَصْلِ تَشْهَدُ أَنَّهُ حَقٌّ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْإِحْسَانِ
- ٤- فَتَأَكَّدَ الْحُكْمُ الْعَزِيزُ فَلَمْ يَجِدْ فَسُخَ الْوُشَاةِ إِلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
- ٥- وَلَا جِلِّ ذَا حُكْمِ الْعَدُولِ تَدَاعَتْ أَلْ أَرْكَانُ مِنْهُ فَخَرَّ لِلأَذْقَانِ
- ٦- وَأَتَى الْوُشَاةُ فَصَادَفُوا الْحُكْمَ الَّذِي حَكَمُوا بِهِ مُتَيَقِّنَ الْبُطْلَانِ
- ٧- مَا صَادَفَ الْحُكْمَ الْمَحَلَّ وَلَا هُوَ اسْمُهُ تَوَفَى الشُّرُوطَ فَصَارَ ذَا بُطْلَانِ
- ٨- فَلِذَاكَ قَاضِي الْحُسْنِ أَثَبَتَ مُحَضَّرًا بِفَسَادِ حُكْمِ الْهَجْرِ وَالسُّلُوانِ
- ٩- وَحَكَى لَكَ الْحُكْمَ الْمَحَالَّ وَنَقَضَهُ فَاسْمَعُ إِذَنْ يَا مَنْ لَهُ أُذُنَانِ
- ١٠- حُكْمُ الْوُشَاةِ بغيرِ مَا بُرْهَانِ إِنَّ الْمَحَبَّةَ وَالصُّدُودَ لَدَانِ
- ١١- وَاللَّهُ مَا هَذَا بِحُكْمٍ مُقْسِطٍ أَيْنَ الْغَرَامُ وَصَدُّ ذِي هِجْرَانِ<sup>(١)</sup>!
- ١٢- شَتَّانَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ فَإِنْ تُرِدْ جَمْعًا فَسَا الضُّدَّانِ يَجْتَمِعَانِ

(١) في نسخة الإفتاء «الهجران»، معرف بـ(ال).

- ١٣- يَا وَالَهَا هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ  
 إِذْ بَاعَهَا غَبْنًا بِكُلِّ هَوَانٍ
- ١٤- أَتَبِيعُ مَنْ تَهَوَّاهُ نَفْسُكَ طَائِعًا  
 بِالصَّدِّ وَالتَّعْذِيبِ وَالهَجْرَانِ؟!
- ١٥- أَجِهَلْتَ أَوْصَافَ الْمَبِيعِ وَقَدْرَهُ  
 أَمْ كُنْتَ ذَا جَهْلِ بَدِي الْأَثْمَانِ؟!
- ١٦- وَاهَا لِقَلْبٍ لَا يُفَارِقُ طَيْرُهُ أَلَا  
 أَغْصَانَ قَائِمَةً عَلَى الْكُثْبَانِ
- ١٧- وَيَظَلُّ يَسْجَعُ فَوْقَهَا وَلِغَيْرِهِ  
 مِنْهَا الثَّمَارُ، وَكُلُّ قِطْفٍ دَانٍ
- ١٨- وَيَبِيتُ يَبْكِي وَالْمَوَاصِلُ ضَاحِكٌ  
 وَبِظَلِّ يَشْكُو وَهُوَ ذُو سُكْرَانٍ
- ١٩- هَذَا وَلَوْ أَنَّ الْجَمَالَ مُعَلَّقٌ  
 بِالنَّجْمِ هَمَّ إِلَيْهِ بِالطَّيْرَانِ

### الشرح

ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَعْدَ الْمُقَدِّمَةِ أَنَّ هَذَا حِينَ الشَّرُوعِ فِي الْمَحَاكِمَةِ، فَبَدَأَ بِهَذَا النَّظْمِ الْعَجِيبِ الْغَرِيبِ الَّذِي يُظْهِرُ فِيهِ التَّغَزُّلَ، وَهَذَا مِنْ شَأْنِ الشُّعْرَاءِ إِذَا أَرَادُوا الدَّخُولَ فِي شَيْءٍ مُهِمٍّ أَتَوْا بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّغَزُّلِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَنْتَهِيَ النَّفْسُ، وَتَسْتَعِدَّ لِفَهْمِ مَا يَقَعُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ: بَانَتْ سَعَادٌ... إلخ<sup>(١)</sup>، لِأَنَّ حُضُورَ النَّفْسِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَهَذَا التَّعَلُّقُ يَهَيِّئُهَا لِتَلْقَى إِلَيْهَا أَمْرٌ مَطْلُوبٌ.

وَالْمَسْأَلَةُ هُنَا لَيْسَتْ بِالْهَيْئَةِ، فَالْمَسْأَلَةُ مُحَاكِمَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، وَأَهْلِ التَّعْطِيلِ، فَالْقَصِيدَةُ كُلُّهَا مُحَاكِمَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، وَأَهْلِ التَّعْطِيلِ، وَلِذَلِكَ قَدَّمَ هَذَا الْمَوْلَفُ هَذِهِ الْمَقْدِمَةَ الْعَظِيمَةَ.

(١) أخرجه الحاكم (٣/٦٧٠)، والبيهقي (٢١١٤٢).

فالمختصرة: أن المؤلف ذكّر المحبة وشئونها، ثم ذكر بعد ذلك المحبوب ليتنقل إلى المقصود، فقال - رحمه الله -:

١- حُكْمُ الْمَحَبَّةِ ثَابِتُ الْأَرْكَانِ مَا لِلصُّدُودِ بِفَسْخِ ذَاكَ يَدَانِ

٢- أَنِّي وَقَاضِي الْحُسْنِ نَفَذَ حُكْمَهَا فَلِذَا أَقْرَبَ بِذَلِكَ الْخَصْمَانِ

قَوْلُهُ: «حُكْمُ الْمَحَبَّةِ ثَابِتُ الْأَرْكَانِ» يعني أن له حبيباً يُحِبُّه، محبةً ثابتةً لا تتغير.

قَوْلُهُ: «مَا لِلصُّدُودِ بِفَسْخِ ذَاكَ» أي: بِفَسْخِ ذَاكَ الْحُكْمِ.

قَوْلُهُ: «يَدَانِ» أي: قُدْرَةَ.

إِذْهُ هُوَ تَصَوَّرَ الْآنَ أَنَّ لَهُ حَبِيبًا يُحِبُّهُ، وَأَنَّ صُدُودَ هَذَا الْحَبِيبِ قَدْ يَفْسَخُ الْحُكْمَ، وَهُوَ ثُبُوتُ أَرْكَانِ الْمَحَبَّةِ.

لَكِنَّهُ يَقُولُ: لَا يُمْكِنُ، فَهِيَ مَحَبَّةٌ عَظِيمَةٌ، حَتَّى لَوْ صَدَّ الْحَبِيبُ، فَإِنَّهَا ثَابِتَةٌ لَا تَتَغَيَّرُ.

قَوْلُهُ: «أَنِّي» أي: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَفْسَخَ الصُّدُودُ هَذِهِ الْأَرْكَانَ؟

قَوْلُهُ: «وَقَاضِي الْحُسْنِ نَفَذَ حُكْمَهَا» قَاضِي الْحُسْنِ أَي: تَصَوَّرَ أَنَّ هُنَاكَ قَاضِيًا حَسَنَ الْقَضَاءِ نَفَذَ الْحُكْمَ، وَهُوَ ثُبُوتُ أَرْكَانِ الْمَحَبَّةِ.

قَوْلُهُ: «الْخَصْمَانِ» الْخَصْمَانِ اللَّذَانِ بَيْنَ أَيْدِينَا الْآنَ هُمَا الْمَحَبَّةُ وَالصُّدُودُ، لَمَّا حَكَّمَ الْقَاضِي بِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْسَخَ الصُّدُودُ حُكْمَ الْمَحَبَّةِ، أَقْرَبَ الْخَصْمَانِ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ.

٣- وَأَتَتْ شُهُودُ الْوَصْلِ تَشْهَدُ أَنَّهُ حَقُّ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْإِحْسَانِ

بعد أن ذكر المحبة، وأن الصدود لا يمكن أن يفسحها، قال:

«وَأَتَتْ شُهُودُ الْوَصْلِ» أي: بين الحبيب والمحبوب.

«تَشْهَدُ أَنَّهُ حَقُّ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْإِحْسَانِ» وإذا كانت شهود الوصل تشهد بأنه

حق، صار هذا يزيد الحكم ثباتاً ورُسوخاً، ولا سيما وأنه جرى في مجلس الإحسان.

والإحسان - كما هو معلوم - مرتبة فوق العدل كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

٤- فَتَأَكَّدَ الْحُكْمُ الْعَزِيزُ فَلَمْ يَجِدْ فَسَخَ الْوُشَاةَ إِلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

قَوْلُهُ: «فَتَأَكَّدَ الْحُكْمُ الْعَزِيزُ» هذا التأكد من جهة حكم القاضي، ومن جهة

الشهود.

قَوْلُهُ: «الْوُشَاةَ» أي: النمامين الذين يريدون إفساد الناس بتقليل كلام بعضهم

في بعض.

٥- وَلَا أَجَلَ ذَا حُكْمِ الْعُدُولِ تَدَاعَتْ أَلْ أَرْكَانُ مِنْهُ فَخَرَّ لِلْأَذْقَانِ

قَوْلُهُ: «الْعُدُولِ» أي: اللائم، والمعنى: بعدما ثبت الحكم على هذا الوجه

صار اللوم على محبة هذا الحبيب، تداعت له الأركان، ولم يثبت.

٦- وَآتَى الْوُشَاةَ فَصَادَفُوا الْحُكْمَ الَّذِي حَكَمُوا بِهِ مُتَيَقِّنَ الْبُطْلَانَ

قَوْلُهُ: «الْوُشَاةَ» أي: النمامون، حيث أتوا ليفسدوا الحكم الأول، فوجدوا أنه

لا طاقة لهم بذلك، ووجدوا أن ما حكموا به - وهو الوشاية - متيقن البطلان.

٧- مَا صَادَفَ الْحُكْمَ الْمَحَلَّ وَلَا هُوَ اسْمٌ تَوَفَى الشُّرُوطَ فَصَارَ ذَا بُطْلَانٍ

لأنَّ من شرطِ صحة الحكم ونفاذ الحكم أن يُصادفَ محلَّهُ، بأن يكون المحكوم عليه قابلاً، وأن تتم الشروط، وهؤلاء الوُشاةُ حكمهم ما صادف المحلَّ، ولا استوفى الشروط.

٨- فَلِذَاكَ قَاضِي الْحُسْنِ أَثَبَّتَ مَحْضَرًا بِفَسَادِ حُكْمِ الْهَجْرِ وَالسُّلْوَانِ

قَوْلُهُ: «قَاضِي الْحُسْنِ» أي: الحاكم الذي سبق الكلام عليه، فقاضي الحكم أثبت محضراً بفساد حكم الهجر والسُّلوان، والمحضَّر هو ما نُسِّيَ بالصِّكِّ، كتب قاضي الحُسن صكاً أنه لا يمكن أن يَسْلُوَ عن محبوبه، ولا أن يَهْجُرَهُ.

٩- وَحَكَى لَكَ الْحُكْمَ الْمَحَالَ وَنَقَضَهُ فَاسْمَعِ إِذْنَ يَأْمَنُ لَهُ أُذُنَانِ

معناه أن قاضي الحُسن الذي أثبت أن حُكم المحبة ثابتٌ حكى لك الحكم.

قَوْلُهُ: «وَنَقَضَهُ» أي الذي يَصْدُرُ مِنَ الْوُشَاةِ.

١٠- حُكْمُ الْوُشَاةِ بِغَيْرِ مَا بُرِّهَانٍ إِنَّ الْمَحَبَّةَ وَالصُّدُودَ لَدَانِ

يعني: أنهما ضِدَّانِ لا يمكن أن يجتمعا، فالمحبةُ إذن ثابتةٌ، وليس لها مُعارض، فَبَطَلَ حُكْمُ الْوُشَاةِ الَّذِينَ يَحَاوِلُونَ التَّفْرِيقَ.

١١- وَاللَّهُ مَا هَذَا بِحُكْمٍ مُقْسِطٍ أَيْنَ الْغَرَامُ وَصَدُّ ذِي هَجْرَانِ؟!

١٢- شَتَّانَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ فَإِنْ تُرِدْ جَمْعًا فَمَا الضُّدَّانِ يَجْتَمِعَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ مَا هَذَا بِحُكْمٍ مُقْسِطٍ» أي: حُكْمُ الْوُشَاةِ الَّذِينَ يَحَاوِلُونَ التَّفْرِيقَ

بين الحبيب ومحبوبه.

قَوْلُهُ: «أَيْنَ الْغَرَامِ وَصَدُّ ذِي هِجْرَانٍ» يعني: كيف يمكن أن يكون الغرام؟  
و(الغَرَامُ) هو المحبة اللازمة، و(صَدُّ ذِي هِجْرَانٍ) لا يمكن، لأنَّ الغرام ينافي الصَّدَّ.

١٣- يَا وَالِهَا هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ إِذْ بَاعَهَا غَبْنًا بِكُلِّ هَوَانٍ

قَوْلُهُ: «الْوَالِهُ» هو شديدُ المَحَبَّةِ، أو شديدُ التَّحَيُّرِ، والأول أظهرُ في هذا السياق.

قَوْلُهُ: «هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ إِذْ بَاعَهَا غَبْنًا بِكُلِّ هَوَانٍ»، لأنَّ الغالب أنَّ الإنسان  
المغرَّم يَخْضَعُ لِخَلِيلِهِ، ويوافقُه على الحَسَنِ والسَّيِّئِ، فالذي تَهُونُ عليه نَفْسُهُ يبيعها  
بكلِّ هَوَانٍ.

١٤- أَتَبِيعُ مَنْ تَهَوَّاهُ نَفْسُكَ طَائِعًا بِالصَّدِّ وَالتَّعْذِيبِ وَالهِجْرَانِ؟!

والاستفهامُ هنا للإنكار!

١٥- أَجْهَلْتَ أَوْصَافَ الْمَبِيعِ وَقَدْرَهُ؟ أَمْ كُنْتَ ذَا جَهْلٍ بِذِي الْأَثْمَانِ؟

قَوْلُهُ: «أَوْصَافَ الْمَبِيعِ» هذا باعتبار النوع.

قَوْلُهُ: «وَقَدْرَهُ» باعتبار الكيفية.

قَوْلُهُ: «أَمْ كُنْتَ ذَا جَهْلٍ بِذِي الْأَثْمَانِ» يعني: أم أنت جاهلٌ بالثَّمَنِ الذي  
بَدَلْتَ تَطْنَهُ رَفِيعًا وهو رخيص.

١٦- وَاهَا لِقَلْبٍ لَا يُفَارِقُ طَيْرُهُ الْ- أَغْصَانَ قَائِمَةً عَلَى الْكُثْبَانِ

قَوْلُهُ: «وَاهَا» كلمةٌ توجَّعُ يعني: يتوجَّع لهذا القلبِ الذي طَيْرُهُ لا يفارق  
الأغصان.

قَوْلُهُ: «قَائِمَةً» أي: الطَّيْرُ على الكُثْبَانِ.

١٧- وَيَظَلُّ يَسْجَعُ فَوْقَهَا وَلِغَيْرِهِ مِنْهَا الثَّمَارُ وَكُلُّ قِطْفٍ دَانَ

يعني: هذا الطير يسجع على الأغصان، فالقلب موجه، والثمار لغيره، كأنه يقول - رحمه الله -: إن من أشدّ البلاء أن يتعلق القلب بشيء، وتكون الثمار لغيره.

١٨- وَيَبِيتُ يَبْكِي وَالْمُوَاصِلُ ضَاحِكٌ وَيَظَلُّ يَشْكُو وَهُوَ ذُو سُكْرَانٍ

وهذا حق، فإذا كان الإنسان متعلقاً بحبيبه، وحصل منه هجران، وصادق آخر، فإن الأول يبكي، والثاني ضاحك.

قوله: «ويظل يشكو، وهو ذو سُكران»، وفي نسخة: «وهو ذو هجران» والثانية أقرب للصواب، أنه يشكو وهو مهجور، لأن حبيبه قد صد عنه.

١٩- هَذَا وَلَوْ أَنَّ الْجَمَالَ مُعَلَّقٌ بِالنَّجْمِ هَمَّ إِلَيْهِ بِالطَّيْرَانِ

والكلام - كما قلنا - غزل، فيقول: لو أن محبوبه الجميل معلق بالنجم، لهم إليه بالطيران ليصل إليه.

\*\*\*

٢٠- اللَّهُ زَائِرَةٌ بَلِيلٍ لَمْ تَخَفْ عَسَسَ الْأَمِيرُ وَمَرَّ صَدَّ السَّجَّانِ

٢١- قَطَعَتْ بِلَادَ الشَّامِ ثُمَّ تَيَمَّمَتْ مِنْ أَرْضِ طَيْبَةَ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ

٢٢- وَأَتَتْ عَلَى وَاوِي الْعَقِيقِ فَجَاوَزَتْ مِيقَاتَهُ حَلًّا بِلَانُكْرَانِ

٢٣- وَأَتَتْ عَلَى وَاوِي الْأَرَاكِ وَلَمْ يَكُنْ قَصْدًا لَهَا فَالْأَبَانُ سَتْرَانِي

٢٤- وَأَتَتْ عَلَى عَرَفَاتٍ ثُمَّ مُحَسَّرٍ وَمَنَى فَكَمْ نَحْرَتُهُ مِنْ قُرْبَانِ؟!

٢٥- وَأَتَتْ عَلَى الْجَمْرَاتِ ثُمَّ تَيَمَّمَتْ ذَاتَ السُّتُورِ وَرَبَّةَ الْأَرْكَانِ

- ٢٦- هَذَا وَمَا طَافَتْ وَلَا اسْتَلَمَتْ وَلَا  
رَمَتْ الْجِمَارَ وَلَا سَعَتْ لِقِرَانِ
- ٢٧- وَرَقَّتْ عَلَى أَعْلَى الصَّافَا فَتِيَمَّمَتْ  
دَارًا هُنَالِكَ لِلْمُحِبِّ<sup>(١)</sup> الْعَانِي
- ٢٨- أَتَرَى الدَّلِيلَ أَعَارَهَا أَثْوَابَهُ  
وَالرَّيْحَ أَعْطَتْهَا مِنَ الْخَفَقَانِ!؟
- ٢٩- وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الدَّلِيلَ مَكَانَهَا  
مَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ فِي إِمْكَانِ
- ٣٠- هَذَا وَلَوْ سَارَتْ مَسِيرَ الرِّيحِ مَا  
وَصَلَتْ بِهِ لَيْلًا إِلَى نُعْمَانِ
- ٣١- سَارَتْ وَكَانَ دَلِيلَهَا فِي سَيْرِهَا  
سَعْدُ السُّعُودِ، وَلَيْسَ بِالدُّبْرَانِ
- ٣٢- وَرَدَتْ جِفَارَ الدَّمْعِ وَهِيَ غَزِيرَةٌ  
فَلِذَلِكَ مَا احْتَاَجَتْ وَرُودَ الضَّانِ
- ٣٣- وَعَلَتْ عَلَى مَتْنِ الْهَوَى وَتَزَوَّدَتْ  
ذِكْرَ الْحَبِيبِ وَوَضَلَهُ الْمُتَدَانِي
- ٣٤- وَعَدَتْ بِزُورِهَا فَأَوْفَتْ بِالَّذِي  
وَعَدَتْ وَكَانَ بِمُلْتَقَى الْأَجْفَانِ
- ٣٥- لَمْ يَفْجَأِ الْمُشْتَقَّ إِلَّا وَهِيَ دَا  
خَلَةُ السُّتُورِ بَعِيرٍ مَا اسْتِئْذَانِ
- ٣٦- قَالَتْ وَقَدْ كَشَفَتْ نِقَابَ الْحُسْنِ مَا  
بِالصَّيْرِ لِي عَنْ أَنْ أَرَاكَ يَدَانِ
- ٣٧- وَتَحَدَّثْتُ عِنْدِي حَدِيثًا خَلْتُهُ  
صِدْقًا وَقَدْ كَذَبْتُ بِهِ الْعَيْنَانِ
- ٣٨- فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ مِنْ فَرَحِي بِهِ  
طَمَعًا وَلَكِنَّ الْمَنَامَ دَهَانِي
- ٣٩- إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتَنِي  
فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْكَاذِبِ الْفَتَّانِ
- ٤٠- جَهْمُ بِنِ صَفْوَانَ وَشَيْعَتِهِ الْأَلَى  
جَحَدُوا صِفَاتِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ

(١) في عدد من النسخ المخطوطة: «للمحبت»، وهما سائغان.

- ٤١- بَلْ عَطَّلُوا مِنْهُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى  
وَالْعَرْشَ أَخْلَوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٤٢- وَنَفَوْا كَلَامَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ  
وَقَضَّوْا لَهُ بِالْحَلْقِ وَالْحِدْثَانِ
- ٤٣- قَالُوا وَلَيْسَ لِربَّنَا سَمْعٌ وَلَا  
بَصَرٌ وَلَا وَجْهٌ فَكَيْفَ يَدَانِ؟!
- ٤٤- وَكَذَلِكَ لَيْسَ لِربَّنَا مِنْ قُدْرَةٍ  
وَإِرَادَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ وَخَنَانِ
- ٤٥- كَلَّا وَلَا وَصْفٌ يَقُومُ بِهِ سِوَى  
ذَاتِ مُجَرَّدَةٍ بَغَيْرِ مَعَانِ
- ٤٦- وَحَيَاتُهُ هِيَ نَفْسُهُ، وَكَلَامُهُ  
هُوَ غَيْرُهُ، فَاعْجَبْ لِمَا الْبُهْتَانِ
- ٤٧- وَكَذَلِكَ قَالُوا مَا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ  
أَحَدٌ يَكُونُ خَلِيلَهُ النَّفْسَانِ
- ٤٨- وَخَلِيلُهُ الْمُحْتَاجُ عِنْدَهُمْ وَفِي  
ذَا الْوَصْفِ يَدْخُلُ عَابِدُ الْأَوْثَانِ
- ٤٩- فَالْكُلُّ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ لِذَاتِهِ  
فِي أَسْرِ قَبْضَتِهِ ذَلِيلٌ عَانِ
- ٥٠- وَلَا جُلَّ ذَا ضَحَى بِجَعْدِ خَالِدِ الْـ  
قَسْرِي يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ
- ٥١- إِذْ قَالَ: إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ  
كَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمِ الدَّانِي
- ٥٢- شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلَّ صَاحِبِ سُنَّةٍ  
لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ

### الشرح

- ٢٠- لله زائرةٌ بليلٍ لم تحف  
عسس الأمير ومرصد السجان
- ٢١- قطعت بلاد الشام ثم تيممت  
من أرض طيبة مطلع الإيمان
- ٢٢- وأنت على وادي العقيق فجاوزت  
ميقاته جلاً بلا نكران

- ٢٣- وَأَتَتْ عَلَى وَادِي الْأَرَاكِ وَلَمْ يَكُنْ  
 قَصْدًا لَهَا فَأَلَا بِأَنْ سَتَرَانِي
- ٢٤- وَأَتَتْ عَلَى عَرَفَاتٍ ثُمَّ مُحَسَّرٍ  
 وَمِنِّي فَكَمْ نَحَرْتُهُ مِنْ قُرْبَانٍ!؟
- ٢٥- وَأَتَتْ عَلَى الْجَمْرَاتِ ثُمَّ تَيَمَّمَتْ  
 ذَاتَ الشُّتُورِ وَرَبَّةَ الْأَرْكَانِ
- ٢٦- هَذَا وَمَا طَافَتْ وَلَا اسْتَلَمَتْ وَلَا  
 رَمَتِ الْجِمَارَ وَلَا سَعَتْ لِقِرَانِ
- ٢٧- وَرَقَّتْ عَلَى أَعْلَى الصَّفَا فَتَيَمَّمَتْ  
 دَارًا هُنَالِكَ لِلْمُحِبِّ الْعَانِي
- ٢٨- أَتَرَى الدَّلِيلَ أَعَارَهَا أَثْوَابَهُ  
 وَالرِّيحَ أَعْطَتْهَا مِنَ الْخَفْقَانِ!؟
- ٢٩- وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الدَّلِيلَ مَكَانَهَا  
 مَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ فِي إِمْكَانِ
- ٣٠- هَذَا وَلَوْ سَارَتْ مَسِيرَ الرِّيحِ مَا  
 وَصَلَتْ بِهِ لَيْلًا إِلَى نُعْمَانِ
- ٣١- سَارَتْ وَكَانَ دَلِيلُهَا فِي سَيْرِهَا  
 سَعْدُ الشُّعُودِ، وَلَيْسَ بِالدُّبْرَانِ
- ٣٢- وَرَدَتْ جِفَارَ الدَّمْعِ وَهِيَ غَزِيرَةٌ  
 فَلِذَلِكَ مَا احْتَاجَتْ وَرُودَ الضَّانِ
- ٣٣- وَعَلَتْ عَلَى مَتْنِ الْهَوَى وَتَزَوَّدَتْ  
 ذِكْرَ الْحَبِيبِ وَوَضَلَهُ الْمُتَدَانِي
- ٣٤- وَعَدَتْ بِزُورَتِهَا فَأَوْفَتْ بِالَّذِي  
 وَعَدَتْ وَكَانَ بِمُلْتَقَى الْأَجْفَانِ
- ٣٥- لَمْ يَفْجَأِ الْمُشْتَاقَ إِلَّا وَهِيَ دَا  
 خِلَةُ الشُّتُورِ بِغَيْرِ مَا اسْتِئْذَانِ
- ٣٦- قَالَتْ وَقَدْ كَشَفَتْ نِقَابَ الْحُسْنِ مَا  
 بِالصَّيْرِ لِي عَسَنْ أَنْ أَرَكَ يَدَانِ

لما ذكر -رحمه الله- المحبوبة، وكيف طَوَّت هذه الفيافي<sup>(١)</sup> من الشام إلى المدينة، إلى مواضع النُّسك: عرفاتٍ والمُحَسَّرِ وَمِنِّي، وَعَمِلَتْ كُلَّ الْأَشْيَاءِ وَسَعَتْ،

(١) هي البراري الواسعة، جُمعَ فيقَاء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: فيف.

ومع ذلك ما طابت نفسها حتى وَصَلَتْ إلى حبيبها، وهو يراها كأنه في المنام بين النوم واليقظة، ويحدثها، يقول:

٣٧- وَتَحَدَّثْتُ عِنْدِي حَدِيثًا خَلْتُهُ صِدْقًا وَقَدْ كَذَبْتَ بِهِ الْعَيَّانِ

٣٨- فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ مِنْ فَرَحِي بِهِ طَمَعًا وَلَكِنَّ الْمَنَامَ دَهَانِي

كما أن هؤلاء المعطلة يتحدثون للناس حديثًا يظنه الغبيُّ صدقًا، ولكنه كَذِبٌ، ولهذا قال لها:

٣٩- إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتَنِي فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْكَاذِبِ الْفَتَّانِ

٤٠- جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ<sup>(١)</sup> وَشِيعَتِهِ الْأَلَى جَحَدُوا صِفَاتِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ

قوله: «الكَاذِبِ الْفَتَّانِ»: هو جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، وأبيها أعظم: كَذِبُهَا، أو كَذِبُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ؟ الجواب: طبعًا، كَذِبُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، فالجهمُ قد جمع بين هاتين الرذيلتين: الكذب والفتنة، فقد كذب على الله عزَّ وجلَّ وكَذَبَ اللهُ أَيْضًا، لأنه قال: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ صِفَاتٌ، وَفَتَنَ الْعَالَمَ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الشَّبَهَاتِ.

لكن انظر إلى حُسْنِ تَخَلُّصِ الْمُؤَلَّفِ - رحمه الله - وانتقاله من هذه القصة العجيبة التي تجعل الإنسان يسيِّرُ بقلبه من الشام إلى المدينة إلى مكة إلى المشاعر، ثم في النهاية تنتقل هذا الانتقال الذي هو في الحقيقة مطلبٌ عظيم، لكن لا نشعر به، فننتقل من أمورٍ مُصَوَّرَةٍ أنها حِسِّيَّةٌ إلى أمورٍ مَعْنَوِيَّةٍ بهذه السهولة، وهذا فضل الله

(١) جهم بن صفوان هو: أبو محرز السمرقندي، رأس الجهمية من أكذب الناس على الله تعالى وأعظمهم فتنةً وضلالةً في الدين، وكان من أعظم الناس نفيًا لصفات الله تعالى وأسمائه، قال الذهبي في الميزان: ما علمته روى شيئًا، لكنه زرع شرًا عظيمًا، هلك زمن التابعين سنة (١٢٨هـ). [الشارح]. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/٢٠٤).

يؤتية مَنْ يشاء، والمؤلف - رحمه الله - معروف بأنه قويٌّ جِدًّا في أسلوبه، حتى إنَّ أساليبه - رحمه الله - تدخل في الإنسان كما يدخل النوم للرجل السهران.

والجهم بن صفوان هذا لا بُدَّ أن نعرف أنه من تِرْمِذٍ<sup>(١)</sup>، وأنه تلقى مقالة التّعطيل عن الجعد بن درهم<sup>(٢)</sup>، والجعد بن درهم هو أول مَنْ قال بالتعطيل.

فالجعد تكلم في مسألتين فقط: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم أخذها عنه الجهم بن صفوان، وصار يناظر بهما، ويدعو إلى هذا المذهب، وانتشر المذهب على يده، فلهذا نُسب إليه، وصار يُسمَّى مذهب الجهمية، لا مذهب الجعدية، لأنه هو الذي نشره، وهو مبنيٌّ على تعطيل صفات الله، فأول ما كان أنهم عطَّلوا صفات الله، ثم غلَّوا فَعَطَّلُوا الأسماء والصفات، ثم غلَّوا وعَطَّلُوا كُلَّ ما يدل على ثبوت، ثم غلَّوا وعَطَّلُوا كُلَّ ما يدل على ثبوت، أو انتفاء، وقالوا: لا يصح أن يُوصَفَ اللهُ بِنَفْيٍ، ولا إثباتٍ.

فقال: إن الله - سبحانه وتعالى - (لم يتخذ إبراهيم خليلاً)، و(لم يكلم موسى تكليماً)، لأنَّ (الخليل) مأخوذ من الخلَّة، والخلَّة عندهم - أي عند المُعَطِّلة - مأخوذة من الخلَّة - بالكسرة - بمعنى الحاجة، فاتخذ إبراهيم خليلاً، أي: محتاجاً إلى رَبِّه.

(١) مدينة مشهورة من أممات المدن، والمشهور من أهل هذه البلدة أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذي الضرير، صاحب الصحيح، أحد الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث. انظر: معجم البلدان (٢/٢٦).

(٢) الجعد هو: الجعد بن درهم من الموالي، مبتدع، له أخبار في الزندقة، سكن الجزيرة - يعني العراق - وأخذ عنه مروان بن محمد، أو تأدب عليه في صغره، قُتِلَ (سنة ١١٨). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/١٥١)، تاريخ الإسلام (٤/٢٣٨)، ميزان الاعتدال (١/ترجمة ١٤٨٢)، لسان الميزان (٢/ترجمة ٤٢٧)، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (١/٣٢٢).

قال: (ولم يكلم موسى تكليماً)، لأنَّ الكلام -عندهم- مخلوقٌ، فلم يصدر من الله تعالى كلامٌ، هذا أول ما نشأ التّعطيل.

ومعلوم أنَّ هذين الأصلين: انتفاء المحبة، وانتفاء الكلام يسقطُ بهما كلَّ الدين، لأنَّ العابدِين لله تعالى إنما يعبدونه محبةً، ويعبدونه بكلامه الذي هو شرُّعه، فإذا بطل هذا وهذا، فلن يبقى شيء، فمن أجل هذه المصيبة العظيمة حصل ما حصل.

قوله: «الألى» بمعنى: الذين.

قوله: «جحدوا صفات الخالق الديان» أي: أنكروها.

واعلم أنَّ جحد الصفات نوعان: تكذيبٌ، وتأويل.

أما التكذيب: فهذا كفر لا إشكال فيه، ولا يجوز أن يتوقف فيه أحد، مثل أن يقول: إنَّ الله لم يستو على العرش، ولم يؤوّل، أو: إنَّ الله تعالى لم يخلق الخلق، ولم يؤوّل، وهذا لا شك أنه كفر.

وأما جحد التأويل: فيُنظر، إذا كان للتأويل مساعٌ في اللغة العربية، فإنه لا يكفر، لكن يكون فاسقاً، وإذا لم يكن له مساعٌ، فهو كالجاحد جحد تكذيب.

فمثلاً هذا رجل قال: والله لا أشتري خبزاً، وذهب واشترى خبزاً، فقلنا: عليك كفارة يمين، قال: لا، أنا ما قصدت خبزاً، بل قصدت بعيراً، فهذا لا يقبل أبداً، لأنَّ هذا لا يمكن في اللغة العربية، أمّا إذا كان يمكن فنعم.

كما قال الحريري في مقاماته<sup>(١)</sup>:

وَطالما مرَّ بي كلبٌ وفي فيه  
ثورٌ ولكنه ثورٌ بلا ذنبٍ

(١) انظر: مقامات الحريري (ص: ٤٧٦).

هل يمكن أن يكون ثورٌ بِقَمِ الكلب؟ الجواب: لا، ولكن له تأويل، لأنَّ الثور يطلق في اللغة العربية على قُرْصٍ مِنَ اللَّبَنِ الجافِّ، وهذا ممكن، أما شيءٌ لا يمكن، فلا نَقْبَلُ التأويل فيه، فيكون كَجَحْدِ التَّكْذِيبِ.

ومثله أيضًا مَنْ قال في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] قال: إنَّ الله لا يجيء، فهذا جَحْدٌ تكذيبٍ، فيكون كُفْرًا، وإذا قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ يعني: جاء أمر ربك، فهذا إنكارٌ تأويلٍ.

فهم جَحَدُوا صِفَاتِ الخَالِقِ الدِّيَانِ، وقالوا: إنَّ الله ليس له صفة.

سبحان الله! فالله سَمِيَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ سَمِيعٌ، بصيرٌ، عليمٌ، قالوا: أبدًا، ما له صِفَةٌ.

فقاعدتهم: (كل وَصْفٍ يَتَّصِفُ به الإنسان، فالله لا يَتَّصِفُ به) لماذا؟

قالوا: لأنه إذا اتَّصَفَ بِوَصْفٍ يَتَّصِفُ به المخلوق فهذا تشبيهٌ، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

فإذا قيل لهم: ما تقولون في الصفات الموجودة؟ قالوا: هذه الصفات تعبير عن الذات، فَصِفَاتُهُ هي ذاته، ليست معنَى آخَرَ سِوَى الذاتِ، فَعَطَّلُوا صفات الله عزَّ وجلَّ بهذه الحجة الباطلة.

يقول - رحمه الله -:

٤١- بَلْ عَطَّلُوا مِنْهُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشِ أَخْلَوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ

هم ينكرون شيئين: العُلُوَّ والاستِواءَ.

أنكروا عُلُوَّ الله عزَّ وجلَّ وقالوا: لا يمكن أن يَعْلُو، لأننا لو أثبتنا عُلُوَّهُ لَزِمَ

من ذلك أن يكون جِسْمًا، والأجسام عندهم مُتَمَائِلَةٌ.

وأنكروا أيضًا استواءه على العرش، قالوا: ما استوى على العرش، لأنه لو استوى على العرش لكان محدودًا على محدود، لأنَّ العرش محدود له قوائم، فإذا قلت: (استوى عليه) لزم أن يكون محدودًا على محدود، وهذا يقتضي تمثيل الخالق بما له حدُّ، هذه شبهتهم.

لكن يقول في الرَّدِّ عليهم: إِنَّ الله أثبت أنه استوى على العرش، ولزوم ألا يكون مُستَوِيًّا عليه إلا المَحْدُود، هذا إنما هو بالنسبة للمخلوق، أما بالنسبة للخالق، فقد قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٤٢- وَنَفَسُوا كَلَامَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَقَضَّوْا لَهُ بِالْخَلْقِ وَالْحَدَثَانِ  
قالوا: الله لا يتكلم، وإنما يَخْلُقُ كلامه فيُسمَع، وقالوا: إن الله تعالى كلَّم موسى، أي: خَلَقَ أصواتًا سَمِعَهَا موسى نُسِبَتْ إلى الله عزَّ وجلَّ. ونُسِبَتْهَا إلى الله عزَّ وجلَّ من باب التَّشْرِيفِ والتَّكْرِيمِ، كَنَاقَةِ اللهِ، وَبَيْتِ اللهِ، وما أشبه ذلك.

ولولا أن هذا قِيلَ ما صدَّقنا، إذ كيف يكون كلامُ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ مَخْلُوقًا وهو صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ؟!

أنت الآن عندما تتكلم، هل هو كَمِثْلُ ما لو عَجَنْتَ عَجِينَةً؟ الجواب: لا. فالكلام صفة المتكلم، هم قالوا: إنه مخلوق، لأننا لو أثبتنا أنه يتكلم لزم قيام الحوادث به، لأنَّ الكلام - كما نعلم - حادث، فقولنا: (بسم الله الرحمن الرحيم)، الباءُ قَبْلَ السَّيْنِ، والسَّيْنُ قَبْلَ المِيمِ، فهو حادث، ولا يَقُومُ الحَادِثُ إِلَّا بِحَادِثٍ، إذن أمحُ كونَ الكلامِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

انظر كيف زين لهم الشيطان ذلك؟!

نردُّ عليهم بأنَّ الله تعالى أثبت أنه يُكَلِّم، فقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقد قرأها بعضهم (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى) فجعل المتكلم موسى، ولكنهم بهتوا حين قيل لهم اقرؤوا قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلا يستطيعون، لكن مع ذلك أصروا على باطلهم - والعياذ بالله - والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَنْ لَّا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] وقال: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَكَلَّا هَادِيًّا لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

قوله: «وَقَضُوا لَهُ بِالْخَلْقِ وَالْحَدَثَانِ» يقول ابن القيم - رحمه الله -<sup>(١)</sup> في مواضع من كلامه: القول بأنَّ القرآن مخلوق يُبطلُ الشريعةَ كُلَّهَا، لأنه إذا كان مخلوقًا صار عبارةً عن أصواتٍ كأصوات الرعد، ليس فيها أمرٌ، ولا نهيٌ، ولا خبرٌ، ولا استخبارٌ، أو صار حروفًا إن كُتِبَ، وكأنها نُقُوشٌ على باب، فكلمة (قُل) لا تدلُّ على أمرٍ، وكلمة (لا تفعل) لا تدل على نهي، إنما خَلَقَ اللهُ هذه النُّقُوشَ.

وهذا كما قال ابن القيم إذا قلنا: كلام الله مخلوق، بطل الأمر والنهي، ولا شريعة، ولا خبر، ولا قصص، وقالوا أيضًا:

٤٣- قَالُوا وَلَيْسَ لِرَبِّنَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا وَجْهٌ فَكَيْفَ يَدَانِ؟!

يعني: ليس له سمعٌ، ولا بصرٌ، لكن كيف ذلك والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١] قال: هذا سَمِعَ بذاته، لا بمعنى هو السمع، ولا يوصف هو السمع، فهو سَمِيعٌ بذاته، بصيرٌ بذاته، أي أن السمع والبصر هو الذات.

(١) انظر - على سبيل المثال -: مختصر الصواعق المرسله (ص: ٣٥٧).

فهو يقول: لأنك لو أثبتَّ لله صفةً قديمةً لَزِمَ من ذلك تَعَدُّدُ القَدَماءِ، فلو قلت: (الله سَمْعٌ قَدِيم) يعني: لم يكن حَادِثًا، بَصَرٌ قَدِيم، عِلْمٌ قَدِيم، قُدْرَةٌ قَدِيمَة، لزم تَعَدُّدُ القَدَماءِ.

وهذا كلام في الحقيقة لا يُعْقَلُ أصلاً، فضلاً عن أن يكون حقاً.

قَوْلُهُ: «فكيف يدان» يعني: فكيف يكون له يدان؟

وقَوْلُهُ: «فكيف يدان» يعني: كيف الثنتان؟! والشيء إذا ثُنِيَ معناه أنه مُقَدَّر، يعني: المفرد قد يكون المراد به الجِنس، فَيَعْمُ أكثر، لكن (يدان) محدود، كيف يكون لله (يدان)؟!!

فنحن نقول في الرَدِّ عليهم: إنَّ الله أثبتَ لِنَفْسِهِ سَمْعًا وَبَصْرًا وَوَجْهًا وَيَدَيْنِ، وَكُنَّا أَعْلَمَ بالله مِن نَفْسِهِ، بل هو عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ.

٤٤- وَكَذَلِكَ لَيْسَ لِرَبِّنَا مِنْ قُدْرَةٍ وَإِرَادَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ وَحَنَانٍ

أيضاً يقولون: إنَّ الله ليس له قُدْرَةٌ، فإذا قيل لهم: الله على كلِّ شيءٍ قدير؟

قالوا: (قدير بذاته)، ليس له وصف هو القُدْرَةُ، وليس له أيضاً إرادة، أو رحمة وحنان، والحنان أَلَطْفُ مِنَ الرَّحْمَةِ.

٤٥- كَلَّا وَلَا وَصْفٌ يَقُومُ بِهِ سِوَى ذَاتِ مُجَرَّدَةٍ بِغَيْرِ مَعَانٍ

هذا مذهب الجَهْمِيَّةِ الذين يقولون: لا يمكن أن تَصِفَ الله بأيِّ صِفَةٍ، لا بُيُوتِيَّةً، ولا سَلْبِيَّةً، وهؤلاء هم الغُلاة، ووافقهم على ذلك المُعْتَرِلةُ، إِلَّا أَنَّ المُعْتَرِلةَ أثبتوا الحياة والعِلْمَ والقُدْرَةَ، لأنه لا يمكن أن يقوم الخَلْقُ إِلَّا بذلك.

٤٦- وَحَيَاتُهُ هِيَ نَفْسُهُ، وَكَلَامُهُ هُوَ غَيْرُهُ، فَاعْجَبْ لِدَا الْبُهْتَانِ  
حَيَاتُهُ نَفْسُهُ، وَسَمْعُهُ نَفْسُهُ، وَبَصَرُهُ نَفْسُهُ، أَمَا كَلَامُهُ فَيَقُولُ الْمَوْلَفُ: (كَلَامُهُ  
هُوَ غَيْرُهُ) لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ عِنْدَهُمْ، وَالْمَخْلُوقُ غَيْرُ الْخَالِقِ.

قَوْلُهُ: «فَاعْجَبْ لِدَا الْبُهْتَانِ» أَمَرَ أَنْ نَعْجَبَ، وَنَحْنُ نَمَثَلُ أَمْرَهُ، أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ  
الْكَلَامِ، وَبَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ؟ يَقُولُونَ: الْكَلَامُ غَيْرُ اللَّهِ، لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ  
مُنْفَصِلٌ، وَأَمَّا الْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ، فَهِيَ نَفْسُ اللَّهِ دُونَ زِيَادَةٍ فِي الْمَعْنَى.

٤٧- وَكَذَلِكَ قَالُوا مَا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدٌ يَكُونُ خَلِيلَهُ النَّفْسَانِي

٤٨- وَخَلِيلُهُ الْمُحْتَاجُ عِنْدَهُمْ وَفِي ذَا الْوَصْفِ يَدْخُلُ عَابِدُ الْأَوْثَانِ

٤٩- فَالْكُلُّ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ لِذَاتِهِ فِي أَسْرِ قَبْضَتِهِ ذَلِيلٌ عَانَ

قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا خَلِيلَ لَهُ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّخِذَ خَلِيلًا، لِأَنَّهُمْ نَفَّوْا  
أَصْلَ الْمَحَبَّةِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُحِبُّ، لِمَاذَا؟ قَالُوا: لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَكُونُ  
إِلَّا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَمَعْلُومٌ الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ.

لَكِنْ هَلْ كَلَامُهُمْ هَذَا مَعْقُولٌ أَوْ مَحْسُوسٌ؟ الْجَوَابُ: لَا، فَالْمَحَبَّةُ تَكُونُ بَيْنَ  
شَيْئَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَتَكُونُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ بَيْنَهُمَا أَعْظَمُ الْفُرُوقِ.

الآن نَحْنُ نَشَاهِدُ أَنَّنَا نُحِبُّ بَعْضَ الْأَدْوَاتِ دُونَ بَعْضٍ، إِنْسَانٌ مَثَلًا عِنْدَهُ  
قَلَمٌ سَهْلٌ السَّيْرِ، مَا يَنْتَقِطِعُ، وَقَلَمٌ آخَرَ بِالْعَكْسِ، وَالْمَحَبَّةُ تَكُونُ لِلأَوَّلِ.

وَهَذَا شَخْصٌ عِنْدَهُ نَاقَةٌ -مَثَلًا- ذَلُولٌ حَبِيبَةٌ، وَنَاقَةٌ صَعْبَةٌ، أَيُّهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ؟

الْجَوَابُ: الذَّلُولُ.

وآخر عنده سَيَّارَةٌ مِنْ أَفْخَمِ السَّيَّارَاتِ، وَسَيَّارَةٌ مِنْ أَرْدَا السَّيَّارَاتِ، أَهْمَاهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ؟ الجواب: الأولى، وليس هناك تناسب.

فهم أنكروا - سبحان الله - المَحْسُوسَ فَضْلاً عن المعقول، إذا لم يكن له محبة، فلا حُخْلَةٌ، لَأَنَّ الحُخْلَةَ أَعْلَى أنواع المحبة، ولهذا لا نَعْلَمُ أنها ثبتت إلا لاثنتين فقط من المخلوقات، وهما: محمد وإبراهيم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ - ولا يجوز أن نقول في أحدٍ غيرهما: إنه خَلِيلُ اللهِ، لَأَنَّ هذا وَصْفٌ خَاصٌّ.

هم يقولون: إنَّ معنى الحُخْلَةَ: الفقر، فَخَلِيلُ اللهِ، أي: مُفْتَقِرٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. أَخَذُوهَا مِنَ الحُخْلَةِ - بالكسرة - وقالوا: خليل الله يعني: مفتقرا.

إذا كان هكذا، يقول ابن القيم - رحمه الله -: «وَخَلِيلُهُ الْمُحْتَاجُ عِنْدَهُمْ» يعني معنى الخليل: المحتاج.

«وَفِي ذَا الوُصْفِ يَدْخُلُ عَابِدُ الأَوْثَانِ» أي: يكون المشركون أَخِلَاءَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الفَسَاقُ أَخِلَاءُ اللهِ، لَأَنَّ الكُلَّ محتاجٌ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٥٠ - وَلَا جَلَّ ذَا ضَحَى بِجَعْدِ خَالِدِ الأَلِّ قَسْرِي<sup>(١)</sup> يَوْمَ ذَبَائِحِ القُرْبَانِ

٥١ - إِذْ قَالَ: إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلُهُ كَلًّا وَلَا مُوسَى الكَلِيمَ الدَّانِي

أصلُ التَّعْطِيلِ: إنْكَارُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ وَهُمَا: الحُخْلَةُ والكلام.

بعد ذلك توسَّع التعطيل، وإِنَّمَا صار الأصلُ نَفْيَ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، لَأَنَّ بهما بَطْلَانُ الشَّرْعِ مِنْ أَصْلِهِ، إِذْ إِنَّ الكَلَامَ هُوَ أساسُ الشرائع، والمحبة أساسُ العِبَادَةِ،

(١) خالد القسري هو: خالد بن عبد الله القسري، من بَجِيلَةَ، أحد خطباء العرب، وأجوادهم، ولأه هشام بن عبد الملك العراقيين: (البصرة والكوفة)، ولد (سنة ٦٦هـ)، وتوفي (سنة ١٢٦هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٤٥).

فلا بدَّ مِنَ المحبة، والتَّعْظِيم للمعبود، وإِلَّا فلا عِبَادَة.

ولذلك لما أنكر ذلك الجَعْدُ بنُ دِرْهَمٍ خَرَجَ خَالِدُ بنُ عبدِ الله القَسْرِيّ -رحمه الله- بالجَعْدِ في عيد الأضحى، وكان من عَادَةِ الخُلَفَاء أَنهم يخرجون بالضحايا يذبحونها في مُصَلَّى العيد، كما فَعَلَ نَبِيْنَا ﷺ<sup>(١)</sup>.

فخرج به مُوثَّقًا، وخطب الناس، وقال: «أيها الناسُ ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللهُ ضحاياكم، فإني مُضَحُّ بالجَعْدِ بنِ دِرْهَمٍ». فهذا حُكْمٌ، وَعَلَّله بقوله: إنه قال: «إِنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يُكَلِّم موسى تكليماً» ثم نَزَلَ فذَبَحَهُ، والناسُ يَنْظُرُونَ<sup>(٢)</sup>.

٥٢- شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ اللهُ دَرَكٌ مِنْ أَخِي قُرْبَانَ  
يقول ابن القيم: إِنَّه شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ، ونحن نَشْكُرُ هذه الضَّحِيَّةَ، ونرى أَنه مصيبٌ، وَأَنه إذا كانت البَعِيرُ كَبِيرَةً الجِسمِ تُجْزَى عن سَبْعَةِ فهذا عن ملايين، لأنَّ الله -سبحانه وتعالى- هَتَكَ سِتْرَهُ، وَبَيَّنَّ أَمْرَهُ، وَرَجَعَ عن رَأْيِهِ ما لا يُحْصِيهم إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وعليه فإننا نشكر كُلَّ حاكمٍ أَعَدَمَ مُبْتَدِعًا كافرًا يُفْسِدُ الدِّينَ، كما فَعَلَ خَالِدُ القَسْرِيّ -رحمه الله- بهذا المبتدع.

\*\*\*

(١) كما في خطبة النبي ﷺ يوم العيد: «إِنَّ أَوَّلَ ما نَبَدَأُ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ، فَتَنْحَرَ فَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا». أخرجه البخاري: كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، رقم (٩٠٨).

(٢) الحكاية أوردها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣٨٢/٩).

## فصل

- ٥٣- وَالْعَبْدُ عِنْدَهُمْ فَلَيْسَ بِفَاعِلٍ      بَلْ فِعْلُهُ كَتَحَرُّكِ الرَّجْفَانِ
- ٥٤- وَهُبُوبٍ رِيحٍ أَوْ تَحَرُّكِ نَائِمٍ      وَتَحَرُّكِ الْأَشْجَارِ لِلْمَيْلَانِ
- ٥٥- وَاللَّهُ يُصَلِّيهِ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ      أَفْعَالِهِ حَرَّ الْحَمِيمِ الْآنِ
- ٥٦- لَكِنْ يُعَاقِبُهُ عَلَى أَفْعَالِهِ      فِيهِ تَعَالَى اللَّهُ ذُو الْإِحْسَانِ
- ٥٧- وَالظُّلْمُ عِنْدَهُمْ الْمُحَالُ لِذَاتِهِ      أَنَّى يُنَزَّهُ عَنْهُ ذُو السُّلْطَانِ؟
- ٥٨- وَيَكُونُ مَدْحًا ذَلِكَ التَّنْزِيهُ مَا      هَذَا بِمَعْقُولٍ<sup>(١)</sup> لَدَى الْأَذْهَانِ

## الشرح

هذه الأبيات الستة فيها بيان ضلال الجهمية، وهو أن العبد عندهم مجبر على عمله، ليس بفاعل، ولا ينسب الفعل إليه، ولا يمدح على حسنى، ولا يذم على سوء، لأنه ليس له إرادة، وليس له اختيار، بل فعله - كما ذكر - مثل تحرك الرجفان<sup>(٢)</sup>، وهبوب الريح، أو تحرك النائم، أو تحرك الأشجار من الهواء، ومع ذلك يصلية الله تعالى النار على ما ليس بفعله، وهذا عندهم ليس بظلم، لأنهم يقولون: إن الظلم محال لذاته، يعني لا يتصور أن الله يظلم، لا لأنه منزه عن

(١) في مطبوعة الهراس، وبعض النسخ: «بمقبول».

(٢) الرجفان: الاضطراب الشديد. انظر: لسان العرب، مادة: رجف.

الظُّلْمَ لِكَمَالِ عَدْلِهِ، ولكن لأنه لا يمكن أن يَقَعَ منه ظُلم، لأنه يتصرف في خَلْقِهِ، فهو لا يتصرف في شيء غير مخلوق له، لا يتصرف في مُلْكٍ غيره، فهو إذا عاقبَ المحسنَ أَشَدَّ العِقَابِ، وأثابَ المسيءَ أَفْضَلَ الثَّوَابِ، فليس هذا ظُلْمًا، لماذا؟

لأنَّ الظُّلْمَ مُحَالٌ في حَقِّ الله، ووجهُ استحَالَتِهِ عندهم: أَنَّ الله - سبحانه وتعالى - يتصرف في مُلْكِهِ، والمتصرف في مُلْكِهِ كما يشاء ليس بِظَالِمٍ.

فَعَلَى رأيهم هذا، لا يُثَنَّى على الله عَزَّ وَجَلَّ بأنه لا يَظْلِمُ، ولا يُثَنَّى عليه بأنه ليس بظالماً، لماذا؟

الجوابُ: لأنَّ وَقُوعَ الظُّلْمِ مِنْهُ مُحَالٌ، فإذا كان مُحَالًا فكيف يُقال: إِنَّهُ مُنَزَّهُ عن الظُّلْمِ، لَأنَّهُ لا ظُلْمَ أَصْلًا، ولهذا قال المؤلف - رحمه الله -: (أَنِّي يُنَزَّهُ عَنْهُ ذُو السُّلْطَانِ؟! ) يعني: كيف يُنَزَّهُ عن الظلم؟! والظلم مُحَالٌ، إنه لو أراد أن يَظْلِمَ ما ظَلَمَ.

إِذَنْ هُمْ يَقُولُونَ:

أولاً: العبد ليس بِفَاعِلٍ، ولكنه مُجْبَرٌ على الفِعلِ، فتحرُّكُهُ الاختياري كتحركه الاضطراري، فحركته بيده - إشارةً إلى بعيدٍ، أو قريبٍ - كحركة يد المرتعش الذي لا يملك إيقافها.

ثانياً: لو عَذَّبَ رَبُّنَا أَفْضَلَ النَّاسِ وَأَطْوَعَهُمْ له لم يكن ظالماً، لأنَّ الظُّلْمَ في حَقِّ الله مُحَالٌ، إذ إنَّ الظُّلْمَ تَصَرَّفَ المتصرِّفِ في حَقِّ غيره، وهذا لا يُتَصَوَّرُ في حَقِّ الله، فليس بِظَالِمٍ، لأنَّ أَيَّ شيءٍ يَقَعُ مِنْ الله ليس بِظَالِمٍ.

وعلى رأيهم هل يكون الله عَزَّ وَجَلَّ مُنَزَّهُاً عن الظُّلْمِ، ومُثَنَّى عليه بذلك؟ الجواب: لا، لأنَّ هذا - أصلاً - شيءٌ مُحَالٌ.

ونحن نقول: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَظْلِمُ لِكَمَالِ عَدْلِهِ، وَالظُّلْمُ مُمَكِّنٌ فِي حَقِّهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُثِيبَ الْعَاصِيَ، وَيُعَاقِبَ الْمُطِيعَ، وَهَذَا ظُلْمٌ.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

لو أنه -وحاشاهُ من ذلك- عَذَّبَ الْمُطِيعَ لكان هذا ظُلْمًا، لأنه وَعَدَ الْمُطِيعَ بِالثواب والحسنى، فإذا أَخْلَفَ صَارَ هَذَا ظُلْمًا!!

الخلاصة: أَنَّ مَذَهَبَ الْجُهْمِيَّةِ فِي أفعالِ العِبَادِ أَنَّهُمْ مُجْبَرُونَ عَلَيْهَا، لَا إِرَادَةَ لَهُمْ، وَأَنَّ حَرَكَاتِهِمْ الْاِخْتِيَارِيَّةَ بِمَنْزِلَةِ تَحْرُكِ الْأَشْجَارِ فِي الْهَوَاءِ.

فإذا قيل لهم: تَعْذِيبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ظُلْمٌ، قالوا: لا، الظُّلْمُ هُوَ الشَّيْءُ الْمُسْتَحِيلُ، وَهَذَا لَا يَسْتَحِيلُ، لِأَنَّ الظُّلْمَ أَنْ يَتَصَرَّفَ الْإِنْسَانُ فِي حَقِّ غَيْرِهِ، أَوْ مِلْكِ غَيْرِهِ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ مُسْتَحِيلٌ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِلْكُهُ، فإِذْنُ لَا ظُلْمَ، لِأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ فِي مِلْكِهِ.

لكن بماذا نردُّ عليهم؟

نقول: هذا التفسير الذي ذكرتموه للظلم لا يُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ، لِأَنَّ الْمَحَالَ لَا يُمَدَّحُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ، لَا إِيجَادًا، وَلَا عَدَمًا مَعَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على إمكانه، لكنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ، لِكَمَالِ عَدْلِهِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

والله عزَّ وجلَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الظُّلْمِ مُتَمَدِّحًا بِذَلِكَ، فلو كان مُحَالًا لِذَاتِهِ لَصَارَ نَفْيُ الظُّلْمِ عَنِ اللَّهِ تَنْزِيهًا لَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَلَصَارَ عَبَثًا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَهَذَا الْأَمْرُ ظَاهِرٌ.

أما الرَّدُّ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: (إِنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ) فَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ، إِنَّمَا الْكَلَامُ أَنَّ نَفْسَهُمْ مَذْهَبُهُمْ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَعْرِفُ أَنَّ فِعْلَهُ بِاخْتِيَارِهِ، لَكِنْ هُنَاكَ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ بِاخْتِيَارِ الْإِنْسَانِ، كَالْمَوْتِ وَالْمَرَضِ، لَكِنَّ الْأَفْعَالَ الْاِخْتِيَارِيَّةَ الَّتِي يَفْعَلُهَا بِاخْتِيَارِهِ، كَعَمَلٍ صَالِحٍ، أَوْ عَمَلٍ سَيِّئٍ، كَقَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، هَذَا بِاخْتِيَارِهِ.

ولهذا لو أمسكنا واحداً من هؤلاء وضربناه ضرباً مبرِّحاً شديداً، وقال: لماذا تضربونني؟ أنتم أخطأتم علي؟ نقول له: هذا بغير اختيارٍ مِنَّا، هذا أمرٌ مُقَدَّرٌ، والمُقَدَّرُ ما لنا عنه، أيرضى بهذا، أو ما يرضى؟ الجواب: ما يرضى.

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميرُ المؤمنين، لما جيء إليه بِسَارِقٍ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ - كَمَا ذُكِرَ عَنْهُ - فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: الْقَدْرُ قَالَ: فَضْرَبَهُ أَرْبَعِينَ سَوْطًا، وَقَالَ: «قَطَعْتُ يَدَكَ لِسَرِقَتِكَ، وَضَرَبْتُكَ لِفِرْيَتِكَ عَلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

فالمهمُّ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ عَاقِلٌ إِطْلَاقًا، وَلَوْ أَنَّا قُلْنَا بِهِ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَقْتُلُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ، ثُمَّ لَا يُيْلَمُ عَلَيْهِ، وَلَا يُقَالُ لَهُ شَيْءٌ، لِأَنَّهُ بغير اختياره، وبغير إرادته.

\*\*\*

(١) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص: ٣١٧)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٦٩/٢).

## فصل

- ٥٩ - وَكَذَلِكَ قَالُوا: مَا لَهُ مِنْ حِكْمَةٍ هِيَ غَايَةٌ لِلْأَمْرِ وَالْإِتْقَانِ  
 ٦٠ - مَا تَمَّ غَيْرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَّحَتْ  
 ٦١ - هَذَا وَمَا تِلْكَ الْمَشِيئَةُ وَصَفَهُ  
 ٦٢ - وَكَلَامُهُ مُذْكَانَ غَيْرًا كَانَ مَحْ

## الشرح

هذه الآيات الأربعة فيها من ضلال هؤلاء الجهمية، حيث قالوا: إن الله سبحانه وتعالى - ليست له حكمة، قالوا: لأن الحكمة غرض باعث على الفعل، والله عز وجل ليس له غرض، فهو مُنَزَّهٌ عن الغرض، ولهذا من ألفاظهم السائدة الباطلة قولهم: «إن الله مُنَزَّهٌ عن الأبعاض والأعراض والأغراض» ومرادهم بالأبعاض: الوجه واليد والعين، وما أشبه ذلك.

وبالأعراض أي: الصفات، فيقولون: هو مُنَزَّهٌ عن الصفات، لأن الصفات أعراض لا تقوم إلا بأجسام.

والأغراض يعني: الحكمة، فالله يفعل الشيء لمجرد المشيئة فقط.

فالجهمية يقولون: إن الله يفعل الأشياء كلها، يخلق نارًا وجنةً، ويُعَذِّبُ هذا ويُكْرِمُ هذا، وما أشبه ذلك، بدون حكمة، بل مجرد مشيئة، شاء أن يفعل ففعل، لماذا؟ قالوا: هكذا شاء.

مع أن القرآن والسنة مملوءان من إثبات حكمة الله عز وجل سواء في أفعاله، أم في تشريعاته، هذا بالإضافة إلى اسمه الحكيم، وبالإضافة إلى وصفه بالحكمة، كما قال الله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُعِنُّمُ الْتُدْرُ﴾ [القمر: ٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص: ٢٧] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥] فنفى الله عنه الباطل، وأثبت الحق.

ولما ذكر المواريث قال تعالى: ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] فالحكمة هنا (حتى لا نضل)، وكذلك في الأمور القدرية يبين الله عز وجل أنه فعلاً لحكمة عظيمة، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣] فأحكامه الكونية والقدرية كلها مقترنة بالحكمة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٩]، وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

ولا شك أن الله عز وجل موصوفٌ بالحكمة، وأن أحكامه الكونية والشرعية مقرونة بالحكمة أيضاً، ولا نعلم أفعالا تنتفي عنها الحكمة إلا وهي أفعال سفه، فالذي يأكل تمراً، ويأكل جَمراً، يشرب ماءً عذباً، وماءً مرّاً، كل شيء إذا سألته: لماذا فعلت ذلك؟ فيقول: هذا ما أريده، فهذا لا شك أنه سفه.

فانظر لِمَا فَرَّوْا مِنْ ثُبُوتِ الْحِكْمَةِ لِرِزْمِهِمْ شَرٌّ مِمَّا فَرَّوْا مِنْهُ، وهو القول بالسفاهة، وهذا لازم لهم.

وقالوا أيضاً: إنه يفعل ويرجح شيئاً على شيء بدون سببٍ للترجيح، ولهذا قال: (مَا تَمَّ غَيْرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَحَتْ مِثْلًا عَلَىٰ مِثْلٍ بِلَا رُجْحَانٍ)، يعني: رجح شيئاً على شيء.

قَوْلُهُ: «بِلا رُجْحَانٍ» أي: بلا سبب لترجيحه، فالله عزَّ وجلَّ يفعل ما يشاء بِدُونِ حِكْمَةٍ.

وسبحان الله! ما أعمى قلوبهم! فما أكثر ما يذكُر الله عزَّ وجلَّ الحِكْمَةَ من أسائه وأوصافه، ومع ذلك يقولون: إنَّ الله ليست له حِكْمَةٌ، يُرَجِّحُ ما شاء على ما شاء من مشروعاته ومفعولاته بلا رجحان.

كذلك أيضًا قالوا: نفسُ المشيئة ليست وصفه، فلا يُوصف الله بأنَّ له مشيئة، بل المشيئة إمَّا: الفعلُ المُشاء، وإمَّا أنَّ المشيئة لا تُعدُّ ذاتَه، فهي ذاتُ الله، أو فعلُه، على قولين.

وكُلُّ إنسانٍ يعلمُ أنَّ المشيئة ليست الذات، وليست الفعل، بل المشيئة مع القدرة هي التي يكون بها الفعل.

كذلك أيضًا قالوا: هل تقولون: إنَّ كلام الله هو الله أو لا؟ نقول: كلامُ الله غيرُ الله.

يقولون: إذا قلت: بأنَّه غيرُ الله لزمَ أن يكون مخلوقًا، لأنه ما تمَّ إلا خالقٌ، أو مخلوق، فإذا قلت: كلامُ الله ليس هو الله، لزمَ أن يكون مخلوقًا، وكذلك المشيئة ليست وصفًا، ولكنها مخلوقة.

وقولهم هذا بناءً على تفسيرهم الثاني الذي يقول: إنَّ المشيئة هي الفعل، فتكون المشيئة هنا أُطْلِقَتْ على الفعل، كما أُطْلِقَ كلامه المضاف إليه على ما خلَّقه في الشجرة، أو في موسى، أو ما أشبه ذلك.

لكن لماذا يقولون ذلك؟ الجواب: لأنهم لا يرون أن الله يتَّصفُ بشيء من الصفات، فأصل الصفات عندهم ممتنعٌ، فإمَّا ذاتٌ، وإمَّا مفعول.

ومن المعروف أنَّ الْمُعْتَزِلَةَ وَالْجَهْمِيَّةَ أَيضًا يُنْكِرُونَ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَعَانِي يُنْكِرُونَ مَعَانِيهَا.

فيقولون: مثلاً: الكلام ليس وصفاً لله، لأنه ليس له وصفٌ، فهل هو الله، أو غير الله؟ الجواب: هو غير الله بلا شك، إذن هو مخلوق.

ونحن نقول: هو غير الله، لكنه وصفٌ لله، إذ إنَّ الكلامَ وَصَفُ المتكلم، وإذا كان وصفاً لله فالصفة لها حكمُ الموصوف أي: تابعة له، ليست مخلوقة، وإن كانت الصفة غير الموصوف - في الواقع - لكنها ليست غيراً منفصلاً، إذ إنها وَصْفُ المَوْصُوفِ.

\*\*\*

- ٦٣- قَالُوا: وَإِقْرَارُ الْعِبَادِ بِأَنَّهُ  
خَلَقَهُمْ هُوَ مُنْتَهَى الْإِيمَانِ
- ٦٤- وَالنَّاسُ فِي الْإِيمَانِ شَيْءٌ وَاحِدٌ  
كَالْمِشْطِ عِنْدَ تَمَاتِلِ<sup>(١)</sup> الْأَسْنَانِ
- ٦٥- فَاسْأَلْ أَبَا جَهْلٍ وَشِيعَتَهُ وَمَنْ  
وَالْأَهْمُ مِنْ عَابِدِي الْأَوْثَانِ
- ٦٦- وَسَلِ الْيَهُودَ وَكُلَّ أَقْلَفِ مُشْرِكٍ  
عَبَدَ الْمَسِيحَ مُقْبِلَ الصُّلْبَانِ
- ٦٧- وَاسْأَلْ ثَمُودَ وَعَادَ بَلَّ سَلَّ قَبْلَهُمْ  
أَعْدَاءَ نُوحٍ أُمَّةَ الطُّوفَانِ
- ٦٨- وَاسْأَلْ أَبَا الْجِنِّ اللَّعِينِ أَتَعْرِفُ الْـ  
خَلْقَ أُمَّ أَصْبَحْتَ ذَا نُكْرَانِ؟
- ٦٩- وَاسْأَلْ شِرَارَ الْخَلْقِ أَعْنِي أُمَّةً  
لُوطِيَّةً هُمْ نَاكِحُوا الذُّكْرَانَ
- ٧٠- وَاسْأَلْ كَذَلِكَ إِمَامَ كُلِّ مُعْطَلٍ  
فِرْعَوْنَ مَعَ قَارُونَ مَعَ هَامَانَ

(١) في نسخة الظاهرية، وغيرها: «تماتيل»، وما في الأصل أظهر.

- ٧١- هَلْ كَانَ فِيهِمْ مُنْكَرٌ لِلْخَالِقِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ مَكْوَنِ الْأَكْوَانِ  
 ٧٢- فَلْيُبَيِّنُوا مَا فِيهِمْ مِنْ كَافِرٍ هُمْ عِنْدَ جَهَنَّمَ كَامِلُو الْإِيمَانِ

### الشرح

وهذا أيضًا من صورههم الفاسدة: أن الإيمان هو الإقرار بالرَّبِّ فقط، فإذا أقرَّ الإنسان بقلبه أن للكون ربًّا خالقًا، فهو مؤمنٌ كاملُ الإيمان، وهذا غلوٌّ فاحشٌ في الإرجاء.

فالأقوال عندهم ليست إيمانًا، فقول: (لا إله إلا الله) ليست من الإيمان، والأفعال ليست إيمانًا، فالصلاة ليست من الإيمان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ليس من الإيمان، وإمالة الأذى عن الطريق ليست من الإيمان، فالإيمان هو إقرارُ الإنسان بربوبية الله عزَّ وجلَّ فقط، بل غايةُ الإيمان الاعتراف بأنَّ الله هو الخالق، ثمَّ مع ذلك يمنعون الزيادة والنقص فيه، ويقولون: الإيمان لا يزيد، ولا ينقص، فيستوي أفسقُ عبادِ الله بِأتقى عبادِ الله في الإيمان، ولهذا يقول -رحمه الله-:

٦٣- قَالُوا: وَإِقْرَارُ الْعِبَادِ بِأَنَّهُ خَلَقَهُمْ هُوَ مُنْتَهَى الْإِيمَانِ

قوله: «مُنْتَهَى الْإِيمَانِ» أي: غايةُ الإيمان، وسبحان الله أن يكون هذا الإقرار هو الغاية، مع أنه لا يُنكره أحدٌ إلا مُكابرًا.

٦٤- وَالنَّاسُ فِي الْإِيمَانِ شَيْءٌ وَاحِدٌ كَالْمِشْطِ عِنْدَ تَمَائِلِ الْأَسْنَانِ

قوله: «وَالنَّاسُ فِي الْإِيمَانِ شَيْءٌ وَاحِدٌ»، فَأَتَقَى النَّاسِ، وَأَشَقَى النَّاسِ كُلَّهُمْ شيء واحد في الإيمان، ولا يمكن أن نقول: هذا إيمانه أعلى من إيمان هذا، أو أزيد

أَوْ أَكْمَلُ، لَأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ.  
أَمَّا الْمِشْطُ فَمَعْرُوفٌ.

يقول ابن القيم - رحمه الله - على هذا الرأي الفاسد الباطل:

٦٥- فَاسْأَلْ أَبَا جَهْلٍ وَشَيْعَتَهُ وَمَنْ وَالْأَهْمُ مِنْ عَابِدِي الْأَوْثَانِ  
اسألم: هل هم يُقَرِّونَ بِالرَّبِّ، أَوْ لَا يُقَرِّونَ؟

الجواب: يُقَرِّونَ، وَكَمْ مِنْ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ يُقَرِّونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ  
مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وَقَالَ: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، قَالَ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦)  
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧] وَهَكَذَا يُقَرِّونَ بِهَذَا، وَيَقُولُونَ عَنْ أَصْنَامِهِمْ:  
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣].

٦٦- وَسَلِ الْيَهُودَ وَكُلَّ أَقْلَفٍ مُشْرِكٍ عَبْدَ الْمَسِيحِ مُقْبَلِ الصُّلْبَانِ  
قَوْلُهُ: «وَسَلِ الْيَهُودَ» الْيَهُودَ أَيْضًا اسألم هل يُقَرِّونَ بِاللَّهِ أَوْ لَا؟  
الجواب: يُقَرِّونَ.

وَقَوْلُهُ: «وَكُلَّ أَقْلَفٍ مُشْرِكٍ عَبْدَ الْمَسِيحِ مُقْبَلِ الصُّلْبَانِ» يَعْنِي بِذَلِكَ  
النَّصَارَى، فَالنَّصَارَى لَا يَرَوْنَ الْحِثَّانَ، وَيَتَسَاهَلُونَ جِدًّا فِي النِّجَاسَاتِ، وَلَا يُقِيمُونَ  
لَهَا وَزْنَ، وَالْيَهُودَ عَلَى الْعَكْسِ، الْيَهُودَ يُغْلُونَ جِدًّا فِي النِّجَاسَاتِ، حَتَّى إِنَّهُ عِنْدَهُمْ  
إِذَا تَنَجَّسَ الثَّوْبُ فَلَا يَطْهَرُ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقْرَضَ الْمَحَلَّ الَّذِي أَصَابَتْهُ النِّجَاسَةُ،  
وَالنَّصَارَى بِالْعَكْسِ، يَبُولُ الْإِنْسَانُ عَلَى سِرَاوِيلِهِ وَثَوْبِهِ، وَلَا يَهْمُهُ، وَهَذَا قَالَ:  
(وَكُلَّ أَقْلَفٍ مُشْرِكٍ عَبْدَ الْمَسِيحِ مُقْبَلِ الصُّلْبَانِ).

ومن ضلال النصارى أن الصليب الذي يدعون أن عيسى -عليه السلام- قُتِلَ، ثم صُلبَ عليه مُقدَّسٌ عندهم، ومقتضى العقل أن يكون مُهانًا، فلو كان عندهم عُقول لكانوا إذا رأوا الصليب كَسَرُوهُ، لأنَّ نبيَّهُم صُلبَ عليه، لكن لِجَهْلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَسَفَاهَةِ عُقُولِهِمْ يُقَدِّسُونَ الصليب.

٦٧- وَأَسْأَلُ ثَمُودَ وَعَادَ بَلَّ سَلِّ قَبْلَهُمْ      أَعْدَاءَ نُوحٍ أُمَّةَ الطُّوفَانِ  
٦٨- وَأَسْأَلُ أَبَا الْجِنِّ اللَّعِينِ أَتَعْرِفُ الْخَلْقَ أَمْ أَصْبَحْتَ ذَا نُكْرَانٍ؟

كل هؤلاء لو سألتهم لأقروا بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ، حتى إبليس يسأل رَبَّهُ فيقول: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩]، وَيُقَسِّمُ بَعْرَةَ اللهِ: ﴿فِعْرِكَ لِأَعْيُنِهِمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] فهو يُقَرُّ بالله، وَيُقَرُّ بِعِزَّتِهِ، وَيُقَرُّ بِسُلْطَانِهِ، فَسُكُوتُهُ إِقْرَارٌ، لِأَنَّهُ فِي مَقَامِ آخِرِ كَانِ يَرُدُّ عَلَى مُوسَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٢) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٣٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: أَلَا تَسْتَعِينُونَ (٣٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿ [الشعراء: ٢٣-٢٦] فهل هو مؤمنٌ عند الجَهْمِ؟ الجواب: نعم، مؤمنٌ كامل الإيمان مثل إيمان جبريل. نسأل الله العافية.

قَوْلُهُ: «وَأَسْأَلُ أَبَا الْجِنِّ اللَّعِينِ» الْفَعِيلُ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، يَعْنِي: الْمَلْعُونُ، لِأَنَّ اللهُ قَالَ لَهُ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ [ص: ٧٨] أَي: حَقَّتْ عَلَيْهِ.

٦٩- وَأَسْأَلُ شِرَارَ الْخَلْقِ أَغْنِي أُمَّةً      لُوطِيَّةً هُمْ نَاكِحُوا الذُّكْرَانَ

قَوْلُهُ: «شِرَارَ الْخَلْقِ» أَي: مِنْ حَيْثُ هَذِهِ الْفَعْلَةُ الشَّنِيعَةُ الْقَبِيحَةُ، فَإِنَّهُمَا سَبَقَهُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَهِيَ نِكَاحُ الذُّكْرَانَ، وَتَرَكَ النِّسْوَانَ، وَهَذَا وَبَخَهُمْ نَبِيُّهُمْ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَقَالَ: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ ﴿ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦].

وهم لا يفعلون هذا بمقتضى الشهوة الطبيعية، ولهذا يقول لهم: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦]، وفي آية: ﴿مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

٧٠- وَاسْأَلْ كَذَاكَ إِمَامَ كُلِّ مُعْطَلٍ فِرْعَوْنَ مَعَ قَارُونَ مَعَ هَامَانَ

قَوْلُهُ: «فِرْعَوْنَ مَعَ قَارُونَ مَعَ هَامَانَ» هؤلاء: ثلاثة: أما قارون فهو من قوم موسى -عليه السلام- قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّنَهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] أعطاه الله تعالى أموالاً عظيمة، مَفَاتِحَ هذه الأموال -يعني مفاتيح الخزائن-، تَنُوءُ أي: تَثْقُلُ بالعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ.

وأما هَامَانُ فهو وَزِيرُ فِرْعَوْنَ، وَفِرْعَوْنَ رَأْسُ الْكُفْرَةِ.

اسألهم: هل يؤمنون بالله أو لا يؤمنون؟ الجواب: يؤمنون بالله ويقرّون، لكن كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] حتى إنَّ موسى يقول لِفِرْعَوْنَ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ولم يَقُلْ: (كذبت، ما عَلِمْتُ) بل سَكَتَ مُقِرًّا رَغْمًا عَنِّ أَنْفِهِ.

٧١- هَلْ كَانَ فِيهِمْ مُنْكَرٌ لِلْخَالِقِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ مُكْوَنِ الْأَكْوَانِ

الجواب: لا، إِذْ بَنَى عَلَيْهِ قَوْلَهُ - رحمه الله -:

٧٢- فَلْيُبَشِّرُوا مَا فِيهِمْ مِنْ كَافِرٍ هُمْ عِنْدَ جَهَنَّمَ كَامِلُوا الْإِيمَانِ

هذا مذهب الجَهْمِيَّةِ فِي الْإِيمَانِ، أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ إِقْرَارُ الْقَلْبِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ الْأَكْوَانِ فَقَطْ.

وهل يَزِيدُ، أَوْ يَنْقُصُ؟ الجواب: لا يَزِيدُ، وَلَا يَنْقُصُ، وَهَذَا عِنْدَهُمْ أَتَقَى النَّاسِ، وَأَشَقَى النَّاسِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ فِي الْإِيمَانِ.

وابن القيم - رحمه الله - لم يأت بالأدلة التي تدلُّ على زيادة الإيمان ونقصانه، بل أتى لهم بدليلٍ واقع، لا يمكن إنكاره، وأنهم إن قالوا: (هؤلاء مؤمنون كاملو الإيمان)، كَفَرُوا، وإن قالوا: (إنهم غير مؤمنين) خُصِمُوا.

■ فما هو الإيمان عند أهل السُّنَّة؟

الإيمانُ عند أهل السُّنَّة يشملُ أربعةَ أشياء: الإقرار بالقلب، وقول اللسان، وعَمَل الجوارح، وعمل القلب، وَوَرَدَ عن البعض: أن الإيمان هو القول والعمل فقط.

وهذا لا بأس به، ويُفصّل فيقال: إنَّ مرادهم قول القلب واللسان، وعَمَل القلب واللسان والجوارح، وهذا في (العقيدة الواسطية)<sup>(١)</sup> كذلك، حيث قال: «والدين قول وعمل» ثم فصّل، ودليلهم - والحمد لله - معروفٌ.

أما دخول إقرار القلب بالإيمان فله أدلة منها:

أنَّ النبيَّ - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لَمَّا سألَه جبريل عن الإيمان فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وأما أقوال اللسان، وأفعال الجوارح، وأعمال القلوب، فدَلَّ عليها قولُ النبيِّ ﷺ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شعبةً، أعلاها قول: لا إلهَ إلا اللهُ». وهذا قولُ اللسانِ «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ». وهذا فعل الجوارح «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ

(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص: ١١٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب

الإيمان، باب الإيمان ما هو، رقم (٩).

مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>. وهذه أعمال القلوب.

فقولُ القلبِ يعني: الإقرار، وَعَمَلُهُ يعني: فِعْلُهُ، فَمَثَلًا: (التَّوَكَّلُ) هذا عَمَلٌ، لَأَنَّ الْقَلْبَ يَتَحَرَّكُ، والرجاءُ والخوفُ، وما أشبه ذلك، أما مُجَرَّدُ الإقرار الذي هو التصديق، فهذا عِنْدَهُمْ قولُ القلبِ، فهذا هو الفَرْقُ.

\*\*\*

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم (٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، رقم (٣٥).

## فصل

- ٧٣- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مُعْطَلًا      وَالْفِعْلُ مُتَمَنِّعٌ بِلَا إِمْكَانٍ  
 ٧٤- ثُمَّ اسْتَحَالَ وَصَارَ مَقْدُورًا لَهُ      مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ قَامَ بِالذِّيَّانِ  
 ٧٥- بَلْ حَالُهُ سُبْحَانَهُ فِي ذَاتِهِ      قَبْلَ الْحُدُوثِ وَبَعْدَهُ سَيَّانِ

## الشرح

- ٧٣- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مُعْطَلًا      وَالْفِعْلُ مُتَمَنِّعٌ بِلَا إِمْكَانٍ

الفاعل في قوله: «وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مُعْطَلًا» هو جهمُّ وأتباعه.

وهذا أيضًا من ضلال جهم، حيث يقول: إِنَّ تَسْلُسُلَ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي مستحيل، كما أن تَسْلُسُلَهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ مستحيل، وَيُعَلَّلُ ذَلِكَ بقوله: لو قلنا بجواز التَّسْلُسُلِ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ قَدِيمَانِ مُسْتَوِيَانِ: الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَالصِّفَةُ الَّتِي هِيَ فِعْلُهُ.

وكذلك قال في الآخرة، لا يمكن أن تَتَسْلُسَلَ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ الْحَوَادِثُ مِثْلَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهَا الْآخِرَةُ.

فكان الفعل -على زعمه- في حقِّ الله تعالى مستحيلًا، ثم صار ممكنًا، وهذا لا شكَّ أَنَّهُ نَقْصٌ فِي الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ أَوْلَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ -بَلْ فِعْلُهُ مستحيل- ثم استحال هذا المستحيلُ وصار مُمَكِّنًا، وكذلك يُقَالُ فِي تَسْلُسُلِ الْحَوَادِثِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

فنقول: مهما كان، إذا قلنا: بتسلسل الحوادث فلسننا نقول: بقدّم حادثٍ بعينه، ومعنى قولنا: (التسلسل) أي: ما من مخلوقٍ إلّا وقبّله مخلوق إلى ما لا نهاية.

ونقول: إن الله تعالى مخلوقات قبل السموات والأرض، لكنها غير معلومة لنا عقلاً، ولا منقولة إلينا سمعاً، لأننا نؤمن بأن الله لم يزل فعّالاً، ولا يزال فعّالاً، ثم مهّمًا قدّرت، فإنه لا يمكن أن يساوي المفعول الفاعل، فلا بُدّ من ثلاثة أشياء: فاعل، وفعل، ومفعول.

وأيتهم الأقدم؟ الجواب: الفاعل، ثم كان منه الفعل، ثم كان من الفعل المفعول.

فمهما قلنا بتسلسل الحوادث في الماضي، فلا يمكن أن تكون مساويةً للخالق، فالفاعل لا بُدّ أن يكون سابقاً على الفعل الذي هو وصفه، ثم على المفعول.

هو يقول: لا يمكن قدّم الفعل، ولا قدّم المفعول، لأننا لو قلنا بهذا لزم تساوي الخالق مع المخلوق.

فنقول: هذا من جهلك وسفّحك، فأیّ إنسانٍ عاقلٍ تسألُه: أيّما أسبقُ الفاعل، أو الفعل، أو المفعول؟ سيقول: الفاعل، ولا شكّ.

وعلى كلّ تقدير، فالله تعالى هو «الأوّل الَّذي لیس قبّله شيءٌ»<sup>(١)</sup>. كما قال النبي ﷺ، وهو يقول: لا يمكن.

وقوله هذا يستلزم أن يكون الله -أوّلاً- معطّلاً، لا يمكن أن يفعل، ثمّ فعل،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم

فصار قادرًا، بمعنى أنه أتى زمنٌ على الربِّ عزَّ وجلَّ وهو غيرُ قادرٍ على الفعل، ثم بعد ذلك صار قادرًا على الفعلِ بدونِ سببٍ.

فيقال: أنت الآن وصفت الله بالعجز أولًا، ثمَّ وصفتَه بالقُدرةِ ثانيًا.

فما الذي جعله أولًا عاجزًا، ثمَّ جعله ثانيًا قادرًا؟!، بل نقول: هو قادرٌ على كلِّ شيءٍ في كلِّ وقتٍ، وفي كلِّ حينٍ.

الآن الزمان الذي نحن فيه، والذي لا نَعْلَمُ أوَلَه، أليس يتعاقب؟ فكُلُّ لحظةٍ تَعْقُبُ الأخرى، فَتَسْلُسُلُ هذه الآناتِ والأوقاتِ إلى ما لا نهايةَ له في الأزَل، كذلك فيما يُسْتَقْبَل.

وعلى ذلك نسألُ هذا فنقول له: هل الفعلُ في حقِّ الله قَبْلَ الفعلِ كَمَا لَ أَوْ نَقْصٌ؟

فإن قال: إنه كَمَا لَ، قلنا: إذن الفعلُ ناقصٌ، وإن قال: ناقصٌ، قلنا: خُصِمَتْ، فإذن ليس عاجزًا عن الفعلِ أبدًا في أيِّ لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحْظَاتِ، لا الأَزَلِيَّةِ، وَلَا الأَبَدِيَّةِ.

وأما القول بأنَّ الله تعالى كان قادرًا فَلَمْ يَفْعَلْ -لمقتضى حِكْمَتِهِ- ثُمَّ فَعَلَ ربما نُجَوِّزُهُ، كما قاله بعضُ أهلِ العِلْمِ بأنَّ التَّسْلُسُلَ في الماضي مُتَمَتِّعٌ، ولكن الصحيح أن التَّسْلُسُلَ في الماضي والمستقبلِ جائزٌ، وواجبٌ بإخبارِ الله، فهو جائزٌ عقلاً، لكنه واجبٌ شَرْعًا بِحَسَبِ ما أخبر اللهُ به.

ثمَّ مع ذلك يقول: القُدرةُ ليست وَصْفًا زائدًا عن ذاته، فهو قادرٌ بذاته لا بِقُدرةٍ، لأنه يمنع الصفات، وهذا الكلام لولا أنه ذُكِرَ ما كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا يتصوَّره، فَضَلًّا عن أن يقول به، وَيَعْتَقِدُهُ في رَبِّهِ عزَّ وجلَّ.

٧٤- ثُمَّ اسْتَحَالَ وَصَارَ مَقْدُورًا لَهُ مِنْ غَيْرِ أَمْرِ قَامَ بِالذِّيَّانِ  
 أي: من غير سبب، فما الذي جعله مثلًا قبل نصف ساعة مُستحيلًا، ثم جاء  
 و صار مُمكنًا؟! بل يقول:

٧٥- بَلْ حَالُهُ سُبْحَانُهُ فِي ذَاتِهِ قَبْلَ الْحُدُوثِ وَبَعْدَهُ سَيَّانٍ  
 لأنه لا يرى أن وصفًا يقوم بالله.

\*\*\*

٧٦- وَقَضَى بِأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ وَلَا جَنَّتِ عَدْنٍ، بَلْ هُمَا عَدَمَانِ  
 ٧٧- فَإِذَا هُمَا خُلِقَا لِيَوْمٍ مَعَادِنَا فَهُمَا عَلَى الْأَوْقَاتِ فَاثْنَتَانِ  
 ٧٨- وَتَلَطَّفَ الْعَلَّافُ<sup>(١)</sup> مِنْ أَتْبَاعِهِ فَأَتَى بِضِحْكَةٍ جَاهِلٍ جَّانِ  
 ٧٩- قَالَ: (الْفَنَاءُ يَكُونُ فِي الْحَرَكَاتِ لَا فِي الذَّاتِ)، وَاعْجَبًا لَذَا الْهَدْيَانِ!

## الشرح

يقول: إن الجهم كما منع التسلسل في الماضي منعه في المستقبل، وقد تقدم أن عقيدتنا أنه ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق، إلى ما لا نهاية له، ولا نحيط بذلك علمًا، ونقول: ما من مخلوق إلا وبعده مخلوق، إلى ما لا نهاية له.

فَعَقِيدَتُنَا الْقَوْلُ بِالتَّسْلُسِ مَا ضِيًّا وَمُسْتَقْبَلًا، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ

(١) العلاف: هو محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف العبدي، مولى عبد القيس، من أئمة المعتزلة، وُلد (سنة ١٣٥هـ) بالبصرة، واشتهر بعلم الكلام، وتوفي (سنة ٢٣٥هـ)، إذن عمّر مئة سنة. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٢٩).

إشراك مع الله أبداً، وهم يقولون: التَّسْلُسُ ممنوعٌ في الماضي، وفي المستقبل، فأفعالُ الله في الماضي ليست دائمةً، وأفعاله في المستقبل ليست دائمةً.

وَمِنْ زَلَّاتِهِ وَسَقَطَاتِهِ أَيضاً قوله: الجنة والنار غير موجودتين الآن، وهذا لا شك أنه تكذيبٌ للقرآن والسنة، إذ يُلْزَمُ على قوله هذا أن كل ما أخبر به الرسول ﷺ عن الجنة وما رأى فيها، والنار وما رأى فيها أن كُله كَذِبٌ، أو تَحْيَلَاتٌ خِيَلت للرسول -عليه الصلاة والسلام- وليست بحقيقة.

ويقول أيضاً: إنها تَفْنِيَانِ فيما بعد، وليستَا مُؤَبَّدَتَيْنِ.

٧٦- وَقَضَى بِأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ وَلَا جَنَّاتٍ عَدْنٍ، بَلْ هُمَا عَدَمَانِ

فهما الآن عدمان، لكن متى تُخْلَقَانِ عنده؟ الجواب: تُخْلَقَانِ يومَ القيامة.

٧٧- فَإِذَا هُمَا خُلِقَا لِيَوْمِ مَعَادِنَا فَهُمَا عَلَى الْأَوْقَاتِ فَايِنَتَانِ

يعني حتى إذا خُلِقَا يومَ القيامة فهما يَفْنِيَانِ لا يَبْقِيَانِ، لماذا؟ لأنه يمنع التَّسْلُسُ في الماضي والمستقبل، إذ لا بُدَّ مِنْ نهايةٍ في الأوَّل، وفي الآخر، فليس هناك استمرارٌ لِفاعِلِيَّةِ الرَّبِّ، لا أولاً، ولا آخرًا، فالله عزَّ وجلَّ كان مُعْطَلًا، وسيكون في الآخر مُعْطَلًا.

٧٨- وَتَلَطَّفَ الْعَلَّافُ مِنْ أَتْبَاعِهِ فَآتَى بِضِحْكَهٖ جَاهِلٍ جَبَّانٍ

جاء رجلٌ يقال له (العلاف) وتَلَطَّفَ، فأتى بشيءٍ مُضْحِكٍ.

قَوْلُهُ: «فَاتَى بِضِحْكَهٖ جَاهِلٍ جَبَّانٍ» أي: بِدُونِ عَوْضٍ.

٧٩- قَالَ: (الْفَنَاءُ يَكُونُ فِي الْحَرَكَاتِ لَا فِي الذَّاتِ)، وَاعْجَبًا لِدَا الْهَدْيَانِ!

حيث جاء هذا العَلَّافُ، وهو كَاسِمِهِ (عَلَّافٌ)، وقال: أنا لا أقول بِمَنْعِ التَّسْلُسِ، لكنَّ المَمْنُوعَ تَسْلُسُ الحَرَكَاتِ، أما الأعيانُ فَتَبْقَى، فالجَنَّةُ والنَّارُ تَبْقِيَانِ، وسَاكِنُوهُمَا يَبْقُونَ، لكنَّ حَرَكَاتِهِمْ تَفْنَى.

قَوْلُهُ: «وَاعْجَبًا لِدَا الْهَدْيَانِ!» يعني: اعجب لهذا الهَدْيَانِ.

\*\*\*

اسمع تفسير ابن القيم - رحمه الله - في قوله:

- ٨٠- أَيْصِيرُ أَهْلُ الخُلْدِ فِي جَنَاتِهِمْ وَجَحِيمِهِمْ كَحِجَارَةِ البُنْيَانِ؟!  
 ٨١- مَا حَالُ مَنْ قَدْ كَانَ يَغْشَى أَهْلَهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ تَحْرُكِ الحَيَوَانِ  
 ٨٢- وَكَذَلِكَ مَا حَالُ الَّذِي رَفَعَتْ يَدَا هُ أَكْلَةً مِنْ صَحْفَةٍ وَخِوَانِ  
 ٨٣- فَتَنَاهَتْ الحَرَكَاتُ قَبْلَ وُصُولِهَا لِلْفَمِّ عِنْدَ تَفْتِيحِ الأَسْنَانِ  
 ٨٤- وَكَذَلِكَ مَا حَالُ الَّذِي امْتَدَّتْ يَدُّ مِنْهُ إِلَى قِنُومٍ مِنَ القِنُوَانِ  
 ٨٥- فَتَنَاهَتْ الحَرَكَاتُ قَبْلَ الأَخْذِ هَلْ يَبْقَى كَذَلِكَ سَائِرُ الأَزْمَانِ  
 ٨٦- تَبَّ لِهَا تَيْكَ العُقُولِ فَإِنَّهَا وَاللهِ قَدْ مُسِخَتْ عَلَى الأَبْدَانِ  
 ٨٧- تَبَّ لِمَنْ أَضْحَى يُقَدِّمُهَا عَلَى النَّارِ وَالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

### الشرح

يقول على مذهبِ العَلَّافِ المُضْحِكِ:

- ٨٠- أَيْصِيرُ أَهْلُ الخُلْدِ فِي جَنَاتِهِمْ وَجَحِيمِهِمْ كَحِجَارَةِ البُنْيَانِ!؟

إذا قلنا: إِنَّ الحَرَكَاتِ تَفْنَى والذَوَاتِ تَبْقَى، يَبْقَى أَهْلُ الجَنَّةِ كالأحجار، وأهل النار كالأحجار، لا يتحركون، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتكلمون، لماذا؟ لأنَّ المُحَال هو أَبَدِيَّةُ الحَرَكَاتِ، أما الذواتُ فلا يَمْتنع.

٨١- مَا حَالُ مَنْ قَدْ كَانَ يَغْشَى أَهْلَهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ تَحَرُّكِ الْحَيَوَانَ  
ما حال مَنْ كان على زوجته، أو على حُورِيَّةٍ مِنَ الحُورِ العِينِ؟ الجواب: فإنه يبقى عليها دائماً وأبداً متطابقين إلى ما لا نهاية له، وذلك على مَذْهَبِهِ.

ويقول:

٨٢- وَكَذَلِكَ مَا حَالُ الَّذِي رَفَعَتْ يَدَا هُ أَكْلَةً مِنْ صَحْفَةٍ وَخِوَانِ  
ما حال مَنْ أَخَذَ الأَكْلَةَ وَرَفَعَهَا؟ تبقى يده هكذا دائماً وأبداً، والأكْلَةُ بِيَدِهِ دائماً، وذلك لانقطاع الحركات.

٨٣- فَتَنَاهَتْ الحَرَكَاتُ قَبْلَ وُصُولِهَا لِلْفَمِّ عِنْدَ تَفْتِيحِ الأَسْنَانِ  
الفَمُّ مَفْتُوحٌ الآنَ، يَرْتَقِبُ وُصُولَ اللُّقْمَةِ، لكن الشكوى لله.

انقطعت الحركات، فَبَقِيَتِ اليَدُ مع مَأْكُولِهَا مَرْفُوعَةً، والفمُّ مَفْتُوحًا إلى أَبَدِ الأَبْدِينِ، سبحان الله!

٨٤- وَكَذَلِكَ مَا حَالُ الَّذِي امْتَدَّتْ يَدٌ مِنْهُ إِلَى قِنُومٍ مِنَ القِنُومَانِ

٨٥- فَتَنَاهَتْ الحَرَكَاتُ قَبْلَ الأَخْذِ هَلْ يَبْقَى كَذَلِكَ سَائِرَ الأَزْمَانِ

الجواب: نعم يبقى، وهو رافعٌ يَدَيْهِ يأخذُ الثَّمَرَةَ، فانتَهت الحَرَكَاتُ، فيبقى على هذا أبد الأبدِينِ.

قَوْلُهُ: «إِلَى قِنُومٍ مِنَ الْقِنُونِ» أَي: إِلَى الثَّمَرِ.

٨٦- تَبَّالِهَا تَيْكَ الْعُقُولِ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ قَدْ مُسِخَتْ عَلَى الْأَبْدَانِ

وَصَدَقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِذْ كَيْفَ يَجْرُؤُ عَالِمٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَقُولَ هَذَا فِي حَقِّ اللَّهِ، أَوْ فِي حَقِّ عِبَادِ اللَّهِ؟! حَتَّى أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ بِالنَّارِ عِنْدَمَا يُرْفَعُ السَّوْطُ لِضَرْبِهِمْ، وَتَنْتَهِي الْحَرَكَاتُ فَيَقْفُ.

وَقَوْلُهُ: «مُسِخَتْ عَلَى الْأَبْدَانِ» يَعْنِي: أُزِيلَتْ مِنَ الْأَبْدَانِ، أَبْدَانِ بِلَا عُقُولٍ، وَيَأْتِيهِمْ رَضُوا بِهِذِهِ الْعُقُولِ السَّخِيفَةِ، فَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

٨٧- تَبَّا لِمَنْ أَضْحَى يُقَدِّمُهَا عَلَى الْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «الْآثَارِ» مَا رُوِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ.

قَوْلُهُ: «الْأَخْبَارِ» أَي: عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: «الْقُرْآنِ» كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدَّمَ الْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنْ أَجْلِ الرَّوِيِّ<sup>(١)</sup>، كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّمَ هَارُونَ عَلَى مُوسَى فِي سُورَةِ طه مِنْ أَجْلِ تَنَاسُبِ الْآيَاتِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠]، وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٢] فَالتَّنَاسُبُ أَمْرٌ يُسَوِّغُ شَيْئًا لَا يَنْبَغِي فِي حَالِ عَدَمِ الْمُنَاسَبَةِ.

وَالْخِلَاصَةُ: أَنَّ الْجَهْمَ بْنَ صَفْوَانَ يَمْنَعُ التَّسْلُسُلَ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَيَقُولُ: تَفَنَّى النَّارُ بِمَنْ فِيهَا، وَالْجَنَّةُ بِمَنْ فِيهَا.

(١) الروي هو آخر حرف صحيح في البيت، وعليه تُبنى القصيدة، وإليه تُتَّسَّب، فيقال: قصيدة ميمية، أو ثونية، أو عينية، إذا كان الروي فيها ميمًا، أو ثونًا، أو عينًا. انظر: علم العروض والقافية، لعبد العزيز عتيق (ص: ١٣٦).

وأما العَلَّاف فتَلَطَّف ليكون وَسَطًا - على زعمه - بين أَهْلِ السُّنَّةِ والجَهْمِيَّةِ،  
وقال: لا نقول كما تقول الجَهْمِيَّةِ في فَنَاءِ الذَّوَاتِ والحركات، ولا نقول بِبَقَاءِ  
الحَرَكَاتِ والذَّوَاتِ، كما قال أَهْلُ السُّنَّةِ، ولكن نكون وَسَطًا بينهما، فنقول: تَفَنَى  
الحركاتُ دُونَ الذواتِ.

\*\*\*

## فصل

- ٨٨- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ<sup>(١)</sup> خَلْقَهُ عَدَمًا وَيَقْلِبُهُ وُجُودًا ثَانِيًا
- ٨٩- الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ وَالْأَرْوَاحُ وَالْأَمْلاكُ وَالْأَفْلاكُ وَالْقَمَرَانِ
- ٩٠- وَالْأَرْضُ وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ مِنْ عَرْضٍ وَمِنْ جُثْمَانِ
- ٩١- كُلُّ سَيْفِيهِ الْفَنَاءُ الْمَحْضُ لَا يَبْقَى لَهُ أَنْتَرٌ كَظِلٍّ فَا نِي
- ٩٢- وَيُعِيدُ ذَا الْمَعْدُومِ أَيْضًا ثَانِيًا مَحْضَ الْوُجُودِ إِعَادَةً بِزَمَانِ

## الشرح

وهذا أيضًا من ضلاله، إذ يقول: إن الله تعالى يُعِدُّمُ الخلق كله عَدَمًا مَحْضًا، فإذا كان يومُ القيامةِ أنشأه من جديد، وعلى هذا فالذي يُنعم ويُعذب ليس بني آدم الموجودين، لأن بني آدم الموجودين يُعَدَمُونَ عَدَمًا مَحْضًا، ولا يُمكنُ أن يُعادُوا، ولكن الله يُنشئُ أقبوامًا آخرين.

والسماواتُ والأرضُ تُعَدَمُ نهائيًا، ولا يَبْقَى لها في الوجود أثر، ثم يُخلق الله أرضًا ثانية، وسَمَاءً ثانيةً، وشمسًا ثانيةً، وقمرًا ثانيًا.

فالجنة والنار - من الأصل - غير مَوْجُودَتَيْنِ عنده، ولهذا ما تكلم عليهما ابن القيم، وَتَكَلَّمَ على ما هو موجود الآن، فهذا الموجود يُعَدَمُ عَدَمًا مَحْضًا، ثم يُؤتى

(١) في مطبوعة الهراس وبعض النسخ: «يعدم» والأصل أولى.

بِدَلِهِ، وَكُلُّ هَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَصْلِهِ الْحَبِيثِ، وَهُوَ عَدَمُ التَّسْلُسِ، ثُمَّ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:  
 ٨٨- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ خَلْقَهُ عَدَمًا وَيَقْلِبُهُ وُجُودًا ثَانِيًا  
 قَوْلُهُ: «عَدَمًا» أَي: عَدَمًا مَحْضًا.

وَقَوْلُهُ: «وُجُودًا ثَانِيًا» أَصْلُهُ أَنْ يُقَالَ: (وُجُودًا ثَانِيًا)، لَكِنْ أَجَاءَتْهُ ضَرُورَةٌ  
 النَّظْمِ. إِلَى ذَلِكَ.

٨٩- الْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَالْأَرْوَاحُ وَالْأَمْلاكُ وَالْأَفلاكُ وَالْقَمَرَانِ  
 ٩٠- وَالْأَرْضُ وَالْبَحْرُ الْمُحِيطُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ مِنَ الْعَرَضِ وَمِنْ جُثْمَانِ  
 قَوْلُهُ: «الْقَمَرَانِ» يَعْنِي: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

قَوْلُهُ: «مِنْ عَرَضٍ، وَمِنْ جُثْمَانٍ» (الْعَرَضُ): الْأَوْصَافُ، وَ(الْجُثْمَانُ):  
 الْأَجْسَادُ.

٩١- كُلُّ سَيْفِينِهِ الْفَنَاءُ الْمَحْضُ لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ كَظِلٍّ فَا نِي  
 قَوْلُهُ: «الْمَحْضُ» يَعْنِي: الْكَامِلُ.  
 وَقَوْلُهُ: «كَظِلٌّ» يَعْنِي: طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَأَفْتَتَهُ.

٩٢- وَيُعِيدُ ذَا الْمَعْدُومِ أَيْضًا ثَانِيًا مَحْضَ الْوُجُودِ إِعَادَةً بِزَمَانٍ  
 قَوْلُهُ: «إِعَادَةً بِزَمَانٍ» يَعْنِي: يَأْتِي بِدَلِهِمْ نِهَائِيًا، وَعَلَى هَذَا فَمَنْ اسْتَحَقَّ الثَّوَابَ  
 فِي الدُّنْيَا لَا يُثَابُ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّ غَيْرَهُ يُثَابُ، وَمَنْ اسْتَحَقَّ الْعِقَابَ لَا يُعَاقَبُ، بَلْ  
 يُعَاقَبُ غَيْرُهُ! فَهَنِيئًا لِأَهْلِ الْمَعَاصِي أَنَّهُمْ لَا يُعَاقَبُونَ، حَيْثُ يُنْشِئُ اللَّهُ أَقْوَامًا  
 آخِرِينَ، وَحُجَّتُهُ بَاطِلَةٌ بِلَا شَكٍّ.

يقول: لَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ويقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

ف نقول: هذا مِنْ زَيْغِكَ، وهذه الآية - وإن كانت مُشْتَبِهَةً - فهناك آياتٌ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَفْسَ الْمَخْلُوقِ يُعَادُ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وهو - سبحانه وتعالى - يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ، لَكِنْ إِبْدَالٌ صِفَةٍ، لَا إِبْدَالٌ عَيْنٍ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥] أَيْ جِبَالٍ هِيَ مَوْجُودَةٌ، أَوْ مَعْدُومَةٌ؟ الْجَوَابُ: مَوْجُودَةٌ ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وَقَالَ فِي السَّمَوَاتِ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩] فهذا تَبْدِيلٌ، لِأَنَّهَا الْآنَ لَا تَمُورُ، ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾ [المعارج: ٨] وَهِيَ الْآنَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَالْإِعَادَةُ إِعَادَةُ صِفَةٍ، لَا إِعَادَةَ عَيْنٍ.

خلاصة هذا البحث: أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ - وَهُوَ الْجَهْمُ - زَعَمَ أَنَّ الْمَعَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ لِهَذِهِ الْأَجْسَامِ، وَأَنَّ هَذَا الْخَلْقَ الْمَوْجُودَ الْمَشَاهِدَ الْآنَ يَفْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنَاءً كَامِلًا، وَلَا يَوْجُدُ مِنْهُ شَيْءٌ أَبَدًا كَالظَّلِّ تَنْسَخُهُ الشَّمْسُ، هَلْ يَبْقَى ظِلًّا؟

الجواب: لَا يَبْقَى شَيْءٌ، ثُمَّ يُعِيدُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلْقَ مِنْ جَدِيدٍ، فَيُعِيدُ الْحَيَوَانَ، وَالْإِنْسَانَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالْوُحُوشَ، وَهَكَذَا.

أَيْضًا السَّمَوَاتُ يُعِيدُهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَالْأَرْضُ يُعِيدُهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَالْكَوَاكِبُ يُعِيدُهَا مِنْ جَدِيدٍ، فَكُلُّ شَيْءٍ يُعَادُ مِنْ جَدِيدٍ، لِمَاذَا؟ قَالَ: لِأَنَّ هَذَا هُوَ مَعْنَى التَّبْدِيلِ، فَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ: أَبَدَلْ لِي هَذِهِ الْحَقِيَّةَ بِهَذَا الْكِتَابِ، فَالْحَقِيَّةُ تَنْتَقِلُ مِنِّي إِلَيْكَ، وَالْكِتَابُ يَنْتَقِلُ مِنْكَ إِلَيَّ، فَالْبَدِيلُ غَيْرُ الْمُبْدَلِ مِنْهُ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

ولا شكَّ أنَّ هذا القول باطلٌ، والتبديل الذي ذكَّره اللهُ عزَّ وجلَّ ليس تبديلاً ذات بذات، لكنه تبديلٌ وصفٍ بوصفٍ، واستشهد المؤلفُ لذلك بقوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] قال: إِنَّ الْجِلْدَ بَاقٍ، لكنه نَضِجَ مِنَ النَّارِ ﴿كَمَا نَضِجَتِ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، فَهِيَ لَمَّا نَضِجَتْ نَشَأَتْ مِنْ جَدِيدٍ، وَهِيَ هِيَ.

واستدلَّ أيضًا بأنَّ الله تعالى يطوي السموات، ويَطْوِي الأَرْضِينَ، وَالطَّيِّئُ للمعدوم غيرُ مُمَكِّن، واستدلَّ أيضًا بأنه لو كان خَلْقًا جَدِيدًا لَعَذَّبَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ العَذَابَ، وَنَجَا مَنْ يَسْتَحِقُّ العَذَابَ، لِأَنَّ هَذَا الكَافِرَ عُدِمَ نِهَائِيًّا، وَجَاءَ كَافِرًا جَدِيدًا بَدَلًا مِنْهُ، وَعَذَّبْنَا هَذَا الكَافِرَ.

وهذا غير معقول، ولا يمكن أن الله عزَّ وجلَّ يخلق أقوامًا يُعَذِّبُهُمْ، وَأَقْوَامًا يُنَعِّمُهُمْ بِدُونِ أَيِّ عَمَلٍ.

\*\*\*

- ٩٣- هَذَا الْمَعَادُ وَذَلِكَ الْمَبْدَأُ لَدَى جَهَنَّمَ، وَقَدْ نَسَبُوهُ لِلْقُرْآنِ  
 ٩٤- هَذَا الَّذِي قَادَ ابْنَ سَيْنَا<sup>(١)</sup> وَالْأُلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ إِلَى الْكُفْرَانِ  
 ٩٥- لَمْ تَقْبَلِ الْأَذْهَانَ ذَا وَتَوَهَّمُوا أَنَّ الرَّسُولَ عَنَاهُ بِالْإِيمَانِ  
 ٩٦- هَذَا كِتَابُ اللَّهِ أَنَّى قَالَ ذَا أَوْ عَبْدُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْبُرْهَانِ

(١) ابن سينا: هو الحسين بن عبد الله بن سينا، فيلسوف، له تصانيف في الطبِّ وغيره، كان من أهل دعوة الحاكم العبيدي، معروفًا بالإلحاد، وُلِدَ فِي إِحْدَى قُرَى بُخَارَى (سنة ٣٧٠)، وَتَوَفَّى فِي سَفَرِهِ إِلَى هَمْدَانَ (سنة ٤٢٨)، وَكَانَ يُلقَّبُ الْمُعَلِّمَ الثَّالِثَ لِلْفَلَسَفَةِ، وَسَيُذَكَّرُ الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ لَهُ لِأَحْقَاقٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٣١).

٩٧- أَوْ صَحْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ تَابِعٌ لَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

### الشرح

٩٣- هَذَا الْمَعَادُ وَذَلِكَ الْمَبْدَأُ لَدَى جَهَنَّمَ، وَقَدْ نَسَبُوهُ لِلْقُرْآنِ

٩٤- هَذَا الَّذِي قَادَ ابْنَ سِينَا وَالْأُلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ إِلَى الْكُفْرَانِ

يقول - رحمه الله تعالى -: إنَّ هذا المبدأ والمعاد عند جَهَنَّمَ ليس هناك تَسْلُسُلٌ، لا في الماضي، ولا في المستقبل، وذكر أنَّ هذا هو الذي قَادَ ابْنَ سِينَا وَالْأُلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ إِلَى الْكُفْرَانِ، وهذا صريحٌ في أنَّ ابْنَ سِينَا كَافِرٌ، وهو عند بعض أَقْوَامِنَا مِنْ أَبْرَزِ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ، وَيُقَدِّسُونَهُ، وربما يُسَمُّونَ بعضَ المدارس باسمه، وهذا مِنَ الْجَهْلِ، ولا أَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ وَصَلَ فِي فِلْسَفَتِهِ وَطَبَّهِ إِلَى الْكُفْرِ، ولو عَلِمُوا بِذَلِكَ مَا رَضُوا، فَمَا رَضُوا أَنْ يُقَدَّسَ، ولا أَنْ تَكُونَ الْمَدْرَاسُ بِاسْمِهِ.

المهم أنَّ ابن القيم - رحمه الله - صرَّحَ بأنه كافر، وكذلك شَيْخُهُ ابن تيمية - رحمه الله - صرَّحَ بأنَّ ابن سينا المُقَدَّسَ عند الْعَرَبِ كَافِرٌ، نَسَأَلَ اللهُ الْعَافِيَةَ.

فالذي يُنْكِرُ الْمَعَادَ الْجُثْتَانِي لَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ، وَقَوْلُهُ هَذَا كَلَامُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَ عَنْهُ مِنْ أَنَّهُ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَإِنَّ ثَبْتَ هَذَا بِسِنْدٍ صَحِيحٍ، نَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّهُ تَابَ فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَالْأَصْلُ بَقَاءُ مَا كَانَ عَلَى مَا كَانَ.

٩٥- لَمْ تَقْبَلِ الْأَذْهَانَ ذَا وَتَوَهَّمُوا أَنَّ الرَّسُولَ عَنَاهُ بِالْإِيمَانِ

فَأَذْهَابُهُمْ مَا قَبِلَتْ هَذَا، وَلَا رَضِيَتْ بِهِ، وَظَنُّوا أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي عَنَاهُ الرَّسُولُ ﷺ، يَعْنِي: لَمْ تَقْبَلِ التَّسْلُسُلَ، وَظَنُّوا أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي عَنَاهُ الرَّسُولُ

- صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، بقوله: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup>.

فيقول -رحمه الله-: أرونا إذا كان الرسول ﷺ جاء به.

٩٦- هَذَا كِتَابُ اللَّهِ أَنْبَى قَالَ ذَا أَوْ عَبْدُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْبُرْهَانِ

٩٧- أَوْ صَحْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ تَابِعٌ لَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «الْبُرْهَانِ» أَي السُّنَّةِ.

قَوْلُهُ: «أَوْ صَحْبُهُ» أَي: أقوال الصحابة مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ تَابِعٍ لَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، فَكُلُّهُمْ لَمْ يَقُولُوا بِهَذَا الْقَوْلِ، فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ وَاهِمٌ أَنَّ هَذَا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؟!

\*\*\*

٩٨- بَلْ صَرَّحَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِأَنَّهُ حَقًّا مُغَيَّرٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

٩٩- فَيَدُلُّ اللَّهُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضَ أَيْضًا، ذَانَ تَبْدِيلَانِ

١٠٠- وَهُمَا كَتَبَدِيلِ الْجُلُودِ لِسَاكِنِي النَّوْءِ نِيرَانٍ عِنْدَ النَّضْجِ مِنْ نِيرَانِ

١٠١- وَكَذَلِكَ يَقْبِضُ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ بِيَدَيْهِ مَا الْعَدَمَانِ مَقْبُوضَانِ

١٠٢- وَتُحَدِّثُ الْأَرْضُ الَّتِي كُنَّا بِهَا أَخْبَارَهَا فِي الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ

١٠٣- وَتَظَلُّ تَشْهَدُ وَهِيَ عَدْلٌ بِالَّذِي مِنْ فَوْقِهَا قَدْ أَحَدَتْ الثَّقَلَانِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٢٧١٣).

١٠٤- أَفَيْشَهُدُ الْعَدَمَ الَّذِي هُوَ كاسِمِهِ لَا شَيْءَ، هَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

### الشرح

٩٨- بَلْ صَرَّحَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِأَنَّهُ حَقًّا مُغَيَّرٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

بَيَّنَّ - رحمه الله - في هذه المقطوعة أَنَّ الْوَحْيَ الْمُبِينَ يَعْنِي: الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ (بأنه حَقًّا مُغَيَّرٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ)، وَلَيْسَ يَأْتِي بِأَكْوَانٍ أُخْرَى، كَمَا قَالَ الْجَهْمُ، بَلْ إِنَّهُ يُغَيَّرُهَا.

٩٩- فَيَبْدُلُ اللَّهُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضَ أَيْضًا، ذَانِ تَبْدِيلَانَ

قَوْلُهُ: «ذَانِ تَبْدِيلَانَ» أَحَدُهُمَا: لِلسَّمَاءِ، وَالثَّانِي: لِلْأَرْضِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

لكن هل هذا التبديل بمعنى التغيير، أو بمعنى إيجاد أرضٍ أُخْرَى، وَسَمَاءٍ أُخْرَى؟

الجواب: الأول، لأنه لو كانت أرضًا جديدةً وَسَمَاءً جديدةً مَا صَحَّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا بُدِّلَتْ، لِأَنَّ الْأَرْضَ الْجَدِيدَةَ غَيْرُ الْأُولَى، وَالسَّمَاءَ الْجَدِيدَةَ غَيْرُ الْأُولَى، فَكَيْفَ يَقُولُ: اللَّهُ يَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، ثُمَّ نَقُولُ: هَذِهِ أَرْضٌ جَدِيدَةٌ، وَهَذِهِ سَمَاءٌ جَدِيدَةٌ؟! هَذَا لَا يُمْكِنُ.

إِذْ نُ التَّبْدِيلُ يَكُونُ تَبْدِيلَ صِفَةٍ، أَيْ: تَتَغَيَّرُ الصِّفَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ⑧ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٨-٩].

والأرض يبدلها الله عز وجل فتكون قاعاً صَفْصَفاً، لا ترى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا<sup>(١)</sup>.

ولما قيل لبعض الناس: كيف يصحُّ أن ندعو للمرأة ونحن نصلي عليها: «اللَّهُمَّ أَبْدِلْهَا زَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهَا»<sup>(٢)</sup>. والله يقول في القرآن: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، ويقول عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَسَتَعْبِرُونَ لِالَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [غافر: ٧-٨]؟

والجواب عن هذا: أن المراد إبدال صفاته لا إبدال ذاته، لأن الزوج في الدنيا قد يكون مسيئاً إلى زوجته غاية الإساءة، ومتعباً لها، فنسأل الله أن يبدلها بزواج غير زوجها من حيث الصفات، وهذا جواب واضح.

يقول:

١٠٠- وَهُمَا كَتَبَدِيلِ الْجُلُودِ لِسَاكِنِي النَّارِ نِيرَانٍ عِنْدَ النَّضْجِ مِنْ نِيرَانِ أَهْلِ النَّارِ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - تَنْضُجُ جُلُودُهُمْ، وَلَا يَبْقَى فِيهَا إِحْسَاسٌ مِنَ الْعَذَابِ، لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا نَضِجَ لَا يُحْسُ بِالنَّارِ، فَإِذَا نَضِجَتْ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - أُعِيدَتْ نَفْسُ الْجُلُودِ، فَتَدْبُّ فِيهَا الْحَيَاةَ مِنْ جَدِيدٍ ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ.

(١) أي: لا انخفاص فيها، ولا ارتفاع. التاج: أمت.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة، رقم (٩٦٣).

وليس المعنى أَنَّ الْجُلُودَ الْأُولَى تَنْفَسِحْ، ثم يُخْلَقُ جِلْدٌ جَدِيدٌ، لا، بَلِ الْمَعْنَى أَنَّ الْجِلْدَ الْأَوَّلَ الَّذِي نَضِجَ مِنَ النَّارِ حَتَّى صَارَ لَا يُحْسُ يُبَدَّلُ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يُعَادُ وَصَفُهُ، لَا ذَاتَهُ، لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ.

وقوله تعالى: ﴿كَلِمًا﴾ يُفِيدُ التَّكْرَارَ، وَأَنَّ هَذَا دَائِبُهُمْ أَبَدًا.

١٠١- وَكَذَلِكَ يَقْبِضُ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ بِيَدَيْهِ مَا الْعَدَمَانِ مَقْبُوضَانِ

وهذا صحيح، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ [الزمر: ٦٧].

لو كانت عُدِمَتِ الْأَرْضُ الْأُولَى، وَجِيءَ بِأُخْرَى مَا صَارَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي أَشَارَ اللَّهُ إِلَيْهَا قَبْضَةً لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ: (مَا الْعَدَمَانِ مَقْبُوضَانِ).

وَقَوْلُهُ: «مَا الْعَدَمَانِ مَقْبُوضَانِ» وَهَذَا مِنْ حَيْثُ الْإِعْرَابُ فِيهِ إِشْكَالٌ، وَهُوَ أَنَّ (مَا) فِي هَذَا السِّيَاقِ تَعْمَلُ تَعْمَلُ (لَيْسَ)، تَرْفَعُ الْاسْمَ، وَتَنْصِبُ الْحَبْرَ، فَكَيْفَ نُجِيبُ عَنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنْ شَيْخٍ عَالِمٍ بِالْعَرَبِيَّةِ؟

إِنْ قُلْتَ: جَرَى عَلَى لُغَةِ (تَمِيمِ)، فَلَا يَصِحُّ، لِأَنَّ اللُّغَاتَ تَغَيَّرَتْ، وَلَا يُقْبَلُ بَعْدَ تَغْيِيرِ اللُّغَاتِ مِنْ أَحَدٍ يَلْحَنُ، فَيَقُولُ: أَنَا عَلَى لُغَةِ تَمِيمِ، أَوْ عَلَى لُغَةِ جُشَمِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ عَلَى لُغَةِ مَنْ يُلْزَمُ الْمُثْنَى الْأَلْفَ مُطْلَقًا، فَلَنَا أَيْضًا: هَذَا غَيْرُ مَقْبُولٍ، لِأَنَّهُ بَعْدَ تَغْيِيرِ اللُّغَةِ لَا يُقْبَلُ لِأَحَدٍ يَخَالِفُ لُغَةَ قَرِيشٍ.

وَإِنْ قُلْتَ: الضَّرُورَةُ! فَالْجَوَابُ: نَعَمْ، لِلضَّرُورَةِ.

١٠٢- وَتُحَدِّثُ الْأَرْضُ الَّتِي كُنَّا بِهَا أَخْبَارَهَا فِي الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «كُنَّا بِهَا» الباء بمعنى (في)، أو بمعنى (على)، أي: كُنَّا عَلَيْهَا، أو فِيهَا.

١٠٣- وَتَظَلُّ تَشْهَدُ وَهِيَ عَدْلٌ بِالَّذِي مِنْ فَوْقَهَا قَدْ أَحَدَثَ الثَّقَلَانِ

الله أكبر! جَمَادٌ وَيُوصَفُ بِأَنَّهُ عَدْلٌ، يعني: مقبول الشَّهادة، فالأَرْضُ التي

نحن عليها الآن تَشْهَدُ علينا بما عَمَلْنَا، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۗ﴾ (٤: الزلزلة: ٤-٥) أَوْحَى أَنْ تُحَدِّثَ أَخْبَارَهَا فتقول: عَمِلَ عَلَيَّ فُلَانٌ كَذَا فِي يَوْمِ كَذَا، تقول ذلك وهي جَمَادٌ.

لكن لا تستغرب يا أخي! إذا أَمَرَ اللهُ شَيْئًا امْتَثِلْ لِمَا قَالَ، قال تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْتِنَا طَائِعِينَ ۗ﴾ [فصلت: ١١] فلا تستغرب أَنَّ الله يقول يوم القيامة للأرض: اشهدي، فتشْهَدُ بما عَمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

إن كنت في أقصى حُجْرَةٍ مُظْلِمَةٍ، فَإِنَّ الْأَرْضَ سَوْفَ تَشْهَدُ عَلَيْكَ بِمَا عَمِلْتَ، جِلْدُكَ يَشْهَدُ عَلَيْكَ، يَدَاكَ، رِجْلَاكَ تَشْهَدُ عَلَيْكَ، الملائكة الكرام يشهدون، ربُّ العالمين - وكفى به شهيداً - يشهد كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧] فليس هناك مَفْرُؤٌ.

١٠٤- أَفَيْشْهَدُ الْعَدَمَ الَّذِي هُوَ كَاسْمِهِ لَا شَيْءَ، هَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «أَفَيْشْهَدُ الْعَدَمَ الَّذِي هُوَ كَاسْمِهِ؟» الجواب: لا.

إذا كانت هذه الأرض سوف تُعَدَمُ وَيُؤْتَى بِأَرْضٍ جَدِيدَةٍ كَيْفَ تَشْهَدُ؟!

ولذا قال: «لَا شَيْءَ، هَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ»، فالأدلة - والحمد لله - واضحةٌ على

بُطْلَانِ هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِعَادَةٌ لِمَا قَدْ وُجِدَ، وَإِنَّمَا يُحَدِّثُ شَيْءٌ آخَرَ مَعْلُومٌ.

ولذا يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُاَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: ٢٧] أي: نفس الخلق، لكن ابن القيم - رحمه الله - يُكثِرُ مِنَ الْأَدْلَةِ حَتَّى يَرَسِّخَ الْحُكْمَ فِي الذَّهْنِ.

\*\*\*

- ١٠٥- لَكِنْ تُسَوَّى ثُمَّ تُبْسَطُ ثُمَّ تَشْهَدُ هَدُّ ثُمَّ تُبَدَّلُ وَهِيَ ذَاتُ كِيَانٍ  
 ١٠٦- وَتُعَدُّ أَيْضًا مِثْلَ مَدِّ أَدِيمِنَا مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانٍ  
 ١٠٧- وَتَقِيءُ يَوْمَ الْعَرْضِ مِنْ أَكْبَادِهَا<sup>(١)</sup> كَالْأَسْطُورَانِ نَفَائِسِ الْأَنْهَامِ  
 ١٠٨- كُلُّ يَرَاهُ بِعَيْنِهِ وَعَيَانِهِ مَا لِامْرِئٍ بِالْأَخْذِ مِنْهُ يَدَانِ  
 ١٠٩- وَكَذَا الْجِبَالُ نَفَتْ فَتًا مُحْكَمًا فَتَعُودُ مِثْلَ الرَّمْلِ ذِي الْكُتْبَانِ  
 ١١٠- وَتَكُونُ كَالْعِهْنِ الَّذِي أَلْوَانُهُ وَصِبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ  
 ١١١- وَتُبَسَّ بِسَاءٍ مِثْلَ ذَلِكَ فَتَنْشِي مِثْلَ الْهَبَاءِ لِنَاطِرِ الْإِنْسَانِ

### الشرح

يقول - رحمه الله -:

- ١٠٥- لَكِنْ تُسَوَّى ثُمَّ تُبْسَطُ ثُمَّ تَشْهَدُ هَدُّ ثُمَّ تُبَدَّلُ وَهِيَ ذَاتُ كِيَانٍ

قوله: «لَكِنْ تُسَوَّى» يعني: الأرض، يُسَوِّيها عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: «ثُمَّ تُبْسَطُ، ثُمَّ تَشْهَدُ، ثُمَّ تُبَدَّلُ وَهِيَ ذَاتُ كِيَانٍ»، المؤلف يريد أن

يُكْرِّرَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ هِيَ الْأَرْضُ، لَكِنَّا نَبَدِّلُ بِصِفَاتِهَا.

(١) في نسخة الحلبي «ذَا أَكْبَادِهَا».

١٠٦- وَتُمَدُّ أَيْضًا مِثْلَ مَدِّ أَدِيمِنَا مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانٍ  
قَوْلُهُ: «أَدِيمِنَا» الأديم هو الجلد.

قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانٍ» الأودية: مجاري للماء، والكتبان: الشيء العالي.

١٠٧- وَتَقِيءُ يَوْمَ الْعَرَضِ مِنْ أَكْبَادِهَا كَالْأُسْطُوَانِ نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ  
قَوْلُهُ: «تَقِيءُ» يعني: يخرج منها كما يخرج القيء من الفم.

وَقَوْلُهُ: «وَتَقِيءُ مِنْ أَكْبَادِهَا كَالْأُسْطُوَانِ نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ» الأثمان النفيسة: الذهب، تَقِيئُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ولكن لا نَعْلَمُ كَيْفَ ذَلِكَ؟ إِنَّمَا نَشْهَدُ بِأَنَّهَا كَالَّذِي يَتَقَيءُ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا هَذَا الذَّهَبُ مِثْلَ الْأُسْطُوَانِ، وَلَعَلَّ هَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ أَجْلِ أَنَّ بَقِيَّةَ الْأَرْضِ مَعْدِنٌ، وَأَنْفُسُ الْمَعَادِنِ هِيَ الذَّهَبُ.

١٠٨- كُلُّ يَرَاهُ بِعَيْنِهِ وَعَيَانِهِ مَا لِأَمْرِي بِالْأَخْذِ مِنْهُ يَدَانِ  
قَوْلُهُ: «عينه» أي: العين الباصرة.

قَوْلُهُ: «عيانه» أي معاينته، يعني أنه يراه بعينٍ تُبْصِرُ وتَرَى، وكم من عَيْنٍ لَا تُعَايِنُ!

قَوْلُهُ: «مَا لِأَمْرِي بِالْأَخْذِ مِنْهُ يَدَانِ» هذا الذهب الذي يخرج من الأرض كالقيء لا يستطيع أحد أن يأخذه، لأنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِيهِ تَصَرُّفٌ، فَالْإِنْسَانُ لَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَمَا يَشَاءُ، فَهَمُّ مُدَبَّرُونَ تَمَامًا، لَا خِيَارَ لَهُمْ، فَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْلِسَ لِيَسْتَرِيحَ، وَلَا أَحَدٌ يَتَّقِي بِأَحَدٍ، وَلَا أَحَدٌ يَأْخُذُ مِنْ هَذَا الذَّهَبِ، لِأَنَّهُ لَا خِيَارَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

١٠٩- وَكَذَا الْجِبَالُ تُفْتَتَّى فَتَا مُحْكَمَاً فَتَعُودُ مِثْلَ الرَّمْلِ ذِي الْكُثْبَانِ

الجبال الصَّمُّ الصَّلْبَةُ العظيمة تكون يوم القيامة مثل كُثْبَانِ الرمل كما قال عز وجل: ﴿وَكَاثِبَاتٍ الْجِبَالِ كَيْبًا مَهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤].

١١٠- وَتَكُونُ كَالْعِهْنِ الَّذِي أَلْوَانُهُ وَصِبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ

قَوْلُهُ: «الْعِهْنُ»: هو الصُّوف المنفوش، والصُّوف المنفوش كالقطن المنفوش، لا شيء، تُقبض على حجم إنسان بيد واحدة.

١١١- وَتُبَسُّ بِسَاءٍ مِثْلَ ذَلِكَ فَتَشْنِي مِثْلَ الْهَبَاءِ لِنَاطِرِ الْإِنْسَانِ

الله أكبر، تكون هباءً يَتَطَايرُ، وما هو الهباء؟ هو أنك حينما ترى الكوَّة<sup>(١)</sup> تدخل منها الشمس، فترى في الأشعة أشياء تَتَطَايرُ، وهذه الجبال -سبحان الله العظيم- تكون كاهباء تتطاير، ولا شك أن هذا سيكون عن حَدَثٍ عظيم، كما وَصَفَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

ونحن الآن نسمع بالزلازل، وهي ليست بشيء بالنسبة ليوم القيامة، قريباً وقعت زلازل في تركيا في الأسبوع الماضي، وبقِيَت (٥٤) ثانية، ودمَّرت مئات البيوت والقرى والمدن في أقل من نصف دقيقة.

سبحان الله! تفجَّرت الأرض، المجاري تفجَّرت، الأسلاك تقطعت، كل شيء في لحظة، وما ظنك لو كنت تشاهد هذا الغبار الذي يتصاعد من البيوت، ومن الأرض، ومن الأودية، ثمَّ ما أعقب ذلك من اشتعال النيران، وأمَّا يوم القيامة، فهو أشد من هذا بكثير.

(١) الكوَّة: الحرق في الحائط ونحوه. التاج: كوو.

فالجبال الصُّمُّ الصَّلْبَةُ الشَاخِخَةُ تَنْدُكُ، تكون رملاً، تكون كَثِيبًا وتكون هَبَاءً، ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَيَرُ الْجِبَالِ سَيْرًا﴾ [الطور: ١٠] أي: سَيْرًا عَظِيمًا سَرِيعًا هَبَاءً يطير في السماء.

وكان الناس في أول الأمر إذا رأوا النعش ارتاعوا وخافوا، وخشعوا، أمَّا الآن فقد قَسَتِ القُلُوبُ، والسبب في ذلك الغفلة عن دين الله عزَّ وجلَّ ومن أحسن ما يُليِّنُ القُلُوبَ كثرةُ قِرَاءَةِ القرآن الكريم بتدبُّرٍ، ولذا يقول ابن عبد القوي -رحمه الله-:

وَحَافِظٌ عَلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يُلَيِّنُ قَلْبًا قَاسِيًا مِثْلَ جَلْمَدٍ<sup>(١)</sup>

وصدق -رحمه الله-، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]. نسأل الله أن يُلَيِّنَ قُلُوبَنَا عَلَى الْحَقِّ.

\*\*\*

- ١١٢ - وَكَذَا الْبِحَارُ فَإِنَّهَا مَسْجُورَةٌ      قَدْ فُجِّرَتْ تَفْجِيرَ ذِي سُلْطَانِ
- ١١٣ - وَكَذَلِكَ الْقَمَرَانِ يَأْذُنُ رَبُّنَا      لَهُمَا فَيَجْتَمِعَانِ يَلْتَقِيَانِ
- ١١٤ - هَذِي مُكْوَرَةٌ، وَهَذَا خَاسِفٌ      وَكِلَاهُمَا فِي النَّارِ مَطْرُوحَانِ
- ١١٥ - وَكَوَاكِبُ الْأَفْلَاقِ<sup>(٢)</sup> تُنْثَرُ كُلُّهَا      كَلَالِي نُثِرَتْ عَلَى مَيْدَانِ
- ١١٦ - وَكَذَا السَّمَاءُ تُشَقُّ شَقًّا ظَاهِرًا      وَتَمُورٌ أَيْضًا أَيَّامَ مَوْرَانِ
- ١١٧ - وَتَصِيرُ بَعْدَ الْإِنْشِقَاقِ كَمِثْلِ هَـ      ذَا الْمُهْلِ أَوْ تَكُ وَرْدَةٌ كَدِهَانِ

(١) انظر القصيدة بكاملها في الآداب الشرعية والمنح المرعية، لمحمد بن مفلح الحنبلي (٣/ ٥٩٠).

(٢) في نسخة برلين السفارينية: «الأملك».

## الشرح

يريد - رحمه الله - هنا أن يؤكد أن التبديل ليس إنشاءً خَلَقَ جديد، لكنه اختلاف صفات، فالبحار تُسَجَّر كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا أَلْحَا تُ سَجَّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] واختلَف في معنى سَجَّرَتْ: هل المعنى: (مُلَّتْ نارًا)، أو المعنى: (فُجِّرَتْ)، كما في الآية الثانية؟

الجواب: كلا الوجهين مُحْتَمَل، وإن رجَّحنا فإننا نرجِّح أنها تمتلئ نارًا، حتى تكون كُلُّ آيةٍ قد دلَّت على معنى غير ما دلَّت عليه الأخرى.

\*\*\*

- ١١٨- وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ لَا يُفْنِيهِمَا أَيضًا، وَإِنَّهَا لَمَخْلُوقَانِ
- ١١٩- وَالْحُورُ لَا تَفْنَى كَذَلِكَ جَنَّةُ الْـ مَأْوَى وَمَا فِيهَا مِنَ الْوِلْدَانِ
- ١٢٠- وَلِأَجْلِ هَذَا قَالَ جَهَنَّمُ: إِنَّهَا عَدَمٌ وَلَمْ تُخْلَقْ إِلَى ذَا الْآنِ
- ١٢١- وَالْأَنْبِيَاءُ فَإِنَّهُمْ تَحْتَ الثَّرَى أَجْسَامُهُمْ حُفِظَتْ مِنَ الدِّيدَانِ
- ١٢٢- مَا لِلْبَلَى بِلُحُومِهِمْ وَجُسُومِهِمْ أَبَدًا، وَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ يَدَانِ
- ١٢٣- وَكَذَلِكَ عَجَبُ الظَّهْرِ لَا يَبْلَى، بَلَى مِنْهُ تُرْكَبُ خِلْقَةُ الْإِنْسَانِ
- ١٢٤- وَكَذَلِكَ الْأَرْوَاحُ لَا تَبْلَى كَمَا تَبْلَى الْجُسُومُ وَلَا بِلَى اللَّحْمَانِ
- ١٢٥- وَلِأَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يُقَرَّرَ الْجَهَنَّمُ بِالْـ أَرْوَاحٍ خَارِجَةً عَنِ الْأَبْدَانِ
- ١٢٦- لِكِنَّهَا مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضِ بِهَا قَامَتْ، وَذَا فِي غَايَةِ الْبُطْلَانِ

## الشرح

١١٨- وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ لَا يُفْنِيهِمَا أَيضًا، وَإِنَّهُمَا لَمَخْلُوقَانِ

يقول - رحمه الله تعالى -: إِنَّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَسْلُسُلِ الْحَوَادِثِ، وَبِقَاءِ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ: الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ لَا يُفْنِيهِمَا أَبَدًا، وَإِنَّهُمَا لَمَخْلُوقَانِ، يَعْنِي: إِنَّهُمَا مَخْلُوقَانِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَفْنِيَانِ، فَالْتَّسْلُسُلُ فِيهِمَا بِحَسَبِ الْمُسْتَقْبَلِ، لَكِنَّ أَعْيَانَهُمَا كَانَتْ عَدَمًا، ثُمَّ خَلَقَهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وفي هذا نصٌّ صريحٌ مِنَ الْمُؤَلَّفِ - رحمه الله - عَلَى أَنَّ الْعَرْشَ غَيْرَ الْكُرْسِيِّ، فَمَا هُوَ الْعَرْشُ، وَمَا هُوَ الْكُرْسِيُّ؟

المشهور أَنَّ الْكُرْسِيَّ هُوَ مَوْضِعُ قَدَمِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَحَّ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ <sup>(١)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَمَا الْعَرْشُ فَهُوَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَوَى عَلَيْهِ الرَّحْمَنُ - جَلَّ وَعَلَا - وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لِلْكُرْسِيِّ كَخَلْقَةِ أَلْقَيْتَ فِي فَلَائِمِنَ الْأَرْضِ» <sup>(٢)</sup>.

وماذا تكون الحلقة بالنسبة للفلاة؟ الجواب: لا شيء.

وإِنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَائِمِ عَلَى هَذِهِ الْحَلْقَةِ، وَلِهَذَا وَصَفَ اللَّهُ الْعَرْشَ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ بـ(ال) فَقَالَ: ﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] وهما لَا يَفْنِيَانِ، خَلَقَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْبَقَاءِ أَبَدًا.

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢٤٨/١)، والحاكم (٢١٠/٢) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٢٨).

(٢) أخرجه ابن حبان (٧٧/٢)، وسعيد بن منصور في التفسير (٩٥٢/٣).

١١٩- وَالْحُورُ لَا تَفْنَى كَذَلِكَ جَنَّةُ الْـ مَأْوَى وَمَا فِيهَا مِنَ الْوَالِدَانِ  
كذلك الحور والوالدان في الجنة لا تفنيان، خلقهما الله تعالى للبقاء أبد  
الأبدين.

١٢٠- وَلَا جَلِ هَذَا قَالِ جَهَنَّمَ: إِنَّهَا عَدَمٌ وَلَمْ تُخْلَقْ إِلَى ذَا الْآنِ  
يعني أن الجنة عَدَمٌ، والحور عَدَمٌ، والوالدان عَدَمٌ، ولا تُخْلَقُ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،  
ثُمَّ فِي النَّهَايَةِ أَيْضًا تَفْنَى، لأنه لا يرى تسلسل الحوادث.

١٢١- وَالْأَنْبِيَاءَ فَإِنَّهُمْ تَحْتَ الثَّرَى أَجْسَامُهُمْ حَفِظَتْ مِنَ الدَّيْدَانِ

١٢٢- مَا لِلْبَلْبَلِ بِلُحُومِهِمْ وَجُسُومِهِمْ أَبَدًا، وَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ يَدَانِ

الله أكبر! أجسام الأنبياء في الأرض محفوظة من الديدان، لا تأكلها الأرض،  
حَرَّمَ اللهُ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ<sup>(١)</sup>، وفي هذا دليل على أَنَّ الْأَمْرَ  
أَمْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّ كُلَّ الْكُونِ يَسِيرُ بِأَمْرِ اللهِ، فالأرض التي من طبيعتها أن  
تأكل الأجسام، لا تأكل أجسام الأنبياء، والذي قال لِنَارِ إِبْرَاهِيمَ -عليه الصلاة  
والسلام- ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبراهيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] -والنار تُحْرِقُ وَتُهْلِكُ،  
فصارت بردًا وسلامًا- قادرٌ على أن يُحَرِّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ،  
ولذلك لو كُشِفَ عَنْ أَيِّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَوُجِدَ كَأَنَّهُ مَاتَ الْيَوْمَ، لا تأكله  
الأرض.

(١) كما في حديث: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ». أخرجه أبو داود: كتاب  
الجمعة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم (١٠٤٧)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب  
إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة  
والسنة فيها، باب فضل الجمعة، رقم (١٠٨٥).

يقول - رحمه الله -:

١٢٣- وَكَذَلِكَ عَجِبُ الظَّهْرِ لَا يَبْلَى، بَلَى مِنْهُ تُرَكَّبُ خِلْقَةُ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «بَلَى» كلمة (بَلَى) هنا تكثر في كلام المؤلف، وجاء مثلها في القرآن، وهي بمعنى: (بل) في مثل هذا التركيب، وهذا أيسر من أن نُقَدِّرَ أنها جوابٌ لما مضى.

ثم استأنف فقال: (بَلَى مِنْهُ تُرَكَّبُ خِلْقَةُ الْإِنْسَانِ).

وعَجِبُ الذَّنْبِ، هو عبارة عن حَبَّةٍ صغيرة في منتهى عُصْعُصِ الظَّهْرِ، وهذه - بإذن الله - لا تأكلها الأرض أبداً، بل تبقى، حتى لو نُبِشَ القَبْرُ وُحِرِثَ، لا بُدَّ أن تبقى، لأنها يومَ القيامة تكون كالْبَدْرَةِ للجسم، منها يُكَوَّنُ الجِسم، سبحانه الله! والله على كل شيء قدير.

١٢٤- وَكَذَلِكَ الْأَرْوَاحُ لَا تَبْلَى كَمَا تَبْلَى الْجُسُومُ وَلَا بِلَى اللَّحْمَانِ

الأرواح لا تَبْلَى، فقد خَلَقَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ للبقاء، فها هنا الآن العرش، والكرسي، والخور، وأجساد الأنبياء، وعَجِبُ الذَّنْبِ، والسادس: الأرواح، كُلُّ هذه لا تَفْنَى ولا تَبْلَى.

قال:

١٢٥- وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ لَمْ يُقَرَّرِ الْجَهَنَّمُ بِأَلْ أَرْوَاحٍ خَارِجَةً عَنِ الْأَبْدَانِ

١٢٦- لَكِنَّهَا مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضٍ بِهَا قَامَتْ، وَذَا فِي غَايَةِ الْبُطْلَانِ

يقول جهنم: لا توجد رُوحٌ تخرج من البدن، وتدخل فيه، فالروح عَرَضٌ من الأعراض، يعني مثل ما يمرض البدن، وَيَتَحَرَّكُ ببطء، وما أشبه ذلك، يَعْتَرِيهِ

عَرَضُ، أي: مرَضٌ شديدٌ فيموت.

فالموت عنده ليس معناه أن هناك رُوحًا تخرج من البدن وتبقى، لكنه يرى أن الموت والحياة وَصْفَانِ لِلْبَدَنِ أَي: عَرَضَانِ، كما يَعْرِضُ المَرَضُ والصَّحَّةُ، فهي وَصْفٌ مِنَ الأوصافِ كَالطُّولِ وَالْقِصْرِ وَالْحُمْرَةَ وَالسَّوَادَ وَالْبِياضَ، ويقول: ليس هناك رُوحٌ تَخْرُجُ وتُنَعَّمُ أو تُعَذَّبُ في القبر، ولا نَعِيمٌ في الجَنَّةِ لها، لأنَّ التَّسْلُسُلَ عنده ممنوع.

ولكنَّ هذا لا شكَّ أنه مخالفٌ لما جاء به الكتابُ والسُّنَّةُ، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

والإنسان إذا مات يرى روحه خارجةً من بدنه، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ»<sup>(١)</sup>. ولذلك يَشْخَصُ البَصَرُ، لأنه يرى رُوحه خارجة من جَسَدِهِ.

أما الجهم فيقول: لا تُوجَدُ رُوحٌ تخرج، أو تدخل، فالموتُ عبارةٌ عن فَقْدِ الحياة، فهذا الجسم الذي يتحرك الآن، ويسيرُ ويمجيء، يفقد هذه الحركة. ثم قال -رحمه الله-:

\*\*\*

١٢٧- فَالْشَّانُ لِلْأَرْوَاحِ بَعْدَ فِرَاقِهَا أَبْدَانَهَا<sup>(٢)</sup> - وَاللَّهُ - أَعْظَمُ شَانِ

١٢٨- إِمَّا عَذَابٌ أَوْ نَعِيمٌ دَائِمٌ قَدْ نَعَمَّتْ بِالرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضِرَ، رقم (٩٢٠).

(٢) في أكثر الأصول: «أبداننا».

- ١٢٩- وَتَصِيرُ طَيْرًا سَارِحًا مَعَ شَكْلِهَا  
 ١٣٠- وَتَظَلُّ وَارِدَةً لِأَنْهَارٍ بِهَا  
 ١٣١- لَكِنَّ أَرْوَاحَ الَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا  
 ١٣٢- فَلَهُمْ بِذَلِكَ مَزِيَّةٌ فِي عَيْشِهِمْ  
 ١٣٣- بَدَلُوا الْجُسُومَ لِرَبِّهِمْ فَأَعَاضَهُمْ  
 ١٣٤- وَلَهَا قَنَادِيلٌ إِلَيْهَا تَنْتَهِي  
 ١٣٥- فَالرُّوحُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَكْمَلُ حَالَةٍ  
 ١٣٦- وَعَذَابٌ أَشَقَّهَا أَشَدُّ مِنَ الَّذِي  
 ١٣٧- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهَا عَرَضٌ أَبَوْا
- تَجْنِي السَّمَارَ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ  
 حَتَّى تَعُودَ لِذَلِكَ الْجُحْتَانِ  
 فِي جَوْفِ طَيْرٍ أَخْضَرَ رِيَانِ  
 وَنَعِيمِهِمْ لِلرُّوحِ<sup>(١)</sup> وَالْأَبْدَانِ  
 أَجْسَامَ تِلْكَ الطَّيْرِ بِالْإِحْسَانِ  
 مَاوَى لَهَا كَمَسَاكِينِ الْإِنْسَانِ  
 مِنْهَا يَهْدِي الدَّارِ فِي جُحْتَانِ<sup>(٢)</sup>  
 قَدْ عَايَنْتُ أَبْصَارُهَا<sup>(٣)</sup> بَعِيَانِ  
 ذَا كَلْمَهُ، تَبَّالِذِي نُكْرَانِ

### الشرح

ذكر - رحمه الله - أحوال الروح فقال:

١٢٧- فَالشَّأْنُ لِلْأَرْوَاحِ بَعْدَ فِرَاقِهَا أَبْدَانَهَا - وَاللَّهُ - أَعْظَمُ شَأْنِ

ولا أحد يتصوّر كيف يكون نعيم الروح، أو عذابها بعد فراقها البدن؟  
 فشانُ الروح عظيمٌ، أعظمُ شأنٍ، كما قال - رحمه الله -.

(١) في الشرح: «بالروح».

(٢) في نسخة الإفتاء: «جسمان».

(٣) في نسخة الحلبي: «أبصارنا».

١٢٨- إِمَاعَذَابٌ أَوْ نَعِيمٌ دَائِمٌ قَدْ نَعَّمْتَ بِالرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ

وهذه روح المقربين، قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨) ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩] اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

١٢٩- وَتَصِيرُ طَيْرًا سَارِحًا مَعَ شَكْلِهَا تَجْنِي الثَّمَارَ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ

الأرواح تكون طيورًا تسرح في الجنة مع شكلها، وتجنّي من ثمرات الجنة.

قَوْلُهُ: «بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ» أي: بجنة الحياة العظيمة الدائمة، فالألف والنون للمبالغة، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] أي: الحياة العظيمة.

١٣٠- وَتَظَلُّ وَارِدَةً لِّأَنَّهَا رِيحًا حَتَّى تَعُودَ لِذَلِكَ الْجُثْمَانِ

فهي تأكل من الثمار، وتشرب من الأنهار، وتكون على صورة طير، حتى يهون عليها التنقل في جنات النعيم، حتى تعود إلى جسمها يوم القيامة عودًا لا خروج بعده، لأن الإنسان إذا بعث يوم القيامة فلا موت، لكن أرواح الشهداء غير أرواح بقية المؤمنين، ولذا قال:

١٣١- لَكِنَّ أَرْوَاحَ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا فِي جَوْفِ طَيْرٍ أَخْضَرَ رِيَّانِ

الروح في جوف طير أخضر ريان، يعني: مملوءًا حيويّةً وخضرةً من أحسن ما يكون منظرًا وحركة.

١٣٢- فَالَهُمْ بِذَلِكَ مَزِيَّةٌ فِي عَيْشِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ لِلرُّوحِ وَالْأَبْدَانِ

وذلك كما قال عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

١٣٣- بَدَلُوا الْجُسُومَ لِرَبِّهِمْ فَأَعَاضَهُمْ أَجْسَامَ تِلْكَ الطَّيْرِ بِالْإِحْسَانِ

١٣٤- وَلَهَا قَنَادِيلٌ إِلَيْهَا تَنْتَهِي مَأْوَى لَهَا كَمَسَاكِنِ الْإِنْسَانِ

الشهداء تكون أرواحهم في جوف طيورٍ خضِرٍ تَسْرُحُ حَيْثُ شَاءَتْ<sup>(١)</sup>، ولكن لها قناديلٌ مُعَلَّقةٌ بالعرش تأوي إليها، كما تأوي الطيور إلى أوكارها.

ويَبِّنُ الْمُؤَلَّفُ - رحمه الله - الحكمة من ذلك بأن هؤلاء بَدَلُوا أجسادهم لله عزَّ وجلَّ في الجهاد في سبيل الله، حتى قُتِلُوا، فَأَبْدَلَ اللهُ تعالى أرواحهم بَدَلِ الأجساد التي خَرَجَتْ منها بِهِذِهِ الْقَنَادِيلِ الْمُعَلَّقةِ تَحْتَ الْعَرْشِ، ولهذا قال: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

والفَرْقُ بين أرواح الشهداء، وأرواح المؤمنين أن أرواح الشهداء لها قناديلٌ مُعَلَّقةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وتلك ليس لها، وكذلك هناك فرق، وهو أن ظاهِرَ السُّنَّةِ أَنَّ أرواحَ الْمُؤْمِنِينَ غيرُ أرواحِ الشهداء، فأرواح المؤمنين هي نفسُها طير، وهذه أرواحٌ في جوف الطير، فهي أعظمُ تَكْرِيمًا من الأول.

١٣٥- فَالرُّوحُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَكْمَلُ حَالَةٍ مِنْهَا يَهْدِي الدَّارِ فِي جَنَّاتِ

يعني أن الروح إذا فارقت البدن - وهي من أرواح المؤمنين - فإنها أكمل حالة منها في اتصالها بالبدن في الدنيا.

وانظر إلى كلام الله عزَّ وجلَّ في آية من القرآن حيث قال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١١) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿ [العلی: ١٦-١٧] وهذا مُطْلَقٌ.

(١) كما في حديث الشهداء: «أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ». أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، رقم (١٨٨٧).

وقال عز وجل: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧] وهذا مُقَيَّد.

وقال الله لنبيه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤].

فهذه ثلاث مراتب: المرتبة الأولى بالنسبة للآخرة من حيث إنها خيرٌ من الدنيا من حيث هي، ثُمَّ مَنْ يَتَمَتَّعُ بِهَذَا الْخَيْرِ، وَهُوَ مَنْ اتَّقَى، ثُمَّ مَنْ شَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ سَيَتَمَتَّعُ بِعَيْنِهِ وَهُوَ الرَّسُولُ ﷺ: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ وهذا من شهادة الله تعالى لنبيه ﷺ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْأُولَى.

١٣٦- وَعَذَابٌ أَلِيمٌ أَشَدُّ مِنَ الَّذِي قَدْ عَايَنْتَ أَبْصَارُهَا بِعِيَانِ

إي - والله - أَشَدُّ، عَذَابُ الْأَشْقَى مِنَ الْأَرْوَاحِ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا كُلِّهَا، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ نَارَ الْآخِرَةِ «فُضِّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا؟»<sup>(١)</sup> فَكُلُّ نَارِ الدُّنْيَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا، نَارُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

١٣٧- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُمْ عَرَضُ آبَاءٍ ذَا كُلِّهِ، تَبَّ لِلَّذِي نُكِرَانَ

القائلون بأنها عَرَضٌ يَقُولُونَ: لَيْسَ هُنَاكَ رُوحٌ تَخْرُجُ مِنَ الْجَسَدِ تُعَذَّبُ وَتُنْعَمُ، وَغَايَةُ مَا حَصَلَ لِلْبَدَنِ تَغْيِيرٌ مِنْ حَيَاةٍ إِلَى مَوْتٍ، كَمَا يَتَغَيَّرُ مِنْ صِحَّةٍ إِلَى مَرَضٍ.

\*\*\*

١٣٨- وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِخْرَاجَ الْوَرَى بَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى الْمَعَادِ الثَّانِي

١٣٩- أَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُمْ تَحْتَهَا وَاللَّهُ مُقْتَدِرٌ وَذُو سُلْطَانٍ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٩٢)، ومسلم:

كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم، رقم (٢٨٤٣).

- ١٤٠- مَطَرًا غَلِيظًا أَبْيَضًا مُتَتَابِعًا  
عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا عَشْرَانِ
- ١٤١- فَتَظَلُّ تَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَامُ الْوَرَى  
وَلِحُومُهُمْ كَمَنَابِتِ الرَّيْحَانِ
- ١٤٢- حَتَّى إِذَا مَا الْأُمُّ حَانَ وِلَادُهَا  
وَتَمَحَّضَتْ فَنِفَاسُهَا مُتَدَانِي
- ١٤٣- أَوْحَى لَهَا رَبُّ السَّمَاءِ (١) فَتَشَقَّقَتْ  
فَبَدَا الْجَنِينُ كَأَكْمَلِ (٢) الشُّبَّانِ
- ١٤٤- وَتَخَلَّتِ الْأُمُّ الْوَلُودُ وَأَخْرَجَتْ  
أَنْقَالَهَا أَنْثَى وَمِنْ ذُكْرَانِ

### الشرح

أشار المؤلف -رحمه الله- إلى كيفية بعث الله الورى، وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى- أن بعث الناس كإنزال المطر على الأرض، قال الله - تبارك وتعالى-:

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿٢﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿٣﴾﴾ [ق: ٩-١١] وأمثال هذه الآية كثير.

وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩].

- ١٣٨- وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِخْرَاجَ الْوَرَى  
بَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى الْمَعَادِ الثَّانِي
- ١٣٩- أَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُمْ تَحْتَهَا  
وَاللَّهُ مُقْتَدِرٌ وَّذُو سُلْطَانِ
- ١٤٠- مَطَرًا غَلِيظًا أَبْيَضًا مُتَتَابِعًا  
عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا عَشْرَانِ

(١) في بعض الأصول: «الورى».

(٢) في نسخة الإفتاء: «كأجل».

فله عزَّ وجلَّ السُّلْطَةُ الكَامِلَةُ عَلَى كَلِّ الْخَلْقِ، وَلَهُ الْقُدْرَةُ التَّامَةُ.  
 وَأَشْبَهَ مَا لَهُ فِي هَذَا الْوَصْفِ مَنِيَّ الرِّجَالِ غَلِيظًا أَيْضًا.  
 وَقَالَ: (أَيْضًا) بِالصَّرْفِ لِحُضُورِ الشُّعْرِ.

قَوْلُهُ: «مُتَّابِعًا عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا عَشْرَانِ» يَعْنِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَهُوَ يَمُطِرُ  
 الْأَرْضَ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَفِي هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ يَصِلُ الْمَاءُ إِلَى قَعْرِ الْقُبُورِ فَتَنْبُتُ الْأَجْسَامُ،  
 فَكَمَا نَبَتَتْ بِمَنِيِّ الرِّجَالِ أَوْلًا تَنْبُتُ الْآنَ بِهَذَا الْمَطْرِ.

١٤١- فَتَظَلُّ تَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَامُ الْوَرَى وَلِحُومُهُمْ كَمَنَابِتِ الرِّيحَانِ  
 كَالْأَرْضِ مِثْلًا الَّتِي فِيهَا حُبُوبُ الرِّيحَانِ، إِذَا أَتَاهَا الْمَطْرُ بَدَأَتْ تَنْبُتُ.

١٤٢- حَتَّى إِذَا مَا الْأُمُّ حَانَ وَلَادَهَا وَتَمَخَّضَتْ فَنَفَّاسُهَا مُتَدَانِي  
 قَوْلُهُ: «حَانَ» يَعْنِي: قُرْبٌ، وَالْمُرَادُ بِ(الْأُمِّ) هُنَا الْأَرْضُ.

١٤٣- أَوْحَى لَهَا رَبُّ السَّمَاءِ فَتَشَقَّقَتْ فَبَدَا الْجَنِينُ كَأَكْمَلِ الشُّبَّانِ  
 إِذَا كَمَلَ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَاءِ أَوْحَى اللَّهُ لِلْأَرْضِ أَنْ تَتَشَقَّقَ عَنْ  
 أَجْسَامِهَا، فَإِذَا تَشَقَّقَتْ عَنْ أَجْسَامِهَا، يَقُولُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (فَبَدَا الْجَنِينُ كَأَكْمَلِ  
 الشُّبَّانِ).

١٤٤- وَتَخَلَّتِ الْأُمُّ الْوَلُودَ وَأَخْرَجَتْ أَنْقَالَهَا أَنْثَى وَمِنْ ذُكْرَانِ  
 الْآنَ تَخَلَّتْ عَنِ النَّاسِ، وَخَرَجَ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا، ثُمَّ يُوحِي اللَّهُ إِلَى  
 إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ، فَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ، وَأَمَّا النَّفْخَةُ الْأُولَى  
 فَيَمُوتُ النَّاسُ الْمَوْجُودُونَ، فَتَخْرُجُ الْأَرْوَاحُ مِنْ هَذَا الصُّورِ بَعْدَ أَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ،

وتذهب كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهَا الَّتِي كَانَتْ تَعْمُرُهُ فِي الدُّنْيَا، لَا تَخْطئه أَبَدًا، وَهَذَا مَعَ كَثْرَةِ الْعَالَمِ، لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهَا أَنْ تَذْهَبَ إِلَى أَجْسَادِهَا، وَلَا مَفَرَّ لَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا ذَهَبَتْ إِلَى أَجْسَادِهَا فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النَّازِعَاتُ: ١٣-١٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يَس: ٥٣] الْأَوَّلُ وَالْأَخِيرُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالذَّكَرُ وَالْأُنْثَى، بِصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ يُحْضَرُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْمَقُولُ الْمُؤَيَّدُ بِالْمَنْقُولِ.

أَمَّا جَهَنَّمُ وَأَتْبَاعُهُ، فَإِنَّهُمْ - فِي الْحَقِيقَةِ - عَلَى شَفَا<sup>(١)</sup> جُرْفِ<sup>(٢)</sup> هَارٍ، انْهَارَ بِهِمْ فِي مَهَاوِي الضَّلَالِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

\*\*\*

- ١٤٥- وَاللَّهُ يُنْشِئُ خَلْقَهُ فِي نَشَاةٍ      أُخْرَى كَمَا قَدْ قَالَ فِي الْفُرْقَانِ  
١٤٦- هَذَا الَّذِي جَاءَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ الْهَاءِ      آدِي بِهِ، فَاحْرِضْ عَلَى الْإِيمَانِ  
١٤٧- مَا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُعْدمُ خَلْقَهُ      طُرًّا كَقَوْلِ الْجَاهِلِ الْحَيْرَانِ

## الشرح

تَقَدَّمَ أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَرَّرَ، وَأَبْدَى، وَأَعَادَ فِي الْأَدْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْخَلْقَ لَا يُسْتَبَدَّلُ بِخَلْقٍ آخَرَ غَيْرِ الْأَوَّلِ، وَلَكِنَّهُ يُعَادُ كَمَا كَانَ، قَالَ:

(١) الشِّفَا: حَرْفٌ كُلُّ شَيْءٍ. انظر: تاج العروس، مادة: شفي.

(٢) الْجُرْفُ مَا أَكَلَ السَّيْلُ مِنْ أَسْفَلِ شِقِّ الْوَادِي وَالنَّهْرِ. انظر: لسان العرب، مادة: جرف.

١٤٥- وَاللَّهُ يُنْشِئُ خَلْقَهُ فِي نَشْأَةٍ أُخْرَى كَمَا قَدْ قَالَ فِي الْفُرْقَانِ

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ٤٧] والنشأة لا تعني إبدال الأولِ بِأُخْرٍ، بدليل قول الله -تبارك وتعالى- في أطوار الحمل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] فبقوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ تَمَّ الْجِسْمَ الْآنَ، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ وذلك بعد نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، لأنه صار الْآنَ حَيًّا.

فهل قوله: ﴿أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ معناه: أَعَدَمْنَا الْأَوَّلَ، وأنشأنا جديدًا؟ الجواب: لا، ولكن تبدلت أوصافه، كذلك قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ٤٧] يعني: الْبَعْثُ، وَالْبَعْثُ لَيْسَ مَعْنَاهُ إِعْدَامُ الْأَوَّلِ، ثُمَّ إِنْشَاءُ خَلْقٍ آخَرَ.

١٤٦- هَذَا الَّذِي جَاءَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ اللَّهِ سَادِي بِهِ، فَاحْرِضْ عَلَى الْإِيمَانِ

١٤٧- مَا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُعْدِمُ خَلْقَهُ طَرًّا كَقَوْلِ الْجَاهِلِ الْحَيْرَانِ

قَوْلُهُ: «مَا قَالَ» الضمير يعود على الله عزَّ وجلَّ يعني ما قال الله: (إِنَّ اللَّهَ يُعْدِمُ خَلْقَهُ طَرًّا كَقَوْلِ الْجَاهِلِ الْحَيْرَانِ).

وَقَوْلُهُ: «الْجَاهِلِ الْحَيْرَانِ» المراد به: الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ.

الأصول التي تقدّمت في مذهب جَهْمٍ ينبغي للإنسان أن يُقَيِّدَهَا فيقول: خالف في كذا، وفي كذا في الإيمان، وفي الصفات، وفي إعادة الخلق، فيُقَيِّدَهَا

في دَقْتَرٍ خاصٍّ، حتى لا يذهب عليه العِلْم، وكُلُّ إنسان وقُدْرته، وكُلُّ إنسان وأسلوبه، المهم ألا تكون مجرد قراءة، تقول مثلاً ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- مثلاً أصول مذهب الجَهْمِيَّة التي خالفوا بها أهل السُّنَّة والجماعة، ثم تُذكر، حتى تكون مرجعاً.

\*\*\*

## فصل

- ١٤٨- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ  
فِعْلًا يَقُومُ بِهِ بِلَا بُرْهَانٍ
- ١٤٩- بَلْ فِعْلُهُ الْمَفْعُولُ خَارِجَ ذَاتِهِ  
كَالْوَصْفِ غَيْرِ الذَّاتِ فِي الْحُسْبَانِ
- ١٥٠- وَالْجَبْرُ مَذْهَبُهُ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ  
عَيْنُ الْعَصَاةِ وَشِيعَةُ الشَّيْطَانِ
- ١٥١- كَانُوا عَلَى وَجَلٍ مِنَ الْعِضْيَانِ إِذْ<sup>(١)</sup>  
هُوَ فِعْلُهُمْ، وَالذَّنْبُ لِلْإِنْسَانِ
- ١٥٢- وَاللَّوْمُ لَا يَعْدُوهُ إِذْ هُوَ فَاعِلٌ  
بِإِرَادَةٍ وَيَقْدِرُ الْحَيَوَانَ
- ١٥٣- فَأَرَاخَهُمْ جَهَنَّمَ وَشِيعَتَهُ مِنَ اللَّهِ  
لَوْمِ الْعَنِيفِ وَمَا قَضَوْا بِأَمَانِ
- ١٥٤- لَكِنَّهُمْ حَمَلُوا ذُنُوبَهُمْ عَلَى  
رَبِّ الْعِبَادِ بِعِزَّةٍ وَأَمَانِ
- ١٥٥- وَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا  
أَفْعَالُهُ مَا حِيلَتْهُ الْإِنْسَانِ

## الشرح

- ١٤٨- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ  
فِعْلًا يَقُومُ بِهِ بِلَا بُرْهَانٍ
- ١٤٩- بَلْ فِعْلُهُ الْمَفْعُولُ خَارِجَ ذَاتِهِ  
كَالْوَصْفِ غَيْرِ الذَّاتِ فِي الْحُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ...» وهذا أيضًا من أصوله الحبيثة.

(١) في نسخة الشرح: «ذا».

قَوْلُهُ: «بَلَا بُرْهَانَ» أَي: بلا دليل.

يقول جهم: إِنَّ الله ليس بفاعلٍ فعلاً يقوم به، يعني: ليس بِخَالِقٍ خَلْقًا هو وَصْفُهُ، ولا بِسَامِعٍ سَمْعًا هو وَصْفُهُ، بل خَلَقَهُ مَخْلُوقَهُ، فيكون مَخْلُوقٌ بلا خَلْقٍ، مَخْلُوقٌ لله، لكن بلا خَلْقٍ هو فعلُ الله.

وَمِنَ المَعْلُوم أَنه يَوجد خَالِقٌ، وَخَلَقَ وَهُوَ فِعْلُ الخَالِقِ، وَمَخْلُوقٌ، وَهُوَ بَائِنٌ مُنْفَصِلٌ.

فالجهم يقول: إِنَّ الله -سبحانه وتعالى- لَيْسَ بِخَالِقٍ بِخَلْقٍ هو وَصْفُهُ،

لماذا؟

الجواب: لأنه ينفي الصفات، فيقول: لا يُوصَفُ اللهُ بِخَلْقٍ، والخَلْقُ عنده مَصْدَرٌ بمعنى اسم المفعول، أَي: إنه مَخْلُوقٌ، والعَجَبُ أَنه يُقَرَّرُ بِخَالِقٍ، ولا يُقَرَّرُ بِخَلْقٍ، وَيُقَرَّرُ بِمَخْلُوقٍ، فالواسطة بينهما عنده مَنفِيَّةٌ.

قَوْلُهُ: «بَلْ فِعْلُهُ الْمَفْعُولُ خَارِجَ ذَاتِهِ» ويموز (خارج).

وَقَوْلُهُ: «بَلْ فِعْلُهُ الْمَفْعُولُ خَارِجَ ذَاتِهِ» يعني: حَالٌ كَوْنُهُ خَارِجَ ذَاتِهِ، لأنَّ المفعول -كما نعلم- ليس في الذات، فأنت إذا صَنَعْتَ طَعَامًا، فالطَّعَامُ ليس وَصْفَكَ، وليس ذَاتَكَ أيضًا، ولكنه شيءٌ خَارِجٌ ليس بالذات، ولا بالصفات.

قَوْلُهُ: «كَالْوَصْفِ غَيْرِ الذَّاتِ فِي الحُسْبَانِ» يعني: كما يقول أيضًا: إِنَّ الوصفَ غيرُ الذات، ولكننا لا نُثَبِّتُ الوصفَ، لأننا لو أثبتنا الوصفَ لَأَثَبْنَا قُدَمَاءَ مُتَعَدِّدِينَ: سمعًا قديمًا، بصرًا قديمًا، قُدْرَةً قديمة، عِلْمًا قديمًا، وهذا يقتضي تَعَدُّدَ الآلهة، لأنَّ أَحْصَى وَصْفٍ لِلآله -عِنْدَهُمْ- هو القِدَم.

وَتَصَمَّنَ الْبَيْتَانَ أَنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - ليس بفاعلٍ فعلاً يقوم به، فليس بخالقٍ خلقاً يقوم بذاته، وليس بمُستَوٍ استواءً يقوم بذاته، وليس بآتٍ يومَ القيامةٍ إتياناً يقوم بذاته، وليس بنازلٍ إلى السماء الدنيا نُزولاً يقوم بذاته، وليس برَازِقٍ رزقاً يقوم بذاته، فلا يقوم بذاته فعلٌ أبداً، لماذا؟ قال: لأنَّ هذه الأفعال حوادثٌ، ولو قامت بالربِّ عزَّ وجلَّ لكان حَادِثًا، لأنَّ الحوادث لا تقوم إلا بِحَادِثٍ.

انظر كيف جَعَلَ التَّعْطِيلَ في قالب التَّنْزِيهِ؟! فالذي يَسْمَعُ هذا الكلام يقول: نعم، هذا صحيحٌ وطيبٌ، لكنه - في الحقيقة - ليس تَنْزِيهًا، بل هو تعطيلٌ لكمال الله عزَّ وجلَّ فيقول: إِنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - لا يَفْعَلُ فعلاً يقوم به، ثُمَّ يقول: إِنَّ الْإِنْسَانَ أَيْضًا لا يَفْعَلُ فعلاً يقوم به.

١٥٠- وَالْجَبْرُ مَذْهَبُهُ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ الْعَصَاةِ وَشَيْعَةُ الشَّيْطَانِ

الجبر هو مذهب الجهمية، ومعنى الجبر: أَنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ عَلَى عَمَلِهِ، كقول

القائل:

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ: إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلِ بِالسَّمَاءِ<sup>(١)</sup>

فالجبر مذهبُ جَهَمٍ، الإنسان العاصي يَزْنِي وَيَسْرِقُ، ويشرب الخمر، ويقتل النفسَ بغيرِ حقٍّ، يقول الجهم: إنه مُجْبَرٌ عَلَى عَمَلِهِ أَي: بغيرِ اختيارٍ منه.

وهل يؤاخذ عليه وهو مُجْبَرٌ؟ قال: نعم يُؤاخذ، والله تعالى إذا آخَذَهُ عَلَى ذَنْبِهِ وهو مُجْبَرٌ فَلَيْسَ بِظَالِمٍ، لأنَّ الظُّلْمَ عنده - كما سبق - مُحَالٌ ممتنع لذاته، لأنه إن فَعَلَ شيئًا فَعَلَهُ فِي مُلْكِهِ.

(١) البيت في نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لشهاب الدين التلمسان (٥/ ٢٩٢) بلا نسبة.

فلذلك الآن أهل المعصية، وشيعةُ الشيطان الذين يأخذون بِوَحْيِ الشيطان سوف تَقْرُ أَعْيُنُهُمْ بهذا المذهب، لأنهم يقولون: نحن الآن مُجَبَّرُونَ، ما لنا ولكم، فكما أَنَّ الإنسان لا يُغَيَّرُ لَوْنَهُ، ولا يُغَيَّرُ صُورَتَهُ، ولا يُغَيَّرُ طُولَهُ ولا قِصْرَهُ، فكذلك لا يُغَيَّرُ عَمَلَهُ، لأنه مُجَبَّرٌ عليه.

وهل هذا مَذْهَبٌ؟ الجواب: لا، والله ليس بِمَذْهَبٍ، ولا أحد يقول به، أيُّ عاقلٍ يمكن أن يقول: حَرَكَتُ يَدِي هكذا كَصُورَتِي، ليس لي فيها تَصَرُّفٌ، لا أحد يقول بهذا، الصُّورَةُ ليس للإنسان فيها تَصَرُّفٌ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 6] فليس للإنسان تَصَرُّفٌ فيها: جَمِيلٌ قَبِيحٌ، طَوِيلٌ قَصِيرٌ، أَسْوَدٌ أبيضٌ، ليس له تَصَرُّفٌ فيها.

هو يقول: نَفْسُ الفِعْلِ ليس فيه تَصَرُّفٌ، فالطائِعُ والعاصي كلاهما يفعل بِغَيْرِ اختياره.

والله لو حَدَّثَتْ عَجُوزًا بهذا الكلام، لقاتل: ما هذا الكلام؟! ومع ذلك هؤلاء يَدَّعُونَ أنهم أهل العَقْلِ، وأنَّ هذا مُقْتَضَى العَقْلِ، لأنَّ الرَّبَّ هو الرَّبُّ يفعل ما يشاء، فنقول: نعم، الرَّبُّ يفعل ما يشاء، لكنه أعطى المخلوق إرادةً وَقُدْرَةً ومشيئةً.

يقول:

١٥١- كَانُوا عَلَى وَجَلٍ مِنَ الْعُضَيَانِ إِذْ هُوَ فَعَلُهُمْ، وَالذَّنْبُ لِلْإِنْسَانِ

١٥٢- وَاللَّوْمُ لَا يَعْدُوهُ إِذْ هُوَ فَاعِلٌ بِإِرَادَةٍ وَبِقُدْرَةِ الْحَيَوَانِ

الضمير في قَوْلِهِ: «كَانُوا» يَعُودُ عَلَى الْعُصَاةِ وَشِيعَةِ الشَّيْطَانِ.

وَقَوْلُهُ: «إِذْ» فِي نَسْخَةِ: «ذَا» أَي: الْعِصْيَانِ الَّذِي هُوَ فِعْلُهُمْ، وَالذَّنْبَ لِمَنْ؟  
الجواب: للإنسان.

فالإنسان فاعلٌ بإرادة وفاعلٌ بِقُدْرَةٍ، ولولا الإرادة لم يفعل، ولولا القُدرة لم يفعل أيضًا، فهل الإنسان -مثلاً- إذا كان لا يريد القيام، ولكنه يُريد أن يجلس، ويبقى عند صاحبه ليتحدث معه، هل يقوم؟ الجواب: لا، لأنه ما أراد، وكذلك لو أراد القيام، ولكن أصابه شللٌ، فهل يمكن أن يقوم؟ الجواب: لا يقوم.

إِذَنْ فِعْلُ الْإِنْسَانِ بِإِرَادَةٍ وَقُدْرَةٍ، وَمَا دَامَ بِإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَاللَّوْمُ عَلَيْهِ وَحَدَهُ إِذَا عَصَى، فَالْعَصَاةُ خَائِفُونَ وَجِلُّونَ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ الْمَعْصِيَةَ بِإِرَادَتِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ، وَأَنَّ اللَّوْمَ يَلْحَقُهُمْ.

١٥٣- فَأَرَاخَهُمْ جَهَنَّمَ وَشِيعَتُهُ مِنَ اللَّهِ لَوْمِ الْعَنِيفِ وَمَا قَضَوْا بِأَمَانٍ

أي قال جهنم لهم: استريحوا، ولا تخافوا، لا عليكم، أنتم مجبرون على هذا، هل أحدٌ منكم قصيرٌ يستطيع أن يرفع قامته؟ أو طويلٌ يستطيع أن ينزل قامته؟ الجواب: لا، وهذا نفس الشيء، استريحوا، اعصوا، ازنوا، اسرقوا، اشربوا الخمر، لا عليكم، لأنَّ الإنسان مجبرٌ.

وهذا الذي يقوله ابن القيم -رحمه الله- ليس تحيُّلاً، بل هو واقعٌ، فهم يرون أنَّ الإنسان مجبرٌ، ليس له إرادة إطلاقاً، وأظنُّ أنه قبل أن يسمع أحدٌ هذا القول الباطل، أنه لا يُظنُّ أن ترسخَ قدم إنسان على هذا القول، فكلُّ يمشي بإرادته، يسافر بإرادته، ويُقيم بإرادته، ويقرأ بإرادته، ويمتنع بإرادته، فلا أحدٌ ينكر هذا.

ومع أن الجَهْمِيَّةَ أراحوهم من اللّوم، لكنهم ما أمّثوهم من العقاب، لأنَّ الله سيعذبهم وهم ليس عليهم لومٌ، لكن يعذبهم، لأنَّ الظُّلم في حقه مستحيل، فهو

رَبَّ الْعُقُوبَةِ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ، وَهَوْلَاءُ أُجْبِرُوا عَلَى فِعْلِهِ، وَلَهُ أَنْ يِعَاقِبَهُمْ عَلَى شَيْءٍ يُجْبَرُونَ عَلَيْهِ، لِهَذَا قَالَ: (وَمَا قَضُوا بِأَمَانٍ)، يَعْنِي: مَا أَمَّنُوهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَعَ أَنَّهُمْ مُجْبَرُونَ.

١٥٤- لَكِنَّهُمْ حَمَلُوا ذُنُوبَهُمْ عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ بِعِزَّةٍ وَأَمَانٍ

١٥٥- وَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا أَفْعَالُهُ مَا حِيلَ الْإِنْسَانِ

يقولون - نسأل الله العافية - : إن أفعالك هي أفعال الله، ما لك فيها حيلة، فأنت مجبرٌ عليها، فانظر إلى هذا التناقض! يرفعون اللوم عنهم، لأنهم مجبرون، ويوجبون العقاب لهم، لأنه لا ظلم، فالله لا يظلم أحداً، فانظر كيف التناقض؟! وكان المفروض أن يكون اللوم على الله عز وجل، ولذلك ألزمهم به ابن القيم -رحمه الله-.

يقال: إن رجلاً سارقاً قدّم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَحَكَمَ بِقَطْعِ يَدِهِ لِتَمَامِ الشَّرْطِ، وَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: الْقَدْرُ -يريد أن يحتجّ بالقدر- فَضَرَبَهُ أَرْبَعِينَ سَوْطًا، وَقَالَ: «قَطَعْتُ يَدَكَ لِسَرِقَتِكَ، وَضَرَبْتُكَ لِفِرْيَتِكَ عَلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وبذلك يكون أَلْقَمَهُ حَجْرًا، مَعَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْطَعُ يَدَهُ بِقَدْرِ اللَّهِ، وَشَرَعَ اللَّهُ، وَهُوَ يَسْرِقُ بِقَدْرِ اللَّهِ، لَا بِشَرَعِ اللَّهِ، لَكِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَدَلَ عَنِ الْحُجَّةِ الشَّرْعِيَّةِ إِلَى الْحُجَّةِ الْقَدْرِيَّةِ إِذَا لَمْ يَلْزَمَ لَهُ بِمَا أَقَرَّ بِهِ أَنَّهُ سَرَقَ بِقَدْرِ اللَّهِ، فَتَقَطَّعَ يَدَهُ بِقَدْرِ اللَّهِ.

(١) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص: ٣١٧)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٦٩/٢).

- ١٥٦- مَا كَلَّفَ الْجَبَّارُ نَفْسًا وَسُوعَهَا أَنِّي وَقَدْ جُبِرْتُ عَلَى الْعِصْيَانِ؟!  
 ١٥٧- وَكَذَا عَلَى الطَّاعَاتِ أَيْضًا قَدْ غَدَتْ مَجْبُورَةً فَلَهَا إِذْنُ جَبْرَانِ  
 ١٥٨- وَالْعَبْدُ فِي التَّحْقِيقِ شِبْهُ نِعَامَةٍ قَدْ كَلَّفَتْ بِالْحَمْلِ وَالطَّيْرَانِ  
 ١٥٩- إِذْ كَانَ صُورَتُهَا تَدُلُّ عَلَيْهَا هَذَا وَلَيْسَ لَهَا بِذَاكَ يَدَانِ  
 ١٦٠- فَلِذَاكَ قَالَ بِأَنَّ طَاعَاتِ الْوَرَى وَكَذَاكَ مَا فَعَلُوهُ مِنْ عِصْيَانِ  
 ١٦١- هِيَ عَيْنُ فِعْلِ الرَّبِّ لَا أَفْعَالُهُمْ فَيَصِحُّ عَنْهُمْ عِنْدَ ذَا نَفْيَانِ  
 ١٦٢- نَفْيِي لِقُدْرَتِهِمْ عَلَيْهَا أَوْ لَا وَصُدُورِهَا مِنْهُمْ بِنَفْيِي ثَانِي

### الشرح

هذا مترتبٌ على قوله بالجبر، فيقول الناظم -رحمه الله-:

- ١٥٦- مَا كَلَّفَ الْجَبَّارُ نَفْسًا وَسُوعَهَا أَنِّي وَقَدْ جُبِرْتُ عَلَى الْعِصْيَانِ؟!  
 ١٥٧- وَكَذَا عَلَى الطَّاعَاتِ أَيْضًا قَدْ غَدَتْ مَجْبُورَةً فَلَهَا إِذْنُ جَبْرَانِ

وعلى هذا يُرْفَعُ التَّكْلِيفُ، إِذَا كَانَ مُجْبَرًا عَلَى الْعِصْيَانِ، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَكَ مِنْهُ، وَلَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ، صَارَ يُنْفَى عَنْهُ اللَّوْمُ.

فإن قيل: ما الفرقُ بين كلامِ جَهْمٍ هذا، والكلامِ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ؟

الجواب: إِذَا قُلْنَا: إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ هِيَ أَعْمَالُ اللَّهِ، فَهَذَا طَرِيقٌ قَرِيبٌ جَدًّا إِلَى الْقَوْلِ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ      سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ  
قَوْلُهُ: «وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ» يعني: الله عز وجل.  
ولا شك أن هذا طريق إلى وَحْدَةِ الوجود.

١٥٨- وَالْعَبْدُ فِي التَّحْقِيقِ شِبْهُ نِعَامَةٍ      قَدْ كُفِّتْ بِالْحَمْلِ وَالطَّيْرَانِ

النعامه إذا رأيتها رأيت جسمًا كبيرًا، ورأيت لها جناحين، تُكَلِّفُ أَنْ يُحْمَلَ  
عليها كما يُحْمَلُ على البعير وتطير، فهل هذا ممكن؟ الجواب: غير ممكن!  
مثلاً: واحدٌ عنده نِعَامَةٌ، ذهبَ يُحْمَلُهَا أَكْيَاسًا مِنَ الْأَمْتَعَةِ، ويقول: طيري،  
فلا تَقْدِرُ أَنْ تَحْمَلَ، ولا أَنْ تَطِيرَ، لأنَّ العبد عند الجَهْمِ كالنعامه كُلُّفُ مَا لَا يَسْتَطِيعُ،  
فإذا فَعَلَ فِعْلًا فالفاعل هو الله عز وجل.

١٥٩- إِذْ كَانَ صُورَتُهَا تَدُلُّ عَلَيْهَا      هَذَا وَلَيْسَ لَهَا بِذَلِكَ يَدَانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ كَانَ صُورَتُهَا تَدُلُّ عَلَيْهَا» أي: صورتها تدلُّ على الحمل والطيْرانِ،  
فتدلُّ على الحمل لأنها كبيرة، وعلى الطيْرانِ، لأنَّ لها أجنحة.  
وقَوْلُهُ: «هَذَا وَلَيْسَ لَهَا بِذَلِكَ يَدَانِ» يعني: ليس لها قُوَّة.

١٦٠- فَلِذَلِكَ قَالَ بِأَنَّ طَاعَاتِ الْوَرَى      وَكَذَلِكَ مَا فَعَلُوهُ مِنْ عِصْيَانِ

١٦١- هِيَ عَيْنُ فِعْلِ الرَّبِّ لَا أَفْعَالُهُمْ      فَيَصِحُّ عَنْهُمْ عِنْدَ ذَا نَفْيَانِ

١٦٢- نَفْيِي لِقُدْرَتِهِمْ عَلَيْهَا أَوْلَا      وَصُدُّورَهَا مِنْهُمْ بِنَفْيِي ثَانِي

يعني ينفي القدرة فيقول: الإنسان ليس بقادرٍ على عَمَلِهِ، وهل هذا صحيح؟  
هل هو قادرٌ على عَمَلِهِ، أو غير قادر؟ الجواب: هو قادر له قُدْرَةٌ، أعطاه الله إِيَّاهَا.

وهل هو الفاعل، أو غيره؟ الجواب: هو الفاعل.

هو يقول: لا قُدْرَةَ، ولا فاعِلَ، لا قُدْرَةَ، لأنه مُجْبَرٌ، ولا فاعِلٌ، لأنَّ فِعْلَهُ عَيْنُ فِعْلِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ.

إِذْنُ مَا هُمَا النِّفْيَانِ؟ بَيْنَهُمَا أَنَّهَا نَفْيُ الْقُدْرَةِ، وَنَفْيُ صُدُورِهَا مِنْهُمْ.

\*\*\*

- ١٦٣- فَيَقَالُ: مَا صَامُوا وَلَا صَلَّوْا وَلَا زَكَّوْا وَلَا ذَبَحُوا مِنَ الْقُرْبَانِ  
 ١٦٤- وَكَذَلِكَ مَا شَرِبُوا وَمَا قَتَلُوا وَلَا سَرَقُوا وَلَا فِيهِمْ غَوِيٌّ زَانِي  
 ١٦٥- وَكَذَلِكَ لَمْ يَأْتُوا اخْتِيَارًا مِنْهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ  
 ١٦٦- إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ لِأَنَّهَا قَامَتْ بِهِمْ كَالطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ  
 ١٦٧- جُبُرُوا عَلَى مَا شَاءَهُ خَلْقُهُمْ مَائِمٌ ذُو عَوْنٍ وَغَيْرُ مَعَانِ  
 ١٦٨- وَالْكُلُّ مَجْبُورٌ وَغَيْرُ مَيْسَّرٍ كَالْمَيْتِ أُدْرِجَ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ

### الشرح

١٦٣- فَيَقَالُ: مَا صَامُوا وَلَا صَلَّوْا وَلَا زَكَّوْا وَلَا ذَبَحُوا مِنَ الْقُرْبَانِ

على مذهب الجبر، لا يقال: إِنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الْمُصَلِّي، وَهُوَ الصَّائِمُ، وَهُوَ الْمَزْكِيُّ، وَهُوَ الدَّاعِي، وَهُوَ الْمُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِالذَّبْحِ، إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، لِأَنَّ فاعِلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ حَقِيقَةً هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ. اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا.

فليَحْمَدَ المسلم رَبَّهُ إذ لم يجعله هكذا، لأنَّ هؤلاء رجالٌ لهم قلوب، ولهم فُهُمٌ، وأذكياء، ومع ذلك ضَلُّوا هذا الضلال البعيد.

إذا قام الإنسان يصليُّ يقول: هذا غير مُصَلِّ، فَمَنِ المُصَلِّي؟ يقول: الله عزَّ وجلَّ فنقول: لكنَّ الكلَّ يقول: إنَّ هذا الإنسان صَلَّى، قال: هذا مجازٌ، فَنِسْبَةُ الصلاة إليه مجاز، لأنَّها قامت به، وهي فعل الرَّبِّ.

١٦٤- وَكَذَلِكَ مَا شَرِبُوا وَمَا قَتَلُوا وَلَا سَرَقُوا وَلَا فِيهِمْ غَوِيٌّ زَانِي

١٦٥- وَكَذَلِكَ لَمْ يَأْتُوا اخْتِيَارًا مِنْهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

يقول: المؤمن مجبور على الإيمان، والكافر مجبور على الكفر.

١٦٦- إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ لِأَنَّهَا قَامَتْ بِهِمْ كَالطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ

طعمُ التَّمْرِ حُلُوٌّ طَيِّبٌ، وطعمُ الشَّرِيٍّ<sup>(١)</sup> شديد المرارة، هذا الطعم الذي قام بالتمر وبالشَّرِيٍّ متقابلان، هل هو باختيار الشَّرِيٍّ والتمر؟ الجواب: لا، هكذا فعل العبد، كما يقوم الطَّعْمُ في المطعوم، يقوم الفِعلُ في الفاعل بالنسبة للعبد.

١٦٧- جُبِرُوا عَلَى مَا شَاءَهُ خَلْقُهُمْ مَائِمٌ ذُو عَوْنٍ وَغَيْرُ مُعَانٍ

قَوْلُهُ: «جُبِرُوا عَلَى مَا شَاءَهُ خَلْقُهُمْ» قال: (جبروا) لم يقل: جُبلوا، ولو قال: (جُبلوا) صَحَّ، فالإنسان يُجْبَلُ على الخُلُقِ الطَّيِّبِ، وعلى الخُلُقِ الرديء، وعلى العمل الصالح، وعلى العمل السيئ، فهذه جِبَلَةٌ، ولهذا لما قال النبي ﷺ لأشجَّ عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

(١) الشَّرِيٍّ - بالتسكين -: الحَنْظَلُ، يقال: هو أَحْلَى مِنَ الأَرِي، وَأَمْرٌ مِنَ الشَّرِيٍّ. انظر: تاج العروس،

أَخْلَقْنِي تَخَلَّقْتُ بِهِمَا أَمْ جَبَلَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا، قَالَ: «بَلْ جَبَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا»، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْقَتَيْنِ مُحِبَّيْهِمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ<sup>(١)</sup>. فَأَقْرَّ الْجَبَلَ، لَكِنَّ الْجَبْرَ لَا يُقَرَّرُ.  
هو يقول: إنهم مجبرون.

قَوْلُهُ: «مَا تَمَّ ذُو عَوْنٍ، وَعَعِيْرُ مُعَانٍ» يعني: لا يوجد مُعِين، ولا مُعَانٌ، فالمُعِين هو الله عزَّ وجلَّ والمُعَانُ: الخلق، فهو يقول: هما شيءٌ واحد، يعني: أفعال الخلق هي أفعال الله، فَعَلِيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَأَيَّاكَ نَسْتَعِيْبُ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْبُ﴾ [الفاتحة: ٥]، على زَعْمِهِ ليس لها فائدة، لأنَّ الفِعْلَ فِعْلُ اللَّهِ.

١٦٨- وَالْكُلُّ مَجْبُورٌ وَغَيْرُ مُسَيَّرٍ كَالْمَيْتِ أُدْرَجُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ  
الميت - أحسنَ اللهُ لي ولكم الخاتمة - يُؤخذ جُثَّةٌ من سَرِيرٍ غُسَلَهُ إِلَى أَكْفَانِهِ وَيُدْرَجُ، فَهَلْ هَذَا بَاخْتِيَارِهِ؟ الْجَوَابُ: لَيْسَ بَاخْتِيَارِهِ، فَهُوَ يَقُولُ: الْإِنْسَانُ فِي أَفْعَالِهِ كَالْمَيْتِ يُدْرَجُ دَاخِلَ أَكْفَانِهِ.

لكن لو قال قائل: إِنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] فما الجواب؟

الجواب أن نقول: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أَي: مَا أَوْصَلْتَ مَرْمِيكَ إِلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بِالْفِعْلِ، فَالرَّسُولُ رَمَى عَلَى وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ وَهَذَا فِعْلٌ، لَكِنْ هَلْ أَوْصَلَهُ؟ التُّرَابُ لَيْسَ لَهُ نَفُوذٌ فِي الْهَوَاءِ كَنَفُوذِ الْحَجَرِ، وَلِذَا فَمَا يُوَصَّلُ، أَمَّا الْحَجَرُ رَبِّهَا يُوَصَّلُهُ الْإِنْسَانُ إِلَى ثَلَاثِمِئَةِ ذِرَاعٍ، لَكِنَّ التُّرَابَ مَا يُمْكِنُ.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل، رقم (٥٢٢٥)، وأصل الحديث عند مسلم: كتاب الإيِّان، باب الأمر بالإيِّان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، رقم (١٧).

إِذْنٍ (رمى) الأولى بمعنى: أوصلت، والثانية: (الفاعل)، الثالثة «وَلَكِنْ»  
 اللَّهُ رَمَى: الإيصال.

العجب أن الغاز المسيل للدموع أصله هذه المسألة، وهو رمي التراب إلى  
 عيون المشركين، لأنه لما رمى التراب صار كُلُّ واحدٍ مشغولاً بعينه، أو نقول: إنَّ  
 الغاز المسيل للدموع مأخوذ من هذا، فالأصول الأصيلة تجد لها أصلاً في الشريعة  
 من قَبْلُ.

\*\*\*

- ١٦٩- وَكَذَلِكَ أَفْعَالُ الْمُهَيِّمِينَ لَمْ تَقُمْ      أَيضًا بِهِ خَوْفًا مِنَ الْحَدَثَانِ  
 ١٧٠- فَإِذَا جَمَعْتَ مَقَالَاتِهِ أَنْتَجَا      كَذِبًا وَزُورًا وَاضِحَ الْبُهْتَانِ  
 ١٧١- إِذْ لَيْسَتْ الْأَفْعَالُ فِعْلَ إِيهِنَا      وَالرَّبُّ لَيْسَ بِفَاعِلِ الْعِضْيَانِ  
 ١٧٢- فَإِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ الْإِلَهِ وَفِعْلُهُ      وَكَلَامُهُ وَفَعَائِلُ الْإِنْسَانِ  
 ١٧٣- فَهَنَّاكَ لَا خَلْقٌ وَلَا أَمْرٌ وَلَا      بَوْحِي وَلَا تَكْلِيفُ عَبْدٍ فَايِ

### الشرح

١٦٩- وَكَذَلِكَ أَفْعَالُ الْمُهَيِّمِينَ لَمْ تَقُمْ      أَيضًا بِهِ خَوْفًا مِنَ الْحَدَثَانِ  
 أفعال المهيمين لا يصح أن تُنسب إليه، يعني: كل الصفات الفعلية لا تُنسب  
 إلى الله، فخلقه بمعنى مخلوقه، وسمعه بمعنى مسموعه، وهلمَّ جرًا.

قوله: «خَوْفًا مِنَ الْحَدَثَانِ» يعني: خوفًا من أن تقوم به الحوادث، والحوادثُ  
 لا تقوم إلا بحدوث، هذه قاعدتهم المهدومة، فنفي أيضًا أن تقوم الأفعال بالله،

وهذا من الغرائب، أفعال العباد بالنسبة لله أفعال الله، وأفعال الله لا تُنسب إلى الله، فهذا شيء عجيب، فانظر إلى هذا الهديان الذي ما فوقه هديان!!

هذه المذاهب لولا أن الذين ينقلونها ثقات: كابن القيم وابن تيمية -رحمهما الله- ما صدقنا، لكن هم -جزاهم الله خيرا- خضوا لنا المخيض<sup>(١)</sup> فأظهروا الزبد، فهم قرأوا كتب هؤلاء ومحصوها وعرفوها ونقلوها إلينا صافية، فهم -والله- ثقات، ثقات في نقلهم، وثقات في فهمهم أيضا، لأنه ربما يطالع الإنسان كتاب شخص، ولا يعرف معناه، فينقل عنه ما لا يريد، لكنهم ثقات في النقل، وثقات في الفهم.

فنقول: إن هذا المذهب لا يكاد يتصوره عاقل، فضلا عن أن يعتقده في ربه.

١٧٠- فَإِذَا جَمَعْتَ مَقَالَاتِهِ أَنْتَجَا كَذِبًا وَزُورًا وَاضِحَ الْبُهْتَانِ قَوْلُهُ: «كَذِبًا» أَي: كَذِبًا فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ أفعالَ العبادِ أفعالَ الله.

قَوْلُهُ: «وَزُورًا» كَذَلِكَ، وَهُوَ أَقْبَحُ الكَذِبِ، وَنَفِيهِمْ أفعالَ الله عن نفسه أيضًا كَذِبٌ وَزُورٌ.

١٧١- إِذْ لَيْسَتْ الْأَفْعَالُ فِعْلَ إِلِهِنَا وَالرَّبُّ لَيْسَ بِفَاعِلِ الْعِصْيَانِ

١٧٢- فَإِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ إِلَاهِهِ وَفِعْلُهُ وَكَلَامُهُ وَفَعَائِلُ الْإِنْسَانِ

١٧٣- فَهَئَاكَ لَا خَلْقٌ وَلَا أَمْرٌ وَلَا يَوْحِيٌّ وَلَا تَكْلِيفٌ عَبْدٌ فَايِ

يعني: أن أفعال الله ليست فعله.

(١) مَحْضُ اللَّبَنِ يَمْحُضُهُ وَيَمْحُضُهُ وَيَمْحُضُهُ مَحْضًا، فَهُوَ مَمْحُوضٌ وَمَحْيُضٌ: أَخَذَ زُبْدَهُ، وَقَدْ تَمَحَّضَ، وَالْمَخِيضُ وَالْمَمْحُوضُ: الَّذِي قَدْ مَحَّضَ وَأَخَذَ زُبْدَهُ. انظر: لسان العرب، مادة: محض.

قَوْلُهُ: «وَالرَّبُّ لَيْسَ بِفَاعِلٍ الْعِصْيَانِ» إِذَا نَفَى فِعْلَ الْعَبْدِ وَقِيَامَهُ بِالْعَبْدِ، وَأَنَّهُ قَائِمٌ بِاللَّهِ، ثُمَّ نَفَى فِعْلَ اللَّهِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا تَقُومُ بِهِ الْأَفْعَالُ خَوْفًا مِنْ قِيَامِ الْحَوَادِثِ بِهِ، وَالْحَوَادِثُ -عَلَى زَعْمِهِ- لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ.

إِذْنٌ ائْتَفَى فِعْلَ الرَّبِّ عَنِ الرَّبِّ، وَانْتَفَى فِعْلَ الْعَبْدِ عَنِ الْعَبْدِ، يَعْنِي أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَفْعَلُ، وَالرَّبُّ لَا يَفْعَلُ، إِذْنٌ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ، إِذْنٌ لَا شَرْعَ، وَلَا وَحْيَ، وَلَا قِرَانَ، وَهَذَا مِنَ اللُّوْازِمِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي (الْقَوَاعِدِ الْمُثَلِّي) <sup>(١)</sup>: هَلْ لَازِمُ الْمَذْهَبِ مَذْهَبٌ أَوْ لَا؟ وَقَلْنَا: أَمَّا مَا كَانَ لَازِمًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَكَلَامِ رَسُولِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَأَمَّا مَا كَانَ لَازِمًا مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَمَذَاهِبِهِمْ، فَلَيْسَ بِمَذْهَبٍ لَهُمْ لِحَوَازِ أَنْ يَلْتَزِمُوا بِهِ فَيَكُونُ مَذْهَبًا لَهُمْ، أَوْ لَا يَلْتَزِمُوا بِهِ، فَلَا يَكُونُ مَذْهَبًا لَهُمْ، وَسَبَقَ بَيَانُ سَبَبِ عَدَمِ التَّزَامِهِمْ.

إِذْنٌ هُوَ لِأَنَّ -وَالْعِيَاذَ بِاللَّهِ- نَفَوْا فِعْلَ قِيَامِ الْأَفْعَالِ بِاللَّهِ، وَنَفَوْا قِيَامَ الْأَفْعَالِ بِالْإِنْسَانِ، وَبِذَلِكَ أَبْطَلُوا الْقَدْرَ وَالشَّرْعَ، وَأَبْطَلُوا الْحِكْمَةَ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّهُمْ لَا يُثَبِّتُونَ لِلَّهِ حِكْمَةً.

فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَفْعَلُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، إِذْنٌ كَيْفَ نَمْدِحُ الْمُطِيعَ، وَكَيْفَ نَذِمُ الْعَاصِي؟! كَيْفَ نَعَاقِبُ الْعَاصِي، وَكَيْفَ نُثِيبُ الْمُطِيعَ؟! وَإِذَا كَانَ اللَّهُ لَمْ يُقَمَّ بِهِ فِعْلٌ، فَأَيْنَ كَلَامُهُ؟ وَأَيْنَ فِعْلُهُ؟ وَأَيْنَ خَلْقُهُ؟ وَأَيْنَ تَدْبِيرُهُ؟

إِذْنٌ يَلْزِمُ عَلَى قَوْلِهِمْ نَفْيُ الشَّرَائِعِ كُلِّهَا، وَإِبْطَالُ الْقَدْرِ وَالشَّرْعِ، فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ فِعْلَ اللَّهِ هُوَ الْمَفْعُولُ فَقَطْ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ فِعْلٌ قَائِمٌ بِهِ فَلَا، فَهُوَ مَخْلُوقٌ بِلَا خَلْقٍ قَائِمٌ بِاللَّهِ، وَاللَّهُ خَالِقٌ بِلَا وَصْفٍ قَائِمٌ بِهِ، بَلْ خَالِقٌ، أَي: لَهُ مَخْلُوقٌ.

(١) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للمصنف (ص: ١٣).

هم ينكرون فعل الله الذي هو مُتَّصِفٌ به، وهذا أكبر تناقض  
ولا شك أن القول الذي لا يقبل العقل سواه هو ما دلَّ عليه الكتابُ  
والسنةُ، فلا شك أن الله موصوفٌ بالأفعال، وأن الأفعال وصفه - سبحانه  
وتعالى - قائمٌ به، ولا يلزم من حدوث الفعل حدوثُ الفاعل بلا شك.

وهل يمكن مفعولٌ بلا فعل؟ الجواب: أبدًا، وهل يمكن أن يوجدَ قصرٌ  
مبنيٌّ بدون بناءٍ من بانيه؟ الجواب: أبدًا، فالمفعول يلزم منه سبقُ الفعل، وإلا لَمَا  
حَصَلَ المطلوب، ونقول أيضًا: إنَّ الإنسان هو الفاعل، ولو لم يكن هو الفاعل  
لكَانَ الرَّجُلُ إِذَا زَنَى لَدَهَبْنَا لَوَاحِدٍ لَمْ يَزِنْ، لأنَّ هذا ما فعل.

فنقول: الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة هو أن للإنسان فعلًا قائمًا به يُحْمَدُ  
عليه وَيُذَمُّ، وَيُثَابُ، وَيُعَاقَبُ، وَيَصِلُ بِهِ إِلَى الدَّرَجَاتِ العُلَى، أَوْ إِلَى الدَّرَكِ الأَسْفَلِ  
مِنَ النَّارِ، هَذَا لَا شَكَّ فِيهِ، وَهُوَ مُقْتَضَى العَقْلِ وَالشَّرْعِ.

\*\*\*

١٧٤- وَقَضَى عَلَى أَسْمَائِهِ بِحُدُوثِهَا وَبِخَلْقِهَا مِنْ جُمْلَةِ الأَكْوَانِ  
١٧٥- فَانظُرْ إِلَى تَعْطِيلِهِ الأَوْصَافَ وَالْأَفْعَالَ وَالْأَسْمَاءَ لِلرَّحْمَنِ  
١٧٦- مَاذَا الَّذِي فِي ضِمْنِ ذَا التَّعْطِيلِ مِنْ نَفْسِي وَمَنْ جَحَدٍ وَمَنْ كُفْرَانِ

### الشرح

١٧٤- وَقَضَى عَلَى أَسْمَائِهِ بِحُدُوثِهَا وَبِخَلْقِهَا مِنْ جُمْلَةِ الأَكْوَانِ  
١٧٥- فَانظُرْ إِلَى تَعْطِيلِهِ الأَوْصَافَ وَالْأَفْعَالَ وَالْأَسْمَاءَ لِلرَّحْمَنِ

ابن القيم - رحمه الله - يقول: «وَقَضَى» يعني: جهماً.

أسماء الله - تبارك وتعالى - قديمة تَسْمَى بها - جَلَّ وعلا-، واستأثر بعِلْم بعضها عن خلقه، وأظهر ما يحتاج الناس إليه من أسمائه وعَرَفهم بها، وهي قديمة.

والجهم يقول: أسماء الله حادثةٌ مخلوقةٌ، كما أن كلامه حادثٌ مخلوقٌ.

فعدنا الأسماء والصفات والأفعال، أمّا الأسماء فنَقَى قِدَمَها، وقال: إن

أسماء الله مخلوقة، وليست قديمة، خَلَقَها كما خَلَقَ السموات والأرض.

وهو هنا أخطأ أو أصاب؟ الجواب: أخطأ.

فهو قال: إنَّ أسماءَ الله عزَّ وجلَّ مخلوقة، وليست قديمة بِقِدَمِهِ، قال: لأنَّ

الاسم غير المُسَمَّى.

نقول: وهل صحيح أن الاسم غيرُ المُسَمَّى؟

الجواب: إن قلت: (نعم) أخطأت، وإن قلت: (لا) أخطأت، بل فيه تفصيل:

١- إن أردت بالاسم اللفظَ الدالَّ على مُسَمَّاه فهو المُسَمَّى، أنا إذا قلت:

(ادعُ لي زيدًا)، فإنَّك تدعو نفسَ زيد، وهو المُسَمَّى بهذا الاسم، فهو هو.

٢- أما إذا أُريدَ بالاسم الحروف الدالة على مُسَمَّاه، فهذا غيره بلا شك،

ولهذا إذا كتبت: (زيد قام)، ووضَّرتَ حُرُوفَ (زيد) ضَرْبًا مُبْرَحًا، فهل (زيد)

الذي (عندي) هل يقول: أوجعتني؟ الجواب: لا، لأنَّ الاسم غير المُسَمَّى، لكن

لو أقول: (ادعُ زيدًا)، فهذا المُسَمَّى لا شك، قال الله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾

[غافر: ١٤] والمراد مُسَمَّى هذا الاسم، ولا يحتمل اللفظ غيره.

لكن لو قلت: (اكتب الله)، فالمرادُ الاسمُ، يعني: الحروف الدالَّة على مُسَمَّاه.

فَعَلَىٰ هَذَا هُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ، لِأَنَّهَا غَيْرُهُ، فَتَسَمَّى اللَّهُ بِهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ اسْمٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَكَانَ مُعْطًىً عَنِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ، وَعَنِ الْأَفْعَالِ، فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ.

إِذْ كَانَ عَدَمًا، ثُمَّ صَارَ مَوْجُودًا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

ثُمَّ أَتَى إِلَى الْأَوْصَافِ فَقَالَ: لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ بِصِفَةٍ، لِأَنَّنا لَوْ وَصَفْنَاهُ بِصِفَةٍ قَدِيمَةٍ لَزِمَ تَعَدُّدُ الْقُدَمَاءِ، وَهَذَا شِرْكٌ.

فَانظُرْ كَيْفَ صَاغَهُ بِقَالَِبِ التَّنْزِيهِ؟!

وَأَتَى إِلَى الْأَفْعَالِ فَقَالَ أَيْضًا: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا أَنْ يَنْزِلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَا أَنْ يَخْلُقَ، حَتَّى الْخَلْقُ حَوَالَهُ إِلَى الْمَخْلُوقِ (الْمَفْعُولِ) فَلَا فِعْلٌ.

فَهُوَ الْآنَ نَفَى الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، مَاذَا بَقِيَ؟ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ.

لَكِنَ مَاذَا نَقُولُ نَحْنُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؟

نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزَالُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَأَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَةٌ بِقَدَمِهِ، صَحِيحٌ أَنْ أَنْوَاعِ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ، أَوْ أَفْرَادِهَا هِيَ الَّتِي تَكُونُ حَادِثَةً، فَمَثَلًا الْإِسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ كَانَ حَادِثًا، وَالنُّزُولُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حَادِثٌ، وَالْكَلَامُ بِإِعْتِبَارِ آحَادِهِ حَادِثٌ، أَمَّا الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ، فَهِيَ قَدِيمَةٌ بِقَدَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ.

لَكِنَ انظُرْ كَيْفَ صَوَّرَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، وَجَمَعْنَا بِهِ فِي

جَنَاتِ النِّعَمِ - كَيْفَ صَوَّرَ هَذَا؟

١٧٦- مَاذَا الَّذِي فِي ضِمْنِ ذَا التَّعْطِيلِ مِنْ نَفِيٍّ وَمِنْ جَحْدٍ وَمِنْ كُفْرَانٍ  
قَوْلُهُ: «مَاذَا الَّذِي فِي ضِمْنِ ذَا التَّعْطِيلِ»؟ الجواب: ما الذي فيه؟ فيه كُلُّ  
شَيْءٍ: كُفْرٌ وَجَحْدٌ وَتَعْطِيلٌ.

\*\*\*

١٧٧- لَكِنَّهُ أَبَدَى الْمَقَالَةَ هَكَذَا فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ  
١٧٨- وَأَتَى إِلَى الْكُفْرِ الْعَظِيمِ فَصَاغَهُ عَجَلًا لِيَفْتِنَ أُمَّةَ الثَّيْرَانِ  
١٧٩- وَكَسَاهُ أَنْوَاعَ الْجَوَاهِرِ وَالْحُلَى مِنْ لَوْلُؤٍ صَافٍ وَمِنْ عَقِيَانِ  
١٨٠- فَرَأَهُ ثَيْرَانُ الْوَرَى فَأَصَابَهُمْ كَمْصَابِ إِخْوَتِهِمْ قَدِيمَ زَمَانِ  
١٨١- عَجَلَانَ قَدْ فَتَنَّا الْعِبَادَ بِصَوْتِهِ إِحْدَاهُمَا وَبِحَرْفِهِ ذَا الثَّانِي

### الشرح

١٧٧- لَكِنَّهُ أَبَدَى الْمَقَالَةَ هَكَذَا فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ  
قَوْلُهُ: «لَكِنَّهُ أَبَدَى الْمَقَالَةَ هَكَذَا» يعني بالنَّفْيِ.

قَوْلُهُ: «فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ» يعني: جَعَلَ هَذَا مِنْ بَابِ التَّنْزِيهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
فَقَالَ: الْأَسْمَاءُ حَادِثَةٌ، لَيْسَتْ قَدِيمَةً فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَالْأَوْصَافُ مُنَزَّهَةٌ عَنْهَا، لِأَنَّهُ لَوْ  
كَانَ هُنَاكَ صِفَةٌ لَتَعَدَّدَ الْقُدَمَاءُ، وَالْأَفْعَالُ لَا يُمْكِنُ، لِأَنَّهُ لَوْ قَامَتْ بِهِ الْأَفْعَالُ لَكَانَ  
حَادِثًا.

هَذَا كُلُّهُ لَوْ سَمِعَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَوَامِّ لَظَنَّ أَنَّ هَذَا جَيِّدٌ، وَأَنَّهُ حَقِيقَةٌ، لِأَنَّهُ  
صَاغَهُ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ.

١٧٨- وَأَتَى إِلَى الْكُفْرِ الْعَظِيمِ فَصَاغَهُ عِجْلًا لِيَفْتِنَ أُمَّةَ الثَّيْرَانِ  
١٧٩- وَكَسَاهُ أَنْوَاعَ الْجَوَاهِرِ وَالْحُلَى مِنْ لُؤْلُؤٍ صَافٍ وَمِنْ عِقْيَانِ

صحيح، أتى إلى الكفر الصريح وجعله (عجلاً)، يشير إلى عجل بني إسرائيل حينما جعل السامري من حليهم عجلاً، وجعل داخله مجوفاً، ومن عند فيه ضيقاً، فصاروا يولونه الريح، فتأتي من دبره، وتخرج من فيه لها صوت، ومعروف أن الريح إذا دخلت من واسع، وخرجت من ضيق يكون لها صوت.

على كل حال لعله جعل له تعاريج، أو أشياء من صنعه، حتى إذا خرجت من فيه صارت كخوار الثور، والذي صنع هذا هو السامري -قبحه الله-، صنع هذا الحلي عجلاً بعدما ذهب موسى لميقات ربه، واستخلف عليهم هارون -عليه الصلاة والسلام-.

ونعلم أن موسى -عليه السلام- كان ميعاده ثلاثين ليلة، وأتمها الله بعشر، فصارت أربعين ليلة، فلما تمت الثلاثون ولم يأت، صنع السامري هذا العجل، وقال لهم: هذا هو إلهكم وإله موسى، لكن موسى ضل، فقد ذهب، وتأخر عن الموعد الذي وعدنا فصنع إلهه، وهذا العجل إلهه، فإذا هبت الريح دخلت جوفه، ثم خرجت من ضيق، فصار له خوار، قال الله تعالى: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨].

الجهنم جعل مقالته كثور بني إسرائيل، أبدأها مزيئة مزخرفة، أعطاه الله بياناً يتكلم، ويصنع الكلام كما شاء، قد ألين له الكلام، فأظهر هذه المقالة التي هي التعطيل المحض، أظهرها على أنها تنزيه لله عز وجل فقبلها الثيران، وأما الرجال، فلم يقبلوها.

وعلى هذا فنقول: الجَهْمِيَّة كُلُّهُمْ ثِيرَان، وَحُقَّ لَهُمْ، بل الثيران أحسنُ منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

ونحن -والحمد لله- لا نقول: ادَّعَوْا عَلَيْهِ بِلَا بَيِّنَةٍ، بل هذه مقالاته تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ ثِيرَانُ الْوَرَى.

وَقَوْلُهُ: «الْعَقِيَان» يعني: الذهب.

١٨٠- فَرَأَهُ ثِيرَانُ الْوَرَى فَأَصَابَهُمْ كَمْصَابٍ إِخْوَتِهِمْ قَدِيمَ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «فَرَأَهُ ثِيرَانُ الْوَرَى» أي: الذين لا يفهمون، فالذين تَبِعُوا هذا القول ثيران، لأنهم تَبِعُوا هذا القول، وافتتنوا به، فهو أظهر لهم هذا القول على أنه تنزيه للربِّ، والرَّبُّ حَاشَاهُ أَنْ يَفْعَلَ، وَحَاشَاهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَصْفٌ، حَاشَاهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسَاءٌ قَدِيمَةٌ، فَأَعْجَبُوا بِهِ، وَأَخَذُوا بِهِ، وَلَوْلَا هَذَا مَا أَخَذَ بِمَقَالَتِهِ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، لَكِنِ التَّمَوِيهِ.

قَوْلُهُ: «كَمْصَابٍ إِخْوَتِهِمْ قَدِيمَ زَمَانٍ» أي: بني إسرائيل، فَهُمْ عَبَدُوا الْعِجْلَ، وَاتَّخَذُوهُ إِلهًا، وَمَعَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ لَا يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ إِلهًا، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩] فهو لَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَضُرُّهُمْ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ، كَيْفَ يَكُونَ إِلهًا؟!

ثم قال:

١٨١- عِجْلَانَ قَدْ فَتَنَّا الْعِبَادَ بِصَوْتِهِ إِحْدَاهُمَا وَبِحَرْفِهِ ذَا الثَّانِي

قَوْلُهُ: «عِجْلَانَ قَدْ فَتَنَّا الْعِبَادَ» عِجْلَانَ: الْعِجْلُ الْأَوَّلُ: عِجْلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الذَّهَبِ، وَالثَّانِي: عِجْلُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ مِنَ الْكَلَامِ الْمُزْخَرَفِ وَالْمُزَيَّفِ،

يقول: (فَتَنَا الْعِبَادَ بِصَوْتِهِ إِحْدَاهُمَا) أيها الذي بِصَوْتِهِ؟ الجواب: عجل بني إسرائيل.

قَوْلُهُ: «وَبِحَرْفِهِ ذَا الثَّانِي» (حرفه) يعني: كلامه، فهذا بالتحريف، أي: بتحريف الكلِم عن مواضعه، وتزويق الكلام الذي يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

فقَوْلُهُ: «ذا الثاني» يعني: جهماً، فجَهَّم صاغ الكلامَ في قالب التنزيه، والعبادُ مَفْطُورُونَ على تنزيه الله، لكنهم جاهلون، فَعَرَّهم هذا.

\*\*\*

- ١٨٢- وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ فَأَهْلُ ظَوَاهِرٍ      تَبَدُّو لَهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ مَعَانِي
- ١٨٣- فَهُمُ الْقُشُورُ وَبِالْقُشُورِ قِوَامُهُمْ      وَاللُّبُّ حَظُّ خُلَاصَةِ الْإِنْسَانِ
- ١٨٤- وَلِذَا تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ      وَتَوَارَتْهُوَ إِزْثَ ذِي الشُّهْمَانِ
- ١٨٥- لَمْ يَنْجُ مِنْ أَقْوَالِهِ طُرّاً سِوَى      أَهْلِ الْحَدِيثِ وَشِيعَةِ الْقُرْآنِ
- ١٨٦- فَتَبَرُّوا مِنْهَا بَرَاءَةَ حَيْدَرٍ      وَبَرَاءَةَ الْمَوْلُودِ مِنْ عِمْرَانَ<sup>(١)</sup>
- ١٨٧- مِنْ كُلِّ شَيْعِيٍّ حَيْثُ وَضَفُّهُ      وَضَفُّ الْيَهُودِ مُحَلِّي الْحَيْتَانِ

### الشرح

- ١٨٢- وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ فَأَهْلُ ظَوَاهِرٍ      تَبَدُّو لَهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ مَعَانِي
- قَوْلُهُ: «وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ فَأَهْلُ ظَوَاهِرٍ» يعني: أكثر الناس ليس عندهم عمق

(١) في أكثر الأصول: «عثمان».

في التفكير، ولا في العلم، فأكثرهم أهل ظواهر يَعْتَرُونَ بظاهر القول، ولا ينظرون إلى ما يترتب على هذا الظاهر، وهل هو حق أو باطل، مُصْلِحٌ أو مُفْسِدٌ؟ فإذا تكلم الفصيح ذو البيان بكلام -ولو باطلاً- التبس عليهم، فتجدهم أتباع كل ناعق.

قَوْلُهُ: «تَبَدُّو لَهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ مَعَانِي» يعني: أنهم لا يغوصون إلى المعاني، ويعرفون ما المراد بهذا الكلام، وماذا يُفْضِي إليه؟

١٨٣- فَهُمُ الْقَشُورُ وَبِالْقَشُورِ قَوْمُهُمْ وَاللَّبُّ حَظُّ خُلَاصَةِ الْإِنْسَانِ  
يعني: هؤلاء ليس عندهم إِلَّا الْقَشُورُ، وَأَمَّا اللَّبُّ، فهو عند خُلَاصَةِ الْإِنْسَانِ، وهم عبادُ الله عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْكَلَامَ، وَيَعْرِفُونَ مُرَادَهُ، فَلَا يَشْتَبِهُهُ عَلَيْهِمْ.

١٨٤- وَلِذَا تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ وَتَوَارَثُوهُ إِرْثَ ذِي السُّهْمَانِ  
قَوْلُهُ: «وَلِذَا تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ» الطوائف يعني: المبتدعة.

قَوْلُهُ: «قَوْلَهُ» أي: قول جَهِمٍ.

قَوْلُهُ: «وَتَوَارَثُوهُ إِرْثَ ذِي السُّهْمَانِ» هذا له السُّدُسُ، وهذا له الرُّبْعُ، وهذا له الثُّمْنُ، وهذا له الثُّلُثُ... وهكذا.

فواحدٌ منهم أخذ سَهْمًا، وواحدٌ أخذ سهمين، وواحدٌ أخذ أسْهُمًا كثيرة، فمثلاً هو عَطَّلَ اللهُ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَعَطَّلَ اللهُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَعَطَّلَ اللهُ مِنْ أَفْعَالِهِ، وقال: إِنَّ الْإِيْمَانَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، ولا يدخل فيه القول والعمل، وقال بالجبر، وأنكر أن للعبد اختياراً، فهذه خمسة أشياء، والناس تَقَسَّمُوهَا.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ أَقْرَبَ بِالْأَسْمَاءِ وَأَنْكَرَ الصِّفَاتِ، مِثْلَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْرَبَ بِالْأَسْمَاءِ وَأَثَبَتْ مِنَ الصِّفَاتِ سَبْعًا، وَهُمْ الْأَشَاعِرَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُجَبَّرٌ عَلَى عَمَلِهِ، وَلَكِنْ لَا يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ: (مُجَبَّرٌ)، بَلْ نَقُولَ: عَمَلُهُ كَسَبٌ لَهُ، وَهُوَ خَلَقَ اللَّهُ، كَمَا قَالَتِ الْأَشَاعِرَةُ، وَلِهَذَا كَانَ الْكَسْبُ عِنْدَ الْأَشْعَرِيِّ لَيْسَ لَهُ قِيَمَةٌ أَبَدًا، فَهُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مَعْنَى، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُوَصِّفُ بِالْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ.

إِذَنْ أَصْلُ أَهْلِ الْبَدْعِ - عَلَى كَلَامِ ابْنِ الْقَيْمِ هَذَا - هُوَ قَوْلُ جَهْمٍ، لَكِنْ كُلُّ أَحَدٍ بِنَصِيْبِهِ، هَذَا أَخَذَ بِهَذَا، وَهَذَا أَخَذَ بِهَذَا.

١٨٥- لَمْ يَنْجُ مِنْ أَقْوَالِهِ طُرًّا سِوَى أَهْلِ الْحَدِيثِ وَشَيْعَةِ الْقُرْآنِ  
قَوْلُهُ: «طُرًّا» بِمَعْنَى: جَمِيعًا، يَعْنِي لَمْ يَنْجُ أَحَدٌ مِنْ أَقْوَالِهِ إِلَّا أَهْلُ الْحَدِيثِ وَشَيْعَةُ الْقُرْآنِ، يَعْنِي: أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ.

قَوْلُهُ: «وَشَيْعَةُ الْقُرْآنِ» يَعْنِي: أَصْحَابَهُ الْمُتَشَيْعِينَ لَهُ.

١٨٦- فَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا بَرَاءَةَ حَيْدَرٍ وَبَرَاءَةَ الْمَوْلُودِ مِنْ عِمْرَانَ  
قَوْلُهُ: «فَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا» أَي: مِنْ أَقْوَالِهِ.

قَوْلُهُ: «بَرَاءَةَ حَيْدَرٍ» تَبَرَّأَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بَرَاءَةَ حَيْدَرٍ، (وَحَيْدَرٌ) لَقَبٌ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْحَيْدَرُ اسْمُ الْأَسَدِ، وَكَانَ يَقُولُ حِينَئِذٍ بَارِزَ مَرْحَبًا يَهُودِيًّا: «أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةً»<sup>(١)</sup>.

وَقَوْلُهُ: «بَرَاءَةَ حَيْدَرٍ» أَي: مِنْ دَمِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْبَاطِلِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ غَزْوَةِ ذِي قُرْدٍ وَغَيْرِهَا، رَقْمٌ (١٨٠٧).

اتَّهَمُوا عَلِيًّا بِأَنَّهُ قَدْ تَمَالَأَ مَعَ الَّذِينَ قَتَلُوا عِثْمَانَ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ بِلَا شَكٍّ، بَلْ إِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ اسْتَأْذَنَ أَنْ يُدَافِعَ عَنِ عِثْمَانَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَأْذَنَ لَهُ، فَهُوَ مُتَبَرِّئٌ مِنْ دَمِ عِثْمَانَ، إِذْ بَرَاءَةٌ حَيْدَرٍ مِنْ دَمِ عِثْمَانَ، وَكَذَا بَرَاءَةٌ عَلِيٍّ مِنَ الرَّفْضِ.

قَوْلُهُ: «وَبَرَاءَةٌ الْمَوْلُودِ مِنْ عِمْرَانَ»، عِنْدِي: يَعْنِي بِالْمَوْلُودِ مِنْ عِمْرَانَ، يَعْنِي مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - حِينَ تَبَرَّأَ مِنْ عَبَادِ الْعِجْلِ، أَوْ حِينَ بَرَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْيَهُودُ مِنْ أَنَّهُ آذَرٌ، وَالْآذَرُ: عَظِيمُ الْخِصْيَةِ، وَهُوَ عَيْبٌ وَمَرَضٌ.

أَرَادَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يُظْهِرَ بَرَاءَتَهُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، وَجَعَلَ يَغْتَسِلُ، فَطَارَ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَجَعَلَ يَسْعَى وَرَاءَهُ، وَيَقُولُ: «تُوبِي حَجْرُ، تُوبِي حَجْرُ». حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَلَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْا الرَّجُلَ عُرْيَانًا، فَشَاهَدُوا مُوسَى، فَإِذَا هُوَ بَرِيءٌ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ<sup>(١)</sup>، وَالْبَرَاءَةُ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وَجَعَلَ يَضْرِبُ الْحَجَرَ، كَيْفَ يَضْرِبُهُ وَهُوَ جَمَادٌ؟

لَأَنَّهُ فَعَلَ فِعْلَ الْمُخْتَارِ الْمُرِيدِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، وَلِذَلِكَ كُنَّا مَعَ الصَّبِيَّانِ إِذَا عَثَرَ الصَّبِيُّ بِالْحَجَرِ جَعَلْنَا نَضْرِبُ الْحَجَرَ، حَتَّى نَطْيِبَ نَفْسَهُ، لِأَنَّ الصَّبِيَّ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْحَجَرَ اعْتَدَى عَلَيْهِ، فَتَجِدُهُ يَصِيحُ، فَإِذَا قُلْتَ: ضَرْبَانَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، سَكَتَ الصَّبِيُّ، لِأَنَّهُ أَخَذَ لَهُ بِالْحَقِّ.

فَقَوْلُهُ: «وَبَرَاءَةٌ الْمَوْلُودِ مِنْ عِمْرَانَ» يَحْتَمِلُ هَذَا وَهَذَا، فَإِنْ نَظَرْنَا إِلَى أَنَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الْخَضِرِ مَعَ مُوسَى - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - رَقْمٌ (٣٢٢٣)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ جَوَازِ الْاِغْتِسَالِ عُرْيَانًا فِي الْخُلُوةِ، رَقْمٌ (٣٣٩).

القرآن قال: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب: ٦٩] قلنا: إِنَّ الْأَوْلَى أَنْ يُحْتَمَلَ عَلَى بَرَاءَتِهِ مِمَّا عَابُوهُ بِهِ، حَيْثُ قَالُوا: إِنَّهُ أَدْرُ، وَإِنْ نَظَرْنَا إِلَى سِيَاقِ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ (مَسْأَلَةُ الْعِجْلِ)، قَلْنَا: إِنَّهُ تَبَرَّأَ مِنْ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ كَمَا تَبَرَّأَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنْ عِجْلِ جَهْمٍ.

١٨٧- مِنْ كُلِّ شَيْعِيٍّ حَبِيبٍ وَصَفُهُ وَصَفُ الْيَهُودِ مُحَلَّلِي الْحَيْتَانِ

قَوْلُهُ: «شَيْعِيٌّ» الشَّيْعِيُّ هُوَ الَّذِي يَغْلُو فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَهْلِ الْبَيْتِ، وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ شَيْعَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا شَيْعَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ بَرِيئُونَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ.

ولهذا يُذَكَّرُ أَنَّ بَعْضَ أَتْبَاعِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ<sup>(١)</sup> لَمَّا خَاطَبَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ اللَّهُ، أَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْأَخَادِيدِ فَخُدَّتْ، وَبِالْحَطَبِ فَجُمِعَ، وَبِالنَّارِ فَأُضْرِمَتْ، ثُمَّ جَعَلَ يُلْقِيهِمْ فِي النَّارِ، لِأَنَّ فَعْلَتَهُمْ فَعْلَةٌ عَظِيمَةٌ شَنِيعَةٌ، فَعَذَّبَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّارِ، وَقَالَ: يَذُوقُونَ نَارَ الدُّنْيَا قَبْلَ نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا انْتَقَدَهُ، وَقَالَ: لَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ لَقَتَلْتُهُمْ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»<sup>(٢)</sup>. وَلَمَّا أَحْرَقْتَهُمْ، لِأَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - نَهَى أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ<sup>(٣)</sup>.

فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «وَيْحَ ابْنِ أُمِّ الْفَضْلِ، إِنَّهُ

(١) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ، مِنْ غُلَاةِ الزَّنَادِقَةِ، ضَالٌّ مُضِلٌّ، زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ جُزْءٌ مِنْ تِسْعَةِ أَجْزَاءٍ، وَعَلَّمَهُ عِنْدَ عَلِيٍّ، فَنَهَاهُ عَلِيٌّ بَعْدَ مَا هُمْ بِهِ. انظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: الْفِتْنَةِ وَوَقْعَةِ الْجَمَلِ، لِسَيْفِ بْنِ عَمْرِو الْأَسَدِيِّ التَّمِيمِيِّ (ص: ٤٨)، وَتَارِيخِ الطَّبْرِيِّ (٤/ ٣٤٠)، وَمِيزَانَ الْإِعْتِدَالِ لِلذَّهَبِيِّ (٢/ ٤٢٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ لَا يُعَذَّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ، رَقْمٌ (٣٠١٧).

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٤٩٤)، رَقْمٌ (١٦٠٧٨)، وَأَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ فِي كِرَاهِيَةِ حَرْقِ الْعَدُوِّ بِالنَّارِ، رَقْمٌ (٢٦٧٣).

لغَوَاصُّ عَلَى الْهَنَاتِ»<sup>(١)</sup>. يعني: على الزَّلَّةِ.

ولكنَّ عليًّا فعل ذلك بتأويلٍ لِعِظَمِ بَدْعَتِهِمْ، والعياذ بالله.

فعلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بريءٌ مِنَ الشَّيْعَةِ بَرَاءَةً كَامِلَةً، ولو أنه خرج لقاتلهم.

وهؤلاء الشَّيْعَةُ يُشْبِهُونَ الْيَهُودَ فِي الْحَيْلِ وَالْمَكْرِ، وليسوا شَيْعَةً لآل البيت.

أَمَّا شَيْعَةُ آلِ الْبَيْتِ حَقِيقَةً، فَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُنَزِّلُونَهُمْ مِنْزِلَتَهُمْ،

ويعرفون حَقَّهُمْ وَفَضْلَهُمْ، ولا يجعلون لهم حِطًّا مِنَ الرَّبُّوبِيَّةِ، أو تَدْبِيرِ الْخَلْقِ، كما يزعم غُلَاتِهِمْ ذَلِكَ.

\*\*\*

(١) أخرجه البيهقي (٣٥١ / ٨) رقم (١٦٨٥٨).

## فصل

### في مُقَدِّمَةِ نَافِعَةٍ قَبْلَ التَّحْكِيمِ

- ١٨٨- يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرِيدُ نَجَاتَهُ  
١٨٩- كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكًا  
١٩٠- وَأَنْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي  
١٩١- وَاضْرِبْ بِسَيْفِ الْوَحْيِ كُلَّ مُعْطَلٍ  
١٩٢- وَاحْمِلْ بِعِزِّمِ الصَّدَقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ  
١٩٣- وَاثْبُتْ بِبَصْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى  
١٩٤- وَاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي  
١٩٥- مَنْ ذَا يُبَارِزُ فُلَيْقَدِّمَ نَفْسَهُ  
١٩٦- وَاصْدَعْ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ، وَلَا تَخَفْ  
١٩٧- فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ  
١٩٨- لَا تَخَشْ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ وَمَكْرِهِمْ  
١٩٩- فَجُنُودُ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ مَلَائِكُ
- اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ مِعْوَانٍ  
بِالْوَحْيِ لَا بِزَخَارِفِ الْهَدْيَانِ  
جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ  
ضَرَبَ الْمُجَاهِدِ فَوْقَ كُلِّ بَنَانٍ  
مُنْتَجِرِدٌ لِلَّهِ غَيْرِ جَبَانٍ  
فَإِذَا أُصِيبَتْ فِي رِضَى الرَّحْمَنِ  
ثَبَّتَتْ سِلَاحَكَ ثُمَّ صَحَّ بِجَنَانٍ  
أَوْ مَنْ يُسَاقِبُ يَبْدُ فِي الْمَيْدَانِ  
مِنْ قَلَّةِ الْأَنْصَارِ وَالْأَغْوَانِ  
وَاللَّهُ كَافٍ عَبْدَهُ بِأَمَانٍ  
فَقِتَالُهُمْ بِالْكَذِبِ<sup>(١)</sup> وَالْبُهْتَانِ  
وَجُنُودُهُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ

(١) في نسخة برلين: «بالزور»، وكذا في نسخة الحلبي.

- ٢٠٠- شَتَانَ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ فَمَنْ يَكُنْ  
 ٢٠١- وَاثْبُتْ وَقَاتِلْ تَحْتَ رَايَاتِ الْهُدَى  
 ٢٠٢- وَادْكُرْ مَقَاتِلَهُمْ لِفُرْسَانِ الْهُدَى  
 ٢٠٣- وَادْرَأْ بِلَفْظِ النَّصِّ فِي نَحْرِ الْعِدَى  
 ٢٠٤- لَا تَخْشَ كَثْرَتَهُمْ، فَهُمْ هَمَجُ الْوَرَى  
 ٢٠٥- وَاشْغَلْهُمْ عِنْدَ الْحِدَالِ بِبَعْضِهِمْ  
 ٢٠٦- وَإِذَا هُمْ حَمَلُوا عَلَيْكَ فَلَا تَكُنْ  
 ٢٠٧- وَاثْبُتْ وَلَا تَحْمِلْ بِلَا جُنْدٍ فَمَا
- مُتَحَيِّرًا<sup>(١)</sup> فَلْيَنْظُرِ الْفِتْنَانَ  
 وَاصْبِرْ، فَنَصُرُ اللَّهَ رَبَّكَ دَانَ  
 اللَّهُ دَرُّ مَقَاتِلِ الْفُرْسَانِ  
 وَارْجُمُهُمْ بِثَوَاقِبِ الشُّهْبَانِ  
 وَذُبَابُهُ، أَخْخَافُ مِنْ ذِبَّانِ؟!  
 بَعْضًا فَذَاكَ الْحَزْمُ لِلْفُرْسَانِ  
 فَرِعًا لِحَمَلَتِهِمْ وَلَا بِجَبَانِ  
 هَذَا بِمَحْمُودٍ لَدَى الشُّجْعَانِ

### الشرح

لَمَّا ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَا ذَكَرَ مِنْ قَوَاعِدِ أَهْلِ الْبِدْعِ، عَقَدَ فَصْلًا لِلتَّحْكِيمِ،  
 فَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

١٨٨- يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرِيدُ نَجَاتَهُ اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ مِعْوَانٍ

فهو يخاطب الرجل، لأنَّ الرجل هو محلُّ الخطاب، لِعَلِّمِهِ بِمَا يُحْتَرَمُ وَمَا يُقْبَلُ.

قَوْلُهُ: «الْمُرِيدُ نَجَاتَهُ» أَي: مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْبِدْعِ.

قَوْلُهُ: «اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ مِعْوَانٍ» أَي: نَاصِحٍ لَكَ، مُعِينٌ لَكَ، فَهُوَ مِنَ أَهْلِ

الْمَعَاوَنَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ.

(١) وفي نسخة: «متحيزاً» بزاي.

فإذا قال قائل: أليس في هذا مدح لنفسه وتزكية لها؟ الجواب: أنه -رحمه الله- لم يُرد بهذا أن يُثني الناس عليه، لكن يريد من هذا أن يُقبل الناس الحق، ونظير هذا قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، تَبَلَّغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>. فهو لم يقصد أن يمدح نفسه، بل قصده أن يُقبل الناس عليه، ويأخذوا منه، ولهذا بعض العلماء يمدح مؤلفه ليُقبل الناس عليه.

أرأيتم ابن مالك -رحمه الله<sup>(٢)</sup>- في الألفية ماذا قال؟ قال:

تُقَرَّبُ الْأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوجَزٍ      وَتَبْسُطُ الْبَدَلِ بِوَعْدٍ مُنَجَزٍ  
وَتَقْتَضِي رِضَى بَعْضِ سُخْطٍ      فَائِقَةُ أَلْفِيَةِ ابْنِ مُعْطٍ

فليس قصده بهذا أن يمدحه الناس، بل قصده أن ينتفع الناس بها، ففرق بين شخص يُزكِّي نفسه ليُمدح، وشخص يقول عن نفسه ما يوجب أن يُقبل الناس الحق.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه -رضي الله تعالى عنهما-، رقم (٢٤٦٣).

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجبالي الشافعي النحوي نزيل دمشق، إمام النحاة وحافظ اللغة، قال الذهبي: ولد سنة ستمئة، أو إحدى وستمئة، وسمع بدمشق من السخاوي والحسن بن الصباح وجماعة، وأخذ العربية عن غير واحد، وجالس بحلب ابن عمرو وغيره، وتصدر بها لإقراء العربية، وصرف همه إلى إتقان لسان العرب، حتى بلغ فيه الغاية، وحاز قصب السبق، وأرأى على المتقدمين، وكان إماماً في القراءات وعللها، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، والاطلاع على وحشيها، وأما النحو والتصريف فكان فيها بحرًا لا يجارى، وحرًا لا يبارى، وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو، فكانت الأئمة الأعلام يتحIRON فيه، ويتعجبون من أين يأتي بها. انظر: بُغِيَةُ الوُعَاةِ فِي طَبَقَاتِ اللُّغَوِيْنَ وَالنُّحَاةِ (١/١٣٠).

فابن القيم - رحمه الله - لا يريد أن يزكي نفسه بقوله: (مقالة ناصح معوان)، إنما أراد حث الناس على أن يقبلوا ما يقوله من الحق.

١٨٩- كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكًا بِالْوَحْيِ لَا بِزَخَارِفِ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا» أي: العقيدة، والخُلُق، والعبادة، والمعاملة، كل أمورك حتى لباسك، وأكلك، وشربك، كن متمسكًا بالوحي الشامل للكتاب والسنة، لا بزخارف الهديان.

١٩٠- وَأَنْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَنْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ» أي: بالدفاع عنه، وبيان أحكامه وأسراره ومعانيه، لأن هذا نصر القرآن، وليس النصر أن تتلوه فقط، بل نصره أن تدب عنه، وتبين أحكامه وأسراره، وما فيه من البدائع العظيمة.

كذلك «السُّنَنَ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ» وهذا يعني أنه لا بُدَّ أن نتأكد من أن السنة جاءت عن النبي ﷺ، وليس كل ما يُنسبُ إليه يكون صحيحًا، بل لا بُدَّ أن تبحث أولاً عن سندها، فإذا صحَّ فانظر في المتن، ثم انصر ما جاء عن الرسول - عليه الصلاة والسلام -.

١٩١- وَاضْرِبْ بِسَيْفِ الْوَحْيِ كُلَّ مُعْطَلٍ صَرَبِ الْمُجَاهِدِ فَوْقَ كُلِّ بَنَانٍ

قَوْلُهُ: «وَاضْرِبْ بِسَيْفِ الْوَحْيِ» وإذا ضربت بسيف الوحي، فهل أنت غالبٌ، أو مغلوب؟ الجواب: غالب، والدليل على هذا قول الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

انظر إلى هذه الكلمات العظيمة ﴿نَقْذِفُ﴾ أي: نرمي بشدة ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾

فَيَدْمَعُهُ ﴿ أَي: يصيبه في أُمَّ دِمَاغِهِ، وهل يَبْقَى حَيًّا، أو يموت في الحال؟ الجواب: يموت في الحال، ولهذا جاءت (الفاء) و(إذا) الفُجَائِيَّة، قال: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ولم يقل: فإذا هو يَزْهَقُ، فقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أَي: يموت في الحال، والقائل هو الله عزَّ وجلَّ الذي وَعَدَهُ صِدْقٌ، وقولُه حقُّ، وهو عزَّ وجلَّ قادر على هذا.

فهو -رحمه الله- هنا يأمرنا أن نَضْرِبَ بِسَيْفِ الوحي كُلَّ مُعْطَلٍّ، وما أَعْظَمَهُ من سَيْفٍ!، وما أَبْتَرَهُ لِلْبَاطِلِ، وأَقْطَعَهُ له!

قَوْلُهُ: «فَوْقَ كُلِّ بَنَانٍ» هذا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] يعني: حتى الأصابع قَطَعُوهَا قِطْعًا قِطْعًا.

لكن إذا قال قائل: إننا نجد مَنْ يرمي بالحقِّ على الباطل، ولكن لا يحصل

هذا؟

نقول: العِلَّةُ ليستِ بِالسَّلَاحِ، بل العِلَّةُ بِحَامِلِ السَّلَاحِ، وليس كُلُّ مَنْ حَمَلَ السَّيْفَ يَقْتُلُ به، فالجَبَانُ إذا كان معه السيف، وجاءه العدو، فماذا يكون موقفه؟

الجواب: يرتعش ويرتعش ويسقط السيف منه! أما الشجاع لو كان معه عصا لم يَهَبْ سَيْفَ الأعداء، فالواقِعُ أَنَّ السَّلَاحَ بِحَامِلِهِ، وإِلَّا فالقرآنُ هو القرآن، والسُّنَّةُ هي السُّنَّةُ، والحقُّ هو الحقُّ، والباطل هو الباطل، لكنَّ العِلَّةَ بالفاعل.

يقول -رحمه الله-:

١٩٢- وَأَحْمِلْ بِعِزِّمِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ مُتَجَرِّدٍ لِّلَّهِ غَيْرِ جَبَانٍ

يأمرنا -رحمه الله- أن نحمل بِعِزِّمِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ مُتَجَرِّدٍ لِّلَّهِ لا لِلْهَوَى، ولا لأن يكون قولُه هو الأعلى، لكن مُتَجَرِّدٍ لِّلَّهِ عزَّ وجلَّ.

والذي يحمل بِنِيَّةٍ خالصة، وعَزِيْمَةٍ صادقة لله عزَّ وجلَّ فإنه لا يَهَاب، لأنَّ آخر ما يمكن أن يُفْعَلَ به أن يُقْتَلَ، وإذا قُتِلَ فهو في سبيل الله، ينتقل من دار الشقاء والكَدْرِ والأذى إلى دار النعيم، فهو لا يبالي، مثل ما كَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى هُرْمُزَ مَلِكِ فَارَسٍ: «جِتُّكَ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ»<sup>(١)</sup>. فهذه كلمة عظيمة، يعني: نحن نُحِبُّ الْمَوْتَ في سبيل الله كما تحبون الحياة، يعني: فلا نبالي.

وابن القيم - رحمه الله - يقول:

١٩٣- وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى فَإِذَا أُصِيبْتَ فَفِي رِضَى الرَّحْمَنِ

ويأمر كذلك بالصبر تحت أَلْوِيَةِ الْهُدَى.

وَقَوْلُهُ: «أَلْوِيَةِ» جمع لواء، وهي الأعلام، فهو يقول: اثبت، فإذا قُدِّرَ أَنْكَ أُصِيبْتَ، فذلك في رضى الرحمن، والإصابةُ في رضى الرحمن هي - في الحقيقة - ليست إصابة، بل هي غاية ما يَتَمَنَّاهُ الْإِنْسَانُ، فإذا أُصِيبَ فِي اللَّهِ، وَفِي رِضَى اللَّهِ، فهو لم يُصَبْ فِي الْوَاقِعِ، بل حصل له الأجر والفضل.

وهذا الشطر الأخير (فَإِذَا أُصِيبْتَ فَفِي رِضَى الرَّحْمَنِ) يجب أن يكون عند قلب كُلِّ إِنْسَانٍ.

واعلم أن الداعي إلى الله لا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ أَدَى، إما بالقول، وإما بالفعل، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١] فكلُّ نبيٍّ له عدوٌّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ، وَكُلُّ مَنْ وَرِثَ الْأَنْبِيَاءَ فَلَهُ عَدُوٌّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ، فلا بد من أَدِيَّةٍ، لا بُدَّ مِنْ مُضَايِقَةٍ تَسْمَعُهَا بِأُذُنِكَ، أَوْ تُخَبِّرُ عَنْهَا، وَلَكِنْ مَا الْمَوْقِفُ؟ إِنَّ كُلَّ مَا

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٨).

يصيب الإنسان من ذلك فهو في رضى الله عز وجل ولذا لما دميت أُصْبِعُ النبي ﷺ ماذا قال؟ قال: «هل أنت إلا إصْبِعُ دَمِيَّتِ، وفي سبيلِ الله ما لقيت»<sup>(١)</sup>.

ما دام الإنسان يناله الأذى لقيامه بأمر الله فليُبَشِّرْ بالخير، فإن هذا من منازل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

ولا تكن كالذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] وارْتَدَّ، لكن اثبت!

١٩٤- واجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي ثَبَّتْ سِلَاحَكَ ثُمَّ صِخْ بِجَنَانِ

قَوْلُهُ: «بِجَنَانٍ» في نسخة بـ «بِجَبَانٍ»، وعندى لو كانت «بِجَبَانٍ» لكانت أَوْضَحَ، يعني: صِخْ بِالْجُبْنَاءِ، فتقول: مَنْ ذَا يُبَارِزُ، لأن (صِخْ بِجَنَانٍ) أي: صِخْ بِالْقَلْبِ، فتحتاج إلى تأويل، أي: صِخْ بلسانك صيحةً خارجةً من قلبك.

على كل حال، إذا كانت النسخة هكذا حَسَبَ تأليف المؤلف لهذه القصيدة، فمعنى (صِخْ بِجَنَانٍ) أي: صِخْ صيحةً نابعةً من جَنَانِكَ، أي: من قلبك، وإن كانت (بِجَبَانٍ) فالأمر واضح، لأنَّ الإنسان إذا صاح بِالْجُبْنَاءِ تفرَّقوا بمجرد صَيْحَتِهِ.

ولذا يُذَكَّرُ عن بعض الشُّجْعَانِ أنه كان إذا كَرَّ على العدوِّ وصاح، تَمَزَّقَتْ الفُرسَانُ، تَمَزَّقُوا بمجرد صَيْحَتِهِ، حتى إنَّ بعض الفُرسَانِ يقولون: نَفْسُ الفُرسِ تَخْرُجُ من صَيْحَةٍ هذا الرجل الشجاع.

والمعنى: اجعل القرآن والسنة السلاح.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب في سبيل الله، رقم (٢٦٤٨)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، رقم (١٧٩٦).

قَوْلُهُ: «ثُمَّ صِخَّ» يعني: اصْرُخَ بهما بالجبان، وماذا تكون حال الجبان، هل الصُّمُودُ أو الهَرَبُ؟ الجواب: الهَرَبُ، فلا يُمكن أن يبقى ما دام سلاحك الكتاب والسُّنة، وعندك القُوَّة: قُوَّة العزيمة، وقُوَّة الإرسال، فاعلم أنه لن يبقى أمامك أحد.

فهو إذن يقول: اجعل سلاحك شيئين: كتاب الله والسنن التي ثَبَّتت، وليس كُلُّ سُنَّة تُقَال، بل السُّنَن التي ثَبَّتت، لِجَعْلِهَا هي السلاح، ثم صِخَّ بهؤلاء الجُبَّاء قائلًا: مَنْ يبارز؟ وهل يستطيع أحد أن يبارز مَنْ سِلاحُه كتابُ الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وهذا المبارز سلاحُه الهُدَيان والكذِب والفِرْيَة والدَّجَل والزخارف، هل يستطيع أو لا؟ الجواب: لا يستطيع أبدًا، فَأَيُّهُ مِنْ كتابِ الله مُحَطَّمٌ كُلُّ ما جاء به مِنْ هذه الزخارف، حتى تُبَيِّدَهَا.

١٩٥- مَنْ ذَا يُبَارِزُ فُلَيْقِدَمُ نَفْسَهُ أَوْ مَنْ يُسَابِقُ يَبْدُ فِي الْمَيْدَانِ  
قَوْلُهُ: «مَنْ ذَا يُبَارِزُ» يعني: صِخَّ بالجبان، وقل: (مَنْ ذَا يُبَارِزُ فُلَيْقِدَمُ نَفْسَهُ)، (أَوْ مَنْ يُسَابِقُ يَبْدُ فِي الْمَيْدَانِ).

ومعنى المَبَارَزة: الخُرُوج، مِنْ بَرَزَ يَبْرُزُ إِذَا خَرَجَ، وكان مِنْ عاداتهم أنه إِذَا التقى الصَّفَّان طلب الشُّجعان مِنْ عدوهم أن يُبَارِزُوهم، والفائدة مِنَ المَبَارَزة أنه إِذَا غَلِبَ المَبَارِز مِنَ العَدُوِّ انكسرت شوكتُه، وأصابهم الرُّعْبُ والهَلَعُ، وهذا شيء معروف في مسالك المجاهدين.

ذكر الفقهاء أَنَّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طلب مبارزته مِنَ العَدُوِّ عمرو بن عبد وُدٍّ مِنَ المشركين، فلما أَقبل عمرو بن عبد وُدٍّ على عليٍّ صاح فيه عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قائلًا: «مَا خَرَجْتُ لِأُبَارِزَ رَجُلَيْنِ». وهل هو صادق، أو غير صادق؟

الجواب: نعم، صادق، فهو خرج ليُبَارزَ واحداً، انظر إلى الذكاء! فالتفت عمرو ابن عبد وُدٍّ، وظنَّ أنَّ وراءَ واحدًا، فلمَّا التفت أخذ رأسه<sup>(١)</sup>، والحزْبُ خَدَعَةٌ، ولكن أين الذي يكون حاضرَ الكلام في مثل هذا الضيق؟!

وَقَوْلُهُ: «مَنْ يُسَابِقُ» (من) استفهامية، ويُشكل على هذا قوله: (يَبْدُ فِي المِيدَانِ)، حيث حَذَفَ حَرْفَ العِلَّةِ، وحَذَفُ حِرْفِ العِلَّةِ إنما يكون عند الجُزْمِ، وإذا جُزِمَت (يَبْدُو) وهي جواب (مَنْ) تَرَجَّحَ أنها شَرْطٌ، لكن لا مانع أن نقول: إنه يَجُوزُ حذفُ حَرْفِ العِلَّةِ مِنْ أَجْلِ استقامة الوزن.

١٩٦- وَاصْدَعْ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ، وَلَا تَخَفْ مِنْ قِلَّةِ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ

أُمرنا أن نَصْدَعَ بما قال الرسول -عليه الصلاة والسلام- وألا نخاف من قِلَّةِ الأعوان والأنصار، حتى لو كنتَ وحدك، نعم اصدع بما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- ولا تَخَفْ مِنْ قِلَّةِ الأنصار، بل لا تَخَفْ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يَقُومُ عَلَيْكَ، ويكون ضِدَّكَ، فالصاعد بما قال الرسول إِمَّا أن يجد ناصراً، أو لا يجد ناصراً، أو يجد مُعَارِضاً.

فالأول: الذي يجد الناصر واضح أنه سيصدع، لأنَّ لديه مَنْ يعينه.

الثاني: الذي لم يجد لا هذا ولا هذا، بل وجد مُعْرِضاً هذا أيضاً قد يكسل إذا رأى أنَّ ما صدع به من قول الرسول لم يلتفت إليه أحد.

الثالث: الذي وَجَدَ المُعَارِضَ الذي يقابله، وينابذه، وَيُضِيقُ عليه، ويأتي ضِدَّهُ بِإِدْعَاءَاتٍ، ولكن كل هذا يجب أن يكون لا شيء أمام الإنسان، وهذا لا يعني

(١) والحديث أخرجه الحاكم (٣/٣٤، رقم ٤٣٢٩)، ومن طريقه البيهقي (٩/٢٢٢، رقم ١٨٣٥٠).

أنه في العقائد فقط، بل في العقائد، والأحكام الفقهية، والآداب، والأخلاق، وكل شيء اصدع بما قال الرسول ﷺ قولاً وفعلاً، ولا تحف من قلة الأنصار والأعوان، فالناس أمامك إما مساعد أو مُعْرِض أو معارض، فلا تُبالِ بهذا، حتى لو لم يكن أمامك إلا المُعْرِض والمُعَارِض، فلا يهمنك.

١٩٧- فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَاللَّهُ كَافٍ عَبْدَهُ بِأَمَانٍ

وصدق - رحمه الله - فالله ناصر دينه، وناصر كتابه، و(كافٍ عبده بأمان)، لكن متى يكفيه؟ الجواب: إذا توكل عليه، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

١٩٨- لَا تَخْشَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ وَمَكْرِهِمْ فَتَقَاتِلْهُمْ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ

يقول: لا تخش من كيد هؤلاء ومكرهم، لأنهم يُقاتلون بالكذب والبُهتان والزخارف المموهة الباطلة لكن هذا - أي: عدم الخشية من كيدهم ومكرهم - يحتاج إلى همة قوية، وعزيمة صادقة.

١٩٩- فَجُنُودُ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ مَلَائِكٌ وَجُنُودُهُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ

ويقول: وجنود هؤلاء عساكر الشيطان، أما جنود أتباع الرسول فهم ملائكة الرحمن كما قال عز وجل: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] فللملائكة تُثبَّت عباد الله وتؤيِّدُهم، ولهذا كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول لحسان بن ثابت وهو ينشد: «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٠٤٠)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٤٨٥).

ولهذا يجد الإنسان عند الجهاد بالعلم والبيان، يجد إلهامًا لا يجده في حال السعة، وذلك بتثبيت الملائكة له، وفتح أبواب العلم.

٢٠٠- شَتَانَ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ فَمَنْ يَكُنْ مُتَحَيِّرًا فَلْيَنْظُرِ الْفِتْنَانَ

يعني: يجب أن يعلم الإنسان الفرق بين هذا وهذا، ومن كان متحيرًا فلي نظر وليتأمل، حتى يعرف من هم أحق بالاتباع، ثم قال - رحمه الله -:

٢٠١- وَاثْبُتْ وَقَاتِلْ تَحْتَ رَايَاتِ الْهُدَى وَاصْبِرْ، فَصَرُّ اللهُ رَبَّكَ دَانَ

هذا كالأول، لكنه كرره - رحمه الله - لزيادة تثبيت قلب الإنسان.

٢٠٢- وَادْكُرْ مَقَاتِلَهُمْ لِفُرْسَانِ الْهُدَى اللهُ دَرُّ مُقَاتِلِ الْفُرْسَانِ

معناه: بين معايبهم، فينبغي لنا أن نبين فيما بيننا مقاتلتهم - أي: موضع قتلهم - حتى نقتلهم بما يبطل أقوالهم، فنقول: جادلهم بكذا، حاجهم بكذا، ناظرهم بكذا، كما قال الشافعي - رحمه الله - في القدرية: «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقرؤا به خصموا، وإن أنكروا كفروا»<sup>(١)</sup>. وهذا أحسن ما يكون أن تبدأ بذكر العيب، لأنك إذا بدأت بذكر العيب، وفهم الناس العيب فقد بانت مقاتلته وهزم، ولم يستطع حراكًا.

٢٠٣- وَادْرَأْ بِلَفْظِ النَّصِّ فِي نَحْرِ الْعِدَى وَارْجُمُهُمْ بِشَوَاقِبِ الشُّهْبَانِ

قوله: «ادْرَأْ» بمعنى ادفع.

قوله: «في نحر العدى» أي: أمامهم.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٤٧).

والمعنى: بَيْنَ النَّصِّ، لا تذهب يميناً وشمالاً، لا تُحَرِّفْ، اذكر لفظ النَّصِّ،  
فَهُمْ لا يستطيعون حينئذٍ أن يتحركوا.

٢٠٤- لَا تَخْشَ كَثْرَتَهُمْ، فَهُمْ هَمَجُ الْوَرَى وَذَبَابُهُ، أَخَافُ مِنْ ذِبَّانٍ!؟

الجواب: لا أخاف مِنَ الذَّبَّانِ، ولا مِنَ الهَمَجِ والرَّعَاعِ، حتى ولو كانوا  
كثيرين، فالحقُّ منصورٌ، ولو قلَّ أتباعه، والباطلُ مَحْدُولٌ، ولو كثر أتباعه.

فهو يقول هنا: الذَّبَابُ مِنَ أَهْوَنَ ما يكون، وَمِنْ أَخَوْفَ ما يكون، لو تقول  
له بيدك هكذا - حتى لو لم تضربه - فإنه يطير، ولا يأتي ناحيتك، فهؤلاء ذِبَّانِ  
الْوَرَى.

والمؤلف - رحمه الله - أتى بهذا التشبيه لِبَيَانِ حالهم وتقبيحها، لأنَّ تشبيه  
الإنسان بالذَّبَابِ تقبيح بلا شك، وهو أيضا مُبَيَّنٌ لحاله، وأنه مِنَ أضعف ما يكون  
مِنَ الحَشَرَاتِ.

٢٠٥- وَأَشْغَلُهُمْ عِنْدَ الْجِدَالِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَذَكَ الْحَزْمُ لِلْفُرْسَانِ

هذا أيضًا مِنَ طُرُقِ المناظرة المفيدة، فأهل البدع متناقضون، فليسوا على  
طريقة واحدة، حتى إنَّ الواحد منهم يقول: هذا شيء يوجبُه العقل، والثاني  
يقول: هذا شيء يمنعُه العقل، فيقول: يمنعُه، ولم يقل: يُجَبِّزُه.

فيقول - رحمه الله - : أَشْغَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، سواء كانوا أمامك، فتقول: أنت  
يا فلان تقول: كذا، وأنت يا فلان تقول: كذا، بيِّنوا لي، فإن لم يكونوا أمامك فبيِّنْ  
أقوالهم، وتقول: إذا قال فلان: كذا وكذا، فقد قال فلان: كذا وكذا، والصواب  
كذا وكذا، وهو ما دَلَّ عليه الكتاب والسُّنَّةُ.

المهم اضرب بعضهم ببعض، فإنه يكفيك بعضهم بعضاً، وهذه سياسة، حتى في الأمور العسكرية الآن، وهذا من ذأب أهل السنة والجماعة مع أهل الكلام، ولهذا تجد شيخ الإسلام - رحمه الله - أحياناً يسوق بيان بطلان قولهم بأنه متناقض، ثم يقول: قال فلان - وهو من زعمائهم - كذا وكذا، وقال الآخر - وهو من زعمائهم أيضاً: كذا وكذا، وهذا يدل على التناقض، وتناقض القول أكبر دليل على بطلانه، ومن القواعد المعروفة (فرّق تسد).

٢٠٦- وَإِذَا هُمْ حَمَلُوا عَلَيْكَ فَلَا تَكُنْ فِرْعَاوِينَ حَمَلْتِهِمْ وَلَا بَجَبَانَ

يعني: إذا حملوا عليك جميعاً فلا تخف، بل اثبت، وإلا فسيكونون عليك جميعاً، انظر الآن اليهود والنصارى، بعضهم لبعض عدو، لقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]، كل واحد منهم يضل الآخر، ومع ذلك فهم يكونون أولياء ضد المسلمين، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿يَتَّيِبُهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١] مع أنهم أعداء، لكن ضد العدو المشترك يكونون سواء.

٢٠٧- وَاثْبِتْ وَلَا تَحْمِلْ بِلَا جُنْدٍ فَمَا هَذَا بِمَحْمُودٍ لَدَى الشُّجْعَانِ

قوله: «اثبت» أي: أمامهم.

وقوله: «ولا تحمل بلا جند» يعني: لا تقدم إلا ومعك جنود، لأنه ليس من الحكمة أن تقدم الإنسان بدون جنود، وكذلك لا تقدم إلا بسلاح، فليس من الحكمة أن تقدم بلا سلاح، وأيضاً لا بد أن يكون سلاحك مكافئاً لسلاح العدو، وإلا فإنك مهزوم.

ولذلك يتسرع بعض الناس في الإقدام في مقاتلة الأعداء، وليس عندهم شيء من السلاح، وقد يكون أيضًا ليس عندهم الإيمان الذي كان عند الصحابة، فيحصل البلاء والهزيمة.

المهم أنك لا تحمّل بلا سلاح، ولا تحمّل بلا جُند، ولذا قال -رحمه الله-: (فَمَا هَذَا بِمَحْمُودٍ لَدَى الشُّجْعَانِ).

وَقَوْلُهُ: «لَا تَحْمِلُ بِلَا جُنْدٍ» يحتمل كلام المؤلف هنا أنه يريد بالجُند العلماء الذين يساعدونك ويُعينونك، ويحتمل أن يريد به السلاح يعني: لا تحمل إلاّ بعلم، لكنّ آخَرَ كلام المؤلف يؤيد الاحتمال الأول، ولهذا قال بعد ذلك: (فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَةَ الْإِسْلَامِ... فَاخْتَرِقِ الصُّفُوفَ).

\*\*\*

- ٢٠٨- فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَةَ الْإِسْلَامِ قَدْ  
وَأَفْتِ عَسَاكِرُهَا مَعَ السُّلْطَانِ
- ٢٠٩- فَهَنَّاكَ فَاخْتَرِقِ الصُّفُوفَ وَلَا تَكُنْ  
بِالْعَاجِزِ الْوَاوِيِ وَلَا الْفَزْعَانِ
- ٢١٠- وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسُهُمَا  
يَلْقَى الرَّدَى بِمَذْمَةٍ وَهَوَانِ
- ٢١١- ثَوْبٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَوْقَهُ  
ثَوْبُ التَّعَصُّبِ بِشَسْتِ الثُّوبَانِ
- ٢١٢- وَتَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرَ حُلَّةٍ  
زِينَتُ بِهَا الْأَعْطَافُ وَالْكَتِفَانِ
- ٢١٣- وَاجْعَلْ شِعَارَكَ خَشِيَةَ الرَّحْمَنِ مَعَ  
نُصْحِ الرَّسُولِ فَحَبَّبًا الْأَمْرَانَ
- ٢١٤- وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِهِ وَبِوَحْيِهِ  
وَتَوَكَّلَنَّ حَقِيقَةَ التَّكْلَانِ

## الشرح

٢٠٨- فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَةَ الْإِسْلَامِ قَدْ وَافَتْ عَسَاكِرُهَا مَعَ السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَةَ الْإِسْلَامِ» يعني: القوم الذين هم عصابة الإسلام يعني: أهل التَّعَصُّبِ لَهُ.

قَوْلُهُ: «قَدْ وَافَتْ عَسَاكِرُهَا مَعَ السُّلْطَانِ» يعني: اجتمعت مع السلطان فالزَمَّهَا، ولهذا قال:

٢٠٩- فَهِنَّكَ فَاخْتَرِقِ الصُّفُوفَ وَلَا تَكُنْ بِالْعَاجِزِ الْوَانِي وَلَا الْفَرْعَانِ

يعني: إذا رأيت القوم قد تلاقوا وتوافقوا، (فاخترق الصفوف)، ولا تكن جبَّانًا، ولا تكن خائفًا، ما دُمت تخترق الصفوف لله عزَّ وجلَّ وبالله، وإيَّاك أن يَلْحَقَكَ الْحَوْرُ، لأنَّ الإنسان إذا لحقه الحورُ وضعفَ ضعفت قواه، وعجزَ عن أن يدافع عن نفسه فضلًا عن أن يهاجم أهل الباطل، ثمَّ قال:

٢١٠- وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسُهُمَا يَلْقَى الرَّدَى بِمَذْمَةٍ وَهَوَانٍ

قَوْلُهُ: «وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ» تعرَّ يعني: تجرَّد، فهنا أمر - رحمه الله - أن نتعرَّى من ثوبين، ويبيِّن أنَّ مَنْ يَلْبَسُ هذين الثوبين يلقى الردى بِمَذْمَةٍ وَهَوَانٍ، ثمَّ ذَكَرَ الثَّوْبَ الْأَوَّلَ فقال:

٢١١- ثَوْبٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَوْقَهُ ثَوْبٌ التَّعَصُّبِ بَسَّتِ الثُّوبَانِ

الجهل المركَّب هو الذي من اتَّصف به فهو جاهلٌ، ولا يَدْرِي أَنَّهُ جاهلٌ، وذلك أنَّ الناس ثلاثة أقسام:

الأول: عالمٌ علمه مُطابقٌ للواقع.

الثاني: يَظُنُّ أنه عالمٌ، ولكنه جاهلٌ.

الثالث: جاهلٌ ليس له علمٌ إطلاقاً.

أما الأول: فهو محمودٌ أن يتكلم الإنسان بعلمٍ مُطابقٍ للواقع.

وأما الثاني: وهو الجاهل المركَّب الذي يَجْهَلُ، ولا يدري أنه يجهل، فهذا أسوأ

الأقسام.

والثالث: الجاهل جهلاً بسيطاً غير مُركَّب، فهذا أهونٌ من الذي قبَّله، لكنه

دون مرتبة الأول، وهو العالم.

والبلاءُ كلُّ البلاءِ من الجاهلِ جهلاً مُركَّباً، الذي يجادلُك بغيرِ علمٍ، ويتكلمُ

بغيرِ علمٍ، يتكلمُ بين العامةِ بغيرِ علمٍ، ويتكلمُ مع العلماءِ بالمجادلةِ بغيرِ علمٍ، فهو

يرى نفسه أنه عالمٌ، وأنه إمامُ الأئمةِ، وأميرُ العلماءِ، وعالمُ الأمراءِ، لا يُدانيه

أحدٌ، وإذا تباحث معه، فإذا هو لا يعرفُ كُوعه<sup>(١)</sup> من كُرسوعه<sup>(٢)</sup>، فهو من أجهلِ

عبادِ الله، ولذلك نقول: إنَّ الجاهلِ جهلاً مُركَّباً هو شرُّ الجاهلَيْنِ: الأول: مَنْ

جَهِلُهُ بسيطاً، والثاني: مَنْ جَهِلُهُ مُركَّباً.

قوله: «فَوْقَهُ ثَوْبُ التَّعَصُّبِ» هذا أيضاً مُشكلٌ، أي: التعصب لما هو عليه

من الباطل، أو من الجهل، والمتعصبُ لا يكاد يَرَعُوي للدليلِ أبداً، لأنه يعتقد أن

ما هو عليه حقٌّ، ولا يُبالي بأحد.

(١) الكُوع: هو رأسُ اليدِ ممَّا يلي الإبهام. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: كوع.

(٢) الكُرسوع: طَرَفُ رَأْسِ الرَّئِدِ مِمَّا يَلِي الْخِنْصَرَ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة:

فهو يرى أنه لا يمكن أن يتزحزح عما هو عليه، لأنه يرى أن تزحزحه ذلٌّ، وأنه إذا تزحزح، قال الناس: هذا رجلٌ جاهلٌ.

أوما علم أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أحياناً يحكم بالشيء ثم يتبين له خلافه فيرجع، وكذلك الخلفاء، وكذلك الأئمة.

وقد كتب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري كتاباً في القضاء من أعظم الكتب وأجمعها، حتى إن ابن القيم جعل كتابه (إعلام الموقعين) -ذلك الكتاب الذي قل أن يوجد في كتب الإسلام مثله- جعله مبنياً على كتاب عمر لأبي موسى في القضاء، قال له: «لَا يَمْنَعُكَ مِنْ قَضَاءِ قَضَيْتَ بِهِ الْيَوْمَ فَرَاجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ، وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ، أَنْ تُرَاجِعَ فِيهِ الْحَقَّ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ، وَلَا يُبْطِلُ الْحَقَّ شَيْءٌ، وَإِنْ مُرَّجَعَةَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ»<sup>(١)</sup>. وهذه أيضاً محنة عظيمة، وهي كما تلحق العلماء في باب العقيدة وأصول الدين، تلحقهم أيضاً في باب الفقه، فتجد بعض العلماء، ولا سيما المقلدون المتعصبون يتعصبون لمذهبهم، ويلوون أعناق النصوص لأجل أن تطابق المذهب.

وانظر كتب الخلاف ك(المغني) للموفق ابن قدامة، و(المجموع شرح المذهب) للنووي، وما أشبههما، تجد كيف يتعصب بعض الناس لمذهبه، ويحاول أن يلوي أعناق النصوص للمذهب، وهذه محنة سببها أن الإنسان يعتقد قبل أن يستدل، فيجعل الدليل تبعاً لما يقوله ويعتقده، والواجب أن تستدل أولاً، ثم تعتقد، وتجعل اعتقادك وحكمك تابعاً للدليل، لكن التعصب أمره مُشكل.

فإذا قال قائل: كيف تقولون هذا والنصارى يقولون: إن المسلمين متعصبون

(١) أخرجه الدارقطني (٤٤٧١)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٧٧٥).

لِدِينِهِمْ؟ قلنا: هذا تعصَّبٌ محمود، بل واجب، لأنهم لم يتعصبوا لذلك لمجرد أنه دينهم، بل لأنه دينُ الله عزَّ وجلَّ وهذا كما نقول: إن المجادلة مذمومة إلا إذا كانت لإثبات الحقِّ، وإبطال الباطل.

وهذان الثوبان - أعاذني الله وإياكم منهما - إذا ابتلي بهما الإنسان حُرِّمَ الحقُّ، فأنت جرِّد نفسك من هذين الثوبين: الجهل المركَّب والتعصب.

٢١٢- وَتَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرَ حُلَّةٍ زِينَتُ بِهَا الْأَعْطَافُ وَالْكَتِفَانِ  
ثم أمر بعد التجرُّد من هذين الثوبين بالتحلِّي بالإنصاف.

قَوْلُهُ: «تَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ» أي: البس الإنصاف بعد أن تتعرَّى من هذين الثوبين.

وَقَوْلُهُ: «بِالْإِنْصَافِ» أي: بالعدل، سواء كان لك، أو عليك، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

ومن الشهادة على النفس أن يُنصِفَ الإنسانُ خِصْمَهُ، فإذا بان الحقُّ وجب عليه اتِّباعُ الحقِّ، وإذا قال خِصْمُهُ قولاً يتضمن حقاً وباطلاً، فالواجب أن يقبل الحقَّ ويردَّ الباطل، ولا يجوز أن يرُدَّ كلَّ قوله.

ألم تعلموا أن الله عزَّ وجلَّ أقرَّ قول المشركين مع أنهم مشركون؟  
الجواب: بلى أقرَّه، لأنه حقٌّ.

مثاله: قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا

وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨] فاستدلوا للفاحشة بأمرين:

الأول: أنهم وجدوا آباءهم عليها.

الثاني: أن الله أمرهم بها.

فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِيَّاكَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فأبطل هذا الدليل، أو التعليل الذي تَعَلَّلُوا به، وَسَكَتَ عن قوله: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ [الأعراف: ٢٨] وإبطال أحد الشئيين والسكوتُ عن الآخر يدلُّ على قَبُولِهِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ. ألم تعلموا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَاءَهُ الْحَبْرُ وَقَالَ: «إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ... ضَحَكَ تَصْدِيقًا لَهُ»<sup>(١)</sup>. مع أنه عالمٌ يهوديٌّ؟! لكنَّ الْحَقَّ يَجِبُ أَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ تَكَلَّمَ بِهِ، فلهذا يقول ابن القيم - رحمه الله -: (وَتَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرَ حُلَّةً).

وَقَوْلُهُ: «أَفْخَرَ» بالنصب على أنها حالٌ مِنَ الْإِنْصَافِ، ولا يجوز أن تكون مجرورة على أنها صِفَةٌ، لأنه يُشْتَرَطُ فِي النَّعْتِ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِلْمَنْعُوتِ فِي الْمَعْرِفَةِ، أو النكرة.

قَوْلُهُ: «زِينَتْ بِهَا الْأَعْطَافُ وَالْكَتِفَانِ» يعني: إِذَا لُبِسَتْ عَلَى الْعِطْفِ - وهو ما بين الكتف والرقبة - والكتف صارت جميلةً، لأنها إنصاف.

٢١٣- وَاجْعَلْ شِعَارَكَ خَشْيَةَ الرَّحْمَنِ مَعَ نُصْحِ الرَّسُولِ فَحَبِّذَا الْأَمْرَانَ

الشعار اجْعَلْهُ خَشْيَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا لِلانْتِصَارِ لِنَفْسِكَ، ولهذا كان النَّبِيُّ ﷺ لا ينتصر لنفسه قطُّ، وإنما ينتصر لله - سبحانه وتعالى - إِذَا انْتَهَكَتْ حُرْمَاتُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْكِرُهَا أَشَدَّ الْإِنْكَارِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، رقم (٤٥٣٣)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٦).

قَوْلُهُ: «مَعَ نَضْحِ الرَّسُولِ» يعني: مع النصح للرسول ﷺ وذلك بالمتابعة له.

٢١٤- وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِهِ وَبِوَحْيِهِ وَتَوَكَّلَنَّ حَقِيقَةَ التُّكْلَانِ

قَوْلُهُ: «تَمَسَّكَ بِحَبْلِهِ» أي: تمسك بحبل الله، كما قال عز وجل:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قَوْلُهُ: «وَبِوَحْيِهِ» أي: بوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

وَقَوْلُهُ: «وَتَوَكَّلَنَّ حَقِيقَةَ التُّكْلَانِ» يعني: اعتمد على الله، لأن التوكل على الله

هو صدق الاعتماد عليه في جلب المنافع، ودفع المضار مع الثقة بالله، وفعل

الأسباب النافعة.

\*\*\*

٢١٥- فَالْحَقُّ وَصَفُ الرَّبِّ وَهُوَ صِرَاطُهُ أَلْهَادِي إِلَيْهِ لِصَاحِبِ الْإِيمَانِ

٢١٦- وَهُوَ الصِّرَاطُ عَلَيْهِ رَبُّ الْعَرْشِ أَيْضًا، ذَا وَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

٢١٧- وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَّحَنٌ فَلَا تَعَجَبْ، فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

٢١٨- وَبِذَلِكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ مِنْ حَرْبِهِ وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ النَّاسِ طَائِفَتَانِ

٢١٩- وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ الْحَرْبِ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالْكَفَّارِ مُذْ قَامَ الْوَرَى سِجْلَانِ

٢٢٠- لَكِنَّمَا الْعُقْبَى لِأَهْلِ الْحَقِّ، إِنْ فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدِّيَانِ

### الشرح

٢١٥- فَالْحَقُّ وَصَفُ الرَّبِّ وَهُوَ صِرَاطُهُ أَلْهَادِي إِلَيْهِ لِصَاحِبِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «فَالْحَقُّ وَصْفُ الرَّبِّ» فالله عزَّ وجلَّ هو الحقُّ، والحقُّ وَصْفُهُ، لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج:٦] والحقُّ هو الشيء الثابت المطابق للواقع، إن كان خَبْرًا فهو الصِّدْقُ، وإن كان طَلَبًا، أو خَلْقًا فهو النفع.

قَوْلُهُ: «وَهُوَ صِرَاطُ الْهَادِي إِلَيْهِ لِصَاحِبِ الْإِيمَانِ» فهو صِرَاطُ الْهَادِي إِلَيْهِ، لأنَّ الله تعالى وصف الصراط الهادي إليه بأنه حقٌّ، فقال تعالى: ﴿أَفَنَنْهَيْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾ [يونس:٣٥] فالحقُّ يُوصَفُ به الصراط، يعني: الدين، لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور:٢٥].

فهو الحقُّ، وهو الهادي إلى الحقِّ، وصراطه أيضًا هو الحقُّ، فهذه ثلاثة أمور، فالله تعالى هو الحقُّ، والحقُّ وَصْفُهُ، فيهدي عباده، وَيُدُّهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَصِرَاطُ الْمَوْصِلِ إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ، فالرسول حقٌّ، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، لأنَّ كُلَّ شَيْءٍ ثَابِتٌ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ فَهُوَ حَقٌّ.

٢١٦- وَهُوَ الصِّرَاطُ عَلَيْهِ رَبُّ الْعَرْشِ أَيُّضًا، ذَا وَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الصِّرَاطُ» أي: الحقُّ أيضًا هو الصراط.

قَوْلُهُ: «عَلَيْهِ رَبُّ الْعَرْشِ» ودليل ذلك قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] أي: على طريقٍ مستقيم، ليس فيه اعوجاجٌ، فتجد كُلَّ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ، أَوْ كُلَّ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ مُطَابِقًا لِلْحَقِّ تَمَامًا، لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

قَوْلُهُ: «وَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ» أين جاء في القرآن أن الله على صراط

مستقيم؟

الجواب: جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

قال:

٢١٧- وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَّحِنٌ فَلَا تَعَجَبْ، فَهَٰذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ قَوْلُهُ: «وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَّحِنٌ» اللهم انصرنا بالحق، وانصر الحق بنا، الحق منصور ولا بد، لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١] لكن لا بد من محنة، ولهذا قال: (وَمُتَّحِنٌ فَلَا تَعَجَبْ) أي: لا تستنكر هذا أن يكون الله تعالى يمتحن أهل الحق بالمحن ليختبرهم بها.

ألم تروا أن الذهب لا يخرج صافياً إلا إذا عرض على النار، وذاب، وذهب وسخه، فلا بد من امتحان، ودليل هذا الواقع والشرع.

أما الواقع، فانظر ماذا جرى للنبي ﷺ من المحن؟! محن عظيمة في أول الدعوة وآخر الدعوة، ماذا جرى له في مكة؟ وماذا جرى له في الطائف؟ وماذا جرى له في المدينة؟ أليس قد شجَّ وجهه، وكسرت رباعيته<sup>(١)(٢)</sup>؟ الجواب: بلى، لكن لا بد من امتحان.

أما الشرع، فقد قال عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾

[الفرقان: ٣١].

أنتظن أن عدوك ينام دون أن يحاول القضاء عليك؟ أبداً، ولكن اقرأ ما بعد هذه الجملة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ وكفى برئك هادياً

(١) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠٠٢).

(٢) الرباعية -كثمانية-: السنن التي بين الثنية والتاب، وهي إحدى الأسنان الأربعة التي تلي الثنايا، تكون للإنسان وغيره. التاج: ربع.

وَنَصِيرًا ﴿ [الفرقان: ٣١]، لَأَنَّ الْعَدُوَّ إِمَّا أَنْ يُغَيَّرَ عَلَيْكَ لِهُدْمِ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَالتَّشْوِيشِ عَلَيْكَ فَيُقَابِلَ بِالْهُدَايَةِ، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾، فَمَهْمَا حَاوَلَ الْأَعْدَاءُ أَنْ يُضِلُّوا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَاللَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْهَادِي، أَوْ يَحَاوِلُ الْعَدُوُّ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْكَ بِالْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فَيُقَابِلَ بِالنَّصْرِ، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

إِذْنٌ لَا بَدَّ مِنْ مِحْنَةٍ، وَكُلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَشَدَّ فِي دِينِ اللَّهِ، وَالْجِهَادِ فِي دِينِ اللَّهِ، لِحَقِّهِ مِنَ الْأَلَمِ، وَمِنَ الْأَذَى، وَمِنَ التَّشْوِيشِ، مَا لَمْ يَلْحَقْ غَيْرَهُ.

قَوْلُهُ: «فَلَا تَعْجَبْ، فَهَذِي سُنَّةَ الرَّحْمَنِ» إِذْنٌ اسْتَدَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ سُنَّةَ الرَّحْمَنِ، بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ وَوَاقِعِيٍّ، فَلَا بَدَّ مِنْ مِحْنَةٍ، وَلِذَلِكَ نَرَىٰ فِي وَاقِعِنَا الْيَوْمِيِّ، أَوْ الْمُدْرَسِيِّ (الْعَامِيِّ) مَتَى يَكُونُ الْإِنْسَانُ نَابِغًا؟ الْجَوَابُ: إِذَا تَفُوقَ فِي الْاِمْتِحَانِ.

فَلَا بَدَّ مِنْ اِمْتِحَانٍ.

٢١٨- وَبِذَلِكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ مِنْ حَرْبِهِ وَأَجَلِ ذَاكَ النَّاسِ طَائِفَتَانِ

قَوْلُهُ: «بِذَلِكَ» أَي: بِكَوْنِ الْحَقِّ مَنْصُورًا وَمَمْتَحِنًا يَظْهَرُ الْحِزْبُ مِنَ الْحَرْبِ، فَالْمُحَارِبِ ضِدًّا مَا جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ، ضِدًّا دِينَ اللَّهِ، وَالْحِزْبُ هُوَ حِزْبُ اللَّهِ يَنْتَصِرُ لِلدِّينِ اللَّهِ، وَيَنْصَرُهُ اللَّهُ بِهِ.

فَهُوَ يَقُولُ: وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ سُنَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ حِزْبُ اللَّهِ مِنَ حَرْبِ اللَّهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَمَا تَبَيَّنَ حِزْبُ اللَّهِ مِنْ حَرْبِهِ، وَأَجَلُ أَنَّ الْحَقَّ مَنْصُورٌ وَمَمْتَحَنٌ صَارَ النَّاسُ طَائِفَتَيْنِ، لَكِنَّ الْعُقْبَىٰ لِأَهْلِ الْحَقِّ كَمَا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

٢١٩- وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ الْحَرْبِ بَيْنَ الرَّسُلِ وَالْكَفَّارِ مُذْ قَامَ الْوَرَى سِجْلَانَ  
قَوْلُهُ: «وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ الْحَرْبِ... سِجْلَانَ» كما قال أبو سفيان: «الْحَرْبُ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَهُ سِجَالٌ»<sup>(١)</sup>. أَي: دَلُّوْكَ وَدَلُّوْكَ لِعَدُوِّكَ، فَالْحَرْبُ سِجَالٌ، أَي: مُسَاجَلَةٌ بَيْنَ  
أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَأَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢٢٠- لَكِنَّمَا الْعُقْبَى لِأَهْلِ الْحَقِّ، إِنَّ فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدِّيَانِ  
وَصَدَقَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهَا  
إِلَيْكَ ۖ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ﴾ [هُود:٤٩] أَي: اصْبِرْ عَلَى مَا  
يَنَالُكَ مِنَ الْأَذَى، وَالْمَعَارِضَةَ وَالْمَعَادَاةَ وَالْمَبَاغِضَةَ، اصْبِرْ ﴿إِنَّ الْعُقْبَةَ لِلْمُنْقِبِينَ﴾  
[هُود:٤٩].

وَصَدَقَ اللَّهُ، فَوَاللَّهِ الْعَاقِبَةُ لِمَنْ؟ لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَضَى عَلَى  
صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، وَعَادَ مِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَنْصَارِ الْإِسْلَامِ، فَهُمْ عَادُوا قُوَادًا فِي  
الْإِسْلَامِ، مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَلَا تَنْسَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ<sup>(٢)</sup>، وَلَا عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي  
جَهْلٍ<sup>(٣)</sup>، وَلَا غَيْرَهُمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ بَدَأِ الْوَحْيِ، بَابُ كَيْفَ كَانَ بَدَأَ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَقْمُ (٧)،  
وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرْقَلٍ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، رَقْمُ  
(١٧٧٣).

(٢) هُوَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَخْزُومِ الْقُرَشِيِّ الْمَخْزُومِيِّ سَيْفِ اللَّهِ،  
أَبُو سُلَيْمَانَ، كَانَ أَحَدَ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ إِلَيْهِ أَعِنَّةُ الْخَيْلِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَشَهِدَ مَعَ  
كَفَّارِ قُرَيْشِ الْحُرُوبِ إِلَى عَمْرَةَ الْحَدَيْبِيَّةِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى خَيْلِ قُرَيْشِ طَلِيْعَةً،  
ثُمَّ أَسْلَمَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ بَعْدَ خَيْبَرَ، وَقِيلَ قَبْلُهَا. انظُرْ: الْإِصَابَةُ لِابْنِ حَجَرٍ (٢/٢١٥).

(٣) هُوَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ عَمْرٍو بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَخْزُومِ الْقُرَشِيِّ  
الْمَخْزُومِيِّ، كَانَ كَأَبِيهِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَسْلَمَ عِكْرِمَةُ عَامَ الْفَتْحِ، وَخَرَجَ

واتسعت الرسالة حتى خرَّجت من وراء جزيرة العرب إلى مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها، فصارت العاقبة الآن لمن؟ لأبي جهل وقومه وأصحابه، أو لمحمد رسول الله ﷺ؟ الجواب: للثاني بلا شك.

ومع هذا يقول -رحمه الله-: (إِنْ فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدِّيَانِ) يعني: إن فاتك النصر في الدنيا كان في الآخرة عند الله عزَّ وجلَّ ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

افرض أن رجلاً داعياً من الدعوة، قام يدعو لدين الله، ويبيِّن بطلان ما عليه أهل الباطل ثم قضي عليه قبل أن يتمَّ ما أراد، فالآن فاته النصر في الدنيا، لكن له العقبى في الآخرة، إن فاتت في الدنيا وجدَّها في الآخرة.

فالعقبى لأهل الحقِّ، إن فاتت في الدنيا وجدوها لدى الدِّيَانِ عند الله، فالعقبى لهم على كل حال، إما في الدنيا والآخرة، وإما في الآخرة، أمَّا أن يُحْرَمَ النصر، فهذا شيءٌ مُتَمَنِّعٌ، كما سبق في الآية.

على أنني كرَّرتُ مرارًا وأقول: إنَّ النصر ليس نصراً للشخص، ولكن نصراً الطريق الذي ينتهجه، فإذا قُدِّرَ أنَّ الإنسان قَضَى اللهُ عليه في الدنيا قبل أن يُشَاهِدَ النصر -أي: نصر ما كان عليه- فإنَّ منهجه سوف ينتصر بعد ذلك، ويقوم ما دام هو المنهج الذي جعله الله -سبحانه وتعالى- لعباده.

ولهذا نقول: إنَّ انتصارَ المسلمين بعد موت الرسول ﷺ انتصارٌ للرسول ﷺ، وإن كان بعد وفاته، ويدل لهذا أنَّ هِرَقْلَ عظيم الروم لما حدَّته أبو سُفيان بما

= إلى المدينة، ثم إلى قتال أهل الردة، ووجهه أبو بكر الصديق إلى جيش نعان، فظهر عليهم، ثم إلى اليمن ثم رجع، فخرج إلى الجهاد عام وفاته فاستشهد. انظر: الإصابة (٤/٤٤٣).

كان عليه الرسول -عليه الصلاة والسلام- من الدعوة إلى الحق، قال هرقل لأبي سفيان: «إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

لكن هل الرسول مَلِكٌ ما تحت قَدَمَيْهِ؟ الجواب: نعم، مَلِكٌ ذلك، لكن لا بِشَخِصِهِ، ولكن بِشَرَعِهِ وَمِنَهَا جِهَهُ -عليه الصلاة والسلام-.

\*\*\*

- ٢٢١- وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ، وَلَا تَنْمَ فَهُمَا عَلَى كُلِّ امْرِيٍّ فَرَضَانِ
- ٢٢٢- فَالْهِجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْإِنْخِلَاصِ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ
- ٢٢٣- فَالْقَصْدُ وَجْهٌ اللَّهُ<sup>(٢)</sup> بِالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ وَالشُّكْرَانِ
- ٢٢٤- فَبِذَلِكَ يَنْجُو الْعَبْدُ مِنْ إِشْرَاكِهِ وَيَصِيرُ حَقًّا عَابِدَ الرَّحْمَنِ
- ٢٢٥- وَالْهِجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْحَقِّ الْمُمِينِ وَوَأَضَحِ الْبُرْهَانَ
- ٢٢٦- فَيَدُورُ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِعْلِهِ نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا بِالرَّوْعَانِ
- ٢٢٧- وَيُحَكِّمُ الْوَحْيَ الْمُمِينِ عَلَى الَّذِي قَالَ الشُّيُوخُ فَعِنْدَهُ حَكَمَانِ
- ٢٢٨- لَا يَحْكُمَانِ بِبَاطِلٍ أَبَدًا، وَكُلُّ لُ الْعَدْلِ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الْحَكَمَانِ
- ٢٢٩- وَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ أَعْدَلُ حَاكِمِ فِيهِ الشُّفَا وَهَدَايَةُ الْحَيْرَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، رقم (١٧٧٣).

(٢) في نسخة برلين: «في الأقوال وبعض الأصول تقدم «الأعمال» على «الأقوال».

- ٢٣٠- وَالْحَاكِمُ الثَّانِي كَلَامُ رَسُولِهِ مَائِمٌ غَيْرُهُمَا لِذِي إِيمَانٍ<sup>(١)</sup>
- ٢٣١- فَإِذَا دَعَوَكَ لِغَيْرِ حُكْمَيْهِمَا فَلَا سَمْعًا لِذَاعِي الْكُفْرِ وَالْعِضْيَانِ
- ٢٣٢- قُلْ لَا كَرَامَةَ لِي، وَلَا نِعْمَى وَلَا طَوْعًا<sup>(٢)</sup> لِمَنْ يَدْعُو إِلَى طُغْيَانِ
- ٢٣٣- وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُمْ سَمْعًا وَطَوْعًا، لَسْتُ ذَا عِضْيَانِ

### الشرح

هذه الآيات مهمة جدًا، فيها إخلاص القصد، وإخلاص المتابعة.

يقول - رحمه الله -:

٢٢١- وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ، وَلَا تَنَمَّ فَهَمَا عَلَى كُلِّ امْرِيٍّ فَرَضَانِ

قَوْلُهُ: «وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ» يعني: هاجرْ بِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ، ومعنى الهجرة هنا أن تترك ما سواهما، وتهاجر إليهما.

قَوْلُهُ: «وَلَا تَنَمَّ» أي: لا تَتَوَانَ، ولا تتكاسل، بل كن يقظًا سريعًا ذا هِمَّة.

قَوْلُهُ: «كُلِّ امْرِيٍّ» هل يشمل المسلم والكافر، أو المسلم فقط؟ الجواب: يشمل المسلم والكافر، لأنه ما مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَمُوتُ وَهُوَ لَا يُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ<sup>(٣)</sup>، فكلُّ امْرِيٍّ يجب عليه أن يهاجر هاتين الهجرةين.

(١) في نسخة الإفتاء: «الإيمان».

(٢) في نسخة ابن سحمان: «سمعًا».

(٣) دليله قوله ﷺ: «لَا يَسْمَعُ بِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُ بِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». أخرجه الطيالسي (٥١١)، وابن منده في التوحيد (١٤٩).

٢٢٢- فَالهِجْرَةُ الْأُولَىٰ إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْإِخْلَاصِ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ

وهذه هي الهجرة الأولى: أن تكون مُخْلِصًا لله في سِرِّك أي: فيما تعمله في قلبك من خشية وتوكلٍ ورغبة ورهبة.. إلخ.

قَوْلُهُ: «وَفِي إِعْلَانٍ» أي: ما تفعله بجوارحك من قولٍ، أو فعلٍ.

ويجوز أن يكون معنى (في سِرِّ) يعني: في غَيْبَةٍ عن الناس، (وفي إِعْلَانٍ) أي: في مُعَايَنَةِ الناس، وكلاهما صحيح.

٢٢٣- فَالْقَصْدُ وَجْهَ اللَّهِ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ وَالشُّكْرِانِ

قَوْلُهُ: «فَالْقَصْدُ وَجْهَ اللَّهِ» يعني: اجعل القصد وجه الله عزَّ وجلَّ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

قَوْلُهُ: «وَالطَّاعَاتِ وَالشُّكْرِانِ» هذا من باب عَطْفِ الصفات، لأنَّ الطاعات أقوالها وأعمالها كلها يدخل فيها الشُّكْران، بل الشُّكر هو الطاعة، وامتنال الأمر.

٢٢٤- فَبِذَلِكَ يَنْجُو الْعَبْدُ مِنْ إِشْرَاكِهِ وَيَصِيرُ حَقًّا عَابِدَ الرَّحْمَنِ

يعني: إذا أخلص القصد لله عزَّ وجلَّ في كلِّ أقواله وأعماله وطاعاته، وترك المنهيات، فإنه ينجو من الإشراك، ويصير مخلصًا تمامًا.

٢٢٥- وَالهِجْرَةُ الْأُخْرَىٰ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَوَأَضِحَ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «إِلَى الْمَبْعُوثِ» يعني: النبي صلى الله عليه وسلم.

فالهجرة الثانية هي إلى رسول الله ﷺ باتباعه، وعدم الروغان عن هديه،

لا تقدّمًا ولا تأخرًا، ولا يمتنّه، ولا يسرّه، وبهذه الهجرة تسلم من الابتداع، فيجب على كل مسلم أن يجعل لقلبه هاتين الهجرتين.

٢٢٦- فَيَدُورُ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِعْلِهِ نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا بِأَلَا رَوَّعَانَ

يعني: أنه يدور مع قول الرسول، ومع فعله (نفيًا) إن نفي الرسول ﷺ شيئًا، (وإثباتًا) إن أثبت شيئًا.

قَوْلُهُ: «بِأَلَا رَوَّعَانَ» الرَّوَّعَانِ: هو عدم استقامة السير، كما يكون ذلك في الثعلب، فالثعلب ذكيٌّ يروغ إذا رأى عدوّه - من إنسان، أو حيوان - أدركه، وهو يشدُّ سعيًا، راغ يمينًا، أو شمالًا، أو رجوعًا، وإذا صاحبه الذي وراءه قد تعدّاه بخطوات كثيرة، فمتى يرجع؟!

فالإنسان يجب أن يكون دائرًا مع قول الرسول ﷺ وفعله، نفيًا فيما نفي، وإثباتًا فيما أثبت، ففي باب الخبر في الإثبات يُصدّق، ولا يتردد، ولا يقل: كيف وكَيْتَ، ولا لِمَ؟ وفي باب الأمر يُطيع، ولا يتردد، ولا يقل: هل الأمر للوجوب، أو للاستحباب؟

وفي باب النفي في الأخبار أيضًا يجزم بانتفاء ما نفاه الرسول ﷺ، ويجزم بإثبات ما أثبتته.

وفي باب النهي يترك ما نهى عنه، ولا يقل: هل هذا النهي للكرهية، أو للتحريم؟ فإذا نهى عنه الرسول ﷺ فليقل: سمعنا وأطعنا، ويجتنب، وإذا أمر به ليقُل: سمعنا وأطعنا، وليفعل.

ولذلك لا أذكر أن أحدًا من الصحابة رضي الله عنهم إذا أمر النبي ﷺ بشيء أنهم يقولون: يا رسول الله، هل هذا للوجوب، أو للاستحباب؟ نعم في باب الرأي

يقولون هذا، كما يُذكر عن الحُبَاب بن المُنْذِر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما نزل في أدنى مياه بَدْر قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمْزَلُ أَنْزَلَكُهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ، وَلَا نَتَأَخَّرَهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قال: «بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ»<sup>(١)</sup>. قال: ليس هذا، بل نتقدم إلى آخر بئرٍ من أجل ألا يدخل الكفار علينا.

كذلك أيضًا امرأة مغيث: وهي جارية -يعني: مملوكة- اشترتها عائشة من أهلها، لأنهم كاتبوها، ثم أعتقتها، فلما أعتقتها خيّرها النبي ﷺ بين أن تبقى مع زوجها، أو تفسخ النكاح، لأنها صارت حرةً وزوجها عبدًا، فخيّرها النبي ﷺ، فاختارت الفراق، وكانت تُبغض زوجها بغضًا شديدًا، وهو يُحبها حبًا شديدًا، حتى كان يتبعها في أسواق المدينة يبكي، يريد أن تبقى، ولكن أبت فتوسّط النبي ﷺ بينهما شافعًا، يريد أن ترجع إلى زوجها، فقال النبي ﷺ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ». قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ<sup>(٢)</sup>.

أما إنه يقول: افعلوا كذا، ثم يقولون: يا رسول الله أهو للوجوب، أو للجواز، أو للاستحباب؟ الجواب: ما قالوا هذا رضي الله عنهم.

فهم إذا دُعوا إلى الله رسوله قالوا: سمعنا وأطعنا.

٢٢٧- وَيُحَكِّمُ الْوَحْيَ الْمُبِينَ عَلَى الَّذِي قَالَ الشُّيُوخُ فَعِنْدَهُ حَكَمَانِ

قَوْلُهُ: «الْوَحْيَ الْمُبِينِ» يعني: الكتاب والسنة.

قَوْلُهُ: «قَالَ الشُّيُوخُ» يعني: الفقهاء، فقهاء المذهب مثلاً، أو علماء الكلام

الذين يُقْتَدَى بهم.

(١) أخرجه الطبري في التاريخ (٢/ ٤٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة، رقم (٤٩٧٩).

أكثر المتعصبين للمذاهب إذا قلت: هذا لا يجوز، قال: لا، هذا يجوز، فقلت له: ما الدليل؟ قال: هو في الكتاب الفلاني.

والحقيقة أن أقوال أهل العلم يُحتجُّ لها، ولا يُحتجُّ بها، فليست بحُجَّة، بل الحُجَّة فيما قال الله ورسوله، فهو يقول: (إِنَّهُ يُحَكِّمُ الْوَحْيَ الْمُبِينَ عَلَى الَّذِي قَالَ الشُّيُوخُ).

ثُمَّ قَالَ: «فَعِنْدَهُ حَكَمَانِ» وهما الكتاب والسنة، لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٢٢٨- لَا يَحْكُمَانِ بِبَاطِلٍ أَبَدًا، وَكُلُّ لُ الْعَدْلِ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الْحَكَمَانِ  
وَصَدَقَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ بِبَاطِلٍ، وَالْمُرَادُ بِالسُّنَّةِ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٢٩- وَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ أَعْدَلُ حَاكِمٍ فِيهِ الشُّفَا وَهَدَايَةُ الْحَيْرَانِ  
لَا شَكَّ أَنَّ أَعْدَلَ الْكُتُبِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ مَا أَتَوْا بِمِثْلِهَا، لِأَنَّهَا أَعْدَلُ حَكَمٍ.

قَوْلُهُ: «فِيهِ الشُّفَا» الشُّفَا هُوَ الْبُرءُ مِنَ الْمَرَضِ، لَكِنْ أَيُّ شِفَاءٍ فِي الْقُرْآنِ: الشِّفَاءُ الْحِسِّيُّ، أَوِ الشِّفَاءُ الْمَعْنَوِيُّ؟ الْجَوَابُ: كِلَاهُمَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] هَذَا الشِّفَاءُ

المعنوي، وقال النبي ﷺ للذي قرأ على اللديغ بالفاتحة، فقام كأنها نُسِطَ مِنْ عِقَالٍ، قال لهذا القارئ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَمَّهَا رُقِيَّةٌ»<sup>(١)</sup>.

فالشفاء الذي جاء به القرآن، أو الذي في القرآن يشمل الشفاءين: الحسيّ، والمعنويّ.

قَوْلُهُ: «وَهِدَايَةُ الْحَيْرَانِ» إي والله، هداية الحيران أي: المتحير، المتردد، الشاكّ، فهذا يجد الهداية في القرآن، فيجد طيب القلب، وطمأنينة القلب، وانسراح الصدر، وانفتاح النفس في القرآن.

فمهما طَلَبْتَ مِنَ الْأَطْبَاءِ أَنْ يَزُولَ عَنْكَ مَا فِي قَلْبِكَ، فَلَنْ تَجِدَ مِثْلَ الْقُرْآنِ، لَكِنْ لِمَنْ؟ الْجَوَابُ: لِلَّذِينَ آمَنُوا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، أما غير المؤمن فلا ينتفع به، وقرأ قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤] قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٢٤) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

فغير المؤمن لا يرى الشفاء بالقرآن أبداً، ولا ينتفع بالقرآن، بل ﴿إِذَا نُتِيَ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطِيفُ الْآوَلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]، لأنه لا ينتفع بها و﴿أَسْطِيفُ الْآوَلِينَ﴾ مثل قولنا: (سوا ليف الأولين)، لأنه لا ينتفع، فكلما كان الإنسان أقوى إيماناً بالله كان القرآن أنفع له في شفاء مرض القلب، وفي نور القلب، وفي انسراح الصدر، وفي طمأنينة القلب، وجرب مجد.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، رقم (٢١٥٦)، ومسلم: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، رقم (٢٢٠١).

والعجيب أني أحياناً - وهذا عن نفسي - أطلب حُكم مسألةٍ من المسائل، فيما عندي من كتب الفقهاء، وفيما أعرف من السُّنة، ولا أجدها، ثم أتأمل في آية من القرآن تُوجي بِحُكم هذه المسألة، فإذا تأملتُ وجدتُ الحُكم في القرآن.

فيطمئن الإنسان إلى أن القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٩٨]، وهداية لكل حائر.

٢٣٠- وَالْحَاكِمُ الثَّانِي كَلَامُ رَسُولِهِ مَائِمٌ غَيْرُهُمَا لِذِي إِيمَانٍ قَوْلُهُ: «وَالْحَاكِمُ الثَّانِي كَلَامُ رَسُولِهِ» قَيْدُهُ الْمُؤَلَّفُ، فَقَالَ: «لِذِي إِيمَانٍ».

كلام الرسول - عليه الصلاة والسلام - هو الحاكم الثاني، وفعله هو الحاكم الثاني، وقد قرأت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] أي: فيما حصل بينهم من نزاع ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٢٣١- فَإِذَا دَعَوَكَ لِغَيْرِ حُكْمِهِمَا فَلَا سَمْعًا لِذَاعِي الْكُفْرِ وَالْعِضْيَانِ أفادنا المؤلف - رحمه الله - أن مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَحَالُهُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إما أن يكون كافرًا، وإما أن يكون عاصيًا، ولهذا قال: (فَلَا سَمْعًا لِذَاعِي الْكُفْرِ وَالْعِضْيَانِ).

٢٣٢- قُلْ لَا كَرَامَةَ لَّا، وَلَا نُعْمَى وَلَا طَوْعًا لِمَنْ يَدْعُو إِلَى طُغْيَانٍ ٢٣٣- وَإِذَا دُعِيَ إِلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُمْ سَمْعًا وَطَوْعًا، لَسْتُ ذَا عِضْيَانٍ

هكذا الواجب على المسلم أن يقول بقلبه ومقاله: لا سمع، ولا طاعة لمن يدعو إلى طُغيان، لكن كيف يدعو إلى طُغيان؟ نقول: لأنَّ أيَّ إنسان يدعو إلى

حُكْمٌ غَيْرُ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ طَاغٍ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۗ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

فقول المؤلف: «يَدْعُو إِلَى طُغْيَانٍ» مُوَافِقَةٌ لِلآيَةِ السَّابِقَةِ.

إِذْ كُلُّ مَا خَالَفَ حُكْمَ اللَّهِ فَهُوَ طُغْيَانٌ، وَكُلُّ مَنْ دَعَا إِلَى ذَلِكَ فَهُوَ طَاغُوتٌ، فَهَلْ تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الطَّاغُوتِ؟  
الجواب: مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ.

\*\*\*

٢٣٤- وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْخُصُومُ وَصَيَّحُوا فَانْتَبْتُ، فَصَيَّحْتَهُمْ كَمِثْلِ دُخَانٍ  
٢٣٥- يَرْقَى إِلَى الْأَوْجِ الرَّفِيعِ وَبَعْدَهُ يَهْوِي إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّانِ  
٢٣٦- هَذَا وَإِنَّ قِتَالَ<sup>(١)</sup> حِزْبِ اللَّهِ بِأَلْ  
٢٣٧- وَاللَّهُ مَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِكَثْرَةِ<sup>(٢)</sup>  
٢٣٨- وَكَذَلِكَ مَا فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِهَذِهِ أَلْ

(١) في نسخة الإفتاء: «قبل حرب» بموحدة تحتانية.

(٢) في نسخة التيمورية: «بهذه».

## الشرح

٢٣٤- وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْخُصُومُ وَصَيَّحُوا فَأَثْبُتْ، فَصَيَّحَتْهُمْ كَمِثْلِ دُخَانٍ

٢٣٥- يَرْقَى إِلَى الْأَوْجِ الرَّفِيعِ وَبَعْدَهُ يَهْوِي إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْخُصُومُ» يعني: بأن كنت وحيداً في بلدك تدعو إلى السُّنَّةِ واتباع السَّلفِ، وكَثُرَ الأعداء الذين يَدْعُونَ إلى مذهبهم الباطل، فالواجب ألا تَنْهَزمَ، لأنك إذا انهزمت فقد هَزَمْتَ الحَقَّ، بل اثبت، وما أَرَعَبَ أعداءك إذا رَأَوْكَ ثابتاً.

قَوْلُهُ: «فَصَيَّحَتْهُمْ كَمِثْلِ دُخَانٍ» فهو شَبَّهُهُمُ بالدُّخانِ، تَعَلُّو أصواتهم وضجيجهم وكلماتهم ودعايتهم، فالدُّخان إذا ثبت له الإنسان تمزَّق وتفرَّق يميناً وشمالاً، ولم يَصُرَّ الإنسان، وإذا تعالَى في الجَوْ فمآله الرجوع والسُّفل، وهذا التمثيل من أعجب التمثيلات وأدقِّها، فهو أشدُّ من قول الشاعر:

بَلَيْتُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا

وُقُوفَ شَحِيحِ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتِمُهُ<sup>(١)</sup>

فَقَوْلُهُ: «الْأَطْلَالِ» يعني: أطلال محبوبته، يقول: فهو (شَحِيح)، إذا ضاع خاتمته في التراب هل يَنْظُرُ أَوَّلَ مرة ويمشي؟ أبداً، بل يَنْخُلُ التُّرَابَ نَخْلًا، حَبَّةً حَبَّةً، لَعَلَّهُ يَجِدُ خَاتِمَةَ.

أقول: إنَّ هذا التشبيه العجيب دون ما شَبَّهُه ابن القيم -رحمه الله- أعداء الحَقِّ بالدُّخانِ، وَجْهُ الشَّبَهَةِ: الدخان، إذا ثَبَّتَ له هل يدفعك؟ الجواب: لا يدفعك،

(١) البيت للمتنبي، انظر: شرح معاني شعر المتنبي للإفليلي (١/١٥٨).

ولكن يتمزق يمينًا وشمالًا.

ثانيًا: إذا تعالوا عليك، وهو باطل فمآهم للسُّفول والنزول، لأنَّ الدخان يَرَقَى، وإذا به يَنزِل، لأنَّ الرياح تَرُدُّه إلى الأرض.

وقوله: «دُخَان يَرَقَى إِلَى الْأَوْجِ الرَّفِيعِ» شرح المؤلف المشابهة في الارتفاع فقط، لكننا زدنا على هذا بَعْدَمِ صُموَدِ الدخان لمن ثَبَت، فإنه يتمزق ويتفرَّق.

٢٣٦- هَذَا وَإِنَّ قِتَالَ حِزْبِ اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ لَا بِكِتَابِ الشُّجْعَانِ  
قوله: «حِزْبِ اللَّهِ» وفي نسخة «حَرْبِ اللَّهِ» ويصحُّ حِزْبٌ وَحَرْبٌ، لأنَّ القتال يكون من جانبيين.

قِتَالَ حِزْبِ اللَّهِ يعني: قتالهم لأعدائهم.

قوله: «لا بكتائب الشجعان» يعني: ليس بكتائب الشجعان وحدها، وإلاَّ فمن المعلوم أنَّ قتال حِزْبِ اللَّهِ لأعدائهم يكون بالأعمال، ويكون بالكتائب، ولولا الكتائب، ولولا رايات الجهاد ما حَصَلَتِ الغلبة على أعداء الله، فأعداء الله قِتَالُهُم يكون بأمرين: الأول: بالأعمال، والثاني: بكتائب الشجعان.

فابن القيم - رحمه الله - لم يَنْفِ أَنَّ القتال يكون بكتائب الشجعان، ولكنه نَفَى أَنَّ يكون القتال مقتصرًا على كتائب الشجعان.

وصدق - رحمه الله - فالأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والمعاملات الطيبة تفتح قلوب الأعداء أكثر مما تفتحها السيوف، ولهذا نجد في علم التاريخ أن كثيرًا من رؤساء الكفر لما شُرح لهم الإسلام أَسْلَمُوا بِدُونِ أَيِّ قتال، ولما قيل: إنَّ المسلمين كذا وكذا.. أسلموا.

وهذا هرقل لما ذكرت له صفات الرسول -عليه الصلاة والسلام- أقرَّ بأنه حَقٌّ<sup>(١)</sup>، لكن منعه -والعياذ بالله- الشُّحُّ بِمُلْكِهِ، فلم يُسَلِّم!

٢٣٧- وَاللَّهِ مَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِكَثْرَةِ أَنْيِّ وَأَعْدَاهُمْ بِلَا حُسْبَانٍ!؟

قَوْلُهُ: «وَاللَّهِ مَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِكَثْرَةِ» يشير إلى الصحابة، وسَلَفَ الْأُمَّةِ، فَهُمْ مَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِكَثْرَةِ (أَنْيِّ وَأَعْدَاهُمْ بِلَا حُسْبَانٍ)؟

وهذا صحيحٌ، وفيه الردُّ على مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ بِالسَّلَاحِ وَالْحَرْبِ، وَهَذَا قَوْلُ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا هَذَا، فَمَعْنَاهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ طُغَاةٌ مَعْتَدُونَ فَتَحُوا الْبِلَادَ بِقُوَّةِ السَّلَاحِ، وَهَذَا مَا قَالَهُ إِلَّا أَعْدَاؤُنَا مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَأَذْنَابِهِمْ، وَإِنَّمَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِالْعَمَلِ، وَفَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْعِلْمِ.

فَبِالْعَمَلِ: إِذَا رَأَى الْكُفَّارَ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ مَا عَلَيْهِ طُغَاثُهُمْ وَوُلَايَتُهُمْ مِنْ اسْتِعْبَادِهِمْ وَاسْتِذْلَالِهِمْ وَرَأَوْا مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَنَّ أَمِيرَهُمُ السُّلْطَانَ الْأَعْلَى فِيهِمْ ثَوْبُهُ مُرَقَّعٌ، يَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَيَّ كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ حَارِسٌ، وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَيَخْطُبُ النَّاسَ فَتَرُدُّ عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ<sup>(٢)</sup>، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، هَلِ النَّفُوسُ بِفِطْرَتِهَا الْأَصِيلَةَ تَقْبَلُ هَوْلًا أَوْ تَرْفُضُهُمْ؟

الجواب: تَقْبَلُهُمْ وَاللَّهُ، فَتَنْفَتِحُ قُلُوبُهُمْ قَبْلَ انْفِتَاحِ بُلْدَانِهِمْ، فَبِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ فَتَحُوا الْبِلَادَ لَا بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ، وَلَا بِقُوَّةِ الْعُدَّةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، رقم (١٧٧٣).

(٢) أخرج هذه القصة سعيد بن منصور في كتاب السنن (١/١٩٥)، رقم (٥٩٨)، والبيهقي (٧/٢٣٣)، رقم (١٤١١٤)، وقال البيهقي: هذا منقطع.

لو قارنًا بين كثرة العدد، وقُوَّة العُدَّة فأيهما أكثر: هم أو أعداؤهم؟ الجواب: الأعداء أضعافٌ مُضاعفة بلا حسابان، وكذلك في العُدَّة، لكن فَتَحُوا البلاد بهذه الأعمال.

٢٣٨- وَكَذَلِكَ مَا فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِهَذِهِ الْآرَاءِ بَلْ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ  
يقول: كذلك فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، لا بقواعدِ أهل المنطق اليوناني.

وصدق - رحمه الله - لو أنه عُرِضَتْ عقائدُ المسلمين على أعدائهم بما يَعْرِضُهَا به علماء الكلام، هل يؤمنون؟ لا يؤمنون أبدًا، بل لا يزيدهم ذلك إِلَّا نُفُورًا، لكنَّ عقيدة المسلم سهلةٌ وَيَسِيرَةٌ، يأتي الأعرابي يقول: أشهد أن لا إله إِلَّا اللهُ، وأشهد أن محمدًا رسول الله، ويمضي، ويتعلم العقيدة من هاتين الكلمتين.

لكن لو أننا دَعَوْنَا أعداءَ الله بكلام أهل الكلام، وأعطينا الواحد منهم مجلداتٍ لم ينتفع، فكلامه - رحمه الله - حَقٌّ بلا شك.

\*\*\*

٢٣٩- وَشَجَاعَةُ الْفُرْسَانِ نَفْسُ الزُّهْدِ فِي نَفْسٍ، وَذَا مَحْذُورٌ كُلُّ جَبَانٍ  
٢٤٠- وَشَجَاعَةُ الْحُكَّامِ وَالْعُلَمَاءِ زُهْدٌ  
٢٤١- فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِقَلْبٍ صَادِقٍ شُدَّتْ رَكَائِبُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ  
٢٤٢- وَاقْصِدْ إِلَى الْأَقْرَانِ لَا أَطْرَافِهَا فَالْعِزُّ تَحْتَ مَقَاتِلِ الْأَقْرَانِ  
٢٤٣- وَاسْمَعْ نَصِيحَةَ مَنْ لَهُ حُبٌّ بِمَا عِنْدَ الْوَرَى مِنْ كَثْرَةِ الْجَوْلَانِ

- ٢٤٤- مَا عِنْدَهُمْ - وَاللَّهِ - خَيْرٌ غَيْرَ مَا أَخَذُوهُ عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
- ٢٤٥- وَالْكُلُّ بَعْدُ فَبِدَعَةٍ أَوْ فِرْيَةٍ أَوْ بَحْثُ تَشْكِيكِ وَرَأْيُ فُلَانٍ

### الشرح

٢٣٩- وَشَجَاعَةُ الْفُرْسَانِ نَفْسُ الزُّهْدِ فِي نَفْسٍ، وَذَا مَحْذُورٌ كُلُّ جَبَانٍ

هذا التعريف الذي ذكره للشجاعة لا تكاد تجده في كتاب، فزهد الإنسان في نفسه هو الشجاعة، فشجاعة الفرسان نفس الزهد في نفس، فإذا زهد الإنسان في نفسه فلا يهمه الموت، لأن الجبن يدعو إليه الشح بالنفس، يخاف أن يُقَدِّمَ فيقتل، فإذا زهد بنفسه، ولم تهمة النفس إذا فاتت، فهذه هي الشجاعة، ولذلك تجد الشجاع عندما يُقَدِّمُ ينسى نفسه، وينسى كل شيء، فشجاعة الشجعان هي الزهد في النفس، وكرم الكرماء الزهد في المال، ويأتي زهد آخر، ولذا قال - رحمه الله -:

٢٤٠- وَشَجَاعَةُ الْحُكَّامِ وَالْعُلَمَاءِ زُهْدٌ فِي الثَّنَائِمِ مِنْ كُلِّ ذِي بَطْلَانٍ

قوله: «وَشَجَاعَةُ الْحُكَّامِ» كذلك الأمراء شجاعتهم ألا يهتموا بمدح الناس إياهم، أو ذمهم، وأن يقودوا الناس بكتاب الله عز وجل حتى لو قالت الأمم: هؤلاء مخالفون لحقوق الإنسان: يقطعون يد السارق، ويقتلون القاتل.

فالواجب على الأمراء - وهذا يشمل السلطان ومن تحته - ألا يبالوا بأحد، وأن يزهّدوا في ثناء الناس عليهم بالباطل.

وشجاعة العالم أن يزهّد في الثناء من أهل الباطل، بمعنى أنه لا يُجَازِي أهل الباطل، أثنوا عليه، أو ذمّوه لا يهّمه، يقول: أنا عالمٌ أبدي العلم، سواء أثنى عليّ

أهل الباطل، أم قَدَحُوا فِيّ، فيزهد في ثناء أهل الباطل عليه، لأنَّ أهل الباطل إذا رَأَوْا العالمَ قد دَاهَنَهُمْ أَثْنَوْا عليه، وقالوا: هذا العالم الذي يعرف الأمور، هذا العالم الذي يَصْلُح لكل واحد، فيثنون عليه، فهو إذا زهد في هذا الثناء صار عالماً حقاً وشجاعاً، اللهم اجعلنا من هؤلاء.

ومن ثمَّ نقول: العلماء ثلاثة أقسام: عالم أُمَّة، وعالم مِلَّة، وعالم دَوْلَة.

الأول: عالم المِلَّة: وهو الذي يَبُثُّ المِلَّةَ أي: شريعة الإسلام، ولا يُبالي بَمَن خالفه، أثنى الناس عليه، أم قَدَحُوا فيه، فهذا عالم المِلَّة الذي يريد إقامة الشريعة، ولا يَهْمُهُ ما يقوله الناس عليه: (هذا رجلٌ مُعَقَّد)، (هذا رجلٌ رجعيٌّ)، (هذا لا يعرف إلا دِينًا مَضَّت عليه القرون)، فلا يَهْمُهُ.

الثاني: عالم أُمَّة: بمعنى أنه ينظر ماذا يريد العامة، إن رأى العامة مُقبلين على شيء وهو حرامٌ في الشريعة، ولكنَّ الناس مُقبلون عليه، ذَهَب يقول: (هذا حلالٌ، الناس ما لهم بُدٌّ منه، ولا يمكن أن نَرُدَّ الناس)، فيقتي بما يناسب أهواء الناس، ثمَّ يحاول أن يجعل له وجهًا في الشرع، فيُحَرِّف النصوص من أجل موافقة أهواء الناس.

فهذا إذا رأى أن الثناء عليه يكون في تحليل المصارف (الربا)، فيكون هو هذا الرجل العالم الفاهم لِلُغَةِ العَصْر، واقتِصَاد العَصْر، فيقول للناس: اعمَلُوا بالربا، فلا يقوم الاقتصَاد إلا به، فهذا لا حَظَّ ثناء الناس عليه، ولم يُبالِ بما يخالف الشرع.

ولما ظهرت الدعوة في البلاد العربية إلى الاشتراكية - وهي في الحقيقة الشَّرِكِيَّة يُضْطَاد بها الأغنياء - لما ظهرت صاروا يأتون بالأدلة الدالة عليها، وأنها

في القرآن، ويثبتونها، حتى يقول القائل منهم: (الاشتراكيون أنت إمامهم)<sup>(١)</sup>  
يعني: الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

وَمِنْ أَعْجَبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْاِسْتِدْلَالِ قَوْلَ أَحَدِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي  
الْقُرْآنِ: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي  
مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: ٢٨]، قال: فهذه اشتراكية بين السيد والعبد،  
وكذا في قوله تعالى: ﴿هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ  
فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: ٢٨].

انظر -والعياذ بالله- إلى هذا التحريف؟!

الآية ما معناها؟ يعني: هل أنتم شركاء مع هؤلاء، فأنتم سواء في المشاركة؟  
الجواب: لا، هذا معطوف على النفي، لكنهم جعلوه إثباتاً، وقالوا: إنَّ  
الناس شُرَكَاءَ فِي ثَلَاثَةٍ، وَعَلَّلُوا هَذَا بِالْحَاجَةِ، وَالنَّاسُ الْآنَ مُحْتَاجُونَ إِلَى  
الاشْتِرَاكِيَّةِ، الشَّعْبُ كُلُّهُ طَبَقَاتٌ: هَذَا غَنِيٌّ جَدًّا، وَهَذَا فَقِيرٌ جَدًّا، فَحُجَّتْ فِي حَاجَةِ  
إِلَى أَنْ نَضُمَّ مَالَ هَذَا إِلَى هَذَا، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ أَخَذُوا أَمْوَالَ الْغَنِيَاءِ، وَلَمْ يَنْفَعُوا  
الْفُقَرَاءَ.

المقصود أنَّ عالم الأمة هو الذي ينظر إلى أهواء الناس، وما تهواه وَيُسَيِّرُ  
الْأُمُورَ عَلَيَّ مَا يَرِيدُونَ.

الثالث: عالم دولة: وهو ينظر ما تريد الدولة، إذا أرادت شيئاً قال: هذا  
حلال، هذا له وجهة نظر، ثم يستدل بآيات، أو أحاديث ويحرِّفها.

(١) هذا صدر بيت من هزمية الشاعر أحمد شوقي، وتمامه: (لولا دعاوى القوم والغُلُوءاء). انظر:  
شعر شوقي في ميزان النقد، لمحمد مصطفى المجذوب (ص: ٨٣).

والعلماء في الحقيقة - نسأل الله الحماية - عليهم مسئولية عظيمة، يجب عليهم أن يتقوا الله عزَّ وجلَّ قَبْلَ أن يتقوا عباد الله.

فصارت شجاعة المقاتل الزهْدُ في النفس، وشجاعة الغنيِّ الزهد في المال، وشجاعة العالم الزهد في الثناء من أهل الباطل، وشجاعة الأمراء الزهد في ثناء الناس، أو قَدْجهم، لا يهْمُّهم أحد.

هذه في الحقيقة ضوابط، لو أنكم إذا مرَّت بكم تُقَيِّدُونَهَا، تضعون عليها إشارة، ثم تنقلونها في دفترٍ خاصٍّ يكون فيها فائدة عظيمة ومرجع، لأنها في الواقع ضوابط قد لا تجدونها في غير هذا الكتاب.

٢٤١ - فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِقَلْبٍ صَادِقٍ شُدَّتْ رَكَائِبُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «اجْتَمَعَا» يعني: اجتمع الزهد في النفس، والزهد في الثناء، فإنها سوف تُشَدُّ رَكَائِبُهُ إِلَى الله عزَّ وجلَّ ويكون قصده وجه الله تعالى.

٢٤٢ - وَأَقْصِدْ إِلَى الْأَقْرَانِ لَا أَطْرَافِهَا فَالْعِزُّ تَحْتَ مَقَاتِلِ الْأَقْرَانِ

يعني: إذا قاتلت لا تذهب للحواشي، بل ابدأ بالأقران، والأقران هم من مثلك في الشجاعة، فأنت شجاع، فلا تذهب إلى أطراف الجيش الذين ليس عندهم شجاعة، لأنَّ قَتْلَهُمْ سَهْلٌ، لكن اقصد إلى الأقران الذين هم مثلك فاقتلهم.

كذلك بالنسبة للعلماء، لا تذهب للعامة، بل اقتل العالم الذي يقودهم بالباطل، اقتله - طبعًا - بالحجة والبرهان، لا بالسيف، وهذه توصية من خير بالأمر، لأنك إذا أردت القضاء على باطل قومٍ فإلى من تقصد؟ أتذهب إلى العامي

تُناظره في هذا القول؟ لا، لكن اذهب إلى العالم، ويقول العوامُّ: (إِذَا صَدَعْتَ رَأْسَ الْحَيَّةِ مَاتَ ذَنْبُهَا) لكن إذا ضَرَبْتَ ذَنْبَهَا فلن تموت.

ولهذا يقول -رحمه الله-: «أَقْصِدْ إِلَى الْأَقْرَانِ لَا أَطْرَافِهَا» فلا تأتِ للحواشي والأطراف، فهؤلاء سَتَعَجِزُ عنهم، لكن انظر إلى أقرانك الذين هم علماء مثلك، وناظرهم حتى يهزموا أمامك، وبالتالي يهزمون أمام عوامهم، أما أن تأتي للعوام، فلا تُفَكِّرْ أبدًا في ذلك، فقد يجتمع عليك عشرون عاميًا، يَصِيحُونَ بك، بل وقد تأخذ أحدهم الغيرة فيضربك، فلا تتكلم مع هؤلاء. وهذه من الحكمة التي أرشد إليها -رحمه الله تعالى-.

٢٤٣- وَاسْمَعْ نَصِيحَةَ مَنْ لَهُ خُبْرٌ بِمَا عِنْدَ الْوَرَى مِنْ كَثْرَةِ الْجَوْلَانِ  
قَوْلُهُ: «وَاسْمَعْ نَصِيحَةَ مَنْ لَهُ خُبْرٌ...» يعني بذلك نفسه.

قَوْلُهُ: «خُبْرٌ» أي: عِلْمٌ، يعني: أنه -رحمه الله- جالٌ في أقوال العلماء، وليس بلازم أن يذهب إلى كل عالمٍ في بيته، لكن جالٌ في أقوال العلماء فيما كتَبُوهُ، وتأملها وعرفها.

٢٤٤- مَا عِنْدَهُمْ -وَاللَّهِ- خَيْرٌ غَيْرَ مَا أَخَذُوهُ عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ  
وهذا من إنصاف المؤلف يقول: الخيرُ الذي عندهم موجودٌ في القرآن، وأكثرُ ما عندهم هو الباطل والشرُّ، فإذا كان الخير الذي عندهم موجودًا في القرآن، فإلى أين أرجعُ؟

الجواب: أرجعُ إلى القرآن، ولا يهمني إذا وافقوا القرآن في شيء، ثم أُبطل ما خالفوا القرآن مما عندهم، ولا يهمني هذا.

٢٤٥- وَالْكُلُّ بَعْدُ فَبِدْعَةٌ أَوْ فِرْيَةٌ أَوْ بَحْثٌ تَشْكِيكٍ وَرَأْيٌ فُلَانٍ

ذَكَرَ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ:

الأول: بدعةٌ ابتدعوها في دين الله من عبادةٍ قوليةٍ أو فعليةٍ.

الثاني: فرية أي: كَذِبٌ أَخْبَرُوا بِهِ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الثالث: بحثٌ تشكيكٍ فيما يُورِدُونَهُ مِنَ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي لَا يَجِدُونَ لَهَا جَوَابًا،

ولهذا قال بعضهم: (أكثرُ الناسِ شكًّا عند الموت أهلُ الكلام) (١).

اللهم أعِزَّنَا مِنْ ذَلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَارزُقْنَا الْيَقِينَ أَحْيَاءً، وَعِنْدَ الْمَوْتِ.

الرابع: رأيٌ فُلَانٍ، وهذا عن التقليد الأعمى، فيقول: قال فلان، وقال

فلان.

فهؤلاء القوم ليس عندهم إلا واحدٌ من هذه الأمور الأربعة: بدعة، فرية،

تشكيك، تقليد.

\*\*\*

٢٤٦- فَاصْدَعْ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا تَخَشَّ الْوَرَى فِي اللَّهِ وَاخْشَاهُ تُفْزَ بِأَمَانٍ

٢٤٧- وَاهْجُرْ وَلَوْ كُلَّ الْوَرَى فِي ذَاتِهِ لَا فِي هَوَاكَ وَنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ

٢٤٨- وَاصْبِرْ بِغَيْرِ تَسْحُطٍ وَشِكَايَةٍ وَاصْفَحْ بِغَيْرِ عِتَابٍ مَنْ هُوَ جَانِ

٢٤٩- وَاهْجُرْهُمْ الْهَجْرَ الْجَمِيلَ بِلَا أَدَى إِنْ لَمْ يَكُنْ بُدًّا مِنَ الْهَجْرَانِ

٢٥٠- وَانظُرْ إِلَى الْأَقْدَارِ جَارِيَةً بِمَا قَدْ شَاءَ مِنْ غَيْرِي وَمِنْ إِسْمَانِ

(١) هذا القول أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨) ونسبه للغزالي.

- ٢٥١- وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ مُقْلَتَيْنِ كِلَاهُمَا  
بِالْحَقِّ فِي ذَا الْخَلْقِ نَاطِرَتَانِ  
٢٥٢- فَانظُرْ بِعَيْنِ الْحُكْمِ وَارْحَمُهُمْ بِهَا  
إِذْ لَا تُرَدُّ مَشِيئَةُ الدِّيَانِ  
٢٥٣- وَانظُرْ بِعَيْنِ الْأَمْرِ وَاحْمِلْهُمْ عَلَى  
أَحْكَامِهِ، فَهُمَا إِذْنٌ نَظْرَانِ  
٢٥٤- وَاجْعَلْ لِرُوحِكَ مُقْلَتَيْنِ كِلَاهُمَا  
مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَانِ  
٢٥٥- لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ أَضْمًا مِثْلَهُمْ  
فَالْقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

### الشرح

٢٤٦- فَاصْدَعْ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا تَخَشَّ الْوَرَى فِي اللَّهِ وَاخْشَاهُ تَفْرُزٌ بِأَمَانِ

قَوْلُهُ: «فَاصْدَعْ بِأَمْرِ اللَّهِ» لقول الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤].

وَقَوْلُهُ: «اصدع» يعني: بَيِّنُهُ بَيَّانًا وَاحِدًا، تَصْدَعُ بِهِ الْحَجَرُ مِنْ قُوَّةِ الْبَيَانِ

وَالِإِظْهَارِ.

قَوْلُهُ: «لَا تَخَشَّ الْوَرَى فِي اللَّهِ وَاخْشَاهُ» هذا مأخوذ من قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْا

الْكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤].

قَوْلُهُ: «وَاخْشَاهُ تَفْرُزٌ بِأَمَانِ» يعني: إِنْ فَعَلْتَ هَذَا، أَي: صَدَعْتَ بِالْحَقِّ،

وَخَشِيَتِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ غَيْرِهِ، فَسَتَفُوزُ بِأَمَانِ.

فَالْمَوْلُفُ يَقُولُ: الْوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَصْدَعَ بِالْحَقِّ، وَلَا يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ

عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ الْأَمَانَ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَالْحَقُوفَ كُلَّ الْحَقُوفِ فِي خَشْيَةِ النَّاسِ، فَمَنْ

خَشِيَ اللَّهَ خَافَهُ النَّاسُ، وَمَنْ خَافَ النَّاسَ وَطِئَهُ النَّاسَ.

٢٤٧- وَاهْجُرْ وَلَوْ كُلَّ الْوَرَى فِي ذَاتِهِ لَا فِي هَوَاكَ وَنَخْوَةَ الشَّيْطَانِ

يعني: اهجر مَنْ خالف الحق - ولو كانوا كُلَّ الورى - في ذات الله عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «لَا فِي هَوَاكَ» يعني: لا تَهْجُرْهُمْ انتصارًا لِهَوَاكَ.

قَوْلُهُ: «وَنَخْوَةَ الشَّيْطَانِ» النَخْوَةُ: العِزَّةُ والفَخْرُ، وما أشبه ذلك.

ولكن اهجرهم الله عزَّ وجلَّ في ذات الله، حتى لو كان أباك وأُمَّك، اهجرهم

في ذات الله، ولكن كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

٢٤٨- وَاصْبِرْ بِغَيْرِ تَسَخُّطٍ وَشِكَايَةٍ وَاصْفَحْ بِغَيْرِ عِتَابٍ مَنْ هُوَ جَانِ

قَوْلُهُ: «وَاصْبِرْ» أي: لِحُكْمِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ الذي يَحْصُلُ لَكَ مِنْ أذِيَّةٍ أَوْ ضَرَرٍ.

قَوْلُهُ: «بِغَيْرِ تَسَخُّطٍ وَشِكَايَةٍ» فلا تتسخط بِقَلْبِكَ، ولا تَشْكُونَ بِلِسَانِكَ.

قَوْلُهُ: «وَاصْفَحْ بِغَيْرِ عِتَابٍ مَنْ هُوَ جَانِ» اصفح يعني: أَعْرِضْ عَنِ الشَّيْءِ،

وهو مأخوذٌ مِنْ صَفْحَةِ الْعُنُقِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَعْرِضَ بَدَتْ صَفْحَتُهُ.

المعنى: اصفح عن هؤلاء «بِغَيْرِ عِتَابٍ مَنْ هُوَ جَانِ» ولكن الحق لا بُدَّ أَنْ

تقوله.

وفي هذا إشارة إلى إبطال الطريقة التي يفعلها بعض الناس، حتى مِنَ الْعُلَمَاءِ

مَنْ تَجِدُهُ إِذَا خَالَفَهُ أَحَدٌ فِي رَأْيِهِ - ولو كان عن اجتهاد - قام يَسُبُّهُ سَبًّا عَظِيمًا، وَمَنْ

يسلك هذه الطريقة ابنُ حَزْمٍ - رحمه الله -<sup>(١)</sup>، وَيَا وَيْلَ مَنْ خَالَفَهُ، يَسُبُّهُ سَبًّا عَظِيمًا،

(١) ابن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم الظاهري، أحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة سنة

(٣٨٤هـ)، كان له ولأبيه رئاسة الوزارة، ولكن زهد فيها، وأقبل على العلم، ولقد انتقد كثيرًا من

العلماء فطارده الملوك، فمات في بادية - يعني خارج المدن - ببلدة من بلاد الأندلس سنة (٤٥٦هـ).

[الشارح].

وهذا غلط، فعليك أن تصبر، وأن تدعوَ إلى الله عزَّ وجلَّ بالحقِّ بدون تَسَخُّطٍ وعتاب.

٢٤٩- **وَاهْجُرْهُمْ الْهَجْرَ الْجَمِيلَ بِلَا أَدَى** **إِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْهَجْرَانِ**

قَوْلُهُ: «**وَاهْجُرْهُمْ الْهَجْرَ الْجَمِيلَ**» الهجر الجميل هو الهجر بلا أذية، كما أنَّ الصبر الجميل هو الصبر بلا شكاية.

قوله: «**إِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْهَجْرَانِ**» يعني: لا تهجرهم إلا إذا كان لا بدَّ من الهجر، فاهجرهم بلا أذى.

وهذا يدلُّ على تسامح ابن القيم -رحمه الله- في مثل هذه الأمور، عكس ما يفعلُه الآن أهل الغيرة والحماس، تجده يُشَدِّد في مجادلة الآخرين، وفي هجرهم، وفي التنفير منهم، وهذا ليس من طريق السلف.

٢٥٠- **وَانظُرْ إِلَى الْأَقْدَارِ جَارِيَةً بِمَا** **قَدْ شَاءَ مِنْ غَيْرِيٍّ وَمِنْ إِيْمَانِ**

قَوْلُهُ: «**قَدْ شَاءَ**» أي: الله عزَّ وجلَّ فانظر إلى أقدار الله تعالى كيف هي جارية بما شاء الله من غَيْرِيٍّ، ومن إيمان.

فهذا رجل مؤمن صالح تقيٍّ، وهذا رجل فاسق شقيٍّ، من الذي قدر هذا؟ إنه الله عزَّ وجلَّ لكن لا إكراه، بل للإنسان اختيار، إلا أنَّ الرَّبَّ عزَّ وجلَّ إذا رأى من عباده زَيْغًا، أزاع قلوبهم -والعياذ بالله-، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ [الصف:٥].

فانظر إلى أقدار الله تَجِدُ الرَّجُلَ الذَّكِيَّ الكَثِيرَ المَالِ، الكَثِيرَ البَذْلِ، الجَيِّدَ الرَّأْيِ تجده كافرًا، وتجد آخرَ دُونَه في ذلك، لكنه مؤمن، فانظر إلى أقدار الله عزَّ وجلَّ كيف جرت بما شاء؟

ولكن هل هو لمجرد مشيئة، أو مشيئة لحكمة؟ الجواب: نعم، مشيئة لحكمة.

٢٥١- وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ مُقَلَّتَيْنِ كِلَاهُمَا بِالْحَقِّ فِي ذَا الْخَلْقِ نَاطِرَتَانِ

اجعل لقلبك عينين تنظر إلى الخلق من وجهين.

٢٥٢- فَانظُرْ بِعَيْنِ الْحُكْمِ وَارْحَمُهُمْ بِهَا إِذْ لَا تُرَدُّ مَشِيئَةُ السَّيِّئَاتِ

قَوْلُهُ: «فَانظُرْ بِعَيْنِ الْحُكْمِ» أي: الحكم الكوني القدري، كيف حكّم الله

على هؤلاء بالضلال؟

قَوْلُهُ: «وَارْحَمُهُمْ بِهَا» أي: بهذه العين، كيف أضلّ الله هؤلاء المساكين، حتى

بُغُوا حَيَارَى، لَا يَبْنُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى قَاعِدَةٍ، وَلَيْسَ لَهُمْ عَقِيدَةٌ، فَتَرَحَّمَهُمْ، وَتَقُولُ:

الحمد لله الذي فضّلني عليهم، وهذا هو النظر الأول.

وأما النظر الثاني، فقال -رحمه الله تعالى-:

٢٥٣- وَانظُرْ بِعَيْنِ الْأَمْرِ وَاحْمَلُهُمْ عَلَى أَحْكَامِهِ، فَهَمَّا إِذْنُ نَظْرَانِ

قَوْلُهُ: «وَانظُرْ بِعَيْنِ الْأَمْرِ» أي: الأمر الشرعي.

قَوْلُهُ: «وَاحْمَلُهُمْ عَلَى أَحْكَامِهِ» أي: ألزمهم بها، وَلَا تَأْخُذُكَ فِي دِينِ اللَّهِ لَوْمَةٌ

لَا تَلِيْمٌ.

فحينئذ لنا نظران:

النظر الأول: أن تنظر إليهم بعين القدر، وهذا يقتضي الرحمة، والحنان

عليهم، والتأوّه لهم، وأن نحمد الله عزّ وجلّ أن عافانا مما ابتلاهم به، لأنّ هذا من

أقدار الله عزّ وجلّ، فأنت إذا نظرت إلى هذا المخدول -والعياذ بالله- ترقّ له

وتقول: هو مسكين، كيف صُدّ عن الهدى، واتّبَع الهوى والرّدى؟!!

النظر الثاني: بَعَيْنِ الشَّرْعِ، فهذا النظر يجب عليك أن تحملهم على الشرع، ولو بِالضَّرْبِ، ولو بِالْحَبْسِ، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢].

فقال: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢]، أما بَعَيْنِ الْقَدَرِ فارحمهم وتأوّه لهم.

قال الشافعي - رحمه الله -: «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ: أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ هَذَا جَزَاءً مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ»<sup>(١)</sup>.

هذا النظر بأيِّ النَّظَرَيْنِ؟ الجواب: هو بالنَّظَرِ الشَّرْعِيِّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحَمْوِيَّةِ<sup>(٢)</sup>: وَيَعْلَمُ الْعَلِيمُ أَنَّهُمْ مِنْ وَجْهِ مُسْتَحَقُونَ مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا إذا نظرنا إليهم بَعَيْنِ الشَّرْعِ، لكن إذا نظرت إليهم بعين القدر رحمتهم، ورققت لهم، وقلت: سبحان الله الذي أضلَّ هؤلاء! مع أنهم قد يكونون أذكياءً، وقد يكونون على أخلاقٍ فاضلة، وقد يكونون على عباداتٍ وخشوع، ولكنهم ضلُّوا في العقيدة، وهذا لا شك أنه من العَدْلِ، وأنت إذا نظرت إليهم من هذا الوجه حَرَصْتَ غايةَ الحِرْصِ على أن يلتزموا بالشرع، لأنَّ مَنْ رَجِمَ أَحَدًا لِفَقْدِ شَيْءٍ لَا بُدَّ أَنْ يَسْعَى لَهُ بِالْحَصُولِ عَلَيْهِ.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٩).

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٥٥٥).

تقدّم أنّ القلب جَعَلَ له مُقْلَتَيْنِ تنظران إلى الخلق بِعَيْنِ القَدَرِ، وَبِعَيْنِ الشَّرْعِ،  
وأما عن الوجه فيقول:

٢٥٤- وَاجْعَلْ لِيُوجِهَكَ مُقْلَتَيْنِ كِلَاهُمَا مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَيَّانِ  
قَوْلُهُ: «مُقْلَتَيْنِ» يعني: عينين، اجعل عينين باكيتين من خشية الله عزّ وجلّ.  
وكل مقام له مقال، ففي مقام العبادة والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ اجمل العين  
على البكاء، لأنّ المقام يقتضيه.

وفي مقام المجادلة والانتصار للحق لا تحمل بهذا، لأنّ خصمك قد يرى  
هذا أنه مقامٌ ضعّف، فلكلّ مقام مقال، والمجاهد المغوار على فرسه ليس يبكي كما  
يبكي الساجد الخاشع لله عزّ وجلّ.

وفي معنى ذلك يقول القحطاني - رحمه الله - في نونته<sup>(١)</sup>:

يَا حَبْدًا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَى مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَيَّانِ  
نعم، هاتان العينان محلّ الشاء، لأنّ (حَبْدًا) يعني: الشاء عليهما.

فأين منا من يتصف بهذا؟! بل أكثر الناس اليوم ينامون إلى الصباح، وإذا  
قاموا في غَسَقِ الليل، فالبكاء قليل، لكن عينان في غَسَقِ الدُّجَى من خشية الله  
- سبحانه وتعالى - تبكيان، هذا في زمننا قليل، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من  
هؤلاء القليل.

فالإنسان ينبغي له أن يكون له مع الله تعالى صلّة، فيبكي من خشية الله  
- سبحانه وتعالى - في سجوده، في قيامه، كلما تذكّر آيات الله - سبحانه وتعالى -

(١) انظر: نونية القحطاني (ص: ٥٠).

أوجب له ذلك خشيةً له، حتى يلين القلب، لأن القلب إذا لم تُليته يبقى قاسياً، لأن زهرة الدنيا وزخارفها والأصحاب، وما أشبه ذلك قد يُوجبُ هذا، أو بعضه فسوة القلب، فلا بد أن تتعاهد قلبك بما يُليته.

وأحسن ما يليته كتابُ الله عزَّ وجلَّ إذا قرأته بإمعانٍ وتدبيرٍ، فإنه يلين القلب، كما قال ابن عبد القوي - رحمه الله -:

وَحَافِظٌ عَلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يُلِينُ قَلْبًا قَاسِيًا مِثْلَ جَلْمَدٍ<sup>(١)</sup>

ومصدق ذلك قوله - تبارك وتعالى -: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِنَصْرِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

٢٥٥- لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ أَيُّضًا مِثْلَهُمْ فَالْقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ وصدق - رحمه الله -، فلو شاء الله لكنت مثلهم يعني: مثل هؤلاء الضلال الذين ضلُّوا عن الهدى، لأنك بشرٌ وإنسان، تقرأ كما يقرؤون، وتتدبر كما يتدبرون، فلو شاء الله لأضلك.

فاحمد الله على نعمة الهداية، واعلم قدر نعمة الله عليك بذلك، واعلم أن له - سبحانه وتعالى - أكبر المنّة عليك، لأنه لو شاء لأزاع قلبك، - والعياذ بالله - ولا تعجب بنفسك، ولا تقل: هذا مني، فتكون كقارون الذي قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، وإذا اعتقدت هذه العقيدة صرت تلجأ إلى الله عزَّ وجلَّ أن يُثبتك دائماً، فإنَّ «قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبِ

(١) انظر القصيدة بكاملها في الآداب الشرعية والمنح المرعية، لمحمد بن مفلح الحنبلي (٣/ ٥٩٠).

وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»<sup>(١)</sup>. فَكُلُّ الْعِبَادِ قُلُوبُهُمْ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، إِنْ شَاءَ أَزَاعَهَا، وَإِنْ شَاءَ هَدَاها، وَلَكِنَّ الزَّيْغَ لَهُ سَبَبٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

وَمَا حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

أَحْرَصَ عَلَى هَذَا الْقَلْبِ الَّذِي إِذَا صَلَحَ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ قُلُوبَنَا، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ قُلُوبَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

قَوْلُهُ: «بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ» هَكَذَا ثَبِتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الْقَلْبِ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ الْمُهَاسَّةِ وَالْمُبَاشَرَةِ، بِحَيْثُ يُقَالُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَصِحُّ، لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ تَكُونَ أَصَابِعُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ فِي صُدُورِ بَنِي آدَمَ، لِأَنَّ أَهْلَ التَّعْطِيلِ عَطَّلُوا هَذَا الْحَدِيثَ وَأَنْكَرُوهُ، وَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ، كَيْفَ تَكُونُ الْقُلُوبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ؟

فَيُقَالُ: الْبَيِّنَةُ لَا تَقْتَضِي الْمُهَاسَّةَ، وَلَا الْمُبَاشَرَةَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] هَلْ يُيَاسُّ الْأَرْضُ؟ الْجَوَابُ: لَا.

وَهَلْ يُيَاسُّ السَّمَاءُ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَمَعَ ذَلِكَ سَمَّى اللَّهُ ذَلِكَ بَيِّنَةً، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ قُلُوبِنَا بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ أَنْ تَكُونَ الْمُهَاسَّةَ، أَوْ الْمُبَاشَرَةَ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْقَدْرِ، بَابُ تَصْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ، رَقْمٌ (٢٦٥٤).

فإذا قال قائل: كيف إذن؟

فالجواب: أن نجيبه بما أجاب به الإمام مالك - رحمه الله - (البَيِّنَةُ معلومة، والكيفية مجهولة، والسؤال عنها بدعة، والإيمان بها واجب).

هكذا نقول في كل مَنْ حاول أن يسأل عن كيفية صفات الله عزَّ وجلَّ أو أن يتخيل ذلك بِقَلْبِهِ، حتى لو حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ أن تتطلبَ كيفيةَ صفات الله، فأورد عليها ما قاله مالك - رحمه الله - وغيره من العلماء.

اللهم ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

\*\*\*

- ٢٥٦- وَاحْذَرْ كَمَا تَرَى نَفْسَكَ اللَّاتِي مَتَى  
خَرَجَتْ عَلَيْكَ كُسِرَتْ كَسْرَ مُهَانَ
- ٢٥٧- وَإِذَا انْتَصَرْتَ لَهَا فَأَنْتَ كَمَنْ بَغَى  
طَفِي الدُّخَانِ بِمَوْقِدِ النَّيرَانِ
- ٢٥٨- وَاللهُ أَخْبَرَ وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ  
أَنْ لَيْسَ يَنْصُرُ عَبْدَهُ بِأَمَانِ
- ٢٥٩- مَنْ يَعْمَلِ السُّوَايَ سَيُجْزَى مِثْلَهَا  
أَوْ يَعْمَلِ الْحُسْنَى يُفْزَ بِحَنَانِ
- ٢٦٠- هَذِي وَصِيَّةٌ نَاصِحٍ وَلِنَفْسِهِ  
وَصِيٌّ وَبَعْدُ لِسَائِرِ الْإِخْوَانِ

### الشرح

- ٢٥٦- وَاحْذَرْ كَمَا تَرَى نَفْسَكَ اللَّاتِي مَتَى  
خَرَجَتْ عَلَيْكَ كُسِرَتْ كَسْرَ مُهَانَ
- قَوْلُهُ: «كَمَا تَرَى نَفْسَكَ»: أي: مَا كَمَنْ فِيهَا وَخَفِي، والنفس أمارة بالسوء  
إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي.

فهو يقول: احذر كَمَائِنِ نَفْسِكَ، فللنفسِ كَمَائِنٌ يعني: أشياء مستترة، لا يعلمها إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كما قال القحطاني<sup>(١)</sup>:

وَاللهَ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي  
لَأَبَى السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي

فالإنسان في نفسه كَمَائِنٌ لا يعلمها إِلَّا اللهُ، فاحذر هذه الكَمَائِنِ.

والكَمَائِنِ كثيرة قد تكون إشاراتًا بالله -نسأل الله العافية- وقد تكون رِيَاءً، فالإنسان يحب الرِيَاءَ، وأن يراه الناس على عملٍ صالحٍ، وقد تكون الحَسَدَ لعباد الله، وهو من خِصَالِ اليهود، وقد تكون كراهةً أن ينتصر دين الله عَزَّ وَجَلَّ أو أن ينتصر أولياء الله عَزَّ وَجَلَّ وقد تكون بإيثار الدنيا على الآخرة، وقد تكون بإيثار الأولاد والأزواج على الآخرة، قال تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، وقد تكون بكراهة الحقِّ وتثاقُله، وقد تكون بالعداوة والبغضاء للمؤمنين، وغير ذلك مما لا يُحصى.

المهم أن هناك كَمَائِنَ في القلب خَفِيَّةً، تحتاج إلى تمحيصٍ، وإلى غَسْلِ القلب من ظاهره وباطنه، كُلُّنا يستطيع أن يصلي صلاة خشوع ظاهرة، يكبر فيرفع يديه، يضع يديه على صدره، يركع تمامًا، يسجد تمامًا، يقرأ تمامًا، لكن الشان على القلب، هل القلب يتابع الجوارح -أو بعبارةٍ أصح- هل هذه الجوارح تابعة للقلب بإحسان العمل أم هو صورة؟

هذه مسألة حَذَّرَ منها ابن القيم -جزاه الله خيرًا- فاحذر هذه، واجعل دائمًا قصدك الوصول إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فهو غايةٌ كُلُّ غاية.

(١) انظر: نونية القحطاني (ص: ١٨).

أنت إذا جعلت هذا هو القصد -والله-، تنسى الدنيا ومن فيها، إذا جعلت قصدك أن تصل إلى الله، أن تنصُر دينَ الله، أن تُحِبَّ في الله، وتُبغِضَ في الله، فإنك سوف تصل إلى الغاية التي تنسى الدنيا كُلَّها، بل تجد لذة العيش بهذه الدنيا والحياة الطيبة.

أما إن أتبعْتَ نَفْسَكَ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا، فإنك تتعب، لأنَّ الدنيا لا يمكن أبداً أن تأتيك على ما تريد، لكن إذا قَصَدْتَ اللهَ جاءك ما تريد، وإذا أردت الله جاءك ما تريد.

فاحذر هذه الكمائن، لأنها إن (خَرَجْتَ عَلَيْكَ كُسِرَتْ كَسْرَ مَهَانَ)، وهنا شَبَّهَهَا المؤلف -رحمه الله- بِالكَمِينِ فِي الْحَرْبِ، وَالكَمِينِ فِي الْحَرْبِ بِأَنْ يَخْتَبِئَ لِعَدُوِّهِ، ثم يخرج إليه، وإذا خرج إليه انكسر.

وانظر كيف فعَلَتْ هَوَازِنٌ فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ؟ كانوا ثلاثة آلاف وخمسمئة، وكان النَّبِيُّ ﷺ مع جُنُودِهِ اثني عشر ألفاً، فَكَمَنَ لَهُمْ هَوْلَاءُ فِي الْوَادِي، يعني: اختبئوا واختفوا، فلما نزل المسلمون في الوادي هَجَمُوا عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>، فحصل ما حصل لولا لطف الله عزَّ وجلَّ.

فَكَمَّائِنِ النَّفْسِ احذرها، وكُلِّمَّا وَجَدْتَ فِي قَلْبِكَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْكَمَائِنِ فَافْرِعْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تُحَاوِلْ أَنْ تَأْتِيَ بِأَدَلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ، وَأَشْيَاءَ مِنْ هَذَا، بل افزع أولاً إلى الله، لأنَّ اللهَ تَعَالَى عَلَّمَنَا هَذَا فَقَالَ: ﴿وَمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] فلا ملجأ، ولا منجأ إلا إلى الله عزَّ وجلَّ، ولا تجلس تُفَكِّرُ

(١) يعني غزوة حُنين، وتسمى أوطاس، وتسمى هوازن، والحديث أخرجه أحمد (٣/٣٧٦،

تريد أن تَطْرُدَ هذه الوسوس، لأنها ربما تغلبك، لكن عليك باللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ.

يقول - رحمه الله -:

٢٥٧- وَإِذَا انْتَصَرْتَ لَهَا فَأَنْتَ كَمَنْ بَغَى طَفِي الدُّخَانَ بِمَوْقِدِ النَّيرَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا انْتَصَرْتَ لَهَا» أي: لنفسك، يعني: صرت معها في كوائنها، فقد أخطأت خطأ عظيمًا، كمن أراد أن يُطفئَ الدخانَ بِمَوْقِدِ النَّيرَانِ، فإنه لا يتمكن، لأنَّ كُلَّ إيقاد لا بدَّ له مِنْ دخان، ولا يمكن كَمَنْ أراد أن يطفئَ النَّارَ بِزيادة الحطب.

٢٥٨- وَاللَّهُ أَخْبَرَ وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ أَنْ لَيْسَ يَنْصُرُ عَبْدَهُ بِأَمَانٍ

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ بِأَنْ سَوْفَ يَنْصُرُ عَبْدَهُ بِأَمَانٍ، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١].

وصدق الله وَعَدَهُ، نَصَرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى أَعْدَائِهِ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ مَخْتَبئًا فِي الْعَارِ، وَرَجَعَ إِلَيْهَا بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ فَاتِحًا مُنْتَصِرًا، وَهَذَا أَعْلَنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّعْيِ، وَهُوَ عَلَى الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»<sup>(١)</sup>.

فَاللَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ بِأَنَّهُ سَيَنْصُرُ عَبْدَهُ، وَصَدَقَ عَزَّ وَجَلَّ وَوَقَعَ هَذَا.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

٢٥٩- مَنْ يَعْمَلِ السُّوَايَ سَيُجْزَى مِثْلَهَا أَوْ يَعْمَلِ الْحُسْنَى يَفُزْ بِجَنَانِ  
 وَأَخْبِرْ أَيْضًا أَنَّ مَنْ يَعْمَلِ السُّوَايَ يُجْزَى مِثْلَهَا، وَأَنَّ مَنْ يَعْمَلِ الْحُسْنَى يَفُزْ  
 بِجَنَانِ، وَهَذَا مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ  
 أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

٢٦٠- هَذِي وَصِيَّةٌ نَاصِحٍ وَلِنَفْسِهِ وَصَى وَبَعْدَ لِسَائِرِ الْإِخْوَانِ  
 يَعْنِي أَنَّهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَوْصَانَا بِهَذِهِ الْوَصَايَا النَّافِعَةَ، وَقَدْ بَدَأَ بِنَفْسِهِ، وَهَكَذَا  
 النَّاصِحُ يَبْدَأُ أَوْلَى بِنَفْسِهِ، ثُمَّ بِإِخْوَانِهِ.

\*\*\*

## فصل

### وهذا أول عقد مجلس التحكيم

- ٢٦١- فَاجْلِسْ إِذْنٌ فِي مَجْلِسِ الْحَكَمَيْنِ لِلرَّحْمَنِ لَا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ  
٢٦٢- الْأَوَّلُ<sup>(١)</sup>: النَّقْلُ الصَّحِيحُ وَبَعْدَهُ الْـ  
٢٦٣- وَاحْكُمْ إِذْنٌ فِي رُفْقَةٍ قَدْ سَافَرُوا  
٢٦٤- فَتَرَا فُتُوا فِي سَيْرِهِمْ وَتَفَارَقُوا  
٢٦٥- فَآتَى فَرِيقٌ ثَمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ  
٢٦٦- مَائِمٌ مَوْجُودٌ سِوَاهُ وَإِنَّمَا
- رَحْمَنٍ لَا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ  
عَقْلُ الصَّارِخِ وَفِطْرَةُ الرَّحْمَنِ  
يُغْنُونَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ  
عِنْدَ افْتِرَاقِ الطَّرِيقِ بِالْحَيْرَانِ  
هَذَا الْوُجُودَ بَعَيْنِهِ وَعِيَانِ  
غَلِطَ اللِّسَانُ فَقَالَ: مَوْجُودَانِ

## الشرح

لما ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- النصائح السابقة طلب أن نجلس مجلس التحكيم، فبدأ المؤلف في التحكيم بين الطوائف، وهذا من إنصافه -رحمه الله-، وهكذا يجب على كل إنسان ألا يردد قولاً إلا بعد وجود شيئين:

- الشيء الأول: صحّة قوله هو.
- الشيء الثاني: بطلان قول الخصم.

(١) في الأصول: «إحداهما».

لأنك لا يمكن أن تُبطل قول خصمك، وأنت لم تُصَحِّح سواه، إنما لا بدَّ من الأمرين: الأدلة على صحة ما تقول، والأدلة على بطلان ما يقول الخصم، فهذا هو العدل.

قال - رحمه الله -:

٢٦١- فَأَجْلِسْ إِذْنًا فِي مَجْلِسِ الْحَكَمَيْنِ لِلرَّحْمَنِ لَا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ  
اللام في قوله: «لِلرَّحْمَنِ» للإخلاص، يعني: اجلس للرحمن كما قال عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

قوله: «لَا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ» يعني: لا لأجل أن تنتصر لنفسك بالباطل، فإن هذا من وحي الشيطان.

والإنسان إذا جلس مع مجادل بهذه النية أي: الإخلاص فإنه سوف يرجع إلى الحق، سواء كان معه، أم مع خصمه.

٢٦٢- الْأَوَّلُ: النَّقْلُ الصَّحِيحُ وَبَعْدَهُ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ وَفِطْرَةُ الرَّحْمَنِ  
الواقع أن المؤلف - رحمه الله - جعلها شيئين، وهم ثلاثة:

الأول: «النَّقْلُ الصَّحِيحُ»، ويتمثل هذا في القرآن الكريم، وفيما صحَّ عن النبي ﷺ، أما ما لم يصحَّ، فليس بشيء، ولهذا قيده المؤلف بقوله: (النقل الصحيح).

الثاني: «العقل الصريح» والصريح من كلِّ شيء خالصه، والمراد بالعقل الصريح: الخالص من الشبهات والشهوات، يعني أن الإنسان حينما يتدبر، ويتعقل لا يكون في قلبه شبهة، أو شهوة لا تنتصر نفسه، فكلما سمعت عقلاً صريحاً، فالمعنى أنه سالم من الشبهات والشهوات.

الشبهات: الجهل، والشهوات: الإرادات السيئة، فإذا وَفَّقَ اللهُ - سبحانه وتعالى - الإنسانَ عِلْمًا، وَحُسْنَ قَصْدٍ وإرادة، صار ذا عقل صريح، وَضِدَّ ذلك العقلُ المبنيُّ على الجهل، أو على سوء الإرادة.

والعقل الصريح يطابق تمامًا النقل الصحيح، وإن كان في النقل الصحيح ما يَعْجِزُ العقلَ الصريحَ عن إدراكه، ولذلك نحن لا نُدرِكُ أبدًا تفاصيل ما اتَّصَفَ اللهُ تعالى به، لكن نُدرِكُ الإجمال، ثم نأخذ التفصيل من القرآن والسنة.

فإنه لا بدَّ أن يطابق العقلُ الصريحُ النُّقْلَ الصحيحَ، ولا يمكن أن يتعارضوا أبدًا، فإن قُدِّرَ تعارضهما، فإمَّا أن يكون النقلُ غيرَ صحيحٍ، وإما أن يكون العقلُ غيرَ صريحٍ، أمَّا نقلٌ صحيحٌ، وعقلٌ صريحٌ، فلا يمكن أن يتعارضوا.

الثالث: «فِطْرَةُ الرَّحْمَنِ» فالفطرة في الحقيقة غيرُ العقل، الفطرةُ مجبُولٌ عليها الإنسان، يُدرِكُ مدلولها بدون تعقُّل، وبدون نَظَرٍ كَعُلُوِّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فهذا مُدْرِكٌ بالفطرة، فالإنسان مَفْطُورٌ - قبل أن يدرُس أدلة العُلُوِّ النقلية والعقلية - على عُلُوِّ اللهُ على خَلْقِهِ، وأنه تعالى فوق كلِّ شيء، ويؤمن بذلك.

٢٦٣- وَاحْكُمَ إِذْنٌ فِي رُفْقَةٍ قَدْ سَافَرُوا يَبْغُونَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «سَافَرُوا» أي: سافروا سَفَرًا معنويًّا، وهو سَفَرُ القلب، أي: ساروا بقلوبهم يطلبون الله، أين الله؟ ومن هو الله؟

والمؤلف سيذكر أقسام الناس كُلِّهِم، الكافر والمؤمن، فهم (سَافَرُوا يَبْغُونَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ) أي: يطلبون الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ.

٢٦٤- فَتَرَفَّقُوا فِي سَيْرِهِمْ وَتَفَارَقُوا عِنْدَ افْتِرَاقِ الطَّرِيقِ بِالْحَيْرَانِ

حين خرجوا من البلد ترافقوا رُفْقَةً، ولكنهم تفرَّقوا، (عِنْدَ افْتِرَاقِ الطَّرِيقِ بِالْحَيْرَانِ)، لما افترق الطريق تحيَّروا أيذهبون يمينًا، أو شمالًا، أو أمامًا، أو خلفًا؟ فتفرَّقوا، فهم ترافقوا في أول الطريق، ثُمَّ افترقوا عند افتراق الطرق.

٢٦٥- فَآتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ هَذَا الْوُجُودَ بِعَيْنِهِ وَعَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَجَدْتُهُ» أي: وجدتُ فاطرَ هذه الأكوان، فالضمير في (وَجَدْتُهُ) يعود على قوله: (فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ).

قَوْلُهُ: «وَجَدْتُهُ هَذَا الْوُجُودَ بِعَيْنِهِ وَعَيَانِ» يعني: وجدته نفس الوجود، فالرَّبُّ هو الوجود.

بدأ المؤلف -رحمه الله- بأشدهم شَطْحًا وضلّالًا، وهم أهل وَحْدَةِ الْوُجُودِ الذين على رأسهم الخبيث ابن عَرَبِي<sup>(١)</sup>، فابن عربي هو رئيس هذه الطائفة، فقد ذهبوا يطلبون الله، وقالوا: وجدنا الله هو هذا الوجود، وما وجدنا شيئًا آخر غير الله غير هذا الوجود، فهذا الوجود هو عينُ الله، فمَثَلًا اسم الأخ حمّد، والذي عن يمينه سُليمان، والذي عن يساره ناصر، هؤلاء شيء واحد.

(١) هو محيي الدّين محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو عبد الله الطائفي الأندلسي، طاف البلاد وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه المسمى بـ(الفتوحات المكية) في نحو عشرين مجلدًا، فيها ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، وله كتابه المسمى بـ(فصوص الحكم) فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، كان مولده في سنة ستين وخمسمئة بمرسية من الأندلس، ووفاته في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمئة. انظر: فوات الوفيات (٣/ ٤٣٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ١٨٢).

٢٦٦- مَا تَمَّ مَوْجُودٌ سِوَاهُ وَإِنَّمَا غَلِطَ اللِّسَانُ فَقَالَ: مَوْجُودَانِ  
 سبحان الله! هؤلاء يقولون: الرَّبُّ هو المربوب، والخالق هو المخلوق،  
 لا يوجد رَبٌّ، وهؤلاء هم أهل وَحْدَةِ الوجود، فيقولون: كُلُّ الكونِ هو الرَّبُّ،  
 والرَّبُّ هو الكون، (مَا تَمَّ موجودان)، وإنما غَلِطَ اللسان، فقال: موجودان.

\*\*\*

٢٦٧- فَهُوَ السَّمَاءُ بِعَيْنِهَا وَنُجُومُهَا وَكَذَلِكَ الْأَفْلاكُ وَالْقَمَرَانِ  
 ٢٦٨- وَهُوَ الغَمَامُ بِعَيْنِهِ وَالثَّلْجُ وَالْأَمْطَارُ مَعَ بَرْدٍ وَمَعَ حُسْبَانِ  
 ٢٦٩- وَهُوَ الهَوَاءُ بِعَيْنِهِ وَالمَاءُ وَالتُّرْبُ الثَّقِيلُ وَنَفْسُ ذِي النِّيرَانِ  
 ٢٧٠- هَذِي بَسَائِطُهُ وَمِنْهُ تَرَكَبَتْ هَذِي المَظَاهِرُ، مَا هُنَا شَيْئَانِ<sup>(١)</sup>  
 ٢٧١- وَهُوَ الفَقِيرُ لَهَا لِأَجْلِ ظُهُورِهِ فِيهَا كَفَقْرِ الرُّوحِ لِلأَبْدَانِ  
 ٢٧٢- وَهِيَ التِّي افْتَقَرَتْ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ هُوَ ذَاتُهَا وَوُجُودُهَا الْحَقَّانِ  
 ٢٧٣- وَتَظَلُّ تَلْبَسُهُ وَتَخْلَعُهُ، وَذَا الِإِيَّادُ وَالِإِعْدَامُ كُلُّ أَوَانِ  
 ٢٧٤- وَيَظَلُّ يَلْبَسُهَا وَيَخْلَعُهَا، وَذَا الِحُكْمُ المَظَاهِرِ كَيُرى بَعِيَانِ  
 ٢٧٥- وَتَكْثُرُ المَوْجُودِ كالأَعْضَاءِ فِي الِمَعْحُسُوسِ مِنْ بَشَرٍ وَمِنْ حَيَوَانِ  
 ٢٧٦- أَوْ كَالقُوَى فِي النَفْسِ ذَلِكَ وَاحِدٌ مُتَكَثِّرٌ قَامَتْ بِهِ الأَمْرَانِ  
 ٢٧٧- فَيَكُونُ كُلاً هَذِهِ أَجْزَاؤُهُ هَذِي مَقَالَةٌ مُدَّعِي العِرْفَانِ

(١) في نسخة الإفتاء: «أولاهما».

- ٢٧٨- أَوْ أُمَّهَا كَتَكْتَرِ الْأَنْوَاعِ فِي جِنْسٍ كَمَا قَالَ الْفَرِيقُ الثَّانِي
- ٢٧٩- فَيَكُونُ كَلِيًّا، وَجُزْئِيًّا تَهُ هَذَا الْوُجُودُ، فَهَذِهِ قَوْلَانِ
- ٢٨٠- إِحْدَاهُمَا<sup>(١)</sup> نَصُّ (الْفُضُوصِ) وَبَعْدَهُ قَوْلُ ابْنِ سَبْعِينَ، وَمَا الْقَوْلَانِ
- ٢٨١- عِنْدَ الْعَفِيفِ التَّلْمِسَانِيِّ الَّذِي هُوَ غَايَةٌ فِي الْكُفْرِ وَالْبُهْتَانِ
- ٢٨٢- إِلَّا مِنْ الْأَغْلَاطِ فِي حِسِّ وَفِي وَهُمْ، وَتِلْكَ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
- ٢٨٣- وَالْكَُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ مَا لِلتَّعَدُّدِ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِ

### الشرح

هؤلاء - كما تقدّم - يقولون: إِنَّ الخالقَ والمخلوقَ شيءٌ واحد، وانظر هذيانهم! يقول:

٢٦٧- فَهُوَ السَّمَاءُ بِعَيْنِهَا وَنُجُومُهَا وَكَذَلِكَ الْأَفْلَاكُ وَالْقَمَرَانِ يقول: هذا هو الله - نسأل الله تعالى العافية - وسيأتي وجه كلامه الفاسد الباطل.

٢٦٨- وَهُوَ الْغَمَامُ بِعَيْنِهِ وَالثَّلْجُ وَالْأَمْطَارُ مَعَ بَرْدٍ وَمَعَ حُسْبَانِ قَوْلُهُ: (حُسْبَانِ) بالسین، ولا يَبْعُدُ أن تكون بالصاد، لأنَّ (الحُصْبَانِ) حسب البرد، لأنه كالحصباء يرمي بالأرض.

٢٦٩- وَهُوَ الْهَوَاءُ بِعَيْنِهِ وَالْمَاءُ وَالتُّ تُرْبُ الثَّقِيلُ وَنَفْسُ ذِي النَّيْرَانِ

(١) في نسخة التيمورية: «سيتان» بسین مهملة.

٢٧٠- هَذِي بَسَائِطُهُ وَمِنْهُ تَرَكَّبَتْ هَذِي الْمَظَاهِرُ، مَا هُنَا شَيْئَانِ  
يقول: هذا هو الله عزَّ وجلَّ وكيف يكون الله مختلفًا اختلافاً عظيماً؟ يقول:  
(هذي البسائط)، والبسائط كما نقول: (الأصول)، ومنه تَرَكَّبَتْ هَذِي المظاهر، ما  
هنا شيئان.

لو صَوَّرْنَا إِنْسَانًا عَلَيْهِ -مثلاً- شِعَاعٌ أَحْمَرٌ مُلَوَّنٌ، ثِيَابٌ بِيضَاءٌ، فَهَذِهِ مَظَاهِرٌ  
فَقَطْ، وَإِلَّا فَهِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَالِاخْتِلَافُ فِي النِّظَرِ فَقَطْ، وَإِلَّا فَهِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ.

٢٧١- وَهُوَ الْفَقِيرُ لَهَا لِأَجْلِ ظُهُورِهِ فِيهَا كَفَقْرِ الرُّوحِ لِلْأَبْدَانِ

٢٧٢- وَهِيَ الَّتِي افْتَقَرَتْ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ هُوَ ذَاتُهَا وَوُجُودُهَا الْحَقَّانِ

يقول: إِنَّ الخالقَ عزَّ وجلَّ هو هذا الشيء، هو هذا الوجود، فهو مفتقر إليها  
مِنْ أَجْلِ أَنْ يَظْهَرَ بِهَا، وَلَوْلَا هَذَا الوجود ما ظهر، وهي مفتقرةٌ إليه، لأنه أصلُها  
وذاَتها، فها هنا افتقاران: افتقارٌ أَوَّلٌ، وافتقارٌ ثَانِي.

فَاللهُ عزَّ وجلَّ تفتقر إليه هذه الموجودات، حتى تَظْهَرُ وتَبْرُزُ، وهو أيضاً  
مفتقر إليها مِنْ أَجْلِ أَنْ يَظْهَرَ فِيهَا وَيَتَبَيَّنَ.

فَأَيْنَ الرُّبُوبِيَّةُ؟! أَيْنَ غِنَى الخالق؟! أَيْنَ الخالق والمخلوق؟! يعني: لولا أن  
هذه سَطَّرَتْ، وَنَقَلَهَا الثَّقَاتُ، كَابْنِ القِيمِ -رحمه الله- وشيخه وغيرهم، لَقُلْنَا: هذا  
لا يمكن أن يقوله عاقل قط.

على كلامهم الآن: (أنا، وأنت) شيءٌ واحد، والبقرة والحمار شيء واحد،  
والمسجد وحناتُ الحُمُور شيء واحد، لكنها مَظَاهِرٌ تَتَكَلَّوْنَ.

فهل هذا معقول؟! هل هذه عقيدة؟ لكن اللهم لا تُضِلَّنَا يَا رَبَّ العالمين.

٢٧٣- وَتَظَلُّ تَلْبُسُهُ وَتَخْلَعُهُ، وَذَا أَلِ - إِجْبَادُ وَالْإِعْدَامُ كُلُّ أَوَانٍ  
قَوْلُهُ: «تَلْبُسُهُ» يعني: إذا وُجِدَتْ لِبْسَتُهُ، وإنْ عُدِمَتْ خَلَعَتْهُ (وَذَا الْإِجْبَادُ  
وَالْإِعْدَامُ كُلُّ أَوَانٍ).

٢٧٤- وَيَظَلُّ يَلْبُسُهَا وَيَخْلَعُهَا، وَذَا حُكْمُ الْمَظَاهِرِ كَيْ يُرَى بَعِيَانٍ  
قَوْلُهُ: «وَيَظَلُّ يَلْبُسُهَا وَيَخْلَعُهَا» لأنه مُفْتَقِرٌ لها كما سبق، (وَذَا حُكْمُ الْمَظَاهِرِ  
كَيْ يُرَى بَعِيَانٍ)، فصار الآن الخالقُ مُفْتَقِرًا للمخلوق، والمخلوق مُفْتَقِرًا للخالق،  
وهما ليسا شيئين، ولكنها شيءٌ واحدٌ ومَظَاهِر.

٢٧٥- وَتَكَثُرُ الْمَوْجُودُ كَالْأَعْضَاءِ فِي أَلِ - مَحْسُوسٍ مِنْ بَشَرٍ وَمِنْ حَيَوَانَ  
قَوْلُهُ: «وَتَكَثُرُ الْمَوْجُودُ» أَرْضٌ، سماءٌ، جبالٌ، أنهارٌ، بحارٌ، فهو كثيرٌ لا  
يُحصى.

يقول: هذا مثل أعضاء الحيوان، الآن كم في الإنسان من عضو؟ الجواب:  
ثلاثمائة وستون عضوًا كما في الحديث الصحيح<sup>(١)</sup>، والإنسان شيء واحد، يقول:  
هذه المظاهر الكونية هي من جنس أعضاء البشر المحسوس، وعجائب، ألوان،  
وأنواعٌ متنوعة، ما بين ذرَّةٍ وفيلٍ كلها أعضاء، إذ لا يوجد خالق.

(١) يعني حديث النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِئَةَ مَفْصِلٍ، فَمَنْ  
كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمَدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَعْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجْرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ  
شَوْكَةً، أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِئَةَ  
السُّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ رَزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ». أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب بيان  
أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم (١٠٠٧).

٢٧٦- أَوْ كَالْقُوَى فِي النَّفْسِ ذَلِكَ وَاحِدٌ مُتَكَثِّرٌ قَامَتْ بِهِ الْأَمْرَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ كَالْقُوَى فِي النَّفْسِ ذَلِكَ وَاحِدٌ» الْقُوَى فِي النَّفْسِ تَحْتَلِفُ، فَهِيَ كَثِيرَةٌ، لَوْ أَنَّكَ أَحْصَيْتَ كَيْفَ تَتَقَلَّبُ نَفْسُكَ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً، لَوَجَدْتَ الْعَجَبَ الْعَجَابَ، لِأَنَّهَا سَوْفَ تَتَقَلَّبُ كُلَّمَا رَأَتْ شَيْئًا، كُلَّمَا سَمِعَتْ شَيْئًا، كُلَّمَا فَكَّرَتْ فِي شَيْءٍ، فَنَظَرُهَا -مَثَلًا- لِلْبَابِ غَيْرَ نَظَرِهَا لِلْفِرَاشِ، غَيْرَ نَظَرِهَا لِلسَّقْفِ، فَهِيَ قُوَى مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَوْجُودَاتِ الْمَسْمُوعَةِ، وَالْمَرْتِيَةِ، وَالْفِكْرِيَّاتِ أَيْضًا، فَلَا يُحْصَى تَقَلُّبُ النَّفْسِ.

فَأَصْلُ الْقُوَى فِي الْإِنْسَانِ هِيَ وَاحِدَةٌ، لَكِنَّمَا تَتَكَيَّفُ حَسَبَ الْمَشَاهِدِ، وَالْمَسْمُوعِ، وَالْمَعْقُولِ، وَهَلَمَّ جَرًّا، وَهِيَ قُوَى وَاحِدَةٌ.

٢٧٧- فَيَكُونُ كُلًّا هَذِهِ أَجْزَاؤُهُ هَذِي مَقَالَةٌ مُدَّعِي الْعِرْفَانِ

يَقُولُ ابْنُ عَرَبِيٍّ: إِنَّ هَذَا الْكُونَ هُوَ اللَّهُ، وَمَا نُشَاهِدُهُ أَجْزَاءَ كَأَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ، فَالْحَلْقُ -يَعْنِي: الْمَوْجُودَاتِ- شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَهَذَا التَّفَرُّقُ بِمَنْزِلَةِ الْأَجْزَاءِ، فَهُوَ كُلٌّ، وَالْمَخْلُوقَاتُ أَجْزَاؤُهُ.

قَوْلُهُ: «كُلًّا هَذِهِ أَجْزَاؤُهُ» لَاحِظُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْكُلِّ وَالْكُلِّيِّ، فَالْكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَهُ أَجْزَاءٌ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُخَبَّرَ بِهِ عَنْ أَجْزَائِهِ، فَمَثَلًا لَا يَصِحُّ أَنْ أُخْبِرَ عَنْ يَدِي بِأَنَّهَا جَسْمِي، لِأَنَّ الْجُزْءَ بَعْضُ الْكُلِّ.

فَهُوَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَعْنِي أَنَّ الْكُونَ مَعَ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ كُلٌّ، وَهَذِهِ أَجْزَاؤُهُ، فَأَجْزَاؤُهُ يَعْنِي: الْمَوْجُودَاتِ مِثْلَ: السَّمَاءِ، الْأَرْضِ، الْبِحَارِ، الْأَنْهَارِ كُلِّهَا وَاحِدٌ، فَهَذَا شَيْءٌ وَاحِدٌ، كُتْلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهَذِهِ أَجْزَاؤُهُ.

٢٧٨- أَوْ أَمَّهَا كَتَكْثُرِ الْأَنْوَاعِ فِي جِنْسٍ كَمَا قَالَ الْفَرِيقُ الثَّانِي

٢٧٩- فَيَكُونُ كُلِّيًّا، وَجُزْئِيًّا تَهُ هَذَا الْوُجُودُ، فَهَذِهِ قَوْلَانِ

وأما الثاني، فقال ابن سبّعين<sup>(١)</sup>: إنه كُليّ، والمشاهدات المختلفة أنواع، وليست أجزاءً يعني: فالمخلوقات أنواع، والخالق جنس، فهو من باب اختلاف الكُليّ مع الجزئي.

تقول مثلاً: الكلام: اسمٌ وفِعْلٌ وحرفٌ، فتسأل: كلمة الكلام هل هي كُليّ، أو كُليّ؟ الجواب: كُليّ، وأجزاؤه أنواع: الاسم، والفعل، والحرف، لأنك تقول: الاسم كلمة، والفعل كلمة، والحرف كلمة، فيصحُّ أن تُخبرَ بالأكبر عن الأصغر، أما الكل والجزء، فلا يَصِحُّ أن تُخبرَ بالأكبر عن الأصغر، فهل يصح أن أقول: اليد إنسان؟ الجواب: لا يصح، فهذا يكون الكل والجزء.

والحب، والبرُّ، والذُّرَّة، والشَّعير، وما أشبه ذلك هذا كُليّ مع جزئياته، ولهذا تقول: الحِنْطَةُ حَبٌّ، الشَّعير حَبٌّ، الذُّرَّة حَبٌّ، فتُخبر عن الجزئي بالكُليّ، لكنَّ الكل والأجزاء لا يَصْلُح، هل يمكن أن تقول: اليد إنسان؟ لا يمكن، فهذا هو الفرق.

فما صحَّ أن يُخْبَرَ به عن أنواعه فهو (كُليّ)، وما لا فهو (كُلّ).

هؤلاء يقولون: إنَّ الكون مع الخالق ليس كُلاً وجزءاً، بل هو كُليّ مع جزئياته، كما قال الفريق الثاني.

(١) ابن سبّعين: هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبّعين الإشبيلي، من زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود، ولد (سنة ٦١٣هـ)، وتوفي (سنة ٦٦٩هـ)، فصَدَّ بمكة، وترك الدم يمشي حتى مات نزعاً. [الشارح]. وانظر: البداية والنهاية (١٣/٣٠٣).

٢٨٠- إِحْدَاهُمَا نَصُّ (الفُصُوصِ) وَبَعْدَهُ قَوْلُ ابْنِ سَبْعِينَ، .....  
هؤلاء ثلاثة من الزنادقة:

١- الأول يقول: (إِحْدَاهُمَا نَصُّ الفُصُوصِ) والفُصُوص لابن عربي.

فابن عربي يرى أن هذه الوحدة كُلُّ، واختلافَ المشاهد وتكثُرُها أجزاء، ولكنَّ ابن سبعين يخالفه فيقول: إنه كُلِّي، والمتكثرات أنواع، فهو كُلِّي وجزئياته، لكن جاءنا الطاغوت الثالث، وهو التلمساني<sup>(١)</sup> فقال:

٢٨٠- ..... وَمَا الْقَوْلَانِ

٢٨١- عِنْدَ الْعَفِيفِ التَّلْمَسَانِيِّ الَّذِي هُوَ غَايَةٌ فِي الْكُفْرِ وَالْبُهْتَانِ  
قَوْلُهُ: «الْعَفِيفُ التَّلْمَسَانِيُّ» يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْعِلْمِ (الْفَاجِرَ التَّلْمَسَانِيَّ)، لِأَنَّهُ بَعِيدٌ  
عَنِ الْعِفَّةِ، أَيْنَ هُوَ مِنَ الْعِفَّةِ وَهُوَ يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ الْبَاطِلِ؟! يَقُولُ:

٢٨٢- إِلاَّ مِنَ الْأَغْلَاطِ فِي حِسِّ وَفِي وَهَمِّ، وَتِلْكَ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

٢٨٣- وَالْكَُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ مَا لِلتَّعَدُّدِ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِ

يقول التلمساني: إنَّ ابن عربي، وابن سبعين غَلَطَا غَلَطًا عَظِيمًا، هما جعلاه أنواعًا على رأي ابن سبعين، وأجزاء على رأي ابن عربي، وهذا غلطٌ، فالكُلُّ شيء واحد، ليس هناك أنواع، ولا أجزاء.

(١) العفيف التلمساني: هو سليمان بن علي بن عبد الله الكومي، شاعر تنقل في بلاد الروم، وسكن دمشق، يتبع طريقه ابن عربي - لكنه يخالفه كما تقدّم - ويميل إلى مذهب النصيرية، ولد (سنة ٦١٠هـ)، وتوفي بدمشق (سنة ٦٩٠هـ). [الشارح]. وانظر ترجمته في: البداية والنهاية (٣٨٥/١٣).

فهو يقول: إنه هو الذي أصاب، والآخران أخطأَ وَوَهَمَا.

لكن أيهم أقربُ إلى الوَهْم؟ الجواب: هذا الخَبِيثُ هو أقربُ إلى الوَهْم، إذ كيف تكون هذه الأنواعُ المتباينةُ المتفرقة شيئًا واحدًا؟!

فعلَى كلامه: الخَبُولُ والحَمِيرُ شيءٌ واحد، السماء والأرض شيءٌ واحد، وليس هناك افتراقٌ، ولا تَنَوُّعٌ إِلَّا بالوَهْمِ الحِصِّيِّ.

فهو يقول: الشيء شيء واحد لا يختلف، لكن كَوْنِي أَظُنُّ أَنَّ هذا (حَمْدٌ)، وهذا (سليمان)، فهذا وَهْمٌ حَسَبَ الحُسْبَانِ فقط، وَإِلَّا فالواقعُ أنهما شيء واحد، إذا شَبِعَ سليمان لم يَشْتَهِ الأكلَ حَمْدٌ، لأنهما شيء واحد، فكونكم تعتقدون: هذا جَمَلٌ، وهذا حِمَارٌ، وهذا كَلْبٌ، فهذا حَسَبِ الوَهْمِ والخيالِ والحُسْبَانِ الباطلِ، والصوابُ أنهم شيء واحد.

نقول: وهل هذا يُتَصَوَّرُ؟ الجواب: أبدًا، فكما أننا لا نتصور ما قاله الأشاعرة: إن كلام الله شيء واحد، وإنَّ الخَبَرَ والاستخبار، والأمر والنهي بمعنى واحد، فكذلك لا نتصور هذا.

وهؤلاء يقولون: التَّلْمِيسَانِي العفيف.

لكننا نقول: هو عفيفٌ إِلَّا عن الباطل، نسأل الله العافية، ولا نَسْبُهُ وهو ميت، لكنه يقول: كُلُّ الدنيا شيء واحد، السماء هي الأرض، والأرض هي السماء، لكن كيف ذلك وأنا أرى السماء زرقاء، والأرض غبراء؟!

قال: هذا حَسَبِ وَهْمِكَ، فأنت حينما تُؤَلِّمُكَ عينُك، تَجِدُ في بعض الأحيان -إذا نظرت- ذُبَابًا يطير أمامَ عَيْنِكَ، وتقول: لا يوجد شيء، هذا الذي تُفَرِّقُ الآن فيه هو وَهْمٌ، وَإِلَّا فالشيء شيء واحد.

نسأل الله العافية، هذا وَهَمٌّ، يقولون: نحن أهل العقول، فأين العقول؟!!

فعدنا الآن ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول ابن عربي، وهو أن الموجود شيء واحد، والمُشَاهَد أجزاءه.

القول الثاني: قول ابن سبعين وهو أن الموجود كُلُّهُ، وما نشاهده جزئياته.

القول الثالث: قول التلمساني إذ يقول: الذي يُشَاهَدُ كُلُّهُ شيءٌ واحد،

وتقسيمه إلى شيء، وشيء، وشيء، هذا وَهَمٌّ، وإِلَّا فَإِنَّ الشَّيْءَ شيءٌ واحد.

فهل هذه المذاهب تُنطَبِعُ على الناس؟

الجواب: لا، لكنّ الذي غرّ الناس من هؤلاء أنهم يتظاهرون بالزهد

والتصوف والعقّة، والعامّة مثل ما قال ابن القيم في أول النونية (النَّاسُ أَكْثَرُهُمْ

فَأَهْلُ ظَوَاهِرٍ) يرون هؤلاء عندهم زهد وعقّة وسلوك، فيقولون: هذا هو الحق،

فلهذا غرّوا الناس، وكلُّ هؤلاء الذين ذكّرهم المؤلف كلّهم من الصوفية.

\*\*\*

٢٨٤- فَالضَّيْفُ وَالْمَأْكُولُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَالْوَهْمُ يَحْسِبُ هَاهُنَا شَيْئَانِ

٢٨٥- وَكَذَلِكَ الْمَوْطُوءُ عَيْنُ الْوَاطِ وَالْوَهْمُ الْبَعِيدُ يَقُولُ: ذَانِ اثْنَانِ

٢٨٦- وَلَرُبَّمَا قَالَا مَقَالَتَهُ كَمَا قَدَّ قَالَ قَوْلَهُمَا بِلَا فُرْقَانِ

٢٨٧- وَأَبَى سِوَاهُمْ ذَا وَقَالَ: مَظَاهِرٌ تَجَلَّوهُ ذَاتُ تَوْحِيدٍ وَمَثَانِ

٢٨٨- فَالظَّاهِرُ الْمَجْلُوعُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَكِنْ مَظَاهِرُهُ بِلَا حُسْبَانِ

٢٨٩- هَذِي عِبَارَاتٌ لَهُمْ مَضْمُونُهَا مَائِمٌ غَيْرٌ قَطُّ فِي الْأَعْيَانِ

- ٢٩٠- فَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنِ إِنْسِيٍّ وَلَا  
جِنِّ وَلَا شَجَرٍ وَلَا حَيَّوَانٍ  
٢٩١- كَلًّا وَلَا عَلْوٍ وَلَا سُفْلٍ وَلَا  
وَادٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا كُتْبَانٍ  
٢٩٢- كَلًّا وَلَا طَعْمٍ وَلَا رِيحٍ وَلَا  
صَوْتٍ وَلَا لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ  
٢٩٣- لَكِنَّهُ الْمَطْعُومُ وَالْمَلْبُوسُ<sup>(١)</sup> وَالْأَنْ  
مَشْمُومٌ وَالْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ  
٢٩٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ الْمَنْكُوحُ وَالْمَنْ  
مَذْبُوحٌ، بَلْ عَيْنُ الْعَوِيِّ الزَّانِ

### الشرح

في هذه المقطوعة يقول -رحمه الله-:

٢٨٤- فَالضَّيْفُ وَالْمَأْكُولُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَالْوَهْمُ يَحْسِبُ هَاهُنَا شَيْئَانِ

ما دمنا قلنا بالوحدة، يكون الضيف والطعام المقدم للضيف شيئاً واحداً، فالرجل يأكل نفسه، لأن الخبز الذي أمامه هو نفسه.

قَوْلُهُ: «وَالْوَهْمُ» يعني: وهم الإنسان.

قَوْلُهُ: «يَحْسِبُ أَنْ هَاهُنَا شَيْئَانِ» ضيف وطعام، وليس كذلك، هذا وهم

كذلك يقول:

٢٨٥- وَكَذَلِكَ الْمَوْطُوءُ عَيْنُ الْوَاطِ وَالْمَوْطُوءُ عَيْنُ الْوَاطِ وَالْمَوْطُوءُ عَيْنُ الْوَاطِ وَالْمَوْطُوءُ عَيْنُ الْوَاطِ

نسأل الله العافية، الرجل الذي يطأ امرأته هو نفسه الموطوء، ولكن «وَالْوَهْمُ

الْبَعِيدُ يَقُولُ: ذَانِ اثْنَانِ» يعني: أنه توهم فظن أن هناك اثنين: واطئاً وموطوءاً.

(١) في الأصول: «الملمس»، ونسخة الإفتاء: «الممسوس».

٢٨٦- وَلرُبَّمَا قَالَا مَقَالَتَهُ كَمَا قَدَّ قَالَ قَوْلَهُمَا بِلَا فُرْقَانٍ

قَوْلُهُ: «قَالَ» الضمير يعود على ابن عَرَبِيٍّ وابن سَبْعِينَ.

قَوْلُهُ: «مَقَالَتَهُ» أي: مقالة التَّلْمِيسَانِيَّ.

قَوْلُهُ: «كَمَا قَدَّ قَالَ قَوْلَهُمَا بِلَا فُرْقَانٍ» يعني: كما أنه أيضًا قال بقولهما، فصاروا مُدْبِذِينَ: تارة يُضَلِّلُ أحدهم الآخر، وتارة يوافق أحدهم الآخر، لأنهم لم يرتكزوا على دليل، بل هي أوهام يتوهَّمونها، وخيالات يظنونها حقائق.

٢٨٧- وَأَبَى سِوَاهُمْ ذَا وَقَالَ: مَظَاهِرٌ تَجَلَّوْهُ ذَاتُ تَوْحُّدٍ وَمَثَانٍ

قَوْلُهُ: «وَأَبَى سِوَاهُمْ» أي: سوى الثلاثة، وهم: ابن عَرَبِيٍّ، وابن سَبْعِينَ، والتَّلْمِيسَانِيَّ، أبي سواهم هذا القول، يعني: سواهم من أهل وَحْدَةِ الوجود، وقالوا: هذه (مَظَاهِرٌ تَجَلَّوْهُ) أي: تجلو الإله، يعني: تُظْهِرُهُ.

وهذا القول أيضًا يُضَافُ للأقوال الثلاثة السابقة، يقول: إِنَّ الكون شيء واحد، فالخالق والمخلوق شيءٌ واحدٌ، وهذه مَظَاهِرٌ، أي: مَظَاهِرٌ تجلو ذلك الخالق على زَعْمِهِ.

وَقَوْلُهُ: «مَظَاهِرٌ» يعني: لا حقائق، مثلما يظهر لنا الماء إذا نزل وقابلته الشمس، الذي يسميه الناس قَوْسَ قُزْحٍ، فهو مَظَاهِرٌ فقط، وإلَّا فهو شيء واحد.

وهذا يعني أننا نُقَسِّمُ الموجودات المتغيرة إلى موجودات في الشكل فقط، لا في العين، وهو قريب من قول التَّلْمِيسَانِيَّ: إنه أوهام.

فهذه عقيدة هؤلاء القوم في الله عزَّ وجلَّ والعباد بالله، وهي أخبث العقائد، وقد تَقَدَّمَ أن الذي خَدَعَ النَّاسَ بأقوالهم هذه، وإلَّا فَإِنَّ مجرد تَصَوُّرِهَا كافٍ في

ردّها وإبطالها، فمجرد أن تتصوّر هذا تعرف أنه باطل، لكنّ الذي غرّ الناس وخذعهم هو أنّ هؤلاء كانوا يتنسّكون بالزهد، ويأتون أيضًا بعبارات غير صريحة، بل هي إشارات ورموز، إذا قرأها الإنسان فلا يعرف معناها تمامًا، لكن هم يفسّرونها بما يريدون، فيظن القارئ أول ما يقرؤها بأنها حقّ، ولكنها باطل.

وهذان الأمران: زُخْرُفُ الحال وزخرف المقال غرّا الناس.

فزخرف الحال هو الزهد والتنسك والتعبّد، والعامّة - كما هو معلوم - هوأمّ، وأما زخرف المقال فيعني: رموزه، بحيث لا يدري أحد ماذا يريدون إلّا بعد أن يلقّونه ما يريدون بكلامهم، فلذلك اغتر الناس بهم كثيرًا.

وحسب فهمنا أنك لا تكاد تجد فرقًا بين هذا، وما قبله، هم يقولون: هذا الخالق هو عين المخلوق، وهذا الاختلاف اختلاف مظاهر وتنوع، فلا أجد فرقًا بين هذا وهذا، لكن مع ذلك ابن القيم - رحمه الله - يرى أنّ هناك فرقًا.

٢٨٨- فَالظَّاهِرُ الْمَجْلُوءُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَكِنْ مَظَاهِرُهُ بِأَلَا حُسْبَانِ

يعني: أنّ الكون شيء واحد، لكن المظاهر لا حصر لها، وإذا تأملت وجدت أنه لا فرق، كلّ يقول: هذا الكون هو الخالق، الخالق والمخلوق شيء واحد، لكن هؤلاء يقولون: أجزاء وكلّ، وأنواع وكلّي، وابن سبعين ينفي هذا كلّّه.

وهؤلاء يقولون: إنّ المجلو شيء واحد، والمظاهر متعددة، ما تكاد تجد فرقًا يستريح به الذهن.

٢٨٩- هَذِي عِبَارَاتٌ لَهُمْ مَضْمُونُهَا مَائِمٌ غَيْرٌ قَطُّ فِي الْأَعْيَانِ

وهذا صحيح، فخلاصة ما يقولون أنّه ما ثمّ غير الله، فالخالق والمخلوق شيء واحد.

فابن القيم -رحمه الله- أجمل الجميع في البيت الأخير، وقال: مضمون كلامهم أنه (مَا نَمَّ غَيْرَ قَطُّ فِي الْأَعْيَانِ).

٢٩٠- فَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنِ إِنْسٍ وَلَا جِنٍّ وَلَا شَجَرٍ وَلَا حَيَوَانَ

قَوْلُهُ: «فَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ» أي: ما صانوا الخالق عزَّ وجلَّ، وحاشاه مما وصفوه، وتعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

قَوْلُهُ: «مَا صَانُوهُ عَنِ إِنْسٍ وَلَا جِنٍّ وَلَا شَجَرٍ وَلَا حَيَوَانَ» يعني: هو الإنس والجن والشجر والحيوان.

٢٩١- كَلَّا وَلَا عَلُوٍ وَلَا سُفْلٍ وَلَا وَادٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا كُنْبَانَ

لأنه شيء واحد.

٢٩٢- كَلَّا وَلَا طَعْمٍ وَلَا رِيحٍ وَلَا صَوْتٍ وَلَا لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ

٢٩٣- لَكِنَّهُ الْمَطْعُومُ وَالْمَلْبُوسُ وَالْمَشْمُومُ وَالْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

٢٩٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ الْمَنْكُوحُ وَالْمَذْبُوحُ، بَلْ عَيْنُ الْعَوِيِّ الزَّانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ الْمَنْكُوحُ وَالْمَذْبُوحُ» أعوذ بالله، يعني: الرَّبُّ يُنْكَحُ وَيُذْبَحُ.

قَوْلُهُ: «بَلْ عَيْنُ الْعَوِيِّ الزَّانِ» يعني: أنه الزاني أيضاً، والعياذ بالله.

- ٢٩٥- وَالْكَفْرُ عِنْدَهُمْ هُدًى وَلَوْ أَنَّهُ دِينُ الْمَجُوسِ وَعَابِدِي الْأَوْثَانِ
- ٢٩٦- قَالُوا: وَمَا عَبَدُوا سِوَاهُ وَإِنَّمَا ضَلُّوا بِمَا خَصُّوا مِنَ الْأَعْيَانِ
- ٢٩٧- وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمُوا وَقَالُوا: كُلُّهَا مَعْبُودَةٌ، مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ
- ٢٩٨- فَالْكَفْرُ سِتْرٌ حَقِيقَةٌ الْمَعْبُودِ بِالتُّ تَخْصِصٍ عِنْدَ مُحَقِّقِ رَبَّانِي
- ٢٩٩- قَالُوا: وَلَمْ يَكُ كَافِرًا فِي قَوْلِهِ: (أَنَا رَبُّكُمْ) فِرْعَوْنُ ذُو الطُّغْيَانِ
- ٣٠٠- بَلْ كَانَ حَقًّا قَوْلُهُ إِذْ كَانَ عَيْنَ نَ الْحَقِّ مُضْطَلِعًا بِهَذَا الشَّانِ
- ٣٠١- وَلِذَا غَدَا تَغْرِيقُهُ فِي الْبَحْرِ تَطُّ هِيرًا مِنَ الْأَوْهَامِ وَالْحُسْبَانِ

## الشرح

يقول - رحمه الله -:

٢٩٥- وَالْكَفْرُ عِنْدَهُمْ هُدًى وَلَوْ أَنَّهُ دِينُ الْمَجُوسِ وَعَابِدِي الْأَوْثَانِ

يقولون: الكفر عندهم هُدًى، ولو أنه دين المجوس والنصارى والمشركين، لأن الكافر الذي لا يعبد ربًّا مُصِيبٌ، إذ ليس ثَمَّ رَبٌّ ولا مربوب، ولا عابد ولا معبود.

٢٩٦- قَالُوا: وَمَا عَبَدُوا سِوَاهُ وَإِنَّمَا ضَلُّوا بِمَا خَصُّوا مِنَ الْأَعْيَانِ

المجوس الذين يعبدون النار هم قالوا عنهم: ما عبدوا غير الله، لأنَّ النار هي الله، فالذي يعبد عيسى - عليه الصلاة والسلام - والذي يعبد البقر، والشجر، والحجر، ما عبد إلا الله، لأنهم يقولون: كلُّ الوجود هو الله.

لكنهم كفروهم، لأنهم خصّوا العبادة بالنار، ولو عبدوا الكون كُلَّهُ لكانوا موحدّين، وكانوا أكملَ هدايةً، وكانوا -والعياذ بالله- هم الذين على الحقّ، لكن هم كفروا بكونهم خصّوا العبادة بالنار، وكذلك أصحاب الأوثان خصّوا العبادة بالأوثان فكفروا.

فعلى قولهم هذا -والعياذ بالله- نقول للذي يعبد هُبَل واللات والعزّى: أنت أخطأت لأنك تعبد هذه بأعيانها، بلِ اعبدْ كُلَّ شيءٍ حتى تكون محققًا للعبادة، أمّا أن تُخصّص فهذا ضلال!

ولذا قال بعد ذلك:

٢٩٧- وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمَّوْا وَقَالُوا: كُلُّهَا مَعْبُودَةٌ، مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانٍ إِذَنْ كُفَّرُهُمْ بِتَخْصِيصِ بَعْضِ الرَّبِّ عَلَى زَعْمِهِمْ، وَلَوْ أَنَّهُمْ عَبَدُوا كُلَّ الْكَوْنِ لَكَانُوا مُوَحِّدِينَ!

٢٩٨- فَالْكُفْرُ سَتْرٌ حَقِيقَةٌ الْمَعْبُودِ بِالْتِ تَخْصِيصِ عِنْدَ مُحَقِّقِ رَبَّانِي

الكفر عندهم هو ستر حقيقة المعبود بالتخصيص، وحقيقة المعبود عندهم كل شيء، فأنت إذا عبدت واحدًا فقد كفرت، لأنك سترت حقيقة المعبود، لأنّ المعبود هو كلُّ شيء.

٢٩٩- قَالُوا: وَلَمْ يَكُ كَافِرًا فِي قَوْلِهِ: (أَنَا رَبُّكُمْ) فِرْعَوْنُ ذُو الطُّغْيَانِ

لما قال: (أنا ربكم) فليس بكافر، لماذا؟ قالوا: لأنّ الكون كُلَّهُ رَبٌّ، لكن

بالتخصيص.

٣٠٠- بَلْ كَانَ حَقًّا قَوْلُهُ إِذْ كَانَ عَيْنَ الْحَقِّ مُضْطَلِعًا بِهَذَا الشَّانِ

٣٠١- وَلِذَا غَدَا تَغْرِيقُهُ فِي الْبَحْرِ تَطُّ هِيرًا مِّنَ الْأَوْهَامِ وَالْحُسْبَانِ  
يقولون: إن فرعون لما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] لم يكن كافرًا، لأنَّ  
هذا هو الحق، فإنَّ المخلوق عينُ الخالق فيكون هو الرَّبُّ، ولكن هو ظنٌّ لما  
خصَّص نفسه أن هناك شيئًا متخصصًا متعينًا فأغرق تطهيرًا له من هذا الظنِّ  
والوهم، فيكون هذا الإغراق -على زعمهم- ليطهره حيث توهم وظنَّ التعدد،  
وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾ يعني: وأنتم مُرَبُّون ومعبودون، ولو أنه وحَّد تمامًا لقال: أنا  
وأنتم كلُّنا رب.

وهذا مثل قول بعضهم في قول الله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾  
[نوح: ٢٥] قالوا: أَدْخَلُوا نار المحبَّة، لأنَّ المحبَّة ساخنة، وليست النار ذات اللَّهَب!  
ولا أظنُّ أحدًا أضلَّ من هؤلاء القوم.

\*\*\*

٣٠٢- قَالُوا: وَلَمْ يَكْ مُنْكَرًا مُوسَى لِمَا عَبَدُوهُ مِنْ عِجَلٍ لِّذِي الْخَوْرَانِ  
٣٠٣- إِلَّا عَلَى مَنْ كَانَ لَيْسَ بِعَابِدٍ مَعَهُمْ وَأَصْبَحَ ضَيِّقَ الْأَعْطَانِ  
٣٠٤- وَلِذَلِكَ جَرَّ بِلْحِيَةِ الْأَخِ حَيْثُ لَمْ يَكْ وَاسِعًا فِي قَوْمِهِ لِبَطَانِ  
٣٠٥- بَلْ فَرَّقَ الْإِنْكَارُ مِنْهُ بَيْنَهُمْ لَمَّا سَرَى فِي وَهْمِهِ<sup>(١)</sup> غَيْرَانِ

## الشرح

لما رجع موسى -عليه السلام- من ميقات ربِّه وَجَدَ قومه يعبدون العجل،

(١) في نسخة الحلبي: «فَهْمِهِ».

فغضب غضبًا عظيمًا، حتى ألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، يعني: لِمَ لَمْ تنكر عليهم؟

هؤلاء يقولون: إن موسى لم يكن منكراً على الذين عبدوا العجل، إنما أنكر على الذين لم يعبدوه، لأنهم كانوا ضيقي الأعطان، حيث ظنوا أنه لا يُعبد إلا الله، والواقع -عندهم- أن كلَّ شيء يُعبد، لأنَّ كلَّ شيء إله، وأنَّ موسى ما أنكر على أخيه هارون إنكاره عليهم عبادة العجل، وإنما أنكر عليه لماذا يُنكر عليهم، وهم الذين فعلوا الواقع، وكان ضيق العطن عليهم، يعني: ما حمَّلت نفسه فعل هؤلاء الذين فعلوا الحقيقة!

فانظر -والعياذ بالله- إلى شطحاتهم العظيمة.

فهو قلب الحقيقة -والعياذ بالله- إذ جعل موسى يُنكر على الذين لم يعبدوا العجل، لا على الذين عبدوه، وهذا من المكابرة، نسأل الله العافية.

\*\*\*

- ٣٠٦- وَلَقَدْ رَأَىٰ إِبْلِيسَ عَارِفُهُمْ فَأَهْ  
سَوَىٰ بِالسُّجُودِ هُوِيَّ ذِي خُضْعَانِ
- ٣٠٧- قَالُوا لَهُ: مَاذَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: هَلْ  
غَيْرُ الْإِلَهِ وَأَنْتُمْ عَمِيَانِ
- ٣٠٨- مَا تَمَّ غَيْرٌ، فَاسْجُدُوا إِن شِئْتُمْ  
لِلشَّمْسِ وَالْأَصْنَامِ وَالشَّيْطَانِ
- ٣٠٩- فَالْكَوْلُ عَيْنُ اللَّهِ عِنْدَ مُحَقِّقِ  
وَالْكَوْلُ مَعْبُودٌ لِذِي الْعِرْفَانِ
- ٣١٠- هَذَا هُوَ الْمَعْبُودُ عِنْدَهُمْ فَقُلْ:  
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ
- ٣١١- يَا أُمَّةً مَعْبُودَهَا مَوْتُوْهُمَا  
أَيَّنَ الْإِلَهِ وَتُغْرَةُ الطَّعَّانِ!؟

٣١٢- يَا أُمَّةَ قَدْ صَارَ مِنْ كُفْرَانِهَا جُزْءًا يَسِيرًا جُمْلَةُ الْكُفْرَانِ

### الشرح

يقول - رحمه الله -:

٣٠٦- وَلَقَدْ رَأَىٰ إِبْلِيسَ عَارِفُهُمْ فَأَهْوَىٰ بِالسُّجُودِ هُوِيًّا ذِي خُضْعَانِ

قَوْلُهُ: «عَارِفُهُمْ» يعني: ابن عَرَبِيٍّ، لأنه - كما سبق - هو قدوة القائلين بِوَحْدَةِ

الوجود.

قَوْلُهُ: «رَأَىٰ إِبْلِيسَ»: وَهَمًّا، وقد يكون حقيقة.

قَوْلُهُ: «فَأَهْوَىٰ بِالسُّجُودِ هُوِيًّا ذِي خُضْعَانِ» أي: أهوى بالسجود للشيطان،

لأنَّ الشيطان رَبٌّ عنده.

٣٠٧- قَالُوا لَهُ: مَاذَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: هَلْ غَيْرُ الْإِلَهِ وَأَنْتُمْ عَمِيَانِ

يعني: لما قالوا له: كيف تسجد للشيطان؟! قال: ما سجدتُ إِلَّا للرحمن

ليس إِلَّا.

قَوْلُهُ: «وَأَنْتُمْ عَمِيَانِ»، كأنه يخاطب إما نَفْسَهُ، وإما رَجُلَيْنِ وَهَمًّا، فيقول لهما:

أنتما - اللذان أنكرتما عَلَيَّ - عَمِيَانِ، لا تعرفان، لأنَّ المعرفة عنده سجوده للشيطان،

والعياذ بالله.

٣٠٨- مَا تَمَّ غَيْرٌ، فَاسْجُدُوا إِنْ شِئْتُمْ لِلشَّمْسِ وَالْأَصْنَامِ وَالشَّيْطَانِ

٣٠٩- فَالْكَوْلُ عَيْنُ اللَّهِ عِنْدَ مُحَقِّقٍ وَالْكَوْلُ مَعْبُودٌ لِذِي الْعِرْفَانِ

٣١٠- هَذَا هُوَ الْمَعْبُودُ عِنْدَهُمْ فَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ

وقال لهم أيضًا: اسجدوا - إن شئتم - للشمس، والأصنام، والشيطان، والكلب والحمار، والذئب، والنار، والثلج، والماء، وكل شيء، فاعبدوا ما شئتم من هذه الموجودات، لأن هذا هو التوحيد عندهم.

قَوْلُهُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ» أي: تنزيهاً لك يا ذا التنزيه.

٣١١- يَا أُمَّةَ مَعْبُودُهَا مَوْطُوءُهَا أَيْنَ الْإِلَهِ وَتُنْفَرَةُ الطَّعَّانِ؟!

فهو يُنكر عليهم إنكاراً عظيماً، أمة يكون معبودها موطوءها، أمة يكون معبودها مأكولها، أمة يكون معبودها مذبوحوها، سبحان الله!

ومن الغريب أن زوجته التي يجامعها هي ربّه، وزوجها هو ربّها، وحماره الذي يركب هو ربّه، وهو ربّ الحمار، لأن كل شيء هو عابد معبود، ربّ مربوب.

٣١٢- يَا أُمَّةَ قَدْ صَارَ مِنْ كُفْرَانِهَا جُزْءًا يَسِيرًا جُمَّلَةُ الْكُفْرَانِ

يعني: كل الكفران جزء يسير من كُفْرَانِكُمْ، لأن الكافرين يخصصون المعبودات بأشياء معينة، وهؤلاء كل شيء جعلوه إلهًا، حتى حماره الذي يركبه هو إلهه.

إِذَنْ جَمِيعَ الْكُفْرَانِ بِالنِّسْبَةِ لِكُفْرِ هَؤُلَاءِ جُزْءٌ مِّنْ كُفْرَانِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

والمشكلة أن هؤلاء ينتسبون إلى الإسلام وهم صُوفِيَّة، وبهذا نعرف أن مذهب الصوفية من أخطر المذاهب على الإسلام وأشدّها هدمًا، لأن الصوفي يصل إلى حالة يقول: ما ثمّ إلا الله، يعني: كل الكون هو الله، ويقول: ما في الجبّة إلا الله، ويقول: الجبّة هي الله، ومن في الجبّة هو الله.

وهذه مذاهبٌ خبيثةٌ - والعياذ بالله - فكل الكُفر جزءٌ من كُفرهم، فالذين يعبدون المسيح ابن مريم عبدوا واحداً من المخلوقات، لكن هؤلاء يعبدون كلَّ شيء، لأنهم لا يرونَ إلاَّ أنَّ الكونَ كُلَّهُ خالقه ومخلوقه شيءٌ واحد، فالعابد والمعبود شيءٌ واحد، والرَّبُّ والمربوب شيء واحد، والواطيء والموطوء شيء واحد، وهكذا والعياذ بالله.

وهذا مذهب لولا أنه سَطَّر ما كان الإنسان يُصدِّق به إطلاقاً، وهذا أيضاً موجود في كتبهم.

وهذا يعني أنَّ أئمة الحقِّ لا يفترونَ عليهم في هذا، بل كُتِبهم بين أيدينا معروفة ومقروءة، وسيأتي - إن شاء الله - للمؤلِّف بيان أنَّ هذا أمر واقع، ومن أراد أن يقرأ في كُتِبهم فليقرأ.

\*\*\*

## فصل

### في قدوم ركب آخر

- ٣١٣- وَأَتَى فَرِيْقُ نُمْ قَالَ: وَجَدْتُهُ  
بِالذَّاتِ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ  
٣١٤- هُوَ كَالْهَوَاءِ بِعَيْنِهِ لَا عَيْنُهُ  
مَلَأَ الْخَلَاءَ<sup>(١)</sup> وَلَا يُرَى بِعِيَانٍ  
٣١٥- وَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنْ بَشَرٍ وَلَا  
قَبْرِ وَلَا حُشٍّ وَلَا أَعْطَانِ  
٣١٦- بَلْ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ رَأَى تَشْبِيهَهُ  
بِالرُّوحِ دَاخِلَ هَذِهِ الْأَبْدَانِ<sup>(٢)</sup>  
٣١٧- مَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ  
أَوْ خَارِجٍ عَنْ جُمَّلَةِ الْأَكْوَانِ  
٣١٨- لَكِنَّهُمْ حَامُوا عَلَى هَذَا وَلَمْ  
يَتَجَسَّرُوا مِنْ عَسْكَرِ الْإِيمَانِ  
٣١٩- وَعَلَيْهِمْ رَدُّ الْأَيْمَةِ أَحْمَدٌ  
وَصِحَابُهُ مِنْ كُلِّ ذِي عِرْفَانٍ  
٣٢٠- فَهُمْ الْخُصُومُ لِكُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ  
وَهُمُ الْخُصُومُ لِمُنْزَلِ الْقُرْآنِ  
٣٢١- وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ ذَكَرْتُ أُصُولَهَا  
لَمَّا ذَكَرْتُ الْجَهْمَ فِي الْأَوْزَانِ

### الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله - في قدوم ركب آخر.. وهذا الركب هل هو ضالٌّ، أو مهتدٍ؟ الجواب: ضالٌّ.

(١) في نسخة الحلبي: «الخلو».

(٢) في نسخة ابن سحمان: «الأكوان»، والمتن أصوب.

قال:

٣١٣- وَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ بِالذَّاتِ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ

٣١٤- هُوَ كَالهَوَاءِ بِعَيْنِهِ لَا عَيْنُهُ مَلَأَ الْخَلَاءَ وَلَا يُرَى بِعِيَانٍ

هذا الرَّكْبُ هُمُ الْجَهْمِيَّةُ الْحُلُولِيَّةُ مِنْهُمْ، لِأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ انْقَسَمُوا إِلَى

قسمين:

■ قِسم حُلُولِيَّة، هذا مذهبهم، وهم قدماؤهم.

■ وقسم مُعْطَلَّةٌ تَمَامًا، قالوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ فَوْقَ، وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينٌ، وَلَا شِمَالٌ، وَلَا مُتَّصِلٌ بِالْحَلْقِ، وَلَا مُنْفَصِلٌ عَنْهُ، فَعَطَّلُوا، لَكِنَّ قُدَمَاءَهُمْ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا بِالْحُلُولِ.

قوله: «قَالَ: وَجَدْتُهُ» الضميرُ يعود على فاطر الأكوان، وهو الله عزَّ وجلَّ.

قوله: «وَجَدْتُهُ بِالذَّاتِ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ» يعني: إِنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ بِكُلِّ مَكَانٍ.

يقولون: بذاته، لا بعلمه، يقولون: إِنَّ اللَّهَ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فِي الْمَسْجِدِ، فِي السُّوقِ، فِي الْبَيْتِ، فِي السَّيَّارَةِ، فِي الطَّيَّارَةِ، فِي الْكَيْفِ، فِي الْحَمَامِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

ولا ريبَ أَنَّ هَذَا كُفْرٌ مَحْضٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَ اللَّهَ بِهَذَا الْوَصْفِ وَلَهُ مُسْكَةٌ مِنْ عَقْلِ، أَوْ دِينٍ.

فالنصارى - عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة - قالوا: إِنَّ اللَّهَ حَلَّ فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ حَتَّى صَارَ عَيْسَى إِلَهًا، فَنَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ يَفْدِي الْمَسَاكِينَ وَالْمَظْلُومِينَ، وَيُنْشِرُ الْمَحَبَّةَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ، هَذِهِ عَقِيدَتُهُمْ فِي عَيْسَى.

هؤلاء ما قالوا: إنه حَالٌّ في واحدٍ من المخلوقات، بل حَالٌّ في كل مكان، وهذا بلا شكَّ يَلْزَمُ عليه إما تعدد الخالق أو تَجْزُؤُ الخالق، يعني: إما أنه أجزاء وأوصال، كل جزء منه في جهة، وإما أنه متعدّد لا واحد، هذا يَقْطَعُ النَّظَرَ عن أن تصوّر هذه القضية نقص عظيم في جانب الله، فإن هذا القول يَسْتَلْزِمُ النقص العظيم في جانب الله.

قَوْلُهُ: «هُوَ كَالهَوَاءِ بِعَيْنِهِ» يعني: يملأ الأمكنة، لكنه ليس عين الهواء، فالهواء مُنْبَثٌّ في الأرض، فهو يرى أن الله مُنْبَثٌّ في الأرض كالهواء، لكنه ليس عين الهواء، بل هذا كُفْرٌ، وأهل الوَحْدَةِ السابقون يقولون: هو عين الهواء.

قَوْلُهُ: «مَلَأَ الْخَلَاءَ وَلَا يُرَى بِعِيَانٍ» يعني: جعله شيئاً واحداً كالهواء يملأ الوجود، وفي كل مكان، ولكنه ليس الهواء بِعَيْنِهِ، ويأتي -إن شاء الله- بقية الكلام على هذه الطائفة، نسأل الله أن يهدينا إلى صراطه المستقيم، وألَّا يُزِيغَ قلوبنا بعد إذ هدانا.

٣١٥- وَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَن بَشَرٍ وَلَا قَبْرِ وَلَا حُشٍّ وَلَا أَعْطَانِ

وهذا أعظم من الأول، الأولون قالوا: إنَّ الله عزَّ وجلَّ بائنٌ من خَلْقِهِ، لكنه معهم بالذات في كل مكان، في الآبار، في القبور، في الحشوش، في كل مكان.

لم يُنْزِهْهُ -والعياذ بالله- عما يُنْزِهْهُ عنه بعض الناس، فَهُم جعلوه في كل مكان، فَوَصَفُوهُ على ما قال المؤلف -رحمه الله-.

٣١٦- بَلْ مِنْهُمْ مَنْ قَد رَأَى تَشْبِيهَهُ بِالرُّوحِ دَاخِلَ هَذِهِ الْأَبْدَانِ

وعلى هذا فيكون حالاً حتى في الأبدان، كحُلُولِ الروح في البدن.

٣١٧- مَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ أَوْ خَارِجٍ عَنِ جُمَّلَةِ الْأَكْوَانِ

نعم ما فيهم مَنْ قَالَ هذا، يُشير إلى الأقدمين منهم الذين قالوا: إنه ليس داخل العالم، ولا خارج العالم.

٣١٨- لَكِنَّهُمْ حَامُوا عَلَى هَذَا وَلَمْ يَتَجَسَّرُوا مِنْ عَسْكَرِ الْإِيمَانِ

فهم حاموا حول هذا الشيء، وقالوا: لا داخل العالم، ولا خارجة، يعني: لا يُوصَفُ بهذا، ولا هذا، لكنهم خافوا من عسكر الإيمان، يعني: خافوا من أهل الإيمان أن يَنْبِذُوهم نَبْذًا.

٣١٩- وَعَلَيْهِمْ رَدُّ الْأَيْمَةِ أَحْمَدُ<sup>(١)</sup> وَصَحَابُهُ مِنْ كُلِّ ذِي عِرْفَانٍ

قَوْلُهُ: «أَحْمَدُ» يعني بذلك: أحمد بن حنبل -رحمه الله-

وهؤلاء الجَهْمِيَّةُ هم الذين رَدَّ عليهم أحمد بن حنبل وأصحابه، وقصة مُحْتَبِه مشهورةٌ في كتب التاريخ.

٣٢٠- فَهُمْ الْخُصُومُ لِكُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ وَهُمْ الْخُصُومُ لِمُنْزِلِ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَهُمْ» يعني: الجَهْمِيَّةُ.

٣٢١- وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ ذَكَرْتُ أُصُولَهَا لَمَّا ذَكَرْتُ الْجَهْمَ فِي الْأَوْزَانِ

وقد تقدّمت أُصُولُ جَهْمٍ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَفِي الْقَدَرِ، وَفِي الْإِيمَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(١) أحمد بن حنبل: هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوافلي، أصله من مَرَوَ، وأبوه والي سَرَخَس -اسم بلد- وُلِدَ ببغداد سنة (١٦٤هـ)، ورحل للحجاز وغيره في طَلَبِ الْحَدِيثِ، اِمْتَحَنَ فِي الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَتُوِّفِيَ فِي بَغْدَادِ سَنَةِ (٢٤١هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال (١/٤٣٧).

وَقَوْلُهُ: «لَمَّا ذَكَرْتُ الْجَهْمَ» يعني بذلك: زعيمهم الجهم بن صفوان، ويقال: إنَّ الجهم بن صفوان ليس زعيم الطائفة الأولى، بل زعيمها الأول الجعد بن درهم، حيث تكلم بأمرين:

الأول: قال: إنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً.

الثاني: ولم يكلم موسى تكليماً، هذا أول ما نفى -الكلام والمحبة- ثم تطوّرت المقالة وتفرّعت، ونشرها الجهم بن صفوان، وإليه نُسبت، لأنه هو الذي نشرها، ودافع دونها.

أما الأول -وهو الجعد- فإنه قُتل دون أن تنتشر مقالته.

\*\*\*

## فصل

## في قدوم ركب آخر

- ٣٢٢- وَأَتَى فَرِيْقُ نَمَّ قَارَبَ وَضَفُّهُ  
هَذَا وَلَكِنْ جَدَّ فِي الْكُفْرَانِ
- ٣٢٣- فَأَسْرَ قَوْلَ مُعْطَلٍ وَمُكَدِّبٍ  
فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ
- ٣٢٤- إِذْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَا  
هُوَ خَارِجٌ عَنِ جُمَّلَةِ الْأَكْوَانِ
- ٣٢٥- بَلْ قَالَ: لَيْسَ بِبَائِنٍ عَنْهَا وَلَا  
فِيهَا، وَلَا هُوَ عَيْنُهَا بَيَّانِ
- ٣٢٦- كَلًّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى  
وَالْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ
- ٣٢٧- وَالْعَرْشُ لَيْسَ عَلَيْهِ مَعْبُودٌ سِوَى الْإِلَهِ  
عَدَمِ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ
- ٣٢٨- بَلْ حَظَّهُ مِنْ رَبِّهِ حَظُّ الشَّرِيِّ  
مِنْهُ وَحَظُّ قَوَاعِدِ الْبُنْيَانِ
- ٣٢٩- لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَانَ كَهَذِهِ الْإِلَهِ  
أَجْسَامِ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!
- ٣٣٠- وَلَقَدْ وَجَدْتُ لِفَاضِلٍ<sup>(١)</sup> مِنْهُمْ مَقَامًا  
مَا قَامَهُ فِي النَّاسِ مِنْذُ زَمَانِ
- ٣٣١- قَالَ: اسْمَعُوا يَا قَوْمِ إِنَّ نَبِيَكُمْ  
قَدْ قَالَ قَوْلًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ
- ٣٣٢- لَا تَحْكُمُوا بِالْفَضْلِ لِي أَصْلًا عَلَى  
ذِي النُّونِ يُونُسَ ذَلِكَ الْغَضْبَانِ
- ٣٣٣- هَذَا يَرُدُّ عَلَى الْمُجَسِّمِ قَوْلَهُ  
اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ

(١) قال الحلبي في نسخته في هامش الأصول: «هو الجويني».

- ٣٣٤- وَيَدُلُّ أَنَّ إِلَهَنَا سُبْحَانَهُ  
 ٣٣٥- قَالُوا لَهُ: بَيْنَ لَنَا هَذَا فَلَمْ  
 ٣٣٦- أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ الْعَتِيقِ، فَقَالَ فِي  
 ٣٣٧- قَدْ كَانَ يُونُسُ فِي قَرَارِ الْبَحْرِ نَحْ  
 ٣٣٨- وَمُحَمَّدٌ صَعِدَ السَّمَاءَ وَجَاوَزَ السَّمَاءَ  
 ٣٣٩- وَكِلَاهُمَا فِي قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ  
 ٣٤٠- فَالْعُلُوُّ وَالسُّفْلُ اللَّذَانِ كِلَاهُمَا  
 ٣٤١- إِنْ يُنْسَبَا لِلَّهِ نُزَّةٌ عَنْهُمَا  
 ٣٤٢- فِي قُرْبٍ مَنْ أَضْحَى مُقِيمًا فِيهِمَا  
 ٣٤٣- فَلَأَجَلٍ هَذَا خُصَّ يُونُسُ دُونَهُمْ  
 ٣٤٤- فَأَتَى النَّشَاءُ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ  
 ٣٤٥- فَاحْمَدُ إِلَهَكَ أَيُّهَا السُّنِّيُّ إِذْ  
 ٣٤٦- وَاللَّهِ مَا يَرْضَى بِهَذَا خَائِفٌ  
 ٣٤٧- هَذَا هُوَ الْإِلْحَادُ حَقًّا، بَلْ هُوَ التَّنْ
- وَبِحَمْدِهِ يُلْقَى<sup>(١)</sup> بِكُلِّ مَكَانٍ  
 يَفْعَلُ، فَأَعْطَوْهُ مِنَ الْأَثْمَانِ  
 تَبْيَانِهِ فَاسْمَعْ لَذَا التَّبْيَانِ  
 تِ السَّمَاءِ فِي قَبْرِ مِنَ الْحِيتَانِ  
 سَبْعَ الطَّبَاقِ، وَجَازَ كُلَّ عَنَانِ  
 سُبْحَانَهُ إِذْ ذَاكَ مُسْتَوِيَانِ  
 فِي بُعْدِهِ مِنْ ضِدِّهِ طَرَفَانِ  
 بِالْإِخْتِصَاصِ، بَلَى هُمَا سَيَّانِ  
 مِنْ رَبِّهِ، فَكِلَاهُمَا مِثْلَانِ  
 بِالذِّكْرِ تَحْقِيقًا لِهَذَا الشَّانِ  
 مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِلَا حُسْبَانِ  
 عَافَاكَ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانِ  
 مِنْ رَبِّهِ أَمْسَى عَلَى الْإِيمَانِ  
 تَحْرِيفٌ مُحْضًا أَبْرَدُ الْهَدْيَانِ

(١) في نسخة: «يُلْقَى».

(٢) في نسخة الحلبي: «النشأ».

- ٣٤٨- وَاللَّهِ مَا بُيِّئَ الْمُجَسِّمُ قَطُّ ذِي الْإِلْهِ  
بَلْوَى وَلَا أَمْسَى بِذَا<sup>(١)</sup> الْخِذْلَانِ  
٣٤٩- أَمْثَالُ ذَا التَّوِيلِ أَفْسَدَ هَذِهِ الْإِلْهِ  
أَذْيَانًا حِينَ سَرَى إِلَى الْأَذْيَانِ  
٣٥٠- وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ حَافِظُ دِينِهِ  
لَتَهَدَّمَتْ مِنْهُ قُوَى الْأَرْكَانِ

### الشرح

- ٣٢٢- وَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَارَبَ وَصَفُهُ  
هَذَا وَلَكِنْ جَدَّ فِي الْكُفْرَانِ  
٣٢٣- فَأَسْرَ قَوْلَ مُعْطَلٍ وَمُكَدَّبٍ  
فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ  
قَوْلُهُ: «وَأَتَى فَرِيقٌ» أَي: مِنَ الَّذِينَ سَارُوا يَطْلُبُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

هذا الفريق وصف الله -تبارك وتعالى- بالتنزيه، ولكنه تنزيه هو كُفْر كما  
سببته المؤلف -رحمه الله-.

- ٣٢٤- إِذْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَا  
هُوَ خَارِجٌ عَنِ جُمَّلَةِ الْأَكْوَانِ  
٣٢٥- بَلْ قَالَ: لَيْسَ بِبَائِنٍ عَنْهَا وَلَا  
فِيهَا، وَلَا هُوَ عَيْنُهَا بَيَّانٍ  
هؤلاء مُعْطَلَةٌ مُحْضَةٌ يَقُولُونَ: لَا يَجُوزُ أَنْ نَصِفَ اللَّهُ بِأَنَّهُ دَاخِلُ الْعَالَمِ، وَلَا  
خَارِجُ الْعَالَمِ، وَلَا مُتَّصِلُ بِالْعَالَمِ، وَلَا مُنْفَصِلُ عَنِ الْعَالَمِ، وَلَا هُوَ عَيْنُهُ، وَلَا فَوْقَ  
الْعَالَمِ، وَلَا تَحْتَ الْعَالَمِ.

وهذا إنكار لوجود الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْوَاقِعِ، وَهُوَ عَكْسُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ  
الَّذِي قَبْلَهُ، وَالَّذِي يَقُولُ: إِنَّهُ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

(١) في نسخة الحلبي: «بذي الخذلان».

فإذا قيل لهم: إذا وصفتم الله بهذا الوصف فأين الله؟ الجواب: عدم، لأنه إذا انتفى عنه كُلُّ ما ذُكر، فهذا يعني العَدَمَ المَحْضَ.

ولو قال قائل: ما هو العدم؟ لم تجد شيئاً أدق وصفاً من هذا الوصف، ولهذا يُعتبر قولهم هذا تناقضاً مع قولهم بأنَّ الله موجود، كيف تقول: إنَّ الله موجود، وهو موصوف بهذه الصفات، فأين يكون؟ معدوم، ولهذا قولهم يُعتبر متناقضاً، لأنهم إذا قالوا: إنه موجود، ثم وصفوه بهذه السُّلُوب فهذا هو النفي المحض، والعَدَمَ المحض، لكن مع ذلك يقولون هذا، فيعبدون معبوداً لا يدرون أين هو؟ لا يدرون هل هو فوق، أو تحت؟ فهم لا يجهلون فقط، بل يعتقدون أنه لا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، ولا متصل، ولا منفصل، هم يعتقدون أنهم يعبدون هذا الرَّبَّ.

وهؤلاء هم طائفة من الجهمية، وهم المتأخرون منهم.

وكذلك المعتزلة يقولون: ليس بداخل العالم... إلى آخره.

فالجهمية انقسموا إلى قسمين: أوائلهم قالوا: إنه بذاته في كل مكان، والثاني المتأخرون: نفوا هذا وعطلوه، وقالوا: ليس بداخل ولا خارج.

٣٢٦- كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ

نفي أن يكون الله تعالى فوق السموات، وأن يكون فوق العرش، لكن لماذا تقولون هذا القول؟ قالوا: لو قلنا: إنه فوق السموات أو على العرش لزم أن يكون جسماً، والله مُنَزَّهٌ عن الأجسام.

٣٢٧- وَالْعَرْشُ لَيْسَ عَلَيْهِ مَعْبُودٌ سِوَى اللَّهِ عَدَمَ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ

يعني: أنكروا أن يكون الله استوى على العرش، وحُجَّتْهُمْ في هذا حجة بالية، يقولون: إنه لو كان كذلك لزم أن يكون جِسْمًا، والجسم مُتَمَتِّعٌ على الله عزَّ وجلَّ.

ثم قالوا: ليس عَرَضًا أيضًا، ولهذا يقولون: ليس بجسم، ولا عَرَضٌ، فماذا يكون إذا لم يكن جِسْمًا قائمًا بِنَفْسِهِ، ولا عَرَضًا قائمًا بغيره؟ فماذا يكون؟  
الجواب: لا يكون إِلَّا عَدَمًا.

فلا يتعجب المسلم من أن الله أزاع قلوب هؤلاء، حتى وصلوا إلى هذه الحال، اللهم لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

٣٢٨- بَلْ حَظُّهُ مِنْ رَبِّهِ حَظُّ الثَّرَى مِنْهُ وَحَظُّ قَوَاعِدِ الْبُنْيَانِ

حَظُّ الْعَرْشِ مِنَ اللَّهِ كَحَظِّ الثَّرَى أَسْفَلَ الْأَرْضِ، وَحَظُّ الْقَوَاعِدِ مِنَ الْبُنْيَانِ، يعني: في القرب.

هو لم يستو على العرش، والعرش ليس قريبًا منه، وهو بالنسبة للعرش كالنسبة إلى أسفل الأرض، وإلى قواعد البناء، لأنهم يُنكرون العلو، وهم -في الحقيقة- كما قال ابن القيم -رحمه الله-: مقارِبون لوصف جَهَم.

٣٢٩- لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَانَ كَهَذِهِ الْأَجْسَامِ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!

قَوْلُهُ: «سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!» يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْ تَيَمَّةٍ قَوْلِ هَذَا الْقَائِلِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يُنَزِّهُ اللَّهَ تَعَالَى عَمَّا قَالُوهُ فِيهِ، وَالْمَعْنَى عَلَى الْوَجْهَيْنِ صَحِيحٌ، لِأَنَّ أَوْلَئِكَ الْقَوْمَ الَّذِينَ يَنْفُونَ أَنَّ اللَّهَ دَاخِلُ الْعَالَمِ، أَوْ خَارِجُهُ، أَوْ مُتَّصِلًا، أَوْ مُنْفَصِلًا إِلَى آخِرِهِ، يَرِيدُونَ بِهَذَا التَّنْزِيَةَ.

٣٣٠- وَلَقَدْ وَجَدْتُ لِفَاضِلٍ مِنْهُمْ مَقَامًا قَامَهُ فِي النَّاسِ مُنْذُ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «لِفَاضِلٍ مِنْهُمْ» هُوَ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر قصته الشيخ أحمد بن عيسى<sup>(٢)</sup> في شرح هذه القصيدة نقلًا عن الْقُرْطُبِيِّ<sup>(٣)</sup> فِي التَّدْكِرَةِ<sup>(٤)</sup>.

وَقَوْلُهُ: «لِفَاضِلٍ مِنْهُمْ»: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ يَرِيدُ عِنْدَ ابْنِ الْقَيْمِ، وَيَحْتَمِلُ «لِفَاضِلٍ مِنْهُمْ» أَي: عِنْدَهُمْ، وَأَنَّهُ لَمْ يَصْفَهُ بِالْفَضْلِ.

٣٣١- قَالَ: اسْمَعُوا يَا قَوْمِ إِنَّ نَبِيَّكُمْ قَدْ قَالَ قَوْلًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «نَبِيَّكُمْ» يَعْنِي بِذَلِكَ: مُحَمَّدًا ﷺ، وَجَاءَ بِهَذِهِ الصِّيغَةَ إِذَا كَانَ هَذَا

(١) أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ: إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ، وَلِدٌ فِي جَوَيْنَ مِنْ أَعْمَالِ نَيْسَابُورَ سَنَةَ (٤١٩هـ)، وَأَقَامَ مَدَّةً بِالْحِجَازِ (مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ) كَانَ مِنْ أَعْلَمِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، تُؤَيِّ بِقَرْيَةٍ مِنْ أَعْمَالِ نَيْسَابُورَ سَنَةَ (٤٧٨هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨).

(٢) هُوَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَيْسَى مِنْ بَنِي زَيْدٍ (١٢٥٣-١٣٢٩هـ) مِنْ عُلَمَاءِ نَجْدٍ وَصَاحِبِ رَحْلَةٍ وَتَصَانِيفٍ عَدِيدَةٍ، أَشْهَرُهَا شَرْحُهُ وَتَوْضِيحُهُ عَلَى النُّونِيَّةِ، وَرُدُودُهُ عَلَى خُصُومِ الدَّعْوَةِ السُّلْفِيَّةِ، وَبِهَا يُعْرَفُ قَدْرُهُ، وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ، وَابْنِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّطِيفِ، وَأَجَازَهُ الشَّيْخُ حَسِينُ بْنُ مَحْسَنِ الْأَنْصَارِيِّ، وَقَدْ أَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ جَمْعٌ مِنْ نَجْدٍ وَالْحِجَازِ وَغَيْرِهَا، كَمَا كَانَ دَاعِيَةً لِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ. انظر: حَاشِيَةُ الْأَثْبَاتِ فِي مَخْطُوطَاتِ الْأُئِمَّةِ: شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ، وَالْعَلَمَةَ ابْنَ الْقَيْمِ، وَالْحَافِظَ ابْنَ رَجَبٍ، لَعْلِي بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَلِيِّ الشُّبَلِيِّ (ص: ١٣٢).

(٣) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ فَرِحٍ، الْإِمَامُ، الْعَلَمَةُ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، الْخَزْرَجِيُّ، الْقُرْطُبِيُّ، الْمُتَوَفَى (٦٧١هـ) إِمَامٌ مُتَفَنٌّ مُتَبَحِّرٌ فِي الْعِلْمِ، لَهُ تَصَانِيفٌ مُفِيدَةٌ تَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ إِطْلَاعِهِ، وَوُفُورِ فَضْلِهِ، تَوَفَى فِي أَوَائِلِ هَذِهِ السَّنَةِ بِمَنْيَةِ بَنِي خَصِيبٍ مِنَ الصَّعِيدِ الْأَدْنَى. تَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ (٢٢٩/١٥).

(٤) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (ص: ٤٦٢).

اللفظ محفوظًا لأجل أن يُشَدَّهم إلى الاستماع، ويُقَوِّي الدليل أنه إذا كان نبيًّا، فلا بد أن نستمع إليه، وأن نقبل ما قال، هذا إذا كان اللفظ الذي ساقه ابن القيم محفوظًا بهذا. قد قال:

٣٣٢- لَا تَحْكُمُوا بِالْفَضْلِ لِي أَضَلًّا عَلَى ذِي النُّونِ يُونُسَ ذَلِكَ الْغَضَبَانِ

فهو يقول: -وما أدري عن صحة النقل، لأنَّ الرجل ما أظنه أنه يبلغ به الأمر إلى هذا الحدِّ- فيقول: أريد أن أُبَيِّنَ لكم أنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ليس بذاته فوق العرش، حيث يوجد حديث يُرَدُّ على أهل التجسيم الذين يقولون: إنَّ الله بذاته فوق العرش، وهذا الحديث هو قول الرسول ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»<sup>(١)</sup>.

على كل حالٍ هذا ساقه بالمعنى بلا شك، وإلا فالنبيُّ ﷺ قال: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». يعني: لا تُفَضِّلُونِي فِي الْقُرْبِ مِنْ رَبِّي -على زعمه- على يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فأنا وهو عند الله تعالى سيَّان، حين كان في بطن الحوت، وأنا فوق السموات السبع.

وذلك أنَّ يُونُسَ بْنَ مَتَّى -عليه الصلاة والسلام- خرج من قومه مُغاضِبًا قبل أن يأذن الله له بالهجرة عنهم، ولهذا لما آمنوا حين جاءهم العذاب نفَعَهُم الإيمان، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُوسُفَ لَمَّا ءَامَنُوا﴾ [يونس: ٩٨] وذلك أنَّ لهم شيئًا من العذر، حيث إنَّ نبيَّهم -عليه الصلاة

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه: ٩] ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، رقم (٣٢١٥)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس -عليه السلام-، رقم (٢٣٧٧).

والسلام- فارقهم قبل أن يُؤذَنَ له، وقبل أن يبيئسَ من إيمانهم، فلما آمنوا كشف الله عزَّ وجلَّ عنهم العذاب، فقد يَظُنُّ الظانُّ أن هذا يُنزلُ من قَدْرِ يونسَ .

ومحمد ﷺ قد عَلِمَ أنه أفضلُ الخلقِ، أفضلُ بني آدم، فقال: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» ولم يقل: على موسى، ولا: على هارون، ولا: على إبراهيم، بل قال: «يُونُسَ بْنِ مَتَّى» .

والسبب أنه فعل فعلاً لم يُؤذَنَ له فيه .

ولا يَرِدُ على هذا أن يُقال: وموسى فَعَلَ فعلاً لم يُؤذَنَ له فيه، إذ الفَرَقَ ظاهر، لأنَّ موسى -عليه الصلاة والسلام- فَعَلَ فعلاً قبل أن يكون نبيًّا حين قتل الذي من عَدُوِّه بعد أن استغاثه الذي من شيعته .

٣٣٣- هَذَا يَرُدُّ عَلَى الْمُجَسِّمِ قَوْلُهُ اللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ  
قَوْلُهُ: «يَرُدُّ عَلَى الْمُجَسِّمِ قَوْلُهُ»: القائل هو أبو المعالي الجُوَيْنِيِّ .  
وَقَوْلُهُ: «الْمُجَسِّمِ» يريد بذلك الذين يُثَبِّتُونَ العُلُوَّ، وهو قوله: (اللهُ فَوْقَ العَرْشِ وَالْأَكْوَانِ) .

قَوْلُهُ: «اللهُ فَوْقَ العَرْشِ وَالْأَكْوَانِ» هذا مَقُولُ القول، أي: قول المُجَسِّمِ: (اللهُ فَوْقَ العَرْشِ وَالْأَكْوَانِ)، وهذا واضح .

إِذْ ما قول المُجَسِّمِ؟ الجواب: قوله: (اللهُ فَوْقَ العَرْشِ وَالْأَكْوَانِ)، لأنه يرى أن مَنْ أثبت أن الله فوق، فهو جِسْم .

بقي أن يُقال: كلمة جِسْم، أو غير جِسْم، هل هي واردة عن النبي ﷺ أو عن الصحابة؟ الجواب: لا .

لكنَّ أهل التعطيل الذين أنكروا صفات الله عزَّ وجلَّ صاروا يُشَوِّهونَ سُمعةَ المُثبِّتين بمثل هذا، ويقولون: أنتم مُجَسِّمَة، أنتم مُشَبَّهَة، مِن أَجْلِ أَنْ يُنْفَرُوا الناسَ عنهم.

ولكني أقول: إنَّ وصفَ الحقِّ بهذه الأوصاف لا يضرُّه، فنقول: كلمة الجسم، أو المجسِّم، أو ما أشبه ذلك كلها حادثة، يُراد بها تنفير الناس عن الإثبات، فما موقفنا؟

موقفنا أن نقول: يجب أن نتأدَّبَ مع الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ، فلا ننكر الجسم، ولا نثبت الجسم، لأنَّ الله لم يُثبِّتْه ولم يَنْفِهِه، وكذلك النَّبي ﷺ، وهذا خَبَرٌ عن الرَّبِّ، فيجب أن نتأدَّبَ بين يدي الله ورسوله، ونقول: لا نُثبِّتُ الجسم، ولا ننفِيه، هذه واحدة.

أما بالنسبة للمعنى فإننا نستفصل ونقول: ماذا تريد؟ هل تريد الجسم الذي أَجْلَبَّتْ به وَأَجْنَبَتْ علينا، أتريد جِسْمًا مكوَّنًا مِن عظام، وعصب، ودم، ولحم، وما أشبه ذلك؟ فهذا معنى باطل لا يليق بالله تعالى، ولا نُقَرُّ به، بل نُنكِرُه أعظم الإنكار.

أم تريد بالجسم الذات العظيمة المتصفة بما يليق بها مِن صفات الكمال؟ إن قال: أريد هذا المعنى، نقول: هذا حقٌّ، وَثبَّتَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، ونؤمن بأنَّ الله -تبارك وتعالى- له ذات، وله صفات، وهذا ليس علينا فيه عيب.

ولا يمكن إثباتُ الله عزَّ وجلَّ إلَّا على هذا الوجه، لأنك إن قلت: إنه عَرَضٌ في غيره، فهذا مُنكِرٌ عظيم، وإن قلت: إنه هواء، وليس بشيء، ولا يُرى، ولا يُشاهدُ، فهذا أيضًا مُنكِرٌ عظيم.

فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا بدَّ أن يكون له ذات، لكنها لا تُمَثَّلُ ذوات المخلوقين، وهذا هو الحقُّ، أما التَّطْيِيلُ والإجلاب والإجناب علينا، فهذا لا يَصْرُنَا. ما صَرَّ مُحَمَّدًا ﷺ أن قيل له: إنه ساحر كذَّاب، ولا إنه شاعرٌ مجنون، بل لم يَزِدْهُ ذلك إِلَّا رِفْعَةً وَأَجْرًا وَثَوَابًا.

٣٣٤- وَيَدُلُّ أَنَّ إِلَهَنَا سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ يُلْقَى بِكُلِّ مَكَانٍ

قَوْلُهُ: «يُلْقَى» أي: يُدْرِكُ وَيُحْصَلُ بِكُلِّ مَكَانٍ.

يدل هذا على أن الله تعالى موجودٌ بكل مكان.

٣٣٥- قَالُوا لَهُ: بَيِّنْ لَنَا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ، فَأَعْطَوْهُ مِنَ الْأَثْمَانِ

٣٣٦- أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ الْعَتِيقِ، فَقَالَ فِي تَبْيَانِهِ فَاسْمَعْ لِدَا التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا لَهُ: بَيِّنْ لَنَا» يعني كيف يدل هذا<sup>(١)</sup> على هذين الأمرين: أن الله ليس فوق، وأنه بكل مكان؟ فأجاب<sup>(٢)</sup> بأنه (لَمْ يَفْعَلْ)، وقال: لا أُبَيِّنُ، لأنه قال: -كما في الرواية- لن أُبَيِّنَ هذا حتى تُعْطُوا الضيفَ ألفَ دينار، فانتدب لذلك رجلان فقال: لا، بل لا بد أن يكون واحداً. وهذا مُحَدِّثٌ لهم، فانتدب له واحداً.

قَوْلُهُ: «فَاسْمَعْ لِدَا التَّبْيَانِ» اسمع لهذا التبيان، يقول ذلك سُخرية به، وليس من أجل أن نستمع إليه فنأخذ به، لكن هذا من باب الاستهزاء والسخرية.

٣٣٧- قَدْ كَانَ يُونُسُ فِي قَرَارِ الْبَحْرِ تَحْتَ السَّمَاءِ فِي قَبْرِ مِنَ الْحَيَاتَانِ

أولاً: قوله: «فِي قَرَارِ الْبَحْرِ» هذا غيرُ مُسَلَّمٍ به، لأنه من الجائز أن يكون

(١) المراد بقوله: (هذا) أي: حديث: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

(٢) أي: أبو المعالي الجويني.

الحوثُ التَّقَمَه على سطح الماء، أو التَّقَمَه في قاع البحر، والأول أقرب، لأنه لو نزل إلى قاع البحر ربما يموت قبل أن يصل إلى قاع البحر، ولذا فالأول أقرب، لأنَّ يونس -عليه السلام- لما ركب البحرَ في سفينة سارت السفينة مُحَمَّلَةً، وقالوا: إنَّ بقينا جميعًا على ظهرها غَرِقْنَا جميعًا، وَإِنَّا لَلْقَيْنَا بَعْضُنَا فِي الْبَحْرِ سَلِيمًا، إذن ماذا نفعل؟ قالوا: نعمل قُرْعَةً، فضربوا القُرْعَةَ، فسَاهَمَ يونس فكان مِنَ الْمُدْحَضِينَ، يعني: المغلُوبين، فألقَوْه في البحر، فهياً اللهُ له حُوتًا عَظِيمًا التَّقَمَه دون أن يكسر له عَظْمًا، أو يجرح له جلدًا، فابتلع جميعه، وبقي في بطنه، وهذا من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ.

وبقي في بطنه ونادى في الظلمات في ذلك المكان الضيق الحرج ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [الأنبياء: ٨٧] وهذا خالص التوحيد ﴿سُبْحَانَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] أي: أنزهُك أن تفعل ما لا يليق بك، ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] كأنه يقول: إنه ظالمٌ ظَلَمَ نَفْسَه، والرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ لم يفعل به ما ينافي الحكمة، بل نَزَّهَ رَبَّهُ أن يكون فعلٌ به ما ينافي الحكمة، وَبَيَّنَّ أَنَّ الظُّلْمَ مِنْ نَفْسِه، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَجَجَيْنَاهُ مِنَ الْعَمِيَّةِ وَكَذَلِكَ نُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

٣٣٨- وَمُحَمَّدٌ صَعِدَ السَّمَاءَ وَجَاوَزَ السَّمَاءَ سَبْعَ الطَّبَاقِ، وَجَاوَزَ كُلَّ عَنَانٍ

قَوْلُهُ: «وَجَاوَزَ كُلَّ عَنَانٍ» يعني: ارتفع -عليه الصلاة والسلام- بجسمه وروحه عن كلِّ شيء، حتى السموات والأرض كانت تحته، وما أعظم هذا النَّبِيَّ الكَرِيمَ! وما أقوى جأشَه! كيف شاهد هذه المخلوقات العظيمة العالية، ومع ذلك أدركها بفؤاده تمامًا! قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١].

وانظر إلى كمال أدب النَّبِيِّ ﷺ، قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧] يعني: ما جاوز، وقام ينظر ما هذا، وما هذا؟ مع أننا لو دخلنا حُجْرَةَ

مِنَ الْحَجَرِ لَكَانَ الْوَاحِدَ يَدُورُ بِعَيْنَيْهِ فِي الْجُدْرَانِ، وَفِي السُّطْحِ، وَفِي الْفِرَاشِ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى كَمَالِ الْأَدَبِ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧].  
يقول الجويني - عفا الله عنه -:

٣٣٩- وَكِلَاهُمَا فِي قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ ذَاكَ مُسْتَوِيَانِ

سبحان الله! هذا الذي وصل إلى مكانٍ سمع فيه صريفَ الأقلامِ كرجلٍ في بطن الحوت في الأرض في القرب من الله!

هذا يقول هكذا، لأنه يقول: إنَّ الله في كلِّ مكان، وإذا كان في كلِّ مكان، لزم أن يكون النبيَّانِ عنده مُسْتَوِيَيْنِ.

٣٤٠- فَالْعُلُوُّ وَالسُّفْلُ اللَّذَانِ كِلَاهُمَا فِي بُعْدِهِ مِنْ ضِدِّهِ طَرْفَانِ

العلو والسُّفلُ كل واحد منهما (في بُعْدِهِ مِنْ ضِدِّهِ طَرْفَانِ) فهذا فوق بعيد، وهذا أسفل.

٣٤١- إِنْ يُنْسَبَا لِلَّهِ نُزَّهُ عَنْهُمَا بِالِاخْتِصَاصِ، بَلَى هُمَا سَيَّانِ

٣٤٢- فِي قُرْبِ مَنْ أَضْحَى مُقِيمًا فِيهِمَا مِنْ رَبِّهِ، فَكِلَاهُمَا مِثْلَانِ

يعني: إنَّ نُسْبَاَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُنَزَّهُ عَنْهُمَا بِالِاخْتِصَاصِ، فلا يقال: إنَّ العَالِيَّ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّازِلِ، هذا لا يجوز، فهُمَا عِنْدَ اللَّهِ سَيَّانِ، وَلَا يُنْسَبَانِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُمَا يَنْسَبَانِ إِلَيْنَا، وَالسُّفْلُ ضِدُّ الْعُلُوِّ، فَالْعُلُوُّ فِي طَرْفٍ، وَهَذَا فِي طَرْفٍ، لَا يَلْتَقِيَانِ، لَكِنَّهُمَا بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ هُمَا سَيَّانِ.

قَوْلُهُ: «مِثْلَانِ» أَي: مُتَشَابِهَانِ.

٣٤٣- فَلَأَجَلٍ هَذَا خُصَّ يُونُسُ دُونَهُمْ بِالذِّكْرِ تَحْقِيقًا لِهَذَا الشَّانِ

يريد -نسأل الله العافية- أن يُونس -عليه السلام- ذُكر لأنه في قعر البحر -على كلامه- ومحمد في أعلى شيء، لكن موسى وإبراهيم -عليهما السلام- وغيرهما ليسوا في قعر الأرض، بل على سطح الأرض، فيريد أن يُبين أن أعلى شيء، وأسفل شيء كلاهما سواء، ف«لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» في قُرْبِي مِنَ اللَّهِ، وَبُعْدِهِ مِنَ اللَّهِ.

أليس هذا تحريفًا؟! هل أراد الرسول ﷺ هذا المعنى؟! يعني: لا تُفَضِّلُونِي عَلَيْهِ فِي الْقُرْبِ حِينَهَا عُرِجَ بِهِ ﷺ؟! والله ما أراد هذا.

فلا شك أن هذا -والعياذ بالله- من التحريف الذي يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْهَوَى، وهو تحريفٌ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ لم يتعرض إطلاقًا للعلو والسُّفْل، لكن لما كان يونس -عليه الصلاة والسلام- خرج من قومه مغاضبًا، ظانًا أن الله لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَحَصَلَ مَا حَصَلَ، ربما يقع في نفس بعض الناس تنزيلُ رُتْبَةِ يُونُسَ، وَالتَّيْلُ مِنْ قَدْرِهِ، وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْمَعْنَى: لَا تُفَضِّلُونِي فِي الرُّتْبَةِ وَالْمَنْزَلَةِ عَلَى يُونُسَ.

فنهى النبي ﷺ أَنْ يُفَضَّلَ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الَّذِي قَدْ يَتَصَوَّرُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ -عليه الصلاة والسلام- قد نزل قَدْرُهُ بسبب ما حصل منه، لأنك عندما تقول: محمدٌ أفضلٌ مِنْ يُونُسَ، وقد ذهب الذهن إلى ما حصل من يونس، ما الذي يقع في نَفْسِكَ؟ الجواب: التقليل من شأنه وتنزيله، ولذا نهى أن يُفَضَّلَ محمد على يونس -عليهما الصلاة والسلام-.

وليس أيضًا مراد الرسول ﷺ بذلك أن يُنكَرَ فَضْلُ مُحَمَّدٍ عَلَى يُونُسَ -عليهما الصلاة والسلام-، لأنَّ هَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ، لَكِنْ: لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى سَبِيلِ

المُفَاخِرَةَ، هذه واحدة.

أو: لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى سَبِيلِ الْاِحْتِقَارِ لِيُونُسَ، وَإِلَّا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ أَثْبَتَهُ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فَأَثْبَتِ التَّفْضِيلَ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَأَثْبَتِ التَّفْضِيلَ لِلرُّسُلِ.

٣٤٤- فَآتَى الشَّنَاءَ عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِإِلَّا حُسْبَانٍ  
لِمَاذَا أَنْتَوْنَا عَلَيْهِ؟ الجواب: لأنه (وَإِفْقٌ شَنْ طَبَقَهُ) <sup>(١)</sup>، وقالوا: أنت العالم، أنت الشيخ، هذا الحقُّ، لأنه وافق أهواءهم.

ثم قال ابن القيم - رحمه الله -:

٣٤٥- فَاحْمَدُ إِلَهَكَ أَيُّهَا الشُّنِّيُّ إِذْ عَافَاكَ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانٍ  
أَمَرَ - رحمه الله - أن يحمَدَ الإنسانُ رَبَّهُ، وَخَصَّ بِذَلِكَ الشُّنِّيَّ، أَي: الْمُتَّبِعَ  
لِلشُّنَّةِ، فنقول: الحمد لله، نسأل الله أن يثبتنا على ذلك، وأن يميّتنا عليه.

٣٤٦- وَاللَّهُ مَا يَرْضَى بِهَذَا خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ أَمْسَى عَلَى الْإِيمَانِ  
قَوْلُهُ: «مَا يَرْضَى بِهَذَا» أَي: مَا يَرْضَى بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ مُؤْمِنٌ يَخَافُ اللَّهَ، لِأَنَّهُ إِذَا  
فَعَلَ هَذَا فَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ بِأَدْنَى النِّقْصِ، نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَلَا يَرْضَى بِذَلِكَ مُؤْمِنٌ  
خَائِفٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٣٤٧- هَذَا هُوَ الْإِلْحَادُ حَقًّا، بَلْ هُوَ التَّحْرِيفُ مُحَضًّا أَبْرَدُ الْهَدْيَانِ  
هذا هو الإلحاد والتحريف، والإلحاد في هذا الموضوع خاصةً يكون بالمعاني،

(١) هذا يُضْرَبُ مِثْلًا لِلشُّنِّيِّينَ يَتَّفِقَانِ. انظر: مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٣٥٩).

والتحريف يكون بتحريف اللفظ عن معناه.

فالمعنى أنّ هذا هو الإلحاد في آيات الله عزّ وجلّ، وهو التحريف لكلام الله عزّ وجلّ.

فصار في الأمة من وافق الأمم السابقة، حرّفوا الكليم عن مواضعه، فصدق رسول الله ﷺ في قوله: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

٣٤٨- وَاللَّهُ مَا بَلِيَّ الْمُجَسِّمُ قَطُّ ذِي الْـ جَلْوَى وَلَا أَمْسَى بِذَا الْخِذْلَانِ

قَوْلُهُ: «الْمُجَسِّمُ» أَي: على زعم هؤلاء، والمراد به المثبت للصفات، هذا هو الظاهر، مع أنه يَحْتَمِلُ أن نقول: أراد أنه لو فُرِضَ أن أحدا جَسَمَ، فإنه لن يُبْلَى بمثل هذه البليّة، لكن المعنى الأول أظهر، وأقرب إلى عقيدة ابن القيم - رحمه الله -.

٣٤٩- أَمْثَالُ ذَا التَّأْوِيلِ أَفْسَدَ هَذِهِ الْـ أَدْيَانَ حِينَ سَرَى إِلَى الْأَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «ذَا التَّأْوِيلِ» المشار إليه التأويل الذي هو التحريف، أما التأويل الذي هو تفسير المعنى الحقيقي فهذا لا بأس به.

٣٥٠- وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ حَافِظُ دِينِهِ لَتَهَدَّمَتْ مِنْهُ قُورَى الْأَرْكَانِ

وصدق - رحمه الله - لولا أن الله حافظُ دينه كما يدلُّ على هذا قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] لولا هذا لتهدم الدين، وكزال الدين كما زالت الأديان السابقة التي حرّف أهلها نصوصها، وألحدوا فيها.

\*\*\*

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٢٦٩)، ومسلم: كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم (٢٦٦٩).

## فصل

### في قدوم ركب آخر

- ٣٥١- وَأَتَى فَرِيقٌ نَمَّ قَارِبَ وَصْفُهُ  
 ٣٥٢- قَالَ: اسْمَعُوا يَا قَوْمٍ لَا تُلْهِيْكُمْ  
 ٣٥٣- أَتَعَبْتُ رَاحِلَتِي وَكَلَّتْ مُهْجَتِي<sup>(١)</sup>  
 ٣٥٤- فَتَشَّتْ فَوْقَ وَتَحْتُ نَمَّ أَمَامَنَا  
 ٣٥٥- مَا دَلَّنِي أَحَدٌ عَلَيْهِ هُنَاكُمْ  
 ٣٥٦- إِلَّا طَوَائِفُ بِالْحَدِيثِ تَمَسَّكَتْ  
 ٣٥٧- قَالُوا الَّذِي تَبْغِيهِ فَوْقَ عِبَادِهِ  
 ٣٥٨- وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى  
 ٣٥٩- وَإِلَيْهِ يَضَعُ كُلُّ قَوْلٍ طَيْبٍ  
 ٣٦٠- وَالرُّوحُ وَالْأَمَلَاكُ مِنْهُ تَنْزَلَتْ  
 ٣٦١- وَإِلَيْهِ أَيْدِي السَّائِلِينَ تَوَجَّهَتْ  
 ٣٦٢- وَإِلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ فَقَدَّرَتْ
- هَذَا وَزَادَ عَلَيْهِ فِي الْمِيزَانِ  
 هَذِي الْأَمَانِي هُنَّ شَرُّ أَمَانِي  
 وَبَذَلْتُ مَجْهُودِي وَقَدْ أَعْيَانِي  
 وَوَرَاءُ نَمَّ يَسَارُ مَعَ أَيَّامِنِ  
 كَلًّا وَلَا بَشْرٌ إِلَيْهِ هَدَانِي  
 تُعْزِي مَذَاهِبَهَا<sup>(٢)</sup> إِلَى الْقُرْآنِ  
 فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ  
 لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ  
 وَإِلَيْهِ يُرْفَعُ سَعْيِي ذِي الشُّكْرَانِ  
 وَإِلَيْهِ تَعْرُجُ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ  
 نَحْوَ الْعُلُوِّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ  
 مِنْ قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ قَوْسَانِ

(١) في نسخة الحلبي: «وكل مطيتي».

(٢) في نسخة الإفتاء: «مذاهبنا».

- ٣٦٣- وَإِلَيْهِ قَدْ رُفِعَ الْمَسِيحُ حَقِيقَةً  
 ٣٦٤- وَإِلَيْهِ تَضَعُدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ<sup>(١)</sup>  
 ٣٦٥- وَإِلَيْهِ آمَالُ الْعِبَادِ تَوَجَّهَتْ  
 ٣٦٦- بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي لَمْ يُفْطَرُوا  
 ٣٦٧- وَنَظِيرٌ هَذَا أَنَّهُمْ فُطِرُوا عَلَى  
 ٣٦٨- لَكِنْ أُولُو التَّعْطِيلِ مِنْهُمْ أَصْبَحُوا  
 ٣٦٩- فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ رُفْقَتِي وَأَحِبَّتِي  
 ٣٧٠- مَنْ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُقَالُ لَهُمْ فَقَدْ  
 ٣٧١- وَلَهُمْ عَلَيْنَا صَوْلَةٌ مَا صَالَهَا  
 ٣٧٢- أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُمْ وَكَلَامَهُمْ  
 ٣٧٣- جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَأَتَيْتُمْ  
 ٣٧٤- جَاءُوكُمْ بِالْوَحْيِ لَكِنْ جِئْتُمْ
- وَلَسَوْفَ يَنْزِلُ كَمَا يُرَى بَعِيَانٍ  
 عِنْدَ الْمَمَاتِ فَتَشْنِي بِأَمَانٍ  
 نَحْوَ الْعُلُوبِ بِلَا تَوَاصِي ثَانٍ  
 إِلَّا عَلَيْهَا الْخَلْقُ وَالثَّقَلَانِ  
 إِفْرَارِهِمْ، لَا شَكَّ بِالذِّيَّانِ  
 مَرَضَى بِدَاءِ الْجَهْلِ وَالْخِذْلَانِ  
 أَصْحَابَ جَهَمٍ حِزْبَ جِنَكِزْخَانَ  
 جَاءُوا بِأَمْرِ مَالِي الْأَذَانَ  
 ذُو بَاطِلٍ، بَلْ صَاحِبُ الْبُرْهَانَ  
 مِثْلَ الصَّوَاعِقِ لَيْسَ ذَا لِحْبَانَ  
 مِنْ تَحْتِهِمْ، مَا أَنْتُمْ سِيَّانِ  
 بِنُحَاتَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانَ

### الشرح

فهؤلاء فريق من الرفقاء خرجوا في سفر، ثم اختلفوا في مفترق الطرق، فكل إنسان سلك طريقاً، أو كل طائفة سلكت طريقاً، وسبق الكلام على عدة منهم.

(١) في نسخة برلين: «كل روح مُصَدِّق».

يقول - رحمه الله -:

٣٥١- وَأَتَى فَرِيقٌ نُمَّ قَارَبَ وَصَفُهُ هَذَا وَزَادَ عَلَيْهِ فِي الْمِيزَانِ

يعني: أنه قارب الذي قبله، لكنه زاد عليه.

٣٥٢- قَالَ: اسْمَعُوا يَا قَوْمٍ لَا تُلْهِيَكُمُ هَذِي الْأَمَانِي هُنَّ شَرُّ أَمَانِي

قَوْلُهُ: «الأماني» أي: ما يتمناه الإنسان، لكنه لا يصل إليه، ولذلك يُقال: (مَنْ غَرَّتْهُ الْأَمَانِي لَمْ يَفْزُ بِأَمَانٍ).

فالإنسان تمكبه نفسه الشيء المستحيل، ولكنه يتبع هذه الأمنية فيهلك، والواجب على الإنسان أن يحكم العقل فيما يليق به الشيطان، أو نفسه الأمارة بالسوء على قلبه، حتى يكون مستقيماً في سلوكه إلى الله عز وجل.

٣٥٣- أَنْعَبْتُ رَاحِلَتِي وَكَلَّتْ مُهْجَتِي وَبَدَلْتُ مَجْهُودِي وَقَدْ أَعْيَانِي

يعني: أتعب راحلته في السفر، وطلب الوصول إلى فاطر الأكوان عز وجل.

قَوْلُهُ: «وَبَدَلْتُ مَجْهُودِي وَقَدْ أَعْيَانِي» يعني: بذلت طاقتي.

قَوْلُهُ: «وَقَدْ أَعْيَانِي» يعني: أتعبني السفر والطلب لفاطر الأكوان.

٣٥٤- فَتَشْتُ فَوْقُ وَتَحْتُ نُمَّ أَمَانَا وَوَرَاءُ نُمَّ يَسَارُ مَعَ أَيَّامَانِ

يعني: فتشت في كل الجهات أطلب هذا الرب، أو أطلب من يدلني على هذا الرب.

٣٥٥- مَا دَلَّنِي أَحَدٌ عَلَيْهِ هُنَاكُمْ كَلًّا وَلَا بَشَرٌ إِلَيْهِ هَدَانِي

٣٥٦- إِلَّا طَوَائِفُ بِالْحَدِيثِ تَمَسَّكَتْ تُعْزِي مَذَاهِبُهَا إِلَى الْقُرْآنِ

الآن أقرّ هذا الرجل أنه طاف بالأرض، وسار، وتعب، وأعياء، يطلبُ خالقَ الأكوان، ولم يدكّه عليه إلا طوائفُ بالحديث تمسّكت، وهم أهل السنّة والجماعة، حيث دّلوه على الله عزّ وجلّ حقًا، وهدّوه إليه، وبيّنوا أنه -سبحانه وتعالى- فوق السموات العلى.

قوله: «تُعزّي مذهبها إلى القرآن»، لأنهم هم أهل القرآن وأهل السنّة.

٣٥٧- قالوا الذي تبغيه فوق عبادِهِ فوق السّماءِ وفوق كلّ مكانٍ

قوله: «فوق السّماءِ وفوق كلّ مكانٍ» هنا أقرّوا بعُلوّ الله عزّ وجلّ وهو محكّ بين أهل التعطيل والتمثيل، وبين أهل السنّة والجماعة، ولهذا كثيرًا ما تحصل المناظرة في مسألة العلوّ والاستواء، كالكلام، فقال: إنهم دّلوه بأنّ الله فوق العباد، وفوق السّماء، وفوق كلّ مكان.

واستدلّ المؤلف على عُلُوّ الله تعالى بعدّة أدلة، نأخذها واحدًا واحدًا.

قال -رحمه الله-:

٣٥٨- وهو الذي حقًا على العرشِ استوى لكنّه استوى على الأكوان

قوله: «وهو الذي حقًا على العرشِ استوى» قد دلّ على ذلك الكتابُ والسنّة، وإجماعُ السلف.

ففي الكتاب: ذكر الله الاستواء على العرش في سبعة مواضع، منها قوله

تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾

[الأعراف: ٥٤].

وقد سردها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في كتابه (العقيدة

الواسطية<sup>(١)</sup>، فهو سبحانه استوى على العرش، وأما (استولى) فلا تأتي على العرش، لكنها تأتي على الأكوان، فاستولى على الأكوان يعني: مَلَكَ الأكوانَ كُلَّهَا قبل خَلْق السموات والأرض، ولهذا يُقال: (على العرش استوى، وعلى الملوك استولى).

فإذا قال قائل: ما معنى: استوى على العرش؟

فالجواب: استوى على العرش بمعنى علا على العرش علواً خاصاً، ليس العلو المطلق على جميع المخلوقات، بل هو علوٌ خاص اختصَّ به العرش، ويدلُّ لهذا أنه عُدِّي بـ (على) الدالة على العلو.

ولقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الظُّلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣] أي: تركبوا عليها، وتعلوا عليها ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣] أي: إذا استقررتم عليه تذكرون نعمة الله أن يسرَّ لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

إِذْنُ نحن نؤمن بأنَّ معنى (استوى على العرش) يعني: علا عليه، لكن هل هذا العلو يشبه علو الإنسان على السرير، أو على الفلك، أو على الدابة؟

الجواب: لا، لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] واستواؤنا على السرير، وعلى الفلك، وعلى الأنعام استواء افتقار، بدليل أنه لو سُحِبَتْ مِن تَحْتِنَا لَسَقَطْنَا، أما استواء الله على العرش، فهو استواء سلطان وتماثل ملك وعظمة، وليس لافتقاره إلى العرش، بل العرش وكلُّ المخلوقات مفتقرةٌ إلى ربِّها عزَّ وجلَّ، وهو غنيٌّ عنها.

(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص: ٧٠).

أَمَّا أَهْلَ التَّعْطِيلِ فَقَالُوا: اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوْلَى، فَأَنْكَرُوا صِفَةَ الْعِظْمَةِ وَالسُّلْطَانَ، وَحَوَّلُوهَا إِلَى مَعْنَى دُونَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ.

وقولهم هذا باطل لِوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا:

■ أَوَّلًا: لَمْ يَأْتِ فِي اللُّغَةِ أَنَّ (اسْتَوَى) بِمَعْنَى (اسْتَوْلَى)، فَهَذِهِ لُغَةُ الْعَرَبِ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَلَمْ يَأْتِ (اسْتَوَى عَلَى كَذَا) بِمَعْنَى (اسْتَوْلَى عَلَيْهِ)، وَالْقُرْآنُ نَزَلَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

■ ثَانِيًا: أَنَّهُ خِلَافُ إِجْمَاعِ السُّلْفِ، فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ السُّلْفِ (الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَثَمَةَ مِنْ بَعْدِهِمْ): إِنْ (اسْتَوَى) بِمَعْنَى (اسْتَوْلَى)، فَتَفْسِيرُهُ بِذَلِكَ خُرُوجٌ عَنِ الْإِجْمَاعِ، وَدَاخِلٌ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

■ ثَالِثًا: أَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ لَوَازِمُ بَاطِلَةٌ، مِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا كَانَ (اسْتَوَى) بِمَعْنَى (اسْتَوْلَى) لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُلْكُ الْعَرْشِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِغَيْرِ اللَّهِ، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ [الأعراف: ٤٥] أَي: بَعْدَ خَلْقِهَا، لِأَنَّ الْاسْتَوَاءَ الْمَذْكُورَ أَتَى بِ (ثُمَّ)، فَيَكُونُ مُلْكُ الْعَرْشِ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ الْمَالِكُ إِذَنْ؟!

وربما يقول قائل أيضًا: قولكم: (استولى على الأكوان) كأنَّ آخَرَ كَانَ مُسْتَوْلِيًا عَلَيْهَا؟

فالجواب: لا، فهذه لو جاءت بما يقتضي التعقيب كان لا بأس، وابن القيم هنا قال: استولى على الأكوان بدون (ثُمَّ) فليس فيها محذور، أمَّا ابتداءً، فصحيحٌ أَنَّ اللَّهَ اسْتَوْلَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

لكن لو قال قائل: لِمَ لا نقول: إنه مالك في الأصل؟ نقول: إن ابن القيم اختار (استولى) لأجل أن يردَّ عليهم، لأنه إذا قال: (استوى) بمعنى (استولى) قلنا: يلزم عليه أيضًا أن يصحَّ أن نقول: إن الله استوى على الجبل، واستوى على الأرض، واستوى على البعير، واستوى على الفلك، واستوى على الوادي، لأنه مُستَوٍ على هذا.

ولا يمكن أن يقول بذلك أحد، ولذلك اختار ابن القيم كلمة (استولى) لِبَيِّنِ هؤُلاءِ الذين قالوا: استوى على العرش بمعنى استولى عليه أنهم أخطئوا، فإن الاستيلاء على كُلِّ شيء، ولذلك قال ابن القيم: «لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ» فأراد -رحمه الله- هنا بهذا الاستدراك أن يردَّ على هؤُلاءِ، كأنه يقول: إنكم ضللتهم، فالاستيلاء على جميع الأكوان، وأما الاستواء، فهو على العرش، أي: خاصٌّ بالعرش، فالله استولى على الأكوان حقيقة، فهو وَلِيُّهَا، وهي مِلْكُهُ بلا شك. وبذلك ليس في كلام ابن القيم محذور.

فالخاص أن كلمة (استولى) على الملك، أو (استولى) على الخلق، ليس فيها إشكال، والإشكال في تفسير (استوى) بـ (استولى).

وعلى ذلك فنحن لا نَمْنَعُ أنه استولى على العرش، فمن كمال الله تعالى أن يستوي على كُلِّ شيء.

فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ بَطْلَانَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ (استوى) بمعنى (استولى).

فإذا قال قائل: ألم يقل الشاعر<sup>(١)</sup>:

قَدِ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ      مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

(١) البيت للأخطل، كما في تاج العروس: سوو.

«بشر» يعني: بِشْرَ بَنِ مَرْوَانَ، مِنْ أَمْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ.

قلنا: قيل هذا، لكن مَنْ القائل؟ هل القائل عربيٌّ فصيحٌ يمكن أن يُحْتَجَّجَ بكلامه؟ الجواب: لا، فقائل هذا مجهول، لا يُعْلَمُ قائله، هذا هو الوجه الأول.

الوجه الثاني: ثُمَّ لو عُلِمَ فهو بعدَ تَغْيِيرِ اللِّسَانِ، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لما فتحو البلاد غير العربية تَغَيَّرَتْ أَلْسِنَتُهُمْ، كما تَغَيَّرَتْ أَلْسِنَتُنَا نحن الآن، نحن الآن نَخاطِبُ إِخْوَانَنَا مِنَ الْبَاكِسْتَانِيِّينَ وَالْهِنْدِيِّينَ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ: (لا أدري) تقول: (ما في معلوم)، فهم أَخَذُوا مِنْ لُغَتِنَا، وَأَخَذْنَا مِنْ لُغَتِهِمْ، كَذَلِكَ الْعَرَبُ الْفَصَحَاءُ لما فَتَحَتْ الْبِلَادُ تَأَثَّرُوا بِلُغَاتِ الْأَعَاجِمِ.

الوجه الثالث: نقول: على فرض أن الذي قاله عَرَبِيٌّ فَصِيحٌ قُحٌّ، فاستواؤه على العرش يمكن أن يُفَسَّرَ بمعنى استيلائه، ويمكن أن يُقال: استوى عليه أي: علا عليه عُلُوًّا مَعْنَوِيًّا، لِأَنَّهُ سَيَطْرُ عَلَيْهِ وَفَتْحَهُ، وَحَيْثُ لَا دَلِيلَ فِيهِ إِطْلَاقًا.

الوجه الرابع: ثم على فرض أن فيه دليلًا واضحًا فإنه لا يمكن أن يُقَابَلَ - فضلًا عن أن يعارض - الأدلة الواضحة في القرآن والسنة، وإجماع السلف على أن (استوى على العرش) يعني: (علا عليه).

فالأمر واضح - والله الحمد - ولا إشكال فيه أنه (استوى على العرش) أي: علا عليه عُلُوًّا خَاصًّا، ليس كالعلو المطلق على جميع المخلوقات.

قسم ثالث من الناس قال: استوى على العرش كاستواء الإنسان على السرير، وكاستواء الملك على عرش مملكته، وربما مَثَلٌ وَجَلَسَ مَتْرِبَعًا، أو ما أشبه ذلك، وهؤلاء المُمَثِّلَةُ، فَكُلٌّ مِنَ الْمُمَثِّلَةِ وَالْمَعْطَلَّةِ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ.

ونحن نقول: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى استوى على العرش أي: علا عليه عُلُوًّا خَاصًّا

يليق به -جلّ وعلا-، ولا نُكَيِّفه، فلا يجوز لنا أن نسأل عن الكيفية، لأنَّ الكيفيَّةَ مجهولة، ولا يمكن الوصول إلى معرفتها، فكيف نسأل عن شيء لا يمكن الوصول إليه، وما هذا إِلَّا تَنَطُّعٌ في الدِّين، وتَعَمُّقٌ فيه.

وقصة الإمام مالك -رحمه الله- مشهورة أنه سأله رجل وهو في المسجد النبوي قال له: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] كيف استوى؟

فأطرق مالك -رحمه الله- برأسه، وصار يتصبب عرقاً، ثم رفع رأسه وقال: «الاستواء معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ».

والمنقول عنه بلفظ: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ»<sup>(١)</sup>.

ثم استدلل المؤلف أيضاً على علوه عزَّ وجلَّ بقوله:

٣٥٩- وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ كُلُّ قَوْلٍ طَيِّبٍ وَإِلَيْهِ يُرْفَعُ سَعْيُ ذِي الشُّكْرَانِ

لقول الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] وهذه الآية من أدلة العلوِّ الذاتيِّ، وجه ذلك: قوله: (إليه) أي: إلى الله يصعد الكلم الطيب.

وهذا يدلُّ على علوه، ووجه الاستدلال: أنَّ الصعود يعني: الارتفاع، وتقول مثلاً لإنسان: اصعد إلى فلان في الدور الثاني، أي: ارتفع إليه.

قَوْلُهُ: «وَإِلَيْهِ يُرْفَعُ سَعْيُ ذِي الشُّكْرَانِ» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠].

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٥١٥)، عن الإمام مالك بإسناد جوده الحافظ في الفتح (٤٠٧/١٣).

٣٦٠- وَالرُّوحُ وَالْأَمْلاكُ مِنْهُ تَنَزَّلَتْ وَإِلَيْهِ تَعْرُجُ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

قَوْلُهُ: «وَالرُّوحُ وَالْأَمْلاكُ مِنْهُ تَنَزَّلَتْ» هذا مذكور في سورة القدر في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٤-٥] ونزولها لا يكون إلا من أعلى، وهذا نوع ثانٍ للدلالة على العلو، فعروج الأشياء إليه تدلُّ على علوه.

قَوْلُهُ: «وَإِلَيْهِ تَعْرُجُ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ»: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، فالنزول يدلُّ على علوه، والعروج إليه يدلُّ على علوه.

٣٦١- وَإِلَيْهِ أَيْدِي السَّائِلِينَ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ الْعُلُوِّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

أي إنسان يسأل الله تعالى فإنَّ يده تتوجه للأعلى بالفطرة، بدون دراسة، وبدون تعليم، فهذا دليلٌ فطري، فما قال قائلٌ قطُّ: (يا الله) إلا ورفع يديه إلى السماء، ولهذا استدل أبو العلاء الهمداني -رحمه الله-<sup>(١)</sup> على أبي المعالي الجويني الفطرة<sup>(٢)</sup>.

قال: ما تقول في هذا: ما قال عارفٌ قطُّ: (يا الله) إلا وجد في قلبه ضرورةً تطلب العلو؟ فبُهِتَ وجعل يضرب على رأسه ويقول: حَيْرَنِي الهمداني، حَيْرَنِي الهمداني، لأن هذا لا يمكن أن ينكره أحد.

(١) هو أبو العلاء الهمداني الحافظ العلامة المقرئ، شيخ الإسلام الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد ابن محمد بن سهل العطار شيخ همدان، مولده سنة ثمان وثمانين وأربعمئة، برع على حفاظ عصره في حفظ ما يتعلق بالحديث من الأنساب والتواريخ والأسماء والكنى والقصص والسير، مات أبو العلاء في جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمئة. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ (٤/٨٠).

(٢) انظر: العلو للعلي الغفار (١/١٩٢).

قَوْلُهُ: «نَحَوَ الْعُلُوَّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ» أي: بدون تعلّم وبدون تدبّر، فمن حين ما يبتهل الإنسان إلى رَبِّهِ يرفع يديه نحو السماء.

٣٦٢- وَإِلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ فَقُدِّرَتْ مِنْ قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ قَوْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ» هذا مثل الأول، فتعرج الأشياء إليه لأنه فوق.

وهذا العروج كان ليلة المعراج، وكان ذلك في مكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل: بسنة.

وسبب هذا الاختلاف المتباين أنهم لم يكونوا يستعملون التاريخ من قبل، فالتاريخ لم يُسْتَعْمَلْ ويثبت في الدولة الإسلامية إلا في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلذا حصل هذا الاختلاف، فيكون مثلاً قد تقدّم المعراج، ولم يطلع عليه أحد، ثم اطلع عليه بعد سنتين، وقال: إنه كان قبل الهجرة بسنة.

وقد عَرَجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ بجسده وروحه إلى السموات السبع، وأُسْرِيَ به إلى المسجد الأقصى، فهنا إسرائ، وهنا معراج، وكلاهما في ليلة واحدة.

قَوْلُهُ: «فَقُدِّرَتْ مِنْ قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ قَوْسَانِ» يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿ [النجم: ٨-٩] هذا كلامه هنا، وهو أحد القولين في هذه الآية، لكن كلامه في (التبيان في أقسام القرآن)<sup>(١)</sup> يخالف ذلك، حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿ [النجم: ٨-٩] أن الذي دنا فتدلى هو جبريل وقرب من النبي ﷺ، حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وليس الله عز وجل وهذا هو الصواب.

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٥٦).

ولكن المؤلف -كغيره من المجتهدين- يكون له في المسألة قولان أو أكثر، وهذه من مسائل الأصول التي اختلف فيها السلف -رحمهم الله-.

لكننا لا نشك أن النبي ﷺ عُرِجَ به إلى مكان سَمِعَ فيه صَرِيْفَ الأَقْلَامِ، أي: الأَقْلَامِ التي يُكْتَبُ بها، وصريفها يعني: صوتها عند الكتابة.

٣٦٣- وَإِلَيْهِ قَدْ رُفِعَ الْمَسِيحُ حَقِيقَةً وَلَسَوْفَ يَنْزِلُ كَيْ يُرَى بِعِيَانٍ  
هذا أيضًا من النوع الأول، وهو رفع الأشياء إليه.

فالمسيح ابن مريم -عليه السلام- تمالأ عليه قوم من اليهود ليقتلوه، فدخلوا عليه، فرفعه الله عز وجل بجسده، وألقى شبهه على واحد من هؤلاء الذين جاءوا ليقتلوه، فأمسكوا به، فقال لهم: أنا صاحبكم، قالوا: أبدأ، أنت المسيح، فقتلوه وصلبوه، وقالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] فالآية مؤكدة بنفي، ثم بنفي آخر، ثم توكيد بكلمة (يقينًا).

والعجب أن النصارى من سفههم وضلالهم يقولون: إنه مقتول، ويدعون أنه صلب وفدى بنفسه جميع الناس، وهذا من سفههم وضلالهم.

المهم أن المسيح ابن مريم -عليه السلام- رُفِعَ إلى الله حقيقة لا مجازًا، وسوف ينزل في آخر الزمان، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

(١) كما في حديث النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُّقْسَطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَنْفِضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ». أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، رقم (٢١٠٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، رقم (٢٣٤٤).

فإن قال قائل: هذه المدة الطويلة من أين يأكل، ومن أين يشرب؟  
فالجواب: إن طُلبَ منك أن تشتري له خبزًا وأدماً فاشتر، وإن لم يُطلب  
فصمَّ فمك، وأعرض عن هذا الكلام، وهذا إيراد سخيف!

فإن قال قائل: يكون عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام - أفضل  
الصحابة، لأنه نبيُّ، وقد اجتمع به النبيُّ ﷺ في السماء، فيكون أفضل الأمة.

فالجواب أن نقول: إذن قولوا: جميع الأنبياء الذين اجتمع بهم الرسول ﷺ  
صحابة، لأنه اجتمع بهم، وشهدوا له بالنبوة والصلاح، ولا يمكنهم أن يدَّعوا  
ذلك، وذلك أن أخبار الغيب لا يمكن أن تُعطى أحكام الشهادة.

وقد أجمع المسلمون على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر الصديق  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أهُمَّ في غفلة عن هذه الحذَلقة، أو هذا التعمُّق؟! ليسوا والله في غفلة، هم  
أشدَّ انتباهًا من هؤلاء الذين ادَّعوا هذه الدعوى الباطلة، بل أفضل هذه الأمة هو  
الصديق: عبد الله بن عثمان أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ عليّ رضي الله عنهم.

قوله: «وَلَسَوْفَ يَنْزِلُ كَيْ يَرَى بَعِيَانٍ» متى ينزل؟

الجواب: ينزل بأمر الله على كُلِّ حال، وذلك فيما إذا عاث الدجال في  
الأرض فسادًا، لأنَّ الدجال يبقى في الأرض أربعين يومًا، أول يوم قدره كسنة،  
والثاني كشهرا، والثالث كأسبوع، والرابع كسائر الأيام<sup>(١)</sup>.

ولقد ضلَّ قوم قالوا: إنَّ أول يوم ليس كسنة في الطول، لكن في المشقة  
والمعاناة، وإلا فالشمس لا يمكن أن تتغير، فالشمس دورانها واحد.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

وهؤلاء ليس عندهم إيمانٌ بالله عزَّ وجلَّ، لأننا نقول: مَنْ الذي خلق الشمسَ؟ الجواب: الله عزَّ وجلَّ، مَنْ الذي سَيَّرَهَا على هذا الزمن؟ الجواب: الله عزَّ وجلَّ، أليس الخالق الذي سَيَّرَهَا على هذا الزمن بقادر على أن يمنع سيرها؟ الجواب: بلى والله، لكن لما نقص إيمانهم، وعجزت عقولهم عن إدراك ما أخبر به النَّبِيُّ ﷺ قالوا هذه الدعوى.

ويدلُّ لهذا أنَّ مَنْ هُمْ أفضل منهم، وأصحَّ عقولاً، وأقوى فهماً فهموا أن الطولَ طولَ زمن، وليس طولَ مَشَقَّة، فقالوا: يا رسول الله، هذا اليوم الذي كَسَنَهُ هل تكفينا فيه صلاةً يوم واحد؟ قال: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»<sup>(١)</sup>. فأقرَّهم النَّبِيُّ ﷺ على فَهْمِهِمْ، وأزال عنهم الإشكالَ بأنَّ هذا اليوم الطويل الذي قَدْرُهُ اثنا عشر شهراً يُصَلِّي فيه صلاة اثني عشر شهراً.

٣٦٤- وَإِلَيْهِ تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ عِنْدَ الْمَمَاتِ فَتَنْشِي بِأَمَانٍ قَوْلُهُ: «بِأَمَانٍ» أَي: إِلَى اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ» أَي: كُلُّ مُؤْمِنٍ، فَتَخْرِقُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ تُعَادَ إِلَى الْأَرْضِ إِلَى جَسَدِهَا الَّذِي كَانَتْ تَعْمُرُهُ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: «فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»<sup>(٢)</sup>.

تأمل - سبحانه الله - شأن الروح، فهو عجيب جداً، وشأن الملائكة أيضاً

(١) هو بقية الحديث السابق.

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٧/٤، رقم ١٨٥٥٧)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣) واللفظ لأحمد.

عجيب، في هذه اللحظات التي يُغَسَّل فيها الميت، وَيُكْفَنُ وَيُدْفَنُ تصعد الروح إلى أعلى شيء، فتحرق السموات، وتمر بالملائكة، وَيَشْمُون رائحتها الطيبة، ثم تعود حتى تكون في جسدها في القبر، وهذا مما يدل على أن الأرواح والملائكة لها شأن غير شأن هذه الأجسام الثقيلة.

٣٦٥- وَإِلَيْهِ آمَالُ الْعِبَادِ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ الْعُلُوِّ بِلَا تَوَاصِي ثَانٍ قَوْلُهُ: «وَإِلَيْهِ آمَالُ الْعِبَادِ تَوَجَّهَتْ» هذا من النوع الثالث، وهو الفطرة، ولهذا قال بعد ذلك: (بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ).

فكُلُّ الْعِبَادِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ تَجِدُ قُلُوبَهُمْ مَعْلَقَةً بِالْعُلُوِّ، وهذا بدون أي قراءة وأي تلقين.

٣٦٦- بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي لَمْ يُفْطَرُوا إِلَّا عَلَيْهَا الْخَلْقُ وَالْثَقْلَانِ قَوْلُهُ - رحمه الله - : «بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ» أي: بل هي فطرة الله.

والفطرة هي أول الخلق كما قال عز وجل: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] وقال النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: «الْخَلْقُ» بدل من نائب الفاعل، وهو الواو في (يفطروا)، ويجوز أن تكون من لغة (أكلوني البراغيث)، وبعض الناس يُعَبَّرُ عن ذلك فيقول: (أكلوه البراغيث)، لكن لا حرج أن تقول: (أكلوني البراغيث)، لأنه مثال قاله عربيٌّ فَتَحَكِي قَوْلَهُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٨٥)، مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٥٨).

٣٦٧- وَنَظِيرُ هَذَا أَنَّهُمْ فُطِرُوا عَلَى إِقْرَارِهِمْ، لَا شَكَّ بِالِدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَظِيرُ هَذَا» أَي: نظير إقرارهم بعلوّ الله إقراراً فطرياً أَنَّهُمْ أَقَرُّوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَقْتَضَى الْفِطْرَةِ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَعْرِفُ أَنَّ لَهُ رَبًّا، وَأَنَّ لَهُ إِلَهًا، لَكِنْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِيهِ أَوْ يَنْصَرَانِيهِ أَوْ يَمَجَّسَانِيهِ»<sup>(١)</sup>.

٣٦٨- لَكِنْ أَوْلُو التَّعْطِيلِ مِنْهُمْ أَصْبَحُوا مَرْضَى بِدَاءِ الْجَهْلِ وَالْخِذْلَانِ

يشير إلى أن أهل التعطيل الذين سبق ذكْرهم، هؤلاء -والعياذ بالله- أصبحوا مرضى بداء الجهل والخذلان.

٣٦٩- فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ رُفْقَتِي وَأَحِبَّتِي أَصْحَابَ جَهْمٍ حِزْبَ جِنَكِزْخَانَ<sup>(٢)</sup>

هذا الرجل كأنه في أول الأمر من الجهمية ثم دُلَّ على أهل الحديث.

٣٧٠- مَنْ هُوَ لَاءٍ وَمَنْ يُقَالُ لَهُمْ فَقَدْ جَاءُوا بِأَمْرِ مَالِي الْأَذَانِ

قَوْلُهُ: «مَالِي الْأَذَانِ» يَعْنِي: أَنَّ الْأَذَانَ لَا تَسْمَعُ لغيره، لأنها امتلأت

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم (١٣٥٨). ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم (٢٦٥٨).

(٢) جنكزخان: السلطان الأعظم للتر أبو ملوكهم ولد سنة (٥٥٨هـ)، وكان ابتداء ملكه سنة (٥٩٩هـ)، وحصل من جيوشه من الفساد والدمار لبلاد المسلمين ما يشيب له المولود، ويتحير منه الحليم، وهلك سنة (٦٢٤هـ) عن ٦٦ سنة بعد أن خلف امبراطورية كبيرة حيث تمت له السيطرة على شمال الصين سنة (٦١٠هـ) والاستيلاء على تركستان وإيران وروسيا حتى وصلت سيطرته إلى الخليج العربي، وغزا ابنه أوروبا حتى وصل ألمانيا والمجر سنة (٦٣٩هـ)، وأسس حفيده الامبراطورية المغولية في الصين، واتخذ بكين عاصمة له، وكان المغول وثنيين ثم إن بعضهم دخل في الإسلام وأسسوا الامبراطورية المغولية الإسلامية في الهند، ومنغوليا التي ظهر منه التتر إقليم في شرق آسيا يقع بين سيبيريا والصين. [الشارح].

واقنعت، ولا يمكن أن يدخلها شيء آخر سواه.

٣٧١- وَلَهُمْ عَلَيْنَا صَوْلَةٌ مَا صَالَهَا دُو بَاطِلٍ، بَلْ صَاحِبُ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «لَهُمْ عَلَيْنَا» أي: لأهل الحديث صولة عظيمة، ما صالها أحدٌ إلا صاحب البرهان، فإنه يصول ببرهانه ودليله.

٣٧٢- أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُمْ وَكَلَامَهُمْ مِثْلَ الصَّوَاعِقِ لَيْسَ ذَا لِحَبَانِ

يعني أن قولهم لا يمكن دفعه، وقولهم قاضي على كل ما يقوله أهل التعطيل.

وهذا الذي ذكره ابن القيم - رحمه الله - على هذه الصفة من باب التمثيل، لأن التمثيل بمثل هذه الأمور الحسنة للأمور المعنوية يُعطي الكلام جمالاً.

٣٧٣- جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ، مَا أَنْتُمْ سَيِّئَانِ

أيها أبلغ: أن يأتيك الإنسان من فوق، أو من تحت؟ الجواب: من فوق، ولهذا إذا جاء العدو من فوق سيطر عليك بلا شك، وفرقٌ عظيم بين أن يرميك من أعلى الجبل، وأنت ترميه من أسفل.

فيقول: إن هؤلاء أتوكم من فوق، وأنتم أتيتوهم من تحت، فما هذان سيئين

٣٧٤- جَاءُوكُمْ بِالْوَحْيِ لَكِنْ جِئْتُمْ بِنَحَائَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ

وأيها أبلغ؟ الجواب: من جاء بالوحي.

\*\*\*

- ٣٧٥- قَالُوا مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ فَلَا تَسْمَعُ مَقَالَ مُجَسِّمِ حَيَّوَانٍ  
 ٣٧٦- وَالْعَنَّهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا<sup>(١)</sup> وَاعْزُهُمْ  
 ٣٧٧- وَاحْكُم بِسَفْكِ دِمَائِهِمْ وَبِحَبْسِهِمْ  
 ٣٧٨- حَذْرُ صِحَابِكَ مِنْهُمْ فَهُمْ أَضَلُّ  
 ٣٧٩- وَاحْذَرُ مُجَادِلَهُمْ بِقَالَ اللَّهِ أَوْ  
 ٣٨٠- أَنَّى وَهُمْ أَوْلَى بِهِ قَدْ أَنْفَذُوا  
 ٣٨١- فَإِذَا ابْتُلَيْتَ بِهِمْ فَغَالِطُهُمْ عَلَى التَّ  
 ٣٨٢- وَكَذَلِكَ غَالِطُهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ لِلدَّ

### الشرح

- ٣٧٥- قَالُوا مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ فَلَا تَسْمَعُ مَقَالَ مُجَسِّمِ حَيَّوَانٍ  
 قَوْلُهُ: «قَالُوا: مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ» الْقَائِلُ أَهْلُ التَّعْطِيلِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، فَهُمْ يَقُولُونَ عَنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ: إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ، مُشَبَّهَةٌ، لِأَنَّهُمْ أَثْبَتُوا الصِّفَاتِ، وَادَّعَى هَؤُلَاءِ الْمَعْطَلَةَ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً فَقَدْ مَثَّلَهُ بِخَلْقِهِ إِذَا كَانَ لِلْمَخْلُوقِ مِثْلُهَا، هَكَذَا قَاعَدْتَهُمْ، وَقَالُوا: مُجَسَّمَةٌ، لِأَنَّهُ سَبَقَ لَنَا الْكَلَامُ فِي هَذَا، وَبَيَّنَّا أَنَّ التَّجْسِيمَ لَمْ يَرِدْ إِثْبَاتُهُ، وَلَا نَفْيُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنَّهُ حَادِثٌ، وَأَنَّ لَفْظَهُ لَا يَثْبُتُ، أَمَّا مَعْنَاهُ فَيُسْتَفْصَلُ فِيهِ.

(١) في نسخة برلين: «كثيراً».

قَوْلُهُ: «فَلَا تَسْمَعُ مَقَالَ مُجَسِّمِ حَيَوَانٍ» لا تسمع مقالته، فإنه حيوان، يعني كالبهائم.

وهذا خطأ، فهم المستحقون لهذا الوصف.

٣٧٦- وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا وَاعْزُهُمْ بِعَسَاكِرِ التَّعْطِيلِ غَيْرِ جَبَانٍ

هذا من شيم أهل التعطيل، وأهل البدعة أنهم يقابلون أهل السنة بالشتائم واللعنات، وأهل السنة لا يقابلونهم بهذا، أهل السنة لا تسمع لهم لعناً لأهل البدع، وإنما يقابلونهم بالأدلة الدالة على إثبات الحق وإبطال الباطل، أما هؤلاء فليس عندهم إلا الصياح، واللعن، والسب، والشتم.

قَوْلُهُ: «وَاعْزُهُمْ بِعَسَاكِرِ التَّعْطِيلِ» الذي يغزو بعساكر التعطيل مخذول على كل حال، وعساكر التعطيل هم أهل التعطيل جميعهم.

قَوْلُهُ: «غَيْرِ جَبَانٍ» يعني: كن غير جبان، هو يدعي الآن أنه بطل، وأنه شجاع، وأن معه أمماً، ولكن ما أسرع أن يُخَذَلَ.

٣٧٧- وَاحْكُمْ بِسَفْكِ دِمَائِهِمْ وَبِحَبْسِهِمْ أَوْ لَا فَشَرِّدْهُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ

ثم أمروا بهذا الحكم وهو (سَفْكِ دِمَائِهِمْ وَبِحَبْسِهِمْ أَوْ لَا فَشَرِّدْهُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ).

وهذا كما قال الله عز وجل عن قريش: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] هذا الشيء نفسه، فهم يطالبون بقتل أهل السنة، يعني: أهل الحديث، فهذا حكم، أو حبسهم، يعني: حبساً مؤبداً، وهذا حكم آخر.

والثالث: «أَوْ لَا» يعني: إن لم تحكم بهذا، ولا بهذا فشردهم عن الأوطان،

فهذا حُكْمٌ صَادِرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْجَهْمِ وَأَصْحَابِ جَنْكِزْخَانَ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ  
وَالْجَمَاعَةِ. نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

٣٧٨- حَدَّرَ صِحَابَكَ مِنْهُمْ فَهُمْ أَضَلُّ لُ مِنَ الْيَهُودِ وَعَابِدِي الصُّلْبَانَ

نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ! حَدَّرَ أَصْحَابَكَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، فَهُمْ أَضَلُّ مِنَ الْيَهُودِ  
وَالنَّصَارَى! وَالنَّصَارَى هُمُ عَابِدُو الصُّلْبَانَ، فَهُمْ يَقُولُونَ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ  
هَذَا، حَتَّى يُنْفَرُوا النَّاسَ مِنْهُمْ.

٣٧٩- وَأَحَدَرْتُ مُجَادِلَهُمْ بِقَالَ اللَّهُ أَوْ قَالَ الرَّسُولُ فَتَشْنِي بِهِ وَانِ

يعني: لا تستدلّ عليهم بقال الله وقال رسوله، لأنك لن تجد دليلاً، وسوف  
تكون مهزوماً، لأنّ معهم الكتاب والسُّنَّةَ، لكن نجادلهم بما يدعونه عقلاً بالهذيان  
الذي لا خير فيه.

أما أن تقول لهم: الدليل قول الله تعالى فسوف (تشنّي به وان)، يعني: تنهزم  
وتكون مغلوباً.

٣٨٠- أَنَى وَهُمْ أَوْلَى بِهِ قَدْ أَنْفَدُوا فِيهِ قُوى الْأَذْهَانَ وَالْأَبْدَانَ

قَوْلُهُ: «أَنَى» يعني: كيف تجادلهم بقال الله وقال الرسول ﷺ (وَهُمْ أَوْلَى بِهِ)  
يعني: كيف تجادلهم وهم أولى به منك؟! أولى بقال الله وقال رسوله صلى الله عليه  
وسلم.

قَوْلُهُ: «أَنْفَدُوا فِيهِ قُوى الْأَذْهَانَ وَالْأَبْدَانَ» قُوى الْأَبْدَانَ: يسهرون الليل،  
ويتعبون النهار في حفظ الحديث، والبحث فيه، وكذلك أيضاً قُوى الْأَذْهَانَ فِي  
التأمل - جزاهم الله خيراً - كيف تجادلهم بها وهم أولى بها منك!؟

٣٨١- فَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِهِمْ فَعَا لِطُهُمْ عَلَى التَّـ تَأْوِيلٍ لِلْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِهِمْ» أي: بأهل الحديث، يعني إذا قَدَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَجْلِسَ وَإِيَّاهُمْ فِي مَجْلِسٍ، فهذه على رأيه بَلْوَى، فماذا تصنع؟

يقول: «فَعَا لِطُهُمْ عَلَى التَّأْوِيلِ لِلْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ» يعني: قل: المرادُ بكذا كذا، المراد بـ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أي: جاء أمر ربك، والمراد بـ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] أي: يأتي أمر الله، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] وَيُسَبِّهُونَ وَيُلْبَسُونَ، فيقولون هذا الكلام، ويؤولون بحجة أن القرآن يُفَسَّرُ بعضه بعضًا، وأن الآية الأخيرة تُفَسَّرُ ما سبق.

فنقول: لو كان في الآية المذكورة إجمال، أو توجد احتمالات، لقلنا: القرآن يُفَسَّرُ بعضه بعضًا، لكن قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] هذه آية واضحة لا تحتاج إلى أن نحملها على الأخرى.

ويقال: هذا الذي ذكرتم إنما نحتاج إليه إذا كان في الآية إجمال فسرتة الآية الأخرى.

طبعًا ربما يصيحون في وجه الإنسان حتى ينهزم، ولكنهم مخذولون، والحمد لله على كُلِّ حال.

وَقَوْلُهُ: «فَعَا لِطُهُمْ عَلَى التَّأْوِيلِ لِلْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ» هذا واحد.

٣٨٢- وَكَذَلِكَ غَا لِطُهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ لِلْـ أَحَادٍ، ذَانٍ لِصَ حِبِنَا أَصْلَانِ

فصاروا يوصي بعضهم بعضًا بالمغالطة، إما بالتأويل إذا لم يمكنهم تكذيب النص، لأنهم لو جاءوا بآية، فلا تستطيع أن تكذبها، فما العمل، يقول: أوّل، وإذا جاءوا بحديث متواتر، فلا تستطيع أن تكذبهم أيضًا، ولذا فأوّل.

أو بالتكذيب إذا كان الخبرُ خبرَ آحاد، وقل: هذا كَذِب، ولذلك عند هؤلاء المتكلمين المعطّلة لا يُستدلُّ بأخبار الآحاد في العقائد مهما كانت صحّتها، فصار يَرُدُّ على أهل السنّة بالتأويل - إن لم يمكن التكذيب - وبالتكذيب إذا كان الخبرُ خبرَ آحادٍ، ويقول: هذان أصلان لأصحابنا. وبئس الأصلان.

لكن ما المراد بالتأويل هنا؟ الجواب: فيما نرى أن تأويل هؤلاء يعني: التحريف.

\*\*\*

- ٣٨٢- أَوْصَى بِهَا أَشْيَاخَنَا أَشْيَاخُهُمْ فَاحْفَظْهُمَا بِيَدَيْكَ وَالْأَسْنَانَ  
 ٣٨٤- وَإِذَا اجْتَمَعْتَ وَهُمْ بِمَشْهَدٍ مَجْلِسٍ فَأَبْدُرْ بِإِيرَادٍ وَشَغْلِ زَمَانٍ  
 ٣٨٥- لَا يَمْلِكُوهُ عَلَيْكَ بِالْأَنَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالتَّفْسِيرِ لِلْفُرْقَانِ  
 ٣٨٦- فَتَصِيرَ - إِنْ وَافَقَتْ - مِثْلَهُمْ، وَإِنْ عَارَضَتْ زَنْدِيقًا أَخَا كُفْرَانٍ  
 ٣٨٧- وَإِذَا سَكَتَ <sup>(١)</sup> يُقَالُ: هَذَا جَاهِلٌ فَأَبْدُرْ وَلَوْ بِالْفَشْرِ وَالْهَدْيَانِ  
 ٣٨٨- هَذَا الَّذِي أَوْصَى بِهِ أَشْيَاخَنَا فِي سَالِفِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ <sup>(٢)</sup>

### الشرح

- ٣٨٢- أَوْصَى بِهَا أَشْيَاخَنَا أَشْيَاخُهُمْ فَاحْفَظْهُمَا بِيَدَيْكَ وَالْأَسْنَانَ  
 قَوْلُهُ: «أَوْصَى بِهَا أَشْيَاخَنَا أَشْيَاخُهُمْ» أي: بهذين الأصلين، وهما: التأويل الذي هو تحريف، والتكذيب.

(١) في نسخة الإفتاء: «سئلت».

(٢) في نسخة الحلبي: هَذَا الَّذِي - وَاللَّهِ - أَوْصَانَا بِهِ أَشْيَاخُنَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «فَاخْفِظْهُمَا بِيَدَيْكَ وَالْأَسْنَانَ» يعني: أمسكهما باليدين وبالأسنان، لكي يكون الإمساك قويًا ثلاثيًا، قال النبي ﷺ في سنته: «تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»<sup>(١)</sup>. فهؤلاء أوصوا بالتمسك بما هم عليه من الباطل والعص عليه بالأسنان.

٣٨٤- وَإِذَا اجْتَمَعَتْ وَهُمْ بِمَشْهَدٍ مَجْلِسٍ فَأَبْدُرْ بِإِيرَادٍ وَشَغَلِ زَمَانَ

يعني: إذا اجتمعت في مجلس معهم بادر بآيرادات، لو قال قائل كذا فالجواب كذا، اشغل المجلس بهذه الإيرادات أو بـ(السواليف) كما يقول العوام، فلا تجعلهم هم الذين يبدوون، لأنهم إن بدؤوا فهي مشكلة، لكن ابدأ أنت بالتكلم، وهذا كما صنعه حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أرسله النبي ﷺ إلى الأحزاب ليسبر القوم، فوجد أبا سفيان ومن حوله وكأنهم خافوا، فقال أبو سفيان: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَن جَلِيسُهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَن أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ<sup>(٢)</sup>.

فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بادر، وهذه من السياسة، وهؤلاء أوصوا أصحابهم أن يبادروا بالكلام، حتى يسيطروا على المجلس.

٣٨٥- لَا يَمْلِكُوهُ عَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالْتَفْسِيرِ لِلْفُرْقَانِ

يعني: إن بدؤوا فسوف يبدوون بالآثار من الكتاب والسنة والأخبار والتفسير للفرقان.

(١) أخرجه أحمد (٣٧٣/٢٨)، رقم (١٧١٤٤)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، رقم (١٧٧٣).

٣٨٦- فَتَصِيرَ - إِنْ وَافَقْتَ - مِثْلَهُمْ، وَإِنْ عَارَضْتَ زَنْدِيقًا أَحَا كُفْرَانَ

صحيح، إذا بدؤوا بالكتاب والسنة، فإن وافقهم صار مثلهم مجسماً مشبهاً، وإن خالفهم، فهو كافرٌ زنديق عند أهل المجلس الآخرين، لأنه خالف الكتاب والسنة، فهذه سياسةٌ في باب المجادلة، أنك إذا اجتمعت مع شخص باطل فابدأ أنت، حتى يكون مقامه مقام مدافع، لا مقام مهاجم.

٣٨٧- وَإِذَا سَكَتَ يُقَالُ: هَذَا جَاهِلٌ فَابْدُرْ وَلَوْ بِالْفُشْرِ وَالْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا سَكَتَ» هذا هو الاحتمال الثالث.

الاحتمال الأول: أن يوافق، فيكون ممثلاً مجسماً.

الاحتمال الثاني: أن يعارض، فيكون زنديقاً ملحدًا.

الاحتمال الثالث: أن يسكت، وإن سكت قالوا: هذا جاهل.

قَوْلُهُ: «فَابْدُرْ» يعني: بادر أنت.

قَوْلُهُ: «وَلَوْ بِالْفُشْرِ وَالْهَدْيَانِ» الفشر يعني: الكذب.

وهذه وصايا لا شك أنها وصايا نافعة لو كانت في حق، أما إذا كانت في

باطل فهي باطلة.

٣٨٨- هَذَا الَّذِي أَوْصَى بِهِ أَشْيَاخُنَا فِي سَالِفِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ

فانظر إلى هذا الحزب كيف أوصوا أصحابهم بأن يكون الكلام له أولاً، فإن

ملكوه عليه فليحذر، لأنه لا تخلو حاله من الاحتمالات الثلاثة السابقة.

وَمَطِيَّتِي قَدْ آذَنْتِ بِحِرَانِ  
 مَا نَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ ذِي الْأَكْوَانِ  
 كَانَ الْمُجَسَّمُ صَاحِبَ الْبُرْهَانِ  
 كَانَ الْمُجَسَّمُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ  
 إِسْلَامٍ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ  
 لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ  
 وَأَخْلَعَ عِذَارَكَ وَارَمِ بِالْأَرْسَانِ  
 يَتَكَلَّمُ الرَّحْمَنُ بِالْقُرْآنِ  
 لَزِمَ التَّحِيُّزُ وَافْتِقَارُ مَكَانِ  
 حَرْفًا وَصَوْتًا كَانَ ذَا جُثْمَانِ  
 يَبْقَى عَلَى ذَا النَّفْيِ مِنْ إِيْمَانِ؟!  
 فَهَمَّا السَّيَاحُ لَهُمْ عَلَى الْبُسْتَانِ  
 قَدْ هَيَّيْتُ لَكَ سَائِرُ الْأَلْوَانِ  
 مِنْ كُلِّ مَا تَهْوَى بِهِ زَوْجَانِ  
 هَذَا الْوَرَى مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ  
 كَلَّا وَلَا تَهْيِي وَلَا فُرْقَانِ

٣٨٩- فَرَجَعْتُ مِنْ سَفَرِي، وَقُلْتُ لِصَاحِبِي  
 ٣٩٠- عَطَّلَ رِكَابَكَ وَاسْتَرَحَّ مِنْ سَيْرِهَا  
 ٣٩١- لَوْ كَانَ لِلْأَكْوَانِ رَبُّ خَالِقُ  
 ٣٩٢- أَوْ كَانَ رَبُّ بَائِنٌ عَنِ ذِي الْوَرَى  
 ٣٩٣- وَلَكَانَ عِنْدَ النَّاسِ أَوْلَى الْخَلْقِ بَالُ  
 ٣٩٤- وَلَكَانَ هَذَا الْحِزْبُ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ  
 ٣٩٥- فَدَعِ التَّكَالِيفَ الَّتِي حُمِّلْتَهَا  
 ٣٩٦- مَا نَمَّ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَمْ  
 ٣٩٧- لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ نَاطِرُ  
 ٣٩٨- لَوْ كَانَ ذَا الْقُرْآنُ عَيْنَ كَلَامِهِ  
 ٣٩٩- فَإِذَا انْتَفَى هَذَا وَهَذَا مَا الَّذِي  
 ٤٠٠- فَدَعِ الْحَلَالَ مَعَ الْحَرَامِ لِأَهْلِهِ  
 ٤٠١- فَاخْرِقْهُ ثُمَّ ادْخُلْ تَرَى فِي ضَمْنِهِ  
 ٤٠٢- وَتَرَى بِهِمَا مَا لَا يَرَاهُ مُحَجَّبُ  
 ٤٠٣- وَاقْطَعْ عِلَاقَتَكَ الَّتِي قَدْ قَيَّدَتْ  
 ٤٠٤- لِتَصِيرَ حُرًّا لَسْتَ تَحْتَ أَوْامِرِ

## الشرح

٣٨٩- فَرَجَعْتُ مِنْ سَفَرِي، وَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَمَطِيَّتِي قَدْ أَدْنَتْ بِحِرَانِ

قَوْلُهُ: «وَمَطِيَّتِي قَدْ أَدْنَتْ» يعني: أَعْلَمْتُ بِحِرَانِ، والحِرَانُ هو الوقوف من التعب والإعياء، بحيث لا تستطيع الدابة أن تمشي.

يقول:

٣٩٠- عَطَّلَ رِكَابَكَ وَاسْتَرَحَّ مِنْ سَيْرِهَا مَائِمَ شَيْءٍ غَيْرِ ذِي الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «عَطَّلَ رِكَابَكَ» هذا مقول القول في البيت السابق.

وهذا يريد -وهو صاحبُ غاشٍّ أشدَّ الغشِّ- من صاحبه أن يُنكر الرَّبَّ عزَّ وجلَّ، ويقول: لا يوجد ربُّ أصلاً، فلا توجد إلا هذه الأكوان، أرضٌ تَبْلَعُ، وأرحامٌ تدفع.

٣٩١- لَوْ كَانَ لِلْأَكْوَانِ رَبٌّ خَالِقٌ كَانَ الْمُجَسِّمُ صَاحِبَ الْبُرْهَانِ

يعني لو ثبت أن للخلق خالقاً، صار المُجَسِّمُ -وهو المُثَبِّت للصفات- هو صاحب البرهان، أي: صاحب الدليل. فهو يقول: لو كان هذا أمراً ثابتاً لكان الحقُّ مع أهل التجسيم، وأهل التجسيم هم أهل السُّنَّة والجماعة.

فنقول: الحمد لله، الإيمان بوجود الله عزَّ وجلَّ أمرٌ فطريٌّ، لا ينكره أحدٌ إلا مكابرةً، وبناءً على ذلك يكون الحقُّ مع المُثَبِّتة بإقرار هذا الزنديق.

٣٩٢- أَوْ كَانَ رَبُّ بَائِنٌ عَنِ الْوَرَى كَانَ الْمُجَسِّمُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «بَائِنٌ» يعني: أن الخالق شيءٌ والمخلوق شيءٌ آخر.

٣٩٣- وَلَكَانَ عِنْدَ النَّاسِ أَوْلَىٰ الْخَلْقِ بِإِدِّ إِسْلَامٍ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ  
والواقع أن هذا هو الحق، أن للعالم خالقاً، وأن له رباً بائناً من خلقه  
عزَّ وجلَّ، وأنَّ الحقَّ مع المُثَبِّتَةِ الَّذِينَ يُسَمِّيهِمْ هُوَ لَاءِ مُجَسِّمَةً.

٣٩٤- وَلَكَانَ هَذَا الْحِزْبُ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ  
ونقول: نعم، هو فوق رؤوسهم معنًى لا شك، وحسباً هو الأصل، فالأصل أن  
العاقبة للمتقين، وأنَّ أنصارَ الرحمن هم الأعلون، لكن قد يتخلف هذا، إما لفوات  
الشرط أو وجود مانع، أو لعقوبة يجعلها الله عزَّ وجلَّ لأعداء المسلمين تأديباً لهم.

٣٩٥- فَدَعِ التَّكَالِيفَ الَّتِي حُمِّلْتَهَا وَاخْلَعْ عِدَارَكَ وَارْمِ بِالْأَرْسَانِ  
قال في (القاموس)<sup>(١)</sup>: العِدَارُ مِنَ اللَّجَامِ: مَا سَالَ عَلَى خَدِّ الْفَرَسِ.

يقول: انسلخ من الإسلام ودع التكاليف (واخلع عذارك وارم بالأرسان)  
يعني: اخلع الرّسن الذي تقود به الحصان، وارم به بالأرض، وتمّ نومةً، لكنها  
نومة خزي، وليست نومة راحة.

٣٩٦- مَا تَمَّ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَمْ يَتَكَلَّمِ الرَّحْمَنُ بِالْقُرْآنِ  
هؤلاء نفاة الفوقية، ونفاة الكلام، مثل الجهمية ينكرون علو الله عزَّ وجلَّ،  
وينكرون أن يكون تكلم بالقرآن، بل خلق القرآن عندهم.

٣٩٧- لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبٌّ نَاطِرٌ لَزِمَ التَّحْيِيزُ وَافْتِقَارُ مَكَانِ  
قَوْلُهُ: «لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبٌّ نَاطِرٌ لَزِمَ التَّحْيِيزُ» نقول: هذا التحيز الذي

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة: عذر.

ألزمتهم به أهل السُّنَّة ماذا تعنون به؟ أتعنون به أنه مُنْحَازٌ عن المخلوقات، بائنٌ منها؟ فهذا حَقٌّ لا شك فيه، أم تعنون: أنه محصور بمخلوق؟ فهذا باطل، وهذا باعتبار المعنى.

أما باعتبار اللفظ فما مَوْقِفُنَا منه؟ القاعدة: لا تُثْبِتُ ولا تُنْفِي، ونؤمن بأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُنْحَازٌ عن المخلوقات، بائنٌ منها، وليس شيءٌ يحوزه من مخلوقاته.

٣٩٨- لَوْ كَانَ ذَا الْقُرْآنُ عَيْنَ كَلَامِهِ حَرْفًا وَصَوْتًا كَانَ ذَا جُثْمَانِ

الضمير في (كَانَ) يعود على الله، يعني: لو كان القرآنُ عينَ كلامِ الله حرفًا وصوتًا، لكان الله (ذا جُثْمَانِ)، وهو قريبٌ من قوله: (جِسْمِ)، وقد تَقَدَّمَ قولنا في الجِسْمِ.

٣٩٩- فَإِذَا انْتَفَى هَذَا وَهَذَا مَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى ذَا النَّفْسِ مِنْ إِيْمَانٍ؟!

إذا انتفى أن يكون فوق العرش، وأن يكون القرآنُ كلامه، فماذا يكون؟ الجواب: انتفتِ الربوبيةُ الحقُّ، وانتفى الوحيُّ والشرعُ، وصار الناس لا يعملون بشرع الله، لأنَّ القرآنَ لو كان مخلوقًا إنَّ نظرنا إلى الأصوات صارت هذه الأصوات كأنها زَجْرَةٌ الرَّعْدِ، خلق الله أصواتًا على هذا النحو.

وإن كان مكتوبًا صار كأنه نُقُوشٌ، لا يحتوي على أمرٍ، ولا نهيٍ، ولا خبرٍ، ولا استفهامٍ، ما دام أنه مخلوق، فيكون كخُلُقِ الثُّرَيَّا مثلاً، نجومٌ مجتمعة على شكلٍ مُعَيَّنٍ، كذلك نقول: هذه حروف مجتمعة على شكلٍ مُعَيَّنٍ، خلقها الله هكذا.

وإن كان مجرد أصوات مخلوقة، صار كأنه الرعد والصواعق، ولا يدلُّ على شيءٍ، ولذلك مَنْ قال: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، لزم منه إبطالُ الشريعة كلها، فلا يحتوي على أمرٍ ولا نهيٍ، ولا استفهامٍ، ولا خبرٍ.

٤٠٠- فَدَعَ الْحَلَالَ مَعَ الْحَرَامِ لِأَهْلِهِ فَهَمَّا السِّيَاحُ لَهُمْ عَلَى الْبُسْتَانِ

قَوْلُهُ: «دَعَ الْحَلَالَ مَعَ الْحَرَامِ» يعني: لا تَقُلْ: هذا حلال أفعله، وهذا حرام أتركه، ودَعَّهْمَا: أي: دَعُ الإلتزامَ بهما، افعلْ ما تشاء، وكنْ حُرًّا، لأنَّ التحليل والتحرير هو السِّيَاحُ، والسِّيَاحُ هو الذي يُجْعَلُ مِنْ شَبَكٍ، أو نحوه على البستان ليحميه من دُخُولِ أَحَدٍ عَلَيْهِ.

ومعلوم أنَّ الذي يحمي العقيدة هو العمل بالحلال، واجتناب الحرام، فالحلال والحرام عبارة عن حائط يحوط الإيَّانَ، ويمنعه من أن يناله سُوءٌ من الخارج، ولذلك تجدد الإنسان إذا ترك الحرام لله عزَّ وجلَّ يَقْوَى إِيَّانُهُ، وإذا فعل الواجب تَقَرَّبًا لله يَقْوَى إِيَّانُهُ، فهذه الحدود - كما سَمَّاهَا اللهُ حدودًا - تحفظ القلبَ، وكُلَّمَا كان هذا السِّيَاحُ أقوى كان الإيَّانُ أحفظَ.

ولهذا نقول: إنَّ الأعمالَ الصالحة بمنزلة المطر يسقي الشجر، وشجرة الإيَّان هي شجرةٌ في القلب، ولكن الأعمال الصالحة تُغَدِّبُهَا وتُنَمِّبُهَا، ولذلك كُتِبَ عَمَلُ الإنسان عملاً صالحًا على الوجه المطلوب منه يجد أنَّ إِيَّانَهُ يَقْوَى ويزداد، ويزداد قُرْبًا مِنْ اللهُ عزَّ وجلَّ، فالأعمال الصالحة كالمياه للأشجار.

٤٠١- فَاحْرِقْهُ ثُمَّ ادْخُلْ تَرَى فِي ضِمْنِهِ قَدْ هَيَّئْتُ لَكَ سَائِرَ الْأَلْوَانِ

يعني: احرق هذا السِّيَاحَ تجد كلَّ شيء أمامك مما تشتهيهِ نفسك من حلال وحرام، ومما تَهْوَى مِنْ زخارف الدنيا ولذَّاتِهَا التي ليس لها حدود.

وهذا انسلاخٌ مِنَ الْعَمَلِ، وما سبق انسلاخٌ مِنَ الْعَقِيدَةِ.

٤٠٢- وَتَرَىٰ بِهَآ مَا لَا يَرَاهُ مُحَجَّبٌ مِنْ كُلِّ مَا تَهْوَىٰ بِهِ زَوْجَانِ  
قَوْلُهُ: «زَوْجَانِ» أي: صِنْفَانِ.

محبوبٌ لذاته، ومحبوبٌ لغيره، أزواج من اللُّعب والشَّهواتِ.

٤٠٣- وَاقْطَعْ عَلائِقَكَ الَّتِي قَدْ قَيَّدَتْ هَذَا الْوَرَىٰ مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ  
٤٠٤- لِتَصِيرَ حُرًّا لَسْتَ تَحْتَ أَوْامِرٍ كَلًّا وَلَا تَهْيِي وَلَا فُرْقَانِ

وهذا واضح أنه دعوة للإلحاد والتَّحلُّل من كُلِّ شيء، وحينئذ يكون الذي انتحل هذا الوصف زنديقًا مُلحدًا، لا يعترف بربِّ، ولا بحلالٍ ولا بحرامٍ.

فانظر كيف جرَّ التعطيل الناس الأذكياء إلى أن يكفروا بالله، لأنَّ هؤلاء الأذكياء فلاسفةٌ كما يفهم من كلام المؤلف، فهم نظروا في مذهب أهل التعطيل، ووجدوه ليس بشيء، ونظروا في مذهب أهل السنَّة والجماعة ووجدوه -أيضًا على قول أهل التعطيل وتشويهم إيَّاه- غير صحيح أيضًا، فماذا قالوا؟

قالوا: لا نكون مع هؤلاء، ولا مع هؤلاء، إذن ازمِ بالأصلين، واترك كُلَّ شيء، ولا تُحلِّل شيئًا، ولا تُحرِّم شيئًا، وكن طليقًا.  
وهذا -والعياذ بالله- هو غاية الزندقة والجُحود.

وقَوْلُهُ: «لِتَصِيرَ حُرًّا» نقول: نعم هو حُرٌّ بالنسبة للشريعة، لكنه رقيق بالنسبة للشيطان، كما قال ابن القيم -رحمه الله- في هذه النونية:

هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ وَبُلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

فقَوْلُهُ: «هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ» هو عبادة الله.

فوالله ليس بحرٌّ مَنْ تحلَّلَ مِنَ الشريعة، بل هو في غايةِ مِنَ الرِّقِّ، فالحرُّ هو الذي لا يخضع لأحدٍ إِلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ.

\*\*\*

- ٤٠٥- لَكِنْ جَعَلْتَ حِجَابَ نَفْسِكَ إِذْ تَرَى فَوْقَ السَّمَاءِ لِلنَّاسِ مِنْ دِيَّانِ  
 ٤٠٦- لَوْ قُلْتَ: مَا فَوْقَ السَّمَاءِ مُدَبَّرٌ وَالْعَرْشَ تُخْلِيهِ مِنَ الرَّحْمَنِ  
 ٤٠٧- وَاللَّهُ لَيْسَ مُكَلَّمًا لِعِبَادِهِ كَلًّا وَلَا مُتَكَلِّمًا بِقُرَّانِ  
 ٤٠٨- مَا قَالَ قَطُّ وَلَا يَقُولُ وَلَا لَهُ قَوْلٌ بَدَا مِنْهُ إِلَى إِنْسَانِ  
 ٤٠٩- لَحَلَلْتَ طَلْسَمَهُ<sup>(١)</sup> وَفَزَتَ بِكَنْزِهِ وَعَلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ فِي هَذِيانِ

### الشرح

- ٤٠٥- لَكِنْ جَعَلْتَ حِجَابَ نَفْسِكَ إِذْ تَرَى فَوْقَ السَّمَاءِ لِلنَّاسِ مِنْ دِيَّانِ  
 يعني: أنك جعلت الحجاب لنفسك عن الحرية أن ترى فوق السماء إلهاً يدين الناس له، ويتعبّدون له.  
 فد(الديان) هنا (فعّال) بمعنى دائن، يعني: هو الذي يجازي عباده، لأنّ الديان بمعنى المجازي لعباده بما يستحقّون.  
 ٤٠٦- لَوْ قُلْتَ: مَا فَوْقَ السَّمَاءِ مُدَبَّرٌ وَالْعَرْشَ تُخْلِيهِ مِنَ الرَّحْمَنِ  
 ٤٠٧- وَاللَّهُ لَيْسَ مُكَلَّمًا لِعِبَادِهِ كَلًّا وَلَا مُتَكَلِّمًا بِقُرَّانِ

(١) في نسخة الحبي: «حِلْسَمًا».

٤٠٨- مَا قَالَ قَطُّ وَلَا يَقُولُ وَلَا لَهُ قَوْلٌ بَدَأَ مِنْهُ إِلَىٰ إِنْسَانٍ

٤٠٩- لَحَلَّتْ طَلْسَمَهُ وَفُزَتْ بِكَنْزِهِ وَعَلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ فِي هَدْيَانٍ

يعني: لو قلت هذا القول، وأنكرت هذا الإنكار لحُزَّتْ على الصواب، وحللت الطَّلْسَمَ المُعَقَّدَ الذي لا يُدْرَى ما الحق فيه، فلا ندري هل الحق مع أهل السنة الذين يُسَمِّيهم أهل التعطيل مُجَسِّمَةً، أو مع أهل التعطيل؟ فنحن في حيرة.

إِذَنْ أَنْكِرْ، وكما يقول العوام: (لا نعرف شيئاً، فاطوهِ) فنحن ما خُلِقْنَا إِلَّا لنتمتع، وما هي إِلَّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، نسأل الله العافية.

يعني: لو اعتقدت هذه العقيدة الحق لكنت مُكَبَّلًا، فإذا تَخَلَّيْتَ منها حينئذ عَرَفْتَ حِكْمَةَ الخَلْقِ، وأسرار الخلق، وأنَّ الناس الذين يتعبدون، ويقيدون أنفسهم بالعقيدة كُلُّهم في هَدْيَانٍ.

وهذا الكلام لا يقوله ابن القيم -رحمه الله-، وسيأتي -إن شاء الله- نقضه، لكن أراد أن يبيِّن حال هذا الصاحب الذي عَجَزَ أن يتحمَّل ما عليه السلف، ثم قال لصاحبه: تَحَلَّلْ.

\*\*\*

٤١٠- لَكِنْ زَعَمْتَ بِأَنَّ رَبَّكَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ إِذْ قُلْتَ: مَوْجُودَانِ

٤١١- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ حَقًّا فَوْقَهُ الْقَدَمَانِ

٤١٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ خَلْقَهُ وَيَرَاهُمْ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ ثَمَانٍ<sup>(١)</sup>

٤١٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ آخِرَ الْأَزْمَانِ

(١) في نسخة الشرح وابن سحمان: «ست ثمان».

- ٤١٤- وَوَصَفْتُهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِذِي الْجُحْمَانِ  
 ٤١٥- وَوَصَفْتُهُ بِإِرَادَةٍ وَبِقُدْرَةٍ وَكَرَاهَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَخَنَانٍ  
 ٤١٦- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ  
 ٤١٧- وَالْعِلْمُ وَصَفٌ زَائِدٌ عَنْ ذَاتِهِ عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِ ذِي جُحْمَانٍ

### الشرح

هذه الأشياء كلها المذكورة في هذه الآيات من مذهب أهل السنة والجماعة، فنحن نؤمن بها، لكنه يقول: (زعمت)، لأنه غير مُصَدِّق بهذا.

٤١٠- لَكِنْ زَعَمْتَ بِأَنَّ رَبَّكَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ إِذْ قُلْتَ: مَوْجُودَانِ  
 معنى ذلك أنه إذا أقرَّ الإنسان بأن هنا موجودين: خالقًا ومخلوقًا، لزم أن يكون الخالق بائنًا من الخلق، وليس إياه، فنحن نؤمن بأن الله بائنٌ من خلقه، ويكون ثمَّ موجودان: خالق ومخلوق.

٤١١- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ حَقًّا فَوْقَهُ الْقَدَمَانِ  
 هذا أيضًا من عقيدة أهل السنة والجماعة، أن الله فوق العرش، وأن الكرسيَّ غيرُ العرش، لكنه موضع قدمي الله عزَّ وجلَّ.

جاء ذلك في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا<sup>(١)</sup>، ومثل هذا لا يُقَالُ بالرأي، فله حُكْمُ الرَّفْعِ.

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/٢٤٨)، والحاكم (٢/٢١٠) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٢٨).

٤١٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ خَلْقَهُ وَيَرَاهُمْ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ ثَمَانٍ

ونحن نؤمن بأن الله تعالى يسمع خلقه، ولو كانوا في قاع البحر، ونؤمن بأن الله عز وجل يراهم من فوق سبع سموات، وهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على عرشه، لا يَحْفَى عليه شيءٌ من أفعالهم.

قَوْلُهُ: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ ثَمَانٍ»، نقول: إنَّ سبع الثماني تشمل العرش والسموات السبع، لأنك إذا أضفت السموات السبع إلى العرش صار سبع ثمان.

وأما ما أشار إليه الشارح ابن عيسى -رحمه الله- أنها ست ثمان، وقال: إنها الأرض والسماء، ففيه نظر، بل يقال: إنه من فوق سبع ثمان، أي: سبع لها ثمان، وهو العرش.

٤١٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ آخِرَ الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «وَزَعَمْتَ أَنَّ كَلَامَهُ» يريد بذلك خصوص القرآن الكريم، لأنَّ كلام الله عز وجل الذي هو كلامه لا مُتَّهَى له، لكن كلامه الذي هو القرآن (منه بدأ) يعني: هو الذي تكلم به أولاً، وإليه يعود، وهذا كلام السلف -رحمهم الله-.

قَوْلُهُ: «مِنْهُ بَدَأَ» يعني: هو الذي ابتداء الكلام به حقيقةً، وإضافته إلى الرسول محمد ﷺ، وإلى الرسول جبريل -عليه الصلاة والسلام- إضافةً تبليغٍ فقط.

فقد أضاف الله القرآن إلى جبريل -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]، وأضافه إلى محمد ﷺ فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١] ولا يمكن أن يكون قول واحد لقائِلَيْنِ، لكن نقول: هذا قول تبليغ، وليس قول ابتداء، فقول القرآن ابتداءً من الله عز وجل، وجبريل -عليه السلام- قاله مُبَلِّغًا محمداً ﷺ، ومحمد ﷺ قاله

مُبَلِّغًا أُمَّتَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

أما قوله: «وإليه يرجع» أي: يعود، فُفَسِّرَتْ بِمَعْنَيْنِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ: المعنى الأول: أنه يعود إلى الله وَصَفًا، فلا يُوصَفُ به غيرُه، فيُقَال: القرآنُ كلامُ الله.

المعنى الثاني: أنه يعود إليه حِسًّا، بمعنى أنه يُنَزَعُ في آخر الزمان، فيُرْفَعُ مِنَ المصاحفِ وَيُنْسَى مِنَ الصدورِ، ويبقى الناس بلا قرآن -نعوذ بالله من هذه الحال- لا في الصدور، ولا في المسطور، وهذا -والله أعلم- إذا عرض الناس عن القرآن إعراضًا كليًا: لا تلاوةً، ولا عملاً، ولا تصديقًا، فإنَّ من إكرام القرآن أن يُنَزَعَ، وألا يبقى بين قوم لا يرفعون به رأسًا، ولا يرون بمخالفته بأسًا.

ونظير ذلك الكعبة -زادها الله تشریفًا- في آخر الزمان، يُسَلِّطُ عليها رجلٌ من الحبشة، وصفه النبي ﷺ وصفًا دقيقًا، فيهدمها بجنوده، وينقضها حجرًا حجرًا<sup>(١)</sup>، لكن كيف ذلك مع أن الله تعالى حماها من الفيل وأهلها مشركون؟

نقول: حماها الله من الفيل، ومن أبرهة ملك الحبشة حينما قدم لهدم الكعبة لأمر علمه الله عز وجل، وهو أن هذا البيت المعظم سوف يكون فيه من يعظمه، لكن في آخر الزمان يمتن أهل مكة هذا البيت امتهانًا، لا يجعلون له حرمة، وليس هناك مستقبل له، فحينئذ يسلم عليه هذا الحبشي، وينقضه حجرًا حجرًا، ولا يناله أي سوء.

(١) بدلالة حديث النبي ﷺ: «يُعْرَبُ الكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْفَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ». أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾، رقم (١٥١٤)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم (٢٩٠٩).

والقرآن مثلها، إذا نزع تعظيمه من القلوب، فلم يُتَلَّ، ولم يُتَبَع، فإنَّ من كرامة هذا القرآن أن الله عزَّ وجلَّ يرفعه، والله على كل شيء قدير.

لو قال قائل: كيف يُمَحَى من المصاحف؟

قلنا: الله أكبر، الذي خَلَق المصحفَ، وَخَلَق مادةَ الكتابة والأوراق هو اللهُ عزَّ وجلَّ، فهو قادر على أن يمحوه، أما ما في الصدور فالأمر ظاهر، هذا الإنسان يحفظ القرآن ويُتَقِنه، ثم ينسى منه ما شاء الله.

٤١٤- وَوَصَفْتَهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِذِي الْجُثْمَانِ  
ونؤمن أيضًا بأنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- موصوفٌ بالسمع والبصر، فالسمع والبصر قد وصف الله بهما نفسه فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

هم قالوا: لا سَمْع، ولا بَصْر، لأنه لا يُوصَفُ بالسمع والبصر إلا الجسم، وسبق الكلام في ردِّ هذا.

٤١٥- وَوَصَفْتَهُ بِإِرَادَةٍ وَبِقُدْرَةٍ وَكَرَاهِيَةٍ وَحُبَّةٍ وَخَنَانٍ  
وهذا حق، فدلِيلُ الإرادة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤] ودليل القُدرة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ودليل الكراهة: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ أُنْعَانَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] ودليل المحبة: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [التوبة: ٥٤] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فنؤمن بأنَّ من صفاته الإرادة والقُدرة، والإرادة والقُدرة يؤمن بهما أيضًا الأشاعرة، ويؤمنون بالسمع والبصر، وأما الكراهة والمحبة، فينكرهما الأشاعرة وغيرهم من أهل التعطيل، ويفسرونها إما بالمخلوق، وإما بالإرادة، فيفسرونها

بالإرادة، لأنهم يُثبتون الإرادة، أو بالخلق، لأنهم كلهم يُثبتون المخلوق.  
فهم يقولون: إنَّ الله -مثلاً- يكره الكافرين، أي: يُعَذِّبهم، أو يقولون: يريد تعذيبهم، ولا يثبتون الكراهة.

ولكن نقول لهم: ماذا تقولون في قوله: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] هل يمكن أن يُقَسَّرَ (كَرِهَ) بمعنى (عَذَّب) انبعاثهم؟ الجواب: لا يستقيم، أو أراد تعذيب انبعاثهم؟ الجواب: هذا أيضاً لا يستقيم.

قالوا: إنَّ العقل لا يدلُّ على أنَّ الله يتصف بالكراهة، فنقول لهم: الجواب على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: إذا فرضنا أنَّ العقل لا يدلُّ، فإنَّ السمع -يعني: الكتاب والسنة- دلَّ على ذلك، والدليل لا يتعيَّن في دليل واحد، فقد يكون للشيء عدَّة أدلة، ولهذا فمن القواعد المعروفة -عندهم- أنَّ انتفاء الدليل المُعيَّن لا يَسْتَلْزِمُ انتفاء المدلول، يعني: إذا انتفى هذا الدليل، فلا يمتنع أن يثبت الشيءُ بدليل آخر.

فمثلاً: مكة لها طرق كثيرة، فإذا قَدَّرنا أنَّ أحد الطُّرُق إليها مسدود، هل معناه امتناع الوصول إلى مكة؟ الجواب: لا، لأنه توجد طرق أخرى.

فإذا قَدَّرنا أنَّ العقل -كما زعموا- لا يدلُّ على ثبوت الكراهة، فعندنا (النقل) أي: السمع.

الوجه الثاني: أن نقول: بل العقل يدلُّ على ثبوت الكراهة لله، فإنَّ انتقام الله من العاصين يدلُّ على كراهة المعصية، ولو كان يجبها هل يعذبهم؟ الجواب: أبداً، وكذلك نقول في المحبة.

ولهذا فإنَّ الأشاعرة وغيرهم ممن يُحَكِّمُونَ العقل في صفات الله هم -بلا شك-

مخالفون للعقل، لأنَّ كونَ العقل دليلاً لم يثبت إلا بطريق السمع، فإذا أنكروا دلالة السمع لزم إنكارُ دلالة العقل.

ووجه كون العقل دليلاً بالسمع أنَّ الله عزَّ وجلَّ دائماً يقول: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] ويقول: ﴿لِقَوْمٍ يَنْفَكَرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] وما أشبه ذلك.

قَوْلُهُ: «وحنان» الحنان هو خالص الرحمة، لكن لم يرد بهذا اللفظ، ولذلك في صحة اسم (الحنَّان) نظر، أما (المَنَّان) فقد ثبتت به السُّنَّة<sup>(١)</sup>.

٤١٦- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي الْكُونِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ

وهذا حق، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ومتى كان في كتاب مُبين، فهو معلوم عند الله عزَّ وجلَّ.

٤١٧- وَالْعِلْمُ وَصْفٌ زَائِدٌ عَنْ ذَاتِهِ عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِ ذِي جُسْمَانِ

يعني: يرون أنَّ العِلْمَ وصفٌ زائدٌ عن الذات، وإذا كان زائداً عن الذات فَمَنْ أَثَبَّتَهُ فَقَدْ أَثَبَّتَ تَعَدُّدَ الْقَدَمَاءِ.

(١) كما في حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ وَرَجُلٌ قَدْ صَلَّى وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللَّهُ؟ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ». أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، رقم (٣٥٤٤)، والنسائي: كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، رقم (١٣٠٠)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، رقم (٣٨٥٨) قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد روي من غير هذا الوجه عن أنس.

قَوْلُهُ: «عَرَضَ يَقُومُ بغيرِ ذِي جُثْمَانٍ» يعني: أنكم تقولون: إنَّ الله له عِلْمٌ، وتقولون: إنَّ الله ليس بجسم، وهذا على رأيه تناقُضٌ، فالعِلْمُ لا يكون إلا من ذِي جُثْمَانٍ.

\*\*\*

- ٤١٨- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ عَبْدَهُ مُوسَى فَأَسْمَعَهُ نِدَا الرَّحْمَنِ  
 ٤١٩- أَفْتَسْمَعُ الْأَذَانَ غَيْرَ الْحَرْفِ وَالصُّوْتِ الَّذِي خُصِّتَ بِهِ الْأُذُنَانِ<sup>(١)</sup>  
 ٤٢٠- وَكَذَا النَّدَاءُ فَإِنَّهُ صَوْتٌ يَأْجُرُ سَمَاعَ النَّحَاةِ وَأَهْلِي كُلِّ لِسَانٍ  
 ٤٢١- لَكِنَّهُ صَوْتٌ رَفِيعٌ وَهُوَ ضِدُّ دَلِّلِ النَّجَاءِ، كِلَاهُمَا صَوْتَانِ  
 ٤٢٢- فَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ نَادَاهُ وَنَا جَاءَهُ، وَفِي ذَا الزَّعْمِ مَحْدُورَانِ  
 ٤٢٣- قُرْبُ الْمَكَانِ وَبُعْدُهُ وَالصَّوْتُ بَلْ نَوْعَاهُ مَحْدُورَانِ مُتْتَبِعَانِ

### الشرح

- ٤١٨- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ عَبْدَهُ مُوسَى فَأَسْمَعَهُ نِدَا الرَّحْمَنِ  
 ونقول: نعم، إنَّ الله كَلَّمَ موسى -عليه الصلاة والسلام- قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] (الله) فاعل، و(موسى) مفعول به، و(تكليماً) مصدر مؤكَّد، والمصدر المؤكَّد ينفي احتمال المجاز، ولهذا بطل قول مَنْ حَرَّفَ المعنى إلى قوله: (كَلَّمَهُ) أي: جَرَّحَهُ، كيف جَرَّحَهُ؟ قال: نعم، جَرَّحَهُ بمخالِبِ الحِكْمَةِ، وهذا جعله كقول الشاعر:

(١) في نسخ التيمورية والظاهرية والشرح: «الأذان».

وَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا      أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ<sup>(١)</sup>

يقول: جرّحه بمخالب الحكمة، سبحان الله، ما هذا الكلام؟! قال: نعم، ليس الكَلْمُ في اللغة بمعنى الجرح، كما قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...»<sup>(٢)</sup>؟ فيقال: بلى، لكن هل معناه أن نحمل الكَلْمَ في كل موضع على الجرح؟! الجواب: أبداً.

لَمَّا حَرَفَ بَعْضُ الطَّغَاةِ الْمُبْتَدِعَةِ الْآيَةَ قَالَ: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) لِأَجْلِ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ مَفْعُولًا بِهِ، وَيَكُونُ الْمُتَكَلِّمُ هُوَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فَقِيلَ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟ فَقَوْلُهُ: «كَلَّمَهُ» لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ أَحَدٌ: إِنَّ (الهاء) فِي (كَلَّمَهُ) فَاعِلٌ، بَلْ هِيَ مَفْعُولٌ بِهِ، وَ(رَبُّهُ) فَاعِلٌ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ.

٤١٩- أَفْتَسْمَعُ الْأَذَانَ غَيْرَ الْحَرْفِ وَالضَّمِّ      صَوْتِ الَّذِي حُصِّتَ بِهِ الْأُذُنَانِ

٤٢٠- وَكَذَا النَّدَاءُ فَإِنَّهُ صَوْتُ بِإِجَاءِ      سَمَاعِ النَّحَاةِ وَأَهْلِ كُلِّ لِسَانِ

٤٢١- لَكِنَّهُ صَوْتُ رَفِيعٌ وَهُوَ ضِدُّ      دُ لِلنَّجَاءِ، كِلَاهُمَا صَوْتَانِ

موسى -عليه السلام- كَلَّمَهُ رَبُّهُ بصوتين: مناداة ومناجاة، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] فقال: ﴿وَنَدَيْنَاهُ﴾، والنداء يكون للبعيد، والمناجاة للقريب، ولهذا لو كان إلى جنبك رجل وتكلمت إليه برفع صوت لأنكر عليك، ويقول: هل أنا بعيد؟! هل أنا أصم؟! لكن لو كان

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، كما في الكامل للمبرد (٢/١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من يجرح في سبيل الله عز وجل، رقم (٢٨٠٣).  
ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، رقم (١٨٧٦).

بعيداً ثم ناديته بصوت خفي، لَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تَتَكَلَّمْ مَعِي.

إِذْنُ الْمَنَادَةِ لِلْبَعِيدِ، وَالْمَنَاجَاةَ لِلْقَرِيبِ.

وانظر إلى قوله: ﴿وَقَرَّبْتَهُ﴾ ولم يقل: (تَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ) فموسى هو الذي قُرِّبَ

إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَمِعَ صَوْتَهُ.

٤٢٢- فَرَعَمَتْ أَنَّ اللَّهَ نَادَاهُ وَنَا جَاءَهُ، وَفِي ذَا الزَّعْمِ مَحْدُورَانِ

٤٢٣- قُرْبُ الْمَكَانِ وَبُعْدُهُ .....  
.....

قَوْلُهُ: «نَادَاهُ وَنَاجَاهُ» وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ

وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

قَوْلُهُ: «وَفِي ذَا الزَّعْمِ مَحْدُورَانِ» يَقُولُ: فِي هَذَا مَحْدُورَانِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَحْدُورَ

الْأَوَّلَ فَقَالَ: «قُرْبُ الْمَكَانِ وَبُعْدُهُ» لِقَوْلِهِ: ﴿وَقَرَّبْتَهُ﴾.

إِذْنُ هُوَ كَانَ فِي الْأَوَّلِ بَعِيدًا ثُمَّ قُرَّبَ، فَالْبُعْدُ مَحْدُورٌ، وَالْقُرْبُ مَحْدُورٌ أَيْضًا،

لَأَنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِأَنَّ بَعْضَ الْخَلْقِ قَرِيبٌ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي بَعِيدٌ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنْ الْعَرْشُ مِثْلَ الْفَرْشِ فِي الْقُرْبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

وَإِنَّمَا سِوَاهُ، وَعَلَى هَذَا فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْجَنَّةِ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَالنَّارِ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ،

وَسَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا.

فَيَقُولُ: أَنْتَ إِذَا قُلْتَ: إِنَّ اللَّهَ نَادَاهُ وَنَاجَاهُ لَزِمَ الْمَحْدُورَانِ: الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ فِي

الْمَكَانِ، وَهُمَا عِنْدَ هَذَا الْمُعْطَلِّ سِوَاهُ، فَلَا يُوجَدُ قُرْبٌ، وَلَا بُعْدٌ.

المحذور الثاني: بالنسبة للصوت، فقال:

٤٢٣- نُوَعَاهُ مَحْدُورَانِ مُتَنَعَانِ ..... وَالصَّوْتُ بَلْ

قَوْلُهُ: «وَالصَّوْتُ بَلْ نَوْعَاهُ مَحْدُورَانِ مُتَمَتِّعَانِ» الصوت: منه صوت رفيع، ومنه صوت منخفض، يقول: يمتنع على الله أن يكون له صوت رفيع، وصوتٌ منخفض، لأنَّ هذا عنده لا يكون إلاَّ لجسم، والكلام عنده هو المعنى القائم بالنفس، وليس المسموع من الله عزَّ وجلَّ.

فصار عنده محذوران الآن: قرب المكان وبعد المكان، رفع الصوت وخفض الصوت، وكلاهما -والحمد لله- ليس بمحذور عندنا، والله تعالى أن يفعل ما يشاء.

\*\*\*

- ٤٢٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا أُسْرَى بِهِ لَيْلًا إِلَيْهِ، فَهُوَ مِنْهُ دَانٍ
- ٤٢٥- وَزَعَمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا يَوْمَ اللَّقَا يُدْنِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ بِالرَّضْوَانِ
- ٤٢٦- حَتَّى يُرَى <sup>(١)</sup> الْمُخْتَارُ حَقًّا قَاعِدًا مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ الرَّفِيعِ الشَّانِ
- ٤٢٧- وَزَعَمْتَ أَنَّ لِعَرْشِهِ أَطَّابَهُ كَالرَّحْلِ أَطَّ بَرَاجِبٍ عَجَلَانِ
- ٤٢٨- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَبَدَى بَعْضَهُ لِلطُّورِ حَتَّى عَادَ كَالْكُتُبَانِ
- ٤٢٩- لَمَّا تَجَلَّى يَوْمَ تَكْلِيمِ الرُّضَى مُوسَى الْكَلِيمِ مُكَلِّمِ الرَّحْمَنِ
- ٤٣٠- وَزَعَمْتَ لِلْمَعْبُودِ وَجْهًا بَاقِيًا وَلَهُ يَمِينٌ، بَلْ زَعَمْتَ يَدَانِ
- ٤٣١- وَزَعَمْتَ أَنَّ يَدَيْهِ لِلسَّنْعِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْحَشْرِ قَابِضَتَانِ

(١) في نسخة الظاهرية: «نرى».

## الشرح

٤٢٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا إِلَيْهِ، فَهُوَ مِنْهُ دَانَ

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] وقد أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْحِجْرِ مِنْ قَلْبِ الْكَعْبَةِ<sup>(١)</sup>، لِأَنَّ الْحِجْرَ - كَمَا يَعْلَمُ الْكَثِيرُ مِنْنَا - مِنَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَائِمًا فِي الْحِجْرِ، فَأُسْرِيَ بِهِ مِنْ هُنَاكَ.

وأما رواية أنه أُسْرِيَ بِهِ مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِيَةَ<sup>(٢)</sup> فهذه - إِنْ صَحَّتْ - فَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا: أَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِيَةَ، ثُمَّ قَامَ وَنَامَ فِي الْحِجْرِ، لِأَنَّ رِوَايَةَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْحِجْرِ رِوَايَةٌ صَحِيحَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا غُبَارٌ.

قَوْلُهُ: «فَهُوَ مِنْهُ دَانِي» أَي: مِنْ اللَّهِ، وَلَا شَكَّ فِي هَذَا، لِأَنَّهُ عُرِجَ بِهِ بَعْدَ هَذَا الْإِسْرَاءِ إِلَى السَّمَوَاتِ السَّبْعِ.

وَاعْلَمَنَّ أَنَّ هَذَا الْإِسْرَاءَ ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، وَأَنَّ الْمِعْرَاجَ ذُكِرَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ، فَهَمَا فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٤٢٥- وَزَعَمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا يَوْمَ اللَّقَا يُدْنِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ بِالرَّضْوَانِ

٤٢٦- حَتَّى يُرَى الْمُخْتَارُ حَقًّا قَاعِدًا مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ الرَّفِيعِ الشَّانِ

هذه المسألة اختلف السلف فيها، هل الله عزَّ وجلَّ يُدْنِي النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُجْلِسَهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ أَمْ لَا؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم (٣٦٧٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٤٣٢ / ٢٤).

فمنهم مَنْ صحَّح الحديثَ <sup>(١)</sup> الواردَ في هذا، وقال: إن الله تعالى يُجِلسه على العرش، ولا غَرَو في ذلك، لأنَّ الله تعالى على كُلِّ شيءٍ قدير، وللنبيِّ ﷺ من الميزات والمناقب ما ليس لغيره.

ومنهم مَنْ قال: لا، الحديث في هذا ضعيف، وإنما يُجِلسه بين يدي الله عزَّ وجلَّ، إما على الكرسيِّ أو على شيءٍ آخر.

ولكن إذا صحَّ الحديثُ أنَّ الله يُجِلس نبيَّه ﷺ معه على العرش، فيجب علينا أن نؤمنَ به، ونقول: آمنا بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤٢٧- وَزَعَمَتْ أَنَّ لِعَرْشِهِ أَطَابَهُ كَالرَّحْلِ أَطَّ بِرَاكِبٍ عَجَلَانَ

ورد في هذا أيضًا حديث أن العرش له أطيظ كأطيظ الرَّحْلِ <sup>(٢)</sup>، والأطيظ هو صرير الرَّحْلِ، فالبعير إذا كان عليه الشداد ثمَّ حمَلنا عليه شيئًا ثقيلًا، فإذا مشى تسمع له صريرًا، هذا الصرير هو الأطيظ، وهذا أيضًا أطيظ العرش، وفيه حديث، لكنه ضعيف، وأنكره كثيرٌ من أهل العلم، وقالوا: إن هذا يستلزم أن يكون العرش قد حمَل الله كما يُحمَل على الرَّحْلِ، ومعلوم أن العرش لم يحمل الرَّبَّ عزَّ وجلَّ، لأنَّ كُلَّ شيءٍ مفتقرٌ إلى الله، والله تعالى لا يفتقرُ إلى شيءٍ.

فليس استواءُ الله - سبحانه وتعالى - على العرش كاستواء الإنسان على السرير

(١) وهو حديث عبد الله بن مسعود قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ أقرأ عليه حتى بلغت ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قال: «يُجِلسُنِي عَلَى الْعَرْشِ». أخرجه الذهبي في العلو (٢٢٢)،

وقال: هذا حديث منكر.

(٢) يعني حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «سَلُوا اللَّهَ الْفَرْدُوسَ، فَإِنَّهَا سِرَّةُ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَهْلَ الْفَرْدُوسِ لَيَسْمَعُونَ أَطِيطَ الْعَرْشِ». أخرجه الطبراني (٢٤٦/٨)، رقم ٧٩٦٦ قال الهيثمي (٣٩٨/١٠): فيه جعفر بن الزبير وهو متروك. والحاكم (٤٠٢/٢)، رقم ٣٤٠٢.

الذي إذا سُحِبَ مِنْ تحته سقط، أو على البعير أو على الفُلك، بل هو استواءٌ يليق بجلاله، وهو استواءٌ ليس افتقارًا إلى العرش، بل لإظهار عظمته -تبارك وتعالى- كما سبق.

فحديثُ أَطِيطِ العرشِ بالله عزَّ وجلَّ ضعيفٌ لا شكَّ، ولا نعتقد هذا، بل نقول: إن الله تعالى غنيٌّ عن العرش، وليس محتاجًا إليه حتى يثبت عليه فيكون له أَطِيطٌ.

أما حديث: «أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَيْطَّ، مَا مِنْ مَوْضِعٍ أَصَابِعِ مِنْهَا إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ لِلَّهِ، أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ»<sup>(١)</sup>. فهذا لا يُنكَر، لأنَّ السماء تحملُ الملائكة.

٤٢٨- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَبَدَى بَعْضَهُ لِلطُّورِ حَتَّى عَادَ كَالْكَثْبَانِ

٤٢٩- لَمَّا تَجَلَّى يَوْمَ تَكْلِيمِ الرِّضَى مُوسَى الْكَلِيمِ مُكَلِّمِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «مُكَلِّمٌ» يجوز فيها وجهان: (مُكَلِّمٌ)، و(مُكَلِّمٌ)، والثانية أولى، لأنَّ الله يقول: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] فهو مُكَلِّمٌ.

وفي هذا البيت يشير إلى قول الله -تبارك وتعالى- في قصة موسى -عليه السلام- قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعني: مكِّنني من رؤيتك، فقال الله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ ولا يمكن أن تراني، ثم ضرب له مثلاً وقال: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ حتى يعلم موسى -عليه الصلاة والسلام- أنه لن يمكن أن يرى الله في الدنيا، لأنَّ أجسامنا لا تتحمَّل،

(١) أخرجه أحمد (١٧٣/٥)، الترمذي: كتاب الزهد، باب قول النبي ﷺ: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ»، رقم (٢٣١٢).

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ انذاك الجبل لعظمة الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [الحشر: ٢١] والقرآن هو كلامه ﴿عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

لكنه لن يندك، ولكن يتصدع من خشية الله عز وجل، أما وقد تجلَّى الله عز وجل للجبل فقد ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ مثل كُثبان الرمل، لما رأى موسى -عليه الصلاة والسلام- ما رأى خَرَّ صَعِقًا، أي: غُشي عليه، لأنه عجز عن أن يتحمل الموقف، مع أن الله لم يتجلَّ له.

٤٣٠- وَزَعَمْتَ لِلْمَعْبُودِ وَجْهًا بَاقِيًا وَلَهُ يَمِينٌ، بَلْ زَعَمْتَ يَدَانِ  
وَكُلُّ هَذَا حَقٌّ.

قوله: «زَعَمْتَ لِلْمَعْبُودِ وَجْهًا» وهذا حق، قال الله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣١﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الرعد: ٢٢] والآيات في هذا متعددة، ولكن هل وجه الله عز وجل مماثل لأوجه المخلوقين؟

الجواب: لا والله، بل مُبَايِنٌ لها غاية المُباينة، لأنه كما أن ذاته كذلك فكذلك صفاته، ولا يجوز أن تتخيل وجه الله عز وجل، لأنك مهما تخيلت فالله أعظم وأجل، ومهما قلت مما تخيلت فأنت كاذب في ذلك، لأنه لا علم عندك، بل نقول: لله عز وجل وجهٌ موصوف بالجلال والإكرام، ولا نعلم كيفيته، علينا أن نؤمن به، وأن نسأله بوجهه أن يُنجينا من النار.

قوله: «وَلَهُ يَمِينٌ، بَلْ زَعَمْتَ يَدَانِ» نعم، له يمين، وله يدان (بالثنوية) وكلتا

يديه يمين، كما قال النبي ﷺ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»<sup>(١)</sup>. أي: يُمْنٌ وبركة وقوة، فلا تختلف إحداها عن الأخرى، بخلاف أيدي المخلوقين، حيث تختلف إحداها عن الأخرى.

٤٣١- وَزَعَمْتَ أَنَّ يَدَيْهِ لِلْسَّبْعِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْحَشْرِ قَابِضَتَانِ

وهذا صحيح، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

وقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] يعني: كما تُطوى سجلات الكتب نطويها.

ولم يكن لدى الناس فيما سبق ظروف يُدخلون فيها الكتب، فإذا كتب الإنسان كتابًا، فإنه يطويه، ثم يضرب عليه الشَّمْعَ ويرسله، وهذا إلى عهد ليس ببعيد، لكن بعد أن تَفَتَّحَ الناسُ صاروا يجعلون ظروفًا للكتب، يدسُّونها فيها.

\*\*\*

٤٣٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ يَمِينَهُ مَلَأَى مِنْ أَلْ- خَيْرَاتِ مَا غَاضَتْ عَلَى الْأَزْمَانِ

٤٣٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ الْعَدَلَ فِي الْأُخْرَى بِهَا رَفَعٌ وَخَفْضٌ وَهُوَ بِالْمِيزَانِ

٤٣٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ الْخَلْقَ طُرًّا عِنْدَهُ<sup>(٢)</sup> يَهْتَزُّ فَوْقَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم (١٨٢٧).  
(٢) في نسخة الحلبي: «عندما».

- ٤٣٥- وَزَعَمْتَ أَيضًا أَنَّ قَلْبَ الْعَبْدِ مَا  
 ٤٣٦- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَضْحَكُ عِنْدَمَا  
 ٤٣٧- مِنْ عَبْدِهِ يَأْتِي فَيُؤَدِّي نَحْرَهُ  
 ٤٣٨- وَكَذَلِكَ يَضْحَكُ عِنْدَمَا يَثْبُ الْفَتَى  
 ٤٣٩- وَكَذَلِكَ يَضْحَكُ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ  
 ٤٤٠- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنْ أُولِي  
 ٤٤١- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ  
 ٤٤٢- لَمَّا <sup>(١)</sup> يُنَادِيهِمْ: أَنَا الدَّيَّانُ لَا  
 ٤٤٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِقُ نُورَهُ  
 ٤٤٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ سَاقَهُ  
 ٤٤٥- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ كَفَّهُ  
 ٤٤٦- وَزَعَمْتَ أَنَّ يَمِينَهُ تَطْوِي السَّمَاءَ  
 ٤٤٧- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي الدُّجَى  
 ٤٤٨- فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبُهُ  
 ٤٤٩- وَزَعَمْتَ أَنَّ لَهُ نُزُولًا ثَانِيًا <sup>(٢)</sup>
- بَيْنَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْأَصَابِعِ عَانَ  
 يَتَقَابَلُ الصَّفَانِ يَقْتَتِلَانِ  
 لِعَادُوهُ طَلَبًا لِنَيْلِ جَنَانِ  
 مِنْ فَرَشِهِ لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ  
 إِذْ أَجْدَبُوا وَالْغَيْثُ مِنْهُمْ دَانِ  
 حُسْنَى وَيَغْضَبُ مِنْ أُولِي الْعِصْيَانِ  
 يَوْمَ الْمَعَادِ بَعِيدُهُمْ وَالِدَانِ  
 ظَلَمَ لَدَيَّ، فَيَسْمَعُ الثَّقَلَانِ  
 فِي الْأَرْضِ يَوْمَ الْفَضْلِ وَالْمِيزَانِ  
 فَيَخِرُّ ذَاكَ الْجَمْعُ لِلْأَذْقَانِ  
 لِمُسَيْئِنَا لِيُتُوبَ مِنْ عِصْيَانِ  
 طَيِّ السَّجْلِ عَلَى كِتَابِ بَيَانِ  
 فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِي  
 فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْقَضَاءِ الثَّانِي

(١) في نسخة الإفتاء: «يوم».

(٢) في نسخة الإفتاء: «بائنا».

- ٤٥٠- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَبْدُو جَهْرَةً لِعِبَادِهِ حَتَّى يُرَى بِعِيَانِ
- ٤٥١- بَلْ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَرَوْنَهُ
- ٤٥٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ لِرَبِّنَا قَدَمًا وَأَنَّ
- ٤٥٣- فَهَنَّاكَ يَدْنُو بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا
- ٤٥٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ مَزِيدِهِمْ
- ٤٥٥- بِالْحَاءِ مَعَ ضَادٍ وَجَامِعٍ صَادِهَا
- ٤٥٦- فِي التِّرْمِذِيِّ وَمُسْنَدِ وَسَوَاهُمَا
- ٤٥٧- وَوَصَفْتَهُ بِصِفَاتٍ حَيٍّ فَاعِلٍ
- ٤٥٨- أَصْلُ<sup>(١)</sup> التَّفْرِيقِ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْ-
- ٤٥٩- أَوْ لَا، فَلَا تَلْعَبُ بِدِينِكَ نَاقِضًا
- ٤٦٠- فَالنَّاسُ بَيْنَ مُعْطَلٍ أَوْ مُثَبَّتٍ
- ٤٦١- وَاللَّهُ لَسْتُ بِرَابِعٍ لَهُمْ بَلَى
- لِعِبَادِهِ حَتَّى يُرَى بِعِيَانِ
- فَالْمُقْلَتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ
- نَ اللَّهُ وَأَضْعُهَا عَلَى النَّيْرَانِ
- وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ حَاجَتِي وَكَفَّانِي
- كُلُّ يُحَاضِرُ رَبَّهُ وَيُؤَدَانِي
- وَجَهَانٍ فِي ذَا اللَّفْظِ مَحْفُوظَانِ
- مِنْ كُتُبِ تَجْسِيمِ بِلَا كِثْمَانِ
- بِالِإِخْتِيَارِ وَذَانِكَ الْأَصْلَانِ
- بَارِي، فَكُنْ فِي النَّفْيِ غَيْرَ جَبَانِ
- نَفِيًّا بِإِثْبَاتِ بِلَا فُرْقَانِ
- أَوْ ثَالِثِ مُتَنَاقِضِ صِنْفَانِ<sup>(٢)</sup>
- إِمَّا حِمَارًا أَوْ مِنْ الثَّيْرَانِ

### الشرح

- ٤٣٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ يَمِينَهُ مَلَأَى مِنْ الْ-
- خَيْرَاتِ مَا غَاضَتْ عَلَى الْأَرْمَانِ
- قَوْلُهُ: «يَمِينُهُ مَلَأَى» يشير إلى قول النَّبِيِّ ﷺ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى سَحَاءَ اللَّيْلِ

(١) في نسخة الحلبي: «أصلا».

(٢) في بعض النسخ: «صفعان»، وفي نسخة: «صنعان».

وَالنَّهَارَ»<sup>(١)</sup>. سَحَاء: كثيرة العطاء، «الليل والنهار» ظرف، يعني: في الليل والنهار دائماً وأبداً.

قَوْلُهُ: «مَا غَاضَتْ عَلَى الْأَزْمَانِ» يشير إلى قول النَّبِيِّ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ»<sup>(٢)</sup>. أي: لم ينقص، سبحانه وتعالى.

٤٣٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ الْعَدْلَ فِي الْأُخْرَى بِهَا رَفْعٌ وَخَفْضٌ وَهُوَ بِالْمِيزَانِ

بيده الأخرى القسط، والقسط يعني: العدل، يخفض ويرفع، فيخفض من يستحق الخفض، ويرفع من يستحق الرفع بالميزان، لا يظلم أحداً شيئاً، لا نقصاً من حقه، ولا زيادةً في سيئاته، فهو - سبحانه وتعالى - عدلٌ حكيمٌ.

٤٣٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ الْخَلْقَ طُرّاً عِنْدَهُ يَهْتَزُّ فَوْقَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

يعني: زعمت أن الخلق كلهم يهتزون عند أصابع الرحمن، فإن الله تعالى يقبض السموات والأرضين ثم يهزهن، ويقول: «أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْمُلُوكُ؟»<sup>(٣)</sup>.

٤٣٥- وَزَعَمْتَ أَيْضًا أَنَّ قَلْبَ الْعَبْدِ مَا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْأَصَابِعِ عَانَ

يعني: زعمت أن قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن، وهذا سبق، وذكرنا أن في الحديث إثبات الأصابع لله عز وجل<sup>(٤)</sup>، وذكرنا أنه لا يلزم من كون

(١) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب النعوت، باب الواحد القهار، رقم (٧٦٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، رقم (٧٤١١).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، رقم (٦١٥٤)، ومسلم: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٧٨٧).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم (٢٦٥٤).

القلب بين أصابعه أن تكون الأصابعُ في الصدور، أو مُماسَّةً له، وذكرنا مثلاً بينه، وهو قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

٤٣٦- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَضْحَكُ عِنْدَمَا يَتَقَابَلُ الصَّافِنِ يَقْتَتِلَانِ

٤٣٧- مِنْ عَبْدِهِ يَأْتِي فَيُبْدِي نَحْرَهُ لِعَدُوِّهِ طَلَبًا لِنَيْلِ جَنَانِ

هذا أيضاً مما جاء به الحديث أن الله يضحك إلى الرجل يأتي ويقابل العدو ويقاتله، ويؤدي إليه نحره، من أجل الوصول إلى الجنة<sup>(١)</sup>، لأنَّ هذا يدلُّ على كمال التصديق، ولولا كمال تصديقه ما ذهب يُبدي نحره لعدوه.

وفي هذا إثبات الضحك لله عزَّ وجلَّ، ولكن هل هذا الضحك كضحكنا؟ الجواب: لا، ولكنه ضحكٌ يليق بالله عزَّ وجلَّ، وعلينا أن نُثبت، وليس علينا أن نسأل عن كفيته، بل ليس لنا أن نسأل عن كفيته، والواجب الكفُّ.

٤٣٨- وَكَذَلِكَ يَضْحَكُ عِنْدَمَا يَثْبُ الْفَتَى مِنْ فَرَشِهِ لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ

هذا أيضاً حديث آخر أن الله عزَّ وجلَّ يضحك للرجل يقوم من فراشه للتهدُّج<sup>(٢)</sup>.

(١) كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ لَقِيَ الْعَدُوَّ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ مِنْ أُمَّثَلِ حَيْلٍ أَصْحَابِهِ فَأَنْهَرُوا وَثَبَّتْ، فَإِنَّ قُتِلَ اسْتُشْهِدَ، وَإِنْ بَقِيَ فَذَلِكَ الَّذِي يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِ». أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب عمل اليوم والليلة، بعد باب ما يقول إذا اتبه من منامه، رقم (١٠٦٣٧).

(٢) كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَرَجُلٍ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ، فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَمَجَّدَهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَفْتَحَ الْقُرْآنَ، فَذَلِكَ الَّذِي يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِ». وهو جزء من الحديث السابق.

وضحكُ الله عزَّ وجلَّ لهذا وهذا يعني: الفرحُ به والرَّضى، وهذا من لازم الضحك، وليس هو الضحك، فالضَّحِكُ شيء آخر، لكن من لازمه أن يكون اللهُ -تبارك وتعالى- راضياً بهذا فرحاً به.

٤٣٩- وَكَذَلِكَ يَضْحَكُ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ إِذْ أَجْدَبُوا وَالْغَيْثُ مِنْهُمْ دَانَ قَوْلُهُ: «يَضْحَكُ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ» إشارة إلى حديث ساقه ابن تيمية -رحمه الله- في العقيدة الواسطية بقوله: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ»<sup>(١)</sup>. لكن ابن القيم -رحمه الله- أشار إليه بلفظ (الضحك) فيما أن يكون لفظان في الرواية، أو روايتان.

المهم أننا نُثبت من هذا دليلاً ثالثاً لوصف الله تعالى بالضحك.

وقَوْلُهُ: «وَالْغَيْثُ مِنْهُمْ دَانِي» يعني: كيف يقنطون والله -سُبْحَانَهُ وتعالى- قريب التغيير، «عَلِمَ يَوْمَ الْغَيْثِ يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ آزِلِينَ مُشْفِقِينَ، فَظَلَّ يَضْحَكُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»<sup>(٢)</sup>. إذ كيف تقنطون من رحمة الله، وفرج الله قريب؟!

فكلمة واحدة تُزيل كُلَّ هذا الجَدْبِ والقَحْطِ، ولا يخفى عليكم ما حدث في خطبة الجمعة حين دخل رجلٌ والنبي ﷺ يخطب الناس، فقال: يا رسول الله، هَلَكَ الْمَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُعِثْنَا. فرفع يديه ودعا، ثم أنشأ الله سحابةً فتوسَّطَتِ السَّمَاءَ، وانتشرت، ورعدت، وبرقت، وأمطرت، فلم ينزل النبي ﷺ من الخطبة إلا والمطر يتحادر من لحيته، قال أنس: «فما قدم أحدٌ من ناحية

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/٦٠٥، رقم ٨٦٨٣).

إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ». أي: بكثرة الأمطار<sup>(١)</sup>.

٤٤٠- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنْ أُولِي حُسْنَى وَيَغْضَبُ مِنْ أُولِي الْعِصْيَانِ

هاتان صفتان: الرضى والغضب، يرضى عن أهل الحسنى، ولا يرضى عن أهل السوء، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. وقال عز وجل: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وصفة الرضى من صفات الله -تبارك وتعالى- الثابتة في القرآن والسنة، ودليلها في القرآن ما سبق.

أمَّا في السنة فقوله -عليه الصلاة والسلام-: «رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»<sup>(٢)</sup>.

أما أهل التعطيل ففسروا الرضى بالثواب، وهذا خطأ، لأن الثواب نتيجة الرضى، والرضى وصف في ذات الله عز وجل، والثواب مخلوق بائن عن الله، لكنهم لا يرون قيام الصفات بالله عز وجل، لأنه سبق أن قالوا: إننا لو أثبتنا هذه الصفات لزم قيام الحوادث به، والحوادث لا تقوم إلا بحدوث.

أو يقولون: هذه أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجسم، أو ما أشبه ذلك من التعليلات الباطلة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، رقم (١٠١٣)،

ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع

وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه، رقم (١٧١٥).

المهم أننا نؤمن بأن الله عز وجل يرضى.

وكذلك أيضاً يغضب، قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣].

وكذلك السخط كما قال الله عز وجل: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠].

لكن هل الرضى، والغضب، والضحك، والعجب، من الصفات الفعلية، أو الذاتية؟

الجواب: من الفعلية، فكلُّ صفةٍ لها سبب فهي فعلية، لأنها تقتضي أن توجد عند هذا السبب، فتكون فعليةً تتعلّق بمشيئة الله عز وجل.

٤٤١- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ بَعِيدُهُمْ وَالذَّانِي

٤٤٢- لَمَّا يُنَادِيهِمْ: أَنَا الدَّيَّانُ لَا ظُلْمَ لَدَيَّ، فَيَسْمَعُ الثَّقَلَانِ

وهذا حق، فالله تعالى ينادي الخلائق يوم القيامة، يناديهم بصوت يقول:

«أَنَا الدَّيَّانُ»<sup>(١)</sup>. وثبت أيضاً أنه ينادي آدم فيقول: «أَخْرِجْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثْنَا إِلَى النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥، رقم ١٦١٣٨)، والبخاري تعليقاً: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنِ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣].

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لأدم أخرج بعث النار، رقم (٢٢٢).

٤٤٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِقُ نُورَهُ فِي الْأَرْضِ يَوْمَ الْفَصْلِ وَالْمِيزَانِ

لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

٤٤٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ سَاقَهُ فَيَخِرُّ ذَاكَ الْجَمْعُ لِلْأَذْقَانِ

وثبت هذا في الصحيح عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد<sup>(١)</sup> الطويل، وفيه أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكْشِفُ سَاقَهُ، فَيَسْجُدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّ مَنْ سَجَدَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَخْلِصًا فِي سَجُودِهِ، وَيَعْجِزُ عَنِ السُّجُودِ مَنْ لَمْ يَسْجُدْ لِلَّهِ تَعَالَى بِإِخْلَاصٍ، قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَن سَاقِي وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَنْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

والساق ثابتة بالسنة، لا إشكال فيها، لكن هل ثبت بالقرآن؟

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَن سَاقِي﴾ [القلم: ٤٢] وهنا الساق غير مضافة، فلم يقل سبحانه: (عن ساقه)، ولا يجوز لنا أن نضيف إلى الله عزَّ وجلَّ ما لم يُضِفْهُ لِنَفْسِهِ.

لكن لما كان سياق الآية الكريمة يُطَابِقُ سياق الحديث النبويِّ، وَجَبَ أَنْ نُفَسِّرَ الْآيَةَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، وَهُوَ أَنَّهَا سَاقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَلِيقٌ بِجَلَالِهِ، لَا تُشْبِهُ سَاقَ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ.

وهناك قول آخر للسلف في الآية نفسها أَنَّ الْمَرَادَ بِالسَّاقِ: الشِّدَّةُ، فَمَعْنَى

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤَيِّدُ تَاصِرَةً ﴿٢٣﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً﴾ [القيامة: ٢٣]، رقم (٧٠٠١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣).

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ أي: تَبَيَّنَ الشَّدَّةُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ<sup>(١)</sup>، لَكِنْ مَا دَامَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ مُطَابِقًا لِسِيَاقِ الْآيَةِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ تُحْمَلَ الْآيَةُ عَلَيْهِ.

٤٤٥- وَزَعَمَتْ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ كَفَّهُ لِمُسَيِّئِنَا لِيَتُوبَ مِنْ عِضْيَانِ

نعم، هذا جاء به الحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءٌ اللَّيْلِ، وَبِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءٌ النَّهَارِ»<sup>(٢)</sup>. ففي الحديث إثباتُ اليد، وإثباتُ بسطِها، وهذا حق.

وقد دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

٤٤٦- وَزَعَمَتْ أَنَّ يَمِينَهُ تَطْوِي السَّمَاءَ طَيَّ السَّجَلِ عَلَى كِتَابِ بَيَانِ

ودليل هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فهو عزَّ وجلَّ يطويها بيمينه<sup>(٣)</sup>.

٤٤٧- وَزَعَمَتْ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي الدُّجَى فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِي

٤٤٨- فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَجِيبُهُ فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي

يشير إلى الحديث الصحيح عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٧/٢٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «هُوَ يَوْمٌ حَرْبٍ وَشِدَّةٍ».

(٢) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم (٢٧٥٩).

(٣) كما في قوله النبي ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ». أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رقم (٦١٥٤)، ومسلم: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٧٨٧).

الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ - أَوِ الثَّانِي، الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ النِّصْفِ وَالسُّدُسِ -  
فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ  
لَهُ؟»<sup>(١)</sup>.

فمن الذي ينزل أهو الرَّبُّ -جَلَّ وعلا- أو رحمتُه، أو مَلَكٌ مِنْ ملائكته،  
أو أمره؟

الجواب: ننظر: (يُنزِلُ رَبُّنَا)، فالفعل مضاف إلى الله عزَّ وجلَّ، وكُلُّ فعلٍ  
مضاف إلى الله، فإنه يعني: ذات الله، وهذه قاعدة لا إشكال فيها من الناحية  
اللغوية، فكل ما أضافه الله لنفسه فهو له ذاته، ولا تُؤوَّل، ولا تُحَرَّف.

وعليه نقول: إن الله ينزل، هو نفسه، لكن هل يجب علينا أن نقول: ينزل  
بنفسه، أو ينزل بذاته، أو ما أشبه ذلك؟

الجواب: لا يجب علينا إلا إذا كان هناك مَنْ يُحَرِّفُ النزولَ إلى نُزولِ الرحمة،  
أو الأمر، أو الملائكة، فهنا نُضيف كلمة (ذاته) مِنْ أَجْلِ رَدِّ هذا القول.

وبهذا نعرف أنه لا اعتراض على قول مَنْ يقول: ينزل (بذاته) كما اعترض  
بعض الناس على تعبير بعض السلف (ينزل بذاته)، قالوا: ليس لنا أن نزيدها،  
فنقول: نعم، الأصل أنه ليس لنا أن نزيدها، لأنَّ الفعل إذا أُضيف إلى فاعله، فهو  
له حقيقة، أي: ذاته، لكن إذا كنا نسمع مَنْ أشاع قولاً بأنَّ المراد: تنزل رحمتُه، أو  
أمره، أو مَلَكٌ مِنْ ملائكته، فيجب علينا أن نضيف (بذاته) حتى نبيِّن للناس.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم:  
كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، رقم  
(٧٥٨).

والكلمات التي لا تخالف الظاهر - وإن لم تكن موجودة - إذا اضطررنا إليها، فلا حرج علينا فيها كما قلنا في ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: هو نفسه استوى على العرش.

وبعض الناس يقول: لا تَقُلْ: بذاته! بل أقول: (بذاته) ما دام هناك مَنْ يُؤَوَّلُ ويحرّف، فلا بد أن يُبَيَّن.

وهذا النزول يَرُدُّ عليه أسئلة:

السؤال الأول: كيف ينزل؟

الجواب: ينزل على كيفية شاءها، ولا تسأل، لأننا نقول لمن سأل: (كيف ينزل؟): أنت مبتدع.

السؤال الثاني: حال النزول هل يلزم منه أن يتخلو العرش من الربّ عزّ وجلّ؟

الجواب: أيضًا نقول: لا تسأل، فالسؤال عن هذا بدعة، فالصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ما سألوا عن هذا، وإذا كانوا لم يسألوا، فإنه يَسَعُنَا ما يَسَعُهُمْ، ومَنْ لا يَسَعُهُ ما وَسِعَ الصحابة فلا وَسَعَ اللهُ عليه.

السؤال الثالث: هل النزول ينافي علوّ الله؟

الجواب: نجزم بأن هذا لا ينافيه، لأنّ (العلوّ) من الصفات الذاتية، فهو عالٍ على الخلق كلّهم، ولو نزل إلى السماء الدنيا، كما هو عالٍ على الخلق كلّهم، وهو معهم لكنه في العلوّ.

ولا تقس المعاني التي يحتملها اللفظ مما يتعلق بالآدمي على ما يكون لله منها، وذلك لاختلاف ما بين المخلوق والخالق.

إِذَنْ مَوْقِفَنَا مِنْ هَذَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ حَقًّا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، أَوِ الثَّانِي الَّذِي يَبْتَدِئُ مِنَ النِّصْفِ فَيَقُولُ: «مَنْ يَدْعُونِي...» إِلَى آخِرِهِ.

أَمَّا الْمُحَرِّفُونَ الَّذِينَ قَالُوا: يَنْزِلُ أَمْرُهُ، فَنَقُولُ: هَذَا تَحْرِيفٌ مُخَالَفٌ لظَاهِرِ اللَّفْظِ، ثُمَّ إِنْ (أَمَرَ اللَّهُ) هَلْ يَخْتَصُّ بِنُزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟ الْجَوَابُ: لَا، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

كذلك (الرحمة) إذا نزلت إلى السماء الدنيا، فماذا نستفيد منها؟!

أَيْضًا (الْمَلَكُ) لَا يُمْكِنُ، فَهَلْ يُمْكِنُ لِأَيِّ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَقُولَ لِلخَلْقِ: مَنْ يَدْعُونِي؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ، لَكِنَّ الْمُحَرِّفَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - يَكُونُ قَدْ تَلَوَّثَ بِنَجَاسَةِ التَّحْرِيفِ، وَغَشِيَتْ قَلْبَهُ حَتَّى لَا يُبْصِرُ مَا وَرَاءَهَا، فَيُفَسِّرُ النُّزُولَ بِهَذَا التَّفْسِيرِ.

قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبُهُ» هُنَا إِشْكَالٌ فِي كَلِمَةِ (فَأُجِيبُهُ) هَلْ هِيَ بِالرَّفْعِ، أَوْ بِالنَّصْبِ، أَوْ بِالْجُزْمِ؟

الْجَوَابُ: بِالنَّصْبِ، لِأَنَّهَا جَوَابُ الاسْتِفْهَامِ، مَسْبُوقَةٌ بِـ(فَاءِ) السَّبْبِيَّةِ، وَلِذَا قَالَ النَّاطِمُ<sup>(١)</sup>:

مُرٌّ، وَادْعُ، وَآنَهُ، وَسَلِّ، وَاعْرِضْ لِحَضْرَتِهِمْ

تَمَنَّ، وَارْحُ، كَذَلِكَ النَّفْسُ قَدْ كَمَلَا

(١) انظر: حاشية الأجرومية لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (ص: ٤٩).

٤٤٩- وَزَعَمْتَ أَنَّ لَهُ نُزُولًا ثَانِيًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْقَضَاءِ الثَّانِي قَوْلُهُ: «وَزَعَمْتَ أَنَّ لَهُ نُزُولًا ثَانِيًا... إلخ» قد ثبتت به السنة، وأشار إليه الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

٤٥٠- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَبْدُو جَهْرَةً لِعِبَادِهِ حَتَّى يُرَى بِعَيَانٍ

هذه قضية رؤية الله عزَّ وجلَّ، فهل الله يُرى؟

أَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَيُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَخْتَجِبُ عَنْهُمْ، وَيُعْطُونَ نُورًا ثُمَّ يَنْطَفِئُ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ صَارُوا أَشَدَّ حَسْرَةً، وَهُمْ فِي ظَاهِرِ أَمْرِهِمْ مُسْتَنِيرُونَ بِنُورِ اللَّهِ، وَلَكِنْ يُحْرَمُونَ بَعْدَ أَنْ يَرَوْهُ، فَيَكُونُ هَذَا أَشَدَّ أَلَمًا وَحَسْرَةً.

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْمَحْرُومِينَ مِنْ رَجَائِهِمْ لِرُؤْيَةِ اللَّهِ، فَلَا يُرَى.

هؤلاء الذين ينكرون رؤية الله لا يرجون لقاء الله -نسأل الله العافية- لأنهم يقولون: رؤية الله مُحَالَةٌ، مَعَ أَنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ دَلٌّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِدَّةُ آيَاتٍ: أَصْرَحُهَا وَأَبْيَنُهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وهذه واضحة جدًا.

ومنها قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ -وهو أعلم الناس بتفسير كلام الله- الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله -تبارك وتعالى- (١).

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب -تبارك وتعالى-، رقم (٢٥٥٢)، وابن ماجه: كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٧).

ومنها قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥] وَجْهُ الدلالة أنه لما حُجِبَ الْفُجَّارُ فِي حَالِ الْغَضَبِ، لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَلَّا يُحْجَبَ الْأَبْرَارُ عَنْ رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْكُلُّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَرَوْا اللَّهَ، لَمْ يَكُنْ لِنَفْيِ رُؤْيَةِ اللَّهِ عَنِ الْفُجَّارِ فَائِدَةٌ.

وفي السورة نفسها أيضًا قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ يُنظَرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣] يَنْظُرُونَ لِأَيِّ شَيْءٍ؟ الْجَوَابُ: يَنْظُرُونَ لِكُلِّ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ أَيْضًا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥].  
المهم أن هذا شيء معلوم في القرآن كثير.

وفي السُّنَّةِ: تَوَاتَرَتِ السُّنَّةُ عَنِ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ رُؤْيَةً حَقِيقَةً حَسِيَّةً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»<sup>(١)</sup>. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ عِيَانًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»<sup>(٢)</sup>.

فهل يبقى بعد هذا شيء؟! لكن أولئك الذين حُرِّمُوا مِنْ رَجَاءِ رُؤْيَةِ اللَّهِ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- أَنْكَرُوا هَذَا، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُرَى فَقَدْ كَفَرَ. نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَنَحْنُ رَبِّهَا نَقُولُ: مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ كَفَرَ، لِأَنَّ الْأَدْلَةَ فِيهَا وَاضِحَةٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَحْتَمِلَ التَّأْوِيلَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، باب (٥٥٤)، مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها، رقم (٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

٤٥١- بَلْ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَرَوْنَهُ فَأَلْمُؤَلَّتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ

بقي أن نقول: أليس الله تعالى قال لموسى -عليه السلام- حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَنِي ﴿ [الأعراف: ١٤٣].

فالجواب: بلى، لكنّ هذا في الدنيا، لأنّ أجسامنا في الدنيا لا تحتمل رؤية الله عزّ وجلّ، ولهذا بيّن الله عزّ وجلّ أنّ موسى -عليه السلام- لن يتحمّل، لقوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾.

فإذا ادّعوا أن (لن) تفيد التأييد كما إذا قلت: (لن يقوم زيد) يعني: لا يمكن أن يقوم أبداً.

فالجواب: أن هذا زعمٌ باطل، ليس بصواب.

وانظر إلى قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] حيث أكّد النفي بقوله: ﴿أَبَدًا﴾، ومع ذلك يقول أهل النار لمالك: ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فتمنوا الموت، فدلّ هذا على أن (لن) وإن اقتضت التأييد في الدنيا، فلن يستمرّ التأييد إلى الآخرة.

ونحن نقول: في الدنيا لا أحد يراه، ولا يمكن، لكن في الآخرة يراه الناس.

وفي هذا يقول ابن مالك -رحمه الله-<sup>(١)</sup>:

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِـ (لَنْ) مُؤَبَّدًا فَقَوْلُهُ ارْزُدْ، وَسِوَاهُ فَاعْضُدًا

هذا ذكره في كتاب المنظومة (الكافية الشافية) التي لخصّ منها الألفية.

(١) انظر: شرح الكافية الشافية (٣/١٥١٥).

وأما رؤية الله عزَّ وجلَّ في المنام فقد ورد فيها حديث<sup>(١)</sup>، وهذا الحديث مختلف فيه، لكن أكثر أهل العلم صحَّحوه، ولا بن رجب -رحمه الله- شرح<sup>(٢)</sup> على هذا الحديث.

٤٥٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ لِرَبِّنَا قَدَمًا وَأَنَّ

٤٥٣- فَهَنَّاكَ يَدُنُو بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ حَاجَتِي وَكَفَّانِي

إثبات القدم لله أيضًا جاءت به السُّنَّة، وفي لفظ (الرَّجُلِ) لله عزَّ وجلَّ قال النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ». يعني: تطلبُ المزيد، «حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ». أي كفى، «وَعَزَّتْكَ وَيُزَوِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»<sup>(٣)</sup>. أي يَنْضُمُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيَصْدُقُ وَعَدُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهَا بِأَنَّ يَمْلَأَهَا.

إِذْنُ نُثِبْتُ الْقَدَمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ يَضَعُ قَدَمَهُ عَلَى النَّارِ، فَهَلْ هَذِهِ الْقَدَمُ مِثْلُ أَقْدَامِ الْمَخْلُوقِ؟ الْجَوَابُ: لَا، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهَا، احْتِجَاجًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ونقول لمن قال: يلزم من إثبات القدم أن تكون ماثلة لأقدام المخلوقين،

(١) وهو قوله ﷺ: «أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: رَبِّ لَا أَدْرِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَفَيْي فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيِي فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ». أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة (ص)، رقم (٣٢٣٤).

(٢) هو كتاب: (اختيار الأكل في شرح حديث اختصاص الملائكة الأعلی).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، رقم (٦٢٨٤)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم (٢٨٤٨).

نقول: سبحان الله! أفدنا هل قدمك موافقة لقدم الحمار أو لا؟ إن قال: نعم، قلنا: أنت حمار، وإن قال: لا، قلنا: إذن إذا أمكن إثبات القدم للمخلوقين مع التباين العظيم، أفلا يمكن أن نثبت القدم لرب العالمين مع التباين العظيم؟!

والجواب: بلى.

قَوْلُهُ: «قط» بمعنى كفى، ومنه قولنا، فقط، تقول: (عندي مئة ريال فقط) أي: يكفي، لكن أدخلوا الفاء عليها لتحسين اللفظ.

والحاصل أن المقصود بكل ما ذكر في الآيات السابقة إثبات صفات الله عز وجل.

وقول المؤلف: (زعمت)، و(زعمت)، و(زعمت) هذا قول المعطل الذي يُنكر على المثبت، وهذه الأشياء المزعومة كلها جاءت في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] والرّضى عن المؤمنين، والغضب على الكافرين وما أشبه ذلك، لكن كل هذه الأشياء مُنكرة عند أولي التعطيل لا يثبتونها، وهم فيها على مسلكين:

المسلك الأول: إذا أمكنهم أن يطعنوا في الأحاديث ويكذبوها كذبوها، مثل خبر الآحاد، يقولون: إنه لا تثبت به العقائد.

وهذه قاعدة باطلة مهدومة.

المسلك الثاني: إذا لم يتمكنوا من الردّ ذهبوا إلى التحريف، لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: إنها غير ثابتة، لكن يقولون بالتحريف.

فَهُمْ لَمْ يَكُنْ فِي النُّصُوصِ الْمُبْتَدَأَ طَرِيقَتَانِ: طَرِيقَةُ الرَّدِّ إِذَا أَمَكْنَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَالْتَحْرِيفُ، أَمَّا الْإِنْكَارُ الْمَطْلَقُ، فَهَذَا لَا يَكُنْ فِي مِثْلِ الْقُرْآنِ وَالْمُتَوَاتِرِ، لِأَنَّهُ ثَابِتٌ، لَكِنْ يَقُولُونَ: نُحَرِّفُ، فَالْمُرَادُ بِالْيَدِ مِثْلًا: (الْقُوَّةُ) أَوْ (النَّعْمَةُ)، وَإِلَّا فَلَا تُنْكَرُ أَنَّ اللَّهَ يَدًا، لَكِنْ لَيْسَتْ الْيَدُ الْمَعْرُوفَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، بَلْ هِيَ الْقُوَّةُ، أَوْ النَّعْمَةُ.

وهل لله وجه؟ قالوا: نعم، له وجه، لكن ليس الوجه الحقيقي، بل المراد به الثواب، فقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] أي: ثوابه، لأنَّ الْجَنَّةَ مُؤَبَّدَةٌ.

هذه طريقتهم في النصوص، ليس أيضًا في الصفات حتى فيما يخالف قولهم في العقائد الأخرى.

فمِثْلًا: الْجَبْرِيَّةُ يُنْكِرُونَ كُلَّ حَدِيثٍ يُثْبِتُ لِلْعَبْدِ إِرَادَةَ حَقِيقِيَّةً، وَإِذَا أَمَكْنَ أَنْ يَرُدُّوهُ رَدُّوهُ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ حَرَّفُوهُ، فَمِثْلًا: مَحَاجَّةُ آدَمَ لِمُوسَى<sup>(١)</sup>، قَالَتْ الْقَدَرِيَّةُ: هَذَا حَدِيثٌ كَذِبٌ، لَا يَكُنْ، وَلَا تَقْبَلُ أَنَّ آدَمَ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ إِرَادَةٌ، فَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَالِفٌ لِلْعَقْلِ، وَطَرِيقُهُ آحَادٌ فَلَا نَقْبَلُهُ، وَرَدُّوهُ.

والذي لا يمكن أن يردُّوه يُحَرِّفُونَهُ، فيقولون: المراد به كذا وكذا، بناءً على أصول مذاهبهم.

٤٥٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ مَزِيدِهِمْ كُلُّ يُحَاضِرُ رَبَّهُ وَيُدَانِي

(١) يعني حديث: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُوْنَا حَيِّتْنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اضْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَحَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى». أخرجه البخاري: كتاب القدر، باب تهاج آدم وموسى عند الله، رقم (٦٢٤٠)، ومسلم: كتاب القدر، باب، حجاج آدم وموسى - عليها السلام -، رقم (٢٦٥٢).

٤٥٥- بِالْحَاءِ مَعَ ضَادٍ وَجَامِعٍ صَادِيهَا وَجَهَانٍ فِي ذَا اللَّفْظِ مَحْفُوظَانِ  
قَوْلُهُ: «بِالْحَاءِ مَعَ ضَادٍ» يَعْنِي: يُحَاضِرُ.

قَوْلُهُ: «وَجَامِعٌ صَادِيهَا» (وجا) يعني: (وجاء) مع صادها، يعني: وجاء:  
يُحَاضِرُ.

قَوْلُهُ: «وَجَهَانٍ فِي ذَا اللَّفْظِ مَحْفُوظَانِ» يعني: إِنَّ لَفْظَ الْحَدِيثِ جَاءَ بِهَذَا  
وبهذا، يعني: (يُحَاضِرُ أَوْ يُحَاضِرُ)، والمعنى متقارب، يعني أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُكَلِّمُ الْعَبْدَ  
مُحَاضِرَةً يَعْنِي: لَيْسَ مَعَهَا أَحَدٌ، أَوْ مُحَاضِرَةً يَعْنِي: مُنَاقَشَةً، أَي: أَخَذًا وَرَدًّا.

٤٥٦- فِي التِّرْمِذِيِّ وَمُسْنَدِ وَسَوَاهِمَا مِنْ كُتُبِ تَجْسِيمِ بِلَا كِتْمَانِ  
قَوْلُهُ: «فِي التِّرْمِذِيِّ» يَعْنِي: فِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ.

قَوْلُهُ: «مِنْ كُتُبِ تَجْسِيمِ» فَهَم يَرُونَ أَنَّ جَمِيعَ الْكُتُبِ الَّتِي تُثَبِّتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ  
كُلَّهَا كُتُبُ تَجْسِيمٍ، لِأَنَّهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّ إِثْبَاتَ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ.

٤٥٧- وَوَصَفْتُهُ بِصِفَاتٍ حَيٍّ فَاعِلٍ بِالِاخْتِيَارِ وَذَانِكَ الْأَصْلَانِ

٤٥٨- أَصْلُ التَّفَرُّقِ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْبَارِي، فَكُنْ فِي النَّفْسِ غَيْرَ جَبَانِ

يعني: وزعمت أنه موصوف بصفات الحيِّ الفاعل الاختيارية، مثل: النزول،  
والاستواء، والضَّحِك، والفرح، وما أشبه ذلك، فهذه أفعال اختيارية.

وهذه الأفعال الاختيارية موصوف بها الإنسان، أو غير موصوف بها؟

الجواب: موصوف بها الإنسان، فيقول: زعمت هذا.

قَوْلُهُ: «وَذَانِكَ الْأَصْلَانِ أَصْلُ التَّفَرُّقِ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْبَارِي فَكُنْ فِي

النَّفْيِ غَيْرَ جَبَانٍ» يعني: انفِ هذا الشيء، وَقُلْ: إنَّ اللهَ -تبارك وتعالى- ليس له فعلٌ اختياري.

ولذلك عند هؤلاء المعطلَّة لا يستطيع اللهُ عزَّ وجلَّ أن ينزل، ولا أن يأتي للفصل، ولا أن يضحك، ولا أن يفرح، لأنهم يدَّعون أن الأفعال الاختيارية تستلزمُ حدوثَ صفةٍ في الله، والحادِثُ لا يكونُ إلَّا بحدِث.

وسبق أن هذه قاعدةٌ باطلة، وأنَّ قيامَ الحوادثِ بما هو أزلِّي لا يَمْنَعُ منه عقلٌ، ولا شرعٌ.

٤٥٩- أَوْ لَا، فَلَا تَلْعَبُ بِدِينِكَ نَاقِضًا نَفِيًّا بِإِبْتِاتٍ بِلَا فُرْقَانٍ

يعني: إن لم تكن شجاعاً في النفي، فلا تلعبِ بِدِينِكَ، فمَرَّةً تنفي، ومَرَّةً تُثَبِّت، إنَّ حَصَرَكَ المناظرُ أَثَبَّتْ، وإنَّ خَلَا لَكَ الجَوُّ نَفَيْتَ، بل كن غيرَ جَبَانٍ، يعني: شجاعاً مع مَنْ يُثَبِّت لِنَعْلَبَهُ بالنفي.

٤٦٠- فَالْنَّاسُ بَيْنَ مُعْطَلٍّ أَوْ مُثَبِّتٍ أَوْ ثَالِثٍ مُتَنَاقِضٍ صِنْفَانِ<sup>(١)</sup>

٤٦١- وَاللَّهُ لَسِتَ بِرَابِعٍ لَهُمْ بَلَىٰ إِمَّا حِمَارًا أَوْ مِنَ الثَّيْرَانِ

يقول -رحمه الله-: إنَّ الناسَ ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نافٍ -أي: مُعْطَلٍّ- اطَّرَدَ نَفِيَّهُ في كل الصفات.

القسم الثاني: مثبت لكلِّ ما أثبتته اللهُ لنفسه، اطَّرَدَ إِثْبَاتُهُ في كُلِّ الصفات.

القسم الثالث: متناقض، يُثَبِّتُ بعضَ الصفات دون بعض، أو يثبت تارةً

وينفي أخرى.

(١) في بعض النسخ: «صفعان»، وفي نسخة: «صنغان».

وهذا تقسيم حاصل.

إِذَنْ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ، ولذا قال: (وَاللَّهِ لَسْتُ بِرَابِعٍ لَهُمْ بَلَى).

قَوْلُهُ: «بَلَى» هنا بمعنى (بل)، وابن القيم -رحمه الله- يستعملها دائماً بهذا المعنى، ووردت (بلى) في القرآن في موضع بمعنى (بل).

قَوْلُهُ: «إِنَّمَا حِمَارًا أَوْ مِنَ الثَّيْرَانِ» عُلَّه لا يقول شيئاً أبداً لا إثباتاً، ولا نفيًا، ولا تردداً.

وذكر الحمار لأنَّ الحمارَ أبلدُ البهائم، ولهذا ضربه الله تعالى مثلاً بالذين ﴿حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥] ولأجل كونه أبلد الحيوان فهو أدلُّ الحيوان للطريق.

وذكر لنا شيخنا عبد الرَّزَّاق عفيفي -رحمه الله- أنه لما كان أبلد الحيوان صار أدلُّ الحيوان، إذ ليس عنده تفكير، فهو يمشي على هذه الطريقة، وقال: والذكي ليس يدلُّ كثيراً، لأنَّ حُجَّهُ دائماً منشغلاً بغير الطريق.

أمَّا كون الحمار يدلُّ فهذا شيء معلوم، وقد عرفنا هذا لما كنا فلاحين، وأما كون الذكي ما يدلُّ كثيراً، فهذا يحتاج إلى نظر، فقد لا تُسَلِّم، أنا أرى أن السائقين من أدلُّ الناس، فإذا ذهب معك إلى البيت ولو مرة واحدة فإنه يعرفُ البيت، لكن الركاب معه لا يعرف أبداً، لأن السائق عنده تركيز بخلاف مَنْ معه.

بقي قَوْلُهُ: «أَوْ مِنَ الثَّيْرَانِ» ما وجهه؟

هل نقول: إن ابن القيم -رحمه الله- قالها تكميلاً للبيت، أو هناك ملاحظة؟

الجواب: فيه ملاحظة، فالثور ليس عنده حكمة، فهو يعيث بقرونه، ولا يبالي في مناسبة، أو غير مناسبة.

وذكروا لنا أن رجلاً -رحمه الله- دخل إلى حوشِ البقر، فعَدَا عليه الثور، ولا يستطيع أن يهرب الآن لأنه محاطٌ بالجدران، حتى ألجأه الثورُ إلى الجدار، يريدُ أن يقتله، فاتكأَ الرجلُ على الجدار، وأمسك برأس الثور، ولفه حتى كسر رقبتَه وسقط.

وقصدي بهذا أن الثورَ ليس عنده تصرف، فالجِمار بليد ليس عنده علم، والثورُ -وإن كان عنده علم- لكن ليس عنده حكمة، فالظاهر أن هذا مراده -رحمه الله-، وليس مراده أن يكمل شطر البيت فقط.

\*\*\*

- ٤٦٢- فَاسْمَعُ<sup>(١)</sup> بِإِنْكَارِ الْجَمِيعِ وَلَا تَكُنْ مُتَنَاقِضًا، رَجُلًا لَهُ وَجْهَانِ  
 ٤٦٣- أَوْ لَا فَفَرِّقْ بَيْنَ مَا أَثْبَتَهُ وَنَفَيْتَهُ بِالنَّصِّ وَالْبُرْهَانِ  
 ٤٦٤- فَالْبَابُ بَابٌ وَاحِدٌ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي عَقْلِ وَفِي مِيزَانِ  
 ٤٦٥- فَمَتَى أَقْرَبَ بَعْضِ ذَلِكَ مُثَبَّتٌ لَزِمَ الْجَمِيعَ أَوْ أَثَبَتِ بِالْفُرْقَانِ  
 ٤٦٦- وَمَتَى نَفَى شَيْئًا وَأَثَبَتَ مِثْلَهُ فَمَجَسَّمٌ مُتَنَاقِضٌ دَيْصَانِي  
 ٤٦٧- فَذَرُوا الْمِرَاءَ وَصَرِّحُوا بِمَذَاهِبِ الْأَقْدَمَاءِ وَأَنْسَلِحُوا مِنَ الْإِيمَانِ  
 ٤٦٨- أَوْ قَاتِلُوا مَعَ أُمَّةِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ تَحْتَ لَوَاءِ ذِي الْقُرْآنِ  
 ٤٦٩- أَوْ لَا فَلَا تَتَلَاعَبُوا بِعُقُولِكُمْ وَكِتَابِكُمْ وَبِسَائِرِ الْأَدْيَانِ  
 ٤٧٠- فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِصِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ وَعُلُوِّهِ بَيِّنَانِ

(١) في نسخة الشرح: «فاسمع».

٤٧١- وَالنَّاسُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ أَوْ جَاحِدٍ أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ أَوْ شَبِيهِهٗ أَتَانِ

### الشرح

٤٦٢- فَاسْمَحْ بِإِنْكَارِ الْجَمِيعِ وَلَا تَكُنْ مُتَنَاقِضًا، رَجُلًا لَهُ وَجْهَانِ

قَوْلُهُ: «فَاسْمَحْ بِإِنْكَارِ الْجَمِيعِ» يعني: أَنْكِرِ الْجَمِيعَ، ويريد بذلك الأسماء والصفات كُلِّهَا، وحيثُذ يكون البَابُ عنده مَطْرَدًا، لا يثبت، لا الأسماء، ولا الصفات، ولا شَكَّ أن قَاعِدَتَهُم هذه مُطْرَدَةٌ، لكن هل هي صحيحة، أو غير صحيحة؟ المهم أن قَاعِدَتَهُم مُطْرَدَةٌ.

قَوْلُهُ: «وَلَا تَكُنْ مُتَنَاقِضًا» التناقض هو أن يُثَبَّتَ البعض، وينفي البعض، فمثلًا المعتزلة: أثبتوا الأسماء، وأنكروا الصفات، إذن تناقضوا، أي فرق بين هذا وهذا؟! فَمَنْ أثبت الأسماء لزمه أن يُثَبَّتَ الصفات.

والأشاعرة -مثلًا- أثبتوا الأسماء، ولم يثبتوا من الصفات إلا سبع صفات فقط، هذا المعروف عنهم، وربما يكون هناك فِرَقٌ أخرى أثبتت أكثر من السبع، أو فسرتها بتفاسير أخرى، فالأشاعرة أثبتوا الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، كما قال السفاريني -رحمه الله-<sup>(١)</sup>:

لَهُ الْحَيَاةُ، وَالْكَلامُ، وَالْبَصَرُ، سَمْعٌ، إِرَادَةٌ، وَعِلْمٌ وَاقْتِدَارٌ  
بِقُدْرَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمُمْكِنٍ كَذَا، إِرَادَةٌ، فَعٍ وَاسْتِثْنَاءٍ

(١) انظر كتابه: (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية) (١/١٣٠).

فهؤلاء متناقضون، نقول لهم: لماذا أثبتتم السبع الصفات، ولم تثبتوا غيرها؟! إما أن تثبتوا الجميع فتوافقوا أهل السنّة، وإما أن تنفوا الجميع فتوافقوا المعتزلة الذين تزعمون أنكم أنتم الذين تصدّيتم للردّ عليهم، ولهذا نقول: المعتزلة أطرّد في القاعدة من الأشاعرة، وإن كانوا أخطئوا في إثبات الأسماء دون الصفات.

وقد قرأنا لبعض كتّابهم أنه لم يرّد أحد على المعتزلة كما ردّ عليهم الأشاعرة. وهذا كذبٌ وبهتانٌ.

المهم أن الاضطراد إما بإنكار الجميع، وإما بإثبات الجميع، ولهذا قال:

٤٦٣- «أَوْ لَا فَفَرَّقْ بَيْنَ مَا أَثْبَتَهُ وَنَفَيْتَهُ بِالنَّصِّ وَالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ لَا» يعني: لا تُنكر الجميع، أنكر بعضها.

قَوْلُهُ: «فَفَرَّقْ بَيْنَ مَا أَثْبَتَهُ وَنَفَيْتَهُ بِالنَّصِّ وَالْبُرْهَانِ» هل يقدر أو لا يقدر؟

الجواب: لا يقدر أن يفرّق بين ما أثبته وما نفاه.

فالأشاعرة - كما سبق - لا يُثبتون لله إلا سبع صفاتٍ، والباقي لا يثبتونه، فالرحمة، والرضى، والغضب، والسخط، والكرهية، والبغض، والمحبة، والوجه، وما أشبه ذلك، كلُّ هذا - عندهم - ليس بثابتٍ لله على وجه الحقيقة، ويحب أن يُؤوّل، لماذا؟

منهم من قال: لأنّ العقل لا يدل عليه، ونحن لا نُثبت إلا ما دلّ عليه العقل.

ومنهم من قال: لأنّ إثباته يستلزم التجسيم، لأننا لا نشاهد ما يتصف بذلك إلا ما هو جسم، فإذا أثبتنا حقيقته لله لزم أن يكون جسماً، ثم قالوا: الأجسام متماثلة، وكل ما استلزم باطلاً فهو باطل، لأنّ المماثلة باطلة.

نقول لهم: ما دليلكم على إثبات العقل لهذه الصفات السبع؟ قالوا: الإيجاد يدلُّ على القدرة، فالسماوات والأرض والبشر والحيوان كُلُّها مُوجَدٌ لله، فهذا دليل على القدرة، وهذا صحيح.

والتخصيص يدلُّ على الإرادة، ومعنى التخصيص أن يقول: هذه سماء، وهذه أرض، وهذا إنسان، وهذا جبل، وهذه شمس، وهذا قمر، فهذا يدلُّ على أن هناك إرادةً فَرَّقَتْ بين الموجودَيْنِ، ولولا الإرادة لكان الخَلْقُ كُلُّهم شيئاً واحداً، إذن تخصيصُ كُلِّ واحدٍ مِنَ المخلوقات بما يختصُّ به دليلٌ على الإرادة، وهذا صحيح.

لو نظرنا إلى هذه المخلوقات وجدنا أنها مُحَكَّمَةٌ متقنَةٌ، قال الله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠] قالوا: إحكامُ هذه الأشياء وإتقانها يدلُّ على العلم، لأنَّ الجاهل لا يُتَقَنُّ، فلو أعطيت شخصاً مسجلاً لفكَّه وتركيبه وهو لا يعرف ذلك، فإنه لا يستطيع ذلك، لأنه لا دراية ولا عِلْمَ له بذلك، حتَّى لو قام بتركيبه على غير انتظام، فإنَّ المسجَل لا يعمل.

قالوا: فهذا النظام البديع، والإحكام الغريب يدلُّ على العِلْم.

وهذا صحيح، فنوافقهم على ذلك، فاجتمع عندنا الآن ثلاث صفات، وهي: القدرة، والإرادة، والعلم.

قالوا: وهذه الصفات لا تقوم إلاَّ بِحَيٍّ، لأنَّ الميت لا يستطيع، فليس عنده قدرة، ولا إرادة، ولا عِلْمَ، إذن ثبت صفة الحياة بهذه الطريقة بأنها من لازم كونه عليماً قادراً مُريداً أن يكون حياً. وهذا صحيح.

والحيُّ إمَّا أن يكون أعمى أصمَّ أخرسَ، أو بصيراً سميعاً متكلماً، والأول

ممتنع على الله، فلا يمكن أن يكون بهذا العيب، فبقي الثاني، ولزم أن يكون سميعًا بصيرًا متكلمًا.

فنتقول: وهذا أيضًا صحيح، وليتهم قالوا: والمريد إما أن يكون سفيهاً، وإما أن يكون حكيمًا، وهذا صحيح، والأول ممتنع، فلزم الثاني، وهو الحكمة، لكن لم يقولوا هذا، وما هُذوا إليه، مع العلم بأن هذا من أظهر ما يكون، فمثال المريد للشيء: الصبي الذي يمسك فنجان الشاي ويضرب به البيت، فهو هنا مريدٌ، لكن فعله هذا سفةٌ، وليس بحكمة.

إذن كلُّ مُريدٍ إما أن يكون حكيمًا، وإما أن يكون سفيهاً، والثاني ممتنعٌ على الرَّبِّ عزَّ وجلَّ، فلزم أن يكون حكيمًا، ولهذا يقولون: فعلُ الله، وحُكمُ الله، وتشريعُ الله لغيرِ حكمة، لكن لمطلق الإرادة.

فالآن هذا دليل العقل لإثبات هذه الصفات السبع، والباقي - وهو كل ما حوى من قاموس الكتاب والسنة - لم يثبتوه، وهذا من أعظم التناقض، فنحن نردُّ عليهم بأشياء كثيرة، بوجوه عقلية، فنقول:

أولاً: اعتمادكم على العقل فيما يُثبِتُ الله، وفيما يُنْفَى عنه، هذا باطلٌ من أصله، لأنَّ الرسولَ ﷺ والصحابة والخلفاء والأئمة من بعدهم ما جعلوا مدار هذه الأشياء على العقل، فالاعتمادُ على العقل طريقٌ مُحَدَّثٌ بِدْعِيٌّ وضلال، لقول الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: نقول: اعتمادكم على العقل مخالفٌ للعقل، ولا نقول: العقل لا يثبت، بل نقول: هو مخالفٌ للعقل، وبين هذه والتي قبلها فرق، كيف يكون مخالفاً

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧).

للعقل؟ لأنَّ من المعلوم لكلِّ أحدٍ أنَّ طريق الإثبات في هذه الأمور هو السمع، فليس لنا طريق أن نثبت لله تعالى من ذلك شيئاً، أو نَنفِيهِ إِلَّا عن طريق السمع، فالعقل إذن يؤيد أننا لا نَعتمد في إثبات هذه الأمور، أو نفيها إِلَّا على السمع، لا على العقل، فصار تحكيم العقل في هذه الأمور مخالفاً للعقل.

ثالثاً: أن نقول: يمكن أن نثبت ما نفيتموه بالعقل، كما أثبتُّم ما أثبتموه بالعقل، مع أن نفي الأمور الخبرية لا مدخل للعقل فيها، إذ إن موقف العقل سيكون التوقف.

ونقول مثلاً: جلبُ النِّعمِ، ودفعُ النِّقمِ دليلٌ على الرحمة، فَلتُثبت، كما استدلتُّم بالتخصيص على الإرادة، بل ودلالة ذلك على الرحمة أقوى من دلالة التخصيص على الإرادة الذي زعمت أيها الأشعريُّ أنه دليل عقلي على إثبات الإرادة.

هم يقولون: الإرادة تُثبت بالعقل، لأننا نشاهد المخلوقات لها خصائص، كل واحد له خصيصة، فتخصيصُ كُلِّ شيءٍ بما يختص به يدلُّ على أن هناك إرادة.

نقول: سبحان الله! هذا الدليل الخفي الذي قد يَعسرُ فَهْمُهُ على طالب العلم هل هو أقوى من دليل الغيث على الرحمة؟ الجواب: لا والله، ليس بأقوى.

ونقول: عقوبةُ المجرمين ومثوبةُ الطائعين دليلٌ على كراهة الأولين ومحبة الآخرين، إذ لا يمكن لشخص أن يمسك إنساناً ويجلده، ويضربه ضرباً مُبرِّحاً، ويقول له: (والله إني أُحِبُّكَ، فأنت أحبُّ إليَّ من كثيرٍ من الناس)، وهو يضربه، فالعقوبة تدلُّ على الكراهة.

لكن واحد يضرب شخصاً ضرباً مُبرِّحاً ويجلده، ويقول له: (والله إني أكرهك) فهذا صادق، وإنسان آخر دعا شخصاً إلى بيته، وأكرمه غاية الإكرام،

وألبسه من خير اللباس، وأركبه من خير المركوب، وقال: تدري لِمَ فعلتُ بك هذا؟ قال: نعم، قال: لأني أكرهك. فلا يمكن هذا.

إِذَنْ مَثُوبَةُ الطَّائِعِينَ وَعَقُوبَةُ المَجْرِمِينَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ اللهَ مُحِبُّ الأَوَّلِينَ وَيَكْرَهُ الأَخْرِينَ.

فنقول لهم: يمكن أن نُثَبِتَ ما نفيتموه بطريق العقل كما أثبتتم أنتم ما أثبتموه بطريق العقل، بل إن إثباتنا قد يكون أوضح.

رابعًا: أن نقول: هَبْ أن العقل لا يدلُّ على ما نَفَيْتُمْ، هَبْ أن العقل لا يدلُّ على إثبات الرحمة لله، أو إثبات الرِّضَى، أو الغضب، أو ما أشبه ذلك، ولكن السمع أثبتته، فإذا انتفى الدليلُ العقليُّ على زعمكم، فقد أثبتته الدليلُ السمعيُّ، والقاعدة التي أطبق عليها جميع العقلاء أنَّ انتفاء الدليلِ المُعَيَّن لا يستلزم انتفاء المدلول، لأنَّ المدلول قد يَثْبُتُ بدليلٍ آخر، فإذا انتفى هذا الدليل، فهناك دليلٌ آخر، فهب أن هذا الدليل قد انتفى، لكن هناك دليلٌ آخر.

وكما أن هذا في المعقولات فهو أيضًا في المحسوسات، رأيت لو كان لِمَكَّةَ ثلاثة طرق، فأردت أن أسافر إليها، فجاءني رجل فقال: إنَّ الطريق الشمالي مغلق، فقلت: إذن أذهب من الطريق الوسط، فقال: مغلق، فأقول: أذهب من الطريق الجنوبي، فهل إذا انسَدَّ طريقان يوصلان إلى مكة، ولها ثلاثة طرق، يستلزم انسداد الطريق الثالث؟ الجواب: لا.

فإذا كانت هذه الصفات - كما زعمتم - لا يدلُّ عليها العقل، فالسمع يدلُّ عليها، فوجب إثباتها بالدليل السَّمْعِيِّ القائمِ السالمِ عن المعارضِ المقاومِ.

فتبيِّن بهذا أن المؤلف - رحمه الله - يقول لهؤلاء الجماعة: أنتم متناقضون،

والمعتزلة أكثر اضطرابًا منكم في القاعدة، لأنَّ المعتزلة يُنكرون كُـلَّ الصفات، فيقولون: أريحونا من التناقض، فليس لله صفة، فلا علم، ولا قُدرة، ولا حياة، ولا حكمة، ولا كلام، وأما الجهمية فينكرون الأسماء والصفات.

انظر -والعياذ بالله- فكلُّ أخذ قسَمًا، فالجهمية قالوا: دعونا من التناقض، لا تقولوا: لماذا أثبتم الأسماء ونفيتم الصفات؟ فالكلُّ نَفَرٌ منه جميعًا، فلا اسم، ولا صفة.

فاحمدوا الله على أن عافاكم مما ابتلاهم به.

وأما أهل السنة فقالوا: نُثبت كل ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، أو على ألسنة رُسله. وهذا هو الحق، لأنَّ هذه أمور غيبية لا تُدرَكُ بالعقل، فوجب تلقيها من السمع (الكتاب والسنة).

فالمهم أن الأشاعرة متناقضون لا شك، فما هو الطريق السليم الصحيح؟  
الجواب: الطريق هو إثبات الجميع، فكلُّ ما سَمَى الله به نفسه فثابتٌ، وكلُّ ما وصف به نفسه فثابتٌ على الوجه الحقيقي، لكن يجب أن نلاحظ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ولهذا قال المؤلف -رحمه الله-:

٤٦٤- فَالْبَابُ بَابٌ وَاحِدٌ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي عَقْلِ وَفِي مِيزَانِ

نحن الآن في سياق الردِّ على الأشاعرة الذين يُثبتون بعضًا، وينفون بعضًا، فهو يقول: كيف تُثبت شيئًا، وتنفي مثله والبابُ بابٌ واحد؟! إما أن تُثبت الجميع، وإما أن تنفي الجميع، وهذا هو العدل.

٤٦٥- فَمَتَى أَقَرَّ بِبَعْضِ ذَلِكَ مُثَبِّتٌ لَزِمَ الْجَمِيعَ أَوْ أَثَبَّتْ بِالْفُرْقَانِ قَوْلُهُ: «فَمَتَى أَقَرَّ بِبَعْضِ ذَلِكَ مُثَبِّتٌ» لو قال المؤلف: «فمتى أقرَّ ببعض ذلك مُثَبِّتًا» لكان أحسن، والمعنى: إذا أقرَّ ببعض ذلك مُثَبِّتًا له لزمه الجميع، أو أن يأتي بالفرقان، فيقول: أثبتُّ كذا لكذا، ونفَيْتُ كذا لكذا.

وقد تقدّم أن الأشاعرة لهم شُبُهَةٌ فيما أثبتوه، ولهم شُبُهَةٌ فيما نفّوه، وسبق أن شُبّهتَهُمُ التي احتجوا بها باطلةً من عدة أوجه:  
أولاً: الاعتماد على العقل غير صحيح.

ثانياً: العقل يقتضي عدم الاعتماد على العقل.

ثالثاً: إذا قُدِّرَ أن العقل لم يدلّ فقد دَلَّ عليه السمع، وانتفاء الدليل المُعَيَّن لا يَسْتَلْزِمُ انتفاء المدلول.

رابعاً: أن العقل قد دَلَّ على ما نفّوه بالعقل.

خامساً: ويمكن أيضاً أن نستدلّ على بطلان مذهبهم بالتناقض، فنقول: مذهبكم متناقض أيضاً، إذ لا فرق بين ما نفيتموه وبين ما أثبتموه.

سادساً: نقول: إنَّ نفيكم يَلْزِمُ منه أنكم فررتم مما أثبتته الله لنفسه، ووقعتم في نظير ما فررتم منه، وضررنا مثلاً فيما سبق بـ(اليد)، قالوا: لا نشبتها، لأنَّ للإنسان يداً، وإثبات اليد يَسْتَلْزِمُ التشبيه، قلنا: قلتم: إنها بمعنى القوة، وللإنسان قوة، فإثبات القوة عندكم يستلزم التشبيه، فوقعتم في مثل ما فررتم منه، ولكن على وجهٍ أقبح، وهو تحريفكم للنصوص عن ظاهرها إلى هذا المعنى الذي أبديتموه.

إذا أقرُّوا بثبوت السبع الصفات يلزمهم إثبات البقية، وإلا فليأتوا بالبرهان، ولا برهان لهم والحمد لله، وقد أبان الله - سبحانه وتعالى - الحقَّ على يد أهل العلم الربانيين.

٤٦٦- وَمَتَى نَفَى شَيْئًا وَأَثَبَتْ مِثْلَهُ فَمَجَسَّمٌ مُتَنَاقِضٌ دَيْصَانِي

قَوْلُهُ: «مَجَسَّمٌ»، لأنه أثبت، وهو يدَّعي أنَّ الإثبات يستلزم التشبيه.  
قَوْلُهُ: «مُتَنَاقِضٌ» حيث نفى شيئاً قد أثبت مثله، فهو مُجَسَّمٌ مُتَنَاقِضٌ.  
قَوْلُهُ: «دَيْصَانِي» نسبة إلى طائفة الديصانية<sup>(١)</sup>.

٤٦٧- فَذَرُوا الْمِرَاءَ وَصَرَّحُوا بِمَذَاهِبِ الْأَقْدَمَاءِ وَأَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «ذَرُوا الْمِرَاءَ» يعني: اتركوا الجدال، والجدال بغير الحقِّ، أو لغير الحقِّ مراء، وأمَّا الجدال بالحقِّ، فليس بمراء، بل هو لإثبات الحقِّ، فلا يُدَمُّ الإنسان عليه.

قَوْلُهُ: «وَصَرَّحُوا بِمَذَاهِبِ الْأَقْدَمَاءِ» يعني بذلك الفلاسفة الذين انسلخوا من الأديان.

(١) الديصانية: أصحاب ديصان، أثبتوا أصلين نورًا، وظلامًا، فالنور يفعل الخير قصدًا واختيارًا، والظلام يفعل الشر طبعًا واضطرارًا، فما كان من خير، ونفع، وطيب، وحسن، فمن النور. وما كان من شر وضرر، وتتن، وقبح، فمن الظلام، وزعموا أن النور: حي، عالم، قادر، حساس، دراك، ومنه تكون الحركة والحياة، والظلام: ميت، جاهل، عاجز، جماد، موات، لا فعل له ولا تمييز. وزعموا أن الشر يقع منه طبعًا وخرقًا، وزعموا أن النور جنس واحد، وكذلك الظلام جنس واحد، وأن إدراك النور إدراك متفق، فإن سمعه وبصره وسائر حواسه شيء واحد، فسمعه هو بصره، وبصره هو حواسه، وإن ما قيل سميع بصير، لاختلاف التركيب، لا لأنها في نفسها شيان مختلفان. انظر: الملل والنحل (٥٥/٢).

يقول: إذا كان الأمرُ على هذا الوجه، والعقيدة على هذا الوجه المتناقض فاتركوها، دعونا لنكونَ مطَّردين في القاعدة، انسلخوا من الإيمان.

وبهذا نعرف ضلال مَنْ قال من الناس: إِنَّ الأشاعرة الذين حَكَّموا العقل هم الذين سَدَّوا البابَ على الفلاسفة والمناطقة، وابن القيم على العكس من هذا الرأي، إذ يرى أن هؤلاء هم الذين فتحوا البابَ للفلاسفة والمناطقة والملحدين.

قال: إذا كنتم متناقضين في عقيدتكم - وهذه عقيدة فليست بهينة، فليست بكلامٍ يُقال، بل عقيدة، كيف تُثبتون الإرادة وتنفون الرحمة والباب واحد؟! إذن هذه عقيدة باطلة متناقضة لا نرضاها، فنرضى على زعمهم النفي في كُلِّ شيء، والكفر - فانسلخوا من الإيمان، وهذه العقائد المتناقضة الفاسدة، وقولوا: لا نُؤمن بشيء أبداً.

فَتَبَيَّنَ بهذا أَنَّ تناقض هؤلاء واضطرابهم هو الذي فتح للملاحدة الباب، قالوا: كيف يبني إنسان عقيدته - التي عليها محياه ومماته - على أمورٍ متناقضة؟! هذا لا يمكن.

وهذه نقطة مهمة في كلام ابن القيم - رحمه الله -.

٤٦٨- أَوْ قَاتِلُوا مَعَ أُمَّةِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ نَحْتِ لَوَاءِ ذِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَعَ أُمَّةِ التَّجْسِيمِ» يعني: على زعمهم، والمراد بهم أهل السنة حتى عند الأشاعرة، فهم يقولون: أنتم يا أهل السنة مُجَسِّمَةٌ.

فإذا رأيت في كتبهم: (مُجَسِّمَةٌ) فاعلم أنهم يقصدون بذلك أهل السنة والجماعة.

فالفلاسفة يقولون: لكم أحد أمرين: إما أن تنسلخوا من الأديان كُليَّةً، وإلَّا كونوا مع أهل التجسيم والتشبيه، قاتلوا مع هؤلاء الأئمة الذين تعتقدون أنهم مُشَبَّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ، لأنَّ كلامَ أهل التجسيم والتشبيه - على زعمهم - غيرُ متناقِضٍ، فكلامهم مُطَرِّدٌ، وهو إثبات ما أثبتته لنفسه من غير فرق بين صفة وصفة.

قَوْلُهُ: «تَحْتَ لِيَوَاءِ ذِي الْقُرْآنِ» أَي: تَحْتَ لِيَوَاءِ صَاحِبِ الْقُرْآنِ.

٤٦٩- أَوْ لَا فَالَاتِّتْلَاعُ بِأَعْقُولِكُمْ وَكِتَابِكُمْ وَبِسَائِرِ الْأَدْيَانِ

٤٧٠- فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِصِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ وَعُلُوِّهِ بَيِّنَانِ

يعني: إذا لم تكونوا مع أمة التشبيه والتجسيم، فأنتم مُتْلَاعِبُونَ بكتابكم وعقولكم وبسائر الأديان، لأنَّها كُلُّها قد صَرَّحَتْ بِصِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ وَعُلُوِّهِ بَيِّنَانِ.

انظر الآن إلى الفلاسفة والملاحدة الذين يرون أن الذين يُنْكِرُونَ بعضًا ويُثَبِّتُونَ بعضًا لم يُحْكَمُوا الْعَقْلَ، وَأَنَّ هَذَا التَّنَاقُضُ تَلَاعِبٌ بِالْعَقُولِ.

٤٧١- وَالنَّاسُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ أَوْ جَاحِدٍ أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ أَوْ شَبِيهِهٗ أَتَانِ

قَوْلُهُ: «أَتَانِ» الْأَتَانِ: أَنْثَى الْحِمَارِ.

فالناس على أربعة أقسام:

الأول: «مُصَدِّقٌ» كأهل السنة، أَي: مُقَرَّرٌ بِمَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ.

الثاني: «أَوْ جَاحِدٍ» كأهل التعطيل، يعني: منكرًا.

الثالث: «أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ» كالأشاعرة مُصَدِّقٌ ببعض وجاحد ببعض.

الرابع: البليد: الذي ليس عنده عقيدة إطلاقاً، لا هذا ولا هذا، فيقول: إن هذا يُشبه الأتان، أي: الحمار، والعياذ بالله.

\*\*\*

- ٤٧٢- فَاصْنَعْ مِنَ التَّنْزِيهِ تُرْسًا مُحْكَمًا      وَأَنْفِ الْجَمِيعَ بِصَنْعَةٍ وَبَيَانِ  
 ٤٧٣- وَكَذَلِكَ لَقَّبَ مَذْهَبَ الْإِبْنَاتِ بِالتُّنْجِسِيمِ، ثُمَّ أَحْمَلَ عَلَى الْأَقْرَانِ  
 ٤٧٤- فَمَتَى سَمَحْتَ لَهُمْ بِوَصْفِ وَاحِدٍ      حَمَلُوا عَلَيْكَ بِحَمَلَةِ<sup>(١)</sup> الْفُرْسَانِ  
 ٤٧٥- فَصُرِعْتَ صِرْعَةً مَنْ غَدَا مُتَلَبِّطًا      وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقَ اللَّحْمَانِ  
 ٤٧٦- فَلِذَاكَ أَنْكَرْنَا الْجَمِيعَ مَخَافَةَ التُّنْجِسِيمِ      إِنَّ صِرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ  
 ٤٧٧- وَلِذَا خَلَعْنَا رِبْقَةَ الْأَدْيَانِ مِنْ      أَعْنَاقِنَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

### الشرح

- ٤٧٢- فَاصْنَعْ مِنَ التَّنْزِيهِ تُرْسًا مُحْكَمًا      وَأَنْفِ الْجَمِيعَ بِصَنْعَةٍ وَبَيَانِ  
 قَوْلُهُ: «التَّنْزِيهِ» يعني: أَنْ تُنْزَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ مِشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَمَّ بِإِنْكَارِهِمْ مَا أَنْكَرُوهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كُلِّهَا، أَوْ بَعْضَهَا إِنَّمَا يَرِيدُونَ -عَلَى زَعْمِهِمْ- التَّنْزِيهِ، وَأَنَّهُ لَوْ وُصِفَ اللهُ تَعَالَى بِمَا وُصِفَ بِهِ لَكَانَ مِشَابَهًا لِلْمَخْلُوقِ.  
 فيقول: «اصْنَعْ مِنَ التَّنْزِيهِ تُرْسًا مُحْكَمًا» يعني: تَتَرَسَّ بِالْجُحْدِ، وَالتُّرْسُ مَا يَتَرَسُّ بِهِ الْمُقَاتِلُ، حَتَّى لَا تَصِيبَهُ السَّهَامُ، فَخُذْ مِنَ التَّنْزِيهِ الَّذِي هُوَ الْجُحْدُ تُرْسًا مُحْكَمًا، وَقُلْ: نُنْزَهُ اللهُ أَنْ نَثِبَ لَهُ شَيْئًا، لِأَنَّ إِذَا أَثْبَتْنَا لَهُ شَيْئًا شَبَّهْنَاهُ بِالْأَجْسَامِ.

(١) في نسخة الإفتاء وبرلين السفارينية: «بجملة» بجميم تحتانية.

٤٧٣- وَكَذَلِكَ لَقَّبَ مَذْهَبَ الْإِثْبَاتِ بِالْتَّجْسِيمِ، ثُمَّ أَحْمَلَ عَلَى الْأَقْرَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ لَقَّبَ مَذْهَبَ الْإِثْبَاتِ بِالْتَّجْسِيمِ» إِذْ نَ اثْبِتْ وَأَنْفِ، أَثْبِتْ بِأَنَّكَ مُنْزَهُ، وَأَنْفِ بِأَنَّ الْمَثْبُوتَ مُجَسَّمٌ، فَيَكُونُ لَكَ مَقْتَلَانِ:

الأول: أنك تريد التنزيه بهذا التعطيل.

الثاني: أن المَثْبُوتَ مُجَسَّمٌ.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ أَحْمَلَ عَلَى الْأَقْرَانِ» الْأَقْرَانِ جَمْعُ (قِرْن) وَهُوَ الْمَائِلُ لِلْإِنْسَانِ، وَهَذَا يُقَالُ: فَلَانٌ قِرْنُ فَلَانٍ، أَوْ قَرِينَهُ، أَي: مَائِلٌ لَهُ.

٤٧٤- فَامْتَى سَمَحْتَ لَهُمْ بِوَصْفِ وَاحِدٍ حَمَلُوا عَلَيْكَ بِحَمَلَةِ الْفُرْسَانِ

يعني: لو أنك أثبتت وصفا واحدا حملوا عليك، لكن كيف يحملون عليك؟

الجواب: بأن يقولوا: أنت أثبتت كذا، فما الفرق بينه وبين ما نفيت؟

إِذْ نَ لَا تُثْبِتُ شَيْئًا حَتَّى تَسْلَمَ مِنَ الْإِيرَادِ وَالتَّنَاقُضِ.

وهذه وصية غير مقبولة، لكن هم يُوصي بعضهم بعضا، ويقول: إياك أن

تُقَرَّ بوصف واحد، إن أقررت لله بوصف واحد قالوا لك: ما الفرق؟ أثبت الباقي، أو انفِ الكل.

٤٧٥- فَصُرِعَتْ صِرْعَةً مِّنْ غَدَا مُتَلَبِّطًا وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقَ اللَّحْمَانِ

يعني أنك إذا فعلت هذا، وأقررت بوصف، وحملوا عليك صرعوك «صِرْعَةً

مِّنْ غَدَا مُتَلَبِّطًا وَسَطَ الْعَرِينِ»، وَالْعَرِينِ هُوَ مَسْكِنُ الْأَسَدِ، وَالْأَسَدُ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ يَأْكُلُ الْآدَمِيَّ، وَيُمَزَّقُ لَحْمَهُ فِي مَكَانِهِ.

٤٧٦- فَلِذَلِكَ أَنْكَرْنَا الْجَمِيعَ خَافَةَ التَّـ تَجْسِيمِ إِنْ صِرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «أَنْكَرْنَا الْجَمِيعَ» يعني: جميع الصفات على رأي المعتزلة، أو الأسماء والصفات على رأي غلاة الجهمية، «خَافَةَ التَّجْسِيمِ إِنْ صِرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ».

وسبحان الله! أنا لا أظنهم يُعَبَّرُونَ بهذا التعبير «خَافَةَ التَّجْسِيمِ إِنْ صِرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ» إِلَّا إِذَا أَرَادَ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- بِقَوْلِهِ: «إِنْ صِرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ» أَي: إِلَى ظَاهِرِ الْقُرْآنِ، أَمَّا أَنْ يُعْلَنُوا أَنَّهُمْ عَلَى خِلَافِ الْقُرْآنِ فَلَا أَظُنُّهُمْ يَفْعَلُونَ هَذَا، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ الْمُؤَلَّفِ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى: إِنْ صِرْنَا إِلَى ظَاهِرِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ وَالتَّشْبِيهَ.

٤٧٧- وَلِذَا خَلَعْنَا رِبْقَةَ الْأَدْيَانِ مِنْ أَعْنَاقِنَا فِي سَالِفِ الْأَرْمَانِ

فَهُمْ خَلَعُوا رِبْقَةَ الْأَدْيَانِ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- وَعَلَى زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ تَحَرَّرُوا، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَتَحَرَّرُوا، فَهُمْ غَلُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ بِرِقِّ الشَّيْطَانِ، وَالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ.

\*\*\*

٤٧٨- وَلَنَا مُلُوكٌ قَاوَمُوا الرُّسُلَ الْأُلَى جَاءُوا بِإِبْثَاتِ الصِّفَاتِ كَمَا

٤٧٩- فِي آلِ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَا رُونَ وَنَمْرُودٍ وَجَنْكِرْزَخَانَ

٤٨٠- وَلَنَا الْأَيْمَةُ كَالْفَلَّاسِفَةِ الْأُلَى لَمْ يَعْبُؤُوا أَصْلَابِ بَنِي الْأَدْيَانِ

٤٨١- مِنْهُمْ أَرِسْطُو ثَمَّ شَيْعَتُهُ إِلَى هَذَا الْأَوَانِ وَعِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

٤٨٢- مَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

- ٤٨٣- كَلَّا وَلَا قَالُوا بِأَنَّ إِلَهَنَا مُتَكَلَّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ  
 ٤٨٤- وَلَا أَجَلٍ هَذَا رَدَّ فِرْعَوْنُ عَلَى مُوسَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْإِيمَانِ  
 ٤٨٥- إِذْ قَالَ مُوسَى: رَبُّنَا مُتَكَلَّمٌ فَوْقَ السَّمَاءِ وَإِنَّهُ مُتَدَانِي

### الشرح

- ٤٧٨- وَلَنَا مُلُوكٌ قَاوَمُوا الرُّسُلَ الْأُلَى جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ كَمَا  
 ٤٧٩- فِي آلِ فِرْعَوْنَ<sup>(١)</sup> وَهَامَانَ<sup>(٢)</sup> وَقَا رُونِ<sup>(٣)</sup> وَنَمْرُودِ<sup>(٤)</sup> وَجِنَكِرْخَانَ<sup>(٥)</sup>  
 كُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذُكِرُوا طُغَاةً، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

على كُلِّ حال هو يتكلم عن هؤلاء الذين عطلوا الصفات، مثل: ابن سينا وأتباعه، وأئمة الكفر، وقال: إنهم يستدلون بقول فرعون وهامان، والله عز وجل يقول عن قوم فرعون: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

قال المؤلف - رحمه الله -:

- ٤٨٠- وَلَنَا الْأَيْمَةُ كَالْفَلَّاسِفَةِ الْأُلَى لَمْ يَعْبُؤُوا أَصْلًا بِذِي الْأَذْيَانِ

(١) فرعون: ملك مصر الجبار الذي أرسل إليه موسى - عليه السلام -.

(٢) وهامان: وزيره. [الشارح].

(٣) قارون: كان من بني إسرائيل لكنه كان غنياً، ويدين بدين فرعون. [الشارح].

(٤) نمrod: هو ابن كنعان ملك بابل، كان على زمن الخليل إبراهيم - عليه السلام -، ذكروا أنه هو

الذي حاج إبراهيم في ربه، وكان جباً طاغية. [الشارح].

(٥) جنكزخان، سبق ذكره. [الشارح].

الفلاسفة يُقال: إنهم الحكماء، وأصل الفلسفة يعني: الحكمة.

هؤلاء الفلاسفة لا يؤمنون بالرَّبِّ حَسَبَ ما يُظهِرون، ويقولون: إن الكونَ يتفاعل، ويتنقل حسب قوانين ونُظْم يدَّعونها، ولذلك «لَمْ يَعْبُثُوا أَصْلًا بِذِي الأَدْيَانِ» منهم: أرسطو.

ولذا قال:

- ٤٨١- مِنْهُمْ أَرِسْطُو<sup>(١)</sup> ثُمَّ شَيْعَتُهُ إِلَى هَذَا الأَوَانِ وَعِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ  
 ٤٨٢- مَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الأَكْوَانِ  
 ٤٨٣- كَلَّا وَلَا قَالُوا بِأَنَّ إِلَهَنَا مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ  
 ٤٨٤- وَلَا أَجَلَ هَذَا رَدِّ فِرْعَوْنَ عَلَى مُوسَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الإِيْمَانِ  
 ٤٨٥- إِذْ قَالَ مُوسَى: رَبَّنَا مُتَكَلَّمٌ فَوْقَ السَّمَاءِ وَإِنَّهُ مُتَدَانِي قَوْلُهُ: «مِنْهُمْ» أَي: مِنْ أئمة الفلاسفة.

وأرسطو كان تلميذًا لأفلاطون، ولكنه خالفه في كثير من المسائل.

قَوْلُهُ: «مُتَدَانِي» وفي نسخة «نَادَانِي»، والظاهر أَنَّ «نَادَانِي» أحسن، وعلى نسخة «متداني» يعني: كأنه قال: إِنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فوق السماء، وإنه كَلَّمَنِي عن قُرْبٍ، كقوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

(١) أرسطو: هو الفيلسوف اليوناني المشهور، واضع علم المنطق، ولد قبل الميلاد سنة (٣٨٤ ق.م)، ومات قبل الميلاد سنة (٣٢٢ ق.م)، وكان معلمًا للإسكندر الأكبر، وكان يحاضر وهو ماش فسمي هو وأتباعه بالمشائين، وكان له أثرٌ كبيرٌ في علم الفلسفة، فكان يلقب (المعلم الأول)، وأبو نصر الفارابي (المعلم الثاني)، وأبو علي بن سينا (المعلم الثالث). [الشارح].

- ٤٨٦- وَكَذَا ابْنُ سِينَا لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ وَلَا  
 ٤٨٧- وَكَذَلِكَ الطُّوسِيُّ لَمَّا أَنْ غَدَا  
 ٤٨٨- قَتَلَ الْخَلِيفَةَ، وَالْقُضَاةَ، وَحَامِلِي الْأُ  
 ٤٨٩- إِذْ هُمْ مُشَبَّهُةٌ مُجَسِّمَةٌ وَمَا  
 ٤٩٠- وَلَنَا الْمَلَا حِدَّةُ الْفُحُولِ أَيْمَّةُ الثُّ  
 ٤٩١- وَلَنَا تَصَانِيفٌ بِهَا غَالِيَتُمْ  
 أَتْبَاعُهُ، بَلْ صَانَعُوا بِدِهَانِ  
 ذَا قُدْرَةَ لَمْ يَخْشَ مِنْ سُلْطَانِ  
 قُرْآنِ، وَالْفُقَهَاءِ، فِي الْبُلْدَانِ  
 دَانُوا بِبِدِينِ أَكْبَارِ الْيُونَانِ  
 تَعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ<sup>(١)</sup> أَلْ سِنَانِ  
 مِثْلُ: (الشِّفَا) وَ(رَسَائِلِ الْإِخْوَانِ)

### الشرح

٤٨٦- وَكَذَا ابْنُ سِينَا لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ وَلَا  
 أَتْبَاعُهُ، بَلْ صَانَعُوا بِدِهَانِ  
 يعني أن ابن سينا وأتباعه ليسوا من هؤلاء المثبتة، ولا من أهل السنة، لكنهم صانعوا، وأظهروا الإسلام مُدَاهِنَةً، وإِلَّا فَهُمْ زَنَادِقَةٌ مَنَافِقُونَ كُفَّارٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَظْهَرُوا أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، ولهذا يفخر أهل القومية العربية بأن ابن سينا منهم، وهو طبيب مشهور، فتجدهم يترفعون به، حتى إننا سمعنا أن بعض المدارس والمستشفيات تُسَمَّى باسمه، مع أنه زنديق مُلْحِدٌ.

٤٨٧- وَكَذَلِكَ الطُّوسِيُّ<sup>(٢)</sup> لَمَّا أَنْ غَدَا  
 ذَا قُدْرَةَ لَمْ يَخْشَ مِنْ سُلْطَانِ  
 الطُّوسِيُّ كَانَ وَزِيرًا لِأَخْرَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَكَانَ خَبِيثًا مَآكِرًا مَخَادِعًا،

(١) في نسخة: «والتسكين».

(٢) الطوسي: هو محمد بن محمد الطوسي الفيلسوف، كان وزيراً لهولاكو ملك التتر، وكان معه في واقعة بغداد التي قتل فيها الخليفة العباسي، يلقب نصير الدين، لكن لقبه ابن القيم في (إغاثة اللهفان) نصير الشرك والكفر، وسماه مُلْحِدًا، وذكر له فظائع، ولد بطوس قرب نيسابور سنة (٥٩٧هـ)، ومات ببغداد سنة (٦٧٢هـ) عن (٧٥) سنة [الشارح]. انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١٣/٣١٣).

طلب من التتر أن يُقدِّموا إلى بغداد عاصمة الملك، وسَهَّلَ لهم الطريقَ، ووصف لهم كيف يأتون زمنًا ومكانًا، وحصل ما حصل من المصيبة العظمى، كما يقول المؤلف - رحمه الله -:

٤٨٨- قَتَلَ الْخَلِيفَةَ<sup>(١)</sup>، وَالْقُضَاةَ، وَحَامِلِي الْأَقْرَانِ، وَالْفُقَهَاءَ، فِي الْبُلْدَانِ  
 قتل أممًا عظيمة من العلماء، قتلهم لأنهم مُشَبَّهَةٌ ومجسِّمَةٌ، لأنَّ بغداد هي العاصمة التي فيها العلماء والفقهاء ووجهاء الأمة كلها، حصدتهم، والعياذ بالله.  
 وقصتهم معروفة في كتب التاريخ ك(البداية والنهاية) لابن كثير، و(النهاية) لابن الأثير.

الذي يقرأ كيف كان الأمر يجد فظائع، والعياذ بالله، نسأل الله السلامة.  
 وهو قد خدع السلطان الخليفة العباسي.

٤٨٩- إِذْ هُمْ مُشَبَّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ وَمَا دَانُوا بِدِينِ أَكْبَارِ الْيُونَانِ  
 إِذْ هُوَ الْآنَ يُقَاتِلُ لِاحْقَاقِ الْبَاطِلِ، وَرَسُوخِ الْكُفْرِ، وَهُوَ يَدَّعِي أَنَّهُ مُسْلِمٌ.  
 ٤٩٠- وَلَنَا الْمَلَا حِدَةُ الْفُحُولِ أَتَمَّةُ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ أَلِ سِنَانِ  
 قَوْلُهُ: «آل سِنَان»: هذه قبيلة أشار إليها الهَرَّاسُ في شرحه<sup>(٢)</sup> بقوله: (آل سِنَانِ هي أسرة قوية من أهل فارس، كانت تحكم في خُرَّاسَانَ، وفي كَنْفِهَا تَرَبَّى ابْنُ سِينَانَ، وَعَلَى كُتُبِهِمْ نَخْرَجُ، وَكَانَ لَهُمْ مَكْتَبَاتٌ حَافِلَةٌ بِشَتَّى الْمَوْلَفَاتِ فِي جَمِيعِ فُرُوعِ الْعِلْمِ، وَلَا سِيَّامَا عِلْمِ الْفَرَسِ وَالْيُونَانِ).

(١) المراد بالخليفة المذكور هو: المستعصم بالله، آخر خلفاء بني العباس، وُلِدَ سنة (٦٠٩هـ) وبُويعَ له بالخلافة سنة (٦٤٠هـ)، وُقِتِلَ فِي (١٤) صَفَرِ سَنَةِ (٦٥٦هـ). [الشارح]  
 (٢) انظر: شرح نونية ابن القيم لمحمد خليل هراس (ص: ٩٥).

قَوْلُهُ: «والتشبيه» في نسخة (التسكين) أي: أنهم يُسَكِّنون الناسَ ويُسَقِطون عنهم الفرائض، وأما (التشبيه) فلها وجه، لأنه لما ذكر أئمة التعطيل قال: (التشبيه)، لكنه الآن يتكلم عن المعطلة.

٤٩١- وَلَنَا تَصَانِيفٌ بِهَا غَالِيَتُمْ مِثْلُ: (الشِّفَا) وَ(رَسَائِلِ الْإِخْوَانِ) قَوْلُهُ: «الشِّفَا»: لابن سينا.

\*\*\*

٤٩٢- وَكَذَا (الْإِشَارَاتُ) الَّتِي هِيَ عِنْدَكُمْ قَدْ ضُمَّنْتَ لِقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ  
٤٩٣- قَدْ صَرَّحْتَ بِالضُّدِّ (١) مِمَّا جَاءَ فِي التَّ  
٤٩٤- هِيَ عِنْدَكُمْ مِثْلُ النُّصُوصِ وَفَوْقَهَا  
٤٩٥- وَإِذَا تَحَاكَمْنَا فَإِنَّ إِلَيْنِهِمْ  
٤٩٦- إِذْ قَدْ تَسَاعَدْنَا بِأَنَّ نُصُوصَهُ  
٤٩٧- فَلِذَاكَ حَكَمْنَا عَلَيْهِ وَأَنْتُمْ فِي حُجَّةٍ قَطْعِيَّةٍ وَبَيَّانٍ يَقَعُ التَّحَاكُمُ لَا إِلَى الْقُرْآنِ لَفْظِيَّةٍ عَزَلْتِ عَنِ الْإِيقَانِ قَوْلَ (٢) الْمُعَلِّمِ أَوَّلًا وَالثَّانِي

### الشرح

٤٩٢- وَكَذَا (الْإِشَارَاتُ) الَّتِي هِيَ عِنْدَكُمْ قَدْ ضُمَّنْتَ لِقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ قَوْلُهُ: «الْإِشَارَاتُ» وهو كتاب لابن سينا.

(١) في نسختي التيمورية والسفارينية: «بالصد» بمهمله.

(٢) في نسخة الحلبي: «فوق».

وهذه كتب الفلاسفة التي هي عندهم أعظم من القرآن والسنة، نسأل الله العافية.

فهؤلاء يقولون: عليكم بهذه الكتب، واتركوا الكتاب والسنة، وسيأتي السبب في ذلك.

٤٩٣- قَدْ صَرَّحَتْ بِالضُّدِّ مِمَّا جَاءَ فِي التَّـ تَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ  
قَوْلُهُ: «الْفُرْقَانِ» يعني: القرآن.

٤٩٤- هِيَ عِنْدَكُمْ مِثْلَ النُّصُوصِ وَفَوْقَهَا فِي حُجَّةٍ قَطْعِيَّةٍ وَبَيَانِ  
قَوْلُهُ: «مِثْلَ النُّصُوصِ» أي: نصوص الشريعة في حجة قطعية وبيان.

٤٩٥- وَإِذَا تَحَاكَمْنَا فَإِنَّ إِلَيْهِمْ يَقَعُ التَّحَاكُمُ لَا إِلَى الْقُرْآنِ  
وهذا تصريح واضح بالكفر، والعياذ بالله.

٤٩٦- إِذْ قَدْ تَسَاعَدْنَا بِأَنَّ نُصُوصَهُ لَفْظِيَّةٌ عَزَلَتْ عَنِ الْإِيقَانِ  
وهذا غير صحيح، بل إن دلالة القرآن منها ما هو قطعي، ومنها ما هو ظني، وكذلك السنة، ولا تقل: إن دلالة القرآن كلها لفظية معزولة عن اليقين كما زعموا.

٤٩٧- فَلِذَلِكَ حَكَمْنَا عَلَيْهِ وَأَنْتُمْ قَوْلَ الْمُعَلِّمِ أَوَّلًا وَالثَّانِي (١)  
والمعلم الأول: أرسطو، والثاني: الفارابي، والثالث: ابن سينا.

(١) المعلم الثاني (الفارابي)، وهو محمد بن طرخان، تركي الأصل، سمي بذلك لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول) وُلِدَ فِي فَارَابٍ عَلَى نَهْرِ جِيحُونَ سَنَةَ (٢٦٠هـ)، كَانَ فِيلَسُوفًا، وَتَوَفَّى بِدِمَشْقَ سَنَةَ (٣٣٩هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: مرآة الجنان (٢/٢٤٦).

- ٤٩٨- يَا وَيْحَ جَهْمٍ وَابْنِ دِرْهَمٍ وَالْأُلَى قَالُوا بِقَوْلِهِمَا مِنَ الْخَوْرَانِ
- ٤٩٩- بَقِيَتْ مِنَ التَّشْبِيهِ فِيهِ بَقِيَّةٌ نَقَضَتْ قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ
- ٥٠٠- يَنْفِي الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ لَا يَلْوِي عَلَى خَبْرٍ وَلَا قُرْآنٍ
- ٥٠١- وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى وَكَذَلِكَ يَعْلَمُ سِرَّ كُلِّ جَنَانٍ
- ٥٠٢- وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
- ٥٠٣- وَيَقُولُ: إِنَّ الْفِعْلَ مَقْدُورٌ لَهُ وَالْكَوْنُ يَنْسُبُهُ إِلَى الْحَدَثَانِ
- ٥٠٤- وَيَنْفِيهِ التَّجْسِيمَ يَصْرُخُ فِي الْوَرَى وَاللَّهُ مَا هَذَا مِنْ مُتَّفَقَانِ
- ٥٠٥- لَكِنَّا قُلْنَا: مُحَالٌ كُلُّ ذَا حَدَرًا مِنَ التَّشْبِيهِ<sup>(١)</sup> وَالْإِمْكَانِ

### الشرح

- ٤٩٨- يَا وَيْحَ جَهْمٍ وَابْنِ دِرْهَمٍ وَالْأُلَى قَالُوا بِقَوْلِهِمَا مِنَ الْخَوْرَانِ
- قَوْلُهُ: «يَا وَيْحَ جَهْمٍ وَابْنِ دِرْهَمٍ» أَي: جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ تَلْمِيزُ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، وَهِيَ رَأْسُ التَّعْطِيلِ.

قَوْلُهُ: «الْخَوْرَانِ» يَعْنِي: الضَّعْفُ.

- ٤٩٩- بَقِيَتْ مِنَ التَّشْبِيهِ فِيهِ بَقِيَّةٌ نَقَضَتْ قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ
- لأنه معروف أن الجهمية يُثبتون الأسماء، وينكرون الصفات، وأولئك

(١) في نسخة الحلبي: «التجسيم».

الملاحدة لا يُقَرُّون بأسماء، ولا صفات، فيقولون: إن الجهمية فيهم شيءٌ من التشبيه حيث أثبتوا الأسماء.

٥٠٠- يَنْفِي الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ لَا يَلْوِي عَلَى خَبَرٍ وَلَا قُرْآنٍ

وَقَوْلُهُ: «يَنْفِي الصِّفَاتِ» أي: الجهمي ينفى الصفات، لكنه يثبت الأسماء.

وَقَوْلُهُ: «يَنْفِي الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ» تَكَلَّمَ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- الْآنَ عَنْ مَذَاهِبِ هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلَةِ، وَذَكَرَ مُسْتَنْدَاتٍ مِنَ الْقَائِلِينَ، وَالْكَتُبَ الَّتِي عَدَّهَا، وَأَثَمْتَهُمْ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ نَفَوْا الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ.

فَهِمَ فِي الْحَقِيقَةِ وَقَعُوا فِي التَّجْسِيمِ، وَوَقَعُوا فِي التَّشْبِيهِ، لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ مَدْلُولَ النُّصُوصِ هُوَ التَّجْسِيمُ وَالتَّشْبِيهِ، وَلَمَّا ظَنُّوا هَذَا الظَّنَّ صَارُوا يَنْفُونَ ذَلِكَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَوْ ثَبِتَ أَنْ لَهُ كَذَا لَكَانَ هَذَا جَسَمًا، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ.

فَنَقُولُ: أَنْتُمْ الْآنَ فَهَمْتُمْ النُّصُوصَ عَلَى وَجْهِ التَّجْسِيمِ وَالتَّمثِيلِ، وَهَذَا خَطَأً، فَالنُّصُوصُ لَمْ تَدَلَّ عَلَى هَذَا، فَالنُّصُوصُ دَلَّتْ عَلَى صِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ تَلِيقَ بِهِ، وَلَا تَمَاثِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الصِّفَةَ تَابِعَةٌ لِلْمَوْصُوفِ، فَأَنْتَ إِذَا أَضَفْتَ أَيَّ صِفَةٍ إِلَى مَوْصُوفِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ يَمْنَعُ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ الصِّفَةِ الْمُضَافَةِ إِلَى مَوْصُوفٍ آخَرَ، لِأَنَّهَا مُقَيَّدَةٌ.

نَقُولُ مِثْلًا: وَجْهَ اللهِ، وَلَمْ نَقُلْ: (وَجْهَ) وَأَطْلَقْنَا، فـ(وَجْهَ اللهِ) يَكُونُ لَائِقًا بِذَاتِهِ كَمَا لَوْ قُلْتَ: (وَجْهَ الْفَرَسِ)، وَ(وَجْهَ الْقَطِّ)، هَلْ تَفْهَمُ مِنْ قَوْلِكَ: (وَجْهَ الْفَرَسِ) أَنَّهُ مِثْلُ (وَجْهَ الْقَطِّ)؟ الْجَوَابُ: أَبَدًا، لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ وَجْهًا مُطْلَقًا، بَلْ هُوَ وَجْهٌ مُضَافٌ.

فإثبات الصفات إذن لا يستلزم التمثيل أبداً، ووجه ذلك أنها صفات مضافة إلى الله، أو إلى موصوف مُعَيَّن، والصفات تتبع الموصوف، ولا يمكن أن يفهم أحدٌ من الناس أن صفات فلان كصفات الحيوان الآخر، لأنه من غير جنسه.

لكن لو أقول: (يد فلان) و(يد فلان) نفهم التمثيل، لأن الجنس واحد والاختلاف هنا بالعين، أما الخالق والمخلوق، فبينهما أكبر من أيّ مباينة فيما بين المخلوقات بعضها مع بعض، فإذا كانت المخلوقات بعضها مع بعض متباينة ومتفرقة، فالبيّن والتفرّق بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم.

٥٠١- وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى وَكَذَلِكَ يَعْلَمُ سِرَّ كُلِّ جَنَانٍ

٥٠٢- وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

لكنه يقول: إن الله عز وجل يسمع بلا سمع، ويرى بلا بصر، أما العلم فإنه مذهب الجهمية.

ولا أدري عن مذهب الجهم نفسه، بعضهم يُنكره، وبعضهم ينفيه، لكن مقتضى قولهم بالجبر أن الله يعلم، فَيُثَبِّتُ الْعِلْمَ.

٥٠٣- وَيَقُولُ: إِنَّ الْفِعْلَ مَقْدُورٌ لَهُ وَالْكَوْنُ يَنْسُبُهُ إِلَى الْحَدَثَانِ

يقول: إن الله -سبحانه وتعالى- قادرٌ على أن يفعل، وهذا الكون كُله حادثٌ بعد أن لم يكن، وهذا حق، لكن الفلاسفة الأئلي لا يُقرُّون بهذا، ويُنكرونه عليهم.

٥٠٤- وَبِنْفِيهِ التَّجْسِيمَ يَصْرُخُ فِي الْوَرَى وَاللَّهُ مَا هَذَا مِنْ مُتَّفَقَانِ

قَوْلُهُ: «وَبِنْفِيهِ التَّجْسِيمَ» يعني: هو ينفي التجسيم، ويثبت هذه الصفات، أو الأفعال، أو الإرادة، أو ما أشبه ذلك، ثُمَّ قَالَ: (مَا هَذَا مِنْ مُتَّفَقَانِ).

٥٠٥- لَكِنَّا قُلْنَا: مُحَالٌ كُلُّ ذَا حَذْرًا مِنَ التَّشْبِيهِ وَالْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّا قُلْنَا» أي: الفلاسفة، والفلاسفة قالوا: كُلُّ هَذَا مُحَالٌ.

\*\*\*

## فصل

### في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن

- ٥٠٦- وَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ: أَلَا اسْمَعُوا  
 ٥٠٧- مِنْ أَرْضِ طَيِّبَةٍ مِنْ مُهَاجِرِ أَحْمَدِ  
 ٥٠٨- سَافَرْتُ فِي طَلَبِ الْإِلَهِ فَدَلَّنِي الْ-  
 ٥٠٩- مَعِ فِطْرَةَ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ  
 ٥١٠- فَتَوَافَقَ الْوَحْيِيُّ الصَّرِيحُ وَفِطْرَةُ الزُّ-  
 ٥١١- شَهَدُوا بِأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ جَلَالُهُ-  
 ٥١٢- وَهُوَ الْإِلَهِ الْحَقُّ لَا مَعْبُودَ إِلَّا-  
 ٥١٣- بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَبَاطِلٌ
- قَدْ جئْتُكُمْ مِنْ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ  
 بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ وَالتَّيْبَانِ  
 سَهَادِي عَلَيْهِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ  
 وَصَرِيحِ عَقْلِي فَاعْتَلَى<sup>(١)</sup> بَيَّانِ<sup>(٢)</sup>  
 رَحْمَنِ وَالْمَعْقُولِ فِي إِيْمَانِي  
 مُتَّفَرِّدٌ بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ  
 لَا وَجْهَهُ الْأَعْلَى الْعَظِيمُ الشَّانِ  
 مِنْ عَرْشِهِ حَتَّى الْحَضِيضِ الدَّانِي

### الشرح

ذكر المؤلف -رحمه الله- في هذا الفصل قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن، وهذا نعم الفريق، يقول -رحمه الله-:

٥٠٦- وَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ: أَلَا اسْمَعُوا  
 قَدْ جئْتُكُمْ مِنْ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ

(١) في نسخة مطبوعة: «فاعقلي».

(٢) في نسخة الحلبي: «بَيَّانِي».

قَوْلُهُ: «أَلَا اسْمَعُوا» يحتمل المعنى: اسمعوا بالأذان، أو اسمعوا سمعَ إجابة، ولا مانع أن نحمله على الوجهين: اسمعوا بالأذان، واسمعوا بالإجابة، وهذا الأسلوب جاء به القرآن، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُمْ﴾ [الحج: ٧٣] فاستنصتنا الله عزَّ وجلَّ.

والنَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- أحياناً يقول لأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فيرسل واحداً ويقول: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ»<sup>(١)</sup>. أي: يُنصِتُونَ.

ولا حرج أن يقول المُعَلِّم، أو مَنْ أراد أن يُعَلِّم: أنصِتوا، أو اقتربوا، أو تجمَّعوا، أو ما أشبه ذلك، ولا يُعَدُّ هذا من باب الخِيَلَاء، بل هذا من باب النَّصْح والإرشاد.

قَوْلُهُ: «قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ مَطَّلِعِ الْإِيْمَانِ» أي: مكان طلوعه، ويَبَيِّن ذلك بقوله:

٥٠٧- مِنْ أَرْضِ طَيِّبَةٍ مِنْ مُهَاجِرِ أَحْمَدٍ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ وَالتَّبَيَّانِ

المؤلف -رحمه الله- ذكر أن هذا الرَّكْبَ جاء من أرض طَيِّبَةٍ، وهي المدينة مهاجر أحمد -عليه الصلاة والسلام-، وتسميتها بيثرب إنما جاء من قِبَلِ المنافقين كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣]، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ»<sup>(٢)</sup>.

ونرى بعض كُتَّاب العصر الذي يرى نفسه فوق الناس إذا أراد أن يُعَبِّرَ عن المدينة يقول: يثرب، وهذا غلط، فاسم المدينة: المدينة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، رقم (١٢١)، ومسلم: كتاب الإيْمَانِ، باب بيان معنى قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعد كفاراً...»، رقم (٦٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، رقم (١٧٧٢)، ومسلم: كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، رقم (١٣٨٢).

وهل يقال: المنورة أو بوصفٍ آخر؟

الجواب: اشتهر عند الناس الآن اسم المدينة المنورة، ولا شك أن المدينة المنورة بالرسالة، ولكن هذا التنوير لا يخصها، فكل بلد يدخله الإسلام فهو منور بالإسلام. فأحسن وصف أن تقول: المدينة النبوية، فإذا كان ولا بد أن تصفها فقل: المدينة النبوية، أو المدينة مهاجر النبي ﷺ، لكن هذا يطول، فقل: النبوية، ولم أسمع في كتب الأقدمين المدينة المنورة، ولا أدري متى حدث هذا اللقب؟

قوله: «مِنْ أَرْضِ طَيْبَةٍ مِنْ مُهَاجِرِ أَحْمَدٍ» أي: مكان هجرته.

قوله: «أَحْمَدُ»: هو النبي ﷺ، وله أسماء في القرآن، أحمد، ومحمد، واختار الله عز وجل أن ينطق عيسى لبني إسرائيل بقوله: ﴿أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6] لأن (أَحْمَدَ) اسم تفضيل، بخلاف (مُحَمَّدَ)، فأراد الله عز وجل أن ينطق عيسى بهذا الاسم الدال على التفضيل، كأنه يقول: سيأتيكم رسول هو أحمد الناس لله عز وجل، وهو أحمد الناس خصالاً، وهو أيضاً أعظم الناس حمداً، أي: أن يحمده.

قوله: «بِالْحَقِّ» ضد الباطل.

قوله: «وَالْبُرْهَانِ»: الدليل القاطع.

قوله: «وَالتَّبَيَّنِ» الدليل الواضح، فهذه ثلاثة أوصاف.

٥٠٨- سَافَرْتُ فِي طَلَبِ الْإِلَهِ فَدَلَّنِي الْهَادِي عَلَيْهِ وَمُحَكَّمُ الْقُرْآنِ

قوله: «فَدَلَّنِي الْهَادِي عَلَيْهِ» الهادي إلى الله هو النبي ﷺ، يعني بذلك:

السنة.

قوله: «وَمُحَكَّمُ الْقُرْآنِ» هذا دليل آخر.

٥٠٩- مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ وَصَرِيحِ عَقْلِي فَاعْتَلَى بَيَّانٍ

قَوْلُهُ: «مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ» هذا دليل ثالث.

قَوْلُهُ: «وَصَرِيحِ عَقْلِي فَاعْتَلَى بَيَّانٍ» هذه أربعة أدلة على الإله الحق عز وجل:

الأول: القرآن، الثاني: السُّنَّة، الثالث: الفطرة، الرابع: العقل.

٥١٠- فَتَوَافَقَ الْوَحْيِيُّ الصَّرِيحُ وَفِطْرَةُ الرَّحْمَنِ وَالْمَعْقُولُ فِي إِيمَانِي

قَوْلُهُ: «الْوَحْيِيُّ الصَّرِيحُ» هنا يشمل: القرآن والسُّنَّة.

فهو طلب منا أن نستمع إليه في شرح مذهبه الذي عليه، ويَبَيِّنُ أن مذهبه مَبْنِيٌّ على القرآن والسنة والعقل والفطرة، وأنَّ هذه الأربعة كُلُّهَا توافقت عليه.

٥١١- شَهِدُوا بِأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ جَلَالُهُ- مُتَّفَرِّدٌ بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «شَهِدُوا بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ» أي: عظمت عظمته عز وجل.

قَوْلُهُ: «مُتَّفَرِّدٌ بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ» أي: لا مالك غيره، ولا سلطان على

الإطلاق لغيره عز وجل.

٥١٢- وَهُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ لَا مَعْبُودَ إِلَّا لَآ وَجْهَهُ الْأَعْلَى الْعَظِيمُ الشَّانِ

هذا معنى لا إله إلا الله، وعبادته -سبحانه- هي الحق، وعبادة ما سواه

عبادة باطلة، ولذا قال:

٥١٣- بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَبَاطِلٌ مِنْ عَرْشِهِ حَتَّى الْحَضِيضِ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَبَاطِلٌ مِنْ عَرْشِهِ» أي: عرش الله.

قَوْلُهُ: «حَتَّى الْحَضِيضِ الدَّانِي» أي: الأسفل.

وهذا الذي قاله - رحمه الله - هو معنى قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَىٰ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

\*\*\*

- ٥١٤- وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةٌ حُبُّهُ مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
- ٥١٥- وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ
- ٥١٦- وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ، أَمْرٍ رَسُولِهِ لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
- ٥١٧- فَقِيَامُ دِينِ اللَّهِ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ، إِنَّهُمَا لَهُ أَصْلَانِ
- ٥١٨- لَمْ يَنْجُ مِنْ غَضَبِ إِلَهِهِ وَنَارِهِ إِلَّا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَصْلَانِ
- ٥١٩- وَالنَّاسُ بَعْدُ فَمُشْرِكٌ بِاللَّهِ أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ أَوْ لَهُ الْوَصْفَانِ
- ٥٢٠- وَاللَّهُ لَا يَرْضَى بِكَثْرَةِ فِعْلِنَا لَكِنَ بِأَخْسَنِ مَعَ الْإِيمَانِ
- ٥٢١- فَالْعَارِفُونَ مُرَادُهُمْ إِحْسَانُهُ وَالْجَاهِلُونَ عَمُوا عَنِ الْإِحْسَانِ

### الشرح

يَبَيِّنُ الْمَوْلُفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَعَانِيَ عَظِيمَةً: أَوَّلًا عِبَادَةَ اللَّهِ، مَنْ هُوَ الْعَبْدُ فِي الْأَصْلِ؟

الجواب: العبد في الأصل الذليل، ومنه قولهم: (طريق مُعَبَّد)، أي: مُذَلَّلٌ، ذللته الأقدام أو ذَلَّ له البناء، المهم أنه مِنَ الذَّلِّ، ولذا قال - رحمه الله -:

٥١٤- وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةٌ حُبُّهُ مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ

قَوْلُهُ: «غَايَةُ حُبِّهِ مَعَ ذَلِّ عَابِدِهِ» يعني: لا بد من أمرين: أن تعبد الله محبةً، وأن تعبدَه تذلُّلاً له عزَّ وجلَّ، تعتقد بقلبك أنك عبدٌ ذليل، لا تملك لنفسك شيئاً، بل أنت عند الله تعالى أدلَّ من كلِّ شيء.

يعني: أن يكون الإنسان محباً لله عزَّ وجلَّ طالباً الوصول إليه، فبالحُبِّ يتقدَّم الإنسانُ في طاعة الله، وبالذلِّ يتهيب معصية الله عزَّ وجلَّ، لأنَّ الإنسانَ إذا وقع في المناهي يخشى أن يأخذه الله تعالى بذنِّه، فإذا اجتمع في قلب الإنسان المحبة التامة لله مع التعظيم استقام تماماً على شرع الله، لأنه بحُبِّه لربه يطلبُ ربه، وبتعظيمه لله يخافُ منه، فيكون فاعلاً للمأمور تاركاً للمحظور.

فلا بدَّ من هذين الأمرين: تمام المحبة، وتمام الذل لله عزَّ وجلَّ، أمَّا أن تعبدَ الله وتقول: أنا أحبه، ولكن في قلبك استكبار واستغناء عن الله، فهذا ناقص جداً.

فالمستكبر عن عبادة الله هل يمكن أن يعبدَ الله؟ الجواب: لا، لأنه لا يعبدُ وهو لا يذلُّ له أبداً، بل مَنْ رأى نفسه استغنى عن الله، فإنه لن يعبدَ الله، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦-٧].

وأكثرُ الناس الذين أترفوا في الدنيا يرون أنهم استغنوا، وأنَّ هذا هو الغاية التي يقصدونها، ومن ثمَّ جاءت النصوص بالحدز من الترف في الدنيا، والتنعم فيها، لا بما أباح الله منها، فما أباح الله منها، فإن الله يُحبُّ منا أن نفعله، وأن نأتيه، لكن الانغماس في الترف، حتى يكون الإنسان كأنما خلق لترف نفسه، فهذا لا شك أنه سوف يكون في قلبه من الاستكبار عن عبادة الله بقدر ما في قلبه من عبادة الدنيا.

قَوْلُهُ: «مَعَ ذَلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ» القطب هو ما عليه المدار، وفي السماء قُطْبَانِ:

شمال وجنوب، كُلُّ واحدٍ منهما له أفلاكٌ تدورُ حوله، نجوم وكواكب تدور حوله.  
يقول العلماء عن القطب: إنه نجمٌ خفيٌّ جدًّا، لا يراه إلا حديدو البصر في  
غير ليالي القمر. هذا هو تعبيرهم، وهو لا يتجاوز مكانه، لأن النجوم تدور عليه،  
ولهذا كلما كان النجم أقرب إليه صارت دائرته ضيقةً.

الآن مثلاً الجدي قريب من القطب، ولهذا لا يتزحزح عن مكانه إلا يسيراً،  
لأنه قريب، وبنات نعش<sup>(١)</sup> الصغرى تدور حول القطب، ولا تغيب بالنسبة لنا  
نحن في هذا المكان، لأنها تدور ودورانها ضيق، وبنات نعش الكبرى تدور، لكنها  
تختفي في جانب السماء، ثم تظهر بقرب، يعني بسرعة حوالي ستّ، أو سبع  
ساعات، ثم تبدو.

فالحاصل أن القطب هو ما عليه مدارُ الشيء، ولذا قال -رحمه الله-:

٥١٥- وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ مَّا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ

وهذا صحيح، فلولا القطب ما دار، لكن يدور على أيّ شيء؟

قال -رحمه الله-:

٥١٦- وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ، أَمْرٍ رَسُولِهِ لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

المدار هو أمر الله ورسوله، (فافعل ولا تفعل) هذا هو المدار، لا الهوى، فمن  
دار أو حام حول الحمى من غير الكتاب والسنة فقد ضلّ.

(١) بنات نعش: سبعة كواكب: أربعة منها نعش لأنها مربعة، وثلاثة بنات نعش، الواحد ابن نعش  
لأن الكوكب مذكّر فيذكرونه على تذكيره، وإذا قالوا ثلاث أو أربع ذهبوا إلى البنات، وكذلك  
بنات نعش الصغرى. انظر: لسان العرب، مادة: نعش.

٥١٧- فَقِيَامُ دِينِ اللَّهِ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ، إِنَّهُمَا لَهُ أَضْلَانِ

قَوْلُهُ: «بِالْإِخْلَاصِ» يعني: بالتوحيد، الذي ضده الشرك.

قَوْلُهُ: «وَالْإِحْسَانِ» أي: على السُّنَّةِ، الذي ضده البدعة.

فلا بدَّ من إخلاص، ولا بدَّ من إحسان، وهو الاتِّباع.

فالإخلاص ضده الشرك، والإحسان ضده البدعة، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا﴾ [الكهف: ١١٠] والعمل الصالح ما كان لله خالصًا ولرسوله تابعًا.

٥١٨- لَمْ يَنْجُ مِنْ غَضَبِ إِلَهِهِ وَنَارِهِ إِلَّا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَضْلَانِ

قَوْلُهُ: «الْأَضْلَانِ» أي: الإخلاص والإحسان.

٥١٩- وَالنَّاسُ بَعْدُ فَمُشْرِكٌ بِإِلَهِهِ أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ أَوْ لَهُ الْوَصْفَانِ

قَوْلُهُ: «وَالنَّاسُ بَعْدُ» يعني: الذي ليس بمخلص ولا محسن.

قَوْلُهُ: «فَمُشْرِكٌ بِإِلَهِهِ» وهذا فقدَّ الإخلاص.

قَوْلُهُ: «أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ» وهذا فقدَّ الإحسان الذي هو الاتِّباع.

قَوْلُهُ: «أَوْ لَهُ الْوَصْفَانِ» يعني: يكون مشرِّكًا مبتدعًا.

٥٢٠- وَاللَّهُ لَا يَرْضَى بِكَثْرَةِ فِعْلِنَا لَكِنْ بِأَحْسَنِ مَعَ الْإِيمَانِ

٥٢١- فَالْعَارِفُونَ مُرَادُهُمْ إِحْسَانُهُ وَالْجَاهِلُونَ عَمُوا عَنِ الْإِحْسَانِ

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] ولم

يقول: أكثر، لكن لا شك أن الأكثر مع الإحسان أفضل.

وهنا مثلاً، لو قال قائل: من العبادات ما تخفيفه أفضل من إطالته، إما دائماً، وإما لعارض؟ قلنا: نعم، وهو كذلك، فسنة الفجر الأفضل تخفيفها دائماً، وابتداء التهجد بركعتين خفيفتين كذلك، وتحية المسجد والإمام يخطب يوم الجمعة تخفيفها عارض، لأن الأصل في تحية المسجد أنها كغيرها من العبادات، كلما طالت فهو أفضل مع الإحسان.

فأنت ترى الآن أن الإنسان الذي يصلي سنة الفجر بسرعة أفضل من الذي يُصليها بطول قراءة وطول ركوع وسجود، لأن هذا هو السنة، فهو أحسن، والذي يصوم يوماً ويفطر يوماً أفضل من الذي يصوم كل الأيام، لأنه أحسن عملاً.

\*\*\*

- ٥٢٢- وَكَذَلِكَ قَدْ شَهِدُوا بِأَنَّ اللَّهَ ذُو سَمْعٍ وَذُو بَصَرٍ، هُمَا صِفَتَانِ مِنْ فَوْقِ عَرْشٍ فَوْقَ سِتِّ ثَمَانَ<sup>(١)</sup> وَيَرَى كَذَلِكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ وَلَدَيْهِ لَا يَتَشَابَهُ الصَّوْتَانِ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ نُطْقِ لِسَانِ قَاصِي وَذُو الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ قَدْ كَانَ وَالْمَعْلُومِ فِي ذَا الْآنِ فَفَ يَكُونُ مَوْجُودًا لِذِي الْأَعْيَانِ
- ٥٢٣- وَهُوَ الْعَلِيُّ يَرَى وَيَسْمَعُ خَلْقَهُ
- ٥٢٤- فَيَرَى دَيْبَ النَّمْلِ فِي غَسَقِ الدُّجَى
- ٥٢٥- وَضَجِجُ أَصْوَاتِ الْعِبَادِ بِسَمْعِهِ
- ٥٢٦- وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يُوسُوسُ عَبْدُهُ
- ٥٢٧- بَلْ يَسْتَوِي فِي عِلْمِهِ الدَّانِي مَعَ الْغَائِبِ
- ٥٢٨- وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يَكُونُ عَدَا وَمَا بَيْنَهُمَا
- ٥٢٩- وَبِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ

(١) قال الحلبي في نسخته: «في هامش الأصل: أي: ست وثمان، وهي السموات والأرض».

## الشرح

في هذه الآيات ذكر المؤلف - رحمه الله - بعضاً من صفات الله عز وجل وأسمائه، فقال:

٥٢٢- وَكَذَلِكَ قَدْ شَهِدُوا بِأَنَّ اللَّهَ ذُو سَمْعٍ وَذُو بَصَرٍ، هُمَا صِفَتَانِ قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ قَدْ شَهِدُوا» أي: أهل السنة والجماعة.

قوله: «بِأَنَّ اللَّهَ ذُو سَمْعٍ وَذُو بَصَرٍ هُمَا صِفَتَانِ» دليلها قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وهذا كثير في القرآن، فهو سميعٌ ذو سمع، وبصيرٌ ذو بصير.

ولقد ذكرنا دليل ذلك في (شرح العقيدة الواسطية)<sup>(١)</sup>، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، تَشْكُو زَوْجَهَا، وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]»<sup>(٢)</sup>. كذلك البصير، ثُمَّ فَصَّلَ فَقَالَ:

٥٢٣- وَهُوَ الْعَلِيُّ يَرَى وَيَسْمَعُ خَلْقَهُ مِنْ فَوْقِ عَرْشٍ فَوْقَ سِتِّ ثَمَانٍ

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشارح (ص: ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٨).

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْعَلِيُّ» أي: بذاته وصفاته، أما الْعَلِيُّ بذاته فأدلته كثيرة، فالكتابُ والسنةُ والإجماعُ والعقلُ والفِطْرَةُ، كُلُّهَا تدلُّ على أَنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - عَلِيُّ بذاته.

وأما علوُ صفاته، فقد دلَّ عليه السَّمْعُ والعقلُ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] المثل: يعني: الوصف، الأعلى: الذي ليس فوقه شيء، بل ولا مثله شيء، فله الوصف الأعلى الكامل من كُلِّ وجه.

قَوْلُهُ: «يَرَى وَيَسْمَعُ خَلْقَهُ» يرى عزَّ وجلَّ برؤية حقيقية، وقد ثبت في القرآن الكريم أَنَّ له - سبحانه وتعالى - عينًا، فجاءت بلفظ الإفراد، ولفظ الجمع، ودلَّت السنةُ على أَنَّ له عينين اثنتين.

فبصيغة الإفراد كقوله تعالى: ﴿وَلِئُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وبصيغة الجمع كقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وبصيغة التثنية التي دلَّت عليها السنة قول النَّبِيِّ ﷺ فِي الدَّجَالِ: «إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»<sup>(١)</sup>.

وأما قول المؤلف - رحمه الله -: «يَسْمَعُ» فالسمع لا نستطيع أن نقول فيه: إِنَّ له أذنين كما نقول في البصر: إِنَّ له عينين، لأنه لم يرد في الكتاب والسنة إثباتُ الأذن لله عزَّ وجلَّ ولا نَفْيُهَا.

والسمع قد يكون من غير ذي أذن، أرأيتم الأرض يوم القيامة تُحَدِّثُ أخبارها بما سمعت من قول، أو رأت من فعل، وهي ليس لها أذن، وليس لها عين، لكن يُنطِقُهَا اللهُ عزَّ وجلَّ، فلا يجوز لنا أن نثبت الأذن لله عزَّ وجلَّ من أجل أنه

(١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٦٧١٢)، ومسلم: كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، رقم (٢٩٣٣).

ثَبَّتَ له السمع، لأنه لا تلازم، بل نقول: إنه تعالى يسمعُ بسمعٍ حقيقيٍّ، ولا ندري بأيِّ شيءٍ.

قَوْلُهُ: «مِنْ فَوْقِ عَرْشٍ فَوْقَ سِتِّ ثَمَانٍ» يعني: السموات سبع، والأرضون سبع، فالجميع أربعة عشر، فالذي في أسفل الأرض السابعة يراه عزَّ وجلَّ ويسمعه وهو فوق عرشه الذي هو فوق ست وثمان، يعني: أربعة عشر، وعلى هذا يكون قوله: (ست ثمان) على تقدير حرف العطف أي: ست وثمان.

٥٢٤- فَيَرَى دَيْبَ النَّمْلِ فِي غَسَقِ الدَّجَى وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ  
قَوْلُهُ: «فَيَرَى دَيْبَ النَّمْلِ فِي غَسَقِ الدَّجَى» أي: في ظلمته.

قَوْلُهُ: «وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ» أي: أجفان العيون، يرى عزَّ وجلَّ تَقَلُّبَهَا، سواء عند الكلام، أو عند النوم، أو عند أيِّ سبب، فكلُّ أجفانِ الخلق يراها.

٥٢٥- وَضَجِجُ أَصْوَاتِ الْعِبَادِ بِسَمْعِهِ وَلَدَيْهِ لَا يَتَشَابَهُ الصَّوْتَانِ  
سبحان الله! ضجيج أصوات العباد في كلِّ مكان، وعند كلِّ سبب يسمعها عزَّ وجلَّ، ولا تشبه عليه الأصوات -سبحانه وبحمده- مما يدلُّ على سَعَةِ سَمْعِهِ -تبارك وتعالى- وعلى أنه محيطٌ إحاطةً تامةً بكلِّ مسموع.

٥٢٦- وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يُوسُوسُ عَبْدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ نُطْقِ لِسَانٍ  
يعلم عزَّ وجلَّ بما توسوسُ به نفسك، أي: ما تُحَدِّثُ به نفسك دون أن تنطق، فإياك أن يعلمَ منك ما لا يرضاه منك، يعني: لا تُحَدِّثُ نفسك إلا بما هو مُرْضٍ لله -تبارك وتعالى-.

ولكن هل حديث النفس يُؤاخذ به الإنسان؟

الجواب: إن كان استقرَّ في ذهنه هذا، فإنه يؤاخذ به، لأنه اطمأنَّ إليه واستقرَّ في نفسه، وإن كان يُحدِّث - ولكن لم يستقر في ذهنه - فإنه لن يضره شيئاً، دليلُ هذا قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنِّ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»<sup>(١)</sup>. وهذه من نعمه الله - سبحانه وتعالى - أن ما يُفكر فيه الإنسان إذا لم يَرَكُنْ إليه ويؤثِّته، فإنه لا يؤاخذ به مهما عظم، لكن إذا ألقى الشيطان في قلبك مثل هذه الوسوس الشديدة، فما موقفك؟ نقول: إن موقفك أن تستشفيَ بما أخبر به النَّبِيُّ ﷺ، وذلك بأمرين:

الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

الثاني: الانتهاء والإعراض عن هذا الذي وقع في قلبك.

وإذا مارستَ هذا العملَ فإن الشيطانَ يَنْدَحِرُ، ثم لا يعود إليك مرة أخرى، وَجَرَّبَ نَجْدُ، والشيطان لا يأتي بمثل هذه الوسوس العظيمة الفظيعة إلا لقلبٍ ممتليءٍ إيماناً وصریحٍ في إيمانه، ليس فيه شكٌّ، ولا قلقٌ، ولا ارتياب، لأنَّ الشيطان إنما يُسَلِّطُ على قلبٍ عامرٍ ليدمره، أما المدمر فلا يأتي إليه، لأنه قد كُفِّي.

ذَكَرَ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ: إِنَّا نَصَلِّي وَلَا نُسَوِّسُ فِي صَلَاتِنَا - يعني: لا نُحَدِّثُ أَنْفُسَنَا. فكأثمهم يقولون: نحن خيرٌ منكم - فقال: «نعم، صدقوا، وما يصنعُ الشيطانُ بقلبٍ خرابٍ؟!»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، رقم (٢٥٢٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، إذا لم تستقر، رقم (١٢٧).

(٢) انظر: الوابل الصيب (ص: ٤٠).

وهذا جواب عجيب، فالشيطان لا يأتي إلى شيء مُنْهَدِمٍ ليدمره، ولكن يأتي إلى العامر ليدمره، ولكن الحمد لله ما من داء إلا وله دواء، والعليم بدواء هذا الداء هو الرسول ﷺ، علمنا أن نستعيد بالله من الشيطان الرجيم<sup>(١)</sup>، وننتهي.

٥٢٧- بَلْ يَسْتَوِي فِي عِلْمِهِ الدَّانِي مَعَ الْـ قَاصِي وَذُو الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ  
قَوْلُهُ: «الْإِسْرَارِ» في نسخة الهمزة فوق الألف، والصواب (الإسرار) بدليل أنه مقابل (الإعلان).

٥٢٨- وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يَكُونُ غَدًا وَمَا قَدْ كَانَ وَالْمَعْلُومِ فِي ذَا الْآنِ  
قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يَكُونُ غَدًا» هذا المستقبل.  
قَوْلُهُ: «وَمَا قَدْ كَانَ» هذا الماضي.  
قَوْلُهُ: «وَالْمَعْلُومِ فِي ذَا الْآنِ» هذا الحاضر.

والأزمان بالنسبة للإنسان ثلاثة: ماضٍ وحاضر ومستقبل.

فالله عزَّ وجلَّ عليمٌ بالماضي وبالمستقبل وبالحاضر، واسمع إلى قول الله -تبارك وتعالى- عن موسى -عليه الصلاة والسلام- لما سأله فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ (٥١) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿ [طه: ٥١-٥٢] أي: لا يجهل المستقبل ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ أي: لا ينسى الماضي، بل هو -جلَّ وعلا- عليمٌ بالحاضر والماضي والمستقبل، وقرأ قول الله -سبحانه وتعالى- في آية الكرسي:

(١) كما في حديث: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّهِ». أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣١٠٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيثار وما يقوله من وجدها، رقم (١٣٤).

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٥٢٩- وَبِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ مُوجُودًا لِذِي الْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَبِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ» أَي: عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، فَكُلُّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ عَزَّ وَجَلَّ كَيْفَ يَكُونُ إِذَا كَانَ، لِأَنَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

\*\*\*

٥٣٠- وَهُوَ الْقَدِيرُ فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مَقْدُورٌ لَهُ طَوْعًا بِلَا عِضْيَانِ

٥٣١- وَعُمُومٌ قُدْرَتِهِ تَدُلُّ بِأَنَّهُ هُوَ خَالِقُ الْأَفْعَالِ لِلْحَيَوَانِ

٥٣٢- هِيَ خَلْقُهُ حَقًّا وَأَفْعَالٌ لَهُمْ حَقًّا، وَلَا يَتَنَاقَضُ الْأَمْرَانِ

٥٣٣- لَكِنَّ أَهْلَ الْجَبْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِأَلْفَادِرِ مَا انْفَتَحَتْ لَهُمْ عَيْنَانِ

٥٣٤- نَظَرُوا بِعَيْنَيْهِمْ أَغْوَرِ إِذْ فَاتَهُمْ نَظْرُ الْبَصِيرِ وَغَارَتِ الْعَيْنَانِ

٥٣٥- فَحَقِيقَةُ الْقَدْرِ الَّذِي حَارَ الْوَرَى فِي شَأْنِهِ هُوَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ

٥٣٦- وَاسْتَحْسَنَ ابْنُ عَقِيلٍ ذَا مِنْ أَحْمَدٍ لَمَّا حَكَاهُ عَنِ الرَّضَا الرَّبَّانِيِّ

٥٣٧- قَالَ: الْإِمَامُ شَفَا الْقُلُوبَ بِلَفْظَةِ ذَاتِ اخْتِصَارٍ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانِ

### الشرح

٥٣٠- وَهُوَ الْقَدِيرُ فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مَقْدُورٌ لَهُ طَوْعًا بِلَا عِضْيَانِ

من أسماء الله تعالى: القدير، والقدير هو الفاعل بلا عجز، دليل ذلك

قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلُهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] فَبِقُدْرَتِهِ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

ومن أسمائه: القوي، الفاعل بلا ضعف، لأنَّ ضد القوة الضعف، وضد القُدرة العجز.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

إذن هو القدير، والقدير هو الفاعل بلا عجز، ولنضرب مثلاً بين هذا وهذا. رجل قيل له: احمِلْ هذه الصخرة، فحاول فعجز، ولم تتزحزح، نقول عنه: إنه عاجز، يعني: ضد القادر، وآخر قلنا له: احمِلْ هذه الصخرة، فحملها، لكن بمشقة، فنقول: هذا ضعيف، وضده القوي.

رجل ثالث قيل له: احمِلْ هذه الصخرة، فأخذها وكأنها ريشة، فنقول: هذا قوي.

قوله: «فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مَقْدُورٌ لَهُ» يعني: إن كان موجوداً، فهو قادرٌ على إعدامه، وإن كان معدوماً، فهو قادر على إيجاده، ولما قال -سبحانه وتعالى- للسموات والأرض ﴿أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مُتَقَادِرٌ لِقُدْرَةِ اللَّهِ -تبارك وتعالى-.

٥٣١- وَعُمُومُ قُدْرَتِهِ تَدُلُّ بِأَنَّهُ هُوَ خَالِقُ الْأَفْعَالِ لِلْحَيَوَانَاتِ  
عموم قدرة الله عز وجل تدل على أنه خالق لأفعال الحيوان، ويريد بالحيوان: الإنسان وما سواه.

ووجه ذلك: أن هذه الأفعال لن تخرج عن إرادته، وإرادته هي قدرته، ولذلك نستدل بعموم قدرة الله على أنه خالق لأفعال العباد من عاقل، وغير عاقل.

وانظر إلى تحليل المؤلف لهذا حيث قال:

٥٣٢- هِيَ خَلْقُهُ حَقًّا وَأَفْعَالٌ لَهُمْ حَقًّا، وَلَا يَتَنَاقَضُ الْأَمْرَانِ

قَوْلُهُ: «هِيَ خَلْقُهُ حَقًّا» قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

[الصفات: ٩٦].

وهي «أفعال لهم»، ولهذا يضيف الله تعالى أعمال العباد إليهم فيقول: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١] فهي أفعال لهم، فمن الصائم؟ الجواب: الإنسان هو الفاعل، من القائم؟ الإنسان، من القارئ؟ الإنسان، من المتوضئ؟ الإنسان... وهكذا.

فهي أفعال لهم، وهي في نفس الوقت مخلوقة لله عز وجل، ووجه هذا: أن فعل العبد ناتج عن شيئين، هما: الإرادة الجازمة، والقدرة التامة.

فمن خلق الإرادة في الإنسان؟ الجواب: الله عز وجل هو الذي جعله مُريداً، الله هو الذي جعله قادراً، فالفعل الناتج عن إرادة الإنسان وقدرته مخلوق لله عز وجل، لأن الإرادة والقدرة مخلوقة لله، والأمر واضح الآن، لكن مع هذا يقول ابن القيم -رحمه الله-:

٥٣٣- لَكِنَّ أَهْلَ الْجَبْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِأَلْ أَقْدَارِ مَا انْفَتَحَتْ لَهُمْ عَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «أَهْلُ الْجَبْرِ» أَهْلُ الْجَبْرِ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ عَلَى

أَفْعَالِهِ لِلَّهِ، فَالْإِنْسَانُ مُجْبَرٌ عَلَيْهَا.

قَوْلُهُ: «والتَّكْذِيبِ بِالْأَقْدَارِ» المراد بذلك القَدَرِيَّةَ الذين يقولون: إن أفعال العباد يفعلها الإنسانُ مستقلاً عن الله عزَّ وجلَّ، فانظر الآن: طرفان متناقضان:

أهل الجبر يقولون: الإنسانُ ليس له إرادة، وليس له قُدْرَةٌ، أفعاله كاهتزاز الأشجار في الهواء، وأما القَدَرِيَّةُ فقالوا: إنَّ الإنسانَ مستقلٌّ بعمَله، ليس لله فيه إرادة، وليس له تدخُّلٌ فيه، فتأمَّل التناقض بين الطرفين!

الجبرية والقدرية إخوان في شيء، ولكنهم أعداء في شيء، ففي مسألة الصفات إخوان، كلهم يُنكرون الصفات، وفي مسألة القدر أعداء، وفي مسألة الإيمان أعداء، لأنَّ الجبرية مُرَجِّتَةٌ، والمعتزلة وَعِيدِيَّةٌ يرون أن فاعل الكبيرة مخلدٌ في النار، فأهل الباطل دائماً يفترون ويتفقون على غير هُدَى.

٥٣٤- نَظَرُوا بِعَيْنَيْ أَعْوَرَ إِذْ فَاتَهُمْ نَظَرُ الْبَصِيرِ وَغَارَتِ الْعَيْنَانِ  
قَوْلُهُ: «أَعْوَرَ» هنا مصروفة لضرورة الشعر.

قَوْلُهُ: «نَظَرُوا بِعَيْنَيْ أَعْوَرَ» واحد نظر من يمين، وواحد نظر من يسار، فالأعور الذي عينه اليسرى عوراء ينظر من اليمين، والذي عينه اليمنى عوراء ينظر من اليسار، ولهذا جاء الحديث أنَّ العوراء البيِّنَ عورُها لا تجزي<sup>(١)</sup>، علَّله الفقهاء فقالوا: لأنَّ العوراء لا تُدرِكُ الرَّعْيَ كاملاً، ولا تستطيعُ الدفاعَ عن نفسها،

(١) وهو حديث: «أَرَبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضْحَاجِيِّ: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوْرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرَجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالْعَجْفَاءُ -يعني الهزيلة- التي لا تُنْقِي». أخرجه أحمد (٢٨٤/٤)، وأبو داود: كتاب الضحايا، باب ما يكره من الضحايا، رقم (٢٨٠٢)، والترمذي: كتاب الأضاحي، باب ما لا يجوز من الأضاحي، رقم (١٤٩٧)، والنسائي: كتاب الضحايا، باب ما نهي عنه من الأضاحي العوراء، رقم (٤٣٦٩)، وابن ماجه: كتاب الأضاحي، باب ما يكره أن يضحى به، رقم (٣١٤٤).

إذا جاءها الذئب من اليمين وهي عوراء من اليمين أكلها قبل أن تنظر إليه.

فهؤلاء نظروا بعين أعور، كيف؟

فالجبرية نظروا إلى عموم مشيئة الله وخلقها، وغفلوا عن أن للإنسان إرادةً وفعلاً، والآخرون نظروا بالعين الصحيحة إلى أن الإنسان مختارٌ فاعلٌ، لا يرى أحداً يُجبره، وغفلوا عن أن كلَّ ما في الكون خلقٌ لله وملئٌ له.

قوله: «وَعَارَتِ الْعَيْنَانِ» واحد منهما غارت عينه اليمنى، وواحد غارت عينه اليسرى.

٥٣٥- فَحَقِيقَةُ الْقَدْرِ الَّذِي حَارَ الْوَرَى فِي شَأْنِهِ هُوَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ ما دام الله قادراً، فكلُّ شيء واقعٌ بقدره عزَّ وجلَّ، هذا وجه قول المؤلف: حقيقة القدر هو قدرة الرحمن، لأنه إذا كان هذا يقع بإرادة الله وقدرته فهذا هو القدر.

٥٣٦- وَاسْتَحْسَنَ ابْنُ عَقِيلٍ<sup>(١)</sup> ذَا مِنْ أَحْمَدٍ لَمَّا حَكَاهُ عَنِ الرَّضَا الرَّبَّانِي يعني أن ابن عقيل -رحمه الله، وهو من مشاهير أصحاب الإمام أحمد- حكى عن الإمام أنه قال: (القَدْرُ قُدْرَةُ اللَّهِ). فاستحسن هذا وأعجبه، لأنه واضح، ودليله واضح.

وابن عقيل هذا له (كتاب الفنون)، وقد قيل: إنه يبلغ ثمانمئة مجلدة.

(١) ابن عقيل: هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، ولد سنة (٤٣١هـ)، وتوفي سنة (٥١٣هـ)، له مصنفات جمة، أهمها (الفنون)، قال الذهبي: لم يصنف في الدنيا أكبر منه، حدثني -يقوله الذهبي- حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمئة مجلداً -أي: من الفنون- انتهى. [الشارح]. انظر ترجمته في: البداية والنهاية (٢٢٨/١٢).

الله أكبر، كتاب واحد في ثمانمئة مجلدة، لكن على اسمه، الفنون، فكلُّ فنون العلم موجودة فيه.

كان له أبناء، أكبرهم عقيل، طالب علم، وأبوه يَعْقِدُ عليه آمالاً، تُوفي وحزن عليه أبوه، وكانوا في المقبرة، فقام رجل من الناس وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [يوسف: ٧٨] يريد هذا القائل أن يَقْدِي عقيلًا بنفسه.

فبكى كُلُّ الذين في المقبرة، فقال ابن عقيل: «إِنَّ الْقُرْآنَ لِتَسْكِينِ الْأَحْزَانِ لَا لِتَهْيِيجِ الْأَحْزَانِ». انظر كيف الجواب العجيب؟!!

نأخذ من هذا أن أولئك الذين يأتون للعزاء، وَيُهَيِّجُونَ أهل الميت، أنهم ليسوا على صواب، لأن المقصودَ بالعزاء تقوية الإنسان على تحمُّل المصاب، لا أن يَهَيِّجَ الحزن، وَيُبْقِيَ الإنسان دائماً في همٍّ وحزن.

المهم أن ابن عقيل -رحمه الله- استحسَن قول الإمام أحمد -رحمه الله-: «الْقَدْرُ قُدْرَةُ اللَّهِ».

٥٣٧- قَالَ: الْإِمَامُ شَفَا الْقُلُوبَ بِلَفْظَةٍ ذَاتِ اخْتِصَارٍ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ قَوْلُهُ: «قَالَ» الْقَائِلُ: ابْنُ عَقِيلٍ.

قَوْلُهُ: «الْإِمَامُ شَفَا الْقُلُوبَ بِلَفْظَةٍ» شَفَاهَا أَي: أَبْرَاهَا مِمَّا فِيهَا مِنَ الشُّكِّ فِي الْقَدْرِ الَّذِي حَارَ فِيهِ الْوَرَى.

قَوْلُهُ: «بِلَفْظِهِ ذَاتِ اخْتِصَارٍ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ» أَي: مَخْتَصِرَةٌ وَبَيِّنَةٌ، وَصَدَقَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

ثم إن النبي ﷺ شفا القلوب وأحياها، لَمَّا أخبر فقال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ». فَكُلُّ وَاحِدٍ مَكْتُوبٌ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَدْعُ الْعَمَلَ وَنَتَكَلَّمَ عَلَى مَا كُتِبَ؟ قَالَ: «لَا، اْعْمَلُوا كُلُّ مَيْسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

فانظر إلى هذا الجواب البيّن الواضح من الرسول -عليه الصلاة والسلام- الذي لو اجتمع الناس على أن يأتوا بمثله ويشفوا الصدور ما استطاعوا، «فَكُلُّ مَيْسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَدِلًّا لِذَلِكَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَفَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾<sup>(١)</sup> [الليل: ٥-١٠].

وقوله تعالى: ﴿لِلْيُسْرَى﴾ يعني: لِكُلِّ فِعْلَةٍ يُسْرَى، ومنها أن يُيسَّرَ له فعل الطاعات.

\*\*\*

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَفَى﴾، رقم (٤٩٤٥)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٧).

## فصل

- ٥٣٨- وَلَهُ الْحَيَاةُ كَمَا لَهَا فَلْأَجَلٍ ذَا مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
- ٥٣٩- وَكَذَلِكَ الْقِيُومُ مِنْ أَوْصَافِهِ مَا لِلْمَنَامِ لَدَيْهِ مِنْ غَشْيَانِ
- ٥٤٠- وَكَذَلِكَ أَوْصَافُ الْكَمَالِ جَمِيعُهَا ثَبَّتَتْ لَهُ وَمَدَارُهَا الْوُصْفَانِ
- ٥٤١- فَمُصَحِّحُ الْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ حَقًّا، ذَانِكَ الْوُصْفَانِ<sup>(١)</sup>
- ٥٤٢- وَلِأَجَلٍ ذَا جَاءَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَذِي عِمْرَانَ
- ٥٤٣- اسْمُ الْإِلَهِ الْأَعْظَمُ اشْتَمَلًا عَلَى اسْمِ السَّمِ الْوُصْفَانِ
- ٥٤٤- فَالْكُلُّ مَرْجِعُهَا إِلَى الْإِسْمَيْنِ يَدْرِي ذَاكَ ذُو بَصَرٍ بِهِذَا الشَّانِ

## الشرح

- ٥٣٨- وَلَهُ الْحَيَاةُ كَمَا لَهَا فَلْأَجَلٍ ذَا مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
- قَوْلُهُ: «وَلَهُ الْحَيَاةُ كَمَا لَهَا» أي: حياة كاملة ليس فيها نقص بوجه من الوجوه.
- قَوْلُهُ: «فَلْأَجَلٍ ذَا مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ» يعني: أنه لا سلطان للموت عليه -جَلَّ وَعَلَا-، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] فلا يموت، لكَمَالِ حَيَاتِهِ، فله الحياة الكاملة.

(١) في أكثر الأصول الخطية: «الأصلان».

٥٣٩- وَكَذَلِكَ الْقِيَوْمُ مِنْ أَوْصَافِهِ مَا لِلْمَنَامِ لَدَيْهِ مِنْ غَشْيَانٍ  
قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْقِيَوْمُ مِنْ أَوْصَافِهِ» وهو أيضًا من أسمائه.

وابن القيم - رحمه الله - عبّر عن القيوم بأنه من أوصافه، ولكن لا مانع، لأنَّ  
كُلَّ اسم متضمنٌ لصفة.

قَوْلُهُ: «مَا لِلْمَنَامِ لَدَيْهِ مِنْ غَشْيَانٍ»، فمن أوصافه القيومية التي تَصَمَّنَهَا قوله  
تعالى: ﴿الْقِيَوْمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهذه القيومية تمنع النوم، فالنوم مستحيل في حق الله  
عزَّ وجلَّ، قال الله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لماذا؟

لأنه عزَّ وجلَّ القيوم، والقيوم هو القائم بنفسه، القائم على غيره، قال الله  
تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] يعني: كمن لا يملك هذا.

فالله قائمٌ بنفسه مستغنٍ عن غيره، وغيره قائمٌ به - جَلَّ وعلا -، فلاجل  
ذلك لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، لكمال حياته، وكمال قيوميته.

أرأيتم لو أنَّ أحدًا من الخلق له سُلطة على جماعة من الناس، وهو كثير  
التُّعاس، هل يمكن أن يقوم بمصالحهم؟ الجواب: لا، فالإنسان إذا كان ينعس،  
فإنه لو تكلم فربما تجده يهذي، فكيف يُصلح غيره؟!!

فلكمال حياته - سبحانه وتعالى - وكمال قيوميته لا تأخذه سنةٌ ولا نوم،  
وغيره تأخذه السنة والنوم قهراً.

٥٤٠- وَكَذَلِكَ أَوْصَافُ الْكَمَالِ جَمِيعُهَا ثَبَّتَتْ لَهُ وَمَدَارُهَا الْوُصْفَانِ

أوصاف الكمال كلها ثبتت لله، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾

وَقَوْلُهُ: «وَمَدَارُهَا الْوَصْفَانِ»، يشير إلى الحياة والقيومية، فكلُّ أوصاف الكمال تدور على هذين الوصفين، فالحيُّ فيه كمالُ الأوصاف، والقيوم فيه كمالُ الأفعال.

٥٤١- فَمُصَحِّحُ الْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ حَقًّا، ذَانِكَ الْوَصْفَانِ

كُلُّ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ تَدُورُ عَلَى هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ: الْحَيِّ وَالْقَيُّومِ، فَمَا مِنْ كِمَالٍ لِحَيٍّ إِلَّا دَخَلَ تَحْتَ قَوْلِهِ: (الْحَيِّ)، وَمَا مِنْ كِمَالٍ فِي فِعْلٍ، وَلَا سُلْطَانٍ إِلَّا دَخَلَ تَحْتَ قَوْلِهِ: (الْقَيُّومِ).

٥٤٢- وَلَا أَجَلَ ذَا جَاءَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَذِي عِمْرَانَ

٥٤٣- اسْمُ إِلَهِ الْأَعْظَمِ اشْتِمَلًا عَلَى اسْمِ الْحَيِّ وَالْقَيُّومِ مُقْتَرِنَانِ

يعني: جاء في الحديث أن اسمه الأعظم، الذي إذا دُعي اللهُ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى تضمَّن: الحيُّ القيوم<sup>(١)</sup>.

قوله -رحمه الله-: «فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَذِي عِمْرَانَ» يعني: في سورة البقرة وسورة آل عمران، فقال الله عزَّ وجلَّ في سورة البقرة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال في سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

(١) وذلك في قوله ﷺ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿وَاللَّهُ كُرْسِيُّ اللَّهِ وَحِجَّتُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. أخرجه أبو داود: كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم (١٤٩٦)، والترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ، رقم (٣٤٧٨)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، رقم (٣٨٥٥).

بقي موضع ثالث في سورة طه، وهو قوله تعالى: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

٥٤٤- فَالْكُلُّ مَرْجِعُهَا إِلَى الْإِسْمَيْنِ يَدْرِ ذَاكَ ذُو بَصَرٍ بِهِذَا الشَّانِ

لأن هذين الاسمين يتضمَّنان جميع معاني أسماء الله، ووجه ذلك ما سبق، وهو أن الحيَّ يتضمَّنُ كمال الأوصاف، والقيومَ كمال الأفعال.

\*\*\*

٥٤٥- وَلَهُ الْإِرَادَةُ وَالْكَرَاهَةُ وَالرِّضَى وَلَهُ الْمَحَبَّةُ وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ

٥٤٦- وَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ الْعَارِي عَنِ النَّتْشِيهِ وَالتَّمْثِيلِ بِالْإِنْسَانِ

٥٤٧- وَكَمَالٌ مَنْ أُعْطِيَ الْكَمَالَ لِنَفْسِهِ<sup>(١)</sup> أَوْلَى وَأَقْدَمُ، وَهُوَ أَعْظَمُ شَانَ

٥٤٨- أَيَكُونُ قَدْ أُعْطِيَ الْكَمَالَ وَمَا لَهُ ذَاكَ الْكَمَالُ، أَدَاكَ ذُو إِمْكَانٍ؟!

٥٤٩- أَيَكُونُ إِنْسَانٌ سَمِيعًا مُبْصِرًا مُتَكَلِّمًا بِمِثْلِيَّةٍ وَبَيِّنٍ؟

٥٥٠- وَلَهُ الْحَيَاةُ وَقُدْرَةُ وَإِرَادَةُ وَالْعِلْمُ بِالْكُلِّيِّ وَالْأَعْيَانِ

٥٥١- وَاللَّهُ قَدْ أُعْطَاهُ ذَاكَ وَلَيْسَ هَذَا وَصْفُهُ، فَاعْجَبْ مِنَ الْبُهْتَانِ

٥٥٢- بِخِلَافِ نَوْمِ الْعَبْدِ ثُمَّ جَمَاعِهِ وَالْأَكْلِ مِنْهُ وَحَاجَةِ الْأَبْدَانِ

٥٥٣- إِذْ تِلْكَ مَلْزُومَاتُ كَوْنِ الْعَبْدِ مُحْتَاَجًا، وَتِلْكَ لَوَازِمُ النُّقْصَانِ

٥٥٤- وَكَذَا لَوَازِمُ كَوْنِهِ جَسَدًا نَعَمٌ وَلَوَازِمُ الْإِحْدَاثِ وَالْإِمْكَانِ<sup>(٢)</sup>

(١) في نسخة الحلبي: «بنفسه».

(٢) في نسخة برلين هنا حاشية: «لعن الله من نسب الحنابلة إلى التجسيم».

٥٥٥- يَتَقَدَّسُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ عَنْهَا وَعَنْ أَعْضَاءِ ذِي جُثْمَانِ

### الشرح

٥٤٥- وَلَهُ الْإِرَادَةُ وَالْكَرَاهَةُ وَالرِّضَى وَلَهُ الْمَحَبَّةُ وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ

هذه من صفاته عز وجل، فله الإرادة، ودليلها موجود في كتاب الله بكثرة، قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وقال: ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] والإرادة عند أهل العلم تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية، والفرق بينهما من وجهين:

الوجه الأول: الإرادة الكونية تكون فيما يحبُّ الله، وفيما لا يحبُّ، ولهذا نقول: إن الله تعالى قد أراد إيمانَ المؤمنِ كونًا، وأراد كُفْرَ الكافرِ كونًا، فالأول فيما يحبُّ، والثاني فيما لا يحبُّ.

الوجه الثاني: الإرادة الكونية لا بدَّ فيها من وقوع المراد، والإرادة الشرعية قد يقع المراد وقد لا يقع، فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] هذه إرادة شرعية، لأنها لو كانت إرادة قَدْرِيَّةً لوجب أن تقع، أي: أن يقع مرادُه، وهو التوبة، ولكنَّ الله تعالى يتوب على مَنْ تاب فقط، والإرادة الكونية لا بدَّ فيها من وقوع المراد، لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وله الكراهة، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] فالله تعالى يكره ما يَسْتَحِقُّ الكراهة من أفعالٍ وأقوالٍ، ففي قوله: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاثَهُمْ﴾ المكروه هنا فعل، وهو الانبعاث، وفي قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ

لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ»<sup>(١)</sup>. المكروه هنا قول.

وله الرّضى، كقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] فهو يَرْضَى عن الأقوال، ويرضى عن الأفعال، ويرضى عن المؤمنين.

وله المحبة: فهو يُحِبُّ وَيُحَبُّ، كقول تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

قَوْلُهُ: «وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ» يعني: النعم، وإحسان الله تعالى لا يمكن أن يُعَدَّ ولا يحصى، ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

أشار بهذا إلى أن هذه الأوصاف: الإرادة، والكرهية، والرّضى، والمحبة، ليست هي الإحسان، بل الإحسان من لوازمها، أي: من لوازم المحبة والرّضى.

أما أصحاب التعطيل فيُنكرونها والكرهية والرّضى والمحبة، ويفسرون الكراهة بالعقوبة، والرّضى بالثبوت، والمحبة كذلك بالثبوت، فتجدهم إذا فسروا قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] قالوا: يعني: يُثيب المحسنين، وأنكروا أن يكون له محبة، وقالوا: إن المحبة لا تكون إلا بين متناسبين.

وهم أخطئوا في تحريف المنقول، وأخطئوا أيضًا في الواقع.

فالمحبة تكون بين متناسبين، كما بين الرجل وابنه وأبيه، وما أشبه ذلك، وتكون بين المتباينين، كمحبة الجهاد للإنسان، والإنسان للجهاد.

قال النبي ﷺ في أحد: «إِنَّهُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»<sup>(١)</sup>. أين التناسب بين الأحجار

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال، رقم (٢٢٧٧)، ومسلم: كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم (٥٩٣).

والصخرات والإنسان؟ الجواب: لا تناسب، الإنسان في نفسه يُحِبُّ البعير الفلاني، ولا يُحِبُّ البعيرَ الفلاني، كذلك الناقة تُحِبُّ صاحبها وترومه، وتختاره من بين الناس، كذلك أيضًا الجمادات: تجد الرجل -مثلاً- يشتري ساعة وأخرى، ويحِبُّ هذه أكثر من هذه، وكذا قَلَمٌ، كتاب، فقولهم مردودٌ بالحسِّ، ومردودٌ بالشرع.

ثُمَّ نقول تنزُّلاً معهم: إذا فسَّرتُم المحبَّة بالمشوَّبة، فهل يمكن أن يُثيبَ مَنْ لا يُحِبُّ؟ الجواب: لا يمكن، كيف يثيب هذا ويعطيه ويرضيه وهو لا يحبُّه؟! هذا لا يمكن.

فالحمد لله الذي فتح عقول أهل السنَّة والجماعة لِمَا يوافق المنقول والمعقول.

٥٤٦- وَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ الْعَارِي عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ بِالْإِنْسَانِ

قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي: مشابهاً، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أي: أنه لا يدله.

قَوْلُهُ: «التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ» هذا من باب عطف المترادفين بعضها على بعض، مع أن التعبير بنفي التمثيل أحسن من التعبير بلفظ نفي التشبيه.

ثم ذكر المؤلف دليلاً عقلياً على أن الله له الكمال، فقال:

٥٤٧- وَكَمَالٌ مَنْ أَعْطَى الْكَمَالَ لِنَفْسِهِ أَوْلَى وَأَقْدَمٌ، وَهُوَ أَعْظَمُ شَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب خرص الثمر، رقم (١٤١١)، ومسلم: كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، رقم (١٣٩٢).

يعني: أن المؤلف - رحمه الله - استدللَّ بثبوت الكمال لله عزَّ وجلَّ بأنه أعطى الكمال، فيكون هو أَوْلَى به، فكماله سابقٌ على مَنْ أعطاه الكمال، وهذا واضح، لأنَّ من كماله أن أعطى ولا شكَّ، وهذا دليلٌ عقليٌّ، ولهذا قال: (أَوْلَى وَأَقْدَمُ وَهُوَ أَعْظَمُ شَانٍ).

٥٤٨- أَيْكُونُ قَدْ أُعْطِيَ الْكَمَالَ وَمَالَهُ ذَاكَ الْكَمَالَ، أَذَاكَ ذُو إِمْكَانٍ؟!

قَوْلُهُ: «أَيْكُونُ قَدْ أُعْطِيَ الْكَمَالَ... إلخ» ؟

الجواب: أبدًا، لا يمكن، لأنَّ من كماله أن يُعْطِيَ الْكَمَالَ، أما أن يكون ناقصًا ثم يُعْطِيَ الْكَمَالَ، فهذا مستحيل، إذ كيف يُعْطِيَ الْكَمَالَ مَنْ ليس بكامل؟! فكمال الله قد دلَّ عليه السمعُ والعقلُ، ومن الأدلة العقلية على كمال الله أنه معطٍ الْكَمَالَ، ومُعْطِيَ الْكَمَالَ أَوْلَى بِالْكَمَالِ.

٥٤٩- أَيْكُونُ إِنْسَانٌ سَمِيعًا مُبْصِرًا مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَةٍ وَيَبِينُ؟

هذا وصف للإنسان، فالإنسان سميع وبصير، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

قَوْلُهُ: «مُتَكَلِّمًا»، والدليل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾

[آل عمران: ١٦٧].

قَوْلُهُ: «بِمَشِيئَةٍ»، لأنَّ الْإِنْسَانَ يَتَكَلَّمُ بِإِرَادَةٍ.

قَوْلُهُ: «يَبِينُ» أي: فصاحة، ولهذا تجدد بعض الناس إذا تكلم سلب العقول،

وتحقَّق بهذا قولُ الرسول ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الخطبة، رقم (٤٨٥١)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٩).

٥٥٠- وَلَهُ الْحَيَاةُ وَقُدْرَةٌ وَإِرَادَةٌ وَالْعِلْمُ بِالْكُلِّيِّ وَالْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَهُ الْحَيَاةُ» أي: الإنسان له الحياة، لقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾

[الأنعام: ٩٥].

قَوْلُهُ: «وَقُدْرَةٌ» يعني: وله القدرة، والدليل قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿لَا

يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤] ونفي قدرة هؤلاء يدل على ثبوت

القدرة لغيرهم، وقال تعالى: ﴿وَعَدَّوْا عَلَى حَرٍِّ قَدْرَيْنِ﴾ [القلم: ٢٥].

قَوْلُهُ: «وَإِرَادَةٌ»، فلإنسان إرادة، قال تعالى: ﴿فَأَتَوْا حَرَّتِكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ﴾

[البقرة: ٢٢٣] أي: من حيث أردتم، وقال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ

وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

قَوْلُهُ: «وَالْعِلْمُ» يعني أن الإنسان له علم، والدليل قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا

لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، وقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٣].

قَوْلُهُ: «وَالْعِلْمُ بِالْكُلِّيِّ وَالْأَعْيَانِ»: (الْكُلِّيُّ) يعني: المعاني، و(الأعيان):

الأجسام، فالإنسان له علم بالمعاني الكُلِّيَّة، وكذلك بالأعيان.

٥٥١- وَاللَّهُ قَدْ أَعْطَاهُ ذَلِكَ وَلَيْسَ هَذَا وَصْفُهُ، فَأَعْجَبَ مِنَ الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ هَذَا وَصْفُهُ» أي: وصف الله، يعني: كيف يكون إنسان متصفاً

بهذه الصفات الكاملة، والله هو الذي أعطاه إياها، وليس هذا وصفاً لله؟!

هؤلاء يقولون على كلامهم: إنَّ الله تعالى أعطى السمعَ والبصرَ، ولكن ليس

له سمعٌ ولا بصرٌ، فيكون المخلوقُ أكملَ من الخالقِ.

٥٥٢- بِخِلَافِ نَوْمِ الْعَبْدِ ثُمَّ جَمَاعِهِ وَالْأَكْلِ مِنْهُ وَحَاجَةِ الْأَبْدَانِ

٥٥٣- إِذْ تِلْكَ مَلْزُومَاتُ كَوْنِ الْعَبْدِ مُحًّا تَاجًّا، وَتِلْكَ لَوَازِمُ النُّقْصَانِ

لما ذكر الكمال لله عزَّ وجلَّ وأنَّ الإنسان له كمال، فلا يمكن أن يكون الخالق دونه في الكمال، أجب عن شيء قد يتوهَّمه الإنسان، وهو نوم العبد، هل هو كمال أو نقص؟

الجواب: هو كمالٌ من جهة، ونقصٌ من جهةٍ أخرى، فمن جهة أن الإنسان إذا كان صحيحَ البدن، وليس فيه آلامٌ ولا أوجاع، ونام، فهذا كمال، لكن من جهة أنه من لوازم النقص يكون نقصًا، فالإنسان لنقصانه يحتاج إلى نومٍ يستريح به ممَّا مضى، ويستجد نشاطه لما يستقبل.

كذلك الجماعُ كمالٌ في الإنسان، لكنه من لوازم النقص، إذ إن الإنسان محتاجٌ إلى بقاءِ النسل الذي طريقه الجماع.

والأكل كذلك كمالٌ من وجه، ونقصٌ من وجهٍ آخر، فالإنسانُ الصحيحُ يأكل بشهوةٍ وهَمَّةٍ، ولذة في الأكل، والمريضُ بالعكس، لكن كونه يأكل من لوازم النقص، لأنه محتاج.

لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ حَاجَةً، فَقَدْ تَنَزَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْحَاجَةِ، فَهُوَ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَكْلِ، وَلَا شَرِبٍ، وَلَا جِمَاعٍ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ، أَمَّا الْعَبْدُ فَهَذَا مِنْ كَمَالِهِ، لِاحْتِيَاجِهِ إِلَيْهِ لِيَقُومَ بِهِ كَمَالِهِ.

٥٥٤- وَكَذَا لَوَازِمُ كَوْنِهِ جَسَدًا نَعَمٌ وَلَوَازِمُ الْإِحْدَاثِ وَالْإِمْكَانِ

يعني: أيضًا من لوازم كونه جسدًا أن يحتاج إلى هذه الأشياء للبقاء والإمكان.

فالجسد يحتاج إلى شيء يُنمِّيه وَيُبقِيه، وكذلك الإحداث والإمكان، فالإنسان حادثٌ ممكن الوجود، وليس بواجب الوجود، والله عزَّ وجلَّ ليس بحادث، وهو واجب الوجود.

٥٥٥- يَتَقَدَّسُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ عَنْهَا وَعَنْ أَعْضَاءِ ذِي جُثْمَانٍ  
قَوْلُهُ: «يَتَقَدَّسُ الرَّحْمَنُ... عَنْهَا» أي: عن هذه اللوازم، ويتقدَّس أيضًا عن أعضاء ذي جُثمان.

وكلامُ المؤلف -رحمه الله- هنا مُوهِّمٌ ما ليس بمرادٍ له قطعًا، لأنَّ قوله: «عَنْ أَعْضَاءِ ذِي جُثْمَانٍ» يشملُ الوجهَ، واليدَ، والعينَ، والقدمَ، والساقَ، فإنَّ هذه من أعضاء الجسم، فهل الله مُنَزَّهٌ عنها؟

الجواب: إنَّ نَظْرَنَا إلى ظاهر كلام المؤلف قلنا: إنه يدلُّ على ذلك، لكن لِعِلْمِنَا بحال المؤلف، وأنه يُثْبِتُ هذه الصفات لله عزَّ وجلَّ، وهي: الوجه، والعين، واليد، والساق، والقدم، لِعِلْمِنَا بذلك كما نعلمُ الشمسَ في رابِعَةِ النهار، فإننا نقول: إنه لم يُرِدْ نَفِيَّ هذا عن الله، وإنما أراد نَفِيَّ خصائصِ هذه الأعضاء بالنسبة للإنسان، فخصائصُ هذه الأعضاء بالنسبة للإنسان يجوز أن تنفصل من جسمه، وألا تنفصل، لكن اليد بالنسبة لله عزَّ وجلَّ، والساق، والقدم، والعين، لا يجوز أن يكون فيها هذا، ولهذا قال العلماء: لا يجوز أن تُطْلَقَ على يد الله أنها بعض الله، لأنَّ البعض ما جاز انفصاله عن الكلِّ، وهذا بالنسبة إلى الله أمر مستحيل.

ولهذا نجد دقةَ تعبير شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث قال في (التَّدْمِيرِيَّة) (١): وبيان هذا، أن صفاتنا منها ما هي أعيان وأجسام، وهي أبعاض

(١) انظر: الرسالة التدمرية (ص: ٧٧).

لنا، كالوجه واليد، ومنها ما هي معان وأعراض، وهي قائمة بنا، كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة، ثم إن من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير، لم يقل المسلمون: إن ظاهر هذا غير مراد، لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا، فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه، لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد، لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا، بل صفة الموصوف تناسبه، فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين، فصفاته كذاته ليست مثل صفات المخلوقين، ونسبة صفة المخلوق إليه، كنسبة صفة الخالق إليه، وليس المنسوب كالمنسوب، ولا المنسوب إليه كالمنسوب إليه. اهـ

إِذَنْ كَلَامُ ابْنِ الْقِيمِ يَجِبُ أَنْ يُحْمَلُ عَلَى أَعْضَاءِ ذِي الْجَثْمَانِ، أَي: خَصَائِصِ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ، وَهِيَ جَوَازُ انْفِصَالِهَا عَنِ الْكُلِّ، فَأَعْضَاءُ الْإِنْسَانِ يَجُوزُ أَنْ تَنْفَصَلَ عَنِ الْكُلِّ، أَمَا بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، أَوْ هَذِهِ الصِّفَاتِ -بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ- فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا ذَلِكَ.

\*\*\*

- ٥٥٦- وَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا  
وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ
- ٥٥٧- صِدْقًا وَعَدْلًا أَحْكَمْتَ كَلِمَاتُهُ  
طَلَبًا وَإِخْبَارًا بِلَا تَقْصَانِ
- ٥٥٨- وَرَسُولُهُ قَدْ عَاذَ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ  
لَدَغٍ وَمِنْ عَيْنٍ وَمِنْ شَيْطَانِ
- ٥٥٩- أَيْعَاذُ<sup>(١)</sup> بِالْمَخْلُوقِ؟ حَاشَاهُ مِنَ الْإِ  
إِشْرَاكِ، وَهُوَ مُعَلِّمُ الْإِيمَانِ
- ٥٦٠- بَلْ عَاذَ بِالْكَلِمَاتِ وَهِيَ صِفَاتُهُ  
-سُبْحَانَهُ- لَيْسَتْ مِنَ الْأَكْوَانِ

(١) في بعض الأصول: «أفعاذ».

- ٥٦١- وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ عَيْنُ كَلَامِهِ الْـ مَسْمُوعٍ مِنْهُ حَقِيقَةٌ بَيَّانٍ  
 ٥٦٢- هُوَ قَوْلُ رَبِّي كُلُّهُ لَا بَعْضُهُ لَفْظًا وَمَعْنَى، مَا هُمَا خَلْقَانِ  
 ٥٦٣- تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَوْلُهُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى بِالْأَرْوَغَانِ

### الشرح

ذكر المؤلف -رحمه الله- في هذه الأبيات ما يتعلق بصفة من صفات الله عزَّ وجلَّ وهي صفة الكلام، فقال:

٥٥٦- وَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

إنَّ الله تعالى لم يزل مُتَكَلِّمًا، يعني: ولا يزال متكلِّمًا، اقرأ قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، ﴿يس: ٨٢﴾ [لم يزل] يعني: فيما مضى، ولا يزال كذلك في المستقبل، حتى قال الرَّبُّ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

الله أكبر! لو كلَّ ما في الأرض صار أقلامًا يُكْتَبُ به، والبحرُ يمدُّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلماتُ الله، ولا نفاد لها، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يزل ولا يزال مُريدًا خالقًا، وكلِّمًا أراد شيئًا قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ فلا نفاد لكلمات الله -سبحانه وتعالى-، ولهذا قال: (لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا).

واعلم أنَّ الكلمات تحدُّث في الأزل، والتسلسل فيها باقٍ كما سبق، وكذلك في الماضي، فمن يحصي هذه الكلمات؟ الجواب: لا يحصيها إلاَّ الله عزَّ وجلَّ، وهو -سبحانه وتعالى- لم يزل متكلِّمًا بكلامٍ بحرفٍ وصوت.

فإن قال قائل: الحروف هي الحروف التي تتكون منها كلمات الناس، أفلا يقتضي هذا أن يكون مماثلاً للخلق؟

فالجواب: لا يمكن، لأن الصوت يختلف، فكما أن الخالق والمخلوق يتفقان في الوجود ومع ذلك يختلفان في صفته، فوجود الخالق غير وجود المخلوق، كذلك صوت الخالق عز وجل ليس كصوت المخلوق، أما الحروف فالحروف هي الحروف التي يتكلم بها الناس، وهذا لا يقتضي المشابهة.

قوله: «وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ» فكلامه يُسْمَعُ، وليس يُخْلَقُ أصواتاً تُسْمَعُ تُعْبَرُ عن كلامه، بل كلامه عز وجل مسموعٌ بالأذان.

أرأيتم حين كلم موسى -عليه السلام-، فسمع موسى -عليه السلام- بأذانه، وصار يخاطبُ الله عز وجل، وكذلك النبي ﷺ في المعراج كان يسمع كلام الله عز وجل ويخاطبه، وسمعه من قبلها آدم -عليه الصلاة والسلام- وغير ذلك.

فكلام الله مسموعٌ يُسْمَعُ بالأذان، لكنَّ صوتَه لا يُشبهه أصوات المخلوقين، فلا يقوم له إلا مَنْ ثبته الله عز وجل، ولهذا إذا تكلم بالوحي ارتجفت السموات وصعقت الملائكة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣].

٥٥٧- صِدْقًا وَعَدْلًا أَحْكَمَتْ كَلِمَاتُهُ      طَلَبًا وَإِخْبَارًا بِأَلَا نَقْصَانِ

قوله: «طَلَبًا وَإِخْبَارًا» فيه لف ونشر غير مُرْتَب.

وقوله: «صِدْقًا وَعَدْلًا» الصدق بالنسبة للإخبار، والعدل بالنسبة للأحكام، كما قال عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وفي قراءة:

﴿وَمَتَّ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾، فهي صدقٌ ليس فيها كذبٌ بوجهٍ من الوجوه، وهي عدلٌ ليس فيها جورٌ بوجهٍ من الوجوه، ولهذا قال: (طلبًا)، وهذا يعود على العدل، (وإخبارًا) على الصدق (بلا نقصان).

٥٥٨- وَرَسُولُهُ قَدْ عَادَ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ لَدَغٍ وَمِنْ عَيْنٍ وَمِنْ شَيْطَانٍ قَوْلُهُ: «وَرَسُولُهُ» يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم.

قَوْلُهُ: «قَدْ عَادَ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ لَدَغٍ وَمِنْ عَيْنٍ وَمِنْ شَيْطَانٍ» يعني: قال: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ»<sup>(١)</sup>. مِنَ اللَّدَغِ وَمِنَ السَّامَةِ، وَالْهَامَةِ، وَالشَّيْطَانِ.

ومن قول النبي ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ» استدلل الإمام أحمد - رحمه الله - بهذا على أن كلام الله غير مخلوق، لأنَّ المخلوق لا يُستَعَاذُ به، هكذا قرَّر الإمام أحمد - رحمه الله -.

والحقيقة أن المخلوق يُستَعَاذُ به فيما يَقْدِرُ عليه هذا المخلوق الحيُّ أمامك، كما جاء ذلك في عدة أحاديث، حيث قال النبي ﷺ لَمَّا تَحَدَّثَ عَمَّا تَحَدَّثَ عَنْهُ مِنَ الْفِتَنِ: «وَمَنْ وَجَدَ مَلَجًا، أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وأخبر أن جيشًا عائدًا بالحرَمِ<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤٠٦)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، رقم (٢٨٨٦).

(٣) يعني قوله ﷺ: «يَعُوذُ عَائِدٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا يَبِيدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ». أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، رقم (٢٨٨٢).

لكن الشيء الذي هو غير محسوس لا يمكن الاستعاذة إلا بصفة من صفات الله، وأما بالمخلوق استعاذة محسوسة فهو كاستعاذة تمامًا، والاستعاذة فيما يقدر عليه جائزة.

٥٥٩- أَيْعَاذُ بِالْمَخْلُوقِ؟ حَاشَاهُ مِنْ الْإِشْرَاقِ، وَهُوَ مُعَلَّمُ الْإِيمَانِ

المعنى: أن النبي ﷺ لا يمكن أن يستغيث بمخلوق غير حاضر قادر على إعادته، لأنه لو فعل هذا لكان ذلك شركًا، والنبي ﷺ يتحاشى أن يُشرك، وهو -عليه الصلاة والسلام- مُعَلَّمُ الْإِحْلَاصِ وَالْإِيمَانِ.

٥٦٠- بَلْ عَاذَ بِالْكَلِمَاتِ وَهِيَ صِفَاتُهُ -سُبْحَانَهُ- لَيْسَتْ مِنَ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ عَاذَ بِالْكَلِمَاتِ وَهِيَ صِفَاتُهُ» أي: صفات الله عز وجل.

قَوْلُهُ: «لَيْسَتْ مِنَ الْأَكْوَانِ» خلافًا للجهمية الذين قالوا: إن كلام الله مخلوق من جملة المخلوقات.

٥٦١- وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ عَيْنُ كَلَامِهِ الْ- مَسْمُوعِ مِنْهُ حَقِيقَةً بَيَّانِ

هذا القرآن الذي بين أيدينا -نسأل الله أن يجعلنا ممن يتلونه حق تلاوته- هذا كلام الله، تكلم به -جل وعلا- حقيقةً، وسمعه جبريل -عليه السلام- ثم ألقاه على قلب النبي صلى الله عليه وسلم.

٥٦٢- هُوَ قَوْلُ رَبِّي كُلُّهُ لَا بَعْضُهُ لَفْظًا وَمَعْنَى، مَا هُمَا خَلْقَانِ

هو قول الله عز وجل كله لا بعضه، خلافًا لمن قال: إن الكلام مخلوق، والمعنى القائم بالنفس غير مخلوق، فجعل بعض الكلام مخلوقًا، وجعل بعضه غير مخلوق، مثل الأشاعرة.

أمَّا المعتزلة: فقالوا: كلامُ الله مخلوقٌ من الأصل، وليس له كلامٌ هو قائم بنفسه، بل هو مخلوق.

وكلامُ المعتزلة أقربُ إلى المعقول من كلام الأشاعرة، لأننا إذا جعلنا الكلام هو المعنى القائم بالنفس فمعناه: أنه لا كلام لله حقيقة.

وبريءٌ منهما قول السلف: إنَّ كلام الله هو المعنى واللفظ.

فالله عزَّ وجلَّ يتكلَّم بما في نفسه متى شاء كيف شاء.

٥٦٣- تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَوْلُهُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى بِلَا رَوْعَانِ

معلوم أن الناس انقسموا في الكلام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مَنْ قالوا: إن كلامَ الله صفةٌ من صفاته، شاملٌ للمعنى واللفظ، وهذا قول السلف، فالقرآنُ كلامُ الله لفظاً ومعنى.

الثاني: مَنْ قال: كلامُ الله مخلوقٌ، بائنٌ منه، لا يُوصَفُ به إلا على سبيل التشريف والتكريم، وهذا قول المعتزلة، وهذا القول أدَّى إلى القول بأنَّ كلَّ كلام في الوجود كلامُ الله عزَّ وجلَّ، كما قال الناظم:

وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ سِوَاءَ عَلَيْنَا نَشْرُهُ وَنِظَامُهُ

وهذا القول يؤدي إلى القول بوحدَةِ الوجود، وهي سلسلة خبيثة.

الثالث: مَنْ قال: إن كلام الله عزَّ وجلَّ هو المعنى القائم بنفسه، وخلق أصواتا تعبرُ عمَّا في نفسه، وهذا قول الأشاعرة.

سبحانه وتعالى! أيكون ما في النفس كلاماً؟! لو كان كلاماً لم يكن فرقٌ بين

العِلْم والكلام، لأنَّ العِلْم أيضًا معنَى قائمٌ بالنفس، وكُلُّ أحدٍ يعرف الفرق بين العِلْم والكلام.

لهذا أشار المؤلف - رحمه الله - إلى أن كَلَامًا مِنَ اللفظ والمعنى كلامُ الله.

\*\*\*

- ٥٦٤- لَكِنَّ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَفَعْلَهُمْ كَمِدَادِهِمْ وَالرَّقِّ مَخْلُوقَانِ
- ٥٦٥- فَالصَّوْتُ لِلْقَارِي وَلَكِنَّ الْكَلَامَ كَمِرَّةِ الْمُخْلُوقِ لِلْقُرْآنِ
- ٥٦٦- هَذَا إِذَا مَا كَانَ ثُمَّ وَسَاطَةٌ
- ٥٦٧- فَإِذَا انْتَفَتِ تِلْكَ الْوَسَاطَةُ مِثْلَمَا قَدْ كَلَّمَ الْمُؤَلِّودَ مِنْ عِمْرَانَ<sup>(١)</sup>
- ٥٦٨- فَهُنَالِكَ الْمَخْلُوقُ نَفْسُ السَّمْعِ لَا شَيْءٌ مِنَ الْمَسْمُوعِ، فَانْفَهَمَ ذَانِ وَخُصُومُهُمْ مِنْ بَعْدُ طَائِفَتَانِ
- ٥٦٩- هَذِي مَقَالَةٌ أَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ<sup>(٢)</sup>
- ٥٧٠- إِحْدَاهُمَا<sup>(٣)</sup> زَعَمَتْ بِأَنَّ كَلَامَهُ خَلَقَ لَهُ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِي خَلَقَ، وَشَطْرُ قَامَ بِالرَّحْمَنِ قَلْنَا<sup>(٥)</sup> كَمَا زَعَمُوهُ قُرْآنَانِ
- ٥٧١- وَالْآخَرُونَ<sup>(٤)</sup> أَبَوْا وَقَالُوا: شَطْرُهُ
- ٥٧٢- زَعَمُوا الْقُرْآنَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً

(١) قال الحلبي في نسخته: في هامش الأصل: «أي: موسى».

(٢) قال الحلبي في نسخته: في هامش الأصل «أي: البخاري».

(٣) قال الحلبي في نسخته: في هامش الأصل «أي: الجهمية والمعتزلة».

(٤) قال الحلبي في نسخته: في هامش الأصل «أي: الأشاعرة».

(٥) في نسخة: «قلنا».

- ٥٧٣- هَذَا الَّذِي تَتَلَوُهُ مَخْلُوقٌ كَمَا قَالَ الْوَلِيدُ وَبَعْدَهُ الْفِتَّانِ  
٥٧٤- وَالْآخِرُ الْمَعْنَى الْقَدِيمُ فَقَائِمٌ بِالنَّفْسِ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ

### الشرح

- ٥٦٤- لَكِنَّ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَفِعْلَهُمْ كَمِدَادِهِمْ وَالرَّقَّ مَخْلُوقَانِ

هذه أربعة أشياء: الصوت، والفعل، والرق، والمداد، فالصوت: النطق، والفعل: حركات الفم واللسان، والمداد: الحبر، والرق: الورق المكتوب عليه، قال تعالى: ﴿ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ [الطور: ٣] فهذه الأربعة مخلوقة، ولهذا قال:

- ٥٦٥- فَالصَّوْتُ لِلْقَارِي وَلَكِنَّ الْكَلَامَ  
٥٦٦- هَذَا إِذَا مَا كَانَ تَمَّ وَسَاطَةً كَقِرَاءَةِ الْمَخْلُوقِ لِلْقُرْآنِ

يعني: فالصوت للقارئ، والكلام كلام الباري عز وجل.

- ٥٦٧- فَإِذَا انْتَفَتْ تِلْكَ الْوَسَاطَةُ مِثْلَهَا قَدْ كَلَّمَ الْمُؤَلُّودَ مِنْ عِمْرَانَ  
٥٦٨- فَهَذَا الْمَخْلُوقُ نَفْسُ السَّمْعِ لَا شَيْءٌ مِنَ الْمَسْمُوعِ، فَافْهَمْ ذَانِ

قوله: «المؤلود من عمران» يعني: موسى بن عمران -عليه السلام-، حيث كلمه الله تكليةً.

هنا إذا كلم الله عز وجل أحدًا بلا وساطة، فكلام الله غير مخلوق، وهو المسموع، والسمع الذي أدرك الكلام مخلوق.

٥٦٩- هَذِي مَقَالَةٌ أَحْمَدِ<sup>(١)</sup> وَ مُحَمَّدِ<sup>(٢)</sup> وَ خُصُّوهُمْ مِنْ بَعْدُ طَائِفَتَانِ

قَوْلُهُ: «أَحْمَدُ وَ مُحَمَّدٌ» يعني: أحمد بن حنبل - رحمه الله -، ومحمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله -.

فأحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري قالوا: إن هناك فرقاً بين المقروء والقراءة، وبين القارئ والمتكلم بالمقروء، فالمقروء غير مخلوق، والقراءة مخلوقة، والقارئ مخلوق، والمتكلم بالمقروء وهو الله عز وجل طبعاً غير مخلوق، فكلامه غير مخلوق، وبهذا التفصيل يزول الإشكال.

فهنا فرق بين الكلام والمتكلم، وبين القارئ والمقروء، ولهذا قال بعض السلف كما أشرت إليه من قبل: (الصوت صوت القارئ، والكلام كلام الباري).

ففرق بين المفعول وبين الفعل، وهذا التفصيل تزول به إشكالات كثيرة. ولهذا لو قال قائل -سمع شخصاً يقرأ القرآن-: إنه مخلوق، فهذا غلط، لأنه يحتاج إلى تفصيل.

فيقال: صوت القارئ وحركاته مخلوقة لا شك، أما المقروء فليس بمخلوق. بالنسبة للسمع نقول: عندنا سامع وسمع ومسموع، فالسامع مخلوق، والسمع مخلوق، والمسموع فيه تفصيل: إن كان المسموع صوت القارئ فهو مخلوق، وإن قصد به ما يلفظ به القارئ، فهو غير مخلوق.

وهذا هو تحرير مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

(١) أحمد: هو أحمد ابن حنبل، وقد سبق الكلام عن ترجمته. [الشارح].

(٢) محمد: هو محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح، وُلِدَ في بخارى سنة (١٩٤هـ)، وتوفي في خرتك من أعمال سمرقند سنة (٢٥٦هـ)، فيكون عمره ثنتين وستين سنة (٦٢). [الشارح].

واعلموا أيضًا أن العلماء من أهل السنة والجماعة ما لجئوا لهذه التفاصيل إلا للضرورة، فلما تكلم أهل البدع في هذا الباب قالوا: لا بد أن نتكلم، وإلا لكننا نقول: (القرآن كلام الله) فقط، وكفى، قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] لكنهم اضطروا إلى هذه التفاصيل لأجل مقاومة أهل البدع ومقارعتهم.

والإمام أحمد -رحمه الله- روي عنه أنه قال: مَنْ قال: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قال: غَيْرُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، لِأَنَّ كَلِمَةَ (لَفْظٌ) مُصَدَّرٌ يَصِحُّ أَنْ يُعَبَّرَ بِهَا عَنِ اسْمِ الْمَفْعُولِ، وَعَنِ الْفِعْلِ، فَإِذَا قال: (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ) يَرِيدُ اسْمَ الْمَفْعُولِ مَاذَا يَكُونُ؟ الْجَوَابُ: يَكُونُ جَهْمِيًّا.

وإذا قال: (لفظي) يريد حركات الإنسان والصوت المسموع من هذه الحركات، لو قال: (إنه مخلوق) فصحيح، لكن إذا قال: (غير مخلوق) يكون مبتدعاً.

نقول: إذا قال: (لفظي بالقرآن غير مخلوق) فهو مبتدع، لماذا؟ لأنه لا حاجة إلى قول ذلك، فمعروف أن الملفوظ به غير مخلوق، فلا يحتاج، فإذا قال: (لفظي مخلوق)، وأراد الملفوظ به فهو جهمي، وإن قال: (غير مخلوق) وأراد الملفوظ به أيضًا فيقال: هذا صحيح، ولكنه مبتدع.

لما ذكر المؤلف قول الإمام أحمد وقول الإمام البخاري -رحمهما الله- قال: «وخصوهم من بعد طائفتان»، ثم ذكر الطائفة الأولى، وهي المعتزلة والجهمية، فقال:

٥٧٠- إِحْدَاهُمَا زَعَمَتْ بِأَنَّ كَلَامَهُ خَلْقٌ لَهُ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِي

هذه هي الطائفة الأولى، وهم المعتزلة والجهمية، قالوا: إن كلام الله مخلوق ألفاظه ومعانيه، ولم يقم بذاته -سبحانه وتعالى-، فهو خلق أصواتاً، وسميعها

جبريل، فهي كأصوات الرعد والصواعق، سمعها وتلقاها، وحكاها إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

فهم يقولون: إِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لم يتكلم بكلام هو وصفه، وليس له كلام هو وصفه، ولكنه خلق كلامًا، ونَسَبَ هذا الكلام إليه، كما خلق ناقةً فنسبها إليه، وكما خلق بيتًا، ونسبه إليه، فنسبة الكلام إلى الله ليست نسبة صفة إلى الموصوف، ولكنها نسبةُ خَلْقٍ إلى خالق.

فهؤلاء جعلوا القرآنَ ألفاظه ومعانيه مخلوقةً، وقالوا: القرآن كغيره من سائر المخلوقات، فهو مخلوقٌ لله عزَّ وجلَّ، وناظروا على ذلك، وحصلت فيه محنٌ كثيرة في زمن الإمام أحمد وبعده وقبله.

٥٧١- وَالْآخَرُونَ أَبَوْا وَقَالُوا: شَطْرُهُ خَلْقٌ، وَشَطْرُ قَامٍ بِالرَّحْمَنِ

الآخرون أبوا هذا القول، وهؤلاء هم الأشاعرة، وقالوا: لا يمكن، فكلامُ الله صفةٌ من صفاته، ولكن جعلوا الألفاظَ مخلوقةً، والمعنى هو الصفة.

فصار كلامُ الله -على رأي هؤلاء- شطرين: شطرًا مخلوقًا، وشطراً غير مخلوق، فالشطر المخلوق هو الألفاظ، يعني: الحروف والأصوات، والشطر غير المخلوق هو المعنى، وهو الذي قام بالرحمن، ولهذا يقولون: إن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه. فشطروا الكلام، وقالوا: الألفاظ مخلوقة، خلقها الله عزَّ وجلَّ في الهواء، فسمعها جبريل، فنزل بها إلى الرسول ﷺ، أما المعاني فهي قائمةٌ بنفس الله، وليست مخلوقة.

هؤلاء في الحقيقة تناقضوا فجعلوا اللفظَ له جهة، والمعنى له جهة، والمعتزلة خيرٌ منهم في الاضطراد، لأنهم جعلوا الكلامَ مضطربًا، وقالوا: الكلُّ مخلوقٌ،

ولا يُتَصَوَّرُ أن يفصل لفظٌ عن معناه، ولا معنى عن لفظه، كيف نقول: هذا المعنى غير مخلوق، واللفظ مخلوق، والمعنى كلام، واللفظ حدث؟! هذا لا يصحُّ، بل الكلُّ مُحَدَّثٌ، والكلُّ مخلوقٌ، وانتهينا.

فمذهب المعتزلة في القرآن أنه مخلوق، وعلى هذا فتكون كلُّ هذه الأربعة: (القارئ، والقراءة، والصوت، والمقروء) مخلوقةً عندهم، ويرون أن كلام الله من جملة المخلوقات.

فأيها أقعد؟ الجواب: مذهب المعتزلة أقعد، لأنه مُطَّرِدٌ، ولا يُعْقَلُ أن كلامًا من متكلمٍ واحدٍ يكون لفظه له وجه، ومعناه له وجهٌ آخر.

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كتابًا سماه (التسعينية)، ردَّ عليهم من تسعين وجهًا.

وانظر إلى بليَّة ما ذكروا:

٥٧٢- زَعَمُوا الْقُرْآنَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً قَلْنَا كَمَا زَعَمُوهُ قُرْآنَانِ

زعموا القرآن عبارة وحكاية عن كلام الله.

قوله: «فَلْنَا كَمَا زَعَمُوهُ قُرْآنَانِ» يعني: قرآن حكاية، وقرآن قول وصفة، فأما القرآن الذي هو الصفة فالمعنى، والقرآن الذي هو حكاية وعبارة فاللفظ.

إذن عندنا قرآنان: القرآن الذي هو المعنى القائم بنفس الربِّ عزَّ وجلَّ، والقرآن الذي هو المسموع، ولهذا قال: (فَلْنَا كَمَا زَعَمُوهُ قُرْآنَانِ).

٥٧٣- هَذَا الَّذِي نَتَلُوهُ مَخْلُوقٌ كَمَا قَالَ الْوَلِيدُ<sup>(١)</sup> وَبَعْدَهُ الْفِتَّانِ

يقولون: الذي نتلوه مخلوق، والمعنى القائم بنفس الله -وهو الصفة- غير مخلوق.

فهذا هو مذهبهم، ولهذا قال بعض المحققين من الأشاعرة المتكلمين: نحن والمعتزلة على حدّ سواء، كُلُّنا متفقون على أن ما بين دَفَّتَي المصحف مخلوق.

هم متفقون على هذا، لكنّ الأشعرية -وهم أصحاب هذا القول الذي يقول: المعنى هو الصفة واللفظ مخلوق- يقولون: هذا عبارة عن كلام الله، وليس كلام الله، والمعتزلة يقولون: هذا -يعني الذي في المصحف- كلام الله.

سبحان الله! واتفق الجميع على أنه مخلوق، لكن أيها أقوم؟ الجواب: المعتزلة، فهم يقولون: هذا كلام الله مخلوق، والأشاعرة يقولون: هذا مخلوق، وليس كلام الله.

والحقيقة أنه ليس كلُّ أحدٍ يتفطن لهذا المعنى، فالأشاعرة يقولون: هذا ليس كلام الله وهو مخلوق، والمعتزلة يقولون: هذا كلام الله وهو مخلوق.

ونحن نقول: كلام الله غير مخلوق، فالأشاعرة قالوا: هذا عبارة عن كلام الله، وليس كلام الله، أو حكاية، والفرق بين العبارة والحكاية أن العبارة يخلق الله أصواتاً تُعَبَّرُ، والحكاية حكاية القول، مثل ما يكون في الصدى.

أنتم إذا تكلمتم مثلاً بين الجبال يكون صدّي يحكي الصوت، فهم يقولون:

(١) الوليد بن المغيرة: هو أبو خالد بن الوليد، ولد قبل الهجرة بخمس وتسعين سنة، ومات بعدها بثلاثة أشهر، كان من زعماء قريش، ومن حرم الخمر في الجاهلية، ولكنه عادى الإسلام حين ظهر الإسلام. [الشارح].

إن الله تعالى تكلم بكلام لا يُسمع، لكن أصابه الصدى، حكايةً عن الكلام، لكن المعروف عند الأشاعرة أنهم يقولون: إنه عبارة، والكلاية يقولون: إنه حكاية.

قوله: «كَمَا قَالَ الْوَلِيدُ» هو الوليد بن المغيرة أبو خالد بن الوليد، فالوليد بن المغيرة قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدر: ٢٤-٢٥] فقال الله تعالى: ﴿سَأُصَلِّهِ سَقَرًا﴾ [المدر: ٢٦].

فهم يقولون: هذا قول البشر، فهم يقولون: مخلوق مثلما أن كلامي أنا مخلوق وكلام الثاني مخلوق، فهذا مخلوق أيضًا كما قال الوليد.

قوله: «وَبَعْدَهُ الْفِتْنَانِ» الفتنان هما الأشاعرة والمعتزلة، فكلاهما يقول: هذا الكلام الذي بين أيدينا - وهو القرآن - مخلوق.

٥٧٤- وَالْآخِرُ الْمَعْنَى الْقَدِيمُ فَقَائِمٌ بِالنَّفْسِ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ  
هذا المسموع الذي يُسمع ويُتلى مخلوق، وليس كلام الله، بل هو عبارة عن كلام الله، هذا كلام الله عند الأشاعرة، المعنى القديم، ولهذا يقولون: كلام الله قديم.

انتبهوا لهذه الكلمة فهي خطأ، وليست صوابًا، فلا يجوز أن نقول: (كلام الله قديم) بل كلام الله متعلق بمشيئته، متى شاء تكلم.

قوله: «لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ» يعني: ما سمعه لا جبريل، ولا موسى، ولا محمد، لأنه هو المعنى القائم بالنفس.

وكلُّ أحدٍ يعرف أن المعنى القائم بالنفس لا يُسمى كلامًا أبدًا، أنت الآن لو أردت أن تحطّب خطبةً، وفي نفسك تُكوّن عناصرها، وتقول: أقول كذا، وأقول

كذا، وأقول كذا، وأقول كذا، هل يُقال: إنك تكلمت؟ الجواب: لا، فليس هذا بكلام، ولا يُعرَف في اللغة العربية أنَّ هذا كلام.

هم يقولون: إن هذا هو الكلام، ولهذا قالوا: إن كلام الله قديم، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ يعلم علمًا قديمًا أنه سيتكلم بهذا الكلام إلى يوم القيامة.

\*\*\*

- ٥٧٥- وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ، وَاسْتِفْهَامُهُ هُوَ عَيْنُ إِخْبَارٍ وَذُو وَحْدَانٍ  
 ٥٧٦- وَهُوَ الزَّبُورُ وَعَيْنُ تَوْرَةٍ وَإِنْ حِيلَ وَعَيْنُ الذِّكْرِ وَالْفُرْقَانِ  
 ٥٧٧- الْكُلُّ شَيْءٌ<sup>(١)</sup> وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ لَا يَقْبَلُ التَّبْعِيضَ فِي الْأَذْهَانِ  
 ٥٧٨- مَا إِنْ لَهُ كُلٌّ وَلَا بَعْضٌ وَلَا حَرْفٌ وَلَا عَرَبِيٌّ وَلَا عِبْرَانِيٌّ

### الشرح

- ٥٧٥- وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ، وَاسْتِفْهَامُهُ هُوَ عَيْنُ إِخْبَارٍ وَذُو وَحْدَانٍ  
 قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ» يعني: قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، هو عين قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هو عين قوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

نقول: هل هذا الكلام معقول؟ هل الأمر هو عين النهي؟!

والله، لا أعتقد أنَّ عاقلًا يقول هذا المعنى، سبحان الله! عين الأمر هو عين

(١) في نسخة الحلبي: «معنى».

النهي؟! يقول: نعم، لأنَّ الكلام معنًى، لكن إن عَبَّرت عنه بالأمر صار أمرًا، وإن عَبَّرت عنه بالنهي صار نهيًا.

سبحان الله! المتكلِّم نفسه هل يُقَدِّر الأمر أمرًا، أو يقَدِّره نهيًا؟ الجواب: يقَدِّره أمرًا، ولا يقَدِّره نهيًا، أمَّا هو فيقول: لا، المعنى واحد لا يتجزأ ولا يتبعَّض، وليس هناك أمرٌ، ولا نهيٌ، لكن الصورة التي تُخَلِّقُ لَتُعَبَّرَ عن هذا هي التي يُقال عنها: إنها أمرٌ أو نهيٌ.

والله ليس هذا بمعقولٍ إطلاقًا!

قَوْلُهُ: «وَاسْتِفْهَامُهُ هُوَ عَيْنُ إِخْبَارٍ» فالاستفهام مثل: (هل قام زيد؟) فهو بمعنى (قام زيد) فعندهم هذا هو هذا، فالاستفهام هو الخبر، وقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، هو عين قوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] ف (استفهم) و (أخبر) بمعنى واحدٍ، فيجعلون العالمَ كالجاهل، فالعالم الذي يصدر الأخبار كالجاهل الذي يسأل عن الأخبار.

ولهذا قال: «وَاسْتِفْهَامُهُ عَيْنُ إِخْبَارٍ وَذُو وَحْدَانٍ» يعني: الشيء الواحد لا يتجزأ.

وهذا لا أحد يقبِّله لا فِطْرَةً، ولا عقلاً، ولا لغةً، ولا عُرْفًا.

ولو أنك سألت عامة الأشعرية في الوقت الحاضر ما ظنوا أنَّ هذا مذهبهم في كلام الله عزَّ وجلَّ، لأنه مذهبٌ يرفضه الذَّهنُ، ولا يمكن أن يتصوَّره، فكيف يُعقَلُ أنَّ الأمر هو النهي، والخبر هو الاستفهام، والتوراة هي الإنجيل، والإنجيل هو القرآن؟! اللهم اهدنا.

٥٧٦- وَهُوَ الزَّبُورُ وَعَيْنُ تَوْرَةٍ وَإِنْ حِجِلٍ وَعَيْنُ الذِّكْرِ وَالْفُرْقَانِ  
٥٧٧- الْكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ لَا يَقْبَلُ التَّبَعِيضَ فِي الْأَذْهَانِ

هذه أربعة كتب: الزُّبور، والتوراة، والإنجيل، والقرآن، يقول: هذه شيء واحد، فالتوراة هي القرآن، والقرآن هو الإنجيل، والإنجيل هو الزُّبور، فكلُّها شيءٌ واحد، لكن اختلفت في الصورة، فإن عبَّرَ عنه بالعربية سمَّيناه قرآنا، وبالعبرية توراة، وبالسُّريانية إنجيلا، بالداوودية زبورًا، وإلا فهي شيءٌ واحد.

نقول: سبحان الله! ففرَّق بين القرآن والتوراة من آلاف الوجوه: في الشمول، وفي الصلاحية لكلِّ زمان ومكان، فالتوراة نزلت لقومٍ مُعيَّنين لبني إسرائيل، وكل تشريعاتها تليقُ ببني إسرائيل، تُشدِّد عليهم، ووضعت عليهم الآصار والأغلال، وحرَّم عليهم بعض الحلال في شريعتهم، لكن في القرآن بالعكس.

أمَّا الإنجيل ففيه تسامُحٌ كثير جدًّا، لكن في القرآن لا، فالقرآن جمع بين الحزم واليسر.

فالحاصل كيف نقول: إن التوراة والإنجيل والقرآن والزُّبور كلُّ هذه شيء واحد لكن تختلف بالأساليب؟!

ولذلك فإن تصوَّرَ هذا القولِ كافٍ في ردِّه - نسأل الله الهداية - فالذين يذهبون إلى هذا - سبحان الله! - ليسوا بالعلماء الذين ليسوا بشيء، بل علماء معتبرون عندنا، نُجلِّهم ونشهد لهم بالخير، لكن - سبحان الله! - الهداية بيد الله عزَّ وجلَّ، وبهذا يُعرَف أن الإنسان مهما كان فهو ضعيف، وإلا فيوجد أناسٌ أجلاء اعتنقوا هذا القول، نشهد لهم بالخير، وبمحبَّة عزِّ الإسلام وشأنه.

ولذلك إذا قال قائل: ما موقفنا من العلماء الذين لهم قَدَمٌ صِدْقٍ في العِلْمِ، وهُمْ قد خدموا الكتاب والسنة، مع تَلَبُّسِهِمْ بهذه الضلالات في العقيدة؟

نقول: موقفنا منهم أننا نَعْظُمُهُمْ، ونُكْرِمُهُمْ ونُحِبُّهُمْ على ما قاموا به من نصر السُّنَّةِ، لكن لا نَحْمَدُهُمْ على ما فعلوه من مخالفة السلف، بل نعاملهم بالعدل، والعدل أن تُعْطِيَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، ومن مذهب أهل السُّنَّةِ والجماعة أن الإنسان يكون فيه خَصْلَةٌ خَيْرٍ، وخَصْلَةٌ شَرٍّ، خَصْلَةٌ طَاعَةٍ، وخَصْلَةٌ مَعْصِيَةٍ، خَصْلَةٌ إِيمَانٍ، وخَصْلَةٌ كُفْرٍ، وقد يكون فيه جانبٌ صوابٍ، وجانبٌ خطأً، لكن الأصل أن يُعْتَبَرَ بِأَكْثَرِ أَحْوَالِهِ، وأكثر أقواله، فإذا كان يُنْسَبُ إلى أهل السُّنَّةِ، ويقول مثلاً: إمامي في ذلك إمامُ أهل السُّنَّةِ الإمام أحمد بن حنبل، وما أشبه ذلك، ويخرج في بعض الأحيان عن مذهب أهل السُّنَّةِ، فهذا يُعْتَبَرُ من أهل السُّنَّةِ، ولكن يُقال: هو في هذه المسألة المَعْيَنَةُ من أهل البدعة.

وأما من ينتسب إلى أهل البدعة، فهو بِدْعِيٌّ حتى لو قال قولاً لأهل السُّنَّةِ، لأنَّ العِبْرَةَ بِأَصْلِهِ وانتهائه، ويُقال: هو بِدْعِيٌّ، لكن له قولٌ يُوافِقُ أهل السُّنَّةِ في كذا.

إِذْنٌ إذا عَلِمْنَا أن الرَّجُلَ له مَقَامٌ صِدْقٍ في الشريعة، وأنه حَسَنُ النية والقصد، وأنَّ بدعته ليست مُكْفَرَةً، فهذا يجب علينا أن نسأل الله له العفو والرحمة، ونتبرأ من مقاله، ولا نتبرأ منه.

٥٧٨- مَا إِنْ لَهُ كُلُّ وَلَا بَعْضٌ وَلَا حَرْفٌ وَلَا عَرَبِيٌّ وَلَا عِبْرَانِيٌّ

قَوْلُهُ: «مَا إِنْ لَهُ كُلُّ وَلَا بَعْضٌ... إلخ» لماذا قالوا ذلك؟

الجواب: لأنهم يرون أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، وأنه ليس له كُلُّ،

ولا بعض، ولا حرف، ولا صوت، ولا يوجد وصف بأنه عربي، ولا عبراني،  
فالكلام هو المعنى القائم بالنفس، وهو شيء واحد، لا يقبل التجزؤ، ولا يقبل أن  
هذا أمر، وهذا نهي، فالكلُّ شيءٌ واحد.

\*\*\*

- ٥٧٩- وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَاكَ بَيْتٌ قَالَهُ      فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي  
٥٨٠- يَا قَوْمٍ قَدْ غَلَطَ النَّصَارَى قَبْلُ فِي      مَعْنَى الْكَلَامِ وَمَا اهْتَدَوْا لِلْبَيَانِ  
٥٨١- وَلَا أَجَلَ ذَا جَعَلُوا الْمَسِيحَ إِلَهُهُمْ      إِذْ قِيلَ كَلِمَةٌ خَالِقٍ رَحْمَنِ  
٥٨٢- وَلَا أَجَلَ ذَا جَعَلُوهُ نَاسُوتًا وَلَا      هُوتًا قَدِيمًا بَعْدُ مُتَّحِدَانِ  
٥٨٣- وَنَظِيرُ هَذَا مَنْ يَقُولُ: كَلَامُهُ      مَعْنَى قَدِيمٌ غَيْرُ ذِي حَدَثَانِ  
٥٨٤- وَالشَّطْرُ مَخْلُوقٌ وَتِلْكَ حُرُوفُهُ      نَاسُوتُهُ لَكِنْ هُمَا غَيْرَانِ  
٥٨٥- فَانظُرْ إِلَى ذَا الْإِتِّفَاقِ فَإِنَّهُ      عَجَبٌ، وَطَالِعْ سُنَّةَ الرَّحْمَنِ

### الشرح

٥٧٩- وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَاكَ بَيْتٌ قَالَهُ      فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي<sup>(١)</sup>

وأعجب من هذا قولهم: عندنا دليل على أن الكلام هو المعنى القائم  
بالنفس، والدليل هو هذا البيت الذي قاله الأخطل النصراني، والأخطل معروف

(١) الأخطل النصراني: هو غياث بن غوث، من بني تغلب، من شعراء بني أمية، نشأ على المسيحية  
في أطراف الحيرة بالعراق، ثم اتصل ببني أمية في دمشق، ولد سنة (١٩هـ) واختلف في سنة  
وفاته، وفي تاريخ ابن كثير أنه سنة (٩٢هـ) إذن عمر ثلاثاً وسبعين سنة. [الشارح].

أنه من الشعراء، وهذا البيت يقول (١):

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا  
جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

هذا هو البيت، فالكلام محله الفؤاد.

لكن هل الأخطل أراد بذلك ما أراد هؤلاء؟ أم أراد أن الكلام المنظم الذي يحمل المعنى هو ما يفكر فيه الإنسان أولاً في قلبه، ثم يُعَبَّرُ عنه باللسان؟ هو أراد هذا لا شك، ولم يكن يعرف هذا المذهب الحادث المبتدع.

والحقيقة أنه استدلالٌ بما لا دليل فيه من وجهين:

الوجه الأول: هل يُستدلُّ بقول إنسان على اللغة العربية بعد اختلافها؟

الجواب: لا.

الوجه الثاني: أن هذا البيت لا يُراد به المعنى الذي يقولونه، بل معنى قوله: (إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ) أن الإنسان الذي يتكلم بعقلٍ يُقَدَّرُ الشيء في فؤاده أولاً، ثم بعد ذلك يُعَبَّرُ عنه.

فكُلُّ إنسانٍ عاقلٍ يريد أن يكونَ لقوله وزنٌ ومعنى لا يمكن أن ينطق بكلمة حتى يُقَدَّرَها في قلبه ويَوزِنَها، وينظر هل يتكلم بها، أو لا يتكلم؟ فإذا نُصِبَتْ عنده حينئذٍ يُعَبَّرُ، هذا هو معنى البيت الذي لا يحتمل غيره.

ونظير استدلالهم بهذا البيت استدلالهم بأن (استوى) بمعنى (استولى) في

قول الرجل المجهول (٢):

(١) انظر: البيان والتبيين للجاحظ (١/١٨٧).

(٢) انظر: الأزمنة والأمكنة لأبي علي الأصفهاني (١/٣٦).

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقٍ

وليس معنى: (اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ) أنه رَكِبَ فوقه، لكن المعنى قد استولى عليه، إذن حَوْلَ كُلِّ كلمات (اسْتَوَى) التي في القرآن إلى (استولى) لهذا البيت!

على كُلِّ حالٍ دليل الأشاعرة في أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس قول النصراني، وسبحان الله أن جَعَلَ اللهُ إِمَامَهُمْ نصرانياً!  
ثُمَّ قال ابن القيم -رحمه الله-:

٥٨٠- يَا قَوْمِ قَدْ غَلِطَ النَّصَارَى قَبْلُ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ وَمَا اهْتَدَوْا لِيَّانِ

قَوْلُهُ: «يَا قَوْمِ» إِمَّا أَنْ يَخاطَبَ ابْنَ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللهُ- أَهْلَ السُّنَّةِ، أَوْ يَخاطَبَ هَؤُلاءِ لِيَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ اسْتِدْلَالَهمْ بِما يَقوله النصراني خطأ، لِأَنَّ النَّصَارَى غَلِطُوا فِي أَمْرٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا.

قَوْلُهُ: «قَدْ غَلِطَ النَّصَارَى» يريد أنهم غلطوا في معنى قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] فقالوا: إن عيسى هو كلمة الله، والكلمة وصف المتكلم، فالمسيح جزءٌ مِنَ المتكلم، أي: جزءٌ مِنَ اللهِ، لِأَنَّهُ كَلِمَتُهُ.

لكننا نقول: إن عيسى ليس كلمة الله، لكنه كان بكلمة الله عزَّ وجلَّ، ودليل هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فهم غلطوا في تفسير (كلمة الله) يعني: عيسى -عليه الصلاة والسلام-.

٥٨١- وَلَا أَجَلَ ذَا جَعَلُوا الْمَسِيحَ إِلَهُهُمْ إِذْ قِيلَ كَلِمَةٌ خَالِقٍ رَحْمَنِ

يعني: جعلوا المسيح إلها لهم لما قيل: إنه كلمة الله، قالوا: لما كان كلمة الله فهو إذن وصفٌ مشتقٌ منه، والوصفُ لازمٌ للموصوف، فهو إذن إلهٌ فليُعبَد.

٥٨٢- وَلَا أَجَلَ ذَا جَعَلُوهُ نَاسُوتًا وَلَا هُوتًا قَدِيمًا بَعْدُ مُتَّحِدَانِ

قَوْلُهُ: «نَاسُوتًا» النَّاسُوتُ: عبارة عن الناس، فهو من الإنسان.

قَوْلُهُ: «لَاهُوتًا» اللاهوت: عبارة عن إله.

فقالوا: إن الناسوت - وهو حادثٌ - حلٌّ في اللاهوت، وهو قديم، وقالوا:

إِنَّ عَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اتَّحَدَ مَعَ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَصَارَا وَاحِدًا.

فهم قالوا: إن إلههم مُرَكَّبٌ من ناسوت ولاهوت، والناسوت حلٌّ في اللاهوت

كالكلام، فالمعنى قديم، واللفظ حادث مخلوق، وسُمِّي الكلامُ كلامَ الله، مع أنه مُرَكَّبٌ من شيئين: معنى ولفظ، واللفظ مخلوق، والمعنى صفة، ولذا قال:

٥٨٣- وَنَظِيرُ هَذَا مَنْ يَقُولُ: كَلَامُهُ مَعْنَى قَدِيمٌ غَيْرُ ذِي حَدَثَانِ

٥٨٤- وَالشَّطْرُ مَخْلُوقٌ وَتِلْكَ حُرُوفُهُ نَاسُوتُهُ لَكِنْ هُمَا غَيْرَانِ

ابن القيم - رحمه الله - قارَنَ بين قول النصارى في عيسى بن مريم: إنه كلمة،

والكلمة صفة، فهو إلهٌ بهذا المعنى، مخلوقٌ جسدياً، لكنه صفة لله عزَّ وجلَّ، وبين قول الأشاعرة في الكلام حيث يقولون: اللفظ مخلوق، والحروف مخلوقة، والمعنى صفة، فابن القيم يقول: هذا نظير هذا.

وَقَوْلُهُ: «وَنَظِيرُ هَذَا مَنْ يَقُولُ كَلَامُهُ مَعْنَى قَدِيمٌ... إلخ» مَنْ هُوَ لَئِنْ؟ الجواب:

الأشاعرة، فيقولون: المعنى صفة، والشطر مخلوق وهي الحروف.

والحروف ناسوته، فالحروف عند الأشاعرة في الكلام كالناسوت عند النصارى في الإله (لَكِنْ هُمَا غَيْرَانِ)، لأن اللفظ غير المعنى، وعيسى - عليه الصلاة والسلام - غير الله، لكن اتَّحَدَا.

٥٨٥- فَانظُرْ إِلَى ذَا الْاِتِّفَاقِ فَيَأْتِيهِ عَجَبٌ، وَطَالِعُ سُنَّةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فَانظُرْ إِلَى ذَا الْاِتِّفَاقِ» صحيح أن هذا اتفاق عجيب بين النصارى، وبين هؤلاء، وذلك في استدلالهم على الكلام بقول نصراني، ثم إذا طَبَّقْتَ هذا وهذا وجدت أنهما متشابهان، إن لم يكونا مثليين.

فقول النصارى في المسيح بأن جسده مخلوق، ومعناه (حقيقته) غير مخلوق، لأنه كلمة الله، وهؤلاء يقولون: اللفظ مخلوق، والمعنى غير مخلوق.

فقضية الكلام تُشَبَّهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ قَضِيَّةُ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ - إِنْ لَمْ تَكُنْ تَمَثَّلُهَا - فِي مَعْتَقَدِ النَّصَارَى، يَقُولُ: جَسَدُ عَيْسَى مَخْلُوقٌ أَحَادِي، وَلَيْسَ هُنَاكَ إِشْكَالٌ، لَكِنْ هُوَ (كَلِمَةُ اللَّهِ) فَالْمَعْنَى لِهَذَا الْجَسَدِ إِلَهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، فَاتَّحَدَا بَعْدَ أَنْ كَانَا مُفْتَرِقَيْنِ مُتَغَايِرَيْنِ، اتَّحَدَا وَصَارَا شَيْئًا وَاحِدًا، وَلِهَذَا الْإِلَهُ مُرَكَّبٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ.

وَقَوْلُهُ: «فَيَأْتِيهِ عَجَبٌ وَطَالِعُ سُنَّةِ الرَّحْمَنِ» اللَّهُ أَكْبَرُ! كُلُّ مَنْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ فِيهِ شَبَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِ، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ عَامَةٌ، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْيَهُودَ افْتَرَقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»<sup>(١)</sup>. إِذَنْ مَا مِنْ شَيْءٍ فِي هَؤُلَاءِ إِلَّا سَيَحْدُثُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَرْكَبُونَ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم (٤٥٩٦)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب افتراق الأمة، رقم (٢٦٤٠) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩١).

فَكُلُّ مَنْ خَالَفَ مَا عَلَيْهِ الرَّسُولُ وَأَصْحَابُهُ سَوْفَ يَأْخُذُ بِنَصِيبٍ مِّنْ مَّوَافَقَةِ  
اليهود والنصارى، فالحسد والكذب والخداع، كل هذا موجود في اليهود  
والنصارى.

وَقَوْلُهُ: «وَطَالَعُ سُنَّةَ الرَّحْمَنِ» يعني: اطَّلَعُ عليها، وسنة الرحمن يعني: طريقه  
الذي يَبْتَلِي به العباد، كما قال -جل وعلا-: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَكِن  
مَّجْدَلِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣].

فعلى كُلِّ حالِ ابنُ القيم -رحمه الله- شَدَّدَ في هذا الموضوع، لأنَّ كلامهم بما  
يَطْلُونَهُ مِنَ الزخارف قد يَغْتَرُّ به بعضُ الناس، وفي الحقيقة أنَّ الإنسان لا يعقل  
إِطْلَاقًا هذا القول الذي ذهب إليه هؤلاء، مَنْ يعقل الفرق بين اللفظ والمعنى؟!  
اللفظ في الحقيقة هو دلالة المعنى، وكيف يمكن لأيِّ عاقل أن يقول: إِنَّ الأَمْرَ هو  
النهي، بل هو عينُ النهي، هل هذا معقول؟!

\*\*\*

٥٨٦- وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى وَقَالَتْ: إِنَّ ذَا  
قَوْلٌ مُحَالٌ وَهُوَ خَمْسُ مَعَانٍ  
٥٨٧- تِلْكَ الَّتِي ذُكِرَتْ وَمَعْنَى جَامِعٌ  
لِجَمِيعِهَا كَالْأَسِّ لِلْبُنْيَانِ  
٥٨٨- فَتَكُونُ أَنْوَاعًا وَعِنْدَ نَظِيرِهِمْ  
أَوْصَافُهُ، وَهَمَّا فَمْتَنَّفَعَانِ  
٥٨٩- إِنَّ الَّذِي جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ لَمَخٌ  
لُّوْقٌ وَلَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ  
٥٩٠- وَالْحُلْفُ بَيْنَهُمْ فَقِيلَ: مُحَمَّدٌ  
إِنَّ الَّذِي جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ لَمَخٌ  
٥٩١- وَالْآخَرُونَ<sup>(١)</sup> أَبَوَا، وَقَالُوا: إِنَّمَا  
جَرِيْلٌ أَنْشَأَهُ عَنِ الْمَنَّانِ

(١) قل الحلبي في نسخته: «في هامش الأصل: أي: الأشاعرة والكلائية».

- ٥٩٢- وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى وَقَالَتْ: إِنَّهُ  
 نَقَلَ مِنَ اللَّوْحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ  
 ٥٩٣- فَاللَّوْحُ مَبْدُؤُهُ وَرَبُّ اللَّوْحِ قَدْ  
 أَنْشَأَهُ خَلْقًا فِيهِ ذَا حَدَثَانِ  
 ٥٩٤- هَذِي مَقَالَاتٌ لَهُمْ، فَانظُرْ تَرَى  
 فِي كُتُبِهِمْ يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ  
 ٥٩٥- لَكِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ قَالُوا: إِنَّمَا  
 جِرْيَلٌ بَلَغَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ  
 ٥٩٦- أَلْقَاهُ مَسْمُوعًا لَهُ مِنْ رَبِّهِ  
 لِلصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ بِالْبُرْهَانِ

### الشرح

٥٨٦- وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى وَقَالَتْ: إِنَّ ذَا قَوْلٌ مُحَالٌ وَهُوَ خَمْسُ مَعَانٍ  
 قَوْلُهُ: «وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى» تَكَايَسَتْ يَعْنِي: ادَّعَتْ الْكَيْسَ، وَالْكَيْسُ هُوَ  
 الْفِطْنَةُ وَالْجِدُّ وَالْعِزْمُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ  
 الْمَوْتِ»<sup>(١)</sup>. ف(تكايست) يعنى: قالت: أنا التي أعرف، أنا التي عندي الحدق،  
 عندي الذكاء.

قَوْلُهُ: «وَقَالَتْ: إِنَّ ذَا قَوْلٌ مُحَالٌ» الْإِشَارَةُ إِلَى قَوْلِ الْأَشَاعِرَةِ: إِنَّ الْأَمْرَ  
 وَالنَّهْيَ وَالْخَبَرَ وَالِاسْتِفْهَامَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ  
 شَيْءٌ وَاحِدٌ.

قالوا: هذا الشيء مُحَالٌ، كيف يكون (افعل) هو عين: (لا تفعل)؟! وكيف  
 يكون (هل أنت؟) عين (مثل أنت)، هذا لا يمكن، هذا الأمر غير معقول ومُحَالٌ،

(١) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة آنية الخوض، رقم  
 (٢٤٥٩).

ولكنَّ الكلامَ (خَمْسُ مَعَانِي)، ثم ذَكَرَهَا بقوله:

٥٨٧- تِلْكَ الَّتِي ذُكِرَتْ وَمَعْنَى جَامِعٍ لِجَمِيعِهَا كَالْأَسِّ لِلْبُنْيَانِ

قَوْلُهُ: «تِلْكَ الَّتِي ذُكِرَتْ» المراد: الأمر، والنهي، والاستفهام، والخبر، فهذه

أربعة.

قَوْلُهُ: « وَمَعْنَى جَامِعٍ لِجَمِيعِهَا كَالْأَسِّ لِلْبُنْيَانِ » وهذا الخامس وهو المعنى

الجامع لها، مثل الأصل، يعني: كأنَّ الكلامَ شجرةٌ له أصلٌ، وله فُرُوعٌ، الأصل: المعنى الجامع، والفروع أربعة، وهي: أمرٌ، ونهيٌ، وخبرٌ، واستفهام.

وهذا التقسيم - في الحقيقة - تقسيمٌ ذهنيٌّ، لا يمتُّ إلى الحقيقة بِصِلَةٍ، كلام

يقوله حتى هؤلاء الذين تكايسوا بالحقيقة، فهم ما أتوا بطائل، لأنَّ هذا التقدير الذي قَدَّرُوهُ وَهَمُّ، فهو تقدير ذهني، لا حقيقة له في الخارج، إذ ما معنى أن يكون الكلامُ له أصلٌ، ويتفرع عن هذا الأصل أربعة: أمرٌ ونهيٌ وخبرٌ واستفهام؟! هذا لا معنى له، ولذلك ما أحسن ما يُقال: إن كلامَ أهل الكلام كلامٌ في كلام، ليس فيه فائدة.

ولهذا يقول:

٥٨٨- فَتَكُونُ أَنْوَاعًا وَعِنْدَ نَظِيرِهِمْ أَوْصَافُهُ، وَهَمَّا فَمُتَّفِقَانِ

قَوْلُهُ: «فَتَكُونُ أَنْوَاعًا» يعني: تكون هذه الأربعة أنواعه، وعند نظيرهم

أوصافه.

انظر الخلاف! هؤلاء يقولون: أمرٌ ونهيٌ وخبرٌ واستخبار، هذا وصف

للكلام، وليس نوعًا، ومعلوم أن الصفات تتعدد على موصوفٍ واحد، لكن أنواع

لا تتنوع على شيء واحد، لأن قولك: هذا نوع وهذا نوعٌ، يعني: التباين.

فصار الأولون الذين جعلوه شيئاً واحداً، قالوا: إنَّ الأمر والنهي والخبر والاستخبار أوصافُ الكلام، أمّا الذين قالوا: هذا خطأ، فقد جعلوا هذه الأربعة أنواعاً للكلام، فيكون كلُّ واحد منها قسيماً للآخر، وليس هو الآخر.

قوله: «وَهُمَا فَمْتَفِقَانِ» يعني: ومع ذلك فالطائفتان متفقتان، على ماذا؟

قال - رحمه الله -:

٥٨٩- إِنْ الَّذِي جَاءَ الرَّسُولَ بِهِ لَمَخُـ لُوقٌ وَلَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ

إِذْ كُلُّ الْخِلافِ الْآنَ شَبِيهُ بِاللَّفْظِي، فأنصَبَ في أن القرآن المكتوب في المصاحف المسموع بالأذان مخلوق، كما قالت المعتزلة، ثم اختلفوا أيضاً إذا كان مخلوقاً، فمن أين مصدره؟ الجواب: على ثلاثة أقوال، ولذا قال:

٥٩٠- وَالْحُلْفُ بَيْنَهُمْ فِقِيلٌ: مُحَمَّدٌ أَنْشَأَهُ تَعْبِيرًا عَنِ الْقُرْآنِ

قوله: «أَنْشَأَهُ تَعْبِيرًا عَنِ الْقُرْآنِ» يعني: محمداً - عليه الصلاة والسلام -.

فهو الذي تكلم بالقرآن تعبيراً عن كلام الله، أما هذا المسموع الذي سمعناه من رسول الله ﷺ فليس كلام الله.

٥٩١- وَالْآخِرُونَ أَبَوَا، وَقَالُوا: إِنَّمَا جَبْرِيلُ أَنْشَأَهُ عَنِ الْمَنَانِ

أَلْهَمَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - جبريل - عليه السلام - فتكلم بهذا القرآن.

إِذْ أَوَّلُ يَقُولُ: أَلْهَمَ إِيَّاهُ مُحَمَّدٌ، وَعَبَّرَ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ الَّذِي فِي نَفْسِ اللَّهِ، وَالثَّانِي يَقُولُ: لا، جبريل، لأنَّ جبريل ينزل بكلام، فالذي أنشأه جبريل.

٥٩٢- وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى وَقَالَتْ: إِنَّهُ نَقَلَ مِنَ اللَّوْحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ قَوْلُهُ: «تكايست» يعني: ادّعت الكيسَ لنفسها.

قَوْلُهُ: «وَقَالَتْ: إِنَّهُ نَقَلَ مِنَ اللَّوْحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ» يعني: من اللوح المحفوظ، قالوا: لأنَّ الله قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، إذن ليس من محمد، ولا من جبريل، بل من اللوح المحفوظ.

فجبريل أخذه من اللوح المحفوظ، وتكلّم به على محمد، فإنه نُقِلَ من اللوح الرفيع الشان.

٥٩٣- فَاللَّوْحُ مَبْدُؤُهُ وَرَبُّ اللَّوْحِ قَدْ أَنْشَأَهُ خَلْقًا فِيهِ ذَا حَدَثَانِ قالوا: إن الله خلق كلامًا في اللوح المحفوظ، فجاء جبريل فأخذ الكلام من اللوح المحفوظ، ثمَّ نزل به إلى محمد.

فإذن الخلاف بينهم: هل أنشأه محمد؟ هل أنشأه جبريل؟ هل أخذه جبريل من اللوح المحفوظ بدون إنشاء؟ يعني وجده مخلوقًا في اللوح المحفوظ، وأخذه من اللوح المحفوظ، ونزل به؟ ثلاثة أقوال.

٥٩٤- هَذِي مَقَالَاتٌ لَهُمْ، فَانظُرْ تَرَى فِي كُتُبِهِمْ يَأْمَنُ لَهُ عَيْنَانِ يقول: نحن ما كذبنا عليهم، وهذا الكلام موجود في كتبهم، وإذا شئت أن تنظر، فإن كان لك عينان فانظر، وإن كان لك عينٌ واحدة فانظر أيضًا، لكن تأكّد.

٥٩٥- لَكِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ قَالُوا: إِنَّمَا جَبْرِيلُ بَلَّغَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ

٥٩٦- أَلْقَاهُ مَسْمُوعًا لَهُ مِنْ رَبِّهِ لِلصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ بِالْبُرْهَانِ  
هذا هو الحق أن القرآن صَدَرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَكَلَّمَ بِهِ رَبُّ الْعِزَّةِ  
والجلال، وَسَمِعَهُ جَبْرِيْلُ، وَنَقَلَهُ بِأَمَانَةٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهَذَا أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَى الرَّسُولِ  
البشريِّ، وَإِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ.

فأضافه إلى الرسول الملكي فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ  
مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١] فهذه أوصاف عظيمة، وكُلُّهَا مِنْ أَجْلِ حِمَايَةِ  
القرآن.

فَقَوْلُهُ: ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ يحفظ ولا أحد يقربه.

وَقَوْلُهُ: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ يعني: له مكانة، يُسْمَعُ مِنَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ مَبَاشَرَةً.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَكِينٍ﴾ يعني: له مكانة هناك، وقوله: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾، ولهذا يقول  
للملائكة: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ»<sup>(١)</sup>.

ووصفه تعالى بأنه قويٌّ وأمين، وهذان الوصفان هما الركنان اللذان يتمُّ بهما  
الشيء، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وأضافه إلى الرسول البشريِّ في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ  
قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٢].

وأضافه إلى نفسه كما قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله للملائكة، رقم (٧٠٤٧)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حبه لعباده، رقم (٢٦٣٧).

ومن المعلوم أنه لا يمكن أن يكون كلام الرسول، وكلام جبريل، وكلام الله، والكلام شيء واحد، لا يمكن أن يكون الكلام الواحد لثلاثة متكلمين، إذن إلى من ينسب حقيقة؟

الجواب: إلى الأول، إلى الله، ويكون منسوبًا إلى جبريل، لأنه بلغه عن الله، وإلى محمد، لأنه بلغه عن جبريل إلى الأمة.

فهم يقولون: ألقاه مسموعًا له، ألقاه إلى من؟ الجواب: للصادق المصدوق بالبرهان، مسموعًا له من الله عز وجل، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

فهو ألقاه على أي شيء؟ الجواب: لم يُلقه على أذن الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وإنما ألقاه على قلبه، يعني: بلغ قلبه.

ثم من هذا الرسول؟ هو الرسول الكريم الأمين.

فلذلك لم يبق أي شك في أن هذا القرآن الذي نقرؤه كلام ربنا عز وجل، سمعه جبريل، وألقاه على قلب النبي ﷺ، والنبي ﷺ ألقاه على أمته، وتلقاه الصحابة -وهم أمناء على وحي الله، سواء كان قرآنًا أم سنة- فألقوه إلى من بعدهم صافيًا نقيًا، ثم تفرقت الأمة.

قوله: «الصادق» أي: في مقاله.

قوله: «المصدوق» أي: فيما أوحى إليه، فهو صادق ومصدق.

## فصل

### في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن

- ٥٩٧- وَإِذَا أَرَدْتَ مَجَامِعَ الطُّرُقِ الَّتِي  
٥٩٨- فَمَدَارُهَا أَضْلَانٍ قَامَ عَلَيْهَا  
٥٩٩- هَلْ قَوْلُهُ بِمَشِيئَةٍ أَمْ لَا؟ وَهَلْ  
٦٠٠- أَضْلًا اخْتِلَافٍ بِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي الْأ  
٦٠١- ثُمَّ الْأَلَى قَالُوا بِغَيْرِ مَشِيئَةٍ  
٦٠٢- إِخْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مَعْنَى قَائِمًا  
٦٠٣- وَاللَّهُ أَحَدَثَ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ كَمَا  
٦٠٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ الـ  
٦٠٥- وَلرُبَّمَا سُمِّيَ بِهَا الْقُرْآنُ تَسْمِ  
٦٠٦- وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فِقِيلَ: حِكَايَةٌ  
٦٠٧- إِذْ كَانَ مَا يُحْكَى كَمَحْكِيٍّ وَهـ  
٦٠٨- وَلِذَا يُقَالُ: حَكَى الْحَدِيثَ بِعَيْنِهِ  
٦٠٩- فَلِذَاكَ قَالُوا: لَا نَقُولُ: حِكَايَةٌ
- فِيهَا انْفِرَاقُ النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ  
هَذَا الْخِلَافُ، هُمَا لَهُ رُكْنَانِ  
فِي ذَاتِهِ أَمْ خَارِجٌ هَذَانِ  
قُرْآنٍ فَاطْلُبْ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ  
وإِرَادَةَ مِنْهُ فَطَائِفَتَانِ  
بِالنَّفْسِ، أَوْ قَالُوا بِخَمْسِ مَعَانِ  
تُبْدِيهِ مَعْقُولًا إِلَى الْأَذْهَانِ  
قُرْآنَ، بَلْ دَلَّتْ عَلَى الْقُرْآنِ  
مِيةَ الْمَجَازِ، وَذَلِكَ وَضَعُ ثَانِ  
عَنْهُ، وَقِيلَ: عِبَارَةٌ لِبَيَانِ  
ذَا اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فَمُخْتَلِفَانِ  
إِذْ كَانَ أَوَّلُهُ نَظِيرَ الثَّانِي  
وَنَقُولُ: ذَلِكَ عِبَارَةٌ الْفُرْقَانِ

٦١٠- وَالْآخَرُونَ يَرَوْنَ هَذَا الْبَحْثَ لَفْظِيًّا وَمَا فِيهِ كَبِيرٌ مَعَانٍ

### الشرح

٥٩٧- وَإِذَا أَرَدْتَ مَجَامِعَ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا افْتِرَاقُ النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ

٥٩٨- فَمَدَارُهَا أَصْلَانِ قَامَ عَلَيْهِمَا هَذَا الْخِلَافُ، هُمَا لَهُ رُكْنَانِ

٥٩٩- هَلْ قَوْلُهُ بِمَشِيئَةٍ أَمْ لَا؟ وَهَلْ فِي ذَاتِهِ أَمْ خَارِجٌ هَذَانِ

٦٠٠- أَصْلًا اخْتِلَافٍ بِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي الْأَقْرَبِ قَاتِلْبُ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

ذكر في هذا الفصل مجاميع طرق أهل الأرض، واختلافهم في القرآن الكريم، يعني: على أي شيء يدور؟ وذكر أن أصل اختلاف الناس في القرآن ينبنى على هذين الأصلين: هل هو بمشيئة أو غير مشيئة؟ وهل هو في ذاته أم خارج عن ذاته؟ هذان هما الأصلان اللذان انبنى عليهما الخلاف.

وعقيدة أهل السنة أنه بمشيئة، وأنه ليس خارج ذاته، لأننا إذا قلنا: خارج ذاته لزم أن يكون مخلوقاً، بل هو في ذاته تكلم به نفسه - سبحانه وتعالى -، وسمعه جبريل، وألقاه على قلب النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -.

ثُمَّ فَرَّعَ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَقَالَ:

٦٠١- ثُمَّ الْأَلَى قَالُوا بِغَيْرِ مَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ مِنْهُ فَطَائِفَتَانِ

٦٠٢- إِحْدَاهُمَا جَعَلَتْهُ مَعْنَى قَائِمًا بِالنَّفْسِ، أَوْ قَالُوا بِخَمْسِ مَعَانٍ

الفرقة الأخرى قالت: إنه لفظ ومعنى... إلخ، وستأتي في كلام المؤلف.

أما هذا الفصل فذكر فيه مذهب الأشاعرة والكلايين فقط، فقال: إن الذين

قالوا بغير المشيئة طائفتان: إحداهما جعلته المعنى القائم بالنفس، وهؤلاء هم الأشاعرة، لكن اختلف الأشاعرة كما سبق، فقالوا: إنه معنى واحد، وقال آخرون: إنه خمس معانٍ.

والذين جعلوه معنىً واحداً يقولون: الأمر والنهي والخبر والاستخبار شيءٌ واحد، والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور شيءٌ واحد، وإذا أمر الله بالشيء كوناً فقال: (كن) فهو كالذي في القرآن بمعنى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، وكلُّها شيءٌ واحد.

٦٠٣- وَاللَّهُ أَحَدٌ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ كَيْ تُبْدِيهِ مَعْقُولًا إِلَى الْأَذْهَانِ  
إِذَنْ فَالْأَلْفَاظُ وَالْأَصْوَاتُ الْمَسْمُوعَةُ مَخْلُوقَةٌ.

٦٠٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ الْقُرْآنُ، بَلْ دَلَّتْ عَلَى الْقُرْآنِ  
وقالوا: إنها ليست هي القرآن، وإنما هي مخلوقة لتدل على القرآن.

إِذَنْ لِمَاذَا سُمِّيَ الْقُرْآنُ كَلَامَ اللَّهِ؟ فقالوا: إنه مجاز، ولهذا قال:

٦٠٥- وَلَرَبِّمَا سُمِّيَ بِهَا الْقُرْآنُ تَسْمِيَةً الْمَجَازِ، وَذَلِكَ وَضَعُ ثَانٍ

٦٠٦- وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فَقِيلَ: حِكَايَةٌ عَنْهُ، وَقِيلَ: عِبَارَةٌ لِيَبَيِّنَ

ثُمَّ اخْتَلَفُوا عَلَى قَوْلَيْنِ:

فالأول: مذهب الكلابية، وهم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب<sup>(١)</sup>، يقولون: إنه حكاية، ولا نقول: إنه كلام الله حقاً، ولا إنه عبارة عنه.

(١) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، البصري، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم، أخذ عنه الكلام: داود الظاهري، وكان يلقب كلاباً لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه بيانه وبلاغته. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤).

الثاني: مذهب الأشاعرة، قالوا: إنه عبارة عن كلام الله.

والفرق بين الحكاية والعبارة أن الحكاية كما تسمعون إذا كتتم بين الجبال وتكلم الإنسان بصوت مرتفع، فإنه يسمع صدَى.

أما العبارة فتختلف، يعني أن الله خلق أصواتاً تُعبرُ عما في نفسه، فانظر إلى التكلف والتَهوُّك:

وإذا قلنا: إن الكلام هو صوت الرَّبِّ عزَّ وجلَّ متعلِّقاً بمشيئته، ماذا يكون؟  
الجواب: لا يكون شيئاً، هذا هو الحقُّ الموافق للطبيعة والفترة.

٦٠٧- إِذْ كَانَ مَا يُحْكِي كَمُحَكِّيٍّ وَهَـ ذَا اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى فَمُخْتَلِفَانِ

٦٠٨- وَلِذَا يُقَالُ: حَكَى الْحَدِيثَ بِعَيْنِهِ إِذْ كَانَ أَوَّلُهُ نَظِيرَ الثَّانِي

٦٠٩- فَلِذَاكَ قَالُوا: لَا نَقُولُ: حِكَايَةٌ وَنَقُولُ: ذَاكَ عِبَارَةٌ الْفُرْقَانِ

فالأشاعرة قالوا: هو عبارة عن كلام الله، لأنك إذا قلت: حكاية، فإن الحكاية تقتضي أن يكون المحكيُّ هو المحكى، وهذا لا يمكن، لأنَّ الكلام معنى، والمسموع لفظٌ غير معنى، فالكلام غير مخلوق، والمسموع مخلوق، فلا يمكن أن نقول: إنه حكاية، لعدم الاتفاق، فأنا مثلاً إذا حكيتُ كلامك فإني أنقله بلفظه بدون زيادة، ولا نقصان، كما يقال: حكى الحديث بعينه إذ كان أوله -وهو المحكيّ- نظير الثاني، وهو ما يُحكى، وعلى هذا فلا يصح أن نقول: إنه حكاية.

٦١٠- وَالْآخَرُونَ يَرَوْنَ هَذَا الْبَحْثَ لَفً ظِيماً وَمَا فِيهِ كَبِيرٌ مَعَانِ

فجاء قوم آخرون، وهم أهل الإصلاح، وقالوا: كلُّ هذا النزاع نزاعٌ لفظيٌّ، إن قلت: حكاية، أو عبارة فالمعنى واحد، لا تجعلوا بأسكم بينكم فتسلطوا عليكم

خصوصكم، اصطلحوا، انحلت المشكلة، الآن يجري الصلح بين الأشاعرة والكلائية، لا تنازعوا، فكلُّ هذا الخلاف لفظيٌّ، وما تحته كبيرٌ معانٍ، وإذا كان لفظيًّا صار البحث فيه مُتعبًا للأفكار، مُضيقًا للأوقات، فلا حاجة.

اتفقتم الآن أن هذا المسموع ليس كلام الله، واتفقتم أن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه، وتصلحوا، ولا تقولوا: هذا عبارة، وهذا حكاية، فقولوا: المعنى واحد، فالحكاية والعبارة معناهما واحد، لأننا جميعًا متفقون على أن ما يُسمَع ليس كلام الله، بل هو مخلوقٌ، وعلى أن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه، وحينئذ يُجرى الصلح بيننا، ولا نختلف.

هؤلاء في الحقيقة أقرب للصواب، يقولون: قل: عبارة، أو حكاية، لأنَّ المعنى عندهم واحد، وهو أن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه فقط، والغريب أنك إذا تحدت هذا الحديث عند قوم لم يسمعوا به من قبل سيقولون: كيف يتصوّر أن الكلام هو الذي في النفس؟! أين الكلام؟! لكن سبحان الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ولا تظنوا أن هذا الخلاف -أي: اختلاف الناس في كلام الله- شيء هين، فالخلاف في كلام الله مهم جدًا، لأنه يترتب عليه الأحكام الكونية، والأحكام الشرعية، فكلُّ الأحكام الكونية والأحكام الشرعية إنما ثبتت بكلام الله، فالأحكام الشرعية بالوحي، والأحكام الكونية بالتقدير ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] فكلُّها ثبتت بالكلام، فعلى كلام الله مدار الأحكام الكونية ومدار الأحكام الشرعية، فمعرفة ومعرفة اختلاف الناس فيه أمر مهم جدًا.

## فصل

## في مذهب الافترائية

- ٦١١- وَالْفِرْقَةُ الْأُخْرَى فَقَالَتْ: إِنَّهُ لَفَظٌ وَمَعْنَى لَيْسَ يَنْفَصِلَانِ بِالنَّفْسِ لَيْسَ بِقَابِلِ الْحِدْثَانِ لَكِنْ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ تَرْتِيبُهُمَا فِي السَّمْعِ بِالْأَذَانِ فَأَعْجَبَ لِدَا التَّخْلِيطِ وَالْهَدْيَانِ نَ ذَوَاتِهِمَا وَوُجُودَهُمَا غَيْرَانِ يَا لِلْعُقُولِ وَزَيْغَةِ الْأَذْهَانِ أَذْهَانِ بَلْ فِي هَذِهِ الْأَعْيَانِ وَوُجُودَهُمَا ذَهْنًا فَمُخْتَلِفَانِ تَحَدَا اعْتِبَارًا لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ فِي ذَاتِهِ وَوُجُودِهِ الرَّحْمَنِ
- ٦١٢- وَاللَّفْظُ كَالْمَعْنَى قَدِيمٌ قَائِمٌ
- ٦١٣- فَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَا مَسْبُوقَةٌ
- ٦١٤- وَالْقَائِلُونَ بِذَا يَقُولُوا: إِنَّمَا
- ٦١٥- وَلَهَا اقْتِرَانٌ ثَابِتٌ لِذَوَاتِهَا
- ٦١٦- لَكِنْ زَاغُوا بَيْنَهُمْ قَدْ قَالَ: إِنْ
- ٦١٧- فَتَرَبَّبَتْ بِوُجُودِهَا لَا ذَاتِهَا
- ٦١٨- لَيْسَ الْوُجُودُ سِوَى حَقِيقَتِهَا لِذِي الْأ
- ٦١٩- لَكِنْ إِذَا أَخَذَ الْحَقِيقَةَ خَارِجًا
- ٦٢٠- وَالْعَكْسُ أَيْضًا مِثْلُ ذَا فَإِذَا هُمَا اثْنَانِ
- ٦٢١- وَبِذَا تَزَوَّلَ جَمِيعُ إِشْكَالَاتِهِمْ

## الشرح

- ٦١١- وَالْفِرْقَةُ الْأُخْرَى فَقَالَتْ: إِنَّهُ لَفَظٌ وَمَعْنَى لَيْسَ يَنْفَصِلَانِ

٦١٢- وَاللَّفْظُ كَالْمَعْنَى قَدِيمٌ قَائِمٌ بِالنَّفْسِ لَيْسَ بِقَابِلِ الْحِدْثَانِ

٦١٣- فَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَا مَسْبُوقَةٌ لَكِنْ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرِنَانِ

هذه فِرْقَة الافتراضية، قالوا أيضًا: إن الكلام لا يتعلق بمشيئته وإرادته، وإن اللفظ والمعنى قديمان، وإذا جعلوا اللفظ والمعنى قديمين لزم أن تكون الكلمات بعضها لا يسبق بعضًا، لأنه لو سبق بعضها بعضًا صار المتأخر حادثًا بعد الأول، وبطل قولنا: إنه قديم.

لذلك قالوا: إن الكلمات مقترنة، فالسَّيْنُ من قولك: (بسم الله الرحمن الرحيم) عند الباء، يعني: لم تسبقها، فهي لا صِقة بها، لا تكون قبلها، ولا بعدها، لأنك لو قلت: إن السَّيْنُ بعد الباء لزم أن يكون كلام الله حادثًا، فبطل قولنا: إنه قديم.

قَوْلُهُ: «حَرْفَانِ مُقْتَرِنَانِ» أي: لا تستطيع حتى في الإمالة، فالذي يقول: ﴿مَجْرِبَهَا﴾ [هود: ٤١] بين الألف والياء صعب، ولا هي يياء ولا ألف.

إِذْ نَقُولُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمَضْحَكُ: كُلُّ الْكَلِمَاتِ مِنْ أَوَّلِ مَا تَكَلَّمَ اللَّهُ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ جَاءَتْ وَاحِدَةً، لَا يَتَقَدَّمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ قَالَ بِحُرُوفِهِ، قَالَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ، لَمْ يَتَقَدَّمْ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] وما بينهما كله جاء دفعةً واحدةً، فليس بعضٌ متقدِّمًا على بعضٍ، حَدَرًا مِنْ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ حَادِثٌ، بَلْ نَقُولَ: إِنَّهُ قَدِيمٌ.

وهؤلاء في الحقيقة أبعد وأبعد عن المعقول من الذين قبلهم، ولهذا قال المؤلف - رحمه الله -: (فَاعْجَبْ لِدَا التَّحْلِيظِ وَالْهَدْيَانِ)، فهذا والله عَجَبٌ،

وهؤلاء يُسَمَّوْنَ بالاقترانية الذين يَرَوْنَ أن حروف الكلمات والكلمات بعضها مقترنٌ ببعض، لا يتقدَّم، ولا يتأخَّر.

إِذْ هَؤُلاءِ الاقترانية، الذين قالوا: إنه حكاية، والذين قالوا: إنه عبارة، والذين قالوا: إنه معنَى واحدٌ، أو خمسةٌ معانٍ، كُلُّهُم فَرَّوْا مِنْ شَيْءٍ واحدٍ، قالوا: لو قلنا: إن الكلامَ حَدِثٌ لَزِمَ قِيَامُ الحوادثِ بذاتِ الله عزَّ وجلَّ، وما قامت به الحوادثُ فهو حادث.

انظر كيف يقول الشيطان لهم؟! ما قامت به الحوادثُ فهو حادث، وحدث الله ممتنع، فلزم أن تقوم به الحوادث.

وهل هذه القاعدة صحيحة أو باطلة؟

الجواب: هذه باطلة، فلا يلزم إذا قلنا: إن القرآنَ كلامُ الله باللفظ والمعنى، أن يكون حادثاً باعتبار أصله وجنسه، لأن أصلَ الكلامِ وجنسه أزلِيٌّ قديم، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يزل، ولا يزال متكلِّماً، ثُمَّ على فرض أننا قلنا بالحدث، فإنه لا يلزم من قيام الحادث بالموصوف به أن يكون الموصوف به حادثاً، فضرورةُ أنَّ الموصوف بالكلام، أو بالفعل متقدِّم على الوصف، ولهذا الآن أنا أتكلِّمُ، هل كلامي الذي حدث الآن يلزم أن يكون موجوداً معي حين الولادة؟

الجواب: لا يلزم، فإذا كان لا يلزمُ تَبَيَّنَ أن الحوادثَ قد تُقومُ بشيء سابق لها، هذا السابق أزلِيٌّ، فإذا قامت الحوادثُ بالله -بمعنى أنه حدث منه فعل أو قول- لم يلزم من ذلك أن تكون ذاتُ الله حادثَةً.

٦١٤- وَالْقَائِلُونَ بِذَا يَقُولُوا: إِنَّمَا تَرْتِيبُهَا فِي السَّمْعِ بِالْأَذَانِ  
 قَوْلُهُ: «وَالْقَائِلُونَ بِذَا يَقُولُوا» هل في كلام المؤلف - رحمه الله - لَحْنٌ، حيث  
 قال: (يَقُولُوا) لأنه ليس فيها ناصب ولا جازم، ونون الأفعال الخمسة لا تُحذفُ  
 إِلَّا مع الناصب، أو الجازم، أو مع نون الوقاية، أو ما أشبه ذلك، يعني: لا بد من  
 سبب؟

فأجابوا عنه بأن المؤلف - رحمه الله - حَذَفَهَا لسبب، وهو ضرورة الشعر،  
 لأن الشعر يُضطر الشاعر إلى أن يُعَيِّرَ، فقد يرفع المنصوب، وقد ينصب المرفوع،  
 وقد يصرف ما لا ينصرف، وقد يحذف ما لا يُحذفُ، ولهذا قال الحريري في ملححة  
 الإعراب<sup>(١)</sup>:

وَجَائِزٌ فِي صِنْعَةِ الشُّعْرِ الصَّلِيفُ      أَنْ يَصْرِفَ الشَّاعِرُ مَا لَا يَنْصَرِفُ

الشاهد قوله: (وَجَائِزٌ فِي صِنْعَةِ الشُّعْرِ الصَّلِيفُ) فالشعر صَلِيفٌ، يجعلك  
 تصريف ما لا ينصرف.

قَوْلُهُ: «إِنَّمَا تَرْتِيبُهَا بِالسَّمْعِ بِالْأَذَانِ» يعني: نحن نسمعها مرتبةً، ولكن  
 حقيقتها أنها غير مرتبة، لكن سمعك هو الذي يسمعها مرتبة، كيف هذا؟! هذا  
 رأيهم.

٦١٥- وَلَهَا اقْتِرَانٌ ثَابِتٌ لِذَوَاتِهَا      فَأَعْجَبَ لِدَا التَّخْلِيطِ وَالْهَذْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَهَا اقْتِرَانٌ ثَابِتٌ لِذَوَاتِهَا» هي باعتبار الذات والحقيقة مقترنة، لكن  
 الترتيب باعتبار السمع.

(١) انظر: ملححة الإعراب (ص: ٧٢).

٦١٦- لَكِنَّ زَاغُونِيَهُمْ<sup>(١)</sup> قَدْ قَالَ: إِنَّ نَ ذَوَاتِهَا وَوُجُودَهَا غَيْرَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ زَاغُونِيَهُمْ قَدْ قَالَ» الزاغوني: أحد علماء الكلام، اسمه ابن الزاغوني، لكنه ليس عليًّا ابن الزاغوني الفقيه المعروف بالأصول، الذي من أصحاب الإمام أحمد، ينقلون عنه في الفقه فيقولون: قال ابن الزاغوني كذا، فهذا غيره.

قَوْلُهُ: «قَدْ قَالَ: إِنَّ ذَوَاتِهَا وَوُجُودَهَا غَيْرَانِ» هذا أيضًا غريب، يقول: إِنَّ ذَوَاتِهَا وَوُجُودَهَا متغاير.

٦١٧- فَتَرْتَّبْتُ بِوُجُودِهَا لَا ذَاتِهَا يَا لِلْعُقُولِ وَزَيْغَةِ الْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «فَتَرْتَّبْتُ بِوُجُودِهَا لَا ذَاتِهَا» الأوَّلون يقولون: ترتبت بالسمع، أما وجودها وذاتها فلم ترتب، لكن هذا جعل لها ذاتًا ووجودًا وسمعا، لم يتكلم عن السمع، بل تكلم عن الذات والوجود.

وَقَوْلُهُ: «فَتَرْتَّبْتُ بِوُجُودِهَا لَا ذَاتِهَا» ويجوز: ذاتها، فيجوز الوجهان.

قَوْلُهُ: «يَا لِلْعُقُولِ وَزَيْغَةِ الْأَذْهَانِ» يرثي لهم -رحمه الله- بأن عقولهم هواء، وأذهانهم زائغة.

٦١٨- لَيْسَ الْوُجُودُ سِوَى حَقِيقَتِهَا لِذِي الْأَذْهَانِ بَلْ فِي هَذِهِ الْأَعْيَانِ

وجود هذه الحروف هو حقيقة في الواقع، فكيف تفرق يابن الزاغوني بين الوجود والحقيقة، والواقع أن حقيقتها وجود؟! ولا يقال: هذه تاء إلا إذا وُجِدَتْ، كيف نقول: لها حقيقة وهي لم توجد؟ فوجودها وحقيقتها سواء.

(١) الزاغوني: لم أعرفه، وأستبعد أن يكون هو علي بن عبيد الله، أحد أعيان الحنابلة، المولود سنة (٤٥٥هـ)، المتوفى سنة (٥٢٧هـ). [الشارح].

ولهذا قال المؤلف: «لَيْسَ الوجودُ سِوَى حَقِيقَتِهَا لِذِي الأَذْهَانِ بَلْ فِي هَذِهِ الأَعْيَانِ» يعني أن وجود الحرف هو حقيقته، سواء قَدَّرْتَهُ في الذهن، أم رأيته في الخارج.

يقول المؤلف - رحمه الله -:

٦١٩- لَكِنْ إِذَا أَخَذَ الحَقِيقَةَ خَارِجًا وَوُجُودَهَا ذَهْنًا فَمُخْتَلَفَانِ

٦٢٠- وَالعَكْسُ أَيْضًا مِثْلُ ذَا فَإِذَا هُمَا اتَّحَدَا اعتِبَارًا لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ

يقول المؤلف - رحمه الله -: يمكن أن نُفَرِّقَ بين الحقيقة والوجود بأن نقول: إن الحقيقة قد تكون في الذهن والخارج في العين، بمعنى أن الإنسان قد يُقَدَّرُ في ذهنه حرفًا، فإذا بَرَزَ ونَطَّقَ به، أو كتبه، صار الآن موجودًا.

يقول: يمكن أن نُفَرِّقَ بين الحقيقة والوجود باعتبار الذهن والخارج، أمَّا باعتبار الحقيقة، فلا يمكن أن نُفَرِّقَ، بل نقول: وجود الشيء هو عين ذاته، لكن باعتبار الذهن والوجود عَيْنًا.

فالمؤلف - رحمه الله - منصف، لما أنكر على ابن الزاغوني جَعَلَ الوجود غير الحقيقة، قال: ممكن أن نجعل الوجود غير الحقيقة باعتبار الذهن والخارج، لكن ما معنى الذهن والخارج؟

الذهن يعني: الذي عندك، وأما الخارج فهو ما وُجِدَ عَيْنًا، يعني: عين الشيء، لأنَّ الشيء له وجودٌ في الذهن، ووجودٌ في الخارج، ووجودُه في الذهن هو تصوُّر الإنسان له، ووجوده في الخارج أن يكون مقروءًا إن كان قولًا، أو مكتوبًا إن كان كتابةً، أو مخلوقًا إن كان مخلوقًا، المهم أنه يَبْرُزُ.

فهنا يقول: «لَكِنَّ إِذَا أَخَذَ الْحَقِيقَةَ خَارِجًا وَوُجُودَهَا ذَهْنًا فَمُخْتَلِفَانِ» صار الوجود غير الحقيقة إذا جعلت المراد بالوجود وُجُودَهَا في الذهن، والحقيقة وُجُودَهَا في الخارج.

قَوْلُهُ: «وَالْعَكْسُ أَيْضًا مِثْلُ ذَا» يعني: وجودها خارجًا، وحقيقتها ذهنيًا، أَيْضًا رُبَّمَا نَقُولُ: مُخْتَلِفَانِ.

قَوْلُهُ: «فَإِذَا هُمَا اتَّخَذَا اعْتِبَارًا لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ» وهذا هو الذي أراد ابن الزاغوني، وأنكر عليه ابن القيم باعتبار الحقيقة والوجود، لا الذَّهْنُ والخارج، هل يمكن أن نقول: هما شيئان؟ الجواب: لا.

٦٢١- وَبِذَا تَزُولُ جَمِيعُ إِشْكَالَاتِهِمْ فِي ذَاتِهِ وَوُجُودِهِ الرَّخْمَنِ  
يعني أن الفلاسفة اختلفوا واضطربوا: هل وجودُ الله عينُ حقيقته، أو خلافُ حقيقته (الموجود شيء، والحقيقة شيء آخر)؟ فهم اضطربوا في هذا وألّفوا المجلدات والكتب، والذي يُراجِعُ كتب شيخ الإسلام ينظر كيف الخلاف في هذا؟  
نقول: أما إذا أردت الأمر الواقع فالوجود هو الحقيقة، أما إذا أردت الذهن والخارج، فهما شيئان، وكذلك لو نَضْرِبُ مِثْلًا في الإنسان: وُجُودُهُ هل هو حقيقته، أو لا؟

الجواب: نقول: في هذا تفصيل، إن أردت اعتبار الحقيقة، فهما شيء واحد، لا يختلفان، فوجودك هو أنت، وإن أردت في الذهن بمعنى أن تُقَدَّرَ أن شيئًا يوجد، ثم وُجِدَ، فهما شيئان.

انتهى الكلام على القائلين بأنَّ الكلام لا يتعلَّقُ بالمشيئة، فصاروا ثلاث طوائف: الأشاعرة والكَلَابِيَّةُ والاقترانية.

والفرق بينهم أن الأشاعرة يقولون: إن الكلام المسموع عبارة عن كلام الله، والكلائية يقولون: حكاية.

إذن ما هو الكلام؟

اتفقوا على أن الكلام هو المعنى الأزلي القديم القائم بنفس الله عز وجل، وما يُسمَعُ فهو إما عبارة، وإما حكاية، ثم اختلفوا أيضًا هل هو شيء واحد، أو أشياء مختلفة؟ وهل هذه أنواع، أو أوصاف كما سبق؟

الاقترانية قالوا: كلام الله هو اللفظ والمعنى، لكن اللفظ والمعنى كلاهما قديم، ولما أسسوا هذه القاعدة اضطروا إلى أن يقولوا بالاقتران، لأنهم لو قالوا بالترتيب للزم الحدوث، إذن يقع الحرف الثاني بعد الأول، والكلمة الثانية بعد الأولى، فقالوا: نَسَلَمُ مِنْ هذا كله، ونقول بقول المجانين، نقول: مقترنان، فالباء والسين شيء واحد، فهما مقترنان، ولا يمكن أن تكون السين بعد الباء.

فتقول لهم: لكن الآن في (بسم الله الرحمن الرحيم) وهي مكتوبة، الباء فيها قبل السين؟! فيقولون: هذا باعتبار الكتابة، فنقول: نسمع القارئ يقرأ، والرسول سمع جبريل، فقالوا: هذا باعتبار السمع.

أما ابن الزاغوني الذي تحذلق فقال: هذا باعتبار الحقيقة والوجود، فالوجود مترتب والحقيقة مقترنة.

وهل هناك فرق بين الحقيقة والوجود؟

الجواب: لا فرق في الحقيقة إلا إذا اعتبرنا الوجود الذهني، والحقيقة خارجًا، أو بالعكس، فهذا يمكن أن يكون فيه اختلاف.

## فصل

## فِي مَذْهَبِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ

- ٦٢٢- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ  
 ٦٢٣- إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ خَارِجَ ذَاتِهِ  
 ٦٢٤- قَالُوا: وَصَارَ كَلَامُهُ بِإِضَافَةِ النَّ  
 ٦٢٥- مَا قَالَ عِنْدَهُمْ وَلَا هُوَ قَائِلٌ  
 ٦٢٦- فَالْقَوْلُ مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ قَائِمٌ  
 ٦٢٧- هَذِي مَقَالَةٌ كُلُّ جَهْمِيٍّ وَهُمْ  
 ٦٢٨- لَكِنَّ أَهْلَ الْإِعْتِرَافِ قَدِيمُهُمْ  
 ٦٢٩- وَهُمْ الْأُولَى اعْتَرَفُوا عَنِ الْحَسَنِ الرَّضِيِّ أَلِ  
 ٦٣٠- وَكَذَلِكَ أَتْبَاعٌ عَلَى مِنْهَا جِهْمٌ  
 ٦٣١- لَكِنَّمَا تَمَّ أَخْرُوهُمْ بَعْدَ ذَ  
 ٦٣٢- فَهُمْ بِذَلِكَ جَهْمِيَّةٌ أَهْلُ اعْتِرَافًا  
 ٦٣٣- وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي
- وَإِرَادَةِ أَيضًا، فَهُمْ صِنْفَانِ  
 كَمَشِيئَةٍ لِلخَلْقِ وَالْأَكْوَانِ  
 تَشْرِيفٍ مِثْلَ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ  
 وَالْقَوْلُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ  
 بِالْغَيْرِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ<sup>(١)</sup>  
 فِيهَا الشُّيُوخُ مُعَلِّمُو الصَّبِيَّانِ  
 لَمْ يَذْهَبُوا ذَا الْمَذْهَبِ الشَّيْطَانِي  
 بَصْرِيٍّ ذَاكَ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي  
 مِنْ قَبْلِ جَهْمٍ صَاحِبِ الْحِدَانِ  
 لِكَ وَافَقُوا جَهْمًا عَلَى الْكُفْرَانِ  
 لِي، ثَوْبُهُمْ أَضْحَى لَهُ عِلْمَانِ  
 عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

(١) في نسخة الحلبي: «والألوان».

٦٢٤- وَاللَّكَايِيَّ الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْهُ هُمْ بَلَّ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِي

### الشرح

٦٢٢- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ أَيْضًا، فَهُمْ صِنْفَانِ

٦٢٣- إِحْدَاهُمَا جَعَلَتْهُ خَارِجَ ذَاتِهِ كَمَشِيئَةِ لِلْخَلْقِ وَالْأَكْوَانِ

٦٢٤- قَالُوا: وَصَارَ كَلَامُهُ بِإِضَافَةِ التَّ شَرِيفِ مِثْلَ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

٦٢٥- مَا قَالَ عِنْدَهُمْ وَلَا هُوَ قَائِلٌ وَالْقَوْلُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ

هؤلاء القائلون بأن القرآن يتعلق بمشيئة الله صنفان: صنف جعلته مخلوقاً بئناً عن الله عز وجل كسائر المخلوقات، وقالوا: إن مشيئته لكلامه كمشيئته لخلق السموات والأرض والجبال، وغير ذلك، قالوا: والإضافة في الكلام إضافة تشریف، كإضافة البيت إلى الله في قوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦] وإضافة الناقة إلى الله في قوله: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: ١٣].

فعن هؤلاء يقول المؤلف: (مَا قَالَ عِنْدَهُمْ وَلَا هُوَ قَائِلٌ) إذن لا أمر، ولا نهْي، لأن الأمر والنهي من صفات القول، وليس من صفات الفعل، ولهذا إذا قالوا بهذا بطلت الشريعة كلها، لأنه ليس بها أمر، ولا نهْي، إذن الأمر معلوم من أوصاف القول، وكذلك النهي، والقول بمعنى مقول، فهو عندهم مفعول (مخلوق).

وحقيقة الأمر أن هؤلاء نفوا قول الله، لأنهم إذا جعلوه شيئاً بئناً منفصلاً عنه متعلقاً بمشيئته صار لا يُنسب إلى الله على اعتبار أنه صفة، فإذا كان لا يُنسب إليه على اعتبار أنه صفة صار الله تعالى لم يقل، ولا يقول.

إِذَنْ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُعْطَلٌ عَنِ الْكَلَامِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ شَيْءٌ مُنْفَصِلٌ بِإِثْنٍ عَنِ اللَّهِ،  
وَلَيْسَ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «وَالْقَوْلُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ» إِنَّمَا سُمِعَ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، فَسُمِعَ مِنْ  
جَبْرِيلَ، إِذْ خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ الصَّوْتِ، أَوْ مِنَ الشَّجَرَةِ حِينَ نَادَى مِنْهَا مُوسَى، أَوْ مَا  
أَشْبَهَ ذَلِكَ.

٦٢٦- فَالْقَوْلُ مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ قَائِمٌ بِالْغَيْرِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ  
قَوْلُهُ: «فَالْقَوْلُ مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ قَائِمٌ» الْقَوْلُ مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ.

وَقَوْلُهُ: «مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ» يَعْنِي: الْقَوْلُ بِمَعْنَى مَقُولِ أَيِّ مَخْلُوقٍ.

قَوْلُهُ: «قَائِمٌ بِالْغَيْرِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ» يَعْنِي: لَيْسَ قَائِمًا بِاللَّهِ، بَلْ هُوَ قَائِمٌ  
بِغَيْرِهِ.

لَكِنْ مِنْ أَيْنَ سَمِعَ مُوسَى الصَّوْتِ؟ قَالُوا: سَمِعَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ.

وَمِنْ أَيْنَ سَمِعَ مُحَمَّدٌ الصَّوْتِ؟ الْجَوَابُ: مِنْ جَبْرِيلَ، خَلَقَ اللَّهُ صَوْتًا فِي جَبْرِيلَ.

وَمِنْ أَيْنَ سَمِعَ جَبْرِيلَ الصَّوْتِ؟ الْجَوَابُ: مِنَ الْهَوَاءِ، خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى أَصْوَاتًا

فِي الْهَوَاءِ، فَسَمِعَهَا جَبْرِيلَ، أَمَا قَوْلُ يُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ فَلَا، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

٦٢٧- هَذِي مَقَالَةٌ كُلُّ جَهْمِيٍّ وَهُمْ فِيهَا الشُّيُوخُ مُعَلِّمُوا الصِّبْيَانِ

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ قَوْلُ كُلِّ جَهْمِيٍّ، فَكُلُّ جَهْمِيٍّ فَهُوَ

يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ.

وَالْجَهْمِيَّةُ أَتْبَاعُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، تَلْمِيزُ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، وَأَصْلُ مَقَالَةٍ فِي

التعطيل من الجعد بن دزهم، فإن الجعد خرج بمقالته البدعية، وقال: (إن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولا اتخذ إبراهيم خليلاً)، وهذا ليس بصحيح، فالله - سبحانه وتعالى - لا يُحِبُّ ولا يتكلم! إنما خلق كلاماً سمعه موسى! والحلَّة التي أثبتها الله لإبراهيم هي حلَّة الفقر، ففي قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ يعني: اتخذته فقيراً إليه!

ولما أظهر هذه المقالة، لم يجعل له ولاة الأمر فسحة ينشرها، فحبسوه، ثم قتلوه، فخرج به خالد بن عبد الله القسري في يوم العيد، وخطب الناس، وأعلمهم بالأضحية وأحكامها، وقال في آخر خطبته: «ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضع بالجعد بن دزهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً»<sup>(١)</sup>، ثم نزل فذبحه.

وهذا شأن ولاة الأمور من الأمراء والسلاطين - فيما سبق - يخرجون بالضحايا في الخارج كما كان الرسول ﷺ يفعل<sup>(٢)</sup>، وتذبح في مصلى العيد، وقد مضى قول ابن القيم في هذا:

وَلَأَجْلِ ذَا ضَحَىٰ بِجَعْدِ خَالِدِ الْـ  
قَسْرِيِّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ  
إِذْ قَالَ: إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ  
كَأَنَّكَ وَلَا مُوسَى الْكَلِيمِ الدَّانِي  
شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلَّ صَاحِبِ سُنَّةٍ  
لِلَّهِ دُرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ

(١) الحكاية أوردها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣٨٢/٩).

(٢) كما في خطبة النبي ﷺ يوم العيد: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَبَدَّأ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ، فَتَنْحَرَ فَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا». أخرجه البخاري: كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام،

صحيح، كل صاحب سُنَّةٍ يشكر الله أن جعل الله موت هذا الرجل على يد هذا الشجاع البطل.

والحاصل أن الجَعَدَ بْنَ دِرْهَمٍ نَبَاً<sup>(١)</sup> بهذه الكلمة، والعياذ بالله، وأصل التعطيل مبنيٌّ على هاتين الكلمتين: نفيُّ المحبة، ونفيُّ الكلام، ثم أخذها عنه الجهم بن صفوان، وكان فصيحًا بليغًا، ونشر المذهب، فذهبت الجهمية إليه مع أنه ثاني مَنْ قال به.

قَوْلُهُ: «فِيهَا الشُّيُوخُ مُعَلِّمُو الصَّبِيَّانِ» انظر كيف الانتقاد البليغ على مَنْ تَبَعَ الجهمية في قولهم؟!!

قَوْلُهُ: «صَبِيَّانٍ» يعني: ليس عندهم عقول، مثل الذي يقرأ في أَلِفِ بَاءِ تَاءِ ثَاءِ، لأنهم تبعوا هؤلاء، فصاروا بمنزلة الببغاء يقول ما يُقال له، فهم معلمو الصبيان.

فهو - رحمه الله - لم يُرِدْ أن هؤلاء يُعَلِّمُونَ الصَّبِيَّانِ الصِّغَارِ أَبْنَاءَ سَبْعِ سِنِينَ، وعشر سنين، بل يريد - رحمه الله - أن الذين أخذوا بهذا القول صبيان، ما عندهم عقول، فهم كالصبي يقول ما قاله الأستاذ حسنًا كان أو سيئًا.

وَقَوْلُهُ: «مُعَلِّمُو الصَّبِيَّانِ» يجوز فيها وجهان: (مُعَلِّمُو) و(مُعَلِّمِي)، فإن قلنا: (مُعَلِّمُو) صارت خبرًا ثانيًا، وإن قلنا: (مُعَلِّمِي) صارت حالًا، يعني: وهم الشيوخ حال كونهم مُعَلِّمِي الصَّبِيَّانِ.

٦٢٨- لَكِنَّ أَهْلَ الإِعْتِزَالِ قَدِيمُهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا ذَا المَذْهَبِ الشَّيْطَانِي

(١) أي تجافى وتباعد. انظر: لسان العرب، مادة: نبا.

٦٢٩- وَهُمْ الْأَلَى اعْتَزَلُوا عَنِ الْحَسَنِ الرَّضِيِّ الْأَبَصْرِيِّ<sup>(١)</sup> ذَاكَ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ  
عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ وَوَأَصِلُ بْنُ عَطَاءٍ مِنْ أَهْلِ الْاِعْتِزَالِ لَمْ يَذْهَبَا هَذَا الْمَذْهَبَ فِي  
أَوَّلِ الْأَمْرِ، يَعْنِي: مَا ذَهَبُوا إِلَى هَذَا التَّعْطِيلِ (تَعْطِيلِ الْكَلَامِ وَتَعْطِيلِ الْمَحَبَّةِ)،  
وَلَكِنْ فِيهَا بَعْدَ نَحْوِ هَذَا الْمُنْحَى مِثْلَ الرَّافِضَةِ.

فالرافضة كانوا أول أمرهم مُشَبَّهَةٌ، فَهَشَامُ بْنُ الْحَكَمِ الرَّافِضِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ  
قَالَ بِالتَّشْبِيهِ، لَكِنْ فِيهَا بَعْدَ تَرْكُوا التَّشْبِيهِ، وَهُوَ الْغُلُوُّ فِي الْإِثْبَاتِ، وَذَهَبُوا إِلَى  
التَّعْطِيلِ، وَهُوَ الْغُلُوُّ فِي التَّنْزِيهِ، وَصَارُوا عَلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ.  
قَوْلُهُ: «الْمَذْهَبَ الشَّيْطَانِيَّ» يَعْنِي: مَذْهَبَ جَهَنَّمَ فِي أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

٦٣٠- وَكَذَلِكَ أَتْبَاعٌ عَلَى مِنْهَاجِهِمْ مِنْ قَبْلِ جَهْمِ صَاحِبِ الْحِذْيَانِ  
يَعْنِي: أَتْبَاعَ الَّذِينَ قَبْلَ جَهْمِ مِنْ أَهْلِ الْاِعْتِزَالِ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ جَهْمِ بِأَنَّ  
كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

٦٣١- لَكِنَّمَا تَمَّأَخَّرُوهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَافَقُوا جَهْمًا عَلَى الْكُفْرَانِ  
قَوْلُهُ: «تَمَّأَخَّرُوهُمْ» أَي: تَمَّأَخَّرُوا الْمُعْتَزِلَةَ.

قَوْلُهُ: «وَافَقُوا جَهْمًا عَلَى الْكُفْرَانِ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَرَى أَنَّ  
مَنْ قَالَ: (كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ) فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ الْأَيْمَةُ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ  
-رَحِمَهُ اللَّهُ- وَغَيْرِهِ، أَطْلَقُوا عَلَى أَنَّ مَنْ قَالَ: (الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ) فَإِنَّهُ كَافِرٌ.

(١) الحسن البصري: أبو سعيد الحسن بن يسار، إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، ولد بالمدينة  
سنة (٢١هـ)، وشب في كنف علي بن أبي طالب، وتوفي بالبصرة سنة (١١٠هـ). [الشارح]. انظر  
ترجمته في: تهذيب الكمال (٦/٣٦٣).

وقولهم هذا يقصدون به الحُكْم دون الشخص، أما الشخص المعين فلا بدَّ أن تقومَ عليه الحُجَّة.

وقد سبق أن مَنْ قال: (إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ) أَبْطَلَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، يعني: أنه لا أَمْرَ، ولا نَهْيَ، فالمخلوق مصنوعٌ على شكل مُعَيَّن، والأمر (قل) والنهي (لا تقل) هذا من أوصاف الكلام، لا من أوصاف المخلوق.

٦٣٢- فَهُمْ بِذَا جَهْمِيَّةٍ أَهْلٌ اعْتَرَا لِي، ثَوْبُهُمْ أَضْحَى لَهُ عَلَمَانِ  
قَوْلُهُ: «فَهُمْ بِذَا جَهْمِيَّةٍ أَهْلٌ اعْتَرَا لِي» يعني: إذن هم معتزلة من وجه، وهم أيضًا جهمية من وجهٍ آخر.

وَقَوْلُهُ: «عَلَمَانِ» أَي: خَطَّانِ: خط أحمر، وخط أسود، ولهذا كان المعتزلة يوافقون الجهمية في نفي الصفات، لكن يخالفونهم في مسألة الوعيد والأحكام، ولذلك يفترق الجهمية والمعتزلة في مسألة القدر افتراقًا عظيمًا، وفي مسألة أسماء الإيمان والدين.

فالجهمية يرون في القدر أن الإنسان مجبرٌ على عمله، والمعتزلة على العكس من ذلك، والجهمية يرون أن الأعمال لا تزيد في الإيمان، ولا تنقص، وليست داخلية في الإيمان، وأن الإيمان هو مجرد الاعتراف.

فالجهمية يقولون: كُلُّ فَاسِقٍ مَارِدٍ شَيْطَانٍ فَهُوَ مُؤْمِنٌ كَامِلٌ الْإِيمَانَ، وَلَنْ يَمَسَّهُ عَذَابٌ.

وقولهم هذا يصلح لفساق أهل العصر.

أمَّا المعتزلة فيقولون: لو فعل الإنسان كبيرةً واحدةً لصار من أهل النار.

فبينهما فَرْقٌ عظيم، وهؤلاء يقولون: مؤمن كامل الإيمان، ولن يَمَسَّهُ العذاب، وهو في الجنة، وهؤلاء يقولون: خارجٌ من الإيمان ومستوجبٌ للخلود في النيران، والعياذ بالله.

فصار لهم ثوبان: ثوبٌ جهمٍ في الصفات مُعَطَّلة، وثوبٌ اعتزالٍ في مسألة الأسماء والأحكام.

والمعتزلة على العكس يقولون: الأعمال شرط في صحة الإيمان، ولهذا مَنْ فَعَلَ كبيرةً عندهم أخرجوه من الإيمان، إِلَّا أنهم يقولون: في منزلةٍ بين المنزلتين، أما في الآخرة فمُخَلَّدٌ في النار.

٦٣٣- وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

٦٣٤- وَاللَّلَاكَائِيُّ<sup>(١)</sup> الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِيُّ<sup>(٢)</sup>

قَوْلُهُ: «تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ» أَي: حَكَمَ بِكُفْرِهِمْ.

«خَمْسُونَ فِي عَشْرِ» أَي: خَمْسَمِئَةَ عَالِمٍ، فَخَمْسَمِئَةَ عَالِمٍ كَفَرُوا أَهْلَ الْعِتْزَالِ وَالْجَهْمِيَّةِ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

إِذْنُ الْآنَ نَقُولُ مَنْ قَالَ: (إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ) فَهُوَ -عَلَى مَا نَقَلَهُ ابْنُ الْقَيْمِ- كَافِرٌ.

\*\*\*

(١) اللالكائي: هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، الرازي، حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية، توفي كهلاً في الدَّيْنُورِ سنة (٤١٨هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٣).

(٢) الطبراني: هو أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي، الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة، ولد في عكا في الشام سنة (٢٦٠هـ)، وتوفي بأصبهان سنة (٣٦٠هـ) إذن عمره -رحمه الله- مئة سنة. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٠١/١٢).

## فصل

### في مذهب الكرامية

- ٦٣٥- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ فِي ذَاتِهِ أَيضًا، فَهُمْ نَوْعَانِ  
 ٦٣٦- إِحْدَاهُمَا: جَعَلْتَهُ مَبْدُوءًا بِهِ نَوْعًا حِدَارَ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ  
 ٦٣٧- فَيَسُدُّ ذَاكَ عَلَيْهِمْ فِي زَعْمِهِمْ إِبْطَاتَ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ  
 ٦٣٨- فَلِذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ ذُو أَوَّلٍ مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ  
 ٦٣٩- وَكَلَامُهُ كِفَعَالِهِ، وَكِلَاهُمَا ذُو مَبْدَأٍ، بَلْ لَيْسَ يَنْتَهِيَانِ  
 ٦٤٠- قَالُوا وَلَمْ يُنْصَفْ خُصُومٌ جَعَجَعُوا وَأَتَوْا بِتَشْنِيعٍ بِلَا بُرْهَانِ  
 ٦٤١- قُلْنَا كَمَا قَالُوهُ فِي أفعالِهِ بَلْ بَيْنَنَا بَوْنٌ مِنَ الْفُرْقَانِ  
 ٦٤٢- بَلْ نَحْنُ أَسْعَدُ مِنْهُمْ بِالْحَقِّ إِذْ قُلْنَا: هُمَا بِاللَّهِ قَائِمَتَانِ  
 ٦٤٣- وَهُمْ فَقَالُوا: لَمْ يَقُمْ بِاللَّهِ لَا فِعْلٌ وَلَا قَوْلٌ، فَتَعْطِيلَانِ  
 ٦٤٤- لِفِعَالِهِ وَمَقَالِهِ شَرٌّ وَأَبْسُّ طُلٌّ مِنْ حُلُولِ حَوَادِثِ بَيِّنَانِ  
 ٦٤٥- تَعْطِيلُهُ عَنِ فِعْلِهِ وَكَلَامِهِ شَرٌّ مِنَ التَّشْنِيعِ بِالْهَدْيَانِ  
 ٦٤٦- هَذِي مَقَالَاتُ ابْنِ كَرَامٍ وَمَا رَدُّوا عَلَيْهِ قَطُّ بِالْبُرْهَانِ  
 ٦٤٧- أَنِّي وَمَا قَدْ قَالَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْعَقْلِ وَالْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

٦٤٨- لَكِنَّهُمْ جَاءُوا لَهُ بِجَعَاكِ وَفَرَاقِعٍ وَقَعَاكِ بِشَنَانٍ

### الشرح

٦٢٥- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ فِي ذَاتِهِ أَيْضًا، فَهُمْ نَوْعَانِ

٦٢٦- إِحْدَاهُمَا: جَعَلْتَهُ مَبْدُوءًا بِهِ نَوْعًا حِدَارَ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ» يعني: بأن الله يتكلم بمشيئته.

قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا»: قال المؤلف - رحمه الله -: (إحداهما)، والصواب في اللغة

العربية (أحدهما) لكن هداه إلى ذلك ضيق النظم.

قَوْلُهُ: «جَعَلْتَهُ مَبْدُوءًا بِهِ نَوْعًا حِدَارَ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ»، وهذا هو النوع

الأول، أنها جعلت كلامه - سبحانه وتعالى - له ابتداء، وأنه كان في الأول لا يتكلم، لماذا؟ قالوا: لو قلنا بذلك لزم تسلسل الأعيان، وإذا لزم تسلسل الأعيان امتنع إثبات الخالق عز وجل، لأنه يبقى التسلسل دائمًا لا نهاية له، يبقى النوع أوليًا، كما أن الله أول ليس قبله شيء.

هذه الطائفة جعلت كلامه حادثًا: حادث النوع، ليس حادث الآحاد، ولهذا

قال: (مبدوءًا به نوعًا) يعني أنه - سبحانه وتعالى - في الأول لم يكن يتكلم، ثم صار يتكلم، فصار الكلام عندهم حادثًا نوعًا.

وهؤلاء لو قالوا: (إنه حادث عينيًا) لكان الأمر صحيحًا، لكن قالوا: إنه

حادث نوعًا، يعني أن الله لم يكن يتكلم ثم صار يتكلم.

فعطّلوا الله عن كلامه في الأول، وأثبتوه له في ثاني الحال، وجعلوا كلامه

ليس خارج ذاته، بل في ذاته، فهذا هو الفرق بينهم، وبين أهل الاعتزال الجهمية

والجهمية السابقة، لأن أولئك جعلوه خارج ذاته، جعلوه مخلوقاً منفصلاً، مثل: السماء، والأرض، والشمس، والقمر، أما هؤلاء فقالوا: لا، هو من صفاته لكنه حادث النوع والآحاد.

لكن لماذا؟ قال: (حِذَارَ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ) إذن قالوا: لو أثبتنا أنه أزيُّ النوع لزم أن تكون آحاده أيضاً أزيّة، وتسلسل، إذ ما من كلامٍ إلّا وقبله كلام إلى ما لا نهاية له، وظنّوا أن هذا شيءٌ ممتنعٌ، لكن ليس بممتنع كما سيأتي - إن شاء الله - في الفرقة الثانية.

٦٣٧- فَيَسُدُّ ذَاكَ عَلَيْهِمْ فِي زَعْمِهِمْ      إِثْبَاتَ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ  
يقولون: إذا قلنا بالتسلسل الأزيُّ للأنواع لم تُثبِتْ خالقاً، إذ من المعلوم أن المخلوق يكون بعد الخالق، وهذا يمنع التسلسل.

فهم يقولون: إذا جعلنا الكلام لم يزل موجوداً نوعاً، وهو متعلّق بالمشيئة، لزم أن يكون الموصوفُ به أيضاً حادثاً، وجوده بمشيئته، وهذا يسُدُّ علينا إثبات الله عزَّ وجلَّ، يعني إثبات أزيئته - سبحانه وتعالى -.

ولكن هذا ليس بصحيح، لأنَّ من المعلوم أن الموصوفَ سابقٌ على الوصف وعلى الصفة، فالتكلم لا بدُّ أن يكون سابقاً لكلامه، وإذا قلنا بأن الكلام أزيُّ النوع لم يلزم أن يكون مقارناً للخالق، لأنه لا بدُّ أن يكون المتكلم سابقاً عن المسبوق.

فلذلك قالوا: إن الله لا يتكلم متى شاء كيف يشاء، ولا نهاية لأوّله، بل هو مبتدأ، ولذا قال - رحمه الله -:

٦٣٨- فَلِذَاكَ قَالُوا: إِنَّهُ ذُو أَوَّلٍ      مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

يعني: فرّقوا بين التسلسل في الابتداء والتسلسل في الانتهاء.

قَوْلُهُ: «ذُو أَوَّلٍ» يعني: ليس أزلِّيًّا، بل له مبدأ.

قَوْلُهُ: «مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانٍ» أي: أنه أَبَدِيٌّ، وهذا على رأي مَنْ يرى أَنَّ التسلسل في الماضي ممنوعٌ، وفي المستقبل جائز، وتقدّم أَنَّ القولَ الراجح أَنَّ التسلسل جائز في الماضي والمستقبل.

فصار الفرق بينه وبين أهل السُنَّةِ بسيطاً، والفرق أن أهل السُنَّةِ يقولون: إِنَّ كَلامَ الله أزلِّيُّ النوع حادثُ الأحاد، وهم يقولون: إنه حادثُ النوع والآحاد، فهم يتفقون مع أهل السُنَّةِ على أنه أَبَدِيٌّ، فَإِنَّ كَلامَ الله لن ينقطع أبداً الأبديين، ولهذا قال (مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانٍ) إذن هو أَبَدِيٌّ.

٦٣٩- وَكَلامُهُ كَفِعَالِهِ، وَكِلَاهُمَا ذُو مَبْدَأٍ، بَلْ لَيْسَ يَنْتَهِيَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَِلَاهُمَا ذُو مَبْدَأٍ» أي: ذو مبدأ لكنها أَبَدِيَّانِ، ولهذا قال: (بَلْ لَيْسَ يَنْتَهِيَانِ) و(بل) هنا عطف، لكنها ليست للإضراب، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا إِضْرَابُ انتقال من كلام إلى كلام، لا من معنى إلى معنى، والمعنى: ذو مبدأ، وليس ينتهيان.

والخلاصة: أنهم قالوا: إن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يتكلّم بمشيئته، ولكنّ كَلامَهُ حادثُ النوع، لثلاثيّ لَزَمَ مِنْ ذَلِكَ تسلسلُ الأعيان، إذ إنهم يجعلون الكلام كالفعال، فإذا قالوا بتسلسله في الماضي لزم قَدَمُ هذه الأعيان، وبذلك يَبْطُلُ إثباتُ الخالق.

٦٤٠- قَالُوا وَلَمْ يُنْصَفْ حُصُومٌ جَعَجَعُوا وَأَتَوْا بِتَشْنِيعٍ بِلَا بُرْهَانٍ

الجعجعة: هي الكلام الصاحب الذي لا يُرادُ به إِلَّا التنفير والتشنيع، وهم يَعْنُونَ بهؤلاء المعتزلة والجهمية.

٦٤١- قُلْنَا كَمَا قَالُوهُ فِي أَفْعَالِهِ بَلْ بَيَّنَّا بَوْنَ مِنَ الْفُرْقَانِ

هؤلاء يقولون في أفعاله: إنها ليست أزلية، بل كان فاعلاً بعد أن كان مُعْطَلاً، وهؤلاء قالوا في كلامه كما قال هؤلاء في أفعاله، يعني أن الكلام حادثٌ بعد أن لم يكن، والأفعال حادثة بعد أن لم تكن، لكن يختلفون، فهؤلاء يقولون: إن أفعاله وأقواله خارجٌ ذاته، وهؤلاء يقولون: بل متعلّقة بذاته.

ولكن ابن القيم -رحمه الله- ردّ عليهم فقال:

٦٤٢- بَلْ نَحْنُ أَسْعَدُ مِنْهُمْ بِالْحَقِّ إِذْ قُلْنَا: هُمَا بِاللَّهِ قَائِمَتَانِ

قَوْلُهُ: «هُمَا» هذا الضمير يعود على الأقوال والأفعال.

هؤلاء يقولون: الكلام قائمٌ بالله، والفعل قائمٌ بالله، وأولئك يقولون: قائمٌ بغير الله منفصل عن الله، فأيهما أقرب للصواب؟ الجواب: الكَرَامِيَّة الذين قالوا: إِنَّ الْأَفْعَالَ وَالْأَقْوَالَ قَائِمَةٌ بِاللَّهِ.

وَقَوْلُهُ: «أَسْعَدُ بِالْحَقِّ» إذ قلنا: إِنَّ الْأَفْعَالَ قَائِمَةٌ بِاللَّهِ وَالْأَقْوَالَ قَائِمَةٌ بِاللَّهِ، وليست مخلوقةً منفصلةً كما قاله مَنْ يقولون: إِنَّ الْكَلَامَ فِي نَفْسِهِ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ، لكنه يَخْلُقُ مَا يُعَبَّرُ عَنِ الْكَلَامِ، أَوْ يَكُونُ حِكَايَةً عَنْهُ.

٦٤٣- وَهُمْ فَقَالُوا: لَمْ يَقُمْ بِاللَّهِ لَا فِعْلٌ وَلَا قَوْلٌ، فَتَعَطُّيْلَانِ

قَوْلُهُ: «فَتَعَطُّيْلَانِ» أي: تعطيل القول وتعطيل الفعل، لأنَّ السابقين لا يرون أَنَّ الْكَلَامَ يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ، بل هو وصف لازم له، لكن بدون حرفٍ ولا صوتٍ وبدون مشيئة.

٦٤٤- لِفِعَالِهِ وَمَقَالِهِ شَرٌّ وَأَبْسٌ — طَلٌّ مِنْ حُلُولِ حَوَادِثٍ بَيِّنٍ

٦٤٥- تَعْطِيلُهُ عَنِ فِعْلِهِ وَكَلَامِهِ شَرٌّ مِنَ التَّشْنِيعِ بِالْهَدْيَانِ

يعني: تعطيل أفعاله وأقواله أشرُّ وأبطلُّ من حلول حوادث ببيان، لأنَّ الجهميةَّ والمعتزلةَ إنما نَفَوْا قِيَامَ أفعاله الاختيارية بذاته، خوفاً من حلول الحوادث بذاته، لأنَّ من أصول المعتزلة أنه لا يقوم الحادثُ إلاَّ بحادث، فإذا قامت الحوادثُ بذاته لزم أن يكون حادثاً، ولهذا أنكروا أن تقوم الأفعالُ الاختياريةُ بذاته، وقالوا: (ليس له فعل، وليس له قول)، نسأل الله العافية.

وهذا الكلام في الحقيقة لا يستطيع الإنسان أن يتصوَّره، فضلاً عن الذي يقبله ويهضمه.

إِذَنْ هُوَ لَاءِ الْكِرَامِيَّةِ يَقُولُونَ: إِنْ تَعْطِيلَ أفعاله ومقاله شرٌّ وأبطلُّ من حلول الحوادث به، يعني لو قالوا: إن الله يفعل فعلاً يتعلَّق بذاته، ويقول قولاً يتعلَّق بذاته، لكان هذا أهون من أن نقول: إن الحوادث تتعلَّق بذاته، لأننا إذا قلنا: إن الحوادث تتعلَّق بذاته لم يلزم عليها شيء، وإذا قلنا: إنه مُعَطَّلٌ مِنَ الفِعلِ والقول، فهذا من أقبح ما يُوصَفُ به اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وقد تقدَّم لنا القول أن قِيَامَ الحوادث لا يستلزم حدوثاً من قامت به.

٦٤٦- هَذِي مَقَالَاتُ ابْنِ كِرَامٍ<sup>(١)</sup> وَمَا رَدُّوا عَلَيْهِ قَطُّ بِالْبُرْهَانِ

يرى - رحمه الله - أن الكرامية أقرب للصواب من الأشعرية، لأنَّ الأشعرية

(١) ابن كرام: هو محمد بن كرام بن عراق السجستاني، شيخ الكرامية، ولد بقرية في سجستان، ودخل خراسان، وكان له أتباع، توفي في القدس سنة (٢٥٥هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/٥٢٣).

لا يُثْبِتُونَ كَلَامًا مَسْمُوعًا أَصْلًا، فَالْكَلَامُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ، لَكِنَّ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ عِنْدَهُمْ هُوَ الْمَخْلُوقُ.

فَالصَّوْتُ يَخْلُقُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَكَانٍ مَا، أَوْ فِي الْهَوَاءِ، أَوْ فِي الشَّجَرَةِ حِينَ نَادَى مُوسَى مِنْهَا، فَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ عِنْدَهُمْ.

ابن القيم - رحمه الله - يقول: مَا رَدُّوا عَلَيْهِ قَطُّ بِالْبِرْهَانِ.

فابن القيم يدافع عن ابن كَرَّامٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُدَافِعَةَ عَنْ شَخْصٍ شَرُّهُ أَهْوَنُ مِنْ غَيْرِهِ أَنَّمَا أَمْرٌ طَيِّبٌ، وَسَيِّبِينَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْفَصْلِ الثَّانِي أَنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

٦٤٧- أَنِّي وَمَا قَدْ قَالَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْعَقْلِ وَالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ  
قَوْلُهُ: «أَنِّي» يَعْنِي: يَبْعُدُ جَدًّا أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: «الْآثَارِ» يَعْنِي: آثَارِ السَّنَنِ.

قَوْلُهُ: «أَنِّي وَمَا قَدْ قَالَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْعَقْلِ وَالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ» وَهَذَا صَحِيحٌ، فَمَا قَالَ ابْنُ كَرَّامٍ أَقْرَبُ مِمَّا قَالَهُ الْمَعْتَزِلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ لِلْعَقْلِ، وَالْآثَارِ الَّتِي هِيَ السَّنَنُ، وَالْقُرْآنِ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ ابْنَ كَرَّامٍ لَمْ يَخْتَلَفْ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَّا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ (حَدُوثُ الْكَلَامِ نَوْعًا)، وَلَوْ قَالَ: (حَدُوثُهُ آحَادًا) لَوَافَقَ أَهْلَ السُّنَّةِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - مَتَرْتَّبٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ.

فَهُوَ يَخْشَى مِنَ الْقَوْلِ بِأَزْلِيَّتِهِ نَوْعًا تَسْلُسَلُ الْحَوَادِثُ، وَهَذَا عَلَى ظَنِّهِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ أَزْلِيَّةِ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ هَذَا لَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

٦٤٨- لَكِنَّهُمْ جَاءُوا لَهُ بِجَعَجٍ وَفَرَاقِعٍ وَقَعَّاقِعٍ بِشِنَانٍ

قَوْلُهُ: «الجعاجع»: الأصوات الصاخبة التي يُراد بها التنفير، وإبعاد الناس عن هذا الشيء.

قَوْلُهُ: «وَفَرَاقِعٍ» الفراقع: إما فرقة الأصابع، وإما الفراقع التي تفرقع من الصبيان ليلة العيد.

قَوْلُهُ: «شِنَانٍ» ويُروى بالميم (بشنان)، وشِنَانٌ جمع شَنَّةٍ، والشَّنَّةُ: القُرْبَةُ اليابسة القديمة، يُضْرَبُ عليها باليد فيصير لها صوت.

يعني يقول: هؤلاء ما رَدُّوا على ابن كَرَّامٍ بشيء، بل هو أقرب إلى الحقِّ منهم.

\*\*\*

## فصل

### فِي ذِكْرِ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ

- ٦٤٩- وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ كَأَحْمَدٍ  
وَمُحَمَّدٍ وَأَيْمَةَ الْإِيمَانِ
- ٦٥٠- قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ  
مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَةٍ وَيَبَيِّنُ
- ٦٥١- إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْكَمَالُ فَكَيْفَ يَخُ  
لُو عَنْهُ فِي أَرْزَلٍ بِلَا إِمْكَانٍ؟!
- ٦٥٢- وَيَصِيرُ فِيمَا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا  
مَاذَا اقْتَضَاهُ لَهُ مِنَ الْإِمْكَانِ؟
- ٦٥٣- وَتَعَاقُبُ الْكَلِمَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ  
لِلذَّاتِ مِثْلُ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ
- ٦٥٤- وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ قَالَ حَقِيقَةً  
﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿طَه﴾ بِغَيْرِ قِرَانٍ
- ٦٥٥- بَلْ أَحْرَفُ مُتَرْتَبَاتٌ مِثْلَهُمَا  
قَدْ رُتِبَتْ فِي مَسْمَعِ الْإِنْسَانِ
- ٦٥٦- وَقَتَانِ فِي وَقْتٍ مُحَالٍ هَكَذَا  
حَرْفَانِ أَيْضًا يُوجَدَانِ فِي آنٍ
- ٦٥٧- مِنْ وَاحِدٍ مُتَكَلِّمٍ بَلْ يُوجَدَانِ  
بِالرَّسْمِ أَوْ بِتَكَلُّمِ الرَّجُلَانِ
- ٦٥٨- هَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ، أَمَّا الْاِقْتِرَا  
نُ فَلَيْسَ مَعْقُولًا لِذِي الْأَذْهَانِ
- ٦٥٩- وَكَذَا كَلَامٌ مِنْ سِوَى مُتَكَلِّمٍ  
أَيْضًا مُحَالٌ لَيْسَ فِي إِمْكَانِ
- ٦٦٠- إِلَّا لِمَنْ قَامَ الْكَلَامُ بِهِ فَذَا  
كَ كَلَامُهُ الْمَعْقُولُ لِلْإِنْسَانِ

## الشرح

٦٤٩- وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ كَأَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ وَأَيْمَّةَ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ» يعني: أصحاب الحديث، جعلنا الله وإياكم منهم، يعني: المعتنين بالحديث حفظاً روايةً، وعِلماً درايةً.

قَوْلُهُ: «كَأَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ» أحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وغيرهما من الأئمة.

فذكر - رحمه الله - مذهب أهل الحديث، وأهل الحديث يُراد بهم صنفان: رُواة الحديث، وفقهاء الحديث.

ولا شك أن أحمد بن حنبل من رواة الحديث، وفقهاء الحديث، وأما البخاري - رحمه الله - فلا شك أنه من رواة الحديث، ولكنه في فقه الحديث ليس كالإمام أحمد، ولهذا يُعتبر من المُحدِّثين، والإمام أحمد يعتبر من المُحدِّثين الفقهاء.

٦٥٠- قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَةٍ وَبَيَانَ

ولهذا قال: (وَأَيْمَّةَ الْإِيمَانِ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَةٍ وَبَيَانَ) لم يزل عز وجل متكلماً بمشيئة، إذا شاء تكلم، وإذا شاء لم يتكلم، ثم هو يتكلم ببيان، أي: بحروف، وأصوات مسموعة.

وأفصح الكلام، وأحسن الكلام، وأصدق الكلام كلام الله عز وجل، ولهذا قال: (بَيَانَ) أي: بفصاحة، وإعراب، ووضوح.

ويا حبذا لو علمنا أدلة أن الله لم يزل متكلماً، ولا يزال متكلماً.

نقول: لم يزل، ولا يزال متكلمًا، ودليل دلالته عقلية، وذلك أن أفعال الله لم تزل، وكلُّ فعلٍ من أفعال الله، فإنه مقرون بقوله: (كن)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

كذلك الكلام بمشيئة، وليس معنى قائمًا بنفسه لا يتعلّق بمشيئته، كما قالت الأشاعرة، بل هو بالمشيئة، وفي ذلك أدلة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ والمراد يكون بمشيئة.

إذن الكلام المقترن بالمراد يكون كذلك بالمشيئة.

وهناك أيضًا أدلة واقعية: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] متى كان الكلام؟

الجواب: بعد مجيئه، انظر قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ارِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ومتى كان القول الثاني؟ الجواب: بعد قول موسى.

ابن القيم يقول: (وبيان) وهذا يقتضي أن يكون كلام الله بحرفٍ وصوتٍ، لأنه لا يكون بيانًا إلا إذا سُمِعَ الكلام، ولا يُسْمَعُ إلا بصوت، ولا يُفْهَمُ إلا بحروف، فكلام الله أيضًا يكون بحرفٍ وصوت، أما كونه بحرفٍ فلا لأنَّ كُلَّ الكلام الذي تكلم الله به حروف، فالقرآن حروف، ومن قرأه فله بكل حرفٍ منه عشر حسنات.

وأيضًا لما قال الله تعالى لموسى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ اللام، والنون، والتاء، والراء والنون، والياء، هذه حروف بصوت، لأنَّ موسى سمع كلام الله، وكذلك النبي ﷺ سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ.

إِذْنِ كَلَامِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ مُتَعَلِّقٍ بِمَشِيئَتِهِ، وَلَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزَالُ مُتَكَلِّمًا.

أما كونه مخلوقاً فهذا باطل، لأنَّ الله تعالى قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والخلق والأمر قسيان، وليسا قسَمَيْنِ، فالأمر غيرُ الخلق، لأنَّ الأصلَ في العطفِ المُغَايِرَةِ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] أي: مِنْ وَحِينَا، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ لَيْسَ مَخْلُوقًا.

هذا ما أردت أن أُبيِّنَه لأجل أن نعرف أن أهل السُنَّة والجماعة بنوا اعتقادهم على دليل.

٦٥١- إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْكَمَالُ فَكَيْفَ يَجُزُّ لَوْ عَنَّهُ فِي أَزَلٍ بِلَا إِمْكَانٍ؟! قَوْلُهُ: «إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْكَمَالُ» صَدَقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْكُ فِي أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ كَامِلٌ وَالْأَخْرَسَ نَاقِصٌ.

فالمُتَكَلِّمُ يَتَكَلَّمُ لِيَأْمُرَ وَيَنْهَى وَيُعْظَمُ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَمَالِهِ كَلَامُهُ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَخْرَسَ لَا يُعَدُّ كَامِلًا، وَلِذَلِكَ طَلَبَ زَكْرِيَّا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنْ اللَّهِ آيَةً، فَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا﴾ [آل عمران: ٤١]، وَلَمَا كَانَ هَذَا يُخَشَى مِنْهُ الْعَيْبُ - وَهُوَ عَيْبٌ - قَالَ اللَّهُ لَهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿أَلَا تَكَلِّمَ ثَلَاثَ النَّاسِ لَيْالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]، يَعْنِي: لَيْسَ فِيكَ عَيْبٌ، لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ عَدَمَ الْكَلَامِ عَيْبٌ، فَالْكَلَامُ كَمَالٌ.

قَوْلُهُ: «فَكَيْفَ يَخْلُو عَنْهُ فِي أَزَلٍ بِلَا إِمْكَانٍ» يَعْنِي: كَيْفَ يَخْلُو اللَّهُ مِنْ هَذَا الْكَمَالِ فِي أَزَلٍ بِلَا إِمْكَانٍ!؟

هؤلاء الذين قالوا: إنه يتكلّم بغير مشيئة، ومنعوا أن يكونَ أزلّيًّا، قالوا: إنه تكلم بعد أن لم يكن قادرًا على الكلام، وهذا نقص، ولهذا قال المؤلف -رحمه الله-:

٦٥٢- وَيَصِيرُ فِيمَا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا مَآذَا اقْتَضَاهُ لَهُ مِنَ الْإِمْكَانِ؟

يعني: ما الذي اقتضى أن يكون متكلّمًا بعد أن كان غير متكلّمٍ إلاّ المشيئة، وهو متى شاء تكلم في أزلٍ وأبدٍ، ومتى شاء لم يتكلّم، وهذا القول واضح ومعقول، وهو الذي تدلُّ عليه الأدلة السمعية.

وفي هذا ردٌّ على الكرّامية الذين يقولون: في الأول لا يمكن، وفي الثاني صار ممكنًا، فما الذي جعله في الأول مستحيلًا، وفي الثاني ممكنًا؟!

ثم ذكر المؤلف -أيضًا- أن قوله مترتبٌ، خلافًا لمن قال بالاقتران، الباء، والسين، والميم، في (بسم الله الرحمن الرحيم) وما بعدها من كلمات كلّها واحدة، خرجت بأن واحد، ولا يمكن أن تترتب، لأنّ الكلام عندهم ليس بمشيئته.

٦٥٣- وَتَعَاقُبُ الْكَلِمَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ لِلذَّاتِ مِثْلُ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ

قوله: «وَتَعَاقُبُ الْكَلِمَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ لِلذَّاتِ» أي: لذات الكلمات.

قوله: «مِثْلُ»، يجوز فيه أيضًا (مِثْلًا).

قوله: «مِثْلُ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ» أي: كما أنّ الأزمان متعاقبة الآن، فالصباح، ثمّ الضحى، ثمّ الظهر، ثمّ العصر، ثمّ المغرب متعاقبة، هل يمكن أن تكون ظهيرة في وقت الضحى؟

الجواب: لا، ولا ضحى في وقت الصباح، فتعاقب الكلمات أمرٌ واقع لا بدّ منه، كتعاقب الأزمان، أي: (مِثْلُ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ)، وفي هذا ردٌّ على الاقترانية.

٦٥٤- وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ قَالَ حَقِيقَةً ﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿طه﴾ بِغَيْرِ قِرَانٍ

وهذا أيضًا ردُّ على الجهمية والمعتزلة والاقترانية، وقال: (حَقِيقَةً)، أما عند المعتزلة والجهمية فلم يقل: (حَقِيقَةً)، قالوا: إضافة الكلام إليه على سبيل المجاز، لأنه خَلَقَ الكلام.

قَوْلُهُ: «﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿طه﴾ بِغَيْرِ قِرَانٍ» صحيح، فـ(طه) في مكانها، و(حم) في مكانها لم تقترن.

و﴿طه﴾ حرفان هجائيان، وليس من أسماء الرسول ﷺ، خلافًا لمن سَمَّاه (طه) وسَمَّاه (يس)، فَإِنَّ هَذَا كَذِبٌ، وليس بصحيح، فكلُّ أسماء الرسول ﷺ يجب أن تعرفوا أنها مشتمة على المعاني، أمَّا أسماءنا فجوامد، ليس فيها إلاَّ تعيين المُسَمَّى فقط، فقد نُسِمِيَ الرجل (صالحًا) وهو غيرُ صالح، أما أسماء الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فإنها كلها مشتقة من معانيها العظيمة.

فمثلًا (طه) هل هو مشتق أو غير مشتق؟

الجواب: ليس مشتقًا، قالوا: لأنَّ الله قال: ﴿طه﴾ ١ مَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ

لِتَشْفَى ﴿طه: ١-٢﴾.

إِذْ نَقُولُ: سَمَّاه (نون)، لأنَّ الله قال: ﴿نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ١ مَّا أَنْتَ بِعَمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿القلم: ١-٢﴾، وسَمَّاه بكلِّ حرفٍ هجائيٍّ جاء بعده خطابٌ للرسول -عليه الصلاة والسلام- قال الله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم: ١]، سَمَّاه إِذْ (الر)، ولا أحد يقول بهذا.

فالحاصل أنَّ (يس) ليس من أسماء الرسول، وكذلك (طه).

مسألة: نجدُ بعضَ الناسِ مَنْ يُكْنِي نفسه بـ(أبي الحاشر) مثلاً، فنقول: هذا لا يجوز، لأنَّ هذا اللقب للرسول -عليه الصلاة والسلام-.

٦٥٥- بَلْ أَحْرَفُ مُتْرَبَّتَاتٌ مِثْلَمَا قَدْ رُتِّبَتْ فِي مَسْمَعِ الْإِنْسَانِ  
قَوْلُهُ: «بَلْ أَحْرَفُ» يعني: بل هي أحرف.  
قَوْلُهُ: «مُتْرَبَّتَاتٌ» يعني: متعاقبة، وليست مقترنة.

الآن عندما أقول: (طه) فأول ما يرد على مسمعك (الطاء) ثُمَّ (الهاء)، فهي مترتبة، فهي -أيضاً- في كلام الله مترتبة، بدأ بالطاء قبل الهاء في مسمع الإنسان.  
٦٥٦- وَقَتَانٍ فِي وَقْتٍ مُحَالٍ هَكَذَا حَرْفَانِ أَيْضًا يُوجَدَانِ فِي آنٍ  
قَوْلُهُ: «وَقَتَانٍ فِي وَقْتٍ مُحَالٍ» يعني: لا يمكن أن يكون الصبح وهو في نفس الوقت ضحى، ولا ضحى وهو في نفس الوقت ظهر، فهذا مستحيل.

قَوْلُهُ: «مُحَالٌ هَكَذَا حَرْفَانِ أَيْضًا يُوجَدَانِ فِي آنٍ» يعني: وكذلك يستحيل أن يوجد حرفان في آنٍ واحدٍ، إذن لا بدَّ من ترتيب.

وَقَوْلُهُ: «يُوجَدَانِ» هكذا، حيث سَبَقَ نظيره، وأنَّ ابنَ القيم -رحمه الله- يرى جواز حذف النون التي هي علامةُ الرفع من أجل الشعر.

٦٥٧- مِنْ وَاحِدٍ مُتَكَلِّمٍ بَلْ يُوجَدَانِ بِالرَّسْمِ أَوْ بِتَكَلُّمِ الرَّجُلَانِ  
٦٥٨- هَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ، أَمَّا الْإِقْتِرَا نٌ فَلَيْسَ مَعْقُولًا لِذِي الْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ وَاحِدٍ مُتَكَلِّمٍ» يعني: لا يمكن أن يوجد حرفان في آنٍ واحدٍ من واحد متكلم.

قَوْلُهُ: «بَلْ يُوجَدَا بِالرَّسْمِ أَوْ بِتَكْلُمِ الرَّجُلَانِ» نعم بالرسم، ربما تكتب الحاء فوق النون، كذلك لو كان من رجلين مُتَكَلِّمَيْنِ، يمكن أن يتكلم الرجلان (بسم الله الرحمن الرحيم) في آنٍ واحدٍ، أما مِن متكلّمٍ واحدٍ ويوجد حرفان في آنٍ واحدٍ، فهذا مستحيل.

وقول المؤلف - رحمه الله -: (بِتَكْلُمِ الرَّجُلَانِ)، ولم يقل: (الرَّجُلَيْنِ) فهذا إمّا أن يكون للضرورة، وإما أن يكون على لغة من يُلْزَم المثنى الألف، ولو أتى على اللغة المشهورة، كقول الشاعر:

وَاهَا لِرِيَاثُمَّ وَاهَا وَاهَا      يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَفَاهَا<sup>(١)</sup>

وهذا صحيح، كيف نقول: القرآن كلام الله من غير متكلّم؟! فلا يوجد كلامٌ إلّا من متكلّم، فمتى أقررت بأنّ القرآن كلامُ الله لزمك أن تؤمن بأنّ الله متكلّم، ولهذا يقول فيما بعد: (لَيْسَ فِي إِمْكَانٍ... إلّا لَمَنْ قَامَ الْكَلَامُ بِهِ) يعني: لا يمكن أن يكون كلامٌ من غير متكلّم، بل لا يكون إلّا من المتكلّم به.

٦٥٩- وَكَذَا كَلَامٌ مِنْ سِوَى مُتَكَلِّمٍ      أَيُّضًا مُحَالٌ لَيْسَ فِي إِمْكَانٍ

٦٦٠- إلّا لَمَنْ قَامَ الْكَلَامُ بِهِ فَذَا      كَلَامُهُ الْمَعْقُولُ لِلْإِنْسَانِ

فهو - رحمه الله - لما ردّ على مذهب الاقترانية ردّ على مذهب المعتزلة فقال:

المعتزلة يقولون: إنّ الله له كلام لكن ليس هو المتكلّم، لأنّ كلامه مخلوقٌ، إمّا في الشجرة، وإمّا في الهواء، وإمّا في جبريل، وإمّا في محمّد، فكيف يصحّ أن نقول: هو متكلّمٌ والكلام ليس وصفًا، بل هو بائن منه؟! ولهذا قال:

(١) البيت من الرجز، وهو لأبي النجم، انظر: لسان العرب، مادة: وبه.

(لَيْسَ فِي إِمْكَانٍ... إِلَّا لِمَنْ قَامَ الْكَلَامَ بِهِ)، فَمَنْ قَامَ الْكَلَامَ بِهِ فَهُوَ الَّذِي يَكُونُ مُتَكَلِّمًا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَلَسْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضَ، وَالْإِنْسَانَ، وَالشَّجَرَ وَالْحَجَرَ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ بَائِنٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ؟!!

قلنا: بلى، نقول بذلك، لكن هذه أعيانٌ قائمةٌ بنفسها، وأما الكلام فصفة، ولا يمكن أن يكون قائمًا بنفسه، فإذا وصف الله نفسه بأنه متكلم، علمنا أن الكلامَ وَصَفَهُ، وإذا وَصَفَ نفسه بأنه الخالق فقد يُلبَسَ هؤلاء، ويقولون: خالق يعني به المخلوق، وليس الخلقُ صفةً له.

لكن نقول في الردِّ عليهم: إِنَّ المخلوقات أعيانٌ قائمةٌ بنفسها، بخلاف الكلام فلا يمكن أن يُوصَفَ اللهُ بأنه متكلمٌ وَيُعْنَى به أن هناك كلامًا مخلوقًا خلقه الله، وإِلَّا للزم أن يكون كلامي وكلامك وكلامُ فلانٍ وفلانٍ كلامًا لله، ولهذا صار قول الجهمية والمعتزلة بأن كلام الله مخلوق سُلَّمًا سهل الصعود للقائلين بوحدة الوجود، قالوا: نحن نقول: كُلُّ كلامٍ في الوجود كلامٌ لله.

\*\*\*

- ٦٦١- أَيْكُونُ حَيًّا<sup>(١)</sup> سَامِعًا أَوْ مُبْصِرًا مِنْ غَيْرِ مَا سَمِعَ وَغَيْرِ عِيَانٍ؟!  
 ٦٦٢- وَالسَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ قَامَ بِغَيْرِهِ هَذَا الْمُحَالُ وَوَاضِحُ الْبُهْتَانِ  
 ٦٦٣- وَكَذَا مُرِيدٌ وَالْإِرَادَةُ لَمْ تَكُنْ وَصْفًا لَهُ، هَذَا مِنَ الْهَدْيَانِ  
 ٦٦٤- وَكَذَا قَدِيرٌ مَالَهُ مِنْ قُدْرَةٍ قَامَتْ بِهِ مِنْ أَوْضَحِ الْبُطْلَانِ

(١) في نسخة الحلبي: «حي».

- ٦٦٥- وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مُتَكَلَّمٌ  
بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ  
٦٦٦- قَدْ أَجْمَعَتْ رُسُلُ الْإِلَهِ عَلَيْهِ لَمْ  
يُنْكِرْهُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ رَجُلَانِ  
٦٦٧- فَكَلَامُهُ حَقًّا يَقُومُ بِهِ وَإِلَّا  
لَا لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا بِقُرْآنِ

### الشرح

ضَرَبَ الْمُؤَلِّفُ أَمْثَلَةً تُبَيِّنُ بَطْلَانَ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ يَشْتَبُونَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءَ، وَلَا يَشْتَبُونَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ، فَقَالَ:

٦٦١- أَيْ كَوْنُ حَيًّا سَامِعًا أَوْ مُبْصِرًا مِنْ غَيْرِ مَا سَمِعَ وَغَيْرِ عِيَانٍ؟!

أي: من غير معاينة ومن غير بصر، وهل هذا ممكن؟! لا يمكن، كيف يكون سامعًا بلا سمع؟! أو مبصرًا بلا بصر؟! هذا غير ممكن.

ولولا أنه سُودَّتْ بِهِ الصِّحَافُ مَا نُقِلَ وَلَا ذُكِرَ، لَكِنْ مَعَ الْأَسْفِ أَنَّهُ وَجَدَ مِنْ فِرْقٍ هَذِهِ الْأُمَّةَ مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ الْهَيْدِيَانَ الْبَاطِلَ.

٦٦٢- وَالسَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ قَامَ بِغَيْرِهِ هَذَا الْمَحَالُّ وَوَاضِحُ الْبُهْتَانِ

هم يقولون: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ، لَكِنْ لَيْسَ لَهُ سَمْعٌ، وَإِنَّمَا خَلَقَ سَمْعًا فِي غَيْرِهِ، وَبَصِيرٌ، يَعْنِي: خَلَقَ بَصْرًا فِي غَيْرِهِ.

كيف نقول: هو بصير، والبصير غيره؟! فهذا معناه أَنَّ الْبَصْرَ لِغَيْرِهِ، لَا لَهُ، فَكَيْفَ تَكُونُ صِفَةً مُضَافَةً إِلَى مَوْصُوفٍ، ثُمَّ تَكُونُ هَذِهِ الصِّفَةُ فِي غَيْرِهِ؟! هَذَا وَاضِحُ الْبَطْلَانِ كَمَا يَقُولُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (وَاضِحُ الْبُهْتَانِ).

٦٦٣- وَكَذَا مُرِيدٌ وَالْإِرَادَةُ لَمْ تَكُنْ وَصَفَاءَهُ، هَذَا مِنَ الْهَدْيَانِ  
 هم قالوا: إِنَّ اللَّهَ مُرِيدٌ، لكن ليس له إرادة، كيف؟ قالوا: له مراد، أو المعنى:  
 مرِيدٌ خَالِقٌ لِلْإِرَادَةِ فِي غَيْرِهِ.

وأنا أعتقد أن مَنْ لم يسمع هذا سيقول بمقتضى الفطرة: هذا لا يكون،  
 ولولا ثقة النقل من ابن القيم، وابن تيمية، ومن أشباههما لقلنا: هذا لا يقوله  
 عاقل، إذ كيف يقول: هو مرید والإرادة لغيره؟! سبحان الله! هذا مستحيل، لكن  
 هذا مذهب لأناس يَدْعُونَ الذكاء.

٦٦٤- وَكَذَا قَدِيرٌ مَا لَهُ مِنْ قُدْرَةٍ قَامَتْ بِهِ مِنْ أَوْضَاحِ الْبُطْلَانِ  
 قَوْلُهُ: «قَدِيرٌ مَا لَهُ مِنْ قُدْرَةٍ» قدير ولكن ليست له قدرة، وهذا هذيان،  
 فالقدير لا يمكن إلا أن تكون له قدرة، وهم يقولون: قدير بلا قدرة، لأنهم  
 يَدْعُونَ أَنْ يُثَبَّتَ الصِّفَاتِ الْقَدِيمَةِ يَعْنِي الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ، فيقولون: ساوِيتُمُ اللَّهَ  
 تَعَالَى بِالْقِدَمِ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ، لَأَنَّ أَحْصَى وَصْفَ الْإِلَهِ عِنْدَهُمْ هُوَ الْقِدَمُ، وهذا  
 من الغرائب.

ألسنا نصف غير الله بالقديم؟! الجواب: بلى، كيف يقولون: أَحْصَى وَصْفَ اللَّهِ  
 مَا لَا يُوصَفُ بِهِ غَيْرُهُ مِثْلَ (رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الْحَيِّ الْقَيُّومِ) وما أشبه ذلك؟! وأما أن  
 نقول: أَحْصَى وَصْفِ فِي الْإِلَهِ الْقِدَمِ، فَمَنْ أَثَبَّتَ صِفَةً قَدِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، لأنك  
 لو أثبت له قدرة كانت القدرة قديمة، ولزم من ذلك تعدد القدماء، قدرة قديمة  
 وقادر قديم، سمع قديم وسميع قديم، بصر قديم وبصير قديم، فصارت الآلهة  
 بذلك ستة، وعلى هذا فقس.

قالوا: أنتم كُفِّرْتُمُ النَّصَارَى لَمَّا قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وأنتم تقولون:

ملايين الملايين، فأنتم أكثر من النصارى إذا أثبتتم أن الله صفةٌ قديمةٌ، فهذا هو عين الكفر، والعياذ بالله.

والحقيقة أن كلامهم مخالفٌ للعقل، نقول له: تعال، هل أنت سميع؟ سيقول: نعم، نقول: ألك سمع؟ سيقول: نعم، بصير لك بصر، قدير لك قدرة؟ كم أنت؟ فيقول: واحد، فتعدد الأوصاف لا يستلزم تعدد الموصوف، فهذه دعوى لا حجة لها.

٦٦٥- وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مُتَكَلِّمٌ بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ  
فهو متكلمٌ بالنقل، والأدلة في هذا كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وفي السنة: «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»<sup>(١)</sup>.  
أما العقل، فنقول: أيعقل أن يكون أمرًا ناهيًا بلا كلام؟! لا يعقل، فالأمر هو الذي يقول: (افعل)، والناهي هو الذي يقول: (لا تفعل)، وكلام الله تعالى ثابت بالعقل من وجوه منها:  
■ ما سبق أن الكلام كمال.

■ ومنها: أننا إذا قلنا بعدم الكلام بطل الأمر والنهي، إذ لا أمر ولا نهي إلا بكلام، بل يبطل حتى القدر، لأن كل شيء كائن من المخلوقات فهو بقول الله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

فالله متكلمٌ بالنقل والعقل والبرهان، فالنقل والعقل كلاهما دليل، والبرهان وصف الدليل، ويُعنى بالبرهان ما هو برهان على الشيء، وأثبتته بدون احتمال،

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾، برقم (٧٠٠٥).

فكُلِّمًا كَانَ الدَّلِيلُ صَرِيحًا وَاضِحَ الدَّلَالَةِ سُمِّيَ بِرَهَانًا.

٦٦٦- قَدْ أَجْمَعَتْ رُسُلُ الإِلَهِ عَلَيْهِ لَمْ يُنْكِرْهُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ رَجُلَانِ

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الرُّسُلَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ، وَأَنَّهُ لَمْ يَنْكَرْهُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ رَجُلَانِ، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «لَمْ يُنْكِرْهُ» يَعْنِي: لَمْ يَخْتَلَفْ فِيهِ رَجُلَانِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ لِثَلَاثِ أَسْبَابٍ: وَأَنْكَرَهُ رَجُلٌ، لِأَنَّ نَفْيَ الْإِثْنَيْنِ لَا يَمْنَعُ، وَلَكِنَّ مَرَادَهُ بِقَوْلِهِ: «لَمْ يُنْكِرْهُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ رَجُلَانِ» أَي: لَمْ يَخْتَلَفْ فِيهِ رَجُلَانِ، فَكُلُّ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ.

٦٦٧- فَكَلَامُهُ حَقًّا يَقُومُ بِهِ وَإِلَّا لَأَلَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا بِقُرْآنِ

أَي: كَلَامَ اللَّهِ حَقٌّ مُتَعَلِّقٌ بِذَاتِهِ قَائِمٌ بِذَاتِهِ، وَلَوْ لَمْ نَقُلْ: إِنَّ كَلَامَهُ قَائِمٌ بِذَاتِهِ، لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا بِالْقُرْآنِ، وَمَا صَحَّ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ، لِأَنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَهُ غَيْرُ قَائِمٍ بِهِ، يَجْعَلُونَ كَلَامَهُ إِمَّا لِجَبْرِيلَ أَوْ مُحَمَّدٍ أَوْ الْهَوَاءِ، فَلَا يَجْعَلُونَ الْكَلَامَ كَلَامَ اللَّهِ، وَعَلَى رَأْيِهِمْ نَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

\*\*\*

٦٦٨- وَاللَّهُ قَالَ وَقَائِلٌ وَكَذَا يَقُولُ الْحَقُّ لَيْسَ كَلَامُهُ بِالْفَانِي

٦٦٩- وَيُكَلِّمُ الثَّقَلَيْنِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ حَقًّا فَيَسْمَعُ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ

٦٧٠- وَكَذَا يُكَلِّمُ حِزْبَهُ فِي جَنَّةِ الْـ حَيَّوَانِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضْوَانِ

٦٧١- وَكَذَا يُكَلِّمُ رُسُلَهُ يَوْمَ اللَّقَا حَقًّا فَيَسْأَلُهُمْ عَنِ التَّبَيَّانِ

٦٧٢- وَيُرَاجِعُ التَّكْلِيمَ جَلَّ جَلَالُهُ وَوَقَّتَ الْجِدَالَ لَهُ مِنَ الْإِنْسَانِ

- ٦٧٣- وَيُكَلِّمُ الْكُفَّارَ فِي الْعَرَصَاتِ تَوْ  
 ٦٧٤- وَيُكَلِّمُ الْكُفَّارَ أَيضًا فِي الْجَحِي  
 ٦٧٥- وَاللَّهُ قَدْ نَادَى الْكَلِيمَ، وَقَبْلَهُ  
 ٦٧٦- وَأَتَى النَّدَا فِي تِسْعِ آيَاتٍ لَهُ  
 ٦٧٧- وَكَذَا يُكَلِّمُ جَبْرِيْلَ بِأَمْرِهِ  
 ٦٧٨- وَادْكُرْ حَدِيثًا فِي صَحِيحِ مُحَمَّدٍ  
 ٦٧٩- فِيهِ نِدَاءُ اللَّهِ يَوْمَ مَعَادِنَا  
 ٦٨٠- هَبْ أَنْ هَذَا اللَّفْظَ لَيْسَ بِثَابِتٍ  
 ٦٨١- وَرَوَاهُ عِنْدَكُمْ الْبُخَارِيُّ الْمُجَسَّدُ  
 ٦٨٢- أَيَصِحُّ فِي عَقْلِ وَفِي نَقْلِ نِدَا  
 ٦٨٣- أَمْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ وَالْعُقَلَاءُ مِنْ  
 ٦٨٤- أَنَّ النَّدَا الصَّوْتُ الرَّفِيعُ وَضِدُّهُ  
 ٦٨٥- وَاللَّهُ مَوْصُوفٌ بِذَلِكَ حَقِيقَةً  
 بِيْحًا وَتَقْرِيبًا بِأَلَا غُفْرَانَ  
 سِمِ أَنْ ﴿أَخَشَوْا فِيهَا﴾ بِكُلِّ هَوَانٍ  
 سَمِعَ النَّدَا فِي الْجَنَّةِ الْأَبْوَانِ  
 وَضَفَا فَرَجِعَهَا مِنْ الْقُرْآنِ  
 حَتَّى يُنْقِذَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ  
 ذَاكَ الْبُخَارِيُّ الْعَظِيمِ الشَّانِ  
 بِالصَّوْتِ يَبْلُغُ قَاصِيَا وَالْدَّانِ  
 بَلْ ذِكْرُهُ مَعَ حَذْفِهِ سَيَّانِ  
 سِمِ بَلْ رَوَاهُ مُجَسَّدٌ فَوْقَانِي  
 لَيْسَ مَسْمُوعًا لَنَا بِأَذَانِ  
 أَهْلِ اللِّسَانِ وَأَهْلِ كُلِّ لِسَانِ  
 فَهُوَ النَّجَاءُ كِلَاهُمَا صَوْتَانِ  
 هَذَا الْحَدِيثُ وَتَحْكَمُ الْقُرْآنِ

### الشرح

- ٦٦٨- وَاللَّهُ قَالَ وَقَائِلٌ وَكَذَا يَقُولُ الْحَقُّ لَيْسَ كَلَامُهُ بِالْفَانِي قَوْلُهُ: «قَالَ» يشير إلى الزمن الماضي، يعني: أنه يتكلم في الزمن الماضي.

قَوْلُهُ: «قَائِلٌ» يعني: الزمن الحاضر.

قَوْلُهُ: «يَقُولُ» في الزمن المستقبل.

فالمؤلف - رحمه الله - أتى بالفعل والوصف، فالفعل: (قال) و(يقول) والوصف: (قَائِلٌ) فهو - سبحانه - فاعلٌ للقول موصوفٌ به.

قَوْلُهُ: «يَقُولُ الْحَقُّ لَيْسَ كَلَامُهُ بِالْفَانِي»، لأنه كما أنه لا أوَّلَ له يكون لا آخِرَ له، فالله عزَّ وجلَّ لم يزل ولا يزال متكلِّمًا، فالله لا يَفْنَى كَلَامُهُ، قال الله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، فلو جُمِعَ كُلُّ ما في الأرض من الأشجار وجُعل أقلامًا، وجُعل البحر ومن ورائه سبعةُ أبْحُرٍ مِدَادًا ما نَفِدَتْ كلمات الله، فتتكسر الأقلام، وينفد المداد ولم تنفد كلمات الله عزَّ وجلَّ لأنه لم يزل ولا يزال متكلِّمًا خالقًا بما يشاء.

وقد تقدَّم قولُ ابن القيم - رحمه الله - ما الذي جعله متكلِّمًا بعد أن كان لا يتكلَّم؟ وكذلك ما الذي جعله يشاء الكلام ويتكلَّم بعد أن لم يكن كذلك؟! .

٦٦٩- وَيُكَلِّمُ الثَّقَلَيْنِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ حَقًّا فَيَسْمَعُ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ

قَوْلُهُ: «الثقلان» يعني: الجنَّ والإنس، يكلمهم الله عزَّ وجلَّ ويسمعه الثقلان، وقد وردَ ذلك في أحاديث.

٦٧٠- وَكَذَا يُكَلِّمُ حِزْبَهُ فِي جَنَّةِ الْ- حَيَّوَانِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضْوَانِ

يُكَلِّمُ عزَّ وجلَّ أهل الجنة، ويسألهم كما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ

الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَنَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ!! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا<sup>(١)</sup>. وهذا كلام صريح.

٦٧١- وَكَذَا يُكَلِّمُ رُسُلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقًّا فَيَسْأَلُهُمْ عَنِ التَّيْبَانِ

قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]، يسأل الرسل حتى يقيم الحجّة على الأمم، هل بيّنتم؟ هل بلغتم؟ فيجيبون.

٦٧٢- وَيُرَاجِعُ التَّكْلِيمَ جَلَّ جَلَالُهُ وَقَتَّ الْجِدَالَ لَهُ مِنَ الْإِنْسَانِ

فإن الله تعالى يخلو بعبده المؤمن، ويقرره بذنوبه حتى يُقرّ بها.

وابن القيم - رحمه الله - هنا لم يذكر الدليل على أنه - سبحانه وتعالى - يراجع التكليم عند الجدل، لكن لعلنا نذكره فيما بعد إن شاء الله.

٦٧٣- وَيُكَلِّمُ الْكُفَّارَ فِي الْعَرَصَاتِ تَوْبِيحًا وَتَقْرِيعًا بِأَلَا غُفْرَانَ

قوله: «يُكَلِّمُ الْكُفَّارَ» أي: يكلمهم عزّ وجلّ كما قال: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص: ٦٢]، فيوبخهم، أين الشركاء الذين تزعمونهم مع الله؟ قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٦٥].

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، برقم (٧٠٨٠)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، برقم (٢٨٢٩).

٦٧٤- وَيَكَلِّمُ الْكُفَّارَ أَيضًا فِي الْجَحِيمِ - مِمَّ أَنْ اخْسَأُوا فِيهَا بِكُلِّ هَوَانٍ

وذلك حينما يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، فيقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، اخسأوا: أي ذلُّوا، حيث يُلقَى عليهم الهوانُ والذلُّ، والعياذ بالله.

٦٧٥- وَاللَّهُ قَدْ نَادَى الْكَلِيمَ، وَقَبْلَهُ سَمِعَ النَّدَا فِي الْجَنَّةِ الْأَبْوَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ نَادَى الْكَلِيمَ» يعني: موسى - عليه السلام - قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْأَبْوَانِ» أي: آدمُ وحواءُ، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَهْمًا ثُمَّ أَنهَمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقْبَل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

٦٧٦- وَأَتَى النَّدَا فِي تِسْعِ آيَاتٍ لَهُ وَصَفًا فَرَجَعَهَا مِنَ الْقُرْآنِ

تسع مواضع كلها صرَّح الله فيها بالنداء في القرآن.

ابن القيم - رحمه الله - يقول: إنها تسع، وهي وإن كانت عند العدِّ أحد عشر موضعًا، لكن لعلَّه - رحمه الله - يكتفي بمناداة موسى، وإن تعددت الآيات يجعلها واحدًا.

٦٧٧- وَكَذَا يُكَلِّمُ جِبْرِئِيلَ بِأَمْرِهِ حَتَّى يُنْفِذَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ

يعني: أن الله يناجي جِبْرِئِيلَ بأمره، فينفذه جبريلُ بكل مكان.

٦٧٨- وَأَذْكَرُ حَدِيثًا فِي صَحِيحِ مُحَمَّدٍ ذَاكَ الْبُخَارِيِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «محمد» يعني: ابن إسماعيل البخاري - رحمه الله - ووصَّفه المؤلف

بقوله: (ذَلِكَ الْعَظِيمِ الشَّانِ) ويحتمل أن هذا وصف للصحيح، فإن كان للصحيح فهو وصف للكتاب، وإذا كان الكتاب عظيم الشان فالمؤلف كذلك، وإن كان الوصف للمؤلف بأنه عظيم الشان، فكذلك الكتاب، فهما متلازمان.

٦٧٩- فِيهِ نِدَاءُ اللَّهِ يَوْمَ مَعَادِنَا بِالصَّوْتِ يَبْلُغُ قَاصِيَا وَالِدَانِي

وذلك أن الله -تبارك وتعالى- يقول: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُرَّتَيْكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ. قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعَثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ». والحديث أخرجه البخاري، ولهذا قال ابن القيم في النونية:

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا بِالْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اثْنَانِ

قَوْلُهُ: «يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ» يعني: الجنة.

لما حَدَّثَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بهذا الحديثِ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَمِئَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، وَإِنِّي لَأَرُجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

والشاهد أنه ينادي بصوت.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحج، برقم (٤٤٦٤).

٦٨٠- هَبْ أَنْ هَذَا اللَّفْظَ لَيْسَ بِثَابِتٍ بَلْ ذِكْرُهُ مَعَ حَذْفِهِ سَيِّانٍ

قَوْلُهُ: «هَذَا اللَّفْظُ» يعني: لفظ (بصوت) الذين أنكروا أن يكون كلام الله بصوت قالوا: (فينادي بصوت) هذا غير ثابت، وأنَّ الثابت (فينادي) فقط، لأنَّ الذين يقولون: إنَّ الكلام هو المعنى القائم بالنفس، لا يقولون: بصوت، والذين يقولون: إنه خلقه، لا يقولون: بصوت، هم يَدَّعُونَ أَنَّ الله ليس له صوت.

فابن القيم يقول: «هَبْ أَنَّهُ لَيْسَ بِثَابِتٍ بَلْ ذِكْرُهُ مَعَ حَذْفِهِ سَيِّانٍ» يعني: حتى وإن لم يثبت فالصوت معلوم من النداء.

وَقَوْلُهُ: «هَبْ أَنْ» يقول: النحويون -وعلى رأسهم الحريري-: إنَّ هذا من لحن الفقهاء -أي: قولهم: هَبْ أَنْ- وأنَّ الصوابَ حذْفُ (أَنَّ)، يعني: لا تقل: (هَبْ أَنْ زَيْدًا قَائِمًا)، ولكن قل: (هَبْ زَيْدًا قَائِمًا)، لأنَّ (هَبْ) من أخوات (ظَنَّ).

لكن هذا مطرَّدٌ عند الفقهاء، بل عند العلماء، (هَبْ أَنْ هَذَا كَذَا) لا ينكره أحد، وإذا قُدِّرَ أن هذا لا يصحُّ لغةً، فهو حقيقة عرفية في لغة العلماء.

٦٨١- وَرَوَاهُ عِنْدَكُمْ الْبُخَارِيُّ الْمُجَسَّمُ سِمٌ بَلْ رَوَاهُ مُجَسَّمٌ فَوْقَانِي

قَوْلُهُ: «مُجَسَّمٌ فَوْقَانِي» الْمُجَسَّمُ الْفَوْقَانِي هو أعلى طبقات السند، وهو الصحابي، فالصحابي عندهم مُجَسَّمٌ، بل النَّبِيُّ ﷺ مُجَسَّمٌ عندهم، لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ هو الذي حدَّث بهذا الحديث.

فهم يقولون: إذا أثبتنا أن كلامه بصوت صار له جسم، فالبخاري مُجَسَّمٌ.

نقول: لا، البخاري ليس وحده مُجَسَّمًا، بل النَّبِيُّ ﷺ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- مُجَسَّمٌ، لأنه هو الذي قال ذلك.

والبخاري مجسّم، ولهذا يصفون أهل السنة بأنهم مجسّمَةٌ حشويّةٌ نوابت والمجسّم هو الذي يقول: إنَّ الله جِسْم، والحشويُّ الذي على الحواشي والأطراف، يعني: ليسوا من صُلب الأمة، بل هم حواشي الأمة لا خير فيهم، والنوابت هي ما يَبْتُتُ في الزرع من الشجيرات التي تُرْمَى وليس فيها خير، ويسمونهم الغُثَاء.

لكن هل يُمنع هذا؟ الذين كَذَّبوا الرسلَ قالوا للرسل: (ساحر ومجنون) قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، ولم يضرُوا الرسلَ شيئاً.

٦٨٢- أَيَصِحُّ فِي عَقْلِ وَفِي نَقْلِ نِدَا ۚ لَيْسَ مَسْمُوعًا لَنَا بِأَذَانِ  
الجواب: لا يَصِحُّ، لو فرضنا أننا حذفنا كلمة: (بصوت) وقلنا: (فَيَنَادِي):  
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ) فهذا كافٍ في إثبات الصوت، وليس لازماً.

٦٨٣- أَمْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ وَالْعُقَلَاءُ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ وَأَهْلِ كُلِّ لِسَانِ  
يعني: لسان العربية، وأهل كل لسان غير العربية.

٦٨٤- أَنَّ النَّدَا الصَّوْتُ الرَّفِيعُ وَضِدُّهُ فَهُوَ النَّجَاءُ كِلَاهُمَا صَوْتَانِ

٦٨٥- وَاللَّهُ مَوْصُوفٌ بِذَلِكَ حَقِيقَةً هَذَا الْحَدِيثُ وَمُحْكَمُ الْقُرْآنِ

فقد وصف الله نفسه بذلك في آيةٍ واحدةٍ، وهي قوله تعالى: ﴿وَنَدَّيْتَهُ مِنْ جَانِبِ  
الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، هذا من البُعد ﴿وَقَرَّيْتَهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، هذا من الدُّنُوِّ،  
وهل يُعقل نداءً بلا صوت؟ أو مُناجاةً بلا صوت؟ الجواب: لا، لكنَّ النداءَ  
صوتٌ رفيعٌ، والمناجاةُ صوتٌ خَفِيٌّ، إذن ثبت أن الله يتكلَّم بصوت.

- ٦٨٦- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لَابْنِ مَسْعُودٍ صَرِيحًا أَنَّهُ ذُو أَحْرَفٍ بِبَيَانِ  
 ٦٨٧- الْحَرْفُ مِنْهُ فِي الْجَزَاءِ عَشْرٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا فِيهِنَّ مِنْ نُقْصَانِ  
 ٦٨٨- وَانظُرْ إِلَى السُّورِ الَّتِي افْتُتِحَتْ بِأَحْرِفِهَا تَرَى سِرًّا عَظِيمَ الشَّانِ  
 ٦٨٩- لَمْ يَأْتِ قَطُّ بِسُورَةٍ إِلَّا أَتَى فِي إِثْرِهَا خَبْرٌ عَنِ الْقُرْآنِ  
 ٦٩٠- إِذْ كَانَ إِخْبَارًا بِهِ عَنْهَا، وَفِي هَذَا الشِّفَاءِ لَطَالِبِ الْإِيمَانِ  
 ٦٩١- وَيَدُلُّ أَنَّ كَلَامَهُ هُوَ نَفْسُهَا لَا غَيْرَهَا وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ  
 ٦٩٢- فَانظُرْ إِلَى مَبْدَأِ الْكِتَابِ وَبَعْدَهَا أَلْفَ  
 ٦٩٣- مَعِ تَلْوِهَا أَيْضًا وَمَعَ ﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿يَس﴾ وَافْتَهَمَ مُقْتَضَى الْفَرْقَانِ

### الشرح

- ٦٨٦- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لَابْنِ مَسْعُودٍ صَرِيحًا أَنَّهُ ذُو أَحْرَفٍ بِبَيَانِ  
 ٦٨٧- الْحَرْفُ مِنْهُ فِي الْجَزَاءِ عَشْرٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا فِيهِنَّ مِنْ نُقْصَانِ  
 يقول - رحمه الله - في الاستدلال على أن كلام الله بحرف: اذكر هذا الحديث الذي رواه ابن مسعود<sup>(١)</sup> أن القرآن ذو أحرف، للحرف منه في الجزاء عشر من الحسنات ما فيهن من نقصان، ووجه ذلك أن الحسنات بعشر أمثالها، وهو حديث:

(١) ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود الهذلي، الصحابي الجليل، أسلم قديماً، ولازم النبي ﷺ، وكان صاحب نعليه وسواكبه، ومن أشبه الناس به في هديه وسمته وكلامه، توفي في المدينة سنة (٥٣٢هـ)، وذكر في مختصر صفوة الصفوة أن عمره ثلاث وستون سنة. [الشارح]. وانظر: تقريب التهذيب (ص: ٥٣٣).

«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الذَّكَرُ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»<sup>(١)</sup>، وهذا صريح في أنَّ القرآن حروف.

٦٨٨- وَأَنْظُرُ إِلَى السُّورِ الَّتِي افْتَتَحَتْ بِأَحَدٍ رُفُهَا تَرَى سِرًّا عَظِيمَ الشَّانِ

يعني: انظر إلى السور التي افتتحت بالأحرف الهجائية ترى سِرًّا عظيم الشان، وهذه الأحرف اختلف العلماء فيها على أقوال:

القول الأول: الله أعلم بها، ولا نقول شيئاً.

ومنهم من قال: إنها رموز وإشارات، إما إلى بقاء الأمة الإسلامية، أو إلى حروب، أو غير ذلك.

ومنهم من قال: إنها أسماء للسور التي ابتدأت بها.

ومنهم من قال: إنه لا معنى لها.

والفرق بين هذا القول والأول: أنَّ الأول مُتَوَقَّفٌ، ويقول: (الله أعلم بما أراد)، وهذا يجزم بأنه ليس لها معنى، وهذا القول أَصَحُّ الأقوال.

وجه رجحانه: أنَّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب كما قال الله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وأنَّ العربَ لا يجعلون لهذه الحروف الهجائية معنى، وعلى هذا فنجزم بأنه لا معنى لها في حدِّ ذاتها، لكن لها مغزى.

أما إذا قلنا: (الله أعلم بما أراد) فمعنى ذلك أنه يحتمل أن لها معنى، وهذا الاحتمال غير وارد ما دام القرآن باللغة العربية.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، برقم (٢٩١٠).

فإذا قال قائل: أيُّ فائدةٍ لنا بحروفٍ ليس لها معنى، والقرآن الكريم أعظم الكلام، فكيف يكون فيه ما ليس له معنى؟

الجواب: هنا يتبيّن قول الناظم رحمه الله: (تَرَى سِرًّا عَظِيمَ الشَّانِ) يعني: أن وجود هذه الحروف الهجائية له سِرٌّ عظيم، أشار إليه بقوله.

٦٨٩- لَمْ يَأْتِ قَطُّ بِسُورَةٍ إِلَّا أَتَى فِي إِثْرِهَا خَبْرٌ عَنِ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «لَمْ يَأْتِ قَطُّ بِسُورَةٍ» يعني: لم تأتِ هذه الحروف إِلَّا أتى في إثرها خبرٌ عن القرآن أي: ذكرٌ للقرآن.

ففي البقرة: ﴿آلَهُ ۙ ﴿١﴾ ذَلِكَ أَنْ كَتَبَ لَرَبِّهِ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢]، وفي آل عمران: ﴿آلَهُ ۙ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١-٣]، وبعدها الأعراف: ﴿الْمَصَّ ۙ ﴿١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١-٢]، بعد ذلك يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، كلها يُذكر بعدها الكتاب. ثم في مريم وطه.

ففي مريم قوله تعالى: ﴿كَهَيْعَصَ ۙ ﴿١﴾ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ١-٣] هنا قد تقول: أين ذكر القرآن؟ نقول: ذكر القرآن هو بهذا الخبر الذي لا يُعلم إِلَّا بالوحي، فلا يعلم أحد قصص الأنبياء في عهد الرسول ﷺ إِلَّا عن طريق الوحي؟! وفي طه: ﴿طه ۙ ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ١-٢].

بعد ذلك (ذوات طس) ففي الشعراء: ﴿طسَمَ ۙ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ﴾ [الشعراء: ١-٣]، وفي النمل: ﴿طسَّ ۙ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾

[مریم: ١]، وفي القصص: ﴿طَسَّ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [القصص: ١-٢].

وكذلك في العنكبوت: ﴿الْم ۝١ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢]، فهذا خبر عما مضى لا يُعَلَّمُ إِلَّا عن طريق الوحي.

ومثلها في الروم: ﴿الْم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي آدْنَى الْأَرْضِ﴾ [الروم: ١-٣].

وكذلك لو قال قائل: في ﴿الْم ۝١ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢] وكذلك في أول سورة الروم: ﴿الْم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢﴾ في آدْنَى الْأَرْضِ ﴿ [الروم: ١-٣] لم يأت فيها ذكر عن القرآن؟

نقول: نعم، فقوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، صحيح أنه ليس فيه ذكر القرآن، لكن فيه ذكر أهل القرآن أنهم يصبرون على الأذى، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣].

أما قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ففيه خبرٌ عن أمرٍ غيبي، وهذا لا يكون إِلَّا عن طريق الوحي، والفُرْسُ في ذلك الوقت كانت لهم الدولة والقوة والعزة، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ في بَضْعِ سِنِينَ ﴿ [الروم: ٣-٤]، وهذا لا يُعَلَّمُ إِلَّا عن طريق الوحي.

وفي لقمان: ﴿الْم ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ١-٢]، وفي تنزيل السجدة: ﴿الْم ۝١ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ١-٢] وهلمَّ جَرًّا.

إِذْ هذا السر هو أَنَّ هذا الكلام الذي أعجز العرب -وهم أمراء الفصاحة- والبلغاء إنما جاء بهذه الحروف، لم يأت بحروف جديدة، لثلا يقولوا: نحن -والله- لا نعرف الحروف التي جيء بها، بل جاء بهذه الحروف.

قال الناظم - رحمه الله -:

٦٩٠- إِذْ كَانَ إِخْبَارًا بِهِ عَنْهَا، وَفِي هَذَا الشِّفَاءِ لِطَالِبِ الْإِيمَانِ

٦٩١- وَيَدُلُّ أَنَّ كَلَامَهُ هُوَ نَفْسُهَا لَا غَيْرَهَا وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ

هذا هو السر العظيم الذي يجهله كثير من الناس.

٦٩٢- فَانظُرْ إِلَى مَبْدَأِ الْكِتَابِ وَبَعْدَهَا أَلْ أَعْرَافُ، ثُمَّ كَذَا إِلَى لُقْمَانَ

٦٩٣- مَعَ تَلْوِهَا أَيْضًا وَمَعَ ﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿يَسَّ﴾ وَأَفْهَمُ مُقْتَضَى الْفَرْقَانِ

قَوْلُهُ: «مَبْدَأُ الْكِتَابِ» أَي: (البقرة).

وَقَوْلُهُ: «بَعْدَهَا الْأَعْرَافِ» يَعْنِي: انظر إلى الأعراف، وليس المعنى أَنَّ

(الأعراف) بعد البقرة، لأنَّ بينها (آل عمران).

فالمؤلف ترك بعضًا مثل (آل عمران) إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ (آل عمران) مثل

(البقرة) مبدوءة بـ (الم)، لكن الظاهر أنه - رحمه الله - ما أراد الاستقصاء، فهناك

أيضًا في (ق)، و(ص)، و(ن).

إِذْنِ الْمُؤَلِّفِ - رحمه الله - ما أراد الحصر، إنما أتى بشيء للتمثيل فقط، لكن

المعنى: إذا نظرت إلى هذه فانظر إلى هذه.

قَوْلُهُ: «إِلَى لُقْمَانَ مَعَ تَلْوِهَا أَيْضًا» وَهِيَ تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ.

قَوْلُهُ: «وَمَعَ ﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿يَسَّ﴾» وَالْمُرَادُ بِـ (حَم) الْجِنْسُ، فَيَشْمَلُ كُلَّ

ذَوَاتِ (حَم). وَقَوْلُهُ: «مَعَ ﴿يَسَّ﴾» أَي: ففِيهَا أَيْضًا.

## فصل

### فِي إِزَامِهِمُ الْقَوْلَ بِنْفِي الرِّسَالَةِ إِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ

- ٦٩٤- وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوصِيَّ أَمْرٍ  
 ٦٩٥- وَمُخَاطَبٌ وَمُحَاسِبٌ وَمُنَبِّئٌ  
 ٦٩٦- وَمُكَلِّمٌ مُتَكَلِّمٌ بَلْ قَائِلٌ  
 ٦٩٧- هَادٍ يَقُولُ الْحَقَّ يُرْشِدُ خَلْقَهُ  
 ٦٩٨- فَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ فَكُلُّ هَـ  
 ٦٩٩- وَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ كَذَلِكَ أَلِ  
 ٧٠٠- فَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ تَبْلِيغٌ كَلَا  
 ٧٠١- وَحَقِيقَةُ الْإِرْسَالِ نَفْسُ خِطَابِهِ  
 ٧٠٢- نَوْعٌ بَغَيْرِ وَسَاطَةِ كَلَامِهِ  
 ٧٠٣- مِنْهُ إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ  
 ٧٠٤- وَالْآخِرُ التَّكْلِيمُ مِنْهُ بِالْوَسَا  
 ٧٠٥- وَحْيٍ وَإِرْسَالٌ إِلَيْهِ وَذَلِكَ فِي الشُّ
- نَاهِ مُنَبِّ مُرْسِلٌ لِيَبَانَ  
 وَمُحَدِّثٌ وَمُخَبِّرٌ بِالشَّانِ  
 وَمُحَذِّرٌ وَمُبَشِّرٌ بِأَمَانِ  
 بِكَلَامِهِ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ  
 إِذَا مُتَّفِعٌ مُتَحَقِّقٌ الْبُطْلَانِ  
 إِرْسَالٌ مِنْفِيَّ بِإِلَافِ قَرَانِ  
 مِ الْمُرْسِلِ الدَّاعِي بِإِلَاقِصَانِ  
 لِلْمُرْسَلِينَ وَأَنَّهُ نَوْعَانِ  
 مُوسَى وَجِرِيْلَ الْقَرِيبِ الدَّانِي  
 إِذَا لَا تَرَاهُ هَاهُنَا الْعَيْنَانِ  
 طَةً، وَهُوَ أَيْضًا عِنْدَهُ ضَرْبَانِ  
 سُورَى أَتَى فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ

## الشرح

٦٩٤- وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوصِيَّ أَمِيرٍ نَاهٍ مُنْبِئٌ مُرْسِلٌ لِبَيَانِ

٦٩٥- وَمُخَاطَبٌ وَمُحَاسِبٌ وَمُنْبِئٌ وَمُحَدِّثٌ وَمُخَبِّرٌ بِالشَّانِ

٦٩٦- وَمُكَلِّمٌ مُتَكَلِّمٌ بَلْ قَائِلٌ وَمُحَذِّرٌ وَمُبَشِّرٌ بِأَمَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوصِيَّ أَمِيرٍ» ففي القرآن قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِهِ﴾

[الأنعام: ١٥١].

قَوْلُهُ: «أَمِيرٌ» والأوامر في القرآن كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

قَوْلُهُ: «نَاهٍ» أيضا النواهي كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾

[النساء: ٣٦].

قَوْلُهُ: «مُنْبِئٌ» أي: مُخْبِرٌ من نَبَأٍ إذا أَخْبَرَهُ، وأخبار القرآن كثيرة، وفي نسخة

(مُثَبِّبٌ) يعني: أَنْ مَنْ أَمَثَلَ أَمْرَهُ أَثَابَهُ، ولكن (مُثَبِّبٌ) لا علاقة لها بالكلام، ففي

الواقع الذي يتعلَّق بالكلام هو الإنباء.

وَقَوْلُهُ: «مُرْسِلٌ» مثل قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ [النبا: ١-٢]

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧].

قَوْلُهُ: «مُرْسِلٌ» الدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ١١٩].

قَوْلُهُ: «وَمُخَاطَبٌ» (مُخَاطَبٌ) ليست في القرآن بلفظها، لكن بمعناها، فهو

يَتَكَلَّمُ مع موسى، يقول تعالى: ﴿قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوْسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾

قَالَ خُذْهَا﴾ [طه: ١٩-٢١] وهذا خطاب.

قَوْلُهُ: «وَمُحَاسِبٌ» (محاسب) هذه -عندي- محل إشكال، لأنَّ المحاسبة ليست في القرآن، يعني: أنه يحاسب الناس في القرآن، لكن قد يقول قائل: المحاسبة وإن كانت في الآخرة فهي قول، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قَوْلُهُ: «وَمُنْبِيٌّ» حينئذ يكون كلام المؤلف فيه تكرار على النسخة التي عندي، لأنَّ (مُنْبٍ) هي (مُنْبِيٌّ) ولا فرق.

أما على النسخة التي عندنا (مُنْبٍ) فيكون الفرق بين (مُنْبِيٌّ، وَمُنْبٍ) أنَّ (مُنْبِيٌّ) من أنباء، و(مُنْبٍ) من نبأ، وهما في اللغة العربية معناهما واحد، ولا مانع أن الإنسان يُكْرِّر اللفظة إذا اختلف اللفظ، رأيتم قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَهَلِ الْكٰفِرِيْنَ اٰمٰهَلَهُمْ رُوْبِدًا﴾ [الطارق: ١٧] هما كلمتان معناهما واحد لكن اختلفا في الحروف.

قَوْلُهُ: «مُحَدَّثٌ» قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] فهو مُحَدَّثٌ، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ﴾ [الأنبياء: ٢].

لكن من أين أخذنا أنه مُحَدَّثٌ من الآية؟ الجواب: مُحَدَّثٌ مأخوذ من قوله: ﴿تُحَدِّثُ﴾ أي: جديد، فهذا الذكر إن كان مُحَدَّثًا فقد قاله وحَدَّث به.

قَوْلُهُ: «وَمُحَبَّرٌ بِالشَّانِ» هو أيضا مُحَبَّرٌ ومُحَبَّرٌ، لأنَّ جميع الجمل الخبرية تعتبر خبرًا من الله -تبارك وتعالى- مثل قوله تعالى: ﴿يَكَايْهَا النَّاسُ إِنْ كُتِبَ فِي رَبِّ مَنْ أَلْبَعَثَ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

قَوْلُهُ: «وَمُكَلِّمٌ مُتَكَلِّمٌ» مُكَلِّمٌ قال الله تعالى بالنسبة لموسى -عليه السلام-: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

والغريب أن الذين ينكرون الكلام يقولون: معنى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ أي: جَرَّحَهُ بِمَعْنَى الْجَرْحِ، أي: جَرَّحَهُ بِمُخَالَفِ الْحِكْمَةِ.

سبحان الله! وهذا لا شك أنه قولٌ على الله بلا علم، وليس بلائِقٍ إطلاقاً.  
قَوْلُهُ: «مُتَكَلِّمٌ» أيضاً هو متكلمٌ عموماً، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

قَوْلُهُ: «بَلْ قَائِلٌ» قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]،  
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، والآيات في هذا كثيرة.

قَوْلُهُ: «وَمُحَدِّثٌ» قال الله تعالى: ﴿وَيَحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قَوْلُهُ: «وَمُبَشِّرٌ» قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَهُ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ﴾ [الصافات: ١٠١]،  
(وعليم) أيضاً.

قَوْلُهُ: «بِأَمَانٍ» أي: مُؤْمِنٌ لِمَنْ بَشَّرَهُ.

فإن قال قائل: وهل يجوز أن نُسَمِّيَ شَخْصًا بـ(عبد المُخَبَّر) أو (عبد المُبَشِّر) إلى آخر ذلك من هذه الأوصاف السابقة التي يُوصَفُ اللهُ بها؟

الجواب: الظاهر أن هذا للأسماء فقط، إلا الوصف الذي لا يُوصَفُ به سوى الله - عزَّ وجلَّ - فيجوز كـ(رَبِّ العالمين)، و(أرحم الراحمين)، وما أشبه ذلك.

٦٩٧- هَادٍ يَقُولُ الْحَقَّ يُرْشِدُ خَلْقَهُ بِكَلَامِهِ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «هَادٍ يَقُولُ الْحَقَّ يُرْشِدُ خَلْقَهُ» هَادٍ، لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قَوْلُهُ: «يَقُولُ الْحَقُّ» كقوله تعالى: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٢٣] أي قالوا: قال الحق.

قَوْلُهُ: «يُرْشِدُ خَلْقَهُ» لقوله تعالى: ﴿يَسِّرُنَا اللَّهُ لِكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، وضد الضلال الرُّشْد.

قَوْلُهُ: «بِكَلَامِهِ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ» يعني: أنه عزَّ وجلَّ يُرْشِدُ الخلق بكلامه، فيقول: افعلوا كذا، لا تفعلوا كذا.

٦٩٨- فَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ فَكُلُّ هـَذَا مُتَّفَقٌ مُتَحَقِّقٌ الْبُطْلَانِ

يعني: إذا لم يكن يتكلم فليس بمُحَدَّث، ولا مُخْبِرٍ ولا مرشد... إلخ، كل هذا ينتفي عن الله عزَّ وجلَّ.

يقول - رحمه الله تعالى -: إذا انتفت صفة الكلام انتفى الوحي والرسالة، لأنَّ الوحي خبرٌ وإرسال ووصية وغير ذلك، فهذه كُلُّهَا تنتفي إذا انتفت صفة الكلام، ووجه ذلك: كيف يكون مخبرًا؟ كيف يكون أمرًا ناهيًا بلا كلام؟! هذا لا يمكن.

كذلك أيضا إذا انتفت صفة الكلام انتفت صفة الرسالة، لأنَّ الرسول يُبَلِّغُ كَلَامَ مَنْ أَرْسَلَهُ، فيقول: قال ربكم، قال الله، فإذا انتفت صفة الكلام انتفت الرسالة.

٦٩٩- وَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ كَذَلِكَ أَلْ-إِرْسَالُ مَنْفِيٍّ بِإِلْفِرْقَانِ

يعني: ينتفي أيضا إرسال الرسل، لأنَّ إرسال الرسل لا بدَّ أن يكون بوحي، والوحي لا يكون إلا كلامًا.

٧٠٠- فَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ تَبْلِيغٌ كَلَامِ الْمُرْسَلِ الدَّاعِي بِلَا نَقْصَانٍ

هذه هي الرسالة: أن يُبَلِّغَ كَلامَ الذي أرسله بلا نقصان، يعني: وبلا زيادة.

٧٠١- وَحَقِيقَةُ الْإِرْسَالِ نَفْسُ خِطَابِهِ لِلْمُرْسَلِينَ وَأَنَّهُ نَوْعَانِ

نعم، حقيقة الإرسال أنه يخاطبُ المرسلين، ويقول: بَلِّغُوا كَذَا وَكَذَا، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفُحُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، لكن يقول: إنه نوعان:

٧٠٢- نَوْعٌ بَغَيْرِ وَسَاطَةِ كَلَامِهِ مُوسَى وَجِبْرِيلَ الْقَرِيبَ الدَّانِي

هذا مثال، والمثال لا يقتضي الحصر، يكون بلا واسطة ككلامه موسى، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، وكذلك أيضا كلام الله تعالى لمحمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ليلة المعراج، فإنَّ الله كلمه بلا واسطة، وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة بلا واسطة، وحصلت المراجعة بينه وبين الله عَزَّ وَجَلَّ بلا واسطة.

٧٠٣- مِنْهُ إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ إِذْ لَا تَرَاهُ هَاهُنَا الْعَيْنَانِ

يعني أن الله -سبحانه وتعالى- يكلمهم من وراء حجاب بلا واسطة، يسمعون كلامه لكن «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ<sup>(١)</sup> مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»<sup>(٢)</sup>. أي: أحرقت كل شيء، لأنَّ بصره محيطٌ بكل شيء،

(١) أي: نُورُهُ وَجَلالُهُ وَبَهائُهُ. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٣١٩/١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينام» وفي قوله:

«حجابه النور»، برقم (١٧٩).

فالمعنى أنها أحرقت كل شيء، وليس المعنى أن هناك شيئاً لا ينتهي إليه بصر الله، لأننا نعلم علم اليقين أن بصر الله محيط بكل شيء، فهذا من باب المبالغة.

قوله: «إِذْ لَا تَرَاهُ هَا هُنَا الْعَيْنَانِ» إشارة إلى الدنيا يعني أنه في الدنيا لا يراه الناس، وأما في الآخرة فإنهم يرون الله، كما في الحديث: قَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

٧٠٤- وَالْآخِرُ التَّكْلِيمُ مِنْهُ بِالْوَسَا طَةً، وَهُوَ أَيُّضًا عِنْدَهُ ضَرْبَانِ

٧٠٥- وَوَحْيٌ وَإِرْسَالٌ إِلَيْهِ وَذَلِكَ فِي الشُّ شُورَى أَتَى فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ

الآخر التكليم بواسطة، وهو نوعان: وحي، وإرسال، قال الله عز وجل:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ﴾

[الشورى: ٥١].

قوله: «وَحْيٌ» أي: يُلْهِمُ الْوَحْيَ بِوَسْطَةِ الرَّسُولِ.

قوله: «وَإِرْسَالٌ» الإرسال: يأتيه الرسول الذي هو الملك يأتيه مباشرة،

فأحياناً يأتيه الملك على صورة إنسان أو على الصورة التي خلق عليها، فجبريل

-عليه السلام- أتى النبي ﷺ على الصورة التي خلق عليها مرتين: مرة وهو في

غار حراء، ومرة وهو عند سدرة المنتهى، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾

﴿١٣﴾

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، برقم (٦٢٠٤).

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿ [النجم: ١٣-١٤]، فصارت أنواع الوحي الآن ثلاثة:

الأول: وحي بلا واسطة.

الثاني: وحي بواسطة لكن بواسطة الرسول من غير أن يرى الرسول.

الثالث: أن يرى الرسول يتمثل له ويخاطبه على صفة البشر.

وعلى كُُلِّ فكلها كلام الله سواء أكان بلا واسطة أم كان بواسطة.

\*\*\*

## فصل

فِي الْإِلْزَامِ التَّشْبِيهِ لِلرَّبِّ بِالْجَمَادِ النَّاqِصِ إِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ الْكَلَامِ

- ٧٠٦- فَإِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ الْكَلَامِ فَضِدُّهَا خَرَسٌ وَذَلِكَ غَايَةُ النُّقْصَانِ
- ٧٠٧- فَلَمَّا زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي هُوَ قَابِلٌ مِنْ أُمَّةِ الْحَيَوَانِ
- ٧٠٨- وَالرَّبُّ لَيْسَ بِقَابِلٍ صِفَةَ الْكَلَامِ م فَتَفِيهُمَا مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
- ٧٠٩- فَيَقَالُ: سَلْبُ كَلَامِهِ وَقَبُولُهُ صِفَةَ الْكَلَامِ أَتَمُّ لِلنُّقْصَانِ
- ٧١٠- إِذْ أَخْرَسُ الْإِنْسَانَ أَكْمَلَ حَالَهُ مِنْ ذَا الْجَمَادِ بِأَوْضَحِ الْبُرْهَانِ
- ٧١١- فَجَحَدْتَ أَوْصَافَ الْكَمَالِ مَخَافَةَ التَّجَسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْإِنْسَانِ
- ٧١٢- وَوَقَعْتَ فِي تَشْبِيهِهِ بِالْجَمَادِ تِ النَّاقِصَاتِ، وَذَا مِنْ الْخِذْلَانِ
- ٧١٣- اللَّهُ أَكْبَرُ هَتَّكَتْ أَسْتَارَكُمْ حَتَّى غَدَوْتُمْ ضُحْكَةَ الصَّبِيَّانِ

## الشرح

يقول - رحمه الله -:

- ٧٠٦- فَإِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ الْكَلَامِ فَضِدُّهَا خَرَسٌ وَذَلِكَ غَايَةُ النُّقْصَانِ قَوْلُهُ: «ذَلِكَ» أي: الخرس غاية النقصان.

٧٠٧- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي هُوَ قَابِلٌ مِنْ أُمَّةِ الْحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ قَابِلٌ مِنْ أُمَّةِ الْحَيَوَانِ» أي: قابل للكلام من بني الإنسان.

٧٠٨- وَالرَّبُّ لَيْسَ بِقَابِلٍ صِفَةَ الْكَلَامِ فَتَنْقِيهَا مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانٍ

يعني: نفي الكلام عن الله ليس فيه نقص، لأنه أصلاً لا يقبل الكلام، فلو قلت: (الجدار لا يتكلم) فلا نقص، لأنه غير قابل للكلام.

٧٠٩- فَيُقَالُ: سَلَبُ كَلَامِهِ وَقَبُولُهُ صِفَةُ الْكَلَامِ أَيْ لِلنُّقْصَانِ

قَوْلُهُ: «لِلنُّقْصَانِ» أي: أشد نقصاناً، يعني: كونه يقول مثلاً: إنه لا يتكلم، لأنه غير قابل للكلام، هذا أشد من أن نقول: إنه لا يتكلم، لأنه أصيب بالخرس، إذ إنَّ من المعلوم أنَّ الإنسان خيرٌ من الجماد.

فمثلاً الرجل الأعمى أكمل من الجدار، لأنه قابل للبصر، والجدار غير قابل للبصر، وما يقبل الكمال أكمل من الذي لا يقبل الكمال، لا شك، فكلُّ واحد يعرف، ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا فَقَالَ:

٧١٠- إِذَا خَرَسَ الْإِنْسَانُ أَكْمَلَ حَالَهُ مِنْ ذَا الْجَمَادِ بِأَوْضَحِ الْبُرْهَانِ

الإنسان الأخرس أكمل حالاً من الجماد الذي لا يقبل الكلام، لأنَّ الإنسان الأخرس قابلٌ للكلام، وهو صفة كمال، والجماد ليس بقابلٍ أصلاً مهما قُلْتَ، فلا يمكن أن يقبل.

٧١١- فَجَحَدَتْ أَوْصَافَ الْكَمَالِ مَخَافَةَ التَّجَسُّيمِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْإِنْسَانِ

٧١٢- وَوَقَعَتْ فِي تَشْبِيهِهِ بِالْجَامِدِ مِنَ النَّاقِصَاتِ، وَذَا مِنْ الْخِذْلَانِ

صدق - رحمه الله تعالى - هم يقولون: نفى صفة الكلام عن الله، لأنه غير قابل للكلام، فلا يكون نفى الكلام عنه نقصاً كما لو نفينا الكلام عن الجدار مثلاً.

فيقال: قولكم: (إنه لا يقبل الكلام) أشدُّ نقصاً من قولكم: (إنه يقبل الكلام ولكنه لا يتكلم) بلا شك.

يقول: أنت الآن نفيت صفة الكلام مخافة أن تُشبهه بالإنسان، ووقعت بتشبيهه بالجماد.

وأيهما أولى أن يُشبه الشيء بالإنسان أو يُشبه الشيء بالجماد؟ الجواب: بالإنسان، لا شك في هذا، ولهذا يقال: (فلان حجر) فهذا نقص، يعني: صلباً لا يلين أبداً، فلا يُشبه بالجماد إلا من هو أنقص ممن يُشبه بالإنسان.

٧١٣- اللهُ أَكْبَرُ هُتَّكَتْ أَسْتَارُكُمْ حَتَّى غَدَوْتُمْ ضُحْكَةَ الصَّيَّانِ

قوله: «هُتَّكَتْ أَسْتَارُكُمْ» هتكت الشيء يعني تمزيقه، والمعنى أن ما كنتم تستترون به الآن قد انكشف وبان، فقد هتكت الله أستارهم حتى صاروا ضحكة للناس، وعلى هذا فنقول: إذا انتفت صفة الكلام عن الله عز وجل انتفت صفة الكمال.

خلاصة هذا الفصل: أنه إذا انتفت صفة الكلام لله عز وجل لزم أن يكون مشابهاً للجماد الناقص، فالخرس نقص، وليس كما لا.

يقولون: نحن ننفي صفة الكلام ولا يكون نقصًا، لأنَّ كون نفي الكلام نقصًا فيما إذا كان يقبل الكلام، والرَّبُّ عندهم لا يقبل الكلام، ولذلك لو قلت للجدار: (إنه أخرس) ما صَرَّه، فيقال: إنكم وقعتم في شرٍّ مما فررتم منه، لأنه إذا كان لا يقبل الكلام صار مشابهًا للجهاد الذي لا يتكلم، فوقعتم في شرٍّ مما فررتم منه.

\*\*\*

## فصل

فِي إِلْزَامِهِم بِالْقَوْلِ بِأَنَّ كَلَامَ الْخَلْقِ - حَقُّهُ وَبَاطِلُهُ - عَيْنُ كَلَامِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -

- ٧١٤- أَوْلَيْسَ قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ بِأَنَّ أَفْ  
عَالَ الْعِبَادِ خَلِيقَةَ الرَّحْمَنِ
- ٧١٥- مِنْ أَلْفٍ وَجْهِ أَوْ قَرِيبِ الْأَلْفِ يُحْ  
صِيهَا الَّذِي يُعْنَى بِهِذَا الشَّانِ
- ٧١٦- فَيَكُونُ كُلُّ كَلَامٍ هَذَا الْخَلْقِ عَيْنِ  
نَ كَلَامِهِ، سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ!
- ٧١٧- إِذْ كَانَ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ كَلَامُهُ  
خَلَقًا كَبَّيَّتِ اللَّهُ ذِي الْأَرْكَانِ
- ٧١٨- هَذَا وَلَا زِمٌ قَوْلِكُمْ قَدْ قَالَهُ  
ذُو الْأُمْتَحَادِ مُصَرِّحًا بَيِّنًا
- ٧١٩- حَذَرَ التَّنَاقُضِ إِذْ تَنَاقَضْتُمْ وَلَـ  
كِنْ طَرَدُهُ فِي غَايَةِ الْكُفْرَانِ
- ٧٢٠- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ تَخْصِيصَ الْقُرْآنِ  
نِ كَبَيْتِهِ وَكَلَامُهَا خَلْقَانِ
- ٧٢١- فَيَقَالُ ذَا التَّخْصِيصِ لَا يَنْفِي الْعُمُ  
مَ وَلَا الْخُصُوصَ كَرَبِّ ذِي الْأَكْوَانِ
- ٧٢٢- وَيُقَالُ رَبُّ الْعَرْشِ أَيْضًا هَكَذَا  
تَخْصِيصُهُ لِإِضَافَةِ الْقُرْآنِ
- ٧٢٣- لَا يَمْنَعُ التَّعْمِيمَ فِي الْبَاقِي وَذَا  
فِي غَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبَيِّنِ

## الشرح

يقول: هذا إلزام، لما ألزمنهم فيما سبق بأن نفي الكلام يتضمن نفي الرسالة، وبأن نفي الكلام يتضمن النقص، ألزمنهم بإلزام ثالث بأن نفي الكلام يتضمن أن

يكون كلام الناس كلهم بل كلام الخلق كلهم حتى نباح الكلاب، وتهيق الحمير، كلام الله، وهذا لازم فاسد، لأنهم إذا قالوا: إن كلامه مخلوق، نقول: وكلام المخلوقات مخلوق، وإذا كان الكلام المخلوق يضاف إلى الله لزم أن يكون كلام المخلوقات كلاماً لله، لأنكم أنتم تقولون: يضاف الكلام إلى الله وإن كان مخلوقاً له.

إذن كلام البشر، وكلام الطير، وكلام الحمير، وكلام الكلاب، كله كلام الله على زعمكم، لأنه مخلوق لله.

فهم إذا قالوا: إن كلام الله عز وجل مخلوق وليس صفة له. لزم أن نقول: كل كلام في الوجود فهو كلام الله، لأن كل كلام في الوجود فهو مخلوق لله.

فإذا قلتم: القرآن مخلوق. لزم أن نقول: كل ما خلقه الله فهو كلامه، وكلام الآدمي مخلوق، فيكون -على قاعدتهم- كلاماً لله عز وجل.

يقول المؤلف -رحمه الله-:

٧١٤- أَوْلَيْسَ قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ بِأَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ خَلِيقَةُ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «خَلِيقَةُ» بمعنى: مخلوقة، قد قام الدليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله، وهل هو دليل واحد؟ قال المؤلف:

٧١٥- مِنْ أَلْفٍ وَجْهِ أَوْ قَرِيبِ الْأَلْفِ يُحَدِّثُهَا الَّذِي يُعْنَى بِهَذَا الشَّانِ

الله أكبر، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ألف دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله، لو أردنا أن نقرأها فقط لمللنا من ذلك، لكن مثل ابن القيم -رحمه الله- وشيخه ابن تيمية قد وهبهما الله عز وجل الفهم التام والعلم والإخلاص، فيستطيعون أن يقيموا ألف دليل أو قريباً من الألف على أن أفعال العباد مخلوقة.

لكننا نقول بكل بساطة، قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، يكفينا دليلاً، فقد قام الدليل على هذا.

قوله: «الَّذِي يُعْنَى بِهِذَا الشَّانِ» أي: يقضي به ويلتمس الأدلة النقلية والعقلية من الكتاب والسنة والعقل والحس، فهذا هو الذي يحصيها.

٧١٦- فَيَكُونُ كُلُّ كَلَامٍ هَذَا الْخَلْقِ عَيْنٌ مِنْ كَلَامِهِ، سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ!  
إذا قلت: إنَّ كلام الله مخلوق، قلنا: وكلام آدمي مخلوق لله عزَّ وجلَّ فيكون عينَ كلام الله، فيكون كلامي وكلام فلان، وفلان، وفلان هو كلام الله عزَّ وجلَّ لأنه مخلوق، والقرآن كلام الله، لأنه مخلوق.

٧١٧- إِذْ كَانَ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ كَلَامُهُ خَلَقًا كَبَيْتِ اللَّهِ ذِي الْأَرْكَانِ  
يعني: أنَّ كلام الله منسوبٌ إلى الله خلقًا لا وصفًا كالبيت ذي الأركان، ويعني بذلك الكعبة، قال الله عزَّ وجلَّ لإبراهيمَ وابنه إسماعيلَ: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

إِذْنُ كَلَامِ اللَّهِ - عَلَى رَأْيِهِمْ - لَيْسَ مَنْسُوبًا إِلَى اللَّهِ وَصَفًا، بَلْ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى اللَّهِ خَلَقًا، أَمَا كَلَامُ الْآدَمِيِّينَ فَمَنْسُوبٌ إِلَى اللَّهِ خَلَقًا، فَيَكُونُ كَلَامَهُ.

قوله: «سبحان ذي السلطان إذ كان منسوباً إليه كلامه - يعني: كلام الخلق - خلقاً»، ويجوز أن يكون (كلامه) أي: كلام الله.

يعني: إذا كان كلام الله منسوباً إليه لأنه خلقه، فليكن كلام البشر منسوباً إلى الله، لأنه خلقه.

فهم يقولون: نُسِبَ إلى الله لأنه خَلَقَهُ، وإضافته إليه كإضافة ناقة الله، وبيت الله إلى الله.

نقول: إذا كان منسوباً إليه لأنه خلقه، فقولوا: أيضاً بأن كلام الناس كلامُ الله منسوب إليه، لأنه خَلَقَهُ، فهذا يلزمهم.

فما داموا يجعلون القاعدة أن كُلَّ كلامٍ خَلَقَهُ الله فهو يُنْسَبُ إليه، فليكن كلامُ الخلق منسوباً إلى الله.

قَوْلُهُ: «كَبَيْتِ اللهُ ذِي الْأَرْكَانِ» بيت الله أضافه الله إليه خَلْقًا، لكنه أضافه للتشريف.

لما أضاف الله البيتَ إليه خَلْقًا هل منع أن يكون غيرُ بيتِ الله خَلْقًا له؟ فهو خلق المساجد الأخرى، خلق الجبال، خلق الأنهار، فلما أضاف الله البيت إلى نفسه خَلْقًا لم يكن هذا مانعاً بأن تُنْسَبَ إليه المخلوقات أيضاً، فكُلُّها مخلوقات الله، هذا الجبل خَلَقَ اللهُ، هذه الشمس خَلَقَ اللهُ، هذا البيت خَلَقَ اللهُ. فلما نُسبَ إلى الله خَلْقًا لم يمنع أن يُنْسَبَ إليه الآخر.

٧١٨- هَذَا وَلَازِمٌ قَوْلِكُمْ قَدْ قَالَهُ ذُو الْأَتْحَادِ مُصَرِّحًا بَيِّنَانِ

٧١٩- حَذَرَ التَّنَاقُضِ إِذْ تَنَاقَضْتُمْ وَلَكِنْ طَرَدُهُ فِي غَايَةِ الْكُفْرَانِ

أهل الأتِّحاد الذين قالوا بوحدة الوجود، قالوا: إنَّ كلامَ المخلوق هو كلامُ الخالق، لأنَّ المخلوق هو الخالق، وطرَدوا هذا، لثلا يكون تناقضٌ، لأننا إذا فرَّقنا بين كلام الله الذي هو القرآن وكلام المخلوق صار هناك تناقض، لذلك قال أهل الأتِّحاد: (كُلُّ كلامٍ في الوجود كلامُهُ)، وفيه بيت يقول:

وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَشْرُهُ وَنِظَامُهُ<sup>(١)</sup>

أهل الأتِّحاد قالوا: كُلُّ الوجودِ اتِّحد وصار واحداً، الرَّبُّ هو المربوب، فكلام المخلوق كلام الله عزَّ وجلَّ.

الجهمية تناقضوا، وأهل الأتِّحاد طردوا الباب، فقالوا: كلام الله هو كلام المخلوق، وكلام المخلوق هو كلام الله، ولا تتناقض.

فالجهمية لا يقولون: إِنَّ كَلَامَ المخلوقِ كَلَامُ الله، لكن يقولون: (كلام الله مخلوق) ونلزمهم بأنكم إذا جعلتم كلام الله مخلوقاً أن تجعلوا كلام غير الله مخلوقاً، لأنه مخلوق لله عزَّ وجلَّ فأضفه إلى الله خلقاً، لكنهم يابون ذلك إلا أننا نلزمهم بهذا.

لكنَّ ابن القيم - رحمه الله - احترز احترازاً واجباً، فقال: (ولكن طرده في غاية الكفران).

طرده بأن نقول: (كُلُّ كَلَامٍ فهو كَلَامُ الله) هذا في غاية الكفران.

ولا شك في ذلك، فنحن نكفِّره وأنتم تكفِّرونه، فالاتِّحاديُّ الذي يقول: (إِنَّ كَلَامَ الخلق هو عينُ كَلَامِ الخالق) كافر، نحن نكفِّره وهم يكفِّرونه أيضاً، وهذا الاطراد اطراد في باطلٍ، وهو غير مقبول.

٧٢٠- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ تَخْصِيصَ الْقُرْآنِ كَيْتِيهِ وَكِلَاهُمَا خَلْقَانِ

هم يزعمون هذا، فيقولون: إضافة الكلام إلى الله عزَّ وجلَّ إضافة بيت الله، خَصَّصَهُ تشريفاً وتكريماً له، لا لأنه وصفه.

(١) البيت من الطويل، وهو لابن عربي. انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ١٧٥).

٧٢١- فَيَقَالُ ذَا التَّخْصِيصِ لَا يَنْفِي الْعُمُومَ وَلَا الْخُصُوصَ كَرَبِّ ذِي الْأَكْوَانِ  
قَوْلُهُ: «فَيَقَالُ ذَا التَّخْصِيصِ لَا يَنْفِي الْعُمُومَ وَلَا الْخُصُوصَ» يعني: لا ينفي  
العموم، وهو أن يكون كُلِّ كلامٍ في الوجود كلامَ الله.

قَوْلُهُ: «وَالْخُصُوصَ» بحيث نقول: إنه مختصٌّ بالله عزَّ وجلَّ كَرَبِّ الْبَيْتِ  
مثلاً، فإذا كان الله عزَّ وجلَّ رَبَّ الْبَيْتِ هل ينفي أن يكون ربًّا لغيره؟ لا ينفي،  
وإذا كان القرآنُ كلامَ الله، لأنه خَلَقَهُ فلا ينفي أن يكونَ كلامُ الْآدَمِيِّينَ كلامَ الله،  
لأنه خلقه.

قَوْلُهُ: «كَرَبِّ ذِي الْأَكْوَانِ» فإنه رَبٌّ لِلْجَمِيعِ وَرَبُّ الْبَيْتِ أَيْضًا.

٧٢٢- وَيُقَالُ رَبُّ الْعَرْشِ أَيْضًا هَكَذَا تَخْصِيصُهُ لِإِضَافَةِ الْقُرْآنِ  
هل لما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، هل انتفى أن  
يكون ربًّا لغيره؟ الجواب: لا، كذلك إذا قلنا: القرآنُ كلامُ الله لا يمنع أن يكون  
كلامُ غيره كلامه أيضًا، فيكون كلامُ زيدٍ وكلامُ عمرو كلامَ الله، لأنَّ تخصيص  
بعض أفراد العموم لا يقتضي التخصيص.

٧٢٣- لَا يَمْنَعُ التَّعْمِيمَ فِي الْبَاقِي وَذَا فِي غَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبَيَّانِ  
فكذلك إذا أضاف الله الكلامَ -الذي زعمتم أنه مخلوق- إلى نفسه لا يمنع  
أن يكون غيره من الكلام منسوبًا إلى الله أيضًا، لأنه خَلَقَهُ، فالتخصيص لا يمنع  
التعميم.

إِذَنْ هَؤُلَاءِ فَرُّوا مِنْ شَيْءٍ، وَوَقَعُوا فِي شَيْءٍ شَرٍّ مِنْهُ، وَهَكَذَا كُلُّ مُبْتَدِعٍ، بَلْ  
كُلُّ مُحْطَى عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ فَإِنَّهُ يَفَرُّ مِنْ شَيْءٍ وَيَقَعُ فِي شَيْءٍ شَرٍّ مِنْهُ.

وخلاصة هذا الفصل: أنه يلزم على قولهم: (إنَّ كلامَ الله مخلوقٌ) أن يكون كُلُّ كلامٍ في الوجود كلامًا لله منسوبًا إليه، لأنَّ العلة في نسبة كلام الله إليه أنه مخلوق له.

فنقول: هذه العلة ثابتة في كلام الناس، فإنَّ كلامَ الناس مخلوقٌ لله، فيلزمكم على هذا أن يكونَ كلامُ الناس كلامًا لله، كما قلتم في الكلام المخلوق: إنه منسوب إلى الله.

نقول أيضًا: هذا كلام مخلوق، فينسب إلى الله.

فإذا قالوا: إنَّ نسبه إلى الله كنسبة البيت إلى الله، قلنا لهم: ونسبة البيت إلى الله لا تقتضي التخصيص، فإنَّ الله تعالى أضاف البيتَ إليه على سبيل التشريف، وأمَّا على سبيل الخلق، فإنَّ غيرَ البيت أيضًا داخلٌ في كونه مخلوقًا لله كـ(رَبِّ العرش) هل نقول: إنَّ الله لما أضاف ربوبيته إلى العرش اقتضى ذلك ألا يكون ربًّا لغيره؟ الجواب: لا، ما نقول هذا، فالتخصيص لا يمنع التعميم.

\*\*\*

## فصل

## في التفریق بین الخلق والأمر

- ٧٢٤- وَلَقَدْ آتَى الْفُرْقَانَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ  
 ٧٢٥- وَكِلَاهُمَا عِنْدَ الْمُنَانِعِ وَاحِدٌ  
 ٧٢٦- وَالْعَطْفُ عِنْدَهُمْ كَعَطْفِ الْفَرْدِ مِنْ  
 ٧٢٧- فَيَقَالُ: هَذَا ذُو امْتِنَاعٍ ظَاهِرٍ  
 ٧٢٨- فَاللَّهُ بَعْدَ الْخَلْقِ أَخْبَرَ أُمَّهَا  
 ٧٢٩- وَأَبَانَ عَنِ تَسْخِيرِهَا -سُبْحَانَهُ-  
 ٧٣٠- وَالْأَمْرُ إِمَّا مَصْدَرٌ أَوْ كَانَ مَفْعُولًا  
 ٧٣١- مَا أَمُورُهُ هُوَ قَابِلٌ لِلْأَمْرِ كَأَنَّ  
 ٧٣٢- فَإِذَا انْتَفَى الْأَمْرُ انْتَفَى الْمَأْمُورُ كَأَنَّ  
 ٧٣٣- وَأَنْظُرْ إِلَى نَظْمِ السِّيَاقِ تَجِدُ بِهِ  
 ٧٣٤- ذَكَرَ الْخُصُوصَ وَبَعْدَهُ مُتَقَدِّمًا  
 ٧٣٥- فَآتَى بِنَوْعِي خَلْقِهِ وَبِأَمْرِهِ  
 ٧٣٦- فَتَدَبَّرَ الْقُرْآنَ إِنْ رُمِتَ الْهُدَى
- أَمْرِ الصَّحِيحِ، وَذَلِكَ فِي الْفُرْقَانِ  
 وَالْكُلُّ خَلْقٌ، مَا هُنَا شَيْئَانِ  
 نَوْعٍ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ  
 فِي آيَةِ التَّفْرِيقِ ذُو تَبْيَانٍ  
 قَدْ سُخِّرَتْ بِالْأَمْرِ لِلْجَرِيَانِ  
 بِالْأَمْرِ بَعْدَ الْخَلْقِ بِالتَّبْيَانِ  
 عُوَلًا، هُمَا فِي ذَلِكَ مُسْتَوِيَانِ  
 مَمْنُوعٍ قَابِلٌ صَنْعَةَ الرَّحْمَنِ  
 مَخْلُوقٍ يُنْفَى لَانْتِفَا الْجِدْثَانِ  
 سِرًّا عَجِيْبًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ  
 وَالْوَصْفَ وَالتَّعْمِيمَ فِي ذَا الثَّانِي  
 فِعْلًا وَوَصْفًا مُوجِزًا بَيِّنًا  
 فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

## الشرح

أراد المؤلف في هذا الفصل أن يُبين أن القرآن غير مخلوق، وذلك في التفريق بين الخلق والأمر، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والأمر هو الشرع والقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، ففرّق الله بين الخلق والأمر، فالخلق هو الصُّنع، والأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، فبينهما فرقٌ عظيم، والفرق بين الأمر والخلق يظهر به أيضًا الفرق بين المأمور وبين المخلوق.

٧٢٤- وَلَقَدْ آتَى الْفُرْقَانَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ الصَّحِيحِ، وَذَاكَ فِي الْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «الفرقان» في الشطر الأول والثاني بينهما جناس تام، وهما في المعنى متباينان، فـ(الفرقان) الأول بمعنى: التفريق، و(الفرقان) الثاني بمعنى: القرآن.

واللفظان متفقان في النوع والترتيب، وإذا اتفقت الكلمتان في نوع الحروف وترتيبها مع اختلاف المعنى يُسمّى عندهم الجناس التام.

٧٢٥- وَكِلَاهُمَا عِنْدَ الْمُنَازِعِ وَاحِدٌ وَالْكُلُّ خَلْقٌ، مَا هُنَا شَيْئَانِ

قَوْلُهُ: «وَكِلَاهُمَا عِنْدَ الْمُنَازِعِ وَاحِدٌ» المراد بالمنازع هنا: مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فالأمر والخلق عنده سواء.

قَوْلُهُ: «وَالْكُلُّ خَلْقٌ مَا هُنَا شَيْئَانِ» الكُلُّ خَلْقٌ أَي: مخلوق، يعني: الأمر والخلق.

وأهل السنة والجماعة يقولون: هنا شيئان: خلق وأمر، فالأمر هو الوحي وهو صفته، والخلق هو مخلوقه وهو فعله.

٧٢٦- وَالْعَطْفُ عِنْدَهُمْ كَعَطْفِ الْفَرْدِ مِنْ نَوْعٍ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ

يقول: عطف الأمر على الخلق كعطف الفرد على النوع، يريد بذلك الخاص على العام، وهذا موجود في القرآن يعني: أن يُعْطَفَ شَيْءٌ عَلَى آخَرٍ أَعَمَّ مِنْهُ، فيكون فرداً من أفرادهِ، قال الله تعالى: ﴿ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ ﴾ [القدر:٤]، وَالرُّوحَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وليس مبايناً لهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ [البقرة:٢٣٨]، مع أن الصلاة الوسطى من الصلوات، فهذا عطف على النوع.

فهم يقولون: قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]، الخلق عام يشمل القرآن، والأمر: الشرع والقرآن، فهو عطف من باب عطف الخاص على العام، والكُلُّ شَيْءٍ وَاحِدٌ.

فَيُقَالُ فِي الرَّدِّ: الْأَصْلُ فِي الْعَطْفِ الْمَغَايِرَةُ، يَعْنِي أَنَّ الْمَعْطُوفَ غَيْرُ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ إِلَّا بِدَلِيلٍ، فَإِذَا وُجِدَ دَلِيلٌ أَخَذْنَا بِهِ، فَهَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ ﴾ [القدر:٤]، الرُّوحُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّ جِبْرِيْلَ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

أما قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ فالأمر غير الخلق، لأنَّ الْأَصْلَ فِي الْعَطْفِ الْمَغَايِرَةُ، وَهَذَا قَالَ: (فَيُقَالُ:...) وهذا جواب عليهم إذا قالوا: هذا من باب عطف الخاص على العام، والأمر مخلوق كالخلق، فقولهم هذا فاسد.

٧٢٧- فَيُقَالُ: هَذَا ذُو امْتِنَاعٍ ظَاهِرٍ فِي آيَةِ التَّفْرِيقِ ذُو تَبْيَانٍ

قَوْلُهُ: «فِي آيَةِ التَّفْرِيقِ» التَّفْرِيقُ يَعْنِي: بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْخَلْقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾، فَيُقَالُ: هَذَا مَمْتَنَعٌ.

٧٢٨- فَاللَّهُ بَعْدَ الْخَلْقِ أَخْبَرَ أُمَّهَا قَدْ سُخِّرَتْ بِالْأَمْرِ لِلْجَرِيَانِ

يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، و(النجوم) معطوفة على السموات التي هي مفعول (خَلَقَ)، فأتى بالأمر بعد أن خلق، خُلِقْنَ، ثُمَّ أُمِرْنَ، فالأمر توجيه للمخلوق، وهو غير الخلق.

قَوْلُهُ: «قَدْ سُخِّرَتْ بِالْأَمْرِ لِلْجَرِيَانِ» المراد النجوم تجري بأمر الله عز وجل.

وَقَوْلُهُ: «مُسَخَّرَاتٍ» حال من النجوم.

فإذن الأمر صار بعد الخلق، وليس هو الخلق، فإذا كان عندنا خلقٌ سابق وأمر لاحق، هل يمكن أن نجعل الأمر من الخلق؟ الجواب: لا يمكن، فهي خُلِقَتْ ثم وُجِّهَتْ وسُخِّرَتْ بأمر الله، فدلَّ هذا على أن الأمر غير الخلق.

٧٢٩- وَأَبَانَ عَنِ تَسْخِيرِهَا -سُبْحَانَهُ- بِالْأَمْرِ بَعْدَ الْخَلْقِ بِالتَّبْيَانِ

إِذْنُ نَقُولُ:

أَوَّلًا: جَعَلْنَا الْأَمْرَ مِنَ الْخَلْقِ خَطَأً، لوقوعه بعده، فهي قد خُلِقَتْ وانتهت، ثم أُمِرَتْ أمرًا جديدًا بالتسخير، فسُخِّرَتْ بأمر الله.

ثانيًا: من الرَّدِّ عليهم أن نقول: إنَّ الأصل في العطف المغايرة بالذات والنوع والجنس، ولا يمكن أن نجعل العطف من باب عطف الفرد على النوع، أو الخاص على العام إلا بوجود دليل.

٧٣٠- وَالْأَمْرُ إِمَّا مَصْدَرٌ أَوْ كَانَ مَفْعُولًا، هُمَا فِي ذَلِكَ مُسْتَوِيَانِ

قَوْلُهُ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأمر هنا هل هو مصدر أو اسم مفعول؟

يقول ابن القيم: اجعلها مصدرًا أو اجعلها اسم مفعول، فكلاهما يدل على أن الأمر ليس هو الخلق.

وجه ذلك أنك إذا جعلت الأمر مصدرًا - وهو واحد الأوامر - إذا جعلته مصدرًا، وهو الأظهر، فإنه يدل على أن هذا الأمر حصل بالقول، يعني: خَلَقَ، ثُمَّ أَمَرَ، وَإِنْ جَعَلْتَ الْأَمْرَ بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ - والمصدر يأتي بمعنى اسم المفعول - وهو رأي المعطلة فإنه ما من مأمورٍ إِلَّا وَقَدْ وُجِّهَ إِلَيْهِ أَمْرٌ، فمن لازم وجود المأمور وجود الأمر.

فإذن عاد التأويل الثاني وهو أن تجعل الأمر اسم مفعول إلى المعنى الأول وهو إثبات الأمر لله عز وجل، والأمر كما تقرّر عندنا الآن هو غير الخلق.

قَوْلُهُ: «هُمَا فِي ذَلِكَ مُسْتَوِيَانِ» أي: في المعنى لا يختلفان.

٧٣١- مَأْمُورُهُ هُوَ قَابِلٌ لِلْأَمْرِ كَالْمَصْنُوعِ قَابِلٌ صَنْعَةِ الرَّحْمَنِ

٧٣٢- فَإِذَا انْتَفَى الْأَمْرُ انْتَفَى الْمَأْمُورُ كَالْمَخْلُوقِ يُنْفَى لَانْتِفَاءِ الْحَدَثَانِ

يريد أن يبيّن أنه لا فرق بين أن نقول: الأمر مصدر، أو نقول: اسم مفعول، مثل: صنّع، يقال: الصنّع بمعنى المصنوع وبمعنى الفعل.

فليس هناك مأمورٌ إِلَّا وَقَدْ صَدَرَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ، فَقَبِلَ الْأَمْرَ، فَهُوَ (قَابِلٌ لِلْأَمْرِ كَالْمَصْنُوعِ).

وهل يوجد مصنوع بدون صنعة؟

الجواب: لا، إذن لا يوجد مأمور بدون أمر، فإذا انتفى الأمر انتفى المأمور، وإذا لم يوجد مأمور لم يوجد أمر، فهما متلازمان، يعني لو قلنا: إن الأمر هو الخلق. انتفى المأمور، لأنه حينئذ لا يوجد شيء يُوجّه إليه الأمر، فلا بُدَّ من إيجاد الشيء، ثمَّ أمره بما يريد الله عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «كَالْمَخْلُوقِ يُنْفَى لَانْتِفَا الْحِدْثَانِ» يعني: كما أننا لا يمكن أن نقول: (مخلوق) إِلَّا لِمَا حَدَثَ وَكَانَ، فلا يمكن أن يُؤمَر إِلَّا إذا كان موجودًا من قَبْلُ، ومخلوقًا من قَبْلُ.

٧٣٣- وَأَنْظُرْ إِلَى نَظْمِ السِّيَاقِ تَجِدُ بِهِ سِرًّا عَجِيبًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «نَظْمِ السِّيَاقِ» يعني الآية التي أشار إليها، وهي قوله تعالى: ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ما هو السرُّ العجيب؟ قال:

٧٣٤- ذَكَرَ الْخُصُوصَ وَبَعْدَهُ مُتَقَدِّمًا وَالْوَصْفَ وَالتَّعْمِيمَ فِي ذَا الشَّانِي

قَوْلُهُ: «ذَكَرَ الْخُصُوصَ» وهو قوله: ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وهذا خاصٌّ، ولم يقل: خلق كلُّ شيء. وَقَوْلُهُ: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ خاصٌّ أيضًا.

يقول: ذكر الخصوص.

قَوْلُهُ: «وبعده» يعني: أيضًا خصوصًا آخر متقدِّمًا.

قَوْلُهُ: «وَالْوَصْفَ وَالتَّعْمِيمَ فِي ذَا الثَّانِي»، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ الْوَصْفَ وَالتَّعْمِيمَ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: خَلَقَ كَذَا. بِخِلَافِ الْأَوَّلِ أَتَى بِالْفِعْلِ وَخَصَّ الْمَخْلُوقَ (المفعول)، وَفِي الثَّانِي عَمَّ فَقَالَ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، وَالْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ مُقَيَّدٌ أَوْ عَامٌّ؟

الجواب: مُقَيَّدٌ بِالنُّجُومِ ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾.

وَقَوْلُهُ: «وَالْوَصْفَ وَالتَّعْمِيمَ فِي ذَا الثَّانِي» يَعْنِي: الْأَمْرَ.

٧٣٥- فَاتَى بِنَوْعِي خَلْقِهِ وَبِأَمْرِهِ فِعْلًا وَوَصْفًا مُوجِزًا بَيِّنًا

قَوْلُهُ: «فَاتَى بِنَوْعِي خَلْقِهِ وَبِأَمْرِهِ» مَا هُمَا النُّوعَانِ؟ قَالَ: (فِعْلًا وَوَصْفًا)

الْفِعْلُ هُوَ الْخَاصُّ، وَالْوَصْفُ هُوَ الْعَامُّ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ هَذَا فِعْلٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالنُّجُومَ

مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ هَذَا أَمْرٌ مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلِ خَاصٍّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ هَذَا وَصْفٌ عَامٌّ.

فَقَوْلُهُ: «فَاتَى بِنَوْعِي خَلْقِهِ» وَهُمَا الْخَلْقُ وَالتَّسْخِيرُ لَكِنِ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَدَلَّ هَذَا

عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ دَاخِلًا فِي الْخَلْقِ وَلَا فِي التَّسْخِيرِ.

قَوْلُهُ: «مُوجِزًا»، وَيَجُوزُ (مُوجِزًا)، فَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

ثُمَّ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

٧٣٦- فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الْهُدَى فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

هَذَا بَيْتٌ عَظِيمٌ يَنْبَغِي أَنْ يُحْفَظَهُ الْإِنْسَانُ، وَيُؤَمِّرَهُ عَلَى قَلْبِهِ دَائِمًا.

قَوْلُهُ: «فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ» يعني: تأمَّله وفكَّر فيه.

قَوْلُهُ: «إِنْ رُمْتَ» يعني: قَصَدْتَ.

قَوْلُهُ: «الْهُدَى» يعني: العلم والتوفيق.

يعني: إن كنت تريد الهدى فتدبر القرآن، ولا تتسرع، ولا تتعجل، ولا تغفل، وأكثرُ الناسِ اليومِ يقرؤون القرآنَ إمَّا للأجر بتلاوته، وإمَّا للتبرك بها، ولكنَّ أكثرهم لا يقرؤونه تدبُّرًا، ولهذا حُرِّمُوا فائدته، وإلَّا فالقرآن كنز عظيم، لأنه من الله عزَّ وجلَّ، ولا يحيط به أحدٌ إلَّا الله، فهو كنز الكنوز في الواقع.

لو أنك إذا مشيتَ من بيتك إلى المسجد أخذت آية من القرآن تتدبرها وتأمَّلها لحَصَلَتْ خيرًا كثيرًا، ومع ذلك أيضًا إذا فتح اللهُ لك غُرًّا<sup>(١)</sup> من الآيات لا تعتمد على حِفْظك لها الآن، لأنك ربما تنساها، وفي الأول كان كُلُّ طالب علم معه مفكرة يجعلها في جيبه، ويتأمل القرآن مثلًا، كلِّمًا فتح اللهُ عليه شيئًا قيَّده بهذه المفكرة، فانتفع، لأنَّ الإنسان في الحقيقة في وقت من الأوقات قد يفتح اللهُ عليه معاني كثيرة من القرآن أو من السُّنة للتأمل والتدبر، ثُمَّ يتَّكل على نفسه، ويقول: هذا لا أنساه، وإن نسيتها فهي قريبة، أتذكَّر وأراجع ما عندي، لكن سرعان ما ينسى، ولهذا لو استعمل الإنسان هذا الشيء لحَصَلَّ خيرًا كثيرًا.

وكان بعض أهل العلم في رمضان وهو في وقت تلاوة القرآن يجعل معه دفترًا خاصًا، كلِّمًا قرأ شيئًا واستوقفته آية من كتاب الله فيها معاني كثيرة أو ما أشبه ذلك قيَّدها بالدفتر، فلا يخرج رمضان إلَّا وقد حَصَلَّ خيرًا كثيرًا من معاني القرآن الكريم.

(١) جمع غُرَّة، وهي أول شيء وأكرمه. انظر: لسان العرب، مادة: غرر.

ولقد رأيتُ كُتَيْبًا صغيرًا للشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - يقول: إنه كتبه في رمضان وهو يقرأ القرآن، تمر به آيةٌ فيقف عندها، ويتدبرها، ويكتب عليها فوائدها، لا تجدها في أيِّ تفسير.

فلهذا ابن القيم - رحمه الله - حثَّ على تدبُّر القرآن لمن أراد الهدى.

وشيخه ابن تيمية - رحمه الله - قال: «مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ»<sup>(١)</sup>.

فاشترط شيخ الإسلام - رحمه الله - شرطين: التدبُّر، وطلب الهدى، لأنه ربما تدبَّر، ولم يقصد طلب الهدى، لكن يريد معرفة معاني القرآن فقط، ما تريد أن تهدي به وتجعله نبراسًا لك تسير عليه، فإذا تدبَّرته، وأنت تريد الهدى منه، وتريد أن تجعل القرآن نبراسًا لك تسير عليه، تبين لك طريق الحق.

أما الذي يتدبَّر القرآن لينصر به قوله فهذا على خطر عظيم - والعياذ بالله - لأنه يكون مُتَّبِعًا للهِوَى، لكن مَنْ تَدَبَّرَهُ مُتَيَقِّنًا أَنَّهُ إِذَا دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّهُ سَيَأْخُذُ بِهِ وَلَوْ خَالَفَ رَأْيَهُ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُوَفَّقُ وَيَتَبَيَّنُ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ أَبَدًا، إِنَّمَا يَخْفَى عَلَيْنَا إِذَا مَنَّا مِنْ قُصُورِ عِلْمِنَا أَوْ تَقْصِيرِنَا، أَوْ أَنَّا لَا نَرِيدُ الْإِهْتِدَاءَ بِهِ، بِمَعْنَى أَنَّا نَعْلَمُ الشَّيْءَ وَلَا نَعْمَلُ بِهِ، وَهَذِهِ قَاصِمَةُ الظُّهْرِ، وَهِيَ إِذَا عَلِمْنَا الشَّيْءَ وَلَمْ نَعْمَلْ بِهِ، وَالْجَاهِلُ حِينَئِذٍ خَيْرٌ مِنَّا، لِأَنَّ إِذَا عَلِمْنَا الشَّيْءَ قَامَتْ عَلَيْنَا الْحُجَّةُ، وَلَكِنْ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِينَنَا.

كل يوم نتكلم عن مثل هذا، ولا ننظر شيئًا، لكن على الإنسان أن يتقي الله ما استطاع.

(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص: ٨).

## فصل

فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ مَا يُضَافُ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى مِنَ الْأَوْصَافِ وَالْأَعْيَانِ

- ٧٣٧- وَاللَّهُ أَخْبَرَ فِي الْكِتَابِ بِأَنَّهُ مِنْهُ وَتَجَرُّورٌ بِ- (مِنْ) نَوْعَانِ:
- ٧٣٨- عَيْنٌ وَوَصْفٌ قَائِمٌ بِالْعَيْنِ قَالَ
- ٧٣٩- وَالْوَصْفُ بِالْمَجْرُورِ قَامَ لِأَنَّهُ
- ٧٤٠- وَنَظِيرُ ذَا أَيْضًا سِوَاءَ مَا يُضَا
- ٧٤١- فِإِضَافَةُ الْأَوْصَافِ ثَابِتَةٌ لِمَنْ
- ٧٤٢- وَإِضَافَةُ الْأَعْيَانِ ثَابِتَةٌ لَهُ
- ٧٤٣- فَانظُرْ إِلَى بَيْتِ الْإِلَهِ وَعِلْمِهِ
- ٧٤٤- وَكَلَامِهِ كَحَيَاتِهِ وَكِعْلَمِهِ
- ٧٤٥- لَكِنَّ نَاقَتَهُ وَبَيْتَ إِلَهِنَا
- ٧٤٦- فَانظُرْ إِلَى الْجَهْمِيِّ لَمَّا فَاتَهُ الْ
- ٧٤٧- كَانَ الْجَمِيعُ لَدَيْهِ بَابًا وَاحِدًا
- أَعْيَانٌ خَلَقَ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
- أُولَى بِهِ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانِ
- فُ إِلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ وَمِنْ أَعْيَانِ
- قَامَتْ بِهِ كإِرَادَةِ الرَّحْمَنِ
- مَلَكًا وَخَلَقًا مَا هُمَا سَيَّانِ
- لَمَّا أُضِيفَا كَيْفَ يُفْتَرَقَانِ؟
- فِي ذِي الْإِضَافَةِ إِذْ هُمَا وَصْفَانِ
- فَكَعْبِدِهِ أَيْضًا هُمَا ذَاتَانِ
- حَقُّ الْمُبِينِ وَوَاضِحُ الْفُرْقَانِ
- وَالصُّبْحُ لَاحٍ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

## الشرح

قال المؤلف -رحمه الله تعالى- في التفريق بين ما يضاف إلى الله عزَّ وجلَّ من الأوصاف والأعيان: الله -سبحانه وتعالى- أضاف إلى نفسه أوصافاً، وأضاف إلى نفسه أعياناً، فهل هما بمنزلة واحدة؟ أو بينهما فرق؟

في هذا الفصل بيّن -رحمه الله- أنّ ما يُضاف إلى الله إمّا أن يكون عيناً قائمة بنفسها، وإمّا أن يكون وصفاً لا يقوم إلاً بغيره، وهذا نوعان: إمّا أن يضاف إلى الله بالإضافة المعروفة، وإمّا أن يضاف إليه بـ(من)، وهذا المضاف بـ(من) أو بالإضافة المعروفة إمّا أن يكون عيناً قائمة بنفسها، وإمّا أن يكون وصفاً لا يقوم إلاً بغيره.

وكُلُّ واحدةٍ من هذه لها حكم.

قال -رحمه الله-:

٧٣٧- وَاللَّهُ أَخْبَرَ فِي الْكِتَابِ بِأَنَّهُ مِنْهُ وَجُرُورٌ بِـ (مِنْ) نَوْعَانِ:

٧٣٨- عَيْنٌ وَوَصْفٌ قَائِمٌ بِالْعَيْنِ قَالَ أَعْيَانُ خَلْقِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «أَخْبَرَ... بِأَنَّهُ مِنْهُ» يعني: القرآن من الله، قال الله تعالى: ﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ

الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿الجماعية: ١-٢﴾، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ. ﴿فصلت: ٢-٣﴾.

وهنا أضاف القرآن إليه بـ(من)، والقرآن كلام، والكلام وصف المتكلم، إذن فيكون المضاف إلى الله بـ(من) هنا غير مخلوق، لأنه صفة، والصفة قائمة بالموصوف، والموصوف هو الرّبُّ عزَّ وجلَّ وهو الخالق، إذن فيكون القرآن صفةً من صفاته غير مخلوق.

وإذا أضاف الله الشيء إلى نفسه بـ(من) وهي أعيان قائمة بنفسها فهي مخلوقة بلا شك، مثاله: قول الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الحاثية: ١٣]، أي: من عنده ابتداءً، ولا يمكن أن نجعل (من) هنا للتبعيض، وأن ما في السموات وما في الأرض بعض من الله، هذا لا يمكن، ولا يمكن أن نجعل هذه الأعيان صفة من صفات الله، لأنها بائنة من الله، فهي عين قائمة بنفسها، فكيف تكون وصفاً لله؟!

وَقَوْلُهُ: «فَالْأَعْيَانُ» يعني: فالأعيان المضافة إلى الله بـ(من) خلق الخالق الرحمن.

٧٣٩- وَالْوَصْفُ بِالْمَجْرُورِ قَامَ لِأَنَّهُ أَوْلَى بِهِ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانٍ قَوْلُهُ: «بِالْمَجْرُورِ» متعلق بـ(قَامَ)، وليس متعلقاً بـ(الوصف)، يعني: الوصف إذا جَرَّ بـ(من) فهو بالمجرور قام.

يقول المؤلف -رحمه الله-: إنَّ الوصف قائمٌ بالمجرور، مثاله: (القرآن) فالقرآن هل هو شيء منفصلٌ بائنٌ عن الله؟ أو هو كلام الله؟ فهو ليس عيناً قائماً بنفسه فيكون قائماً بالمجرور، والمجرور هو لفظ (الرحمن) وهو اسم الله عزَّ وجلَّ، قال الله تعالى: ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ٢].

قَوْلُهُ: «أَوْلَى بِهِ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانٍ» يعني أن المضاف إلى الشيء الشيء المضاف إليه أولى به من غيره، وهذا وصفٌ أضيف إلى الله، فيكون الله تعالى أولى به من غيره.

إِذْ نِ الْقَاعِدَةُ: أَنَّ الْمَجْرُورَ بـ(من) المضاف إلى الله إن كان عيناً قائمة بنفسها فهو مخلوق، وإن كان وصفاً لا يقوم بنفسه بل بغيره فهو صفة من صفات الله غير

مخلوقة، مثل قولنا: (القرآنُ نازلٌ منه) أي: من الله، إذن قام بالله عزَّ وجلَّ، فإذا كان قائماً بالله وهو صفة، لزم أن يكون غير مخلوق.

٧٤٠- وَنَظِيرُ ذَا أَيْضًا سِوَاءَ مَا يُضَا فُ إِلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ وَمِنْ أَعْيَانِ  
المشار إليه في قوله: «وَنَظِيرُ ذَا» هو المجرور بـ(مِنْ).

٧٤١- فَإِضَافَةُ الْأَوْصَافِ ثَابِتَةٌ لِمَنْ قَامَتْ بِهِ كَارِادَةُ الرَّحْمَنِ  
أيضاً الأوصاف والأعيان إذا أُضيفت فعلى ما سبق، انظر إلى قول الله -  
تبارك وتعالى:- ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]، أي: في مريم، الروح  
هنا مضاف إلى الله، لكن هذه الروح التي حَلَّتْ في عيسى هل هي جزء من الله؟  
الجواب: لا.

هل هي صفة من صفاته؟ الجواب: لا، بل هي مخلوقٌ بائن، لأنها قائمة  
بعين، بل الصحيح أنَّ الأرواحَ أعيانٌ مُشَاهِدَةٌ، تقبضها الملائكة عند الموت  
وَتُحْنَطُّهَا<sup>(١)</sup> وتُكْفَنُهَا، والميت ينظر إلى روجه وقد خرجت من جسده.

فالروح ليست وصفاً كالحياة والعلم والقدرة، وليست عَرَضاً كالمرض  
ونحوه، فالروح عين تتخلَّلُ هذا الجسد كما يتخلَّلُ الماءُ المَدَّرَ-يعني: الطين  
اليابس- أو الفحم تتخلله النار.

إِذَنْ الرُّوحُ المِضَافَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-  
مخلوقة، وكذلك بالنسبة لآدم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]،  
هي عينٌ قائمة بعين، فهي مخلوقة.

(١) أي تُطَيَّبُهَا بِالحُنُوطِ، وهو طيب يخلط للميت خاصة. انظر: المصباح المنير حنط.

وَقَوْلُهُ: «فِإِضَافَةُ الْأَوْصَافِ ثَابِتَةٌ لِمَنْ قَامَتْ بِهِ كِرَادَةُ الرَّحْمَنِ» إذا قلنا: إرادة الله. فالإرادة وصف أضيفت إلى الله، وإذا كانت وصفاً فإنها لا تقوم بنفسها، لأنها ليست عيناً، إذَنْ تكون صفةً لله عزَّ وجلَّ غيرَ مخلوقة، لأنَّ صفات الخالق غير مخلوقة، ولهذا قال: (فِإِضَافَةُ الْأَوْصَافِ ثَابِتَةٌ لِمَنْ قَامَتْ بِهِ)، ثُمَّ أتى بمثال فقال: (كِرَادَةُ الرَّحْمَنِ).

٧٤٢- وَإِضَافَةُ الْأَعْيَانِ ثَابِتَةٌ لَهُ مَلَكًا وَخَلْقًا مَا هُمَا سَيَّانٍ  
يعني: إضافة الأعيان إلى الله ثابتة لله مَلَكًا وَخَلْقًا، يعني: هو الذي ملكها وخلقها، ما هما سَيَّانٍ.

قَوْلُهُ: «مَا هُمَا سَيَّانٍ» يعني: الأوصاف والأعيان، فما هما سَيَّانٍ، والفرق أن الأوصاف صفة الله، والأعيان خلق الله، فبينهما فرق عظيم.

إِذَنْ إضافة الأوصاف إلى الله تقتضي أن تكون صفاتٍ له، وإضافة الأعيان على أنها خَلْقٌ وَمَلِكٌ له، لكن يمتاز المضاف إليه - سبحانه - إضافة عينٍ أنه ازداد تشريفًا وتعظيمًا بإضافته إلى الله عزَّ وجلَّ.

٧٤٣- فَانظُرْ إِلَى بَيْتِ الْإِلَهِ وَعِلْمِهِ لَمَّا أُضِيفَا كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ؟

فرق عظيم، فبيتُ الله في قول الله تعالى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، لما أضيف إلى الله هل أضيف على أنه صفة له؟ الجواب: لا، لأنه عينٌ قائمة بآئنة من الله، فبيت الله مخلوقٌ، بناه إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، إذَنْ ما فائدة الإضافة؟ فائدتها التشريف والتعظيم، وأنه من أعظم آياته.

وأما إضافة العلم إلى الله كما قال عز وجل: ﴿أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ﴾ [النساء: ١٦٦]، إضافة وصف إلى موصوف، لأن العلم ليس شيئاً قائماً بنفسه، بل هو صفة للعالم، فيكون ما أضافه إلى نفسه من الأوصاف وصفاً لله غير مخلوق.

٧٤٤- وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ وَكَعِلْمِهِ فِي ذِي الْإِضَافَةِ إِذْ هُمَا وَصْفَانِ  
كلام الله مضاف إلى الله إضافة صفة إلى موصوفها، حياة الله أيضاً مضافة إلى الله إضافة صفة إلى موصوفها، علم الله مضاف إلى الله إضافة صفة إلى موصوفها.

قَوْلُهُ: «وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ» نقول لهؤلاء المعتزلة والجهمية: (كلام الله كحياته) هل تقولون: إن حياة الله مخلوقة؟ يقولون: لا، نقول: وكلامه كذلك غير مخلوق، لأن الكلام صفة، والحياة صفة، والكلام لا يقوم إلا بمتكلم، والحياة لا تقوم إلا بحيي.

فالكلام كالعلم، والكلام كالحياة، لماذا؟ لأنها وصفان، فالكلام لا يمكن أن يكون إلا من متكلم.

والحاصل أن القاعدة: ما كان وصفاً غير قائم بنفسه فهو صفة لله غير مخلوقة، وما كان عيناً قائماً بنفسه فهو مخلوق، وكذلك لو كان وصفاً في عين قائمة بنفسها فهو مخلوق، لأن الأعيان القائمة بنفسها كلها مخلوقة وأوصافها مخلوقة.

٧٤٥- لَكِنَّ نَاقَتَهُ وَبَيْتَ إِلَهِنَا فَكَعْبِدُهُ أَيضًا هُمَا ذَاتَانِ

ناقة الله مضافة إلى الله، والدليل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: ١٣]، هنا (ناقة) عين قائمة بنفسها، فتكون مضافة إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

(بيت الله) كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، بيت الله عين قائمة بنفسها، فيكون إضافتها إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

(عبد الله) كذلك مضاف إلى الله إضافة تشريف وتكريم وخلق إلى خالق ومخلوق إلى خالق، وليس العبد من صفات الله عزَّ وجلَّ.

المؤلف -رحمه الله- ذكر ثلاثة أمثلة: (ناقة الله، بيت الله، عبد الله).

هل نقول: إنَّ إضافة بيت الله كإضافة علم الله؟

الجواب: لا، لأنَّ البيت عين، والعلم وصف.

هل نقول: إنَّ الناقة كالحياة؟

الجواب: لا، لأنَّ الحياة وصف، والناقة عين.

وهل نقول: إنَّ العبد كالإرادة؟

الجواب: لا، لأنَّ الإرادة وصف، والعبد عين.

إذن هناك فرق ظاهر، فناقة الله، وبيت الله، وعبد الله يقول المؤلف: (هما ذاتان) أي: ذاتان قائمتان بأنفسهما، فلا تكونان وصفاً لله.

٧٤٦- فَاَنْظُرْ إِلَى الْجَهْمِيِّ لَمَّا فَاتَهُ الْ- حَقُّ الْمُبِينُ وَوَأَضِحُ الْفُرْقَانِ

٧٤٧- كَانَ الْجَمِيعُ لَدَيْهِ أَبَاً وَاحِدًا وَالصُّبْحُ لَاحٍ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

الجهمي يقول: الباب واحد، كلام الله، وعلم الله، وبيت الله، وناقة الله، كُلُّهَا سِوَاءٍ، فَكُلُّهَا مُضَافَةٌ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةٌ خَلَقَ إِلَى خَالِقِهِ.

وهذا من عماه وجهله، وإلَّا فالفرق واضح، الصفة إذا أُضيفت إلى الله لا يمكن أن تكون قائمةً بنفسها مخلوقة، والأعيان إذا أُضيفت إلى الله فهي مخلوقة، لكن أُضيفت إلى الله على وجه التشریف.

قَوْلُهُ: «وَالصُّبْحُ لَاحٍ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ» لكن وَمَنْ له عين واحدة؟ كذلك، لكنه إذا التفت سيرًا لم يَتَبَيَّنْ له الصبح، وَمَنْ لا عين له لا يَتَبَيَّنْ له، فالصبح لا يَتَبَيَّنُ تمامًا إِلَّا لمن له عينان، وَأَمَّا الأعمى والأعور فلن يَتَبَيَّنَ له على وجه الكمال.

إِذَنْ خلاصة هذا الفصل أَنَّ ما أُضيف إلى الله بطريق الإضافة المعروفة أو بالجر بـ(مِنْ) ينقسم إلى قسمين: إمَّا عين، وإمَّا وصف، فإن كان عينًا فهو مخلوق وليس من صفات الله، وإن كان وصفًا فهو من صفات الله وهو غير مخلوق، والأمثلة ظاهرة (فالحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والكلام) نقول فيها: أوصافٌ غيرُ مخلوقة، أما (البيت والناقة والعبد والمسجد) فهي أعيان مخلوقة.

\*\*\*

## فصل

- ٧٤٨- وَأَتَى ابْنُ حَزْمٍ <sup>(١)</sup> بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ مَا  
 لِلنَّاسِ قُرْآنٌ وَلَا إِنْثَانِ  
 ٧٤٩- بَلْ أَرْبَعٌ كُلُّ يُسَمَّى بِالْقُرْآنِ  
 ٧٥٠- هَذَا الَّذِي يُتْلَى، وَآخَرُ ثَابِتٌ  
 ٧٥١- وَالثَّالِثُ: الْمَحْفُوظُ بَيْنَ صُدُورِنَا  
 ٧٥٢- وَالرَّابِعُ: الْمَعْنَى الْقَدِيمُ كَعِلْمِهِ  
 لِلنَّاسِ قُرْآنٌ وَلَا إِنْثَانِ  
 وَذَلِكَ قَوْلُ بَيْنِ الْبُطْلَانِ  
 فِي الرَّسْمِ يُدْعَى الْمُصْحَفَ الْعُمَانِي  
 هَذِي الثَّلَاثُ خَلِيقَةُ الرَّحْمَنِ  
 كُلُّ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْقُرْآنِ

## الشرح

قَوْلُهُ: «ابن حزم» هو ابن حزم الظاهري، وانتقاده - رحمه الله - شديد لاذع جداً، فأحياناً يدعو على العلماء، ويسميه بعض العلماء مَنْجَنِيْقِ الْغَرْبِ، والمنجنيق بمنزلة المدفع <sup>(٢)</sup>، وهو ليس هيناً، فكتابه (المحلّي) فيه من الآثار الكثيرة ما لا تجده في كثير من الكتب، بل لا تجده إلا في القليل النادر، فهو في الحقيقة مرجع بقطع

(١) ابن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم الظاهري، أحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة سنة (٣٨٤هـ)، كان له ولأبيه رئاسة الوزارة، ولكن زهد فيها، وأقبل على العلم، ولقد انتقد كثيراً من العلماء فطاردته الملوك، فمات في بادية - يعني خارج المدن - ببلدة من بلاد الأندلس سنة (٤٥٦هـ). [الشارح].

(٢) المنجنيق يفتح الميم وكسرها، مع فتح الجيم: آلة تُرمى بها الحجارة على العدو، وذلك بأن تُشدَّ سوارٍ مُرتفعةً جداً من الخشب، يُوضع عليها ما يُراد رميه، ثم يُضربُ بساريةٍ تُوصله لمكان بعيد جداً، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١٣٢/٢٥) مادة: جنق.

النظر عن آرائه، فأراؤه له، وقد يرى أشياء شاذة جدًّا، لكن كتابه (المحلّي) كنز عظيم لولا سلاطة لسانه لكان يثنى عليه بلا استثناء.

ولذلك تجمد الشارح الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى -رحمه الله- أطنب عليه، ومدحه مدحًا عظيمًا، ولا شك أنّ الرجل عنده علمٌ كثير بالآثار، وكتابه (المحلّي) من أجمع ما يكون، لكن عنده شذوذ في الرأي في مسائل كثيرة.

ابن حزم -رحمه الله- أتى بقول عجيب قال: ليس للناس قرآن، ولا قرآنان، بل أربعة قرآنان، فقلنا له: كيف ذلك؟ بيّن ذلك؟ فقال:

الأول: هذا الذي يُتلى فهو قرآن، وهذا محله اللسان.

والثاني: الثابت في الرسم وهو المكتوب، ومحله المصحف.

والثالث: المحفوظ في الصدور يعني: محله القلب.

والرابع: المعنى القديم، وقوله: المعنى القديم. يوافق فيه الأشاعرة.

وكلامه صحيح في الثلاثة الأولى، فكُلُّها قرآن سواء تلوناه بألستنا، أو كتبناه في المصاحف، أو حفظناه في الصدور، كُله قرآن.

وأما قوله عنها: (هَذِي الثَّلَاثُ خَلِيقَةُ الرَّحْمَنِ)، فقد يعجب الإنسان إذا رأى مثل هذا الكلام من ابن حزم -رحمه الله-، لكن قد يقول قائل بالاعتذار عن ابن حزم، بأنه يُريد أن يُبيّن ما هو المخلوق من غير المخلوق؟

فنقول قوله: «آخر ثابت في الرسم، والذي في الصدور، والذي يتلى» قوله: إنّ هذه مخلوقة فيه نظر ظاهر، لأنّ المحفوظ في الصدور، والمرسوم في المصحف، والذي يُتلى أي: المتلوُّ باللسان ليس بمخلوقٍ إلّا على رأي الأشاعرة.

وأما الرابع وهو قوله: «المعنى القديم» فهذا لا يُسَمَّى قرآناً، المعنى القديم إن قلنا به فهو علم الله عزَّ وجلَّ وليس قرآناً حتى يُسَمِّعَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ جبريلَ، وجبريل يلقيه على قلب النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

قَوْلُهُ: «الرابع المعنى القديم» فهو -رحمه الله- ذهب مذهب الأشاعرة، لكن خالفهم في بعض الوجوه، فاتفق مع الأشاعرة في أن المعنى القديم قائمٌ بالله غير مخلوق، وأنَّ المحفوظَ والمقروءَ والمرسومَ مخلوقٌ.

وهذا تماماً هو مذهب الأشاعرة، لكن الأشاعرة سبق أنهم يقولون: إنَّ هناك قرآنين فقط، وهما المعنى واللفظ، أما هو فيقول: إنها أربعة: المعنى القديم، واللفظ، والكتابة، والمحفوظ.

ولكن نقول لابن حزم ولغير ابن حزم: المقروء غير مخلوق، والقراءة مخلوقة، والمفوظ به غير مخلوق، واللفظ مخلوق، والمكتوب غير مخلوق، والكتابة مخلوقة، هذا هو الصواب، وهذا هو الواقع.

وقَوْلُهُ: «المعنى القديم كعلمه» أي: كعلم الله، (كُلُّ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْقُرْآنِ) فجعل كُلَّ واحدة من مراتب الوجود مستقلة، لأنَّ الشيء له وجود في الذهن، ووجود في الخارج، فالتبس عليه الأمر.

\*\*\*

انظر إلى تحليل المؤلف لكلام ابن حزم حيث قال:

٧٥٣- وَأَظْنُهُ قَدْ رَامَ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ      عَنْهُ عِبَارَةٌ نَاطِقٌ بِبَيَانِ  
٧٥٤- إِنَّ الْمُعَيَّنَ ذُو مَرَاتِبٍ أَرْبَعٍ      عَقِلْتُ فَلَا تُخْفَى عَلَى إِنْسَانِ

- ٧٥٥- فِي الْعَيْنِ، ثُمَّ الذُّهْنِ، ثُمَّ اللَّفْظِ ثُمَّ  
 ٧٥٦- وَعَلَى الْجَمِيعِ الْأَسْمِ يُطْلَقُ لَكِنَّ الْأ  
 ٧٥٧- بِخِلَافِ قَوْلِ ابْنِ الْحَطِيبِ فَإِنَّهُ  
 ٧٥٨- فَالشَّيْءُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا أَرْبَعُ  
 مَ الرِّسْمِ حِينَ نَحَطُّهُ بِنَّانِ  
 أَوْلَى بِهِ الْمَوْجُودُ فِي الْأَعْيَانِ  
 قَدْ قَالَ: إِنَّ الْوَضْعَ لِلأَذْهَانِ  
 فَدهَى ابْنَ حَزْمٍ قَلَّةُ الْعِرْفَانِ

### الشرح

يقول - رحمه الله تعالى -: إن ابن حزم لما قسم القرآن إلى أربعة أقسام، وهو شيء واحد في الحقيقة، سواء كتبت، أو نطق به، أو أوجي به، فهو قرآن.

ثم قال:

٧٥٣- وَأَظْنُهُ قَدْ رَامَ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ عَنْهُ عِبَارَةً نَاطِقٍ بِبَيَانِ

وهذا يقع كثيرا، يكون في قلب الإنسان شيء، لكن يعجز عن التعبير عنه، وهذا يقع كثيرا، ففي المسائل الذهنية يجد الإنسان في قلبه شيئا، لكن لا يستطيع أن يُعبّر عنه.

تجده مثلا إذا قيل: له ما الفرق بين كذا وكذا وهو في نفسه يجد فرقا، لكن لا يستطيع أن يُعبّر، وهذا يدل على عمق تفكير الإنسان، وأنه وصل إلى فكر لا يستطيع أن يُعبّر عنه اللسان.

فيقول ابن القيم: إن ابن حزم - رحمه الله - رام شيئا، يعني قصد شيئا، ولكن عجز عن التعبير عنه، ثم فصل ابن القيم - رحمه الله - فقال:

٧٥٤- إِنَّ الْمُعَيَّنَ ذُو مَرَاتِبَ أَرْبَعٍ عَقَلْتُ فَلَا تَخْفَى عَلَى إِنْسَانِ

٧٥٥- فِي الْعَيْنِ، ثُمَّ الذَّهْنِ، ثُمَّ اللَّفْظِ ثُمَّ - مَ الرَّسْمِ حِينَ تَخْطُّهُ بِنَّانٍ

قوله: «المُعَيَّن» يعني: المُسَمَّى.

قَوْلُهُ: «فِي الْعَيْنِ» يعني: وجود الشيء بعينه.

الشيء المُعَيَّن له أربع مراتب:

الأول: يقول (في العَيْنِ) يعني: وجوده عيناً، وهذا بالنسبة للكلام هو الذي يصدر من أول ناطقٍ به، فمثلاً أنا إذا قلتُ خطبةً، فقد وُجِدَت هذه الخطبة بالعين، وُجِدَت الآن سُمِعَت وقرئت، وتلوتها، فأنا أوجدتها بالعين، هذا يُسَمَّى الوجود العيني.

الثاني: ثُمَّ بعد ذلك (في الذَّهْنِ)، أنتم إذا سمعتم الخطبة انطبعت في أذهانكم.

الثالث: ثُمَّ بعد ذلك اللفظ، تَلْفِظُون بها.

الرابع: ثُمَّ بعد ذلك الرسم، هذا بالنسبة للسامع.

وكذلك هو بالنسبة لمُوجِد للكلام، لكن مُوجِد الكلام يبدأ الكلام في الذهن أولاً، ثُمَّ اللفظ، ثُمَّ الرسم، وهو إذا وُجِدَ في اللفظ وُجِدَ عيناً لا ذهناً.

ففي الحقيقة أن الوجود عن الكلام إن كان بالنسبة للمتكلِّم فالترتيب كما يلي: الذهن، ثُمَّ اللفظ، وبه تكون العين، ثُمَّ الرسم.

وبالنسبة لغيره: أولاً: العين أي: وجوده من المتكلِّم، ثُمَّ انطباعه في الذهن، ثُمَّ نقله وإبلاغه باللفظ أو بالرسم، أي قد يلفظ فيعبرَ عمَّا في ذهنه، وقد يرسم فيكتب ما في ذهنه.

إذا تأملت الكلام وجدته لا يخرج عن هذه المراتب، لكن هل هذه المراتب تستلزم تعدد العين أو أنها عين واحدة؟

الجواب: هي عين واحدة، لكن لها مراتب، وابن حزم -رحمه الله- ظنَّ أنَّ اختلاف هذه المراتب كاختلاف الأعيان، وأنَّ كلَّ مرتبة تجعل الشيءَ عيناً مستقلة عن المرتبة التي قبلها، ولكنَّ الصواب: أنَّ المراتب لا تُخْرِج الواحد المعين عن كونه واحداً، لكن يترتب وجوده.

فالقرآن الكريم تكلم الله عزَّ وجلَّ به، فهذا وجوده عيناً، ثُمَّ سمعه جبريلُ ونقله إلى محمد -عليه الصلاة والسلام-، وبلغه محمدٌ، هذا وجوده لفظاً، ثُمَّ الناس الذين سمعوه أيضاً حفظوه، فكان هذا وجوداً ذهنيّاً، ثُمَّ تلوه فكان وجوداً لفظياً، أو رسموه في المصاحف فصار موجوداً رسماً، ولكن هذه الأطوار التي تكون للكلام لا تستلزم أن يكون الكلام متعددًا.

فأنت تتصوّر إنساناً، ثُمَّ تقرره في ذهنك، ثُمَّ تعبر عنه بلسانك، أو ترسمه بينانك، وهل هو يتغيّر باختلاف هذه الصور أو هو شيء واحد؟

الجواب: هو شيء واحد، ولهذا قال.

٧٥٦- وَعَلَى الْجَمِيعِ الْأَسْمُ يُطْلَقُ لَكِنِ الْأَوَّلَى بِهِ الْمَوْجُودُ فِي الْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «الْأَوَّلَى بِهِ الْمَوْجُودُ»، لِأَنَّ كُلَّ مَا بَعْدَ الْوُجُودِ يَبْنِي عَلَيْهِ، وَكُلُّهَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ، فَالْقُرْآنُ هُوَ الْقُرْآنُ حِينَ وَجُودِهِ، وَحِينَ تَصَوُّرِهِ فِي الذَّهْنِ، وَحِينَ اللَّفْظِ بِهِ، وَحِينَ الرَّسْمِ.

٧٥٧- بِخِلَافِ قَوْلِ ابْنِ الْخَطِيبِ<sup>(١)</sup> فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ: إِنَّ الْوَضْعَ لِلْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «ابن الخطيب» في شرح الهراس أنه هو الفخر الرازي.

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْوَضْعَ لِلْأَذْهَانِ» يعني: أصل الشيء يكون في الذهن قبل أن

يوجد.

وهذا غير صحيح، نعم يكون في الذهن قبل أن يوجد إذا كان ممَّنَّ قاله أو

فعله، أما إذا كان قولٌ غيره أو فِعْلٌ غيره فإنه يكون في الوجود في الأعيان قبل أن

يكون في الذهن.

٧٥٨- فَالْشَّيْءُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا أَرْبَعٌ فَدَهَى ابْنَ حَزْمٍ قَلَّةَ الْعِرْفَانِ

فابن الخطيب مذهبه مذهب الأشاعرة، يقول: إِنَّ الشَّيْءَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، سواء

قُرئ، أو كُتِبَ، أو حُفِظَ، فهو شيء واحد مخلوق، والمعنى القائم بالذهن غير

مخلوق.

ومعنى (دهاه) أي: أصابه بدهاية يعني مهلكة، لأنه لم يعرف الفرق بين

القراءة والمقروء، والكتابة والمكتوب، والحفظ والمحفوظ، فما عَرَفَ الفرق،

فلذلك فَرَّقَ، وقال: الجميع أربعة: ثلاثة مخلوقة، وواحد غير مخلوق.

\*\*\*

(١) ابن الخطيب (إن كان هو الرازي، لأنه يقال له: ابن خطيب الرِّي)، فهو محمد بن عمر بن الحسن

ابن الحسين التيمي، البكري، فخر الدين، ولد في الرِّي سنة (٥٤٤هـ)، وكان بارعاً في العلوم،

مجيداً للغة الفارسية والعربية، وتوفي في هراة سنة (٦٠٦هـ). [الشارح]. وانظر: الأعلام للزركلي

(٣١٣/٦).

- ٧٥٩- وَاللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ  
 ٧٦٠- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَنَا بِأَنَّ كَلَامَهُ  
 ٧٦١- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَكْتُوبُ فِي  
 ٧٦٢- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَتْلُوعُ وَالْمَقْرُوءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْإِنْسَانِ  
 ٧٦٣- وَالْكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا أَنَّهُ  
 ٧٦٤- وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ أَفْعَالٌ لَنَا  
 ٧٦٥- لَكِنَّمَا الْمَتْلُوعُ وَالْمَكْتُوبُ وَالْمَقْرُوءُ  
 ٧٦٦- وَالْعَبْدُ يَقْرُؤُهُ بِصَوْتٍ طَيِّبٍ  
 ٧٦٧- وَكَذَلِكَ يَكْتُبُهُ بِحَطٍّ جَيِّدٍ  
 ٧٦٨- أَصْوَاتِنَا وَمِدَادُنَا وَأَدَاؤُنَا  
 ٧٦٩- وَلَقَدْ آتَى فِي نَظْمِهِ مَنْ قَالَ قَوْلُ  
 ٧٧٠- إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثَبَّتٌ  
 ٧٧١- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيَهُ وَحُرُوفُهُ  
 ٧٧٢- فَشَفَى وَفَرَّقَ بَيْنَ مَتْلُوعٍ وَمَضْمُونٍ  
 ٧٧٣- الْكُلُّ مَخْلُوقٌ وَلَيْسَ كَلَامُهُ الْمَقْرُوءُ  
 ٧٧٤- فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّمْيِيزِ قَالَ
- مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْفُرْقَانِ  
 بِصُدُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ  
 صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ مِنَ الرَّحْمَنِ  
 مَقْرُوءَةٍ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْإِنْسَانِ  
 هُوَ أَرْبَعٌ وَثَلَاثَةٌ وَاثْنَانِ  
 وَكَذَا الْكِتَابَةُ فَهِيَ خَطٌّ بَنَانِ  
 مَحْفُوظٌ قَوْلُ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ  
 وَبِضِدِّهِ فَهِيَ لَهَا صَوْتَانِ  
 وَبِضِدِّهِ فَهِيَ لَهَا خَطَّانِ  
 وَالرَّقُّ، ثُمَّ كِتَابَةُ الْقُرْآنِ  
 لَ الْحَقُّ فِيهِ وَهُوَ غَيْرُ جَبَانِ  
 بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاحِ وَالشُّبَّانِ  
 وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ  
 نَوْعٌ وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْعِرْفَانِ  
 مَتْلُوعٌ مَخْلُوقًا هُمَا شَيْئَانِ  
 إِطْلَاقٌ وَالْإِجْمَالُ دُونَ بَيَانِ

٧٧٥- قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الْوُجُودَ وَخَبَطَا الْاَذْهَانَ وَالْآرَاءَ كُلَّ زَمَانٍ

### الشرح

٧٥٩- وَاللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْفُرْقَانِ

بيِّنُ المؤلف - رحمه الله - أن الله - سبحانه وتعالى - أخبر أنه متكلم بالوحي والفرقان، فقال عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩].

٧٦٠- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَنَا بِأَنَّ كَلَامَهُ بِصُدُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

أخبر الله عز وجل أن الكتاب في صدور أهل العلم، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يُنذِرُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

٧٦١- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَكْتُوبُ فِي صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّمَا نَذِيرٌ ﴿١١﴾ مَن شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١١-١٤]، يعني: القرآن، كذلك أيضا:

٧٦٢- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَتْلُوعُ وَالْمَقْرُوءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْإِنْسَانِ

قوله: «أَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَتْلُوعُ» قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، ولم يقل - رحمه الله تعالى -: إنه مكتوب في اللوح المحفوظ، فإمّا أن يُقال: إن ابن القيم - رحمه الله - يرى أن المكتوب في اللوح المحفوظ هو ذِكْرُ الْقُرْآنِ فَقَطْ، وَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، أي: ذكره في اللوح المحفوظ، كما قال الله - تبارك وتعالى - عن

القرآن نفسه: ﴿وَإِنَّهُ لَنَحْيِ زُبَيْرَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، أي: في كتبهم، وليس القرآن هو الذي في كتبهم، ولكن ذكر القرآن والإشادة به.

وأكثر العلماء على أن القرآن الكريم مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، وأن الله تعالى كتبه في اللوح المحفوظ كما كتب جميع الكائنات إلى يوم القيامة، ثم لما أراد أن ينزله على محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- تكلم به، فسمعه جبريل، فنزل به، وهذا الذي عليه أكثر العلماء.

فإغفال ابن القيم له يحتمل أنه يرى الرأي الأول، ويحتمل أنه أغفله سهواً ونسياناً، فالله أعلم.

قوله: «وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَقْرُوءُ» يعني: أخبر أنه يُقرأ، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَابْتِغِ فُرْقَانَهُ. ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٨-١٩].

٧٦٣- وَالْكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا أَنَّهُ هُوَ أَرْبَعٌ وَثَلَاثَةٌ وَاثْنَانِ  
يعني أن المتلوة والمكتوب كليهما شيء واحد، لا أنه أربع أو ثلاثة أو اثنان كما ذهب إليه ابن حزم -رحمه الله-.

٧٦٤- وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ أَفْعَالٌ لَنَا وَكَذَا الْكِتَابَةُ فَهِيَ خَطُّ بَنَانٍ  
يعني أن التلاوة والكتابة هما أفعالنا، وهما مخلوقتان، فعندما أخذ ورقة، وأكتب فيها آية من كتاب الله فهذا فعلنا، وعندما أتكلم بالقرآن فهذا أيضاً فعلنا، فهناك شيء مكتوب، وهناك شيء مقروء، وهناك كتابة وقراءة، فالكتابة والقراءة مخلوقتان، لأنهما أفعالنا.

٧٦٥- لَكِنَّمَا الْمَنْتُوُّ وَالْمَكْتُوبُ وَالْمَحْفُوظُ قَوْلُ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ  
يعني أن المقروء والمكتوب وهو القرآن غير مخلوق.

٧٦٦- وَالْعَبْدُ يَقْرُؤُهُ بِصَوْتٍ طَيِّبٍ وَبِضِدِّهِ فَهِيَ لَهُ صَوْتَانِ  
والدليل على هذا أن القرآن كله كاملٌ من كلِّ وجه، ومع ذلك يقرؤه إنسان  
بصوت جيد وتلاوة طيبة، وآخر بالعكس، أي: يقرؤه شخص رديء الصوت  
ولا تلتذ بقراءته، فهل نقول: هذان قرآنان؟ الجواب: لا، أبدًا، لا نقول هذا،  
فالقرآن شيء واحد تُلي على هذا الوجه أو على هذا الوجه.

٧٦٧- وَكَذَلِكَ يَكْتُبُهُ بِحَظٍّ جَيِّدٍ وَبِضِدِّهِ فَهِيَ لَهُ حَظَّانِ  
وهو شيء واحد، مع أنه يكتبه شخص بخط جيّد، أو يكتبه شخص بخط  
رديء فلا تكاد تقرؤه، فالذي كان رديئًا هنا هل هو القرآن نفسه أو الصوت؟  
الجواب: الصوت، وهل هو القرآن نفسه أو الكتابة؟ الجواب: الكتابة.  
ولا نقول: لما اختلفت صورة الخط اختلف القرآن.

إِذْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالْمَكْتُوبِ، وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ وَالْمَقْرُوءِ.

٧٦٨- أَصْوَاتُنَا وَمِدَادُنَا وَأَدَاؤُنَا وَالرَّقُّ، ثُمَّ كِتَابَةُ الْقُرْآنِ  
هذه كلها مخلوقة، فصوتي مخلوق، والمِداد الذي هو الحبر مخلوق، والأداء  
مخلوق، والرَّقُّ مخلوق.

قَوْلُهُ: «أَدَاؤُنَا» فِي نَسْخَةِ (أَدَاتِنَا) بِالتَّاءِ، وَلَعَلَّهَا أَحْسَنُ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْقَلَمَ  
الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ.

٧٦٩- وَلَقَدْ أَتَى فِي نَظْمِهِ مَنْ قَالَ قَوْلَ لَ الْحَقُّ فِيهِ وَهُوَ غَيْرُ جَبَانَ  
 ثُمَّ أَتَى عَلَى مَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْقَحْطَانِي <sup>(١)</sup> - رحمه الله - في نونيته  
 القحطانية المشهورة.

٧٧٠- إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثَبَّتٌ بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاحِ وَالشُّبَّانِ

٧٧١- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وَحُرُوفُهُ وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ

٧٧٢- فَشَفَى وَفَرَّقَ بَيْنَ مَتَلُوٍّ وَمَضٍ -نُوعٍ وَذَاكَ حَقِيقَةُ الْعِرْفَانِ

٧٧٣- الْكُلُّ مَخْلُوقٌ وَلَيْسَ كَلَامُهُ أَلْ -مَتَلُوٍّ مَخْلُوقًا هُمَا شَيْئَانِ

وهذا صحيح، فالكتابة تحتاج إلى خمسة أشياء: يد، وقلم، ومداد، ورق  
 -يعني: قرطاسًا- ومكتوب، الأربعة الأولى مخلوقة، والخامس -وهو المكتوب-  
 غير مخلوق.

٧٧٤- فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّمْيِيزِ قَالَ -إِطْلَاقُ وَالإِجْمَالُ دُونَ بَيَانِ

٧٧٥- قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الْوُجُودَ وَخَبَطَا أَلْ -أَذْهَانَ وَالْأَرَءَاءَ كُلَّ زَمَانِ

قَوْلُهُ: «فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ» يعني: لو قال قائل: هل لفظي بالقرآن مخلوق؟  
 نقول: هذا يحتاج إلى تفصيل: إن قصدت لفظي (الملفوظ) فهو غير مخلوق، وإن  
 أردت لفظي -أي: تلفظي- فهو مخلوق، إنما قلنا بالأول، لأن (اللفظي) مصدر،

(١) هو أبو محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني السلفي المالكي، كان فقيهاً حافظاً جمع  
 تاريخاً لأهل الأندلس، وقال أبو سعيد الإدريسي في تاريخ سمرقند: إنه كان من أفضل الناس  
 ومن ثقاتهم. وقال السمعاني: كان فقيهاً حافظاً في طلب العلم إلى المشرق والمغرب له قصيدة  
 نونية مطبوعة. المصدر: الموسوعة الشعرية.

والمصدر يجيء بمعناه، ويجيء بمعنى اسم المفعول، فإذا كان لفظي بمعنى ملفوظي فهو غير مخلوق، وإذا كان لفظي بمعنى تلفظي فهو مخلوق.

قوله: «فَالإِطْلَاقُ وَالإِجْمَالُ... قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الْوُجُودَ» أحياناً يأتي الإجمال والإبهام فيفسدان، انظر إلى أهل البدع، نفوا تعطيل صفات الله عز وجل، بل قرروا نفي صفات الله بناءً على أن إثباتها يستلزم التجسيم، والجسم في حق الله عندهم ممنوع، وهذا فيه إبهام.

فنقول: ما الجسم الذي يكون ممنوعاً عنكم؟ لا بد أن تفصلوا، إن أردتم بالجسم الجسم المكوّن بعضه إلى بعض الذي قام بعضه ببعض، ولا يبقى بعضه مع فناء البعض الآخر، فهذا ممتنع على الله، وإن أردتم بالجسم ما يتصف بالصفات اللائقة به، فهذا غير مستحيل، فهذا ثابت لله.

فانظر إلى الإجمال كيف أفسد هؤلاء، قالوا: ليس بجسم فقط، كل شيء يستلزم أن يكون جسماً فهو عندهم ممنوع.

وإن كنا لا نقول -ابتداءً-: إنَّ لله جسماً، بل نقول: لله -سبحانه وتعالى- ذاتٌ متصفّةٌ بالصفات اللائقة به.

\*\*\*

- ٧٧٦- وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِي تَعْرِيفِهَا  
بِاللَّامِ قَدْ يُعْنَى بِهَا شَيْئَانِ  
٧٧٧- يُعْنَى بِهَا الْمَتْلُوفُ فَهُوَ كَلَامُهُ  
هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَذِي الْأَكْوَانِ  
٧٧٨- وَيُرَادُ أفعالُ الْعِبَادِ كَصَوْتِهِمْ  
وَأَدَائِهِمْ وَكِلَاهُمَا خَلْقَانِ  
٧٧٩- هَذَا الَّذِي نَصَّتْ عَلَيْهِ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

- ٧٨٠- وَهُوَ الَّذِي قَصَدَ الْبُخَارِيُّ الرِّضَا لَكِنْ تَقَاصَرَ قَاصِرُ الْأَذْهَانِ  
 ٧٨١- عَنْ فَهْمِهِ كَتَقَاصِرِ الْأَفْهَامِ عَنْ قَوْلِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ الشَّيْبَانِيِّ  
 ٧٨٢- فِي اللَّفْظِ لَمَّا أَنْ نَفَى الضُّدَيْنِ عَنَّهُ وَاهْتَدَى لِلنَّفْيِ ذُو عِرْفَانَ  
 ٧٨٣- فَالَلَّفَظُ يَصْلُحُ مَصْدَرًا هُوَ فِعْلُنَا كَتَلَفُّظٍ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ  
 ٧٨٤- وَكَذَلِكَ يَصْلُحُ نَفْسُ مَلْفُوظٍ بِهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ فَذَانِ مُحْتَمِلَانِ  
 ٧٨٥- فَلِذَاكَ أَنْكَرَ أَحْمَدُ الْإِطْلَاقَ فِي نَفْيِ وَإِثْبَاتِ بِإِلَافِ قُرْآنِ

### الشرح

- ٧٧٦- وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِي تَعْرِيفِهَا بِاللَّامِ قَدْ يُعْنَى بِهَا شَيْئَانِ  
 ٧٧٧- يُعْنَى بِهَا الْمَتْلُوهُ فَهُوَ كَلَامُهُ هُوَ غَيْرٌ مَخْلُوقٍ كَذِي الْأَكْوَانِ

المؤلف - رحمه الله - هنا يقول: إن تلاوة القرآن في تعريفها باللام - أي: المعرفة بأل (التلاوة) هكذا - يُراد بها المتلوه، ويراد بها الفعل - أي: فعل التالي - إن أردتَ بها فعل التالي فهي مخلوقة، وإن أردتَ بها المتلوه فهي غير مخلوقة.

أما إذا قيل: تلاوة القرآن، فهي غير ما أَرادَه ابن القيم هنا.

إذا قيل: تلاوة القرآن، فإنها تنقسم إلى قسمين من وجه آخر: يُراد بتلاوته قراءته، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آتَاءَ آيَاتٍ﴾ [آل عمران: ١١٣].

ويراد بتلاوته اتِّباعه، كما تقول: تلا فلانٌ فلانًا، أي: تابعه، وأتى تاليًا له.

فعدنا الآن تلاوة القرآن، وعندنا التلاوة، فالتلاوة لها معنيان:

تلاوة بمعنى المتلو، فهي مصدر بمعنى اسم المفعول، فيكون المراد بها القرآن، وهو غير مخلوق.

و(تلاوة) بمعنى فعل التالي، وحينئذ تكون مخلوقة، لأن الإنسان وأفعاله مخلوقان.

أما تلاوة القرآن بالإضافة، وهي غير محلاة بـ(أل) فيراد بها معنيان: المعنى الأول: قراءته، أي: قراءة القرآن. والمعنى الثاني: اتباع القرآن.

قَوْلُهُ: «هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَذِي الْأَكْوَانِ» التمثيل هنا في قوله: «كَذِي الْأَكْوَانِ» هل هو للمنفي أو للنفي؟

الجواب: للمنفي، لأنَّ الْأَكْوَانَ مخلوقةٌ، والقرآنَ غيرُ مخلوق.

فقَوْلُهُ: «غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَذِي الْأَكْوَانِ» هذا تمثيل للمخلوق، يعني: للمنفي، لا للنفي.

٧٧٨- وَيُرَادُ أَفْعَالُ الْعِبَادِ كَصَوْتِهِمْ وَأَدَائِهِمْ وَكِلَاهُمَا خَلْقَانِ

قَوْلُهُ: «وَيُرَادُ أَفْعَالُ الْعِبَادِ» يعني: يُراد بالتلاوة أفعالُ العباد.

قَوْلُهُ: «كَصَوْتِهِمْ وَأَدَائِهِمْ وَكِلَاهُمَا خَلْقَانِ» الصوت معروف، وهو ما يُسمع، و(الأداء) يعني: حسن القراءة، فهذا كله مخلوق.

٧٧٩- هَذَا الَّذِي نَصَّتْ عَلَيْهِ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ  
٧٨٠- وَهُوَ الَّذِي قَصَدَ الْبُخَارِيُّ الرِّضَا لَكِنْ تَقَاصَرَ قَاصِرُ الْأَذْهَانِ

البخاري - رحمه الله - حصل بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي<sup>(١)</sup> مناظرة كبيرة عظيمة في اللفظ في قول الإنسان: (اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟) والبخاري - رحمه الله - فصّل كالتفصيل الذي سبق آنفاً، وهو أنه إن قُصِدَ باللفظ الملفوظ به فهو غير مخلوق، وإن قُصِدَ باللفظ التلغظ الذي هو فعل الإنسان فهو مخلوق.

قَوْلُهُ: «الْبُخَارِيُّ الرِّضَا» هَذَا الْمَوْلَفُ - رحمه الله - أَثْنَى عَلَى الْبُخَارِيِّ، وَوَصَفَهُ بِالرِّضَا، وَالرِّضَا مَصْدَرٌ بَدَلَ عَنِ الرَّاضِي أَوْ الْمُرْضِي عَنْهُ.

٧٨١- عَنْ فَهْمِهِ كَتَقَاصِرِ الْأَفْهَامِ عَنْ قَوْلِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ الشَّيْبَانِيِّ  
قَوْلُهُ: «الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ الشَّيْبَانِيِّ» هُوَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رحمه الله -.

٧٨٢- فِي اللَّفْظِ لَمَّا أَنْ نَفَى الضُّدَيْنِ عَنْهُ وَاهْتَدَى لِلنَّفْيِ ذُو عِرْفَانٍ  
يعني يُقال: لا تقل: مخلوق ولا غير مخلوق، فالإمام أحمد - رحمه الله - قال: لا تقل: (لفظي بالقرآن مخلوق)، ولا تقل: (غير مخلوق)، فنفي عنه الضدين، وقال (من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي)، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع).

(١) هو محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي مولا هم النيسابوري، أبو عبد الله، من حُفَظَا الْحَدِيثِ ثِقَةً، مِنْ أَهْلِ نَيْسَابُورٍ، رَحَلَ رِحْلَةً وَاسِعَةً فزار بغداد والبصرة وغيرهما في طلب الحديث، واشتهر. وروى عنه البخاري أربعة وثلاثين حديثاً، توفي (٢٥٨هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٧/١٣٥).

إِذْنٌ مَّقْتَضِي هَذَا الْكَلَامِ أَلَّا أَقُولَ: (مَخْلُوقٌ) وَلَا غَيْرَ مَخْلُوقٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُشْكَلُ، فَإِذَا قُلْتُ: (مَخْلُوقٌ) صَرْتُ جَهْمِيًّا، وَإِنْ قُلْتُ: (غَيْرَ مَخْلُوقٍ) صَرْتُ مَبْتَدِعًا، إِذْنٌ أَسْكُتُ، وَلَا أَقُولُ هَذَا وَلَا هَذَا.

٧٨٣- فَالْلَفْظُ يَصْلُحُ مَصْدَرًا هُوَ فِعْلُنَا كَتَلَفُّظٍ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ

٧٨٤- وَكَذَلِكَ يَصْلُحُ نَفْسٌ مَلْفُوظٌ بِهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ فَذَانِ مُحْتَمِلَانِ

٧٨٥- فَلِذَاكَ أَنْكَرَ أَحْمَدُ الْإِطْلَاقَ فِي نَفْسِي وَإِثْبَاتِ بِلَا فُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «فَالْلَفْظُ يَصْلُحُ مَصْدَرًا هُوَ فِعْلُنَا» يَعْنِي: اللَّفْظُ قَدْ يُرَادُ بِهِ الْمَصْدَرُ الَّذِي هُوَ فِعْلُنَا: يَعْنِي التَّلْفِظَ.

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ يَصْلُحُ نَفْسٌ مَلْفُوظٌ بِهِ» وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ اللَّفْظُ بِمَعْنَى الْمَلْفُوظِ بِهِ.

وقوله: «فَذَانِ مُحْتَمِلَانِ» إِذْنٌ أَنْتَ إِذَا قُلْتَ: (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ) قَدْ يَفْهَمُ السَّمَاعُ أَنَّكَ تَرِيدُ بِاللَّفْظِ اسْمَ الْمَفْعُولِ، وَحِينَئِذٍ يَأْخُذُ بِرَأْيِ الْجَهْمِيَّةِ، لِأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ يَقُولُونَ: الْمَلْفُوظُ بِهِ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ مُحْتَمَلٌ لِهَذَا الْمَعْنَى الْفَاسِدِ.

ومحتمل لمعنى صحيح وهو تلفظي بالقرآن مخلوق، وهذا صحيح، لكن الإمام أحمد قال: إنه بدعة، لأن السلف ما تكلموا به، فليس في كلام الصحابة ولا كلام التابعين أن يقال: (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ)، فلهذا قال: إنه بدعة، فلا تُطْلَقُ، لكن عند التفصيل يزول الإشكال، فنقول للقائل: ماذا تريد بقولك: (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ)؟ إن قال: أريد ما أَلْفِظُ بِهِ، نقول: هو جهمي، لأن معناه أنه أراد القرآن، فلا نصحح قوله.

وإن قال: أريد بـ (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ) صوتي وتلفظي بالشيء، وحركاتي،  
نقول: قولك هذا صحيح، ولكن لا تُطَلِّق، لأنك إذا أطلقت أوهمت معنى  
فاسدًا، ولهذا منع الإمام أحمد - رحمه الله - من هذا.

\* \* \*

## فصل

### في مقالات الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب - جل جلاله -

- ٧٨٦- وَأَتَى ابْنُ سَيْنَا الْقَرْمُطِيَّ مُصَانِعًا  
لِلْمُسْلِمِينَ بِإِفْكَ ذِي بُهْتَانِ
- ٧٨٧- فَرَأَهُ فَيَضًا فَاضَ مِنْ عَقْلِ هُوَ الْـ  
فَعَالَ عِلَّةَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
- ٧٨٨- حَتَّى تَلَقَّاهُ زَكِيٌّ فَاضِلٌ  
حَسَنُ التَّخْيِيلِ جَيِّدُ التَّبْيَانِ
- ٧٨٩- فَاتَى بِهِ لِلْعَالَمِينَ خَطَابَةً  
وَمَوَاعِظًا عَرِيَّتْ عَنِ الْبُرْهَانِ
- ٧٩٠- مَا صَرَّحَتْ أَخْبَارُهُ بِالْحَقِّ بَلْ  
رَمَزَتْ إِلَيْهِ إِشَارَةً لِمَعَانِ
- ٧٩١- وَخِطَابُ هَذَا الْخَلْقِ وَالْجُمْهُورِ بِالْـ  
حَقِّ الصَّرِيحِ فَعَيْرُ ذِي إِمْكَانِ
- ٧٩٢- لَا يَقْبَلُونَ حَقَائِقَ الْمَعْقُولِ إِلْـ  
لَا فِي مِثَالِ الْحِسِّ وَالْأَعْيَانِ
- ٧٩٣- وَمَشَارِبَ الْعُقْلَاءِ لَا يَرِدُونَهَا  
إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ لَهُمْ بِأَوَانِ
- ٧٩٤- مِنْ جِنْسٍ مَا أَلْفَتْ طِبَاعُهُمْ مِنْ الْـ  
مُحْسُوسِ فِي ذَا الْعَالَمِ الْجُثْنَانِي
- ٧٩٥- فَاتُوا بِتَشْبِيهِ وَتَمْثِيلٍ وَتَجْـ  
سِيمٍ وَتَخْيِيلٍ إِلَى الْأَذْهَانِ
- ٧٩٦- وَلِذَاكَ يَحْرُمُ عِنْدَهُمْ تَأْوِيلُهُ  
لَكِنَّهُ حِلٌّ لِيذِي الْعِرْفَانِ
- ٧٩٧- فَإِذَا تَأَوَّلْنَاهُ كَانَ جِنَايَةً  
مِنَّا وَخَرَقَ سِيَاجَ ذَا الْبُسْتَانِ

- ٧٩٨- لَكِنْ حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ أَنْ قَدْ أَتَوْا بِالْكَذِبِ عِنْدَ مَصَالِحِ الْإِنْسَانِ  
 ٧٩٩- وَالْفَيْلَسُوفُ وَذَا الرَّسُولِ لَدَيْهِمْ مُتَّفَاوِتَانِ، وَمَا هُمَا عِدْلَانِ  
 ٨٠٠- أَمَّا الرَّسُولُ فَفَيْلَسُوفٌ عَوَامَّهُمْ وَالْفَيْلَسُوفُ نَبِيُّ ذِي الْبُرْهَانِ  
 ٨٠١- وَالْحَقُّ عِنْدَهُمْ فَفِيهَا قَالَهُ أَتْبَاعُ صَاحِبِ مَنْطِقِ الْيُونَانِ

### الشرح

هذه المقطوعة حكي فيها المؤلف - رحمه الله - قول الفلاسفة والقرامطة في كلام الربّ - جلّ جلاله -.

قوله: «الفلاسفة» جمع فيلسوف، وهي كلمة يونانية مأخوذة من (فيل) و(سوف)، و(فيل) بمعنى: محبّ، و(سوف) بمعنى الحكمة، أي: محبّ الحكمة، هذا الفيلسوف عندهم.

يقول - رحمه الله -:

٧٨٦- وَأَتَى ابْنُ سَيْنَا الْقَرْمُطِيَّ مُصَانِعًا لِلْمُسْلِمِينَ بِإِفْكِ ذِي بُرْهَانِ

أمّا القرامطة فهم أتباع القرمطي المشهور بالإلحاد، هؤلاء يقولون: إنّ كلام الله عزّ وجلّ هو فيضٌ يفيضه العقل الفعّال، والعقل الفعّال - عندهم - هو علة الموجودات كلها، لأنهم لا يُقرّون بالخالق.

يقولون: هذه الموجودات لها علة فاعلة، علة معقولة لا محسوسة، هذه العلة فاض منها فيض على نفس زكية قابلة لهذا الفيض، فانطبع هذا الفاض من العقل الفعّال في قلب هذا الرجل الزكي.

وإنما قالوا هذا - كما قال ابن القيم - مُصْنَعَةٌ للمسلمين، لأنهم يَدْعُونَ الإسلام، وليسوا كذلك.

وقد صرَّح شيخ الإسلام وابن القيم بأن ابن سينا كافرٌ، ليس من المسلمين، وإن كان مُقَدَّسًا عند القوميين العرب وأشباههم ممن لا يقيمون للدين وزناً ولا للعقيدة اعتباراً، فهو عندهم مُقَدَّس حتى إنهم قد يسمُّون بعض المدارس باسم هذا الرجل (ابن سينا) مع أنه كافر، والكافر لا يجوز أن يُنَوَّه باسمه إطلاقاً، بل يُدفن ويُقَبَّر، وإذا كان له من دعاية أو نشر كتب مضلة فيذكر على سبيل الذم، لا على سبيل المدح، اسمع ما يقول مصانعة للمسلمين، يقول:

٧٨٧- فَرَأَهُ فَيْضًا فَاضٍ مِنْ عَقْلِ هُوَ الْفَعَّالُ عَلَّةُ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

العقل الفَعَّال الذي هو علة هذه الأكوان، يعني العلة التي بها حدثت الأكوان، وليس هناك رَبٌّ - والعياذ بالله - بل هذه الأكوان حدثت بعلة.

٧٨٨- حَتَّى تَلْقَاهُ زَكِيٌّ فَاضِلٌ حَسَنُ التَّخْيَلِ جَيِّدُ التَّبَيَّنِ

يعني به: الرسول، فالنَّبِيُّ تلقى هذا الفيض.

وَقَوْلُهُ: «زَكِيٌّ فَاضِلٌ» أي: صافي العقيدة، حسن التخيل.

قَوْلُهُ: «جَيِّدُ التَّبَيَّنِ» أي: يستطيع أن يعبرَ ببيان جيد، فيقول: هذا كلامُ رَبِّ

العالمين.

٧٨٩- فَآتَى بِهِ لِلْعَالَمِينَ خُطَابَةً وَمَوَاعِظًا عَرِيَّتْ عَنِ الْبُرْهَانِ

يعني: ليس لها برهان ولا أصل إلا هذا الفيض الذي فاض من هذا العقل

كما يَدْعُونَ.

٧٩٠- مَا صَرَّحَتْ أَخْبَارُهُ بِالْحَقِّ بَلْ رَمَزَتْ إِلَيْهِ إِشَارَةً لِمَعَانٍ

قال أيضًا: هذا الكلام الذي أتى به هذا الزكي، لا يريد بالقرآن ظاهره، بل المراد به إشارات خفية، يعجز عنها عامة الناس، ولا يعرفها إلا الخواص منهم.

٧٩١- وَخِطَابُ هَذَا الْخَلْقِ وَالْجُمْهُورِ بِالْحَقِّ الصَّارِحِ فَغَيْرُ ذِي إِمْكَانٍ

يقول: لو أنهم خوطبوا -وأريد بالخطاب صريح ما يدل عليه- فإن هذا ممتنع، لماذا؟ قال: لأنهم...

٧٩٢- لَا يَقْبَلُونَ حَقَائِقَ الْمَعْقُولِ إِلَّا لَافِي مِثَالِ الْحِسِّ وَالْأَعْيَانِ

يعني: هذا القرآن الذي فاضه العقل على نفس هذا الزكي هذا له معاني ظاهرة ومعاني باطنة مشار إليها إشارة لا يفهما الخلق ولا العوام، لأن الخلق والعوام لا يفهمون إلا الشيء المحسوس، أما الشيء المعقول فإنهم لا يدركونه، ومحال أن يدركوه.

فالعوام لا يفهمون إلا المحسوس، ولهذا قال: (لَا يَقْبَلُونَ حَقَائِقَ الْمَعْقُولِ إِلَّا لَافِي مِثَالِ الْحِسِّ وَالْأَعْيَانِ) يعني: إلا إذا جعل على صورة شيء محسوس ومعاني، فالجنة والنار وما فيها من عذاب ونعيم كل هذا غير مراد، فكل هذا تخيل وليس بحقيقة، لكن صور للعادة بصورة المحسوس من أجل أن يقبلوه ويفهموه.

٧٩٣- وَمَشَارِبَ الْعُقَلَاءِ لَا يَرِدُونَهَا إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ لَهُمْ بِأَوَانٍ

٧٩٤- مِنْ جِنْسٍ مَا أَلْفَتْ طِبَاعُهُمْ مِنَ الْ

وَقَوْلُهُ: «وَمَشَارِبَ الْعُقَلَاءِ لَا يَرِدُونَهَا» من الذين لا يردونها؟ الجواب: عامة الخلق، مشارب العقلاء لا يردونها، لأن مشارب العقلاء للعقلاء، أما العامة

الهمج الرَّعاع فهؤلاء لا يمكن أن يَرِدُوا هذا، فَتَضَرَّبُ لهم الأمثال المحسوسة رمزاً إلى أمورٍ معقولة.

قَوْلُهُ: «إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ لَهُمْ بِأَوَانٍ» سبحانه الله! تمثيل عجيب، يعني: لا يستطيع أن يشرب من الحوض والنهر، لكن إذا جئت له بالماء في آنية استطاع، فيقول: إِنَّ المعقولات التي ترمز إليها هذه الكلمات هذه لا يَرِدُها العوام، إنما يرد العوام الأشياء المحسوسة التي يدركونها بحسّهم.

٧٩٥- فَاتَّوَا بِتَشْبِيهِ وَتَمَثِيلٍ وَتَجْج — سِيمٍ وَتَخْيِيلٍ إِلَى الْأَذْهَانِ

يعني: أن هذا الذي جاءت به الرسل من كلام الله ما هو إلا شيء وتخيل للأذهان من أجل تقريبه على العامة، وإلا فحقيقته غير ما يدلُّ عليه اللفظ.

٧٩٦- وَلِذَلِكَ يَحْرُمُ عِنْدَهُمْ تَأْوِيلُهُ لَكِنَّهُ حِلٌّ لِذِي الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «وَلِذَلِكَ يَحْرُمُ عِنْدَهُمْ تَأْوِيلُهُ» يعني: لا يجوز أن يُفَسَّرَ للعامة بالمعاني المعقولة المرادة، لماذا؟

الجواب: لأنَّ العامة لا يستطيعون أن يفهموا هذا، ولا يقبلون إلا بما شهد به الحسّ.

قَوْلُهُ: «لَكِنَّهُ حِلٌّ لِذِي الْعِرْفَانِ» (ذو العرفان) هم علماء وهم الفلاسفة، هؤلاء فسَّره لهم بالمعنى المراد، أما العامة فلا.

مثال: ف (الحج) هو قصد مكة لأداء المناسك، هم قالوا: لا، الحج أن تقصد المشايخ والأولياء، تطلب منهم المغفرة، ومسحةً يمسحون عليك بها تكون سعيداً إلى يوم القيامة.

(الصيام): التعبد لله بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، قالوا: لا، ليس هذا الصيام، بل الصيام أن تكتم أسرارنا، ولا تخبر بما وراءنا، لأنَّ الصيام مشتق من الإمساك فأَمْسِكْ أي: (اسكت) يعني: صُم عن هذا الكلام، لا تُخْبِرْ به أحدًا.

و(الصلاة) فهي عبادة ذات ركوع وسجود، مُفْتَحَةٌ بالتكبير مُحْتَمَةٌ بالتسليم، هم قالوا: لا، الصلاة أن تعرف أسرارنا، لأنَّ الصلاة من الصلة يعني أن تكون ذا صلة بنا، فالصلاة بداية، والصيام نهاية، فَصَلَّ يعني: تعلَّم أسرارنا، و(صُم) يعني: اكتمها، فهذه الصلاة وهذا الصيام عندهم.

ف نقول لهم: الصلاة والصيام معروفان عند المسلمين، فيقولون: لا، هذا الذي تقولون إسلامُ العامَّة، أمَّا نحن فإنَّ الكلمات عندنا رموز لمعانٍ لا يفهمها العامة.

٧٩٧- فَإِذَا تَأَوَّلْنَاهُ كَانَ جِنَايَةً مِّنَّا وَحَرْقٌ سِيَّاحِ ذَا البُسْتَانِ

يعني: لو تأوَّلناه عند العامة كان هذا جنائيةً، لأنَّ من شروط التَّنَسُّك عندهم أن تَكْتُم أسرارهم، ولهذا العبادة عندهم -فيما أظنُّ- علي عشر مراحل ينزلها الإنسان مرحلةً مرحلةً حتى يَصِل إلى الغاية.

ثم قال:

٧٩٨- لَكِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ أَنْ قَدْ أَتَوْا بِالْكَذِبِ عِنْدَ مَصَالِحِ الْإِنْسَانِ

يعني: قيل لهم: إذا كان الأمر كما قلتهم، فما تقولون فيما جاءت به الرسل، فالرسل جاءوا للناس، وقالوا: هذه الصلاة، وهذا الصيام، وهذا الحج، وقالوا: هناك جنة ونار، وعذاب ونعيم؟

قالوا: هذا كُلهُ كذب، فلا جنة ولا نار، ولا نعيم ولا عذاب، ولا شيء أبدًا، لكن هذا كَذِبٌ، كَذَبَ به الرسل من أجل المصلحة -أعوذ بالله- كذبوا لمصلحة؟! قالوا: نعم، لأنَّ الناس إذا قيل لهم: (افعلوا كذا)، قد لا يستجيبون، وإذا قيل: (لا تفعلوا كذا)، قد لا يتتهون، لكن إذا قيل لهم: إن فعلتم كذا أسكنناكم جنة فيها من النعيم المقيم ما لا يَحْطِرُ على البال، فإنهم يفعلون.

وإذا قيل لهم: إن خالفتم أسكنناكم نارًا فيها من العذاب كذا وكذا، فإنهم يتتهون.

فالرسل كَذَبُوا من أجل المصلحة كما تقول للصبي: (افعل هذا أعطيك حلاوة)، (ولا تفعل هذا فأكويك بالجمرة) فيفعل الصبي، ولا يفعل الثاني، مع أنه لا يعطيه حلاوة، ولن يكويه بالجمرة.

فهذا هو -والعياذ بالله- رأيهم في الرسل أنهم كذبوا عند مصالح الإنسان.

ثُمَّ قَالَ:

٧٩٩- وَالْفَيْلَسُوفُ وَذَا الرَّسُولُ لَدَيْهِمْ مُتَّفَاوَتَانِ، وَمَا هُمَا عِدْلَانِ

الفيلسوف والرسول متفاوتان أي: بينهما فرق عظيم، وما هما عدلان، والفرق ذكره بقوله:

٨٠٠- أَمَّا الرَّسُولُ فَفَيْلَسُوفُ عَوَامِهِمْ وَالْفَيْلَسُوفُ نَبِيُّ ذِي الْبُرْهَانِ

يقولون: هؤلاء الرسل للعوام، أما الفيلسوف الذي هو فيلسوف عندهم فهو نبيُّ ذي البرهان، فهذا هو النبيُّ الحقيقي، أما ذاك فهو رسول للعوام.

وهذا -والعياذ بالله- أكفر من كفر اليهود والنصارى بلا شك.

فإذا كانوا يقولون: الرسل: محمد - عليه الصلاة والسلام - وإبراهيم، وموسى، وعيسى، هؤلاء رسل عوام كذابون، ما صدقوا، والفلاسفة عندهم هم الأنبياء، هم الذين يتلقون من العقل الفعّال، ويأتون بما فيه الخير.

٨٠١- وَالْحَقُّ عِنْدَهُمْ فَصِيًّا قَالَهُ أَتَبَاعُ صَاحِبِ مَنْطِقِ الْيُونَانِ  
يعني: وليس فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

\*\*\*

- ٨٠٢- وَمَضَى عَلَى هَذِي الْمَقَالَةِ أُمَّةٌ خَلَفَ ابْنِ سَيْنَا فَاغْتَدَوْا بِلِبَانِ  
٨٠٣- مِنْهُمْ نَصِيرُ الْكُفْرِ فِي أَصْحَابِهِ النَّاصِرِينَ لِمِلَّةِ الشَّيْطَانِ  
٨٠٤- فَاسْأَلْ بِهِمْ ذَا خِزْبَةٍ تَلَقَاهُمْ أَغْدَاءَ كُلِّ مُوَحِّدٍ رَبَّانِي  
٨٠٥- وَاسْأَلْ بِهِمْ ذَا خِزْبَةٍ تَلَقَاهُمْ أَغْدَاءَ رُسُلِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ  
٨٠٦- صُوفِيَّيْهِمْ عَبْدَ الْوُجُودِ الْمُطْلَقِ الْ مَعْدُومَ عِنْدَ الْعَقْلِ فِي الْأَعْيَانِ  
٨٠٧- أَوْ مُلْحِدٌ بِالِاتِّحَادِ يَدِينُ لَا التَّ تَوْحِيدِ مُنْسَلِخٍ مِنَ الْأَدْيَانِ  
٨٠٨- مَعْبُودُهُ مَوْطُوءُهُ فِيهِ يَرَى وَصَفَ الْجَمَالِ وَمَظْهَرَ الْإِحْسَانِ  
٨٠٩- اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ عَلَى ذَا الْمَذْهَبِ الْمَلْعُونِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ شَيْخَانِ  
٨١٠- يَبْنِعُونَ مِنْهُمْ دَعْوَةً وَيُقْبَلُونَ نَ أَيَادِيًّا مِنْهُمْ رَجَا الْعُفْرَانِ  
٨١١- لَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ رَجْمُوهُمْ لَا شَكَّ بِالصَّوَّانِ  
٨١٢- فَا بُدِّرْ لَهُمْ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي كَشْفَهُمْ وَافْرِشْ لَهُمْ كَفًّا مِنَ الْأَثْبَانِ

- ٨١٣- وَاطْهَرُ بِمَظْهَرٍ قَابِلٍ مِنْهُمْ وَلَا تَظْهَرُ بِمَظْهَرٍ صَاحِبِ النُّكْرَانِ  
٨١٤- وَأَنْظُرْ إِلَى أَنْهَارٍ كُفْرٍ فُجِّرَتْ وَتَمِّمْ لَوْ لَا السَّيْفُ بِالْجَرَيَانِ

### الشرح

يقول - رحمه الله - في هذه المقطوعة:

- ٨٠٢- وَمَضَى عَلَى هَذِي الْمَقَالَةِ أُمَّةٌ خَلَفَ ابْنِ سَيْنَا فَاعْتَدُوا بِبِلْبَانِ

يعني أن ابن سينا - والعياذ بالله - كان قائداً إلى النار، لأنه مضى على مقالته أمةً اغتدوا بلبان، وبئس اللبان فإنه لبان أتت من لبان الحمير، لكن:

- ٨٠٣- مِنْهُمْ نَصِيرُ الْكُفْرِ فِي أَصْحَابِهِ النَّاصِرِينَ لِـمِلَّةِ الشَّيْطَانِ

قوله: «نصير الكفر» هذا هو نصير الدين الطوسي، الذي كان وزيراً هو لاكو ملك التتر، الذي قتل الخليفة العباسي في بغداد، وقتل من العلماء أمماً لا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ، هذا الخبيث يُسَمَّى نصير الدين، ولكن ابن القيم وصفه بما هو أهله فقال: (نصير الكفر).

وصدق - رحمه الله -، نصير الكفر على مذهب ابن سينا وأتباعه الناصرين لمِلَّةِ الشَّيْطَانِ لَا لِـمِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- ٨٠٤- فَاسْأَلْ بِهِمْ ذَا خَبْرَةٍ تَلْقَاهُمْ أَغْدَاءَ كُلِّ مُوَحِّدٍ رَبَّانِي

- ٨٠٥- وَاسْأَلْ بِهِمْ ذَا خَبْرَةٍ تَلْقَاهُمْ أَغْدَاءَ رُسُلِ اللهِ وَالْقُرْآنِ

ومن أهل الخبرة في مذهبهم ابن القيم، فإنه درس الملل والنحل والمذاهب وعرفها كما درسها قبله شيخه ابن تيمية - رحمهما الله جميعاً -.

إِذَنْ هُمْ أَعْدَاءُ التَّوْحِيدِ وَأَعْدَاءُ الرِّسَالَةِ.

أعداء التوحيد يؤخذ من قوله: «أَعْدَاءُ كُلِّ مُوَحِّدٍ»، وأعداء الرسل يؤخذ من قوله: «أَعْدَاءُ رُسُلِ اللَّهِ».

٨٠٦- صُوفِيهِمْ عَبْدَ الْوُجُودِ الْمُطْلَقِ الْمَعْدُومِ عِنْدَ الْعَقْلِ فِي الْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «صوفِيهِمْ» يعني الصوفي منهم مَنْ عبد الوجودَ المطلق، كيف عبد الوجودَ المطلق؟ لأنهم يرون أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، ومعنى الوجود المطلق بشرط الإطلاق: أنه لا يمكن أن يُوصف بصفة، فلا تقل: موجود ولا معدوم.

لو قيل لهم: مَنْ إلهكم؟ مَنْ رَبُّكُمْ؟ قالوا: ربنا لا موجود، ولا معدوم، ولا حيٌّ ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ولا سميع ولا أصم، ولا بصير ولا أعمى، لا يمكن أن يُوصف بصفة، هل هذا يمكن أن يكون موجودًا ويمكن أن يكون ربًّا؟

الجواب: أبدًا، ولا يمكن أن يوجد هذا الرَّبُّ إِلَّا فِي الْأَذْهَانِ فَقَطْ، يعني:

الذهن قد يفرض ذاتًا ليس لها صفات، أما الوجود في الخارج فلا، ولهذا قال:

(عَبَدَ الْوُجُودَ الْمُطْلَقَ الْمَعْدُومَ عِنْدَ الْعَقْلِ) فهذا معدوم، فنحن إذا

قلنا: إِنَّ الرَّبَّ المعبود ليس موجودًا ولا معدومًا، ولا حيًّا ولا ميتًا، ولا سميعًا ولا أصمًّا، ولا بصيرًا ولا أعمى، ولا عالمًا ولا جاهلًا، فإنه يكون عدما.

هم يعبدون هذا، يعبدون مَنْ لا يُوصف بسمع ولا بصير، ولا حياة ولا موت،

ولا غير ذلك، بل ولا وجود ولا عدم، نسأل الله العافية.

يعني: لولا أنها مذاهب كُتِبَتْ، ونقلها الثقات لقلنا: إِنَّ هذا لا يمكن أن يتصوره متصورٌ فضلاً أن يجعله مُعْتَقِداً، ويطمئن إليه إلى أن يلقي الله، لكن نسأل الله العافية.

٨٠٧- أَوْ مُلْحِدٌ بِالْأَتْحَادِ يَدِينُ لَا التَّوْحِيدِ مُنْسَلِخٍ مِنَ الْأَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ مُلْحِدٌ بِالْأَتْحَادِ يَدِينُ لَا التَّوْحِيدِ» يعني: يدين بالائتقاد لا التوحيد.

وفرق بين الائتقاد والتوحيد، فالتوحيد: توحيد الخالق، والائتقاد: جعل الخالق والمخلوق شيئاً واحداً، هذا مذهبهم.

فهم يقولون: (الخلقُ والمخلوقُ شيءٌ واحدٌ) فالله هو زيد وعمرو وبكر وخالد، هو الجمل والناقة، هو الدجاجة والديك، هو الحمار والبغل -والعياذ بالله- هذا هو الإله عندهم.

يقولون: لأنَّ الخالقَ اتَّحَدَ في المخلوق، فصارا شيئاً واحداً.

هؤلاء -والله العظيم- أكفر من النصارى، لأنَّ النصارى لم يجعلوه اتِّحاداً عاماً، بل جعلوه اتِّحاداً خاصاً، فجعلوا الائتقادَ في رسولٍ هو أشرف جنس بني آدم، وهؤلاء جعلوه في الكتاب والحمير وكلِّ شيء، ولم ينزّهوه عن شيء أبداً، بل يقولون: زوجته هي الله، وهو الله، والعياذ بالله.

هؤلاء عبدوا الكونَ كُلَّهُ، ليس عندهم معبود، بل عَبَادُ البقرِ أَحْسَنُ من هؤلاء، فالبقر طيبٌ وحلال، وهؤلاء يعبدون الحمير، والكلاب، والخنزير، ولهذا يقول:

٨٠٨- مَعْبُودُهُ مَوْطُوءُهُ فِيهِ يَرَى وَصَفَ الْجَمَالِ وَمَظْهَرَ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «مَعْبُودُهُ مَوْطُوءُهُ» - أعوذ بالله - يعني: زوجته التي هو يطؤها هي معبوده، يطاء امرأة يقول: هي رَبُّه، نسأل الله العافية.

قال ابن القيم:

٨٠٩- اللهُ أَكْبَرُ كَمْ عَلَى ذَا الْمَذْهَبِ الْمَلْعُونِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ شَيْخَانِ

قَوْلُهُ: «اللهُ أَكْبَرُ» هذه الكلمة مثل قولنا: (اللهُ حَسِيكَ) يعني أنني أقابلك بكبرياء الله عزَّ وجلَّ وعظمته، كما تقول: (اللهُ أَكْبَرُ عَلَيْكَ)، ويحتمل أنه لا يريد هذا يعني: لا يريد التحسب عليهم، وإنما يريد تعظيمَ الله، وأنه أعظم مما وصفوه به.

قَوْلُهُ: «كَمْ عَلَى ذَا الْمَذْهَبِ الْمَلْعُونِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ شَيْخَانِ» كم هذه تكثيرية، يعني: هذا المذهب الملعون - وهو أدنى أوصافه أن يكون ملعوناً - كم عليه بين الناس من شيخان.

وقَوْلُهُ: «شَيْخَانِ» جمع (شيخ).

٨١٠- يَبْغُونَ مِنْهُمْ دَعْوَةً وَيُقْبَلُونَ نَ أَيَادِيًّا مِنْهُمْ رَجَا الْعُقْرَانِ

قَوْلُهُ: «يَبْغُونَ مِنْهُمْ دَعْوَةً» الضمير هنا في (يَبْغُونَ) يعود على الناس.

والضمير في (مِنْهُمْ) يعود على (الشَّيْخَانِ).

ومعنى البيت: أن الشَّيْخَانَ، والفلاسفة، والملاحدة، والاتحادية هؤلاء يُنصَّبون أنفسهم أولياء، وعامة الهمج الرِّعَاع يأتون لهم، وينادونهم بـ (سيدي)، والعارف بالله، ولي الله... إلخ من الألقاب، ويهيلون عليهم هالة من الألقاب.

يقول ابن القيم: يأتونهم ويبغون منهم دعوة، وما أبعد إجابة الدعوة لهؤلاء! يقول: يا سيدي ادعُ الله لي، فليس عندي أولاد، وتجيء المرأة، وتقول:

سيدي لم أُخْطَب، وأنا بلغت ثلاثين سنة، ادعُ الله لي... إلخ، وهو يدعو، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

قوله: «وَيُقْبَلُونَ أَيَادِيًا مِنْهُمْ رَجَا الْغُفْرَانَ» يعني: ربما يمدُّ الشيخُ يده من حين ما يُقبلُ العامَّةَ لأجل أن يقبلوها للتعظيم، وربما ينحنون له ويركعون ويسجدون، ولا يُهمُّ هذا، قال ابن القيم:

٨١١- لَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ رَجَّوْهُمْ لَا شَكَّ بِالصَّوَّانِ  
قوله: «لَوْ أَنَّهُمْ» الضمير يعود على الناس.

قوله: «عَرَفُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ» أي: عرفوا حقيقة أمر السُّيَّخَانِ.

لو عرفوا أنَّ هؤلاء القوم لا يَعْبُدُونَ أحداً، ولا يعتقدون وجود رَبِّ إِلَّا هذا الكون (رَجَّوْهُمْ بِالصَّوَّانِ) والصَّوَّان: الحَجَرُ القوي، وهو ما يُعرف عندنا بالمَرْو، وهم مستحقون لذلك، بل أكثر من هذا، ولهذا يقول -رحمه الله-:

٨١٢- فَايْذُرْ لَهُمْ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي كَشْفَهُمْ وَافْرِشْ لَهُمْ كَفًّا مِنَ الْأَتْبَانِ

يعني: إذا كنت تريد أن تكشف حال هؤلاء لا تجادلهم، ولا تُعَنِّفَهُمْ، فإنك إن عَنَنْتَ فهم في مقام رفيع -عند أنفسهم- يخاطبونك من منطلق الاستعلاء والقوة، لأنَّ العامَّةَ كُلَّهُمْ معهم، تجيء البيت أو المكان الذي حوله تجد عامَّةً مثل الجراد، لو تأتيه وتعنف عليه يُغري بك هؤلاء، مَنْ يفكك مِنْ هؤلاء العامَّة؟! والعوام كما يقولون: هوام.

لكن يقول: جادلهم، افرش لهم كفاً من الأتبان، يعني: من الشيء السهل اللين، واستدرج بهم كأنك تريد أن تفهم مذهبهم.

وهذه من الأساليب الجيدة، إذا أردت أن تستخرج ما عند الإنسان فلا تنكر عليه، إذا أنكرت عليه إن كان هو في مقام يرى نفسه أعلى منك زجرك ورحت بعيداً، وإن كان لا يشعر بأنه أعلى منك نهرك أو كتم ما عنده، لكن استدرج به، وإن كان بعض الإخوة يقول: هذا من باب التجسس.

فنقول: ليس هذا من باب التجسس، بل هذا من باب العثور على الحقيقة، وقد فعله نبيٌّ من الأنبياء، كانت امرأتان معها ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك. وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكما إلى داود، ففضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرته فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل -يرحمك الله- هو ابنها. ففضى به للصغرى<sup>(١)</sup>. لكن لماذا قضى به للصغيرة؟

الجواب: لأنه عرف أن الكبيرة لم ترحمه بدليل أنها وافقت على شقه، وأنه سيموت بذلك، فعرف أنها ليست أمه، والصغيرة عرف أنها أمه.

إذن هل نقول: هذا تجسس؟

الجواب: لا، أبداً، إذا عمل الإنسان عملاً يدرك به الحقيقة مع وجود القرينة فهذا طيب، فمثلاً إذا جئنا لإنسانٍ ملحد أو منافق واستدرجناه كأننا نريد أن ندخل في مذهبه فليس في هذا مانع.

الآن الذين يُروِّجون المخدرات يوجد بعض الناس الذين يستدرجونهم، ويعطونهم الدراهم حتى يبيعوا لهم، فهذا الاستدراج جائز لاستخراج الحق.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، برقم (٣٢٤٤).

المهم أن ابن القيم أعطانا هذه الطريقة وهي جيّدة، يقول: ( فَاْبْدُرْ لَهُمْ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي كَشْفَهُمْ ) باللّين، افرش، والناس يقولون: أعطاه فرشه يعني: مهّد له الأمر حتى يستمكن منه.

٨١٣- وَاطْهَرُ بِمَظْهَرٍ قَابِلٍ مِنْهُمْ وَلَا تَظْهَرُ بِمَظْهَرٍ صَاحِبِ النُّكْرَانِ

وهذا صحيح، لأنك لو ظهرت بمظهر صاحب النكران - كما سبق - إن كان يرى أنه في مكان أعلى منك زجرك ونهرك حتى تبعد، وإن كان له أتباع فمن يفكك منهم؟ وإن كان لا يرى ذلك فإنه يكتمك ولا يُجبرك، لكن أنت أعطه اللّين.

٨١٤- وَانظُرْ إِلَى أَنْهَارِ كُفْرٍ فُجِّرَتْ وَتَمِّمْ لَوْلَا السَّيْفُ بِالْجَرَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَانظُرْ إِلَى أَنْهَارِ كُفْرٍ فُجِّرَتْ» متى تنظر إليها؟

الجواب: إذا تمكّنت، ولا تتمكن إلا بالطريقة التي ذكرها ابن القيم - رحمه الله -.

قَوْلُهُ: «وَتَمِّمْ لَوْلَا السَّيْفُ بِالْجَرَيَانِ» يعني: لولا أن هؤلاء الفلاسفة يخشون سيف الولاة لجرت أنهار الكفر من أفواههم وكتبهم، لكنهم يتسترون، ويتعاملون مع الزمن، إن وجدوا فرصة لإظهار باطلهم أظهروه، وإن لم يجدوا فرصة كتموه.

هذا هو مذهب ابن سينا وأتباعه والأتحاديين، الكفر البواح بالله عزّ وجلّ الذي هو أكفر من كفر اليهود والنصارى، وكما علمتم مذهب الأتّحاديين كيف يؤدي إلى هذا اللّازم الخبيث، وهم مقرون بهذا، ولا ينكرونه، والعياذ بالله.

## فصل

فِي مَقَالَاتِ طَوَائِفِ الْإِتِّحَادِيَّةِ فِي كَلَامِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ -

- ٨١٥- وَأَتَتْ طَوَائِفُ الْإِتِّحَادِ بِمِلَّةٍ  
 ٨١٦- قَالُوا: كَلَامُ اللَّهِ كُلُّ كَلَامٍ هـ  
 ٨١٧- نَظْمًا وَنَثْرًا زُورُهُ وَصَحِيحُهُ  
 ٨١٨- فَالَسَّبُ وَالشَّتْمُ الْقَبِيحُ وَقَذْفُهُمْ  
 ٨١٩- وَالنَّوْحُ وَالتَّعْزِيمُ وَالسَّحْرُ الْمِيءِ  
 ٨٢٠- هُوَ عَيْنُ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ  
 ٨٢١- هَذَا الَّذِي آدَى إِلَيْهِ أَضْلُهُمْ  
 ٨٢٢- إِذْ أَضْلَهُمْ أَنَّ الْإِلَهَ حَقِيقَةً  
 ٨٢٣- فَكَلَامُهَا وَصِفَاتُهَا هُوَ قَوْلُهُ  
 ٨٢٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِالضِّدِّ  
 ٨٢٥- وَكَذَلِكَ قَدْ وَصَفُوهُ أَيْضًا بِالْكَمَا  
 ٨٢٦- هَذِي مَقَالَاتُ الطَّوَائِفِ كُلِّهَا
- طَمَّتْ عَلَى مَا قَالَ كُلُّ لِسَانٍ  
 ذَا الْخَلْقِ مِنْ جِنٍّ وَمِنْ إِنْسَانٍ  
 صِدْقًا وَكِذْبًا وَاضِحَ الْبُطْلَانِ  
 لِلْمُحْصَنَاتِ وَكُلِّ نَوْعِ أَغَانٍ  
 مِنْ وَسَائِرِ الْبُهْتَانِ وَالْهَدْيَانِ  
 وَكَلَامُهُ حَقًّا بِلَا نُكْرَانَ  
 وَعَلَيْهِ قَامَ مُكَسَّحُ الْبُنْيَانِ  
 عَيْنُ الْوُجُودِ وَعَيْنُ ذِي الْأَكْوَانِ  
 وَصِفَاتُهُ مَا هَاهُنَا قَوْلَانِ<sup>(١)</sup>  
 ضِدِّينِ مِنْ قُبْحٍ وَمِنْ إِحْسَانِ  
 لِ وَضِدِّهِ مِنْ سَائِرِ النُّقْصَانِ  
 مُجِلَّتْ إِلَيْكَ رَخِيصَةَ الْأَثْمَانِ

(١) في نسخة الحلبي: «غيران».

- ٨٢٧- وَأَظُنُّ لَوْ فَتَشْتِ كُتِبَ النَّاسِ مَا أَلْفَيْتَهَا أَبَدًا بِذَا التَّبَيَّنِ  
 ٨٢٨- زُفْتُ إِلَيْكَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ نَاطِرٌ أَبْصَرْتَ ذَاتَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ

### الشرح

هذه المقطوعة من كلام المؤلف يُبين فيها المذهب الأخير من مذاهب الناس في كلام الله، وهو مذهب أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود، وأنَّ الرَّبَّ عَيْنُ المربوب، والخالقُ عَيْنُ المخلوق.

قالوا: فإذا كان الرَّبُّ عَيْنَ المربوب، والخالقُ عَيْنَ المخلوق لَزِمَ أن يكون كلامُ المخلوق هو كلام الخالق، فجعلوا كلامَ الله كلامَ المخلوقين، فكلامي وكلامُ زيد وعمرو وغيرهم هو كلام الله، لماذا؟ لأنني وأنت، وزيدا وغيره، كُلُّنا الله - عيادا بالله-، ولا فرق بين الخالق والمخلوق، قالوا: إنَّ المخلوق اتَّحد بالخالق فصارا واحدا، فإذا قيل: كلام الله، فهو كلامُ كُلِّ ذي كلام، واستمع إذ يقول:

- ٨١٥- وَأَتَتْ طَوَائِفُ الْإِتِّحَادِ بِمِلَّةٍ طَمَّتْ عَلَى مَا قَالَ كُلُّ لِسَانٍ  
 قَوْلُهُ: «وَأَتَتْ طَوَائِفُ الْإِتِّحَادِ» والاتحاد يعني: اتحاد الخالق بالمخلوق، وأنها شيءٌ واحد.

- ٨١٦- قَالُوا: كَلَامُ اللَّهِ كُلُّ كَلَامٍ هَـ ذَا الْخَلْقِ مِنْ جِنٍّ وَمِنْ إِنْسَانٍ  
 هذا كلام الله، فكلام الخلق هو كلام الله، يقول -رحمه الله-:

- ٨١٧- نَظْمًا وَنَثْرًا زُورُهُ وَصَحِيحُهُ صِدْقًا وَكِذْبًا وَاضِحَ الْبُطْلَانِ  
 قَوْلُهُ: «نَظْمًا وَنَثْرًا» النظم كلام الله، والبشر كلام الله.  
 قَوْلُهُ: «زُورُهُ وَصَحِيحُهُ» يعني: الباطل والصحيح كله كلام الله.

قَوْلُهُ: «صِدْقًا وَكِذْبًا وَاضِحَ الْبُطْلَانِ» أي: الصدق والكذب كُله كلام الله.

٨١٨- فَالْسَّبُّ وَالشَّتْمُ الْقَبِيحُ وَقَذْفُهُمْ لِلْمُحَصَّنَاتِ وَكُلُّ نَوْعِ أَغَانٍ

٨١٩- وَالنَّوْحُ وَالتَّعْزِيمُ وَالسَّحْرُ الْمُبِيدُ مِنْ وَسَائِرِ الْبُهْتَانِ وَالْهَدْيَانِ

٨٢٠- هُوَ عَيْنُ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَكَلَامُهُ حَقًّا بِلَا نُكْرَانَ

أعوذ بالله، قذف المحصنات هو كلام الله، فالرجل إذا قال لشخصي: يا زاني، فقوله: (يا زاني) هذا كلام الله، السَّبُّ والأغاني والشتم والسحر والعزائم كلها كلام الله.

٨٢١- هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ أَصْلُهُمْ وَعَلَيْهِ قَامَ مُكْسَحُ الْبُنْيَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا الَّذِي» يعني: كأنه قيل: لماذا؟ قال: هذا الذي أَدَّى إليه أصلهم وعليه قام مُكْسَحُ البنيان، يعني: البنيانُ المُكْسَحُ الذي لا يستطيع أن يقوم، هذا قام على هذا الأصل.

٨٢٢- إِذْ أَصْلُهُمْ أَنَّ الْإِلَهَ حَقِيقَةً عَيْنُ الْوُجُودِ وَعَيْنُ ذِي الْأَكْوَانِ

هذا أصلهم أَنَّ الْإِلَهَ -سبحانه وتعالى- هو عَيْنُ الوجود وعَيْنُ هذه الأكوان، فالشمس هي الله، والقمر، والسماء، والأرض، والإنسان، والجن، كُلُّ شيء في الوجود فهو الله، فكلامه يكون هو كلام الله.

٨٢٣- فَكَلَامُهَا وَصِفَاتُهَا هُوَ قَوْلُهُ وَصِفَاتُهُ مَا هُنَا قَوْلَانِ

قَوْلُهُ: «فَكَلَامُهَا وَصِفَاتُهَا هُوَ قَوْلُهُ وَصِفَاتُهُ» يعني: كلامها هو قوله، وصفاتها

هي صفاته.

قَوْلُهُ: «مَا هَا هُنَا قَوْلَانٍ» يعني: وما هاهنا ههنا صفتان، فهاهنا قولان، لأنه قول واحد، كله قول الله، ولا ههنا صفتان، لأنها كلها صفة لموصوف واحد.

٨٢٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِالضُّدِّ ضِدِّينِ مِنْ قُبْحٍ وَمِنْ إِحْسَانِ

الموجودات فيها شيء قبيح، وفيها شيء حسن، كلها الله، إذن يوصف الله بالضدين: الحسن والقبح.

٨٢٥- وَكَذَلِكَ قَدْ وَصَفُوهُ أَيْضًا بِالْكَمَالِ لِضِدِّهِ مِنْ سَائِرِ التَّقْصَانِ

هذا مذهب الاتحاديين القائلين بأن المخلوق والخالق شيء واحد، فكلام المخلوق هو كلام الخالق، وكلام الخالق هو كلام المخلوق.

وهذا المذهب لولا أنه كما قال المؤلف ولولا أنه ذُكر ما صدقنا أن أحدًا يذهب إليه.

٨٢٦- هَذِي مَقَالَاتُ الطَّوَائِفِ كُلِّهَا حَمَلْتُ إِلَيْكَ رَخِيصَةَ الْأَثَمَانِ

٨٢٧- وَأَطْنُ لَوْ فَتَشْتَتِ كُتُبَ النَّاسِ مَا أَلْفَيْتَهَا أَبَدًا بِذَا التَّبْيَانِ

٨٢٨- رُفَّتْ إِلَيْكَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ نَاطِرٌ أَبْصَرْتَ ذَاتَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ

نقول: جرى الله المؤلف خيرًا، جمعها لنا ورَفَّها إلينا، ولو فَتَشْنَا في غير هذا الكتاب لم نجدها مجموعة هذا الجمع، لكن هذا من نعمة الله على المؤلف، ومن نعمة الله على من انتفع بمؤلفه أن جُمعت الأقاويل وحُصرت.

ثم شرع المؤلف يردُّ على هذه المذاهب، فقال:

- ٨٢٩- فَأَعْطِفْ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُغْلِ الْأَلَى  
خَرَقُوا سِيَّاحَ الْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ
- ٨٣٠- شَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ وَاكْسَرَهُمْ  
بَلْ نَادِي فِي نَادِيهِمْ بِأَذَانِ
- ٨٣١- أَفْسَدْتُمْ الْمَنْقُولَ وَالْمَعْقُولَ وَالْأَ  
مَسْمُوعَ مِنْ لُغَةٍ بِكُلِّ لِسَانِ
- ٨٣٢- أَبْصَحُ وَصَفُ الشَّيْءِ بِالْمُسْتَقِّ لِلْأَذْهَانِ  
مَسْلُوبٍ مَعْنَاهُ لِذِي الْأَذْهَانِ
- ٨٣٣- أَبْصَحُ صَبَّارٌ وَلَا صَبْرٌ لَهُ؟  
وَيَصِحُّ شَكَارٌ بِلَا شُكْرَانِ؟!
- ٨٣٤- وَيَصِحُّ عَلَّامٌ وَلَا عِلْمٌ لَهُ؟  
وَيَصِحُّ غَفَّارٌ بِلَا غُفْرَانِ؟!
- ٨٣٥- وَيُقَالُ: هَذَا سَامِعٌ أَوْ مُبْصِرٌ  
وَالسَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ مَفْقُودَانِ
- ٨٣٦- هَذَا مُحَالٌ فِي الْعُقُولِ وَفِي النَّقْوِ  
لِ وَفِي اللُّغَاتِ وَغَيْرِ ذِي إِمْكَانِ
- ٨٣٧- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ  
لَكِنْ بِقَوْلٍ قَامَ بِالْإِنْسَانِ
- ٨٣٨- أَوْ غَيْرِهِ، فَيُقَالُ: هَذَا بَاطِلٌ  
وَعَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ مَخْذُورَانِ
- ٨٣٩- نَفِي اشْتِقَاقِ اللَّفْظِ لِلْمَوْجُودِ مَعَهُ  
سِنَاهُ بِهِ وَتُبُوئُهُ لِلثَّانِي
- ٨٤٠- أَعْنِي الَّذِي مَا قَامَ مَعْنَاهُ بِهِ  
قَلْبُ الْحَقَائِقِ أَقْبَحُ الْبُهْتَانِ
- ٨٤١- وَنَظِيرُ ذَا أَخْوَانٍ: هَذَا مُبْصِرٌ  
وَأُخُوهُ مَعْدُودٌ مِنَ الْعُمَيَّانِ
- ٨٤٢- سَمَّيْتُمُ الْأَعْمَى بَصِيرًا إِذْ أَخُو  
هُ مُبْصِرٌ وَبِعَكْسِهِ فِي الثَّانِي
- ٨٤٣- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ  
فِي فِعْلِهِ كَمَا خَلِقَ لِلْأَكْوَانِ

- ٨٤٤- وَالْفِعْلُ لَيْسَ بِقَائِمٍ بِإِلَهِنَا إِذْ لَا يَكُونُ مَحَلًّا ذِي حَدَثَانِ  
 ٨٤٥- وَيَصِحُّ أَنْ يُشْتَقَّ مِنْهُ خَالِقٌ فَكَذَلِكَ الْمُتَكَلِّمُ الْوَحْدَانِ  
 ٨٤٦- هُوَ فَاعِلٌ لِكَلَامِهِ وَكِتَابِهِ لَيْسَ الْكَلَامُ لَهُ بِوَصْفٍ مَعَانَ

### الشرح

شرح المؤلف - رحمه الله - في هذه المقطوعة يرُدُّ على هؤلاء المنحرفين في عقيدتهم في كلام الله، فبدأ أولاً بالجهمية، وهم أتباع الجهم بن صفوان أول مَنْ قال بالتعطيل حينما قال: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يَكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا.

فالجهمية يقولون: إِنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ، أَي: خَالِقٌ لِلْكَلَامِ فِي غَيْرِهِ، أَمَا هُوَ نَفْسَهُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، لَكِنْ يَخْلُقُ الْكَلَامَ، فَيُضِيفُهُ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا كَمَا خَلَقَ النَّاقَةَ وَأَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣] تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا، وَكَمَا خَلَقَ الْبَيْتَ وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ [الحج: ٢٦] تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا، وَكَمَا أَضَافَ مَحَلَّ عِبَادَتِهِ إِلَى نَفْسِهِ وَهِيَ الْمَسَاجِدُ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَظَلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٤].

إِذَنْ كَلَامُ اللَّهِ هُوَ كَلَامٌ مَخْلُوقٌ خَلَقَهُ فِي غَيْرِهِ، لَكِنْ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ بَابِ التَّشْرِيفِ، أَمَا اللَّهُ نَفْسَهُ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَسِيَاقِي بَيَانُ عِلَّتِهِمْ.

إِذَنْ كَلَامُ اللَّهِ -عِنْدَهُمْ- هُوَ كَلَامٌ مَخْلُوقٌ فِي غَيْرِهِ، أُضِيفَ إِلَى نَفْسِهِ عَلَى وَجْهِ التَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ، أَمَا اللَّهُ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ أَبَدًا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، لَكِنْ خَلَقَ كَلَامًا بِهَذِهِ الْحُرُوفِ، سَمِعَهُ جِبْرِيْلُ، فَنَزَلَ بِهِ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَلَيْسَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ لِمُوسَى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾

فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿ طه: ١٤ ﴾، لكنه خلقه في شيء، إما في الهواء، وإما في الشجرة، وإما في كذا وكذا، وسمعه موسى، أما الله فلم يتكلم.

يقول ابن القيم - رحمه الله -:

٨٢٩- فَاعْظِفْ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُغْلِ الْأَيُّ خَرَقُوا سِيَاجَ الْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَاعْظِفْ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُغْلِ الْأَيُّ» (الْمُغْلِ): يعني: المغول،

المغول هم التتار الذين خرجوا على المسلمين، فأفسدوا الدنيا والدين، وأصل طامة المغول من الجهمية، لأنَّ كُلَّ تعطيل فأصله من الجهمية، كما أنَّ كُلَّ خروج على الأئمة فأصله من الخوارج، وكما أنَّ كُلَّ غلو في آل البيت فأصله من الرفضية، وهكذا فأصول البدع كلها معروفة والحمد لله.

فالجهمية هم أصل التعطيل، وكان على مذهبهم هؤلاء المغول الذين أفسدوا الدنيا والدين.

قَوْلُهُ: «خَرَقُوا سِيَاجَ الْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ» سياج الشيء: ما أحاط به من سورٍ،

فهم خرقوا سياج العقل والنقل.

نأخذ أنهم خرقوا سياج النقل من قوله: «وَالْقُرْآنِ».

٨٣٠- شَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ وَاكْسَرَهُمْ بَلْ نَادٍ فِي نَادِيهِمْ بِأَذَانِ

قَوْلُهُ: «شَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ وَاكْسَرَهُمْ» يعني: نكل بهم نكالاً يهرب به من

خلفهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧]

فمعنى تشريد من خلفهم أن يُنكَلَّ بهم حتى يُشَرَّدَ مَنْ خلفهم من شدة ما يرى من التنكيل بهم، يخشى أن يصيبه ما أصابهم.

قَوْلُهُ: «بَلْ نَادِي نَادِيهِمْ بِأَذَانٍ» (نَادِيهِمْ) أي: مجتمعهم، وقوله: «بَأَذَانٍ» أي: بإعلام.

٨٣١- أَفْسَدْتُمْ الْمَنْقُولَ وَالْمَعْقُولَ وَالْمَسْمُوعَ مِنْ لُغَةٍ بِكُلِّ لِسَانٍ

يعني: كلامكم هذا أفسد المعقول والمنقول والمسموع من اللغات.

إِذَنْ أَفْسَدَ الْعَقْلَ وَالنَّقْلَ وَاللُّغَةَ، ثُمَّ بَيَّنَّ فِسَادَهُ فَقَالَ:

٨٣٢- أَيُصِحُّ وَصْفُ الشَّيْءِ بِالْمُشْتَقِّ لِدِّ مَسْلُوبٍ مَعْنَاهُ لِذِي الْأَذْهَانِ

يعني: كيف يصحُّ أن تصف الشيء بمشتق وهو لا يتضمن معناه؟! هل يصحُّ أن تقول للقاعد: (أنت قائم)؟ الجواب: لا، لأنك لو قلت للقاعد: قائم، وصفت هذا القاعد بوصف مسلوب منه، يعني منتفياً عنه، فهل يصحُّ أن يوصف الشيء بالمشتق للمسلوب معناه لذي الأذهان؟ الجواب: كلا، لا يصحُّ أبداً.

٨٣٣- أَيُصِحُّ صَبَّارٌ وَلَا صَبْرٌ لَهُ؟! وَيُصِحُّ شَكَارٌ بِلَا شُكْرَانٍ؟!

٨٣٤- وَيُصِحُّ عَلَّامٌ وَلَا عِلْمٌ لَهُ؟! وَيُصِحُّ غَفَّارٌ بِلَا غُفْرَانٍ؟!

يعني: هل يصحُّ أن يوصف الشيء بالمشتق وليس فيه ذلك المشتق فضلاً عن أن يوصف به غيره؟!

الجواب: لا يصحُّ أبداً.

٨٣٥- وَيُقَالُ: هَذَا سَامِعٌ أَوْ مُبْصِرٌ وَالسَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ مَفْقُودَانِ

لو رأيت أصمَّ فضربت المدفع عند أذنه ما سمع، فإذا قلت: ما شاء الله، هذا الرجل سمَّعه يخرق الجدران، فلا يصحُّ هذا، فلا يصحُّ أن نقول: إنه سميع.

أيضًا هل يصح أن يقال: هذا مبصر، والبصر مفقود منه؟

فلو عندك رجل أعمى، فقلت: ما شاء الله، هذا الرجل يبصر النملة السوداء في الليلة الظلماء، نقول: هذا غير صحيح، فلو قلت هذا لرمك الناس بالجنون، لأن هذا لا يمكن، ولهذا قال:

٨٣٦- هَذَا مُحَالٌ فِي الْعُقُولِ وَفِي النَّقْوِ لِي وَفِي اللَّغَاتِ وَغَيْرِ ذِي إِمْكَانٍ

مستحيل أن تصف شخصًا بالبصر وهو أعمى، وبالسمع وهو أصم، وبالصبر وهو جزوع، وبالشكر وهو كفور، لا يمكن هذا أبدًا.

٨٣٧- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ لَكِنْ بِقَوْلٍ قَامَ بِالْإِنْسَانِ

٨٣٨- أَوْ غَيْرِهِ، فَيُقَالُ: هَذَا بَاطِلٌ وَعَلَيْكُمْ فِي ذَاكَ مُحْذُورَانِ

إذا قالوا نحن نقول: الله متكلم بكلام قام بالإنسان، أو قام بغير الإنسان مثل: جبريل، الشجرة، الهواء، المهم إذا قلت: نُقِرُّ بِأَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ لَكِنْ بِكَلَامٍ قَامَ بغيره، هل هذا صحيح؟!

يعني: لو قيّد وقال: متكلم هو نفسه بكلام قام بغيره، فيقال: هذا باطل، يعني: هذا الكلام باطل، ولا يمكن أن نقول: إنه متكلم بكلام قام بغيره.

قَوْلُهُ: «وَعَلَيْكُمْ فِي ذَاكَ مُحْذُورَانِ» فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ يَعْنِي: إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَامَ بغيره عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ مُحْذُورَانِ: الْأَوَّلُ: قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

٨٣٩- نَفْيُ اسْتِثْقاقِ اللَّفْظِ لِلْمَوْجُودِ مَعَهُ -نَاهُ بِهِ وَتُبُوتُهُ لِلثَّانِي

قَوْلُهُ: «نَفْيُ اسْتِثْقاقِ اللَّفْظِ لِلْمَوْجُودِ مَعْنَاهُ بِهِ» هَذَا وَاحِدٌ، لِأَنَّهُمْ نَفَوْا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ قَائِمًا بِاللَّهِ.

قَوْلُهُ: «وَتُبُوْتُهُ لِلثَّانِي» أي: جعلوا الكلام ثابتًا للمخلوق، يعني: لغير الله فهو إِمَّا لِلإِنْسَانِ، وَإِمَّا لِجَبْرِيلِ أَوْ لِغَيْرِهِ، فَصَارَ فِي ذَلِكَ مَحْذُورَانِ:  
 المحذور الأول: أنكم تَفَيِّتُمُ الكلام عن الله، مع أنه هو الموصوف به.  
 المحذور الثاني: أنكم أثبتتم الكلام لغير الله وهو لم يتكلم به.  
 فأخطأوا في الأمرين.

٨٤٠- أَغْنِي الَّذِي مَا قَامَ مَعْنَاهُ بِهِ قَلْبُ الْحَقَائِقِ أَقْبَحُ الْبُهْتَانِ  
 وهذه قاعدة مفيدة وهي: (قلب الحقائق أقبح البهتان)، وهذا الكلام الذي قاله الجهمية قلبٌ للحقائق، وليس مطابقًا لها.

فقلب الحقائق أقبح البهتان، وما أكثر قلب الحقائق في إذاعات العرب اليوم! يقولون أشياء ليس لها أصل، يقلبون الحقائق، فالحقائق تشاهد، وهم يقلبونها إلى أمور مخالفة للمُشَاهِدِ، لكن هذه القاعدة تفيدهم، ولهذا يحسن أن تستشهد بهذا الشرط على إذاعات كثير من العرب اليوم، فتقول: (قَلْبُ الْحَقَائِقِ أَقْبَحُ الْبُهْتَانِ).

ثُمَّ أَرَادَ الْمُؤَلِّفُ أَنْ يُمَثِّلَ الْمَعْقُولَ بِالْمَحْسُوسِ فَقَالَ:

٨٤١- وَنَظِيرُ ذَا أَحْوَانَ: هَذَا مُبْصِرٌ وَأَخُوهُ مَعْدُودٌ مِنَ الْعُمَيَّانِ  
 وأخوه إذا كان معدودًا من العميان فإنه يكون أعمى.

٨٤٢- سَمَّيْتُمُ الْأَعْمَى بَصِيرًا إِذَا أَحْوُ هُ مُبْصِرٌ وَبِعَكْسِهِ فِي الثَّانِي  
 قَوْلُهُ: «وَبِعَكْسِهِ فِي الثَّانِي» يعني: سَمَّيْتُمُ البصيرَ أعمى.

فعدنا أخوان: أحدهما أعمى، والثاني: مبصر، فقلنا للأعمى: هَذَا اللهُ  
بالبصر القوي، وقلنا للبصير: جَبَرَ اللهُ مَصِيبَتَكَ بِالْعَمَى، فوصفنا البصير بأنه  
أعمى، فقال: لستُ أعمى، فأنا بصير أرى، قالوا: لا، نقلنا الوصف من أخيك  
إليك، ونقلنا وصفك إلى أخيك، فأخوك نسميه مبصرًا، وأنت نسميك أعمى.

فهذا يقيم دعوى علينا، وأما أخوه فإنه يفرح، ويجعله عيدًا.

على كل حال ابن القيم - رحمه الله - يقول: هل هذا معقول أنك تسمي الأعمى  
بصيرًا والبصير أعمى؟!

الجواب: غير معقول، أنتم الآن تقولون: إنَّ الله متكلّم والكلام لغيره! فإذا  
كان غير الله يتكلّم فالله لا يتكلّم، وإذا كان الله هو الذي يتكلّم فغيره لا يتكلّم،  
أمّا أن تقول: الله متكلّم وكلامه هو ما سُمِعَ من جبريل، وما سمع من الشجرة،  
وما سمع في الهواء، أما ذات الله فلا.

يقول ابن القيم:

٨٤٣- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ فِي فِعْلِهِ كَالْحَلْقِ لِلْأَكْوَانِ

٨٤٤- وَالْفِعْلُ لَيْسَ بِقَائِمٍ بِإِلَهِنَا إِذْ لَا يَكُونُ مَحَلًّا لِذِي حِدْتَانِ

هم قالوا: أنتم تقولون: لا يمكن أن يُوصَفَ بالكلام الذي كان قائمًا بغيره،  
ولكننا لا نُسَلِّمُ بهذا، وعندنا مثال: الحَلْقُ فعل قائم بال مخلوق، انتبه للتنظير  
لتعرف هل هذا التنظير صحيح أو غير صحيح؟

هم يقولون: عندنا قاعدة، وهي: أن الحوادث لا تقوم بالله، فكلُّ شيء  
حادث لا يمكن أن يقوم بالله، يعني: لا يمكن أن يَتَّصِفَ به الله، فكلُّ شيء

حادث، والكلام عندهم حادث، كما هو عند أهل السنة، يتعلّق بالمشيئة، والخلق حادث يتعلّق بالمشيئة لقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

يقولون: الخلق لا يقوم بالله، والكلام لا يقوم بالله، والاستواء على العرش لا يقوم بالله، فكُلُّ شيء يتضمن الحدوث فإنه لا يقوم بالله، لماذا؟ قالوا: لأن ما قام به الحادث فهو حادث، وهذه قاعدة عندهم.

فنقول: هذا غير صحيح، فهذه القاعدة باطلة من أصلها، لأنكم إذا قلتُم بقيام الحوادث بالله لزم أن يكون الله حادثًا، فالحوادث فعل المُحْدِث، والفاعل لا بدّ أن يتقدّم على الفعل، والفعل لا بدّ أن يتقدّم على المفعول أو على الأقل يكون مقارنًا له، أمّا أن نقول: كُُلُّ ما قام به حادث فهو حادث، فهذا ليس بصحيح.

وعندنا أيضًا دليل - من أنفسنا - مِنّا مخلوق منذ عشرين سنة، ثمّ قام الآن الساعة السابعة والرّبع فهل يلزم أن يكون حادثًا الساعة السابعة والرّبع وهو منذ عشرين سنة؟

الجواب: لا يلزم، فصَحَّ أنَّ الفاعل يسبِقُ الفعل، وأنه لا يلزم من حدوث الفعل أن يكون الفاعل حادثًا، فهذا الإنسان بالنسبة لفعله قديم، لأنّ له عشرين سنة، والفعل لم يحصل إلّا في هذا الوقت.

إذْن لا يلزم من حدوث الشيء أن يكون ما حدث به الشيء حادثًا، فليتقدم هذا بالزمان، فالله عزّ وجلّ تقوم به الحوادث بمعنى أنه يفعل ما يشاء فعلاً متجددًا حادثًا بعد أن لم يكن، ومع ذلك هو بنفسه قديم أزليّ.

قَوْلُهُ: «وَالْفِعْلُ لَيْسَ بِقَائِمٍ بِالْهِنَا... إلخ» هذا قول الجهمية.

٨٤٥- وَيَصِحُّ أَنْ يُشْتَقَّ مِنْهُ خَالِقٌ فَكَذَلِكَ الْمُتَكَلِّمُ الْوَحْدَانِ

يعني: الفعل (الخلق) متعلق بالمخلوق، وَيَصِحُّ أَنْ يُشْتَقَّ مِنْهُ خَالِقٌ مع أَنَّ الفعل قائمٌ بغيره، إذ إِنَّ المخلوقَ منفصلٌ عن الله، فيقول: وكذلك الكلام، ولذا قال:

٨٤٦- هُوَ فَاعِلٌ لِكَلَامِهِ وَكِتَابِهِ لَيْسَ الْكَلَامُ لَهُ بِوَصْفِ مَعَانِ

فيدعون أنه إذا قيل: متكلّم يعني: خالقًا للكلام، كما إذا قيل: خالق، فالمخلوق منفصل بائن.

ونحن نُجِيبُهُمْ عَلَى هَذَا بِأَنَّ الْخَلْقَ غَيْرُ الْمَخْلُوقِ، فَالْخَلْقُ فَعْلُ الْخَالِقِ، وَالْمَخْلُوقُ مَفْعُولُ الْخَالِقِ، أَنْتَ الْآنَ لَوْ صَنَعْتَ شَيْئًا فَهَذَا مَصْنُوعٌ، وَفَعْلُهُ صُنْعٌ، وَلَوْ بَنَيْتَ بَيْتًا، فَهَذَا مَبْنِيٌّ وَفَعْلُهُ بِنَاءٌ، إِذَنْ فَالْخَلْقُ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ مَنْفَصِلٌ بِائِنٍ عَنِ الْخَالِقِ، وَالْخَلْقُ وَصْفُهُ الْقَائِمُ بِهِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْكَلَامُ لَا يَتَعَدَّى، وَالْخَلْقُ يَتَعَدَّى، فَيُقَالُ: خَلَقَ كَذَا، أَمَّا الْكَلَامُ فَصِفَةٌ لَازِمَةٌ لِلْمُتَكَلِّمِ، لَا يَتَعَدَّى، صَارَ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مَفْعُولٌ، مَعَ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ قَدْ يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمَفْعُولُ فَيُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ وَالرَّسُولَ ﷺ مُكَلَّمٌ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ آدَمَ: «أَنَّهُ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ»<sup>(١)</sup>، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ (مُكَلَّمٌ) مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى عَلَى وَزْنِ مَخْلُوقٍ.

فَعِنْدَنَا مُتَكَلَّمٌ وَهُوَ اللَّهُ، وَكَلَامٌ وَهُوَ فَعْلُهُ، وَمُكَلَّمٌ وَهُمْ الْمَخْلُوقُونَ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَبَيْنَ الْكَلَامِ.

\*\*\*

(١) أخرجه أحمد في المسند، حديث أبي ذر الغفاري، برقم (٢٢١٦٧).

- ٨٤٧- وَخَالَفَ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْ  
فِطْرَاتِ وَالْمَسْمُوعِ لِلْإِنْسَانِ  
٨٤٨- مَنْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ  
وَصَفُّ قَدِيمٌ أَحْرَفٌ وَمَعَانِ  
٨٤٩- وَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَيْسَتْ بَعْدَهَا  
لَكِنْ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرِنَانِ  
٨٥٠- أَوْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ  
مَعْنَى قَدِيمٌ قَامَ بِالرَّحْمَنِ  
٨٥١- مَا إِنَّ لَهُ كُلُّ وَلَا بَعْضٌ وَلَا أَلْ  
عَرَبِي حَقِيقَتُهُ وَلَا الْعِبْرَانِي  
٨٥٢- وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ وَاسْتِنْفَاهُمُ  
هُوَ عَيْنُ أَخْبَارِ بِلَا فَرْقَانِ  
٨٥٣- وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ مَا ذَلِكَ مَقْ  
دورًا لَهُ بَلْ لَازِمُ الرَّحْمَنِ  
٨٥٤- هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ الْمَعْقُولَ وَالْ  
مَنْقُولَ وَالْفِطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ  
٨٥٥- أَمَّا الَّذِي قَدْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ  
ذُو أَحْرَفٍ قَدْ رُتِبَتْ بِيَّانِ  
٨٥٦- وَكَلَامُهُ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ  
كَالْفِعْلِ مِنْهُ كِلَاهُمَا سِيَّانِ  
٨٥٧- فَهُوَ الَّذِي قَدْ قَالَ قَوْلًا يَعْلَمُ أَلْ  
عُقَلَاءُ صِحَّتَهُ بِلَا نُكْرَانِ  
٨٥٨- فَلَايَ شَيْءٍ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ  
أُولَى وَأَقْرَبَ مِنْهُ لِلْبُرْهَانِ؟!  
٨٥٩- وَلَايَ شَيْءٍ دَائِمًا كَفَرْتُمْ  
أَصْحَابَ هَذَا الْقَوْلِ بِالْعُدْوَانِ؟!  
٨٦٠- فَدَعُوا الدَّعَاوَى وَابْحَثُوا مَعْنَى بَتْحِ  
قَبِيحٍ وَإِنْصَافٍ بِلَا عُدْوَانِ  
٨٦١- وَارْفُوا مَذَاهِبَكُمْ وَسُدُّوا خَرْقَهَا  
إِنْ كَانَ ذَلِكَ الرَّفُوفِي الْإِمْكَانِ  
٨٦٢- فَاحْكُمْ - هَذَاكَ اللَّهُ - بَيْنَهُمْ فَقَدْ  
أَذَلُّوا إِلَيْكَ بِحُجَّةٍ وَبَيَّانِ

- ٨٦٣- لَا تَنْصُرَنَّ سِوَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ هُمْ عَسَكَرُ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ
- ٨٦٤- وَتَحْيِيَّ زَنِّ إِلَيْهِمْ لَا غَيْرِهِمْ لَتَكُونَ مَنْصُورًا لَدَى الرَّحْمَنِ
- ٨٦٥- فَتَقُولُ: هَذَا الْقَدْرُ قَدْ أَعْيَا عَلَى أَهْلِ الْكَلَامِ وَقَادَهُ أَصْلَانِ
- ٨٦٦- إِحْدَاهُمَا: هَلْ فِعْلُهُ مَفْعُولُهُ أَوْ غَيْرُهُ فَهُمَا لَهُمْ قَوْلَانِ
- ٨٦٧- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ هُوَ عَيْنُهُ فَرُّوا مِنْ الْأَوْصَافِ بِالْحَدِيثَانِ
- ٨٦٨- لَكِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ وَصَرِيحُهُ تَعْطِيلُ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
- ٨٦٩- عَنْ فِعْلِهِ إِذْ فِعْلُهُ مَفْعُولُهُ لَكِنَّهُ مَا قَامَ بِالرَّحْمَنِ
- ٨٧٠- فَعَلَى الْحَقِيقَةِ مَا لَهُ فِعْلٌ إِذَا أَلِ مَفْعُولٌ مُنْفَصِلٌ عَنِ الدِّيَانِ

### الشرح

لما بيّن المؤلف - رحمه الله - أن كلام الجهمية مخالف للمعقول والمنقول والفطرة ذكر أن الجهمية قالوا: ليس كلامنا بمخالف للفطرة، المخالف للفطرة من قال: إن كلامه - سبحانه - هو وصف قديم، قال المؤلف:

٨٤٧- وَتُخَالِفُ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْإِنْسَانِ فِطْرَاتِ وَالْمَسْمُوعِ لِلْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْمَنْقُولِ» الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ.

قَوْلُهُ: «الْفِطْرَاتِ»: الْفِطْرَةُ الَّتِي فُطِرَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا، وَهِيَ مَا يَهْتَدِي الْإِنْسَانُ

بِهَا إِلَى الْأُمُورِ الْبَدِيعِيَّةِ.

قَوْلُهُ: «الْمَسْمُوعِ لِلْإِنْسَانِ» يَعْنِي: اللُّغَةُ، لِأَنَّ اللُّغَةَ أَلْفَاظٌ تُنْقَلُ وَتُسْمَعُ.

المخالف لهذه الأشياء الأربعة مَنْ هو؟ قال:

٨٤٨- مَنْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ وَصَفٌ قَدِيمٌ أَحْرَفٌ وَمَعَانٍ

٨٤٩- وَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَيْسَتْ بَعْدَهَا لَكِنْ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ

يشير إلى مذهب الاقترانية الذين قالوا: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ وَصَفٌ قَدِيمٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ وَلَا بِإِرَادَتِهِ، وَأَنَّهُ أَحْرَفٌ وَمَعَانٍ، لَكِنَّ الْأَحْرَفَ مُقْتَرَنَةٌ، فَالسَّيْنُ فِي قَوْلِكَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) عِنْدَ الْبَاءِ مُقَارَنَةٌ لَهَا، لَيْسَتْ بَعْدَهَا، لَكِنَّهُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ.

هل هذا متصور؟!

كُلُّ يَعْرِفُ أَنَّ السَّيْنَ بَعْدَ الْبَاءِ فِي (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، هُمْ يَقُولُونَ: لَا، السَّيْنَ وَالْبَاءَ وَاحِدَةٌ.

هذا غير ممكن لا في العقل، ولا في النقل، ولا في اللغات كلها.

إِذْنًا هَذَا مَذْهَبُ الْاِقْتِرَانِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ وَصَفٌ قَدِيمٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ، كَلَامَ اللَّهِ مَعْنَى وَحَرْفٌ، لَكِنَّ الْحُرُوفَ مُقْتَرَنَةٌ، كُلُّ كَلَامِ اللَّهِ يُخْرِجُ مُقْتَرَنًا، فَالْبَاءُ، وَالسَّيْنُ، وَالْمِيمُ، وَالْأَلْفُ، وَاللَّامُ، وَالرَّاءُ، وَالْحَاءُ، وَالْمِيمُ، وَالْأَلْفُ، وَالنُّونُ، كُلُّ الْكَلَامِ يُخْرِجُ مُقْتَرَنًا، وَلَا يُوْجَدُ فِيهِ حَرْفٌ قَبْلَ حَرْفٍ.

وهذا مخالف للمعقول والمنقول والفطرة واللغات، كُلُّ إِذَا خَاطَبْتَهُ أَوْ إِذَا قَرَأَ كَلَامَ اللَّهِ عَرَفَ أَنَّ كُلَّ حَرْفٍ يَتَلَوُّ الْحَرْفَ الْآخَرَ.

القول الثاني: الذي خالف المعقول، والمنقول، والفطرات، والكلام للجهمية الذين يريدون أن ينكروا على الاقترانية وعلى الطائفة الثانية وهم الأشاعرة.

٨٥٠- أَوْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ مَعْنَى قَدِيمٌ قَامَ بِالرَّحْمَنِ

هؤلاء الأشاعرة يقولون: كلام الله معنى قديم قام به كقيام الحياة والعلم، الحياة والعلم معنى قديم، لم يزل الله حيًّا عليًّا، هم يقولون: الكلام معنى قديم ليس بحرف، لم يتكلم الله بحروف إطلاقًا، ولا تكلم بكلام يُسمع إطلاقًا، إنما كلامه هو المعنى القديم القائم بنفسه.

وهذا ضلال، ومذهب خاطئ، فهم يقولون: كلام الله هو المعنى القديم القائم بنفسه، أمَّا إنَّه المسموع بالأذان فكلاً، وأمَّا إنه الحروف المتابعة فكلاً، فهو المعنى القائم بنفسه.

حقيقة الأمر أنهم فسروا الكلام بالعلم، هذا هو حقيقة مذهبهم، لأنه إذا كان الكلام هو المعنى القائم بنفسه، يعني المعنى الذي علم الله أنه سيتكلم في يوم كذا، فهذا هو العلم حقيقةً، ولهذا من أبطل ما يكون قول الأشاعرة في كلام الله، لأنَّ هذا ليس بكلام بل هذا علم، وانظر ماذا قال:

٨٥١- مَا إِنْ لَهُ كُلُّ وَلَا بَعْضٌ وَلَا أَلْ عَرَبِي حَقِيقَتُهُ وَلَا الْعِبْرَانِي

قَوْلُهُ: «مَا إِنْ لَهُ كُلُّ وَلَا بَعْضٌ» يعني: لا تقل: (قرأتُ كُلَّ الفاتحة أو بعضها)، على أنها هي كلام الله، هذا مستحيل، فكلام الله لا يتبعض، وليس له كُلُّ، وليس له بعض، لأنه معنى قائم بالنفس، هذا هو السبب أنه لا يتجزأ، يعني: ما له كُلُّ ولا بعض، لأنه معنى قائم بالنفس، فهو وصف، هو متكلم، لكن بدون كلام يتجزأ أو يتبعض أو يُسمع.

قَوْلُهُ: «وَالْعَرَبِي حَقِيقَتُهُ وَلَا الْعِبْرَانِي» أيضا العربي هو الذي نزل على محمد ﷺ، والعبراني هو التوراة، يقول: لا نقول: كلام الله عربي ولا كلام الله عبراني،

لأنَّ وصف العربي والعبراني إنما هو للمسموع، وكلام الله معني قائم بنفسه ولا يُسَمَع، فلا نقول: كلام الله عربي، ولا نقول عبراني، ولا سُرياني، لأنَّ هذا الوصف إنما ينطبق على المسموع، وكلام الله لا يسمع، لأنه معني قائم بنفسه.

٨٥٢- وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ وَاسْتِفْهَامُهُ هُوَ عَيْنُ أَخْبَارٍ بِلا فُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ»: فقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ [الإسراء: ٧٨] وقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ [الإسراء: ٣٢] هما شيء واحد.

الأمر عين النهي، سبحانه الله! إذا قال الله: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ [الإسراء: ٧٨]، أو ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ [الإسراء: ٣٢] فهما شيء واحد، إذا قرأت القرآن والتوراة فهما شيء واحد، لأنه لا يوصف بعربي ولا عبراني، إذ هو شيء واحد، ولا بأمر ولا بنهي.

قَوْلُهُ: «وَاسْتِفْهَامُهُ هُوَ عَيْنُ أَخْبَارٍ» ويموز أيضًا: (إِخْبَارٍ).

قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ وَاسْتِفْهَامُهُ... هُوَ عَيْنُ أَخْبَارٍ بِلا فُرْقَانِ» هذه أربعة أشياء: الأمر، والنهي، والاستفهام، والرابع: الخبر، كُلُّهَا عندهم شيء واحد، فقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ [الإسراء: ٧٨] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] هاتان آيتان أو جملتان، الأولى: أمر، والثانية: خبر، فهما شيء واحد.

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَيَأْتِيءُ آلاءَ رَبِّكَ مَا تُكْذِبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٣] هذا استفهام، وهو كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا عَيْنَانِ جَبْرِيَانِ ﴾ [الرحمن: ٥٠] خبر، فالخبر والاستفهام شيء واحد، والأمر والنهي شيء واحد، والأربعة كُلُّهَا شيء واحد.

وهذا بالنسبة لكلام الله شيء واحد، لأنهم يقولون: إنَّ الكلام وصف أو معنى قائم بنفسه، والمعنى لا يتجزأ ولا يتنوع، كما أنَّ حياة الله هل هي تتبعض أو تتجزأ؟ الجواب: لا، وهل هي تتنوع؟ الجواب: لا، كلامه كذلك هو معنى فقط، ويقال: متكلّم لكن حقيقة الأمر أن لا كلام، ولهذا كان الجهمية خيراً منهم من وجه، لأنهم يقولون: كلام الله حروف وأصوات متعلّق بمشيئته، والقرآن الذي نقرؤه هو كلام الله، هؤلاء يقولون: لا، كلام الله لا يتعلّق بمشيئته، وليس حروفاً ولا مسموعاً، ولا الذي نقرؤه كلام الله، بل هو عبارة عن كلام الله، أما كلام الله فهو المعنى القائم بنفسه.

٨٥٣- وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ مَا ذَاكَ مَقْدُورًا — دَوْرًا لَهُ بَلْ لَا زِمَ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «مَقْدُورًا»، وفي نسخة (مَقْدُورٌ)، والظاهر أنَّ الصواب (مقدورًا)، لأنَّ ابن القيم قرشيُّ اللسان، وليس تميميُّ اللسان، وقريش تقول: (ما زيدٌ قائمًا) وميم تقول: (ما زيدٌ قائمٌ) وهم كلُّهم عرب، لأنَّ قریشًا تُعْمِلُ (ما) عمل (ليس)، وميمٌ تقول: (ما) نافية، ولا يمكن أن تعمل، فيقولون: (ما زيدٌ قائمٌ)، واسمع إلى قول الشاعر في معشوقته: قال:

وَمُهْفَهْفِ الْأَعْطَافِ قُلْتُ لَهُ: ائْتَسِبْ فَأَجَابَ مَا قَتَلَ الْمُحِبِّ حَرَامًا<sup>(١)</sup>

فهو تميميٌّ، وليس قرشيًّا، إذ لو كان قرشيًّا لقال: (ما قتلُ المحبِّ حرّامًا).

وهذا من ذكاء العرب أن يستدلوا على نسب الإنسان بلغته، وإلى وقتنا هذا الآن تعرف لهجة القصيمي، من الرياضي، من الشرقي، فكما كان الأولون يعرفون باللهجات فنحن الآن نعرف باللهجات.

(١) البيت من الكامل، وقد ورد ذكره في كتاب نفع الطيب غير منسوب (٥/٢٢٧).

نرجع إلى كلام المؤلف - رحمه الله - (وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ مَا ذَاكَ مَقْدُورًا لَهُ) هذا هو الصواب، لأنَّ العلماء مثل ابن القيم بعد تغيُّر اللسان، وإذا كان بعد تغيُّر اللسان فلا يمكن للإنسان أن يخرج عن اللغة الفصحى، ولهذا لو قال قائل: (ضربتُ الزيدان) لقلنا: هذا غلط، فإن قال: أنا على لغة من يلزم المثني الألف، قلنا: لا نقبل منك هذا.

نقول له: لو جئنا للغتك فهي لغة عرفية لا تعرف رفعا ولا نصبا، فالمهم بعد تغيُّر اللسان لا بد أن تكون الكتابة والنطق على لغة قريش خاصة، ولهذا جاء القرآن على لغة قريش، قال الله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يونس: ٣١].  
فحياة الله عزَّ وجلَّ لازمة.

وقول المؤلف: (مَا ذَاكَ مَقْدُورًا لَهُ)، لأنَّ الشيء المستحيل لا تتعلَّق به القدرة، فهل يمكن أن يكون اللهُ عزَّ وجلَّ حيًّا ميتًا؟

الجواب: كلا، فالموت مستحيل عليه، بل هو الحي الذي لا يموت، وأمَّا الكلام فيقول: الكلام مثل الحياة، ولا يمكن ألا يكون متكلمًا، لأنه وصفٌ لازمٌ لا يتعلَّق بمشيئته، ليس إن شاء تكلم وإن شاء لم يتكلم، إن كنت تقول: إن شاء صار حيًّا وإن شاء صار ميتًا، فقل: إن شاء تكلم وإن شاء لم يتكلم.

فانظر إلى كلام المؤلف يقول: (وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ مَا ذَاكَ مَقْدُورًا لَهُ) يعني: لا يُقَدَّرُ أن يتكلم إن شاء، وإن شاء لم يتكلم، كما لا يقدر أن يكون حيًّا وأن يكون ميتًا، فهو حيٌّ حياة لازمة له، وهو متكلمٌ كلامًا لازمًا له، لأنه معنى.

فمذهب الأشاعرة أنَّ الكلامَ ليس مسموعًا، ولا هو بحروف، ولا صوت، ولكنه معنى يتصف به، كما هو حيٌّ نقول: هو متكلمٌ، وقالوا: كلامه هو المعنى

القائم بنفسه، وليس بالذي يُسمع، لكن هذا الذي سمعه محمد وسمعه موسى؟ قالوا: هذا عبارة عن كلام الله، خلقه الله ليعبر عمّا في نفس الله، كما لو وضعت كلامًا مكتوبًا ووضعت مرآة فيخرج هذا الكلام المكتوب بالمرآة.

هم يقولون: هذا المعنى القائم بنفس الله ينطبع في الهواء، وينطبع في أيّ مكان كان، ثم يُسمع، أما أنه كلام يُسمع من الله نفسه فلا.

٨٥٤- هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ الْمَعْقُولَ وَالْمَنْقُولَ وَالْفَطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ

قائل هذا هم الجهمية.

فيقولون: كيف تقولون: كلامنا مخالف للمعقول والمنقول والفطرات واللغات؟! بل كلامكم هو المخالف للمعقول والمنقول والفطرات واللغات.

وَصَدَقُوا فِي هَذَا، نحن مع الجهمية في أن هذا الذي ذهب إليه الأشاعرة لا يُسمّى كلامًا، فالمعنى القائم بالنفس لا يُسمّى كلامًا أبدًا، فنحن نوافق الجهمية، لأنّ الحقّ يجب أن يُقبَلَ مِن قَالِهِ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا مُشْرِكًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، فهم قالوا شيئين: الأول: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾، الشيء الثاني: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، فقال الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَا تَأْتُوا بِالْفَحِشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فكذب قولهم: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، لأنه باطل، وأقرهم على قولهم: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾.

إِذَنْ الْحَقُّ يُقْبَلُ وَلَوْ مِنْ كَافِرٍ، وَالْبَاطِلُ يُرَدُّ وَلَوْ مِنْ مُؤْمِنٍ، وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ.

فقول الجهمية للأشاعرة: إن قولهم مخالف للمعقول والمنقول والفطرات للإنسان هو قول حق، فإن هذا الذي ذهبوا إليه غير معقول، فلا يُعقل أن يُسمّى

كلامًا وهو معنى قائم في النفس، ولا يُعقل أن يكون كلامًا غير مُترتّب، فالباء والسين والجيم كلها في آن واحد، ولا هو منقول، وليس موافقًا للمنقول من الكتاب والسنة، ولا الفطرات تهتدي إليه، ولا واللغات تُقرّه.

فأيُّ إنسان تُحدّثه - ولو كان عاميًا بحثًا - عن الكلام والقول يَعْرِفُ أنه الحروف المترتبة التي تأتي شيئًا فشيئًا.

٨٥٥- أَمَّا الَّذِي قَدْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ ذُو أَحْرَفٍ قَدْ رُتِّبَتْ بِبَيَانِ

قائل هذا هم الجهمية، يقولون: كلامه ذو أحرف مُرتبة.

وقولهم: (قَدْ رُتِّبَتْ) رَدُّ عَلَى الْاِقْتِرَانِيَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: هُوَ أَحْرَفٌ غَيْرَ مُرْتَبَةٍ.

٨٥٦- وَكَلَامُهُ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ كَالْفِعْلِ مِنْهُ كِلَاهُمَا سَيَّانِ

وهذا رَدُّ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: كَلَامُهُ لَيْسَ بِإِرَادَةٍ وَمَشِيئَةٍ مِنْهُ، بَلْ

هُوَ مِثْلُ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ.

فَالْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ لَا تَتَعَلَّقُ بِهِمَا الْمَشِيئَةُ.

أَمَّا السَّلْفُ الصَّالِحُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَيَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَحْرَفٌ مُرْتَبَةٌ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ نَعْلَمُ أَنَّ الْبَاءَ قَبْلَ السَّيْنِ، وَأَنَّ السَّيْنَ قَبْلَ الْمِيمِ...

وهكذا، ثُمَّ نَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ، وَبِمَا شَاءَ، وَكَيْفَ

شَاءَ، لِأَنَّ الْكَلَامَ تَتَعَلَّقُ بِهِ الْمَشِيئَةُ، وَهَذَا -وَاللَّهِ- تَمَامُ الرَّبُوبِيَّةِ وَالسُّلْطَانِ، وَهُوَ أَنْ

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَأَنْ يَقُولَ مَا يَشَاءُ، عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ فِعْلٌ، فَالْقَوْلُ فِعْلٌ،

لأنه كلام مسموع بحروف مرتبة، فهو نوع من الأفعال.

ثُمَّ قَالَ عَلَى لِسَانِ الْجَهْمِيَةِ:

٨٥٧- فَهُوَ الَّذِي قَدْ قَالَ قَوْلًا يَعْلَمُ الْـ عُقَلَاءُ صِحَّتَهُ بِلَا نُكْرَانَ

من الذي قال قولاً يعلم العقلاء صحته؟

الجواب: الجهمية القائلون بأن كلامه ذو أحرف قد رُتبت، لكن كيف نُقِرُّهم على أنهم قد قالوا قولاً يعلم العقلاء صحته؟ نعم، نحن نوافقهم على أن كلام الله متعلق بمشيئته، وأنه مُرتَّب، لكن نخالفهم في قولهم: إنه مخلوق، فهذا باطل، لأنَّ الكلام الذي يخلقه الله ليس كلامَ الله، بل كلام مَنْ تكلَّم به، قالوا:

٨٥٨- فَلَايُّ شَيْءٍ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ أَوْلَى وَأَقْرَبَ مِنْهُ لِلْبُرْهَانِ؟!

يقول لهؤلاء الأشاعرة والاقترانية: لأيِّ شيء كان ما قد قلتُم أولى وأقرب منه للبرهان؟! وهذا صحيح، هذا الاستفهام للإنكار، يعني: ما قلتُم ليس أقرب للبرهان.

٨٥٩- وَلَايُّ شَيْءٍ دَائِمًا كَفَرْتُمْ أَصْحَابَ هَذَا الْقَوْلِ بِالْعُدْوَانِ؟!

لأنَّ الأشاعرة يرون الجهمية كفرًا في قولهم في كتاب الله.

يقول:

٨٦٠- فَدَعُوا الدَّعَاوَى وَابْحَثُوا مَعْنَا بَتَحَّ قَبِيْقٍ وَإِنْصَافٍ بِلَا عُدْوَانٍ

هذا البيت حقُّ، أنَّ الإنسان يدع الدعوى ويحكم أو يبحث للتحقيق والإنصاف، أما أن يقول: إنَّ الصواب معي، وقولي هو التحقيق، وقولي هو الإجماع، فهذه دعوى بلا دليل لا تُقبل، فابحث بإنصافٍ وعدلٍ.

فالتحقيق هو العلم، والإنصاف هو العدل، فلا بدّ من هذين الأمرين:

الأول: العلم، والثاني: الإنصاف والعدل.

فالجاهل كيف يحكم بأنّ هذا هو الصواب وهذا هو الخطأ؟! والجاهل لا يمكن أن يحكم إلا بما يرى أنه صواب وإن كان باطلا.

فابن القيم يقول: تعالوا نتحاكم وإياكم بالعلم والإنصاف.

٨٦١- وَأَرْفُوا مَذَاهِبَكُمْ وَسُدُّوا حَرْقَهَا      إِنَّ كَانَ ذَلِكَ الرَّفْوُ فِي الْإِمْكَانِ  
قَوْلُهُ: «أَرْفُوا» يعني: رَقَعُوا وَسُدُّوا الْحَرْقَ.

قَوْلُهُ: «إِنَّ كَانَ ذَلِكَ الرَّفْوُ» يعني: إن كان الترقيع بالإمكان، وأنتم الآن هل تقولون: إن الترقيع بالإمكان؟

الجواب: لا يمكن أبداً، ما داموا يقولون: إنّ الكلام هو المعنى القائم بالنفس، أو إنّ الكلام هو المعنى المتعلّق بالمشيئة، ولكنه مقترن لا يسبق بعضه بعضاً، فإنّ هذا لا يمكن أن يُرفأ أبداً.

ولكن هذا من باب التنزل مع الخصم، وعند المخاصمة لا بأس أن يقول قولاً غير مقبول، تنزيلاً للخصم عن عليائه وكبريائه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وهل هناك مفاضلة بين الله وشركائهم؟ الجواب: لا، لكن نظراً، لأنهم يعتقدون أنهم آلهة، يتكلّم معهم بشيء يُنزلهم إلى الأسفل، هكذا أيضاً نحن مع هؤلاء المبتدعة نتكلّم معهم.

ثمّ طلب المؤلف أن نحكم بينهم، فقال:

٨٦٢- فَاخْكُم - هَذَاكَ اللهُ - بَيْنَهُمْ فَقَدْ      أَذَلُّوا إِلَيْكَ بِحُجَّةٍ وَبَيَانٍ

احكم بين هؤلاء المختلفين في كلام الله.

والمذاهب الآن التي أماننا ثلاثة، وقد سبق بيانها، وأنها ثمانية مذاهب، لكن الذي أماننا الآن ثلاثة وهي مذهب الجهمية، ومذهب الاقترانية، ومذهب الأشاعرة، والفرق بينها سبق، فإذا حكمنا بينهم قلنا: أمّا مذهب الاقترانية والأشعرية فهو غير معقول.

وأما مذهب الجهمية فهو معقول من وجهٍ مُنكَرٍ من وجهٍ، أما كونه معقولاً فمن جهة أنه مُرْتَبٌ مسموعٌ بصوتٍ مُتعلِّقٍ بمشيئته، كُلُّ هذا حقٌّ، فكلامُ الله بحرفٍ وصوتٍ مسموعٍ متعلِّقٍ بمشيئته، وأما ما هو مُنكَرٌ من قولهم فقولهم: إنه مخلوق، يعني: مثلاً إذا أراد الله أن يتكلّم خَلَقَ كلامًا في أيِّ محلٍّ كان، في الشجرة، في جبريل، في الهواء، في المكان الذي سُمِعَ منه كلامُ الله، فيقولون: هذا كلام الله.

وهذا لا شك أنه مُنكَرٌ وباطلٌ، لأنه إذا خَرَجَ الكلامُ من هذا فهو وَصْفٌ لِمَنْ خَرَجَ منه، لا لله، وإلّا لقلنا: إنَّ جميعَ كلامِ الناسِ من كلامِ الله، وهذا باطلٌ، وهذا ليس إلا مذهبَ الأتحادية.

إذَنْ نحكم بينهم فنقول: أمّا ما ذهبت إليه الأشاعرة والاقترانية فهو مذهب باطل لا نُقرُّه، وأمّا ما ذهبت إليه الجهمية فهو مذهب باطل -أيضًا- لا نُقرُّه بمجموعه، أما بعض فقرات منه فهي حقيقة وحق، ويأتي -إن شاء الله- التفصيل في هذا.

وَقَوْلُهُ: «فَاحْكُم... بَيْنَهُمْ» أي: بالحقِّ، وما هو الحقُّ؟ الحقُّ ما أشار إليه في

قوله:

٨٦٣- لَا تَنْصُرَنَّ سِوَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ هُمْ عَسْكَرُ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «لَا تَنْصُرَنَّ» النصرُ: يعني: المساعدة والموالاتة.

قَوْلُهُ: «سِوَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ» يعني: حديث النَّبِيِّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ومن المعلوم أنَّ القرآن أولى، وَنَصْرُ الْحَدِيثِ نَصْرٌ لِلْقُرْآنِ بِلَا شَكٍّ، لِأَنَّ الْحَدِيثَ فِيهِ تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ مِنْ عِدَّةِ وُجُوهِ، وَوَجُوبُ التَّمَسُّكِ بِهِ مِنْ عِدَّةِ وُجُوهِ، فَنَصْرُ الْحَدِيثِ نَصْرٌ لِلْقُرْآنِ.

قَوْلُهُ: «هُمْ عَسْكَرُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ» (هم) يعني: أهل الحديث.

(عَسْكَرُ الْإِيمَانِ) الَّذِينَ يَدُودُونَ عَنْهُ وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ.

وهذا هو الواجب على كُلِّ مُسْلِمٍ أَلَّا يَنْصُرَ قَوْلَ أَحَدٍ إِلَّا قَوْلَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، لِأَنَّهُمْ عَسْكَرُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ.

٨٦٤- وَتَحَيَّزَنَّ إِلَيْهِمْ لَا غَيْرِهِمْ لِتَكُونَ مَنْصُورًا لَدَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَتَحَيَّزَنَّ» فَعَلَ أَمْرٌ مُؤَكَّدٌ بِالنُّونِ، وَهَذَا بُنِيَ عَلَى الْفَتْحِ، وَمَعْنَى تَحَيَّزَ: أَي مَلَ إِلَيْهِمْ، وَكُنْ مِنْ جِزْبِهِمْ (لِتَكُونَ مَنْصُورًا لَدَى الرَّحْمَنِ) فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، فَإِنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ هُمُ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ، وَهُمْ أَهْلُ نُصْرَتِهِ.

٨٦٥- فَتَقُولُ: هَذَا الْقَدْرُ قَدْ أَعْيَا عَلَى أَهْلِ الْكَلَامِ وَقَادَهُ أَصْلَانِ

٨٦٦- إِحْدَاهُمَا: هَلْ فَعَلَهُ مَفْعُولُهُ أَوْ غَيْرُهُ فَهِيَ لَهُمْ قَوْلَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا الْقَدْرُ» يعني -والله أعلم- أنه يريد هذا التقدير.

قَوْلُهُ: «قد أعيأ على أهل الكلام» يعني: أتعبهم وأعجزهم.

قَوْلُهُ: «وقاده أصلان» يعني: هذا الخلاف بين الأشاعرة وبين المعتزلة والجهمية

مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ:

الأول: هل فعل الله هو مفعولُه أو غيره؟

فمنهم مَنْ قَالَ: إِنَّ الْفِعْلَ هُوَ الْمَفْعُولُ، وَلَيْسَ لِلَّهِ فِعْلٌ هُوَ فِعْلُهُ.

ومنهم مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَفْعُولَ غَيْرُ الْفِعْلِ.

إِذْنُ الْأَصْلَانِ هُمَا:

١- هل الفِعْلُ عَيْنُ الْمَفْعُولِ؟

٢- هل الفِعْلُ غَيْرُ الْمَفْعُولِ؟

نحن نعلم بفطرتنا أَنَّ الْمَفْعُولَ غَيْرُ الْفِعْلِ، يعني المصنوع غير صنَّع الصانع،

فالإنسان إذا بنى بيتاً فهذا البيت هل هو بناؤه أو أثر بنائه؟

الجواب: أثر بنائه، فلا شكَّ أَنَّ الْفِعْلَ غَيْرُ الْمَفْعُولِ، لكن أهل البدع يُعْمِيهِمُ

الله عزَّ وجلَّ.

إِذْنُ فَالْصَوَابُ: أَنَّ فِعْلَهُ غَيْرُ مَفْعُولِهِ، ولكن المصدر قد يُطلق على المفعول

كقوله تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ [لقمان: ١١] أي: مخلوقه، وإِلَّا فَالْأَصْلُ أَنَّ الْفِعْلَ غَيْرُ

الْمَفْعُولِ.

وأضرب لكم مثلاً: رَجُلٌ نَجَرَ خَشْبًا وَصَنَّعَهُ أَبَا، فعندنا فاعل، وعندنا فعل،

وعندنا مفعول، الفاعل هو النَّجَّار، والفعل النجارة، والمفعول الباب.

إِذَنْ فَلَاشَكُّ أَنَّ الْمَفْعُولَ لَيْسَ هُوَ الْفِعْلُ، بَلْ هُوَ شَيْءٌ آخَرَ، لَكِنْ قَدْ يُطْلَقُ  
الْفِعْلُ لَفْظًا عَلَى الْمَفْعُولِ - كَمَا مَثَلْتُ لَكُمْ - فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾  
[لقمان: ١١].

٨٦٧- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ هُوَ عَيْنُهُ فَرُّوا مِنَ الْأَوْصَافِ بِالْحِدْثَانِ  
قَوْلُهُ: «وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ هُوَ عَيْنُهُ» أَيُّ بَأَنَّ الْفِعْلَ هُوَ عَيْنُهُ، أَيُّ: عَيْنُ الْمَفْعُولِ،  
وهذا هو القول الأول.

قَوْلُهُ: «فَرُّوا مِنَ الْأَوْصَافِ بِالْحِدْثَانِ» هذه حُجَّتُهُمْ، فَهَمُ يَقُولُونَ: إِنَّ الْفِعْلَ  
عَيْنُ الْمَفْعُولِ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّ هُنَاكَ فِعْلًا وَمَفْعُولًا، وَحُجَّتُهُمْ: قَالُوا: لَوْ قُلْنَا: إِنَّ  
الْفِعْلَ غَيْرُ الْمَفْعُولِ لَزِمَ أَنْ تَقُومَ الْحَوَادِثُ بِاللَّهِ، يَعْنِي أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ،  
وَلَا تَقُومُ الْحَوَادِثُ إِلَّا بِحَادِثٍ، وَحَدُوثُ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ مَمْتَنِعٌ عَقْلًا وَشَرْعًا  
وَفِطْرَةً وَكُلَّ شَيْءٍ.

إِذَنْ قُلْ: إِنَّ الْفِعْلَ هُوَ الْمَفْعُولُ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَسْلَمَ مِنْ حُلُولِ الْحَوَادِثِ بِاللَّهِ.  
كُلْنَا يَعْلَمُ أَنَّ الْفِعْلَ مَقَارِنٌ لِلْمَفْعُولِ، يَعْنِي: عِنْدَمَا أَصْنَعُ شَيْئًا، فَصُنْعِي إِيَّاهُ  
وَعَمَلِي إِيَّاهُ مَقَارِنٌ لَهُ، وَالْمَفْعُولَاتُ تَتَجَدَّدُ.

إِذَنْ لَوْ قُلْنَا: إِنَّ مَفْعُولَ اللَّهِ غَيْرُ فِعْلِهِ لَكَانَ الْفِعْلُ حَادِثًا مُتَعَلِّقًا بِذَاتِ اللَّهِ  
فَتَتَعَلَّقُ بِهِ الْحَوَادِثُ، وَهَذَا مَمْتَنِعٌ، إِذَنْ نَسْتَرِيحُ مِنْ هَذَا، وَنَقُولُ: إِنَّ فِعْلَ اللَّهِ هُوَ  
مَفْعُولُهُ، وَالْمَفْعُولُ مُنْفَصِلٌ بَائِنٌ عَنِ اللَّهِ.

فَهَمُ يَقُولُونَ ذَلِكَ، وَقَالُوا: نَحْنُ نَقُولُ ذَلِكَ، لِأَجْلِ أَنَّ نَصْفَ اللَّهِ تَعَالَى  
بِالْحَوَادِثِ، لِأَنَّنا إِذَا قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ، لَزِمَ مِنْ هَذَا قِيَامُ الْحَوَادِثِ بِهِ،  
وَأَنَّهُ إِذَا شَاءَ تَكَلَّمَ، وَإِذَا شَاءَ لَمْ يَتَكَلَّمْ.

وهذا عندهم محالٌ بناءً على قاعدة فاسدة وهي أن الحادث لا يقوم إلاّ بحادث.

٨٦٨- لَكِنْ حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ وَصَرِيحُهُ تَعْطِيلُ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

٨٦٩- عَنِ فِعْلِهِ إِذْ فِعْلُهُ مَفْعُولُهُ لَكِنَّهُ مَا قَامَ بِالرَّحْمَنِ

يعني: إذا قلنا: إنّ المفعول هو الفعل، لزم من هذا تعطيل الله عن الفعل، لأنه ليس في الله وصفٌ هو الفعل، لأنّ الفعل - لو قدرنا أنّ الفعل غيرُ المفعول - متجدّد على هذا التقدير، والله تعالى يمتنع أن تتعلّق به الحوادث، لأنّ الحوادث لو تعلّقت به لزم أن يكون حادثاً.

إذا قلتُم هكذا لزم ألا يكون لله فعل، لأنكم تقولون: إنّ الفعل هو عين المخلوق.

مثلاً السموات يقول: الله ليس له فعل هو الخلق، بل له مفعول وهو السموات، أمّا أنّ هناك فعلاً خلق به السموات فلا، بل فِعْلُهُ هو عينُ المفعول لئلا تقوم الحوادث بالله، لأنّ قيام الحوادث بالشيء تجعله حادثاً، هذا الأصل مهم، يقولون: إنّ الفعل عينُ المفعول، ففِعْلُ الله يعني مفعوله، وليس لله فعلٌ يقوم به، لأنه لو كانت الأفعال تقوم به لكان محالاً للحوادث، وإذا كان محلاً للحوادث لزم أن يكون حادثاً، وحدوث الله ممتنع.

فهم جعلوه لا يفعل، ولا يتكلّم، ولا يخلق، وجعلوا الكلام مفعولاً، لأنه مخلوق عندهم، والسموات والأرض والجبال والنجوم كلها مخلوقة، لكن لا يوصف الله بالخلق، لأنّ هذه المشاهدات متجددة، فإذا وصفنا الله بالخلق لزم أن يكون خلقه متجدداً فيكون حادثاً قام به، والحادث لا يقوم إلاّ بحادث.

وَكُلُّ هذا الكلام الذي قالوه هو كلامٌ في كلام، يعني لا داعي له، ولا يلزم إثبات الخالق عزَّ وجلَّ عليه، لكن أهل الكلام أطالوا الكلام، ولهذا نقول: إنَّ أهل الكلام ضلُّوا بهذه التقديرات، ولو سلكوا مسلك الصحابة لَسَلِمُوا من هذا كله، أعني لَسَلِمُوا من هذا الذي قد لا يكون مفهومًا، فضلًا عن أن يكون معقولًا، وفضلًا عن أن يكون مُعْتَقَدًا، لكن الحمد لله الذي نَجَّانا من ذلك.

فابن القيم يردُّ عليهم، فيقول: إذا جعلتم الفعلَ عينَ المفعول فلازمه ألا يكون لله فعل، لأنَّ المفعول مخلوق مُنفصل عن الله، وليس من صفاته، فيلزمكم على تقديركم هذا ألا يكون لله فعلٌ.

١٦٩- عَنْ فِعْلِهِ إِذْ فِعْلُهُ مَفْعُولُهُ لَكِنَّهُ مَا قَامَ بِالرَّحْمَنِ

يعني: ما قام بالرحمن فعل، وإنما هو مفعول، فإذا قيل: خَلَقَ السموات فإنه لم يقم به خَلْقٌ، لكن حَدَثَ له مخلوق.

فيقال بكل سهولة: مَنْ أحدث هذا المخلوق؟ الجواب: الله، إذن هل يمكن أن يُوجَدَ مخلوقًا بدون أن يُخْلَقَ؟! الجواب: مستحيل.

إِذَنْ هل يمكن أن تُرَدَّ على قولهم: (لو قام به فعل لكان محلًّا للحوادث، وما قامت به الحوادث فهو حادث)؟

نعم، رَدَدْنَا عليهم فيما سبق، وقلنا: لا يلزم من قيام الحوادث به أن يكون حادثًا، لأنَّ الفاعلَ متقدِّمٌ على فعله، ونحن الآن نفعل اليوم شيئًا، ونحن قد خُلِقْنَا قبل ذلك بسنوات، فالله تعالى يفعلُ الشيء، ويُحْدِثُ الشيء، ويقوم الفعل الحادث به، وهو ليس بحادث، وهذا شيء ظاهر ليس فيه إشكال، فكلامهم هذا غير صحيح.

٨٧٠- فَعَلِيَ الْحَقِيقَةَ مَا لَهُ فِعْلٌ إِذَا أَلِ - مَفْعُولٌ مُنْفَصِلٌ عَنِ الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «مَا لَهُ فِعْلٌ» يعني: ليس له فعل، والمعنى: إذا قلنا: الفعل هو المفعول، فعل الحقيقة ليس لله فعل، لأنَّ المفعول مخلوق مُنْفَصِلٌ عن الله، فالسماوات منفصلة، والأرض منفصلة، والآدمي منفصل، فكل المخلوقات منفصلة عن الله، فليس لله فعل يقوم به.

\*\*\*

٨٧١- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ غَيْرُ لَهُ

٨٧٢- إِحْدَاهُمَا قَالَتْ قَدِيمٌ قَائِمٌ

٨٧٣- سَمَّوَهُ تَكْوِينًا قَدِيمًا قَالَهُ

٨٧٤- وَخُصُّوهُمْ لَمْ يُنْصِفُوا فِي رَدِّهِ

٨٧٥- وَالْآخَرُونَ رَأَوْهُ أَمْرًا حَادِثًا

٨٧٦- إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مُفْتَتِحًا بِهِ

٨٧٧- هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ كَرَامِيَّةٌ

٨٧٨- وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ كَأَحْمَدِ

٨٧٩- قَدْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ

٨٨٠- جَعَلَ الْكَلَامَ صِفَاتِ فِعْلٍ قَائِمٍ

٨٨١- وَكَذَلِكَ نَصَّ عَلَى دَوَامِ الْفِعْلِ بِأَلِ

مُتَنَازِعُونَ وَهُمْ فَطَائِفَتَانِ

بِالذَّاتِ وَهُوَ كَقُدْرَةِ الْمَنَّانِ

أَتْبَاعُ شَيْخِ الْعَالِمِ السُّعْمَانِ

بَلْ كَابَرُواهُمْ مَا أَتَوْا بِيَّانِ

بِالذَّاتِ قَامَ، وَأَنَّهُمْ نَوْعَانِ:

حَدَرَ التَّسْلُسُ لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ

فَفِعَالُهُ وَكَلَامُهُ سِيَّانِ

ذَلِكَ ابْنُ حَنْبَلٍ الرُّضَا الشَّيْبَانِي

مُتَّكِلًا إِنْ شَاءَ ذُو إِحْسَانِ

بِالذَّاتِ لَمْ يُفْقَدِ مِنَ الرَّحْمَنِ

إِحْسَانِ أَيْضًا فِي مَكَانِ ثَانِ

- ٨٨٢- وَكَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ فَرَّاجِعُ قَوْلَهُ لَمَّا أَجَابَ مَسَائِلَ الْقُرْآنِ  
 ٨٨٣- وَكَذَاكَ جَعْفَرُ الْإِمَامِ الصَّادِقِ الْمَقْبُولِ عِنْدَ الْخَلْقِ ذُو الْعِرْفَانِ  
 ٨٨٤- قَدْ قَالَ لَمْ يَزَلِ الْمُهَيِّمُنُ مُحْسِنًا بَرًّا جَوَادًا عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ  
 ٨٨٥- وَكَذَا الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْحَيْرَانِ  
 ٨٨٦- قَالَ الْحَيَاةَ مَعَ الْفِعَالِ كِلَاهُمَا مُتَلَاذِمَانِ فَلَيْسَ يَفْتَرِقَانِ  
 ٨٨٧- صَدَقَ الْإِمَامُ فَكُلُّ حَيٍّ فَهُوَ فَعْدَالٌ، وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ  
 ٨٨٨- إِلَّا إِذَا مَا كَانَ ثُمَّ مَوَانِعُ مِنْ آفَةٍ أَوْ قَاسِرِ الْحَيَوَانِ  
 ٨٨٩- وَالرَّبُّ لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ مَانِعٍ مَا شَاءَ كَانَ بِقُدْرَةِ الدِّيَانِ

### الشرح

- ٨٧١- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ غَيْرُ لَهُ مُتَّازِعُونَ وَهُمْ فَطَائِفَتَانِ  
 ٨٧٢- إِحْدَاهُمَا قَالَتْ قَدِيمٌ قَائِمٌ بِالذَّاتِ وَهُوَ كَقُدْرَةِ الْمَنَّانِ

القائلون بأن الفعل غير المفعول تنازعوا على قولين: هل الفعل مُقَارِنٌ للمفعول؟ أو الفعل قديم كقدّم القدرة، والعلم، والسمع، والبصر؟

قوله: «قديم» خبر لمبتدأ محذوف أي: هو قديم، والضمير يعود على الفعل، لا على المفعول.

قوله: «إحدهما قالت قديم قائم... بالذات وهو كقدرة المنان» القدرة لله قديمة، وليست حادثه، قالوا: أيضا الفعل قديم، لماذا قالوا: قديم؟

الجواب: مدهنةٌ للمعتزلة والجهمية، لأنَّ الجهمية والمعتزلة يقولون: إذا كان الفعلُ حادثًا وقام بالله، لَزِمَ أَنْ يكون اللهُ حادثًا، وهؤلاء قالوا: الفعل قائم بالله لكنه قديم لثلاثا تقوم به الحوادث.

فهؤلاء قالوا: نعم الفعل غير المفعول، والفعل قائمٌ به قديم والذي حَدَثَ هو المفعول، يقولون: الفعل قائم بالله أزيي، والذي تأخَّرَ المفعول.

مثال ذلك: إنسان أوقَدَ نارًا في الساعة الواحدة، وجعل دونكم ودونها حاجبًا، وفي الساعة الخامسة أزال هذا الحاجب فصار الفعل سابقًا، ومشاهدتكم إيَّاهَا حادثة.

فهم قالوا: قدرة الله قديمة، وليست حادثة، لكن تعلَّقها بالمقدور يكون عند وجود المقدور، ولم يزل عزَّ وجلَّ قادرًا على كلِّ شيء، لكن إذا فعل شيئًا تعلَّقت القدرة بهذا المفعول في حينها لا قبلها.

هم قالوا: إنَّ الفعل الذي هو فعله قديم أزيي كالعلم والقدرة، والمتأخَّرَ المفعول، فالخلق قديم كالقدرة تمامًا.

وهذا -أيضًا- غير معقول، لأنه إذا وُجِدَ الفعل، لا بدَّ أن يوجد المفعول، ما الذي يؤخِّره؟! فإنَّ الفعل إذا كان قديمًا لَزِمَ أن يكون المفعول قديمًا، لأنَّ الفعل لا بدَّ أن يُنتِج مفعولًا، فيلَزِمُ على قولكم بأنَّ الفعل قديم أن يكون المفعول -أيضًا- قديمًا، هل يمكن أن يصنع الإنسان بابًا، ثُمَّ إذا أتمَّ صنعه لا يمكن أن يكون بابًا إلاَّ بعدَ مدة؟! لا يمكن، لكن نظرًا لأنهم يمنعون قيام الحوادث بالله صاروا إلى الذي ليسَ بمعقولٍ.

وقولهم: إنَّ الخلق قديم كالقدرة تمامًا، فهذا غير معقول، لأنَّ الخلق فعل، والفعل هو الذي يترتب عليه المفعول، والقدرة وصف.

لكن ماذا قالوا؟ يقول المؤلف:

٨٧٣- سَمَّوْهُ تَكْوِينًا قَدِيمًا قَالَهُ أَتْبَاعُ شَيْخِ الْعَالِمِ النُّعْمَانِ  
قَوْلُهُ: «سَمَّوْهُ تَكْوِينًا قَدِيمًا»: (سَمَّوْهُ) يعني: سَمَّوَا الفِعل.

قالوا: لا نسميه فعلاً، بل نسميه التكوين، والتكوين: إن أردتم التقدير - يعني أنه قَدَّرَ أن يفعل كذا وكذا في يوم كذا وكذا مثلاً- فأنتم لم تُقَرُّوا بالفعل، بل جعلتم الفعل التقدير والقضاء، وإن جعلتم التكوين معناه فعل الشيء أو العمل بالشيء حتى يكون، فهذا لا بدَّ أن يكون المفعول مقارناً للفعل، أي: المُكُونُ مقارناً للتكوين، ولذلك فهم متناقضون في الحقيقة.

ومن اشتهر عنه هذا القول الطحاوي<sup>(١)</sup> صاحب الطحاوية المشهورة.

يقول:

٨٧٤- وَخُصُّوهُمْ لَمْ يُنْصَفُوا فِي رَدِّهِ بَلْ كَابَرُوهُمْ مَا أَتَوْا بِبَيِّنَاتٍ

قَوْلُهُ: «خصومهم»، أي: الذين قالوا: إِنَّ الفِعلَ عَيْنُ المِفعولِ، ولا نوافقكم على أَنَّ الفِعلَ غَيْرُ المِفعولِ، ثُمَّ تقولون: إِنَّ الفِعلَ قَدِيمٌ والمِفعولُ حَادِثٌ، حتى لو سميتموه تكويناً فإننا لا نوافقكم، لكن لم ينصفوا في رَدِّهِ لِمَاذَا؟ لأنهم في رَدِّهِمْ على هؤلاء، وقولهم: (إنه لا يمكن تكوين بلا كائن) هذا صحيح، لكن كيف تقولون: إِنَّهُ يَمْكَنُ أَنْ يَوْجِدَ مِفعولُ بلا فِعلٍ؟

(١) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفياً، ورحل إلى الشام سنة (٢٦٨ هـ)، فاتصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصته، وتوفي بالقاهرة (٣٢١ هـ).

فخصومهم هم القائلون بأنَّ المفعولَ عينُ الفعل، أو الفعل عين المفعول سواء عبّر بهذا أو بهذا، لم ينصفوهم لما ردُّوا عليهم، كيف؟ أولاً: لا بد أن نعرف ما وجه الرَّدِّ؟

وجه الرَّدِّ عليهم: أنهم قالوا: أنتم تقولون: إنَّ الفعلَ غيرُ المفعول، ثمَّ تقولون: إنَّ الفعلَ قديم كقدم القدرة، ولا يمكن أن يكون الفعل قديماً والمفعول حادثاً.

وردُّهم هذا صحيح، لكنهم ما أنصفوا، لأنهم إذا قالوا: إنه لا يمكن أن يكون المفعول متأخراً والفعل متقدماً، قالوا أيضاً: لا يمكن أن يكون المفعول هو عين الفعل.

ولكنهم كابروا، أبوا إلا أن يقولوا: إنَّ المفعول هو عين الفعل، فلم ينصفوا في الواقع.

٨٧٥- وَالْآخِرُونَ رَأَوْهُ أَمْرًا حَادِثًا بِالذَّاتِ قَامَ، وَأَتَتْهُمْ نَوْعَانِ: قَوْلُهُ: «وَالْآخِرُونَ» يعني بهم الذين قالوا: إنَّ الفعلَ غيرُ المفعول، لأنه قال في الأول: (وَهُمْ فَطَائِفَتَانِ):

فالطائفة الأولى: قالت: إنَّ الفعلَ غيرُ المفعول، لكنَّ الفعلَ قديمٌ قائم بالذات والمفعول متأخر، وهذا لا يُتصوَّر.

الطائفة الثانية: رأوه أمراً حادثاً بالذات قام، قالوا: إنَّ الفعلَ قام بالذات، وهو حادث بعد أن لم يكن، فإذا أراد الله تعالى أن يخلق جنيناً، متى يتعلَّق الفعل بهذا الجنين؟

الجواب: عند خلقه، وهذا الفعل حادث.

إِذَنْ فيقولون: الفعلُ غيرُ المفعول، والفعلُ حادثٌ عند إرادة فعل المفعول، أو مقارنٌ لفعل المفعول، وهذا معقول، وأيُّ مانعٍ يمنع أن يكون فعلُ الله حادثاً بعد أن لم يكن، لكن باعتبار هذا الشيء المعين؟! ولهذا قال:

٨٧٦- إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مُفْتَتِحًا بِهِ حَدَرَ التَّسْلُسِلِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مُفْتَتِحًا بِهِ» يعني: جعلت الفعلَ ممكناً بعد أن كان مستحيلًا.

فقالوا: إنَّ الله صار يفعل بعد أن لم يكن يفعل، هذا معنى قوله: (مُفْتَتِحًا بِهِ)، يعني: مبتدئاً به، فجعلت الفعلَ حادثاً في نوعه بعد أن لم يكن، وليس حادثاً في آحاده، ولهذا قال: (مُفْتَتِحًا بِهِ حَدَرَ التَّسْلُسِلِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ).

يعني: لئلا نقول: إذا قلنا: إنَّه لم يزل يفعل، لزم من هذا التسلسل، وهو مستحيل، فالتسلسل فيما مضى مستحيل، وهؤلاء هم الكرامية.

لكننا نقول: هل الله عزَّ وجلَّ لم يَزَلْ فاعلاً؟ الجواب: نعم، لم يزل فاعلاً، لكن يقولون: إنه لم يزل فاعلاً إلاَّ أن فعله لا يتسلسل، لأننا لو قلنا: لم يزل فاعلاً لزم أن يكون المفعولُ مقارناً للفعل، وحينئذٍ تكون مفعولاته قديمة، وهذا -أيضاً- غيرُ معقول.

يعني يقولون: إذا قلنا: (لم يزل فاعلاً) لزم أن تكون المفعولات قديمة كالوصف، فيقال: لا يمكن، لأنه من المعلوم بالترتيب العقلي الواقع أن هناك فاعلاً، ثمَّ فاعلاً، ثمَّ مفعولاً، حتى لو قلنا: إنَّ المفعولات لم تزل فإنه لا يمكن أن تكون مقارنةً للفاعل أبداً، فلا بدَّ أن يكون الفعلُ بعد الفاعل والمفعولُ بعد الفعل.

٨٧٧- هَذَا الَّذِي قَاتَتْهُ كَرَامِيَّةٌ فَعَعَالُهُ وَكَلَامُهُ سِيَّانٍ

يعني: كما قالوا في الكلام - كما سبق - : إنه حادث بعد أن لم يكن مقدورًا عليه، قالوا: أيضًا: إِنَّ الفعل حادث بعد أن لم يكن مقدورًا عليه.

فهذه الطائفة قالت: إِنَّ فعلَ الله غيرُ المفعول، وهو فعل قائم بنفسه حادثٌ بعد أن لم يكن، لكنهم انقسموا قسمين:

قسم قالوا: إنه حادث بعد أن لم يكن مقدورًا عليه، بل قالوا: إنه حادث بعد أن كان مستحيلًا، وهؤلاء هم الكَرَامِيَّة.

قالوا: لأننا لو قلنا: إِنَّ الله لم يزل فعَّالًا لزم تسلسل الحوادث، لأنَّ (لم يزل) معناه في الأزل الذي لا نهاية له، فيلزم تسلسل الحوادث، وهذا ممتنع على رأيهم.

والقسم الثاني من هذه الطائفة قالوا: إِنَّه حادثٌ قائم به، ولم يزل يفعل، والتسلسل ليس بمتنع، يعني: أَنَّ الله تعالى لم يزل ولا يزال فعَّالًا، ولا نقول: إنه كان غير قادرٍ على الفعل، ثُمَّ كان قادرًا عليه.

فخلاصة الكلام الآن قبل أن ندخل في كلام أهل الحديث: أَنَّ أهل الكلام اختلفوا في فعل الله، أو لا: هل فعله مفعوله أو غيره؟

فجميع أتباعهم قالوا: فعله هو مفعوله، يعني: أَنَّ الفعل عينُ المفعول، لماذا؟ قالوا، لأننا لو قلنا: إِنَّ الفعل غيرُ المفعول، ونحن نشاهد تجدد المفعولات لزم أن يكون الفعل حادثًا قائمًا بالله، ولو قامت الحوادث بالله لزم أن يكون الله حادثًا، لأنَّ الحوادث لا تقوم إلا بحادث، وهؤلاء هم الجهمية والمعتزلة وأتباعهم.

القول الثاني في المسألة: أَنَّ الفعل غيرُ المفعول، ثُمَّ اختلف هؤلاء، فقالت

طائفة منهم: إنَّ الفعل قديمٌ كقدم القدرة والعلم، والمفعول متأخَّر عن الفعل، فقيل لهم: لا يمكن أن يكون الفعلُ قديمًا ويتأخر المفعول، لأنَّ الفعلَ مقارنٌ للمفعول، فعندما تصنع بابًا صار الحكم مقارنًا لتكوين هذا الباب، قالوا: نسمي هذا تكوينًا سابقًا، لكن هذا لا يخرجون به عن الإشكال.

الطائفة الثانية: من الذين قالوا: إنَّ الفعلَ غيرُ المفعول، انقسموا أيضًا إلى

قسمين:

قسم قالوا: إنَّ الفعلَ غيرُ المفعول، لكنه ليس أزليًّا، فالفعل كان ممتنعًا، ثُمَّ كان ممكنًا، وهذا رأي الكرامية.

وقسم قالوا: لا، كان الفعل قائمًا به، وهو غيرُ المفعول، ولكنه يتجدد وهو أزليٌّ، فلم يزل الله ولا يزال فعَّالًا، وهذا هو مذهب أهل الحديث، ولهذا قال:

٨٧٨- وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ كَأَحْمَدٍ      ذَاكَ ابْنُ حَنْبَلٍ الرَّضَا الشَّيْبَانِي

٨٧٩- قَدْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ      مُتَكَلِّمًا إِنْ شَاءَ ذُو إِحْسَانٍ

٨٨٠- جَعَلَ الْكَلَامَ صِفَاتٍ فِعْلٍ قَائِمٍ      بِالذَّاتِ لَمْ يُفْقَدْ مِنَ الرَّحْمَنِ

فالكلام صفة فعل، وإذا كان لم يُفقد من الله معناه أنه لم يأت عليه زمن إلا وهو يتكلَّم كما أنه لم يأت زمن إلا وهو يفعل.

فالكلام صفة من صفاته الفعلية، وأنه متى شاء تكلم، ومتى شاء سكت، وأنه عزَّ وجلَّ يتكلَّم بما شاء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، والمراد بالسكوت ليس عدم النطق، لأننا لا نستطيع أن

نبت هذا، لكن هو ترك الكلام في شيء معين، وأمّا أن نقول: إنَّ الله يُوصف بالسكوت فلا، وأمّا الحديث: «وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ»<sup>(١)</sup>. فالمعنى أنه لم يشرعها، أو لم يمنعها، ولا يلزم من هذا أن يكون ساكتًا، أو يقال: سكوت مُعَيَّن لا ينافي الكمال.

٨٨١- وَكَذَلِكَ نَصَّ عَلَى دَوَامِ الْفِعْلِ بِالْإِحْسَانِ أَيْضًا فِي مَكَانٍ ثَانٍ قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ نَصَّ» كَذَاكَ نَصَّ أَي: الإِمامُ أَحْمَدُ عَلَى دَوَامِ الْفِعْلِ بِالْإِحْسَانِ أَيْضًا.

قَوْلُهُ: «فِي مَكَانٍ ثَانٍ» يَعْنِي: فِي قَوْلٍ آخَرَ لَهُ.

٨٨٢- وَكَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup> فَرَّاجِعَ قَوْلَهُ لَمَّا أَجَابَ مَسَائِلَ الْقُرْآنِ يَعْنِي: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ نَصَّ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ أَزِيٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ فَعَالًا، دَائِمَ الْإِحْسَانِ.

٨٨٣- وَكَذَلِكَ جَعَفَرُ<sup>(٣)</sup> الْإِمَامُ الصَّادِقُ أَلْ مَقْبُولُ عِنْدَ الْخَلْقِ ذُو الْعُرْفَانِ ٨٨٤- قَدْ قَالَ لَمْ يَزَلِ الْمُهَيِّمُنُ مُحْسِنًا بَرًّا جَوَادًا عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

(١) أخرجه الدارقطني، كتاب الرضاع، برقم (٤٤٤٥).

(٢) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس الصحابي الجليل، ترجمان القرآن، وحبر الأمة، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، ولازم النبي ﷺ، وكان من مكثري الحديث، سكن الطائف في آخر عمره، ومات بها سنة (٦٨هـ). [الشارح].

(٣) جعفر الصادق: هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أجلاء التابعين، أخذ عنه أبو حنيفة ومالك، لُقِّبَ بالصادق، لأنه لم يعرف عنه أنه كذب، كان جريئًا صَدَّاعًا بالحق، ولد بالمدينة سنة (٨٠هـ)، ومات بها سنة (١٤٨هـ). [الشارح].

٨٨٥- وَكَذَا الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ<sup>(١)</sup> فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْحَيْرَانَ

قَوْلُهُ: «قد قال ما فيه هدى الحيران» يعني: أن الدارمي - رحمه الله - أتى بقول يهتدي به الحيران، أي: المتحير.

٨٨٦- قَالَ الْحَيَاةَ مَعَ الْفِعَالِ كِلَاهُمَا مُتَلَاذِمَانِ فَلَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

الدَّارِمِيُّ - رحمه الله - قال: متى قلت: إن الله حيٌّ، لزم أن يكون فعَّالاً، وإذا كانت الحياة أزلية فالفعل أزليٌّ، إذ لا يَتَصَوَّرُ حيٌّ بدون فعل.

وهذا كلام جيد من الدارمي إذ يقول: إن الفعل ملازمٌ للذات، فكما أن الله لم يزل حياً فإنه لم يزل فعَّالاً.

٨٨٧- صَدَقَ الْإِمَامُ فَكُلُّ حَيٍّ فَهُوَ فَعٌّ عَالٌ، وَذَافِي غَايَةِ التَّبْيَانِ

٨٨٨- إِلَّا إِذَا مَا كَانَ تَمَّ مَوَانِعُ مِنْ آفَةٍ أَوْ قَاسِرِ الْحَيَوَانَ

قَوْلُهُ: «صَدَقَ الْإِمَامُ» يعني: الدَّارِمِيُّ.

يقول: القاعدة أن كُلَّ حَيٍّ فَعَّالٌ، إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَانِعٌ مِنْ آفَةٍ مِثْلَ أَنْ يَكُونَ فِي الْإِنْسَانِ شَلْلٌ، أَوْ (قَاسِرِ الْحَيَوَانَ) كَمَكْسُورٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَةِ، فَهُنَا لَا يَلْزَمُ مِنَ الْحَيَاةِ الْفِعْلَ.

٨٨٩- وَالرَّبُّ لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ مَوانِعٍ مَا شَاءَ كَانَ بِقُدْرَةِ الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «وَالرَّبُّ لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ مَوانِعٍ» إذن فلم يَزَلْ فَعَّالًا كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ حَيًّا، فَمَا شَاءَ كَانَ بِقُدْرَةِ الدِّيَانِ.

(١) الدارمي: هو عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، مُحَدِّثُ هَرَاةَ، لَهُ تَصَانِيفٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ، وَوُلِدَ سَنَةَ (٢٠٠ هـ)، وَتَوَفَّى بِهَرَاةَ سَنَةَ (٢٨٠ هـ). [الشارح].

الخلاصة: أننا نؤمن بأن الله متكلمٌ بكلامٍ هو فعله بحرفٍ وصوتٍ، متى شاء بما شاء، هذا هو عقيدتنا، وهو الموافق تمامًا لما قاله السلف -رحمهم الله- وهو الموافق تمامًا لفطرة الإنسان، فكلُّ إنسانٍ يعرف أن كُلاً حَيٌّ فَعَّالٌ، وكلُّ فَعَّالٍ متكلمٌ إلا أن يكون هناك مانعٌ من خرس أو خوف أو ما أشبه ذلك، والله عزَّ وجلَّ ليس له مانع، فلا أحدَ يمنعه، بل هو يفعل ما يشاء، هذا هو العقيدة السليمة السلفية القوية.

\*\*\*

- ٨٩٠- وَمَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ لَازِمَةٌ لَهُ وَكَذَلِكَ قُدْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ  
 ٨٩١- هَذَا وَقَدْ فَطَرَ الْإِلَهَ عِبَادَهُ  
 ٨٩٢- أَوْلَيْتَ تَسْمَعُ قَوْلَ كُلِّ مُوَحِّدٍ  
 ٨٩٣- وَقَدِيمِ الْإِحْسَانِ الْكَثِيرِ وَدَائِمِ الْ  
 ٨٩٤- مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ عَلَيْهِمْ فِطْرَةَ  
 ٨٩٥- أَوْلَيْتَ فِعْلُ الرَّبِّ تَابِعٌ وَصْفُهُ  
 ٨٩٦- وَكَمَالُهُ سَبَبُ الْفِعَالِ وَخَلْقُهُ  
 ٨٩٧- أَوْ مَا فِعَالُ الرَّبِّ عَيْنُ كَمَالِهِ  
 ٨٩٨- أَرَلَا إِلَى أَنْ صَارَ فِيمَا لَمْ يَرَلْ  
 ٨٩٩- تَالله قَدْ ضَلَّتْ عُقُولُ الْقَوْمِ إِذْ  
 ٩٠٠- مَاذَا الَّذِي أَضْحَى لَهُ مُتَجَدِّدًا  
 وَأَنَّ الْمُهَيِّمَنَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ  
 يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ وَالسُّلْطَانِ  
 جُودِ الْعَظِيمِ وَصَاحِبِ الْغُفْرَانِ  
 فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا تَوَاصِي ثَانِ  
 وَكَمَالِهِ أَفْذَاكَ ذُو حَدِثَانِ؟!  
 أَفْعَالَهُمْ سَبَبُ الْكَمَالِ الثَّانِي  
 أَفْذَاكَ مُتَتَبِعٌ عَلَى الْمَمْنَانِ  
 مُتَمَكِّنًا وَالْفِعْلُ ذُو إِمْكَانِ  
 قَالُوا بِهِذَا الْقَوْلِ ذِي الْبُطْلَانِ  
 حَتَّى تَمَكَّنَ فَاَنْطِقُوا بِيَّانِ

- ٩٠١- وَالرَّبُّ لَيْسَ مُعْطَلًا عَنْ فِعْلِهِ  
بَلْ كُلُّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
- ٩٠٢- وَالْأَمْرُ وَالتَّكْوِينُ وَصَفُ كَمَالِهِ  
مَا فَقَدُ ذَا وَوُجُودُهُ سَيَّانِ
- ٩٠٣- وَتَخَلَّفُ التَّأْيِيرِ بَعْدَ تَمَامِ مُو  
جِبِهِ مُحَالٌ لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
- ٩٠٤- وَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ  
وَمَشِيئَةٍ وَيَلِيهِمَا وَضَفَانِ
- ٩٠٥- الْعِلْمُ مَعَ وَصْفِ الْحَيَاةِ وَهَذِهِ  
أَوْصَافُ ذَاتِ الْحَالِقِ الْمَنَّانِ
- ٩٠٦- وَبِهَاتِمَامِ الْفِعْلِ لَيْسَ بِدُونِهَا  
فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَأْضِحِ الْبُرْهَانِ
- ٩٠٧- فَلَايُّ شَيْءٍ قَدْ تَأَخَّرَ فِعْلُهُ  
مَعَ مُوجِبٍ قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ
- ٩٠٨- مَا كَانَ مُتْتَبِعًا عَلَيْهِ الْفِعْلُ؟ بَلْ  
مَا زَالَ فِعْلُ اللَّهِ ذَا إِمْكَانِ

### الشرح

في هذه المقطوعة أراد المؤلف أن يردَّ على طائفة الكرامية الذين قالوا: إنَّ فِعْلَ اللَّهِ تعالى حادثٌ متعلِّقٌ بمشيئته، لكنه حادثٌ بعد أن لم يكن، فكان بالأول مُتْتَبِعًا، ثُمَّ صار حادثًا.

فنقول: ما الذي جعله في الأول مستحيلًا، وفي الثاني ممكنًا؟ قد يحتجون بهذا علينا أيضًا، ويقولون: إذا كان الله تعالى قبل خلق السموات والأرض لم يخلقها، فهل حدث له كمال فخلقها؟

الجواب: لا، هو كاملٌ من قبل أن يخلقها، لكن حيث اقتضت الحكمة أن يَخْلُقَهَا خَلْقَهَا، فكان إيجادها كمالًا، وحيث لم تقتض الحكمة وجودها لم يخلقها، فكان عدم خلقها كمالًا، وفي هذا ينجلي عنك الإشكال.

فابن القيم - رحمه الله - ردَّ عليهم بهذه الأبيات، وفيها شيء من التكرار لكن من أجل التوضيح، فقال:

٨٩٠- وَمَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ لَزِمَةٌ لَهُ      وَكَذَلِكَ قُدْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

يعني: أن الله لم يزل شائئياً، لم يزل مُريداً للأشياء، ولم يزل قادراً عليها، والقدرة باتفاق الجميع ليست حادثة، والمشية كذلك ليست حادثة.

٨٩١- هَذَا وَقَدْ فَطَرَ الْإِلَهَ عِبَادَهُ      أَنَّ الْمُهَيَّمَنَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ

ثم استدل - رحمه الله - على أن الله لم يزل ولا يزال فعلاً بما فطر الله عليه العباد، وهو أن الله دائم الإحسان، والدوام يقتضي التسلسل في الأزل والتسلسل في المستقبل، في الأزل يعني: في الماضي، وفي المستقبل ما دام دائماً فإنه يقتضي أن يكون فاعلاً، ولم يزل فعلاً في الماضي كما لا يزال فعلاً في المستقبل.

٨٩٢- أَوْلَسْتَ تَسْمَعُ قَوْلَ كُلِّ مُوَحِّدٍ      يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ وَالسُّلْطَانِ

قوله: «أَوْلَسْتَ تَسْمَعُ»؟ هذا الاستفهام للتقرير، والجواب: بلى، نسمع، فكل واحد من أهل التوحيد يقول: يا دائم المعروف والسلطان، والدوام يقتضي التسلسل في الماضي والتسلسل في المستقبل وإلا لم يكن دائماً.

٨٩٣- وَقَدِيمِ الْإِحْسَانِ الْكَثِيرِ وَدَائِمِ الْ-      جُودِ الْعَظِيمِ وَصَاحِبِ الْغُفْرَانِ

كل هذا نسمعه من المسلمين، وكله يقتضي أن الله لم يزل ولا يزال فعلاً محسناً.

٨٩٤- مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِمْ فِطْرَةَ      فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا تَوَاصِي ثَانِ

قوله: «مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِمْ» يعني: لا أحد ينكر عليهم.

قَوْلُهُ: «فِطْرَةٌ فُطِرُوا عَلَيْهَا» ويجوز أن تقول: (فِطْرَةٌ فُطِرُوا عَلَيْهَا) فعلى الأول تكون (فطرة) مصدرًا مفعولًا مطلقًا لـ (فطروا)، وعلى الثاني تكون خبرًا لمبتدأ محذوف، والتقدير (هي فطرة).

قَوْلُهُ: «لا تَوَاصِي ثَانٍ» يعني: لا أحد وَصَّاهم، يعني: ليس بعضهم يوصي بعضًا ويقول: قل: يا دائم المعروف، قل: يا دائم السلطان، بل هي أمرٌ فطري.

٨٩٥- أَوْلَيْسَ فِعْلُ الرَّبِّ تَابِعٌ وَصْفِهِ وَكَمَالِهِ أَفْذَاكَ ذُو حَدَثَانٍ؟!  
الجواب: بلى، فِعْلُ الرَّبِّ تَابِعٌ لِكَمَالِهِ، وَإِذَا كَانَ تَابِعَ كَمَالِهِ، فَهَلْ كَمَالُهُ حَادِثٌ؟

الجواب: لا، الفَعَّالُ أَكْمَلُ مَنْ لَا يَفْعَلُ، وَإِذَا كَانَ كَمَالُ اللَّهِ تَعَالَى لَازِمًا لَهُ أَزَلًا وَأَبَدًا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فِعْلُهُ لَازِمًا لَهُ أَزَلًا وَأَبَدًا، فَاللَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ فَعَّالًا.

٨٩٦- وَكَمَالُهُ سَبَبُ الْفِعَالِ وَخَلْقُهُ أَفْعَالُهُمْ سَبَبُ الْكَمَالِ الثَّانِي  
قَوْلُهُ: «وَكَمَالُهُ سَبَبُ الْفِعَالِ» يعني: أنه لما كان كاملاً كان كماله سبباً لفعله، ومن المعلوم أن المُسَبَّبَ لَا يَتَأَخَّرُ عَنِ السَّبَبِ، فَالْكَامِلُ لَازِمٌ أَبَدًا، إِذْنِ الْفِعْلِ لَازِمٌ أَبَدًا.

قَوْلُهُ: «وَخَلَقَهُ أَفْعَالُهُمْ» أي: وَخَلَقَ أَفْعَالِ الْعِبَادِ.

قَوْلُهُ: «سَبَبُ الْكَمَالِ الثَّانِي» يعني مثلاً: الله تعالى لم يزل خالقًا فاعلاً، فإذا خَلَقَ الشَّيْءَ صَارَ هَذَا كَمَالًا ثَانِيًا تَبَيَّنَ بِهِ الْكَامِلُ الْأَوَّلُ، لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ هُنَا كَمَالُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِمَخْلُوقَاتِهِ، فَهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ إِذَا رَأَيْنَاهَا كَامِلَةٌ وَهِيَ مِنْ أَثَرِ فِعْلِهِ فَهَذَا كَمَالٌ ثَانٍ غَيْرُ الْكَامِلِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ وَصْفُهُ الدَّائِمُ.

٨٩٧- أَوْ مَا فَعَالَ الرَّبِّ عَيْنُ كَمَالِهِ أَفَذَاكَ مُتَمَتِّعٌ عَلَى الْمَمَانِ

الجواب: لا، ليس بمُمتنعٍ، فإذا كان فعلُ الله هو عينُ كماله فهو لم يزل كاملاً.

٨٩٨- أَزَلًّا إِلَى أَنْ صَارَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ مُتَمَكِّنًا وَالْفِعْلُ ذُو إِمْكَانٍ

وهذا رأي الكرامية يقولون: إنَّ الله كان في الأزل لا يتمكن من الفعل، ثمَّ صار متمكناً، لأنهم يخشون إذا قالوا: بأنه لم يزل فاعلاً أن يُلزموا بتسلسل الحوادث في الماضي، وهذا يقتضي أنَّ هذا الكون لا خالق له.

وهذا خطأ، لأننا حتى لو قلنا بقدوم الفعل، فإنَّ المفعول يكون بعد الفاعل أو

معه؟

الجواب: بعده قطعاً، يعني: لو قلنا بأنَّ المخلوقات لم تزل فيما مضى، لكن نحن لا نعلم إلاَّ السموات والأرض فإنه لا يلزم أن تكون قديمة قدم الله، لأنه من المعلوم أنَّ الفعل لا يكون إلاَّ بعد الفاعل، والمفعول لا يكون إلاَّ بعد الفعل، فكيف تقولون: إنَّ هذا ممتنع؟!

٨٩٩- تَالله قَدْ ضَلَّتْ عُقُولُ الْقَوْمِ إِذْ قَالُوا بِهَذَا الْقَوْلِ ذِي الْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «تَالله قَدْ ضَلَّتْ عُقُولُ الْقَوْمِ» أي: الكرامية.

قَوْلُهُ: «إِذْ قَالُوا بِهَذَا الْقَوْلِ» يعني أنَّ الفعل كان بالأول ممتنعاً، ثمَّ صار ممكناً.

٩٠٠- مَاذَا الَّذِي أَضْحَى لَهُ مُتَجَدِّدًا حَتَّى تَمَكَّنَ فَاَنْطَقُوا بَيَّانٍ

يعني: ما السبب أنه كان ممتنعاً، ثمَّ صار ممكناً؟

٩٠١- وَالرَّبُّ لَيْسَ مُعْطًى عَنْ فِعْلِهِ بَلْ كُلُّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانٍ  
يعني: لو قلنا إن الله في الأزل لم يكن قادرًا على الفعل، ثُمَّ كَانَ قَادِرًا لَزِمَ أَنْ  
يكون في الأول مُعْطًى عَنْ الفِعل.

٩٠٢- وَالْأَمْرُ وَالتَّكْوِينُ وَصَفُ كَمَالِهِ مَا فَقَدُ ذَا وَوُجُودُهُ سِيَّانٌ  
قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ وَالتَّكْوِينُ» ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾  
[الأعراف: ٥٤]، التكوين: الخلق، والأمر هو الأمر، فالله له الأمر، وله التكوين،  
وهذان وصفان لكَمَالِهِ، ولهذا قال: (وَصَفُ كَمَالِهِ مَا فَقَدُ ذَا وَوُجُودُهُ سِيَّانٍ)، لكن  
أيها أكمل؟ الجواب: وجوده لا شك.

٩٠٣- وَتَخَلَّفُ التَّأثيرِ بَعْدَ تَمَامِ مُوَجِبِهِ مُحَالٌ لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ  
يَرُدُّ عَلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: إِذَا قَلْتُمْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا مَفْعُولَ لَهُ فِي الأَزَلِّ، ثُمَّ صَارَ لَهُ  
مَفْعُولٌ، إِنَّ قَلْتُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ، ثُمَّ تَخَلَّفَ المَقْدُورُ، فَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، لِأَنَّ تَخَلُّفَ التَّأثيرِ  
بَعْدَ تَمَامِ مَوْجِبِهِ مُسْتَحِيلٌ، فَإِذَا وَجِدَ المَوْجِبَ لَا بَدَّ أَنْ يَوْجِدَ المَوْجِبَ وَلَا يَتَخَلَّفَ،  
فَإِذَا كَانَ اللهُ قَادِرًا فَاعِلًا فَلِمَاذَا لَا يَكُونُ المَفْعُولُ أَزَلِيًّا كَمَا كَانَ الفِعْلُ أَزَلِيًّا؟! لَكِنْ  
مَعْنَى ذَلِكَ لَوْ قُلْنَا: بِأَنَّهُ أَزَلِيٌّ لَا يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مَسَاوِيًّا لِلْفَاعِلِ، لِأَنَّ الفِعْلَ بَعْدَ  
الْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولَ بَعْدَ الفِعْلِ.

٩٠٤- وَاللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ وَمَشِيئَةٍ وَيَلِيهِمَا وَصَفَانِ

٩٠٥- العِلْمُ مَعَ وَصْفِ الحَيَاةِ وَهَذِهِ أَوْصَافُ ذَاتِ الخَالِقِ المَنَّانِ

فهذه أربعة: الحياة، والعلم، والمشية، والقدرة، فهذه أوصاف ذات الخالق

٩٠٦- وَبِهَاتَمَامِ الْفِعْلِ لَيْسَ بِدُونِهَا فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَأْضِحِ الْبُرْهَانِ

وهذا صحيح، فلا يمكن أن يتِمَّ فعلُ الفاعلِ إلا بهذه الأوصاف الأربعة: وهي الحياة، والعلم، والمشية، والقدرة، فالمت لا يفعل، والجاهل لا يفعل، لو جاءنا إنسانٌ وقال: أريد أن أصنعَ لكم مُسَجَّلًا الآن، وهو جاهل ما درس ولا جَرَّب هل يمكن أن يُتَّج؟

الجواب: لا، بسبب جهله.

الإرادة وهي المشية، أيضًا لو كان إنسانٌ حيًّا عالمًا قديرًا لكن لم يشأ أن يصنع هذا المسجل، هل يمكن أن يوجد؟

الجواب: لا.

ومثلاً إنسانٌ حيٌّ عليمٌ شائئٌ لكنه أشلُّ، لا يقدر، يعني: هذا الرجل قد درس وتعلَّم كيف يصنع، وأراد أن يصنع لكنه أشلُّ، لا يقدر، هل يمكن أن يُوجد المصنوع؟

الجواب: لا يُوجد.

فإذا تمت هذه الأوصاف الأربعة: الحياة، والعلم، والمشية، والقدرة فلا بدَّ أن يُوجد المفعول.

وهل الله عزَّ وجلَّ فَقَدَ الحَيَاةَ في يومٍ من الأيام؟

الجواب: لا، هل فقد العلم، أو فقد المشية، أو فقد القدرة؟ أبداً.

فإذا كانت هذه الأوصاف تامةً في حقِّ الله فلماذا لا يوجد المفعول؟! لا بدَّ

أن يوجد، ولهذا قال: ( وَبِهَاتَمَامِ الْفِعْلِ لَيْسَ بِدُونِهَا فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَأْضِحِ الْبُرْهَانِ ).

٩٠٧- فَلَأَيِّ شَيْءٍ قَد تَأَخَّرَ فِعْلُهُ مَعَ مُوجِبٍ قَد تَمَّ بِالْأَرْكَانِ

٩٠٨- مَا كَانَ مُتَمَتِّعًا عَلَيْهِ الْفِعْلُ؟ بَلْ مَا زَالَ فِعْلُ اللَّهِ ذَا إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «فَلَأَيِّ شَيْءٍ» يعني: إذا كانت قد تمت أسباب الفعل.

وخلاصة هذه الآيات أنه أقام الدليل على الكَرَامِيَّةَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ حَيًّا، لَمْ يَزَلْ عَالِمًا، لَمْ يَزَلْ قَادِرًا، لَمْ يَزَلْ شَائِيًا، فَإِذَا تَمَّتْ هَذِهِ الْأُمُورُ الْأَرْبَعَةُ فَلَا بَدَّ مِنْ وَجُودِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ، فَلَأَيِّ شَيْءٍ يَتَخَلَّفُ؟!

إذ كيف نقول: الموجب تامُّ سابق، ثُمَّ لَا يُوجَدُ الْمَوْجِبُ؟! هَذَا شَيْءٌ غَيْرُ مُمْكِنٍ.

كُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ لِتَقْرِيرِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ: أَنَّهُ مَتَى تَمَّتْ شُرُوطُ الْفِعْلِ وَجَبَ وَجُودُ الْفِعْلِ.

\*\*\*

٩٠٩- وَاللَّهُ عَابَ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ

٩١٠- وَنَعَى عَلَيْهِمْ كُوتَهَا لَيْسَتْ بِحَا

٩١١- فَأَبَانَ أَنَّ الْفِعْلَ وَالتَّكْلِيمَ مِنْ

٩١٢- فَإِذَا هُمَا فُقِدَا فَمَا مَسْلُوبَهَا

٩١٣- وَاللَّهُ فَهُوَ إِلَهُ حَقٌّ دَائِمًا

٩١٤- أَرْلَا؟! وَلَيْسَ لِفَقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ

عَبَدُوا الْحِجَارَةَ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ

لِقَةٍ، وَلَيْسَتْ ذَاتَ نُطْقٍ بَيِّنِ

أَوْثَانِهِمْ لَا شَكَّ مَفْقُودَانِ

بِإِلَهِ حَقٌّ وَهُوَ ذُو بَطْلَانِ

أَفَعَنَّهُ ذَا الْوَصْفَانِ مَسْلُوبَانِ

هَذَا الْمُحَالِ وَأَعْظَمُ الْبُطْلَانِ

## الشرح

٩٠٩- وَاللَّهُ عَابَ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ عَبَدُوا الْحِجَارَةَ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ

٩١٠- وَنَعَى عَلَيْهِمْ كَوْنَهَا لَيْسَتْ بِحَا لِقَةٍ، وَلَيْسَتْ ذَاتَ نُطْقٍ بَيَانٍ

يقول المؤلف -رحمه الله-: إنَّ الله عَابَ المشركين، لأنهم عَبَدُوا الحجارَةَ في رضا الشيطان، وَنَعَى عليهم كونها ليست بخالقة، يعني: أنها لا تخلق، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠].

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَتْ ذَاتَ نُطْقٍ بَيَانٍ» يعني: أنها لا تتكلم كما قال إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿فَسْتَأْذِنُ بَلَدًا لَّيْسَ بِمُكَلِّمٍ وَلَا مَكَلُومٍ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

٩١١- فَأَبَانَ أَنَّ الْفِعْلَ وَالتَّكْلِيمَ مِنْ أَوْثَانِهِمْ لَا شَكَّ مَفْقُودَانَ

٩١٢- فَإِذَا هُمَا فُقِدَا فَمَا مَسْلُوبَهَا بِإِلَهٍ حَقٌّ وَهُوَ ذُو بُطْلَانٍ

قَوْلُهُ: «مَسْلُوبَهَا» يعني: الذي انتفت عنه، إذا فُقِدَا من المعبود فليس بإله حق، إذن هي ليست بخالقة فلا تفعل، وليست بناطقة فلا تتكلم، فإذا فُقِدَا التكلِيمُ والخلق من المعبود فليس بإله حق.

٩١٣- وَاللَّهُ فَهُوَ إِلَهُ حَقٌّ دَائِمًا أَفَعَنَهُ ذَا الوُصْفَانِ مَسْلُوبَانِ

٩١٤- أَزَلًا؟! وَلَيْسَ لِفَقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ هَذَا الْمُحَالُ وَأَعْظَمُ الْبُطْلَانِ

الجواب: لا، بل لم يزل فعلاً، ولم يزل مُتَكَلِّمًا، ولهذا قال: (أَفَعَنَهُ ذَا الوُصْفَانِ مَسْلُوبَانِ) أي أفيكون هذان الوصفان مَسْلُوبَيْنِ عنه أزلًا كما قالت الكَرَامِيَّةُ؟! لأنَّ الكَرَامِيَّةَ يقولون: في الأزل ليس بمتكلم، وليس بفاعل، ثُمَّ حَدَثَ له ذلك، وإذا

قلنا بهذا فإلى متى كان لا يتكلم ولا يفعل؟ ولهذا قال: (وَلَيْسَ لِفَقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ) إلى أي زمن لم يكن يتكلم، ولم يكن يفعل، ثم صار يتكلم ويفعل؟

\*\*\*

- ٩١٥- إِنْ كَانَ رَبُّ الْعَرْشِ حَقًّا لَمْ يَزَلْ أَبَدًا إِلَهَ الْحَقِّ ذَا سُلْطَانٍ  
 ٩١٦- فَكَذَلِكَ أَيْضًا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا بَلْ فَاعِلًا مَا شَاءَ ذَا إِحْسَانٍ  
 ٩١٧- وَاللَّهُ مَا فِي الْعَقْلِ مَا يَقْضِي لِنَا بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ وَالتُّكْرَانِ  
 ٩١٨- بَلْ لَيْسَ فِي الْمَعْقُولِ غَيْرُ ثُبُوتِهِ لِلْخَالِقِ الْأَزَلِيِّ ذِي الْإِحْسَانِ  
 ٩١٩- هَذَا وَمَا دُونَ الْمُهَيَّمِينَ حَادِثٌ لَيْسَ الْقَدِيمُ سِوَاهُ فِي الْأَكْوَانِ  
 ٩٢٠- وَاللَّهُ سَابِقُ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ مَا رَبُّنَا وَالْخَلْقُ مُقْتَرِنَانِ  
 ٩٢١- وَاللَّهُ كَانَ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

### الشرح

قال المؤلف - رحمه الله -: إن الله عز وجل ما كان حادثاً بل هو القديم، وهذا متابعة للمناطق، وإلا فليس من أسماء الله القديم، لأن القديم لا يتضمّن ما وصف الله به أسماءه في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالقديم قد يكون غيره أقدم منه، فلا يصح أن يكون اسماً، ثم القديم قد يكون في شيء مخلوق كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، ولذلك لم يكن من أسمائه القديم، ويغني عنه قوله - تبارك وتعالى -: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] فاسمه (الأول) يغني عن القديم، لأن (الأول)

يدلُّ على أنه ليس شيءٌ قبله ولا شيءٌ معه، ويدلُّ على معنى آخر وهو أن مآل الأشياء إليه، فهو مشتقٌّ من الأولية، والآيلية، ولكن لا بأس أن نخاطب هؤلاء المتكلِّمين بما يقولون بدون أن نوافقهم عليه.

\*\*\*

- ٩٢٢- لَسْنَا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمُلْحِدُ الزُّ  
زَنْدِيقُ صَاحِبِ مَنْطِقِ الْيُونَانِ
- ٩٢٣- بِدَوَامِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشْهُودِ وَالْ  
أَرْوَاحِ فِي أَزَلٍ وَلَيْسَ بِفَانٍ
- ٩٢٤- هَذِي مَقَالَاتُ الْمَلَا حِدَةِ الْأَلَى  
كَفَرُوا بِخَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
- ٩٢٥- وَآتَى ابْنُ سِينَا بَعْدَ ذَلِكَ مُصَانِعًا  
لِلْمُسْلِمِينَ فَقَالَ بِالْإِمْكَانِ
- ٩٢٦- لَكِنَّهُ الْأَزَلِيُّ لَيْسَ بِمُحَدَثٍ  
مَا كَانَ مَعْدُومًا وَلَا هُوَ فَانٍ
- ٩٢٧- وَآتَى بِصُلْحِ بَيْنِ طَائِفَتَيْنِ بَيْنَ  
نَهْمَا الْحُرُوبِ وَمَا هُمَا سِلْمَانِ
- ٩٢٨- أَنِّي يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ وَشِيعَةُ الْ  
يُونَانِ صُلْحًا قَطُّ فِي الْإِيمَانِ
- ٩٢٩- وَالسَّيْفُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَيَبْنُهُمْ  
وَالْحَرْبُ بَيْنَهُمْ فَحَرْبُ عَوَانِ
- ٩٣٠- وَكَذَا آتَى الطُّوسِيُّ بِالْحَرْبِ الصَّرِيبِ  
حِجِّ بَصَارِمٍ مِنْهُ وَسَلِّ لِسَانِ
- ٩٣١- وَآتَى إِلَى الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ أَصْلَهُ  
مِنْ أَسْهُ وَقَوَاعِدِ الْبُنْيَانِ
- ٩٣٢- عَمَرَ الْمَدَارِسَ لِلْفَلَّاسِفَةِ الْأَلَى  
كَفَرُوا بِدِينِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ
- ٩٣٣- وَآتَى إِلَى أَوْقَافِ أَهْلِ الدِّينِ يَنْدُ  
قَلْبَهَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ذِي أَضْغَانِ
- ٩٣٤- وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الْإِشَارَاتِ الَّتِي  
هِيَ لِابْنِ سِينَا مَوْضِعَ الْفُرْقَانِ

- ٩٣٥- وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الشَّرِيعَةِ بِالنَّوَا  
 ٩٣٦- لَكِنَّهُ عَلِمَ اللَّعِينُ بِأَنَّ هـ  
 ٩٣٧- إِلَّا إِذَا قَتَلَ الْخَلِيفَةَ وَالْقُضَا  
 ٩٣٨- فَسَعَى لِدَاكِ وَسَاعَدَ الْمَقْدُورُ بِأَلِ  
 ٩٣٩- فَأَشَارَ أَنْ يَضَعَ التَّارَ سُيُوفَهُمْ  
 ٩٤٠- لَكِنَّهُمْ يُتَّقُونَ أَهْلَ صَنَائِعِ الذِّ  
 ٩٤١- فَعَدَا عَلَى سَيْفِ التَّارِ الْأَلْفُ فِي  
 ٩٤٢- وَكَذَا ثَمَانَ مِئِينَهَا فِي أَلْفِهَا  
 ٩٤٣- حَتَّى بَكَى الْإِسْلَامَ أَعْدَاهُ الْيَهُو  
 ٩٤٤- فَشَفَى اللَّعِينُ النَّفْسَ مِنْ حِزْبِ الرَّ  
 ٩٤٥- وَبِوُدِّهِ لَوْ كَانَ فِي أَحَدٍ وَقَدْ  
 ٩٤٦- لِأَقْرَأَعَيْنَهُمْ وَأَوْفَى نَذْرَهُ
- مِيسِ الَّتِي كَانَتْ لَدَى الْيُونَانِ  
 ذَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ وَالْإِمْكَانِ  
 ةَ وَسَائِرِ الْفُقَهَاءِ فِي الْبُلْدَانِ  
 أَمْرٍ الَّذِي هُوَ حِكْمَةٌ الرَّحْمَنِ  
 فِي عَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ  
 دُنْيَا لِأَجْلِ مَصَالِحِ الْأَبْدَانِ  
 مِثْلِ لَهَا مَضْرُوبَةٌ بِوِزَانِ  
 مَضْرُوبَةٌ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ  
 دُ كَذَا الْمَجُوسُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانِ  
 سُورِ وَعَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ  
 شَهْدِ الْوَقِيعَةِ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ  
 أَوْ أَنْ يُرَى مُتَمَزِّقَ اللَّحْمَانِ

### الشرح

- ٩٢٢- لَسْنَا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمُلْحِدُ الزُّ  
 زَنْدِيقُ صَاحِبُ مَنْطِقِ الْيُونَانِ  
 قَوْلُهُ: «الْمُلْحِدُ الزُّنْدِيقُ صَاحِبُ مَنْطِقِ الْيُونَانِ» وهو أرسطو، لأنَّ أرسطو  
 هو المعلم الأول للفلسفة اليونانية، يقول:

٩٢٣- بِدَوَامِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشْهُودِ وَالْأَرْوَاحِ فِي أَرْزَلٍ وَلَيْسَ بِفَانٍ

هذا العالم المشهود الذي هو السموات، والأرض، والأفلاك، والأرواح - وهي عالمٌ خفيٌّ - يقول: إنه دائمٌ أزلًا، وليس بفانٍ، إذن فهو دائمٌ أزلًا وأبدًا.

وهذا الوصف لا يصحُّ إلا لله وحده، فهم يقولون - أعنى الفلاسفة -: هذا العالم ليس له أوّلٌ وليس له آخر، يبقى ولا يفتنى أبدًا، وهو أزلٌّ فيما سبق، لم يسبقه عدَمٌ.

٩٢٤- هَذِي مَقَالَاتُ الْمَلَا حِدَةِ الْأُلَى كَفَرُوا بِخَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «هذي» الإشارة إلى القول بدوام العالم المشهود أزلًا وأبدًا.

قَوْلُهُ: «مقالات الملاحدة الألى» الألى يعني: الذين، ف(الألى) جمع (الذي) كما قال ابن مالك في ألفيته: جَمْعُ الَّذِي: (الآلَى) (الَّذِينَ) مُطْلَقًا

إذن الفلاسفة يقولون: هذا الكون المشهود - وهو السموات، والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم - أزلٌّ أبديٌّ، وكذلك العالم غير المشهود - وهي الأرواح - أزلٌّ أبديٌّ، لكن من أين يؤخذ أنه (الأزلي)؟ الجواب: من قوله: «بِدَوَامِ هَذَا الْعَالَمِ... فِي أَرْزَلٍ»، وهو أيضًا أبديٌّ لقوله: «وَلَيْسَ بِفَانٍ».

٩٢٥- وَآتَى ابْنَ سِينَا بَعْدَ ذَلِكَ مُصَانِعًا لِلْمُسْلِمِينَ فَقَالَ بِالْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «مُصَانِعًا» أي: للمسلمين، يعني: مُتَقَرَّبًا إِلَيْهِمْ، لأنَّ ابْنَ سِينَا يَدَّعِي أَنَّهُ مُسْلِمٌ، وَإِذَا كَانَ مُسْلِمًا بَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ بِقَوْلٍ يَنَاقِضُ مَا عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، فَآتَى بِقَوْلٍ يُصَانِعُهُمْ فِيهِ، فَقَالَ بِالْإِمْكَانِ، يَعْنِي: بِإِمْكَانِ حُدُوثِ هَذَا الْعَالَمِ، وَأَنَّ الْعَالَمَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حَادِثًا.

والفلاسفة الذين قبل أرسطو وأتباعه يقولون: إِنَّ الْعَالَمَ أَزَلِيٌّ، لا يمكن أن يكون حادثاً، أما ابن سينا فأتى (فقال بالإمكان).

٩٢٦- لَكِنَّهُ الْأَزَلِيُّ لَيْسَ بِمُحَدَّثٍ مَا كَانَ مَعْدُومًا وَلَا هُوَ فَإِنْ يَقُولُ: إِنَّهُ مُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ حَادِثًا لَكِنَّهُ أَزَلِيٌّ.

فما الفرق بينه وبين الفلاسفة؟ الجواب: الفلاسفة يقولون: يمتنع أن يكون حادثاً، وهو يقول: يمكن أن يكون حادثاً.

وأما المسلمون فيقولون: يجب أن يكون حادثاً، لأنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ فَهُوَ حَادِثٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَدَمًا.

فصار هذا الرجل كالمنافقين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فلا هو بالذي يقول بقول الفلاسفة بأنَّ كونه حادثاً ممكنٌ، ولا بقول المسلمين بأنَّ كونه حادثاً واجبٌ، بل قال: يمكن، لكن مع ذلك هو أَزَلِيٌّ لَيْسَ بِمُحَدَّثٍ.

قَوْلُهُ: «مَا كَانَ مَعْدُومًا» هذا التسلسل في الأول.

قَوْلُهُ: «وَلَا هُوَ فَإِنْ» هذا التسلسل في المستقبل.

٩٢٧- وَأَتَى بِصُلْحٍ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ بَيْنَهُمَا الْحُرُوبُ وَمَا هُمَا سِلْمَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَتَى بِصُلْحٍ» أي: بين المسلمين الذين قالوا: بوجود حدوث العالم، وبين الفلاسفة الذين قالوا باستحالة حدوث العالم، وأنَّ الْعَالَمَ أَزَلِيٌّ، فقال: نجمع بينكما.

فقال: نقول: يمكن أن يكون حادثاً ولكن ليس بحادث، فقال: (يمكن) لأجل أن يدفع قول الفلاسفة، وقال: (وليس بحادث) ليدفع قول المسلمين.

فيقول: نصلح بينكما، نقول: الأمر أزلِّي لأجل أن نوافق الفلاسفة، ونقول: إنه ممكن، وليس بواجب الأزلية ليوافق المسلمين.

لكن ابن القيم يقول: (وَأَتَى بِصُلْحٍ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ بَيْنَهُمَا الْحُرُوبُ وَمَا هُمَا سَلْمَانِ) فليس بين المسلمين والفلاسفة سلّم، بل بينهما حرب طاحنة، فكيف يقول: نجمع بينكما؟!

٩٢٨- أَنِّي يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ وَشِيعَةُ الْيُونَانِ صُلْحًا قَطُّ فِي الْإِيمَانِ

هل يمكن أن يصطلح المسلمون الذين يؤمنون بالله وأنه خالق الأكوان مع اليونان الذين يقولون: إن هذه الأكوان أزلية أبدية ولا موجد لها؟

الجواب: لا يمكن، ولهذا قال:

(أَنِّي يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ وَشِيعَةُ الْيُونَانِ صُلْحًا قَطُّ فِي الْإِيمَانِ) لا يمكن أن يصطلحوا في الإيمان، فبينهما فرق عظيم.

ثُمَّ قَالَ:

٩٢٩- وَالسَّيْفُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَبَيْنَهُمْ وَالْحَرْبُ بَيْنَهُمْ فَحَرْبُ عَوَانِ

يعني أن الحرب بينهم ثائرة دائمة، ولذا لا يمكن الصلح.

٩٣٠- وَكَذَا أَتَى الطُّوسِيُّ بِالْحَرْبِ الصَّرِيحِ بِصَارِمٍ مِنْهُ وَسَلَّ لِسَانِ

قَوْلُهُ: «الطُّوسِيُّ» هو الخواجة نصير الدين الطوسي الذي استوزره هو لآكو خان ملك التتر، هذا هو المُسَمَّى عندهم بنصير الدين، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم يسمّيانه نصير الكفر، وصدقا، فهو نصير الكفر مع مَنْ

وازره وهو ابن العلقمي<sup>(١)</sup>، وكانا من الرافضة.

والمعنى أنه أتى بسلاحين: (الصارم) وهو السيف، و(اللسان) وهو القول لما عنده من الوشاية حتى قضى على المسلمين في بغداد.

٩٣١- وَأَتَى إِلَى الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ أَصْلَهُ مِنْ أَسْأِهِ وَقَوَاعِدِ الْبُنْيَانِ

٩٣٢- عَمَرَ الْمَدَارِسَ لِلْفَلَسَفَةِ الْأَلَى كَفَرُوا بِأَيِّدِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ

هذا الرجل الخبيث عمّر المدارس لكن للفلاسفة، وصار يُدرّس فيها علمُ الفلسفة الذي هو صَدُّ عن سبيلِ الله، كما يوجد الآن في بلاد المسلمين من أدخل على منهج المسلمين وثقافتهم فلسفة الغرب، وشطحات الغرب، وفساد الغرب، حتى أضعفت المواد الشرعية من أجل إقحام هذه المعلومات التي تُدمّر الأديان والأخلاق، بل فقدت العلوم الشرعية من بعض البلاد الإسلامية، فلم تكن في مناهجهم، والله أعلم، ربما لو حصل لهؤلاء الذين أقحموا هذه العلوم في المناهج والمدارس أن يقضوا على المواد الدينية في البلاد التي فيها المواد الدينية لقضوا عليها، لكنهم يخشون من سطوة العامة، فأبقوا شيئاً من المواد الدينية وأضعفوها، ثم أحلّوا محلّها هذه المقررات التي في بعضها كفر صريح -دعونا من المقررات التي تدعو إلى التحلل من الأخلاق، وإلى صور بعض النساء العاريات، وبعض الرجال الذين هم شبه عراة- لكن فيها أفكار مدمرة أفسدت العالم، فهذا في الحقيقة امتداداً لما سبق.

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد بن علي أبو طالب، مؤيد الدين الأسدي البغدادي المعروف بابن العلقمي: وزير المستعصم العباسي، وصاحب الجريمة النكراء، في ممالة (هولاكو) على غزو بغداد، في رواية أكثر المؤرخين، توفي سنة (٦٥٦هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٥/٣٢١).

هذا الرجل الذي يُسَمَّى نصير الدين عمّر المدارس للفلاسفة الذين كفروا بدين الله والقرآن.

٩٣٣- وَأَتَى إِلَى أَوْقَافِ أَهْلِ الدِّينِ يَنْدُ قُلُّهَا إِلَيْهِمْ فَعَمَلَ ذِي أَضْغَانٍ

أوقاف المسلمين التي وقفت على المدارس الدينية التي فيها علم الحديث، والفقه، والنحو، أخذ هذه الأوقاف وصرّفها إلى المدارس التي يُدرّس فيها علم الفلسفة.

٩٣٤- وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الإِشَارَاتِ الَّتِي هِيَ لِابْنِ سِينَا مَوْضِعَ الْفُرْقَانِ

أراد أن يجعل كتاب (الإشارات) لابن سينا يُدرّس بدل القرآن وألا يُدرّس القرآن، ومعلوم أنّ الطّغاة يريدون هذا.

٩٣٥- وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الشَّرِيعَةِ بِالنُّوَا مِيسِ الَّتِي كَانَتْ لَدَى الْيُونَانِ

قَوْلُهُ: «النواميس» يعني: النُّظْم، وتُسَمَّى في عرفنا الحاضر بالقوانين، يعني: أراد أن يرفع الشريعة ويحلّ محلّها القانون.

وهذا واقع من أمثاله في عصرنا، فكثير من البلاد الإسلامية التي يُنادى فيها بالأذان، وترسم في قانونها أنها دولة إسلامية حلّت فيها القوانين الوضعية محلّ الأحكام الشرعية، فرُفِعَت الأحكام الشرعية منها، وحلّت القوانين.

فنسأل الله أن ينجّي المسلمين من هؤلاء وأمثالهم.

٩٣٦- لَكِنَّهُ عَلِمَ اللَّعِينُ بِأَنَّ هَذَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ وَالْإِمْكَانِ

٩٣٧- إِلَّا إِذَا قَتَلَ الْخَلِيفَةَ وَالْقُضَاةَ وَسَائِرَ الْفُقَهَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

قَوْلُهُ: «عَلِمَ اللَّعِينُ» يعني: نصير الدين الطوسي، ووصفه باللعين، لأنه ملعون في الحقيقة، لأنَّ فعله هذا فعل الشياطين.

وقَوْلُهُ: «اللعين» يحتمل أن تكون دعاءً أو خبرًا، فَإِنْ كانت دعاءً فقد استحقَّ اللعنة، لأنه مات على الكفر، وإن كانت خبرًا فهو أهلٌ لذلك.

وقد يريد ابن القيم بـ(اللعين) البعيد عن رحمة الله وعن رضا الناس له، لأنَّ الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ»<sup>(١)</sup> فجعل السَّبَّ لعنًا.

٩٣٨- فَسَعَى لِدَاكَ وَسَاعَدَ الْمَقْدُورُ بِأَمْرِ الَّذِي هُوَ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فَسَعَى لِدَاكَ» يعني: سعى لقتل الخليفة والقضاة والفقهاء، وقد أشار هو وابن العلقمي بأن يتقدَّم الخليفة ومعه القضاة والأشراف والأعيان، وأنه لما أقبل على الملك هولاكو فصل بين الخليفة وبين هؤلاء القضاة والأشراف، وقضى عليهم، ثُمَّ فاوض الملك، ثُمَّ رجع، ثُمَّ حَصَلَتِ النِّهَايَةُ فِي الْجَوْلَةِ الثَّانِيَةِ.

قَوْلُهُ: «سَاعَدَ الْمَقْدُورُ» أي: مقدور الله عزَّ وجلَّ الذي هو حكمة الرحمن، والله عزَّ وجلَّ لا يفعل شيئًا إِلَّا لحكمة، يعني: قد تقع المكاره والمصائب العظيمة، لكن الذي قَدَّرَهَا هو الله، والله عزَّ وجلَّ لا يُقَدِّرُ شيئًا إِلَّا لحكمة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه برقم (٥٦٢٨).

٩٣٩- فَأَشَارَ أَنْ يَضَعَ التَّارُ سُيُوفَهُمْ فِي عَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

٩٤٠- لَكِنَّهُمْ يُبْقُونَ أَهْلَ صَنَائِعِ الدُّنْيَا لِأَجْلِ مَصَالِحِ الْأَبْدَانِ

أشار أن يوضع السيف في أهل الإيمان، وأما أهل صنائع الدنيا مثل أصحاب الحرف، ومثلما سبق أنه أبقى اليهود والنصارى والرافضة وبعض التجار، فأهل صنائع الدنيا والحرف أبقاهم، واليهود والنصارى والرافضة أبقاهم، لأن هؤلاء لا ضرر منهم، لأنهم لا يمكن أن يقوموا ضد عدو الإسلام أبداً، فلذلك أبقاهم.

٩٤١- فَغَدَا عَلَى سَيْفِ التَّارِ الْأَلْفُ فِي مِثْلِ لَهَا مَضْرُوبَةٌ بِوِزَانِ

قَوْلُهُ: «الْأَلْفُ فِي مِثْلِ لَهَا»: ألف في ألف بمليون، يعني قتل ألف ألف، هذا واحد.

٩٤٢- وَكَذَلِكَ ثَمَانِ مِئِينَهَا فِي أَلْفِهَا مَضْرُوبَةٌ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «ثَمَانِ مِئِينَهَا فِي أَلْفِهَا» أي: ثمانمئة ألف.

يعني: مليونين إلا مائتي ألف، كلهم قُتلوا في بلد واحد وفي هجوم واحد مع أن البشر في ذلك الوقت أقل من البشر في هذا الوقت، يعني: يمكن أن يكون هذا العدد يُمثل النصف أو أكثر من أهل بغداد كلهم قُتلوا، نسأل الله العافية.

٩٤٣- حَتَّى بَكَى الْإِسْلَامَ أَعْدَاةُ الْيَهُودِ كَذَا الْمَجُوسُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانِ

قَوْلُهُ: «أَعْدَاةُ» يعني: أعداء الإسلام، والمعنى أن أعداء الإسلام بكوا عليه من شدة ما وقع به.

وأمرٌ يحزن له الأعداء فادحٌ ما بعده فداحة، أعداء الإسلام صاروا يكون الإسلام وأهله، كذا المجوس، وعابدو الصلبان، يعني النصارى.

٩٤٤- فَشَفَى اللَّعِينُ النَّفْسَ مِنْ حِزْبِ الرَّسُولِ وَعَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «شَفَى النَّفْسَ» يعني: نفسه، (مِنْ حِزْبِ الرَّسُولِ وَعَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ).

٩٤٥- وَيُودُّهُ لَوْ كَانَ فِي أَحَدٍ وَقَدْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ<sup>(١)</sup>

يعني: هو يودُّ أنه كان في أحد مع أبي سفيان مع المشركين، ويحارب مَنْ؟

الجواب: الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

٩٤٦- لَا قَرَّ أَعْيُنُهُمْ وَأَوْفَى نَذْرَهُ أَوْ أَنْ يُرَى مُتَمَزَّقَ اللَّحْمَانِ

يعني: أنه تمنى أن يكون في أحد حتى يُقَرَّ أعينهم، ويشفي صدره بقتل النبيِّ

-عليه الصلاة والسلام- أو أن يتمزَّق لحمه دونهم.

نسأل الله العافية.

\*\*\*

٩٤٧- وَشَوَاهِدُ الْأَحْدَاثِ ظَاهِرَةٌ عَلَى ذَا الْعَالَمِ الْمَخْلُوقِ بِالْبُرْهَانِ

٩٤٨- وَأَدِلَّةُ التَّوْحِيدِ تَشْهَدُ كُلُّهَا بِحُدُوثِ كُلِّ مَا سِوَى الرَّحْمَنِ

٩٤٩- لَوْ كَانَ غَيْرُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مَعَهُ قَدِيمًا كَانَ رَبًّا ثَانِيًا

(١) أبو سفيان: هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من سادات قريش في الجاهلية ومن رؤساء المشركين في حرب الإسلام أول ظهوره، ثم أسلم عام الفتح، وشهد الطائف، ففقت عينه، ثم فقت الأخرى في اليرموك، ولد بمكة قبل الهجرة بـ(٧٥) سنة، ومات بالمدينة أو الشام سنة (٣١ هـ). [الشارح].

- ٩٥٠- إِذْ كَانَ عَنْ رَبِّ الْعُلَى مُسْتَعْنِيًا      فَيَكُونُ حَيْثُ لَنَا رَبَّانٍ  
 ٩٥١- وَالرَّبُّ بِاسْتِقْلَالِهِ مُتَوَحِّدٌ      أَفْمُمْكِنٌ أَنْ يَسْتَقِلَّ اثْنَانِ؟  
 ٩٥٢- لَوْ كَانَ ذَاكَ تَنَافِيًا وَتَسَاقُطًا      فَإِذَا هُمَا عَدَمَانِ مُتَمْتِعَانِ  
 ٩٥٣- وَالْقَهْرُ وَالتَّوْحِيدُ يَشْهَدُ مِنْهُمَا      كُلٌّ لِصَاحِبِهِ هُمَا عِدْلَانِ  
 ٩٥٤- وَلِذَلِكَ اقْتَرْنَا جَمِيعًا فِي صِفَا      تِ اللَّهِ، فَانظُرْ ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ  
 ٩٥٥- فَالْوَاحِدُ الْقَهَّارُ حَقًّا لَيْسَ فِي الْ      إِمْكَانِ أَنْ تَحْطَى بِهِ ذَاتَانِ

### الشرح

يتحدث المؤلف -رحمه الله- في هذه المقطوعة عن أدلة وحنانية الله عز وجل وأنه سابق على كل موجود، فقال:

٩٤٧- وَشَوَاهِدُ الْأَحْدَاثِ ظَاهِرَةٌ عَلَى      ذَا الْعَالَمِ الْمَخْلُوقِ بِالْبُرْهَانِ  
 يعني أنها ظاهرة بالدليل القاطع على أن هذا العالم مخلوق.

٩٤٨- وَأَدِلَّةُ التَّوْحِيدِ تَشْهَدُ كُلُّهَا      بِحُدُوثِ كُلِّ مَا سِوَى الرَّحْمَنِ  
 قَوْلُهُ: «بِحُدُوثِ كُلِّ» أي: كل الموجودات، ويجوز (بِحُدُوثِ كُلِّ مَا سِوَى الرَّحْمَنِ) بالإضافة، لكن كيف ذلك؟ بين فقال:

٩٤٩- لَوْ كَانَ غَيْرُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ      مَعَهُ قَدِيمًا كَانَ رَبَّانِي  
 نعم، لو كان مع الله أحد قديم لكان ربًا ثانيًا، لأنه يجتمع عندنا قديمان: الربُّ، وهذا القديم الثاني.

والقديم عند الفلاسفة وفي اصطلاح المتكلمين: هو ما ليس له أول، وليس هو قديم في اللغة العربية، القديم في اللغة العربية: ما سبق غيره ولو كان مسبوقا، والقديم عند الفلاسفة والمتكلمين هو ما ليس له أول، فمثلا الشيء العتيق يُسمى في اللغة قديما كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، وعند الفلاسفة: ليس كذلك، لأنه حادث، فالقديم عندهم هو الأزلي الذي ليس له أول.

يقول ابن القيم: (لَوْ كَانَ غَيْرُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مَعَهُ قَدِيمًا كَانَ رَبًّا ثَانِيًا) يعني: يكون ربان إذا كان كلُّ منهما قديما.

٩٥٠- إِذْ كَانَ عَنْ رَبِّ الْعُلَى مُسْتَعْنِيًا      فَيَكُونُ حِينئِذٍ لَنَا رَبَّانٍ  
لأنه إذا قُدِّرَ شيان قديمان كان كلُّ واحدٍ منهما مستعنيا عن الآخر، لأنَّ هذا قديم لا يحتاج إلى مُحَدِّث، والثاني قديم لا يحتاج إلى مُحَدِّث، فحينئذٍ يكون لنا رَبَّانٍ، كلُّ منهما قديم مُسْتَعْنٍ عن الآخر.

٩٥١- وَالرَّبُّ بِاسْتِقْلَالِهِ مُتَوَحِّدٌ      أَفْمُمْكِنٌ أَنْ يَسْتَقِلَّ اثْنَانِ؟  
الجواب: لا، فالرَّبُّ لا بُدَّ أن يكون مستقلا واحدا، لا يمكن أن يكون رَبَّانٍ ودليل ذلك ما يُعرَفُ عند العلماء بدليل التمانع، مثاله: قال:

٩٥٢- لَوْ كَانَ ذَاكَ تَنَافِيًا وَتَسَاقَطًا      فَإِذَا هُمَا عَدَمَانِ مُتَمَنِّعَانِ  
قَوْلُهُ: «لَوْ كَانَ ذَاكَ» يعني: لو كان هناك رَبَّانٍ هناك اثنان.

قَوْلُهُ: «تَنَافِيًا وَتَسَاقَطًا» يعني: لو كان هناك رَبَّانٍ تنافيا، يعني تعاكسا وتساقطا.

قوله: «إِذَا هُمَا عَدَمَانِ مُتَمَنِّعَانِ» لكن كيف ذلك؟ لو كان هناك رَبَّانٍ اثنان مستقلان، لانفرد كلُّ واحدٍ بمملكته ومخلوقاته، وحينئذٍ لا بدَّ أن يقع النزاع

بينهما، فإمّا أن يَعْجِزَ كُلُّ منهما عن الآخر، وإمّا أن يغلب أحدهما الآخر، فإن عجز كُلُّ واحدٍ منهما عن الآخر تساقطًا، وصار كُلُّ منهما لا يَصْلُحُ أن يكون رَبًّا، لأنَّ الرَّبَّ لا بدَّ أن يكون قاهرًا غالبًا، وإن غلب أحدهما الآخر صار هو الرَّبُّ، والثاني ليس بِرَبِّ.

فالحاصل أنه لو كان للعالم خالقان للزم أحد أمرين: إما انتفاء الربوبية عنهما جميعًا، وإما ثبوتها لأحدهما، أمّا أن تَثُبَّتَ لهما جميعًا فهذا محال، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وإذا علا بعضهم على بعض، فالعالي منهما هو الرَّبُّ، وهذا هو الذي أشار إليه ابن القيم -رحمه الله- بقوله: (لَوْ كَانَ ذَاكَ تَنَافِيًا وَتَسَاقُطًا فَإِذَا هُمَا عَدَمَانِ مُتَمَتِّعَانِ).

بقي احتمال واحد وهو أن يغلب أحدهما الآخر، فإذا غلب أحدهما الآخر فهو الرَّبُّ.

٩٥٣- وَالْقَهْرُ وَالتَّوْحِيدُ يَشْهَدُ مِنْهُمَا كُلُّ لِصَاحِبِهِ هُمَا عِدْلَانِ

القهر والوحدانية كُلُّ واحدٍ منهما يَشْهَدُ على انفراد الله تعالى بذلك، فالقَهَّارُ الذي يَقْهَرُ كُلَّ شيءٍ يَدُلُّ على أنه لا يساويه شيء، لأنّه لو ساواه شيءٌ لم يكن قَهَّارًا على الإطلاق، لأنَّ مَنْ لا يقهر كُلَّ شيءٍ، بل يُقْهَرُ أحيانًا لا يُوصَفُ بأنّه القَهَّارُ على الإطلاق.

والواحد أيضًا القهرُ يشهد له، فإذا كان الله قاهرًا لكلِّ شيءٍ لزم أن يكون متوحدًا في مُلكه، ونحن نرى الكون الآن أنّه مقهورٌ بِرَبِّ، فأبى واحدٍ في الدنيا من أولها إلى آخرها هل يمكنه أن يخرج عن تقدير الله وقضائه؟

الجواب: لا، إذن هو مقهور على كل حال، فلا يَصْلُحُ شيء من المخلوقات رَبًّا، ولهذا يقول: (وَالْقَهْرُ وَالتَّوْحِيدُ يَشْهَدُ مِنْهُمَا كُلٌّ لِصَاحِبِهِ هُمَا عِدْلَانِ) أو (عِدْلَانِ).

وَقَوْلُهُ: «هُمَا عِدْلَانِ» أي: متعادلان، و(هُمَا عِدْلَانِ) أي: في شهادتهما، وهذا مأخوذ من العدالة.

٩٥٤- وَلِذَلِكَ اقْتَرْنَا جَمِيعًا فِي صِفَا تِ اللَّهِ، فَانظُرْ ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «اقْتَرْنَا» يعني: الوجدانية والقهر.

٩٥٥- فَالْوَاحِدُ الْقَهَّارُ حَقًّا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَنْ تَحْظَى بِهِ ذَاتَانِ قَوْلُهُ: «فَالْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» وَرَدَّ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فَالوَاحِدُ الْقَهَّارُ حَقًّا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَنْ تَحْظَى بِهِ ذَاتَانِ.

خلاصة هذا الباب كله: أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعلاً، وهذا يستلزم التسلسل في الماضي كما يستلزم التسلسل في المستقبل.

أما التسلسل في المستقبل فقد دلَّ عليه القرآن والسنة دلالة صريحة، فكلُّ نصٍّ فيه أبدية النار وأبدية الجنة فهو دليل على التسلسل في المستقبل، يعني: أنه لا نهاية له، فلا نهاية للجنة ونعيمها، ولا نهاية للنار وجحيمها، وهذا في القرآن.

وأما التسلسل في الماضي فاشتبه على كثير من علماء السنة، فقالوا: لا يمكن التسلسل في الماضي، لأننا لو قلنا بجواز التسلسل في الماضي، للزم أن تكون

المخلوقات أزليَّة مقارنة للخالق، ومعلوم أنَّ هذا مستحيل، ومن قال: إِنَّ المخلوقات مقارنة للخالق وأزليَّة بأزليته كان كافرًا مشرِّكًا.

لكنَّ شيخ الإسلام - رحمه الله - وجماعة من أهل العلم قالوا: نحن نقول بالإمكان، بل بوجوب أنَّ الله لم يزل ولا يزال فعَّالًا، ولكن من المعقول الذي يدركه كلُّ عاقل أنَّ المفعول نتيجة الفعل، وأنَّ الفعل صفةُ الفاعل، إذن فالفاعل متقدِّم حتى لو قلنا: بأزليَّة الحوادث، فإنَّ ذلك لا يلزم أن تكون مقارنةً لله الواحد القهَّار، لأنَّ الله (فاعل)، ثُمَّ فِعْلٌ، ثُمَّ مفعول، إذن فالحوادث غيرُ مقارنة لله في الوجود.

فهذا المحذور الذي فررتم منه ليس بلازم، لكن لو قلنا: إِنَّ الله تعالى مُعَطَّلٌ عن الفعل أزلاً، ثُمَّ فِعْلٌ، فهذا تحكُّم من وجهين:

الوجه الأول: أنَّه في الوقت الذي يكون معطَّلًا عن الفعل يكون ناقصًا، فإن قالوا: لا نقص، لأنَّ الفعل يتَّبِعُ الحكمة، فإذا اقتضت الحكمةُ ألا يفعل فلم يفعل صار ذلك كما لا نقصًا.

فنقول: نعم، أنتم إذا سلَّتم بهذا، وقلتم بجواز التسلسل لعذرناكم، لكن أنتم تقولون بامتناع التسلسل، فيكون الفعل في الأول ممتنعًا وليس متأخرًا، فنقول: ما الذي جعله ممتنعًا عن الله، ثُمَّ صار ممكنًا؟ وإلى متى كان ممتنعًا؟ ألف سنة، ألفي سنة، آلاف السنين، ثُمَّ صار ممكنًا؟!

إن قلتم: ألف سنة، ثُمَّ صار ممكنًا قلنا: أين الدليل؟ إن قلتم: عشر سنوات، ثُمَّ صار ممكنًا قلنا: أين الدليل؟ إن قلتم سنة، ثُمَّ صار ممكنًا قلنا: أين الدليل؟ إن قلتم: يومًا، ثُمَّ صار ممكنًا، قلنا: أين الدليل؟

إِذَنْ قَوْلُوا: بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ فَعَالًا، وَأَنَّ تَسْلُسُلَ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي مُمْكِنٌ بَلْ هُوَ مِنْ مَقْتَضَى كِمَالِهِ، وَحَيْثُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولُوا خَطَأً أَوْ زَلَلًا، لِأَنَّنا نَقُولُ بِذَلِكَ.

وَلَكِنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ نَعْلَمُ أَنَّ الْمَفْعُولَ يَقَعُ بَعْدَ الْفِعْلِ، وَأَنَّ الْفِعْلَ وَصَفَ الْفَاعِلَ فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَوْصُوفُ مُتَقَدِّمًا.

وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ لَا إِشْكَالَ فِيهِ مَعَ أَنَّهُ لَمَّا بَرَزَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي تَقْرِيرِهِ ثَارَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا، وَقَالُوا: هَذَا مُشْرِكٌ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ثَانِيًا، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ قِصَائِدُ ذُكِّرَتْ فِي الطَّبَعَةِ الْأُولَى مِنْ مَنْهَاجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، مِنْهَا قِصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ فِيهَا الرَّدُّ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الرَّأْيِ، وَتَوْجِدُ قِصِيدَةٍ أُخْرَى مُعَارِضَةً لَهَا مُنَاقِضَةً لَهَا.

لَكِنِ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِذَا لَمْ نَدْخُلْ فِي هَذِهِ الْمَعْمَعَةِ فَإِنَّ فِطْرَنَا تَقْتَضِي أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزَالُ فَعَالًا، هَذَا وَاحِدٌ.

عَقُولُنَا أَيْضًا تَقْتَضِي بِأَنَّنا لَوْ قَلْنَا: بِأَزَلِيَّةِ الْحَوَادِثِ فَلَيْسَتْ مُقَارِنَةً لِلْمُحَدِّثِ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ بَعْدَهُ، وَحَيْثُ نَنْفَصِلُ عَنِ الْقَوْلِ بِأَنَّنا إِذَا قَلْنَا: بِأَزَلِيَّةِ الْحَوَادِثِ أَثْبَتْنَا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ أَثْبَتْنَا رَئِيَيْنَ.

وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَالْبَحْثُ فِي هَذَا يُعْتَبَرُ مِنْ فَضُولِ الْعِلْمِ إِلَّا إِذَا خَشِيَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعْتَقِدَ فِي اللَّهِ نَقْصًا، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَقِّقَ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَمْ تَطْرَأْ عَلَى بَالِهِ الْمَسْأَلَةُ لَمْ تَشْكَلْ عَلَيْهِ، لَكِنِ الَّذِي يَقْرَأُ بَحْثَ الْعُلَمَاءِ، ثُمَّ يَخْشَى إِذَا لَمْ يَقُلْ بِالْقَوْلِ حَصَلَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْ تَنْقُصِ الْخَالِقِ حَيْثُ يَجِبُ أَنْ يَبْحَثَ وَيُحَقِّقَ.

## فصل

فِي اعْتِرَاضِهِمْ عَلَى الْقَوْلِ بِدَوَامِ فَاعِلِيهِ الرَّبِّ تَعَالَى وَكَلَامِهِ ، وَالانْفِصَالِ عَنْهُ

- ٩٥٦- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَاكَ تَسَلَّسَلَ
- ٩٥٧- كَتَسَلَّسَلَ التَّأْثِيرِ فِي مُسْتَقْبَلِ
- ٩٥٨- وَاللَّهِ مَا افْتَرَقَا لِذِي عَقْلٍ، وَلَا
- ٩٥٩- فِي سَلْبِ إِمْكَانٍ وَلَا فِي ضِدِّهِ
- ٩٦٠- فَلَيَاتِ بِالْفُرْقَانِ مَنْ هُوَ فَارِقٌ
- ٩٦١- وَكَذَلِكَ سَوَى الْجَهْمُ بَيْنَهُمَا كَذَا أَلْ
- ٩٦٢- وَلَا أَجَلَ ذَا حَكْمًا بِحُكْمِ بَاطِلٍ
- ٩٦٣- فَالْجَهْمُ أَفْنَى الذَّاتِ وَالْعَلَّافُ لِدْ
- ٩٦٤- وَأَبُو عَلِيٍّ وَابْنُهُ وَالْأَشْعَرِيُّ
- ٩٦٥- وَجَمِيعُ أَرْبَابِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ أَلْ
- ٩٦٦- فَرُقُوا وَقَالُوا: ذَاكَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ
- ٩٦٧- قَالُوا لِأَجْلِ تَنَاقُضِ الْأَرْزِيِّ وَالْ
- ٩٦٨- لَكِنْ دَوَامِ الْفِعْلِ فِي مُسْتَقْبَلِ
- قُلْنَا: صَدَقْتُمْ، وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ
- هَلْ بَيْنَ ذَيْنِكَ قَطُّ مِنْ فُرْقَانِ
- نَقْلِ، وَلَا نَظَرٍ، وَلَا بُرْهَانِ
- هَذِي الْعُقُولُ، وَنَحْنُ ذُو أَدْهَانِ
- فَرُقَّا بَيْنَ لِصَالِحِ الْأَذْهَانِ
- عَلَّافٌ فِي الْإِنْكَارِ وَالْبُطْلَانِ
- قَطْعًا عَلَى الْجَنَّاتِ وَالنَّيْرَانِ
- حَرَكَاتِ أَفْنَى قَالَهُ الثَّوْرَانِ
- يُ وَبَعْدَهُ ابْنُ الطَّيِّبِ الرَّبَّانِي
- مَذْمُومٌ عِنْدَ أَيْمَةِ الْإِيمَانِ
- حَقٌّ وَفِي أَرْزَلِ بِلَا إِمْكَانِ
- إِحْدَاثِ: مَا هَذَا يَجْتَمِعَانِ
- مَا فِيهِ مَحْذُورٌ مِنَ التُّكْرَانِ

- ٩٦٩- فَانظُرْ إِلَى التَّلَيْسِ فِي ذَا الْفَرْقِ تَر  
 ٩٧٠- مَا قَالَ ذُو عَقْلٍ بِأَنَّ الْفَرْدَ ذُو  
 ٩٧١- بَلْ كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَسْبُوقٌ بِفَرْدٍ  
 ٩٧٢- وَنَظِيرُهُ هَذَا كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَلْ  
 ٩٧٣- النَّوْعُ وَالْآحَادُ مَسْبُوقٌ وَمَلْ  
 ٩٧٤- وَالنَّوْعُ لَا يَفْنَى أَحِيرًا فَهُوَ لَا  
 ٩٧٥- وَتَعَاقُبُ الْآنَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ  
 ٩٧٦- فَإِذَا أَبَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ: أَوَّلُ الْ  
 ٩٧٧- مَا كَانَ ذَاكَ الْآنَ مَسْبُوقًا يُرَى  
 ٩٧٨- فَيَقَالُ: مَا تَعْنُونَ بِالْآنَاتِ؟ هَلْ  
 ٩٧٩- مِنْ حِينِ إِحْدَاثِ السَّمَوَاتِ الْعُلَى  
 ٩٨٠- وَنَظْنُكُمْ تَعْنُونَ ذَاكَ وَلَمْ يَكُنْ  
 ٩٨١- هَلْ جَاءَكُمْ فِي ذَاكَ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ  
 ٩٨٢- هَذَا الْكِتَابِ وَهَذِهِ الْأَثَارُ وَالْ  
 ٩٨٣- إِنَّا نَحَاكِمُكُمْ إِلَى مَا شِئْتُمْ  
 ٩٨٤- أَوْلَيْسَ خَلْقُ الْكَوْنِ فِي الْآيَامِ كَا
- وَيَجَا عَلَى الْعُورَانِ وَالْعُمَيَانَ  
 أَزَلٍ لِيذِي ذَهْنٍ وَلَا أَعْيَانَ  
 دِقْبَلَهُ أَبَدًا بِلَا حُسْبَانَ  
 حُوقٌ بِفَرْدٍ بَعْدَهُ حُكْمَانَ  
 حُوقٌ وَكُلٌّ فَهُوَ مِنْهَا فَانِ  
 يَفْنَى كَذَلِكَ أَوْ لَا بَيَانَ  
 فِي الذَّهْنِ وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَعْيَانَ  
 آنَاتٍ مُفْتَتِحٍ بِلَا نُكْرَانَ  
 إِلَّا بِسَلْبٍ وَجُودِهِ الْحَقَّانِي  
 تَعْنُونَ مُدَّةَ هَذِهِ الْأَزْمَانَ  
 وَالْأَرْضِ وَالْأَفْلَاكِ وَالْقَمَرَانَ  
 مِنْ قَبْلَهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَكْوَانَ  
 نَصٌّ وَمِنْ نَظِيرٍ وَمِنْ بُرْهَانَ؟  
 مَعْقُولٌ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانَ  
 مِنْهَا فَحُكْمُ الْحَقِّ فِي تَبْيَانِ  
 نَ، وَذَلِكَ مَا أُخُوذُ مِنَ الْقُرْآنِ

- ٩٨٥- أَوْلَيْسَ ذَلِكُمُ الزَّمَانُ بِمُدَّةٍ  
لِحُدُوثِ شَيْءٍ وَهُوَ عَيْنُ زَمَانٍ؟
- ٩٨٦- فَحَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ نِسْبَةٌ حَادِثٍ  
لِسِوَاهُ تِلْكَ حَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ
- ٩٨٧- وَادْكُرْ حَدِيثَ السَّبِقِ لِلتَّقْلِيلِ وَالتَّ  
تَوْقِيتِ قَبْلَ جَمِيعِ ذِي الْأَعْيَانِ
- ٩٨٨- خَمْسِينَ أَلْفًا مِنْ سِنِينَ عَدَّهَا الْ  
مُخْتَارُ سَابِقَةً لِذِي الْأَكْوَانِ
- ٩٨٩- هَذَا وَعَرْشُ الرَّبِّ فَوْقَ السَّمَاءِ مِنْ  
قَبْلِ السَّنِينَ بِمُدَّةٍ وَرَمَانِ
- ٩٩٠- وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي  
كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ
- ٩٩١- هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ  
قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَا الْهَمْدَانِيِّ
- ٩٩٢- وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلَ لِأَنَّهُ  
قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ
- ٩٩٣- وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ  
إِجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ زَمَانِ
- ٩٩٤- لَمَّا بَرَاهُ اللَّهُ قَالَ: اكْتُبْ كَذَا  
فَعَدَا بِأَمْرِ اللَّهِ ذَا جَرِيَانِ
- ٩٩٥- فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ أَبَدًا إِلَى  
يَوْمِ الْمَعَادِ بِقُدْرَةِ الرَّحْمَنِ
- ٩٩٦- أَفَكَانَ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ  
مِنْ قَبْلِ ذَا عَجْزٍ وَذَا نُقْصَانٍ؟!
- ٩٩٧- أَمْ لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ وَالْفِعْلُ مَقْدُومٌ  
دُورٌ لَهُ أَبَدًا وَذُو إِمْكَانٍ؟
- ٩٩٨- فَلَيْنَ سَأَلْتَ وَقُلْتَ: مَا هَذَا الَّذِي  
أَدَاهُمُ لِخِلَافِ ذَا التَّبْيَانِ؟
- ٩٩٩- وَلَايِي شَيْءٌ لَمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ  
-سَبْحَانَهُ- هُوَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ
- ١٠٠٠- فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أَسَّسُوا  
أَصْلَ الْكَلَامِ عَمُوا عَنِ الْقُرْآنِ

- ١٠٠١- وَعَنِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْمَعْقُولِ  
 بل عَنْ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ
- ١٠٠٢- وَبَنَوْا قَوَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَادَهُمْ  
 فَسَرًّا إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْبُطْلَانِ
- ١٠٠٣- نَفَى الْقِيَامَ لِكُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ  
 بِالرَّبِّ خَوْفَ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ
- ١٠٠٤- فَيُسَدُّ ذَاكَ عَلَيْهِمْ فِي زَعْمِهِمْ  
 إِبْتِاتَ صَانِعِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
- ١٠٠٥- إِذْ أَثْبَتُوهُ بِكَوْنِ ذِي الْأَجْسَادِ حَا  
 دِثَةً فَلَا تَنْفَكُ عَنْ حَدَثَانِ
- ١٠٠٦- فَإِذَا تَسَلَّسَلَتِ الْحَوَادِثُ لَمْ يَكُنْ  
 لِحُدُوثِهَا إِذْ ذَاكَ مِنْ بُرْهَانِ
- ١٠٠٧- فَلَأَجَلِ ذَا قَالُوا: التَّسْلُسُلُ بَاطِلٌ  
 وَالْجِسْمُ لَا يَخْلُو عَنِ الْحَدَثَانِ
- ١٠٠٨- فَيَصِحُّ حِينَئِذٍ حَدُوثُ الْجِسْمِ مِنْ  
 هَذَا الدَّلِيلِ بِوَأْضَحِ الْبُرْهَانِ
- ١٠٠٩- هَذِي نَهَايَاتُ لِإِقْدَامِ الْوَرَى  
 فِي ذَا الْمَقَامِ الضَّيِّقِ الْأَعْطَانِ
- ١٠١٠- فَمَنْ الَّذِي يَأْتِي بِفَتْحِ بَيْنِ  
 يُنْجِي الْوَرَى مِنْ غَمْرَةِ الْحَيْرَانِ
- ١٠١١- فَاللَّهُ يُجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ  
 مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ

### الشرح

قوله: «اعتراضهم» يعني: أنهم اعترضوا على القول بدوام فاعلية الله عز وجل وقالوا: لا يمكن أن يكون الله دائم الفعل.

وقوله: «والانفصال عنه» أي: الانفصال عن هذا الاعتراض، وهو بمعنى

كلمة الإجابة عنه.

وهذا الفصل فصلٌ عظيم، وقد تكلم فيه المؤلف -رحمه الله- عن التسلسل في الحوادث، وذكر فيه للناس ثلاثة أقوال:

القول الأول: بأن التسلسل ممنوع في الماضي والمستقبل، وهذا قول الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة.

القول الثاني: جوازه في الماضي والمستقبل، وهذا الذي أيده ابن القيم -رحمه الله- وذكر أدلته.

القول الثالث: جواز التسلسل في المستقبل وامتناعه في الماضي، وهذا هو الذي عليه عامة علماء الكلام، وهو الذي لا يكاد يُعرف سواه عند المتأخرين، ولكن الأدلة التي ذكرها ابن القيم -رحمه الله- أدلة واضحة.

وليس قولنا بإمكان التسلسل هو قولنا بوجوب التسلسل، يعني: إذا قلنا بجواز التسلسل فليس معناه أننا نقول بوجوبه، إذ لا شك أن كل ما سوى الله فهو حادثٌ بعد أن لم يكن، فالأعيان ليست متسلسلةً إلى ما لا نهاية له، فكلُّ شيء حادثٌ، والله تعالى قبل كلِّ شيء.

وقد تقدّم في أول الكلام على هذا هذه المسألة أن لدينا فاعلاً وفعلاً ومفعولاً، وأن ترتيبها هكذا: فاعلٌ سابقٌ على الفعل، وفعل سابقٌ على المفعول، وأنا وإن قلنا بجواز تسلسل الحوادث في الماضي، لا يمكن أن نقول: إنها مقارنةٌ لوجود الله أبداً، بل لا بدّ أن تكون مسبوقهً بوجوده، لكنها إلى ما لا نهاية له.

وابن القيم -رحمه الله- تكلم كلاماً كثيراً حول هذا الموضوع، ثم قال: إن هؤلاء القوم الذين قالوا: إنه ممكن في المستقبل، مستحيلٌ في الماضي، بنوا هذا على

قواعد أصْلوها من علم الكلام، ليس عليها دليلٌ من معقولٍ ولا منقولٍ ولا فطرةٍ، وهذا هو الحقُّ، فإنَّ أهل الكلام بنوا عقيدتهم في الله على عقولٍ ليست عاقلةً، بل هي عقول مضطربةٌ متناقضةٌ يَنْقُض بعضها بعضاً، ويُفسد بعضها بعضاً، وهي كما قيل:

حُجَجٌ تَهَافَتْ كَالزُّجَاجِ تَحَالُهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ

حتى إنَّ زعماءهم ورؤساءهم أقرُّوا بالحيرة وبالرجوع إلى الحقِّ، يقول الرازي - وهو من عظمائهم وكبرائهم وأئمتهم - يقول: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ومن جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»<sup>(١)</sup>. هذا وهو من رؤسائهم.

وقال أبو المعالي الجويني: «لقد حُضْتُ البحر الخضم، وغصت في الذي نهي أهل الإسلام منها، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن رجعت من الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز»<sup>(٢)</sup>. رجع إلى عقيدة العجائز، فالعجائز لا تتكلَّم بهذا الكلام وهذا التنطع، وهذا مصداق قول النَّبِيِّ - عليه الصلاة والسلام -: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»<sup>(٣)</sup> «<sup>(٤)</sup>. قالها ثلاث مرات،

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠١).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٣٣٢).

(٣) هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم. انظر: النهاية (نطع).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنتعون، برقم (٢٦٧٠).

ولهذا لا تجد أحسنَ من عِلْمِ السلف، فعِلْمُ السلف بسيطٌ هادئٌ، ليس فيه تعمُّق ولا تكلفٌ أبدًا.

جاء رجلٌ إلى ابنِ عُمَرَ وَسَأَلَهُ عَنِ دَمِ الْبُعُوضِ. فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. قَالَ: انظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنِ دَمِ الْبُعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>.

هذا ورع عظيم، أن يسأل عن دم البعوض ويقتل من جدُّه رسولُ الله ﷺ!! فالتعمق هذا يفسد على الإنسان، ويوجب له الشك والقلق، بل كن بسيطاً في الأمور كلها حتى المسائل التي لم تُكَلَّفْ بها ولم يأتِ بها نصٌّ إذا أعميتك فاتركها ولا تُتعب نفسك بها حتى لا تتضرر.

فابن القيم -رحمه الله- ذكر أن هؤلاء بنوا عقيدتهم على ما يدعونونه معقولاً، ولكنها في الحقيقة جهالات، وضلالات، وشبهات، لا تُغني من الحق شيئاً أبدًا، بل هي توقع الإنسان في الحيرة، والشك، والقلق.

يقول -رحمه الله-:

٩٥٦- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَاكَ تَسْلُسُلٌ قُلْنَا: صَدَقْتُمْ، وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «أَنَّ ذَاكَ تَسْلُسُلٌ» المشار إليه هو دوام فاعلية الربِّ في الماضي، وقد سبق أن للناس في التسلسل ثلاثة أقوال:

القول الأول: جوازه في الماضي والمستقبل.

القول الثاني: امتناعه في الماضي والمستقبل.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، برقم (٥٦٤٨).

القول الثالث: امتناعه في الماضي دون المستقبل .

قَوْلُهُ: «فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَاكَ تَسْلُسُلٌ» يعني: أن دوام فاعلية الرَّبِّ عزَّ وجلَّ في المستقبل أو في الماضي تسلسل .

قَوْلُهُ: «قُلْنَا: صَدَقْتُمْ» يعني: التزمنا هذا، (وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ) يعني: صدقتم، وهذا ممكن، ما الذي يمنع منه؟!

٩٥٧- كَتَسْلُسُلِ التَّأْيِيرِ فِي مُسْتَقْبَلٍ هَلْ بَيْنَ ذَيْنِكَ قَطُّ مِنْ فُرْقَانٍ

يعني: كما أنكم تقولون: إنه يمكن التسلسل في المستقبل، وأنَّ الله لا يزالُ فعَّالًا، لأنَّ الله قال في الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧] وكذلك في النار، فأیُّ فرق بين القول بإمكان التسلسل في المستقبل وإمكانه في الماضي؟

الجواب: لا فرق، لأنَّ من المعلوم أنَّ الله هو الأوَّل الذي ليس قبله شيء، وأنه الآخر الذي ليس بعده شيء، فإذا قلنا بالتسلسل في المستقبل مع أنَّ الله هو الآخر، فلماذا لا نقول بالتسلسل في الماضي مع أنَّ الله هو الأوَّل؟! فأیُّ فرق؟!

وهذا في الحقيقة قياسٌ لا مَحِيدَ عنه، مع أنه سبق أنَّ القول بدوام فاعلية الله عزَّ وجلَّ في الماضي هو من كماله وأنه لم يزل فعَّالًا، والمحدور الذي يجبُ الحذرُ منه أن نقول بدوام عين المخلوق في الماضي، يعني مثلًا أن نقول: الخلق (الكون) لم يزل موجودًا فهذا غلط، فالكون مُحَدَّث لا شك .

إِذْنِ الْمُؤَلَّفِ - رَحِمَهُ اللهُ - أورد اعتراضًا، وأجاب عنه، فقال: كما أنَّ التسلسل ممكن في المستقبل فما الذي يمنعه في الماضي؟!

ثُمَّ قَالَ - رحمه الله -:

٩٥٨- وَاللَّهِ مَا افْتَرَقَا لِيذِي عَقْلٍ، وَلَا نَقْلٍ، وَلَا نَظْرٍ، وَلَا بُرْهَانٍ

٩٥٩- فِي سَلْبِ إِمْكَانٍ وَلَا فِي ضِدِّهِ هَذِي الْعُقُولُ، وَنَحْنُ ذُو أَدْهَانٍ

قَوْلُهُ: «سَلْبِ إِمْكَانٍ» يعني: نفي إمكان، يعني: ما افترقا في نفي الإمكان، ولا في ضده، وهو إثبات الإمكان.

وكلام المؤلف يعني أنه لا فرق بين القول بدوام فاعلية الله في الماضي ودوام فاعليته في المستقبل، فالله لم يزل ولا يزال فَعَالًا.

قَوْلُهُ: «هَذِي الْعُقُولُ وَنَحْنُ ذُو أَدْهَانٍ» يعني: هاتوا الدليل العقلي.

قَوْلُهُ: «وَنَحْنُ ذُو أَدْهَانٍ» يعني: عندنا أذهان نعرف كما تعرفون.

وهذا البحث - أعني في التسلسل - هو بحثٌ حادثٌ لم يكن معروفًا عند السلف، وإنما أحدثه أهل المنطق، وأجلبوا عليه<sup>(١)</sup> وأجنبوا<sup>(٢)</sup>، وأهل السنة لا بدّ أن يدافعوا، لا بدّ أن يخوضوا غمار الوغى، وإلّا فالسلامة - بلا شك - أسلم من هذا ونقول: إنّ الله عزّ وجلّ فعّال لما يريد في ماضي الأمر وحاضره ومستقبله، لكن إذا بُلينا بقوم يتكلّمون في هذا، فلا بدّ أن نجيب وندخل في غمار المعركة، والحقّ منصورٌ ولا بدّ، وإلّا ما فائدة أن نقول: إنّ الله لم يزل فَعَالًا في الأزل الذي لا ندري ما أوّله، وكذلك في المستقبل الذي لا ندري ما آخره؟

إِذْنُ الْبَحْثِ فِي التَّسْلُسِ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ مِنْ فَضُولِ الْعِلْمِ، وَمَا لَا دَاعِي

(١) أي: تجمعوا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: جلب.

(٢) أي: دخلوا في ريع الجنوب. انظر: لسان العرب، مادة: جنب.

له، ولكن إذا حَلَّتْ الضرورة حَلَّ المُحَرَّم، إذا اضطررنا إلى أن هؤلاء عَطَّلُوا الله عزَّ وجلَّ فيما مضى، وقالوا: إنه لم يكن قادرًا على أن يفعل شيئًا، ثُمَّ حَدَثَ له الفعل، سبحان الله ما الذي جعله ممكنًا بعد أن كان ممتنعًا؟!

٩٦٠- فَلَيَاتِ بِالْفُرْقَانِ مَنْ هُوَ فَارِقٌ      فَرَقًا يَبِينُ لِصَالِحِ الْأَذْهَانِ

اللام في قوله: «فَلَيَاتِ» هنا للأمر الذي يُقَصِّدُ به التحدي، يعني: إن كان لديك فرقٌ بين التسلسل في الماضي والتسلسل في المستقبل فائتِ به.

قَوْلُهُ: «فَرَقًا يَبِينُ لِصَالِحِ الْأَذْهَانِ» يعني: لا فرقًا دعويًا، يدَّعي الفرق فقط، لأنه -مثلاً- إذن قال: لو جاز التسلسل في الماضي لَزِمَ قَدَمُ المخلوقات، نقول أيضًا: لو جاز التسلسل في المستقبل يلزم تأخر المخلوقات حتى تكون مثل الله، فإن امتنع هذا فليمتنع هذا، وإن جاز هذا فليجز هذا.

٩٦١- وَكَذَلِكَ سَوَّى الْجَهْمُ بَيْنَهُمَا كَذَا أَلْ      عَلَّافٌ فِي الْإِنْكَارِ وَالْبُطْلَانِ

الجهم بن صفوان وكذلك العَلَّاف وأظنه من المعتزلة، سَوَّى بينهما، أي: بين الماضي والمستقبل، فقالوا: لا فرقٌ بينهما، إن أمكن التسلسل في الماضي لم يمتنع في المستقبل، وإن أمكن في المستقبل لم يمتنع في الماضي.

لكنهما مَنَعَا من التسلسل في الماضي والمستقبل، ويقولان بأنَّ الله تعالى لم يكن فَعَالًا في الماضي ولا يكون فَعَالًا في المستقبل، وقالوا بفناء الجنة وفناء النار، وعدم كل شيء إِلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ فقالوا بمنع التسلسل في الماضي ومنعه في المستقبل، فقوله مطرَّد، لأنها لم يُفَرِّقَا بينهما، لكن المشكلة فيمن فَرَّقَ.

٩٦٢- وَلَا أَجَلَ ذَا حَكْمًا بِحُكْمٍ بَاطِلٍ قَطْعًا عَلَى الْجَنَّاتِ وَالنَّيْرَانِ

٩٦٣- فَالْجَهَنَّمُ أَفْنَى الذَّاتِ وَالْعَلَّافُ لِدُ حَرَكَاتِ أَفْنَى قَالَهُ الشُّورَانِ

جعلها نُورَيْنِ، لأنها حكما بحكم باطل على الجنات والنيران، فحكما بأنَّ الجنةَ تَفْنَى، والنارَ تَفْنَى، طردًا للقاعدة، وهي امتناع التسلسل في المستقبل كما يمتنع في الماضي.

لكن الجهم أفنى الذات، والعلَّافُ أفنى الحركات، والفرق أنَّ الجهم يقول: هذا العالمُ بجنته وناره، وإنسه وجنَّه، وملائكته، وكلُّ شيءٍ سيفنى، ولا يبقى إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وأما العَلَّافُ فقال: لا، ما يفنى، بل تَفْنَى الحركات فقط، وأمَّا الذوات فتبقى حتى إنه قال: إِنَّ الرجلَ إذا كان في الجنة، وقد أخذ شيئاً ليأكله فَقَدَّرَ اللهُ الفناءَ فنيت حركاته، وبقي هذا الشيء بيده بين مكانه وبين فمه، هكذا إلى أبد الأبدين، وأنه لو كان على أهله في الجنة وَقَدَّرَ اللهُ الفناءَ فَنِي، وبقي على أهله أبد الأبدين، كأنهما حَجْرَانِ لاصقان.

وهذا غير معقول، فهذا الكلام يضحك منه السفهاء فضلًا عن العلماء، فأين عقول هؤلاء الرجال!؟

ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللهُ فَكَلَّا هَادِيَ لَهُ وَيَذُرَّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

٩٦٤- وَأَبُو عَلِيٍّ<sup>(١)</sup> وَابْنُهُ وَالْأَشْعَرِيُّ<sup>(٢)</sup> ي<sup>(٣)</sup> وَبَعْدَهُ ابْنُ الطَّيِّبِ<sup>(٢)</sup> الرَّبَّانِي

قَوْلُهُ: «أَبُو عَلِيٍّ» هُوَ الْجُبَّائِي، مَعْتَزَلِي.

قَوْلُهُ: «وَابْنُهُ» هُوَ: أَبُو هَاشِمٍ مَعْتَزَلِيٌّ أَيْضًا.

قَوْلُهُ: «وَالْأَشْعَرِيُّ» هُوَ أَبُو الْحَسَنِ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، هُوَ لِأَنَّ الثَّلَاثَةَ وَبَعْدَهُمْ (ابْنُ الطَّيِّبِ) وَهُوَ الْبَاقِلَانِي.

٩٦٥- وَجَمِيعُ أَرْبَابِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ أَلْ - مَذْمُومٌ عِنْدَ أُمَّةِ الْإِيمَانِ

٩٦٦- فَرَّقُوا وَقَالُوا: ذَاكَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ - حَقٌّ وَفِي أَرْزَلٍ بِإِلَاحِمْكَانِ

٩٦٧- قَالُوا لِأَجْلِ تَنَاقُضِ الْأَزْيِيِّ وَأَلْ - إِحْدَاثِ: مَا هَذَا يَجْتَمِعَانِ

٩٦٨- لَكِنْ دَوَامُ الْفِعْلِ فِي مُسْتَقْبَلٍ - مَا فِيهِ مَحْذُورٌ مِنَ النُّكْرَانِ

هُوَ لِأَنَّ فَرَّقُوا، فَكُلُّ أُمَّةِ الْكَلَامِ فَرَّقُوا بَيْنَ التَّسْلُسِ فِي الْمَاضِي وَالتَّسْلُسِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَقَالُوا: التَّسْلُسُ فِي الْمَاضِي مَمْنُوعٌ، لِمَاذَا؟ قَالُوا: لِأَنَّنا لَوْ قَلْنَا بِالتَّسْلُسِ لِامْتِنَاعِ الْحُدُوثِ، فَلَا يَجْتَمِعُ الْقَوْلُ بِالتَّسْلُسِ وَالْقَوْلُ بِالْحُدُوثِ.

(١) أَبُو عَلِيٍّ: هُوَ الْجُبَّائِي: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ مِنْ أُمَّةِ الْمَعْتَزَلَةِ، وَرَأْسُ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ فِي عَصْرِهِ، نَسَبَتْهُ إِلَى جَبِيٍّ مِنْ قَرْيَةِ الْبَصْرَةِ، وَوُلِدَ سَنَةَ (٢٣٥هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ (٣٠٣هـ) فِي جَبِيٍّ. [الشارح].

(٢) الْأَشْعَرِيُّ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَبُو الْحَسَنِ، مِنْ نَسْلِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، كَانَ مِنْ أُمَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُجْتَهِدِينَ، أَسَّسَ مَذْهَبَ الْأَشَاعِرَةِ، وَوُلِدَ سَنَةَ (٢٦٠هـ) فِي الْبَصْرَةِ، وَتَلَقَّى مَذْهَبَ الْمَعْتَزَلَةِ، وَتَقَدَّمَ فِيهِمْ، ثُمَّ رَجَعَ وَجَاهَرَ بِخِلَافِهِمْ، وَالتَّزَمَ مَذْهَبَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَتَوَفَّى بِبَغْدَادِ سَنَةَ (٣٢٤هـ). [الشارح].

(٣) ابْنُ الطَّيِّبِ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِي، مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ الرَّئِيسَةُ فِي مَذْهَبِ الْأَشَاعِرَةِ، وَوُلِدَ فِي الْبَصْرَةِ سَنَةَ (٣٣٨هـ)، وَتَوَفَّى فِي بَغْدَادِ سَنَةَ (٤٠٣هـ). [الشارح].

قَوْلُهُ: «قالوا: لأَجْلِ تَنَاقُضِ الْأَزْيِيِّ وَالْإِحْدَاثِ» كيف نقول: إنه أزيُّ ونقول: إنه مُحَدَّثٌ؟! لأنَّ الْأَزْيِيَّ لا يمكن أن يكون مُحَدَّثًا، فلذلك يمتنع التسلسل في الماضي، أما التسلسل في المستقبل فلا بأس، لأنَّ التسلسل في المستقبل يمنع الحدوث، ولكن سَيَرُدُّ عليهم ابن القيم.

إِذَنْ فالأقوال ثلاثة:

القول الأول: إمكان التسلسل في الماضي والمستقبل، أي: إمكانه أزلًا وأبدًا، وهذا قول أهل الحق.

القول الثاني: امتناع التسلسل فيهما، أي: امتناع التسلسل أزلًا وأبدًا.

القول الثالث: التفصيل، وهو مذهب الأشاعرة وجميع أهل الكلام، وهو أنه يمكن في المستقبل، ولا يمكن في الماضي، يعني: إمكانه أبدًا لا أزلًا.

ولكن - الحمد لله - الحق واضح بأن الله عز وجل لم يزل ولا يزال فعلاً، لكن من متى؟

الجواب: لا نهاية، لكن نعلم أنه لم يزل ولا يزال فعلاً، كذلك أيضًا لا يزال فعلاً، لأنَّ أهل الجنة خالدون فيها أبدًا، وكذلك أهل النار.

٩٦٩- فَاَنْظُرْ إِلَى التَّلْبِيسِ فِي ذَا الْفَرْقِ تَرُ وَيَجَا عَلَى الْعُورَانِ وَالْعُمَيَّانِ

قَوْلُهُ: «فَاَنْظُرْ إِلَى التَّلْبِيسِ» أي: انظر أيها المخاطب إلى التلبيس، والتلبيس معناه: التخليط وعدم التبيين.

قَوْلُهُ: «فِي ذَا الْفَرْقِ» الفرق يعني: بين التسلسل في الماضي والمستقبل.

قَوْلُهُ: «تَرْوِجًا عَلَى الْعُورَانِ وَالْعُمَيَّانِ» مَنْ له عينان فإنه لا يُرَوِّج عليه

هذا، إنما يُرَوِّج هذا على رجلٍ أعور لا ينظر إلا بعينٍ واحدة، أو رجلٍ أعمى لا ينظر أبداً.

وأهل الكلام في الحقيقة من باب العُورَان، لأنهم نظروا بعينٍ واحدة، وهي التسلسل في المستقبل، وعمُّوا عن التسلسل في الماضي.

٩٧٠- مَا قَالَ ذُو عَقْلٍ بِأَنَّ الْفَرْدَ ذُو أَرْزَلٍ لِيَذِي ذِهْنٍ وَلَا أَعْيَانَ

يقول ابن القيم في الجواب عن كلامهم: نحن لا نقول بِقَدَمِ الشَّيْءِ الْمَعْيَنِ (مَا قَالَ ذُو عَقْلٍ بِأَنَّ الْفَرْدَ) يعني: الشَّيْءِ الْمَعْيَنِ.

قَوْلُهُ: «ذُو أَرْزَلٍ لِيَذِي ذِهْنٍ وَلَا أَعْيَانَ» يعني: ما أحد قال لا في ذهنه ولا في عين الشيء لا تصوُّراً ولا تحقيقاً: إنه أرزليٌّ، فلم يدع أحدٌ بأنَّ الأعيان أزليَّةٌ أبديةٌ، فهذا لا يمكن، فنحن إذا قلنا بالتسلسل فليس معنى ذلك أنَّ الأفراد أعيان متسلسلة، لأنَّ هذا يكذبه الواقع، فابن عشرين سنة قبل عشرين سنة لم يكن شيئاً، وإذا مات لم يكن شيئاً إلا خبراً من الأخبار.

٩٧١- بَلْ كُلُّ فَرْدٍ فَهَوَ مَسْبُوقٌ بِفَرٍّ دِقْبَلَهُ أَبَدًا بِلا حُسْبَانٍ

فخلق السموات مسبوق بخلقٍ آخر ما نعلمه، والخلق الآخر مسبوق بخلقٍ آخر إلى ما لا نهاية له، وكان عرش الله على الماء، فكانت أرض، ثمَّ السموات.

فنحن لا نقول: إنَّ الشَّيْءَ الْمَعْيَنَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ أَرْزَلِيٌّ، بل نقول: إنَّ فعل الله الذي هو وَصْفُهُ أَرْزَلِيٌّ كذاتِ الله وحياة الله، أما المخلوقات فإنها حادثة، لكنَّ كُلَّ مخلوق فهو مسبوق، مسبوق بمخلوقٍ قبله إلى ما لا نهاية له، ولا نَعْرِفُ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

كما أننا نقول:

٩٧٢- وَنَظِيرُ هَذَا كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَلْمُوسٌ حُقُوقٌ بِفَرْدٍ بَعْدَهُ حُكْمَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَظِيرُ هَذَا كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَلْحُوقٌ بِفَرْدٍ» هذا التسلسل في المستقبل، كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَلْحُوقٌ بِفَرْدٍ، يعني: يلحقه فردٌ، ويلحقه فرد، ويلحقه فرد، ويلحقه فرد، إلى ما لا نهاية له، بلا حسابان.

فإذا كنتم تُقَرُّونَ بِأَنَّ كُلَّ فَرْدٍ يَلْحَقُهُ فَرْدٌ آخَرَ، فَلِمَ إِذَا لَا تُقَرُّونَ بِأَنَّ كُلَّ فَرْدٍ يَسْبِقُهُ فَرْدٌ آخَرَ، وَهَلِ الْبَابَانِ إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ؟!

٩٧٣- النَّوْعُ وَالْأَحَادُ مَسْبُوقٌ وَمَلْمُوسٌ حُقُوقٌ وَكُلٌّ فَهُوَ مِنْهَا فَانٍ

قَوْلُهُ: «النَّوْعُ» يعني: نوع المخلوقات، مثلاً: الآدمي نوع باعتبار بقية الحيوان، والحيوان جنس، والآدمي نوعٌ منه، أنا، وأنت، وزيد، وعمرو، هذا فرد.

قَوْلُهُ: «النَّوْعُ وَالْأَحَادُ مَسْبُوقٌ وَمَلْحُوقٌ» وهذا صحيح، فنحن قبلنا ناس، وبعدها ناس (وَكُلٌّ فَهُوَ مِنْهَا فَانٍ).

٩٧٤- وَالنَّوْعُ لَا يَفْنَى أَحْيَرًا فَهُوَ لَا يَفْنَى كَذَلِكَ أَوَّلًا، فَهِيَ كَذَلِكَ أَوَّلًا بِيَّانٍ

النوع لا يفنى أخيراً، كذلك لا يفنى أولاً، فما هو النوع؟ يعني نوع الفعل فعل الله عز وجل لا نهاية له لا أولاً، ولا آخرًا، أما النوع من الأحاد فلا شك أن له أولاً بمعنى أنه مسبوق بعدم.

فنحن -بني آدم- قد سبقنا بعدم وسنفسى، والخور والولدان في الجنة مسبوقه بعدم لكنها ستبقى، والأرواح مسبوقه بعدم لكنها ستبقى.

٩٧٥- وَتَعَاقَبُ الْآنَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ فِي الذَّهْنِ وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَعْيَانِ

هذا -أيضا- دليل لا محيص عنه، فالآنات -أي: الأوقات- هل هي متعاقبة

أو غير متعاقبة؟

الجواب: متعاقبة، حتى لو فرضنا أنه لا شمس ولا قمر فهي متعاقبة، وهل

لها بداية؟

الجواب: لم يزل الله عزَّ وجلَّ قد خلقها من الأزل، وهل تنتهي أو لا؟

الجواب: الأوقات لا تنتهي حتى إلى أبد الأبدين، لكن تتغير الأحوال

بلا شك من دنيا، إلى برزخ، إلى آخرة، إلى جنة أو نار.

قَوْلُهُ: «أَمْرٌ ثَابِتٌ فِي الذَّهْنِ وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَعْيَانِ»، يعني: يَتَصَوَّرُ الْإِنْسَانُ

ذهنًا ويراه عينًا أَنَّ الْأَوْقَاتِ تَتَعَاقَبُ، وهل هي مخلوقة أو غير مخلوقة؟

الجواب: مخلوقة، وهل لها أوَّل؟

الجواب: أبدًا، لم تزل الأوقات موجودة، ولا تزال كذلك، والذي خلق

الوقت هو الله عزَّ وجلَّ.

٩٧٦- فَإِذَا أَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ: أَوَّلُ الْآنَاتِ مُفْتَتِحٌ بِلَا نَكْرَانَ

يقول: إن أيتهم وقلتم: أوَّلُ الْآنَاتِ مُفْتَتِحٌ بِلَا نَكْرَانَ، يعني: أوَّلُ الْأَوْقَاتِ إِنْ

كَانَ شَيْئًا لَا نَتَصَوَّرُهُ قَبْلَ أَنْ تَوْجِدَ الْأَوْقَاتِ، كَانَتِ الْأَوْقَاتُ مَعْدُومَةً، ثُمَّ افْتُسِحَتْ،

وهذا نتصوره ذهنًا في الواقع، وإلا لا بدَّ من وقت، لكن اسمع الجواب:

٩٧٧- مَا كَانَ ذَلِكَ الْآنَ مَسْبُوقًا يُرَى إِلَّا بِسَلْبِ وُجُودِهِ الْحَقَّانِي

٩٧٨- فَيُقَالُ: مَا تَعْنُونَ بِالْآنَاتِ؟ هَلْ تَعْنُونَ مُدَّةَ هَذِهِ الْأَزْمَانِ

٩٧٩- مِنْ حِينَ إِحْدَاثِ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالْأَفْلَاكِ وَالْقَمَرَانِ  
 ٩٨٠- وَنَظْنُكُمْ تَعْنُونَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا شَيْءٌ مِنْ الْأَكْوَانِ  
 إذا قالوا: الآتاتُ مُحَدَّثَةٌ فهي غير متسلسلة.

يقول: ما تعنون بالآتات؟ هل تعنون بالآتات الأوقات منذ خلقت السموات والأرض والشمس والقمر، أو تعنون الأوقات من قبل؟ لكن ابن القيم يقول: (وَنَظْنُكُمْ تَعْنُونَ ذَلِكَ) يعني: ما كان بعد خلق السماوات والأرض ولكن، (وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا شَيْءٌ مِنْ الْأَكْوَانِ) فتنفون أن يكون شيءٌ من الأكوان موجوداً قبل خلق السموات والأرض.

فهو يقول: وأظنكم تعنون هذا، فليس الكلام في ذلك، الكلام في الآتات السابقة على خلق السموات والأرض لسنا نبلغ أولها، وهذا واضح.

أما الآتات التي وُجِدَت بعد الشمس والقمر والسموات والأرض هذه نحن معكم أنها ليست قديمة، فالليل والنهار بتعاقب الشمس على الأرض وهي حادثة لا شك، لكن هناك أشياء أخرى مخلوقة من قبل.

٩٨١- هَلْ جَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ نَصٍّ وَمِنْ نَظَرٍ وَمِنْ بُرْهَانٍ؟  
 ٩٨٢- هَذَا الْكِتَابُ وَهَذِهِ الْآثَارُ وَالْمَعْقُولُ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ  
 ٩٨٣- إِنَّا نَحَاكِمُكُمْ إِلَى مَا شِئْتُمْ مِنْهَا فَحُكْمُ الْحَقِّ فِي تَبْيَانِ

يقول: هل عندكم دليل على امتناع شيء قبل خلق السموات والأرض؟

الجواب: ليس عندهم دليل، وهذا هو الذي نريده.

٩٨٤- أَوْلَيْسَ خَلْقُ الْكُونِ فِي الْآيَامِ كَمَا نَ، وَذَلِكَ مَا أَخُوذُ مِنَ الْقُرْآنِ

هل خلق الكون في الأيام مأخوذ من القرآن؟

الجواب: نعم، موجود في القرآن، قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي

سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قبل أن توجد الأيام المقدره بالشمس يعني: قبل أن يوجد أحد واثنين وثلاثاء وأربعاء وخميس وجمعة، ومع ذلك قدّر الله خلقها في ستة أيام.

٩٨٥- أَوْلَيْسَ ذَلِكَمُ الزَّمَانُ بِمُدَّةٍ لِحُدُوثِ شَيْءٍ وَهُوَ عَيْنُ زَمَانٍ؟

الجواب: بلى، فالزمان الذي خُلِقَتْ فيه السموات والأرض قبل أن توجد

السموات والأرض، وقبل أن توجد الشمس كان موجودًا زمانًا ومُدَّةً، ولا شك في هذا، إذن ما المانع؟!

٩٨٦- فَحَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ نِسْبَةُ حَادِثٍ لِسِوَاهُ تِلْكَ حَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ

نعم، حقيقة الأزمان نسبة حدثٍ لسواه، أي: لغيره، لأنَّ كُلَّ لحظة تأتي من

الزمن فهي خَلْفٌ عن لحظة سابقة إلى ما لا نهاية، ولهذا لا تجدك تتصور أن للزمن نهاية أبدًا مع أن الزمن مخلوق من مخلوقات الله عزَّ وجلَّ ومع ذلك لا تتصوّر له نهاية، حتى قبل خلق السموات والأرض يوجد زمن ومُدَّةً، ثُمَّ خُلِقَتْ السمواتُ والأرضُ في ستة أيام كما قال عزَّ وجلَّ.

٩٨٧- وَادْكُرْ حَدِيثَ السَّبْقِ لِلتَّقْلِيلِ وَالتَّ

٩٨٨- خَمْسِينَ أَلْفًا مِنْ سِنِينَ عَدَّهَا الـ

قَوْلُهُ: «حَدِيثَ السَّبْقِ» هو قول النبي ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ

أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ<sup>(١)</sup>. إذن توجد مُدَّةٌ قبل خلق السموات والأرض، والمدة مخلوقة، والقلم أيضًا مخلوق، واللوح المكتوب فيه مخلوق.

٩٨٩- هَذَا وَعَرْشُ الرَّبِّ فَوْقَ الْمَاءِ مِنْ قَبْلِ السِّنِينَ بِمُدَّةٍ وَرَمَانَ

عرش الله عزَّ وجلَّ قبل الكتابة فوق الماء من قبل السنين التي هي خمسون ألفَ سنةٍ، فالأزمان لا تنتهى في الماضي، لكن إذا عنيتم بالأزمان التي تقدَّرت بخلق السموات والأرض فنحن معكم أنها ليست أزليَّة.

٩٩٠- وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ

٩٩١- هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيِّ<sup>(٢)</sup>

يعني: أنَّ أهل العلم اختلفوا: هل العرش سابقٌ على خلق القلم أو القلم سابقٌ على خلق العرش؟ قولان لأهل السنة:

القول الأول: أنَّ الله تعالى كتب المقادير قبل العرش.

القول الثاني: أنَّ الله كتب المقادير بعد العرش.

لكن ابن القيم يقول:

٩٩٢- وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لِأَنَّهُ قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانٍ

قَوْلُهُ: «وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ» أي: قبل القلم، لأنه قبل الكتابة كان ذا

أركان، وإذا كان ذا أركان فهو سابق بلا شك.

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم (٢٦٥٣).

(٢) لعله الحسن بن أحمد، المولود سنة (٤٨٨هـ)، المتوفى سنة (٥٦٩هـ). [الشارح].

فهذا هو القول الحقُّ لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧]، ثُمَّ خَلَقَ الْقَلَمَ، وأمره أن يكتب في تلك الساعة عند خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب.

وسبحان الله العظيم! أمر الله هذا الجهاد أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة بأمر الله عزَّ وجلَّ، مع أنَّ القلم لا يعلم ولا يفهم إلا ما أمره الله به، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وذكر -رحمه الله- أنَّ هذا هو الحقُّ.

أما حديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ»<sup>(١)</sup> فنوجهه على أنَّ المعنى: أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فتكون الأولوية بالنسبة لقول الله له، يعني: من حين خلقه قال: اكتب، وهذا ظاهر كلام ابن القيم هنا.

المعنى الثاني: (أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ) أي: بالنسبة للمشاهدات التي نشاهدها نحن.

فإن قيل على هذا القول: إنَّ القلمَ غيرُ مشاهد؟ فنقول: هذا من جنس الاستثناء المنقطع، وقد مثَّلَ النُّحَاةُ له بقولهم: (جَاءَ الْقَوْمُ إِلَّا حَمَارًا) فالحمار ليس من جنس القوم، فليس منهم، فالاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، فقوله: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ» أي: من هذه الموجودات مثل الاستثناء المنقطع، وإن كان القلم لا نشاهده في الواقع.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، برقم (٤٧٠٠)، وأخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، سورة ن، برقم (٣٣١٩).

فإن قال قائل: في حديث النبي ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ» بالإفراد، وفي حديث النبي ﷺ في الإسراء قال: «عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ»<sup>(١)</sup>. بالجمع، فما الجواب؟

الجواب: أن هذه هي الأقلام اليومية، يعني: أن اللوح المحفوظ مرجع تُكْتَبُ منه الصحائف اليومية.

٩٩٣- وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ إِجْيَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ زَمَانٍ

يعني: أن الله - سبحانه وتعالى - لما خلق القلم قال له: اكتب، فبمجرد ما خلقه الله أمره أن يكتب فكتب، وفي حديث عمران بن الحصين: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>(٢)</sup>. فالكتابة أعقت خلق القلم، وكان عرش الله على الماء، إذن فالعرش هو السابق.

٩٩٤- لَمَّا بَرَاهُ اللَّهُ قَالَ: اكْتُبْ كَذَا فَغَدًا بِأَمْرِ اللَّهِ ذَا جَرِيَانٍ

٩٩٥- فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ بِقُدْرَةِ الرَّحْمَنِ

الله أكبر، لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فِي نَفْسِ السَّاعَةِ «قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقْوَمَ السَّاعَةُ»<sup>(٣)</sup>، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة، برقم (٣٤٢)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، برقم (١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، برقم (٣٠١٩).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، برقم (٤٧٠٠)، وأخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، سورة ن، برقم (٣٣١٩).

٩٩٦- أَفَكَانَ رَبُّ الْعَرْشِ جَلًّا جَلَالُهُ مِنْ قَبْلُ ذَا عَجْزٍ وَذَا نُقْصَانٍ؟!

وهذا السؤال سؤال تقرير، يسأل: هل كان الله قبل ذلك عاجزاً؟ لأننا إذا قلنا: يستحيل التسلسل في الماضي لزم أن تكون هذه الاستحالة من صفات الله، ويكون الله عاجزاً عن أن يخلق، ثم صار يخلق، وهذا شيء مستحيل ونقص لله.

٩٩٧- أَمْ لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ وَالْفِعْلُ مَقْفُورٌ لَهُ أَبَدًا وَذُو إِمْكَانٍ؟

ماذا نقول؟ هل نقول: (بلى) أو نقول: نعم؟

الجواب: نقول: (بلى) لم يزل ذا قدرة، والفعل مقدور له أبداً وذو إمكان.

٩٩٨- فَلَيْتُنَّ سَأَلْتُ وَقُلْتُ: مَا هَذَا الَّذِي أَذَاهُمْ لِخِلَافِ ذَا التَّبْيَانِ؟

قوله: «فَلَيْتُنَّ سَأَلْتُ» يعني: أيها المخاطب: وقلت ما هذا الذي أذاهم

خلاف ذا التبيان؟ الضمير في (أذاهم) يعود على أهل الكلام، ومنهم الأشاعرة.

٩٩٩- وَلَايِي شَيْءٌ لَمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ -سبحانه- هُوَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ

١٠٠٠- فَاعْلَمَ بِأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أَسَّسُوا أَصَلَ الْكَلَامِ عَمُوا عَنِ الْقُرْآنِ

١٠٠١- وَعَنِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْمَعْقُولِ بَلْ عَنِ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ

قوله: «فَاعْلَمَ بِأَنَّ الْقَوْمَ» هذا الجواب لما أسسوا أصل الكلام عموا عن

القرآن، فهؤلاء لما صاروا يرجعون في عقائدهم إلى علم الكلام ويحكمون

العقول التي ليست بعقول في الحقيقة، ولكنها تعقل الإنسان عن الوصول إلى

الحقيقة، عموا عن القرآن وعن الحديث ومقتضى المعقول بل عن فطرة الرحمن

والبرهان.

١٠٠٢- وَبَنَوْا قَوَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَادَهُمْ قَسْرًا إِلَى التَّعْطِيلِ وَالبُطْلَانِ

هذا هو البلاء أنهم أسسوا عقائدهم على الكلام، فأسسوا علم الكلام، وجعلوه هو الأصل الذي عليه المدار.

فهم حكّموا العقول، وأعرضوا عن الكتاب والسنة، فضلوا -والعياذ بالله- قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا يَا نِينَكَكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] اللهم اجعلنا منهم يارب.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، قوله: ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ أي: لا يضل علماً، ولا يشقى عملاً، وقيل: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، والمعنيان صحيحان. هؤلاء لَمَّا أَعْرَضُوا عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ ضَلُّوا وَشَقُّوا -والعياذ بالله- ضَلُّوا عِلْمًا، وَشَقُّوا عَمَلًا، فَمَا اهْتَدَوْا لَا فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا فِي قَدَرِ اللَّهِ -سبحانه وتعالى-، هذا هو السبب.

فالسبب إعراضهم عن الكتاب والسنة، واشتغالهم بعلم الكلام، فجدير بهم أن يُفَعَلَ بهم ما قاله الشافعي -رحمه الله- أن يُطَافَ بهم في العشائر، ويضربوا بالجريد والنعال، ولو كانوا كبار العمائم وطوال الأردان، ويُقال: (هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على علم الكلام).

١٠٠٣- نَفْيُ الْقِيَامِ لِكُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ بِالرَّبِّ خَوْفَ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ

يقول: كُلُّ أَمْرٍ حَادِثٍ فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ بِالرَّبِّ، مِثْلَ الْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَالْمَجِيءِ إِلَى الْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَالْفَرَحِ بِتُوبَةِ الْعَبْدِ إِذَا تَابَ، وَالضَّحْكَ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَهَكَذَا كُلُّ شَيْءٍ

حادث فهو ممنوع أن يقوم بالربِّ، قالوا: لأننا لو قلنا بقيامه بالربِّ، للزم قدم الحوادث أو حدوث الواجب بالقدم.

فهم يقولون: لو قلنا بأن الحوادث تقوم به لزم أحد أمرين: إمَّا أن تكون هذه الحوادث لا أوَّل لها، وإمَّا أن يكون الله محلاً للحوادث، وكُلُّ هذا -عندهم- ممتنع.

١٠٠٤- فَيَسُدُّ ذَاكَ عَلَيْهِمْ فِي زَعْمِهِمْ      إِثْبَاتَ صَانِعِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

١٠٠٥- إِذْ أَثْبَتُوهُ بِكَوْنِ ذِي الْأَجْسَادِ حَا      دِثَّةً فَلَا تَنْفَكُ عَنْ حَدَثَانِ

١٠٠٦- فَإِذَا تَسَلَّسَلَتِ الْحَوَادِثُ لَمْ يَكُنْ      لِحُدُوثِهَا إِذْ ذَاكَ مِنْ بُرْهَانِ

يقولون: إننا لا نثبت قدم الربِّ إلَّا إذا أثبتنا حدوث الحوادث، وإلَّا فإننا لا نستطيع أن نثبت قدم الربِّ.

فيقال: إنَّ قدم الربِّ لا شك ثابت، فالله تعالى ليس قبله شيء، فهو لم يلد ولم يولد، والحوادث كلها كائنة بعد أن لم تكن وإن تسلسلت في الأزل فإنها حادثة ولا بد.

١٠٠٧- فَلَأَجَلِ ذَا قَالُوا: التَّسَلُّسُلُ بَاطِلٌ      وَالْجِسْمُ لَا يَخْلُو عَنْ الْحَدَثَانِ

١٠٠٨- فَيَصِحُّ حِينَئِذٍ حَدُوثُ الْجِسْمِ مِنْ      هَذَا الدَّلِيلِ بَوَاضِحِ البُرْهَانِ

هذا الجسم لا يخلو عن الحدثنان، وهذا صحيح، لكن بالنسبة للربِّ العظيم لا يمكن أن نقول هذا، لأنَّ الكلام على الجسم نفيًا أو إثباتًا بالنسبة لله ممنوع، فلا نقول: إنَّ الله جسم، ولا نقول: إنه ليس بجسم، لكن نقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ ذاتٌ عَلِيَّةٌ مَلِكٌ، قُدُّوسٌ، سَلامٌ، عَزِيزٌ، حَكِيمٌ إلى آخر ما وصف الله به نفسه.

١٠٠٩- هَذِي نَهَايَاتٌ لِإِفْدَامِ الْوَرَى      فِي ذَا الْمَقَامِ الضَّيِّقِ الْأَعْطَانِ

- ١٠١٠- فَمَنِ الَّذِي يَأْتِي بِفَتْحِ بَيْنٍ يُنْجِي الْوَرَى مِنْ غَمْرَةِ الْحَيْرَانِ  
 ١٠١١- فَاللَّهُ يُجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ

انظر إلى وصف ابن القيم - رحمه الله - لهذا البحث بأنه مقامٌ ضيقُ الأعطان، والأعطان جمع عَطَنٌ<sup>(١)</sup>، فإذا كان العَطَنُ ضيقًا لَزِمَ من ذلك الضيق، والانهيار والتعب.

وهذه الآيات الثلاثة تحمل أن ابن القيم - رحمه الله - بعد أن رجَّح ما رجَّح من تسلسل الحوادث في الماضي كأنه لم يطمئن إليها تلك الطمأنينة، فلماذا قال: (فَمَنِ الَّذِي يَأْتِي بِفَتْحِ بَيْنٍ يُنْجِي الْوَرَى مِنْ غَمْرَةِ الْحَيْرَانِ)، ويحتمل أنه يريد بذلك أن ما أتى به فهو صريحٌ بَيِّنٌ يُنْجِي الْوَرَى من غمرة الحيران.

فكلامه - رحمه الله - محتمل أن يكون بعد هذا البحث والمناقشة الطويلة صار عنده شيءٌ من التردد كما يوجد الآن تردد في هذه المسألة من بعض طلبة العلم، سواء من طلبة العلم الصغار أم من طلبة العلم الكبار.

ويحتمل أنه يريد أنه أتى - رحمه الله - بفتحِ بَيْنٍ في هذه المسألة واضح كما يدلُّ على ذلك تأييده للقول بجواز أو بإمكان التسلسل للحوادث في الماضي.

قوله: « فَمَنِ الَّذِي يَأْتِي بِفَتْحِ بَيْنٍ... فَاللَّهُ يُجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ ». هذا من إخلاص ابن القيم - رحمه الله - ونصحه أنه دعا لمن أتى للمسلمين بالفتح البين والدليل الواضح، لأنَّ كُلَّ ناصحٍ لله ولكتابه ولرسوله يجب أن يُبَيِّنَ للخلق ما جاء به النبي ﷺ من الهدى ودين الحق.

\*\*\*

(١) هو مبرك الإبل حول الماء، النهاية عطن.

## فصل

وَمُشَبَّهٌ وَهَذَا ذُو الْعُقْرَانِ  
 بَلْ هَدَّ كُلَّ قَوَاعِدِ الْقُرْآنِ  
 سِدَّ أَيْمَةَ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ  
 أَنْ دَارَ فِي الْأُورَاقِ وَالْأَذْهَانِ  
 فَأَتَتْ لَوَازِمُهُ إِلَى الْإِيمَانِ  
 فَهَوَى الْبِنَاءَ وَخَرَّ لِلْأَرْكَانِ  
 إِذْ سَلَطُوا الْأَعْدَاءَ بِالْعُدْوَانِ  
 ذَاكَ السَّلَاحُ فَمَا اشْتَفَوْا بِطِعَانِ  
 تَلَّهُمْ بِهِ فِي غَيْبَةِ الْفُرْسَانِ  
 جَهْلِ الصَّدِيقِ وَبَغْيِ ذِي طُغْيَانِ  
 وَكِتَابِهِ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ  
 وَلَقُطِّعَتْ مَنَا عَرَى الْإِيمَانِ  
 خَيْرُ الْقُرُونِ لَهُ!؟ مُحَالٌ ذَانِ!

١٠١٢- فَاسْمَعْ إِذَنْ وَافْهَمْ فَذَاكَ مُعْطَلٌ  
 ١٠١٣- هَذَا الدَّلِيلُ هُوَ الَّذِي أَرَدَاهُمْ  
 ١٠١٤- وَهُوَ الدَّلِيلُ الْبَاطِلُ الْمَرْدُودُ عِنْدَ  
 ١٠١٥- مَا زَالَ أَمْرُ النَّاسِ مُعْتَدِلًا إِلَى  
 ١٠١٦- وَتَمَكَّنْتَ أَجْزَاؤُهُ بِقُلُوبِهِمْ  
 ١٠١٧- رَفَعْتَ قَوَاعِدَهُ وَنَحَّتْ أَسَّهُ  
 ١٠١٨- وَجَنَوْا عَلَى الْإِسْلَامِ كُلَّ جِنَايَةٍ  
 ١٠١٩- حَمَلُوا بِأَسْلِحَةِ الْمُحَالِ فَخَانَهُمْ  
 ١٠٢٠- وَأَتَى الْعُدُوُّ إِلَى سِلَاحِهِمْ فَقَا  
 ١٠٢١- يَا مِحْنَةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ  
 ١٠٢٢- وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ  
 ١٠٢٣- لَتَحَطَّفَتْ أَعْدَاؤُهُ أَرْوَاحَنَا  
 ١٠٢٤- أَيَكُونُ حَقًّا ذَا الدَّلِيلُ وَمَا اهْتَدَى

- ١٠٢٥- وَفَقِّتُمْ لِلْحَقِّ إِذْ حُرِّمُوهُ فِي  
أَصْلِ الْيَقِينِ وَمَقْعَدِ الْعِرْفَانِ؟!  
١٠٢٦- وَهَدَيْتُمُونَا لِلَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا  
أَبْدًا بِهِ؟! وَاشِدَّةَ الْحِرْمَانِ!  
١٠٢٧- وَدَخَلْتُمُوا لِلْحَقِّ مِنْ بَابٍ وَمَا  
دَخَلُوهُ؟! وَاعْجَبًا لَذَا الْخِذْلَانِ!  
١٠٢٨- وَسَلَكْتُمْ طُرُقَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ دُو  
نَ الْقَوْمِ؟! وَاعْجَبًا لَذَا الْبُهْتَانِ!  
١٠٢٩- وَعَرَفْتُمْ الرَّحْمَنَ بِالْأَجْسَامِ وَالْأ  
عْرَاضِ وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَلْوَانِ  
١٠٣٠- وَهُمْ فَمَا عَرَفُوهُ مِنْهَا بَلْ مِنْ أَل  
آيَاتٍ وَهِيَ غَيْرُ ذِي بُرْهَانِ  
١٠٣١- اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْتُمْ أَوْ هُمْ عَلَى  
حَقٍّ وَفِي غَيِّ وَفِي خُسْرَانِ

## الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله - في هذه المقطوعة أن هذا الدليل الذي استدلوا به على نفي قيام الأفعال بالله عز وجل وهو أن الأفعال حادثة، والحادث لا يقوم إلا بحادث، إذن فلا تقوم الأفعال به، ذكر أن هذا دليل باطل.

قال - رحمه الله -:

- ١٠١٢- فَاسْمَعِ إِذْنَ وَافْهَمِ فَذَاكَ مُعْطَلٌ  
وَمُشَبَّهٌ وَهَذَاكَ ذُو الْعُفْرَانِ  
١٠١٣- هَذَا الدَّلِيلُ هُوَ الَّذِي أَرَادَهُمْ  
بَلْ هَدَّ كُلَّ قَوَاعِدِ الْقُرْآنِ  
١٠١٤- وَهُوَ الدَّلِيلُ الْبَاطِلُ الْمَرْدُودُ عِنْدَ  
سِدِّ أَيْمَةِ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ

فالقرآن مملوء بإثبات الأفعال لله عز وجل، ولو تدبرتموه لوجدتم فيه مئات الأدلة على إثبات الأفعال لله - سبحانه وتعالى -، وأن الله لم يزل ولا يزال فعَّالاً.

ولكنَّ ابن القيم - رحمه الله - يقول: إنَّ هذا الدليل باطل ومردودٌ عند أئمة التحقيق والعرفان.

١٠١٥- مَا زَالَ أَمْرُ النَّاسِ مُعْتَدِلًا إِلَى أَنْ دَارَ فِي الْأُورَاقِ وَالْأَذْهَانِ

١٠١٦- وَتَمَكَّنَتْ أَجْزَاؤُهُ بِقُلُوبِهِمْ فَأَتَتْ لَوَازِمُهُ إِلَى الْإِيمَانِ

١٠١٧- رَفَعَتْ قَوَاعِدَهُ وَنَحَّتْ أَسَّهُ فَهَوَى الْبِنَاءُ وَخَرَّ لِلْأَرْكَانِ

١٠١٨- وَجَنَوْا عَلَى الْإِسْلَامِ كُلَّ جِنَايَةٍ إِذْ سَلَّطُوا الْأَعْدَاءَ بِالْعُدْوَانِ

ويقول: إنَّ الناس كانوا على الحقِّ، وأمَّهم معتدلاً حتى دار هذا الدليل في الأوراق والأذهان، فاضطرب الناس، وإلا فلو تُرك الناس وفطرتهم لكان كلُّ إنسان يعلم بفطرته أن الله لم يزل فعَّالاً، وأنَّ الفعل لم يكن مستحيلاً عليه في آنٍ، ثمَّ صار ممكناً بعد الاستحالة.

فلو تُرك الناس وفطرتهم ما عدلوا عن الحقِّ، لكن جاءت هذه العقول وأفسدت المنقول.

يقول: إنها تمكنت أجزاءه بقلوبهم فأتت لوازمه إلى الإيمان، رفعت قواعده ونحَّت أسسه - أي: أساسه - حتى خرَّ للأركان.

ثمَّ ذكر أنهم جنوا على الإسلام كلَّ جناية، لأنهم سلَّطوا الأعداء، حيث صار كلُّ إنسان يتكلَّم بما عنده، ويقول لخصمه: هذا الذي قلت إنه محال.

فصار أهل التعطيل والتخييل الذين ينكرون البعث يقولون: هذا محال، منَّ يُحيي العظام وهي رميم؟ وصار كلُّ إنسانٍ مبطلٍ يقول لخصمه الذي يثبت ما ينفيه يقول: هذا محال، ولهذا يقول:

١٠١٩- حَمَلُوا بِأَسْلِحَةِ الْمُحَالِ فَخَانَهُمْ ذَاكَ السَّلَاحُ فَمَا اشْتَفَوْا بِطِعَانِ

يعني: لم ينفعهم، بل غرهم حيث يقولون لما يريدون: إن هذا ممكن، ولما لا يريدون: إن هذا محال، ولو أثبتته الله ورسوله.

١٠٢٠- وَأَتَى الْعَدُوُّ إِلَى سِلَاحِهِمْ فَقَا تَلَّهُمْ بِهِ فِي غَيْبَةِ الْفُرْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَتَى الْعَدُوُّ إِلَى سِلَاحِهِمْ...» كيف ذلك؟

قال أهل التخيل الذين يرون أن اليوم الآخر ليس له حقيقة، فأجابهم أهل التعطيل في الصفات قالوا: كيف لا يكون له حقيقة وقد جاءت به الرسل، وليس هناك ما يمنعه، فوجد الدليل الموجب، وانتفى المانع، وإذا وجد الدليل الموجب وانتفى المانع وجب القول بما يقتضيه الدليل؟

فقال لهم أهل التخيل: توافقون على هذه القاعدة؟ قالوا: نعم، ونحتج بها عليكم. قالوا: إذن نحن نحتج عليكم بها، فإن القرآن والسنة جاءا بإثبات الصفات، وهو دليل موجب، وليس هناك مانع مقاوم، فيجب عليكم أن تقولوا بإثبات الصفات.

فأنتم إما أن تقولوا بإثبات الصفات، وتجعلوا الباب واحداً، وإما أن تنفوا المعاد، ونحن لم ننف المعاد ونقول: إنه عبارة عن تحييل أو مجاز أو ما أشبه ذلك إلا حيث وجدناكم نفتيم الصفات، مع أن نصوص الصفات في القرآن والسنة أكثر بكثير من نصوص المعاد.

فكيف سوغتم لأنفسكم إنكار الصفات وتأويل نصوصها، بل على الأصح وتحريف نصوصها، ومنعتمونا من تأويل آيات المعاد؟!

انظر كيف تسلط الأعداء الذين هم كفار بالإجماع، أخذوا سلاح المعتزلة وطعنوهم به.

فهذا معنى قول المؤلف - رحمه الله -: (وَأَتَى الْعَدُوُّ إِلَى سِلَاحِهِمْ فَقَاتَلَهُمْ بِهِ فِي غَيْبَةِ الْفَرَسَانِ)، مَنْ هم الفرسان في هذا الباب؟

الجواب: أهل السنة الذين يثبتون هذا وهذا، ويقولون: نحن لا نتناقض، الكلُّ حقٌّ، فصفاة ربنا حقٌّ، واليوم الآخر حقٌّ.

ثُمَّ قَالَ نَادِبًا مَحْنَةَ الْإِسْلَامِ:

١٠٢١- يَا مَحْنَةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ جَهْلِ الصَّدِيقِ وَبَغْيِي ذِي طُغْيَانٍ

وهذا صحيح، فما يُبتلى الناس إلا بهذا، فصديق جاهل يضرك أكثر مما ينفعك، صديق يجبك مثلما يجب نفسه قال لك: لا تذهب من هذا الطريق، لكن اذهب من هذا الطريق، وهو لا يدري أي الطريقين أحسن أو أسوأ؟ وبناءً على ما بينكما من الصداقة أطعته، وإذا في هذا الطريق قطعاً طريق، ومهلكة، ومفازة<sup>(١)</sup> ورَمْضاء<sup>(٢)</sup>، وعَطَشٌ، وكلُّ شيء، والطريق الأول سليم، هذا الصديق هل نيته سيئة؟

الجواب: لا، ولكنه جاهل، فجهل الصديق بلاء، ولذلك يجب أن يكون الإنسان على ثقةٍ مِمَّنْ أشار إليه بشيء أن يكون عالماً مخلصاً لك.

فإذا كان الصديق جاهلاً والعدوُّ باغياً فعلى الإسلام السَّلام، وإذا كان الصديق عالماً والعدوُّ مبعوثاً حصل المراد، ولهذا جعل ابن القيم - رحمه الله تعالى -

(١) هي البرية القفر. انظر: النهاية في غريب الحديث الأثر، مادة: فوز.

(٢) هي شدة الحر. انظر: لسان العرب، مادة: رمض.

هذا من المحنة أن يسكت المسلمون عن هؤلاء المتكلمين ولا يبينوا عوارهم، جعل هذا من المحنة، وهو حقيقة، لكن نسأل الله تعالى أن ينصر الإسلام في كل مكان.

قَوْلُهُ: «وبغي ذي طغيان» هذا العدو يبغي ولا يبالي وإن كان عالماً.

١٠٢٢- وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

١٠٢٣- لَتَحَطَّطَتْ أَعْدَاؤُهُ أَرْوَاحَنَا وَلَقَطَّطَتْ مِنَّا عُرَى الْإِيمَانِ

وهذا صحيح، فلولا أن الله ناصر دينه كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] لتقطعت عرى الإيمان، ولكن الله قيض لدينه - والله الحمد - من يدافع عنه وينصره.

ثُمَّ قَالَ مُتَّحِدِيًا:

١٠٢٤- أَيَكُونُ حَقًّا ذَا الدَّلِيلِ وَمَا اهْتَدَى خَيْرُ الْقُرُونِ لَهُ؟! مُحَالٌ ذَانِ!

قَوْلُهُ: «أَيَكُونُ حَقًّا ذَا الدَّلِيلِ وَمَا اهْتَدَى خَيْرُ الْقُرُونِ لَهُ؟!»

الجواب: (محالٌ ذان) والمشار إليه اثنان:

الأول: وهو كون هذا الدليل حقاً.

والثاني - وهو مبني عليه -: عدم اهتداء القرون المفضلة إليه، هل القرون

المفضلة سلكوا هذا المسلك واستدلوا بهذا الدليل؟

الجواب: لا، إذن محال أن يكون حقاً ولم يهتدوا إليه، وهذا حق، إذن كيف

يكون دليلاً والسلف كلهم على خلافه؟!!

١٠٢٥- وَفَقْتُمْ لِلْحَقِّ إِذْ حُرِّمُوهُ فِي أَصْلِ الْيَقِينِ وَمَقْعَدِ الْعِرْفَانِ؟!

ما الجواب؟ الجواب: لا، فلا يمكن أن تُوفَّقُوا -وأنتم الخلف- للحقِّ ويُحَرِّمُ منه السلف، هذا مستحيل، ولهذا لما أجاب بعض العلماء لشخصٍ مُعَطَّلٍ في أمر من الأمور فقال له: هل قاله النبي ﷺ وأصحابه؟ قال: لا، قال: إذن يسعك ما وسع النبي ﷺ وأصحابه، ومن لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه فلا وسَّع الله عليه.

أما هؤلاء فيقولون: مَنْ لم يدرك علم الكلام فلا يقين له في عقيدته ويقولون: لا يمكن الوصول إلى اليقين إلا بطرق علم الكلام.

فيقال: أين هذه الطرق؟ أين هي من الصحابة والتابعين؟ ولكن كما قال ابن القيم -رحمه الله- سُلِّطُوا على أهل الإسلام وحَصَّلَ ما حصل من المحن.

١٠٢٦- وَهَدَيْتُمُونَا لِلَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا أَبَدًا بِهِ؟! وَاشِدَّةَ الْحِرْمَانِ!

كذلك نقول: لا، هم لا يمكن أن يهدونا لشيءٍ لم يهتد إليه السلف الصالح.

١٠٢٧- وَدَخَلْتُمُوا لِلْحَقِّ مِنْ بَابٍ وَمَا دَخَلُوهُ؟! وَاعْجَبًا لَذَا الْخِذْلَانِ!

قَوْلُهُ: «وَدَخَلْتُمُوا لِلْحَقِّ مِنْ بَابٍ وَمَا دَخَلُوهُ»؟

الجواب: لا، لا يمكن، فكلُّ بابٍ يدخله الخلف ولم يدخله السلف فهو باب شر، ولهذا قال: (وَاعْجَبًا لَذَا الْخِذْلَانِ!).

١٠٢٨- وَسَلَكْتُمْ طُرُقَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ دُونَ الْقَوْمِ؟! وَاعْجَبًا لَذَا الْبُهْتَانِ!

قَوْلُهُ: «وَسَلَكْتُمْ طُرُقَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ دُونَ الْقَوْمِ؟!» الجواب: لا، ولهذا قال: (وَاعْجَبًا لَذَا الْبُهْتَانِ).

أهل التعطيل يقولون: الحقُّ معنا، وأما السلف فهم جهال مفوضة، تسألهم ما معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟ [طه: ٥]، يقولون لك: لا ندري، لأنَّ عندهم أنَّ مذهب السلف هو التفويض والجهل، حتى الرسول ﷺ يتكلم بالكلام وهو لا يعرفُ معناه، يقول: «يَنْزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>. ولو سألته: يا رسول الله ما معنى ينزل؟ يقول: والله ما أدري، ينزل فقط، و«يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ»<sup>(٢)</sup>. ما معناه؟ فيقول: ما أدري، فهذا هو المذهب السلفي عند هؤلاء القوم.

وكذبوا -والله- على السلف، فالسلف يقولون: نحن نعرف المعنى، ولا يمكن أن يخاطبنا الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ بما لا نعلمه، لكننا نجهل الكيفية والحقيقة، لأننا أعجز من ذلك، ولم نُخبر عن الكيفية.

١٠٢٩- وَعَرَفْتُمْ الرَّحْمَنَ بِالْأَجْسَامِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَلْوَانِ

هم يقولون: إنَّ الله ليس بجسم، ولا عرض، ولا متحرك، وليس له لون، وليس له ربح، وليس له ملمس، ولا... إلخ.

عندهم أنَّ هذه هي الصفات الكاملة التي يُشنى على الله بها، لا يقولون: ﴿اللهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللهُ الصَّكْمُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤] يقرؤونها، لكن يُحرفونها، أحسن شيء عندهم في الأوصاف هذه السلوب، يكيلون لك كيلاً، لكنه كيل لا حصر له من هذه السلوب.

(١) أخرجه البخاري: أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم (١٠٩٤)، وأخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر، برقم (٧٥٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم، برقم (٢٦٧١)، وأخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، برقم (١٨٩٠).

والسلوب يعني: النفي، ليس بكذا، ليس بكذا، ليس بكذا، وقد بينا لكم فيما سبق أن التفصيل في السلوب منقصة وسخرية.

فلو جئت لملك من الملوك وقلت: والله أنت رجل لست بامرأة، ولست بكساح ولا كناس ولا حجام ولا بيطار، ولا شقاقاً لبطن الغنم إذا تعسرت في الولادة، وما أشبه ذلك من هذه الصفات، ماذا يقول لك؟

يقول: هات السيف، لكن لو تقول: أنت ملك لا يساميك ملك من ملوك الدنيا، فهذه كلمة واحدة، فيملاً جيبك وما معك من الدراهم، ويشني عليك.

فالحاصل أن هؤلاء الجماعة لم يعرفوا الله إلا بهذه السلوب.

يقول - رحمه الله -:

١٠٣٠- وَهُمْ فَمَا عَرَفُوهُ مِنْهَا بَلْ مِنْ أَلْ آيَاتِ وَهِيَ غَيْرُ ذِي بُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُمْ فَمَا عَرَفُوهُ مِنْهَا بَلْ مِنْ أَلْ آيَاتِ»، عرفوا ربهم بآياته الكونية والشرعية.

قَوْلُهُ: «وَهِيَ غَيْرُ ذِي بُرْهَانِ» عند مَنْ؟

الجواب: عند الخلف، يقولون: دلالة القرآن والسنة غير برهان، وليست قاطعة، فإذا أتيتهم بدليل قالوا: هذا الدليل يحتمل عشرة أوجه، ومع الاحتمال يسقط الاستدلال، هذا إذا كان لا يمكنهم دفع الدليل بالسند.

فإن كان يمكن دفع الدليل بالسند قالوا: هذا سنده ضعيف، هذا خبر آحاد لا نقبله في العقائد، لكن إذا جاء من القرآن يقولون: هذا يحتمل عدة معانٍ، ومع الاحتمال يبطل الاستدلال.

فجعلوا نصوص الكتاب والسنة مهزلة، طعنوا أحياناً في الدلالة، وأحياناً في الدليل، إن أمكنهم أن يطعنوا في الدليل بعدم ثبوته فعلوا، وإذا لم يمكنهم، لأن القرآن لا يمكن أن يقدحوا فيه، طعنوا في الدلالة.

فصار طعنهم إما في الدليل ويتبعه الطعن في الدلالة، وإما في الدلالة إذا عجزوا عن الطعن في الدليل.

١٠٣١- الله أَكْبَرُ أَنْتُمْ أَوْ هُمْ عَلَى حَقٍّ وَفِي غَيٍّ وَفِي خُسْرَانٍ  
الجواب: أن السلف (أهل السنة) والله على الحق، وأن الخلق المخالفين لهم على ضلال وفي خسران.

لكن إذا قال قائل: كيف يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «أَنْتُمْ أَوْ هُمْ عَلَى حَقٍّ»؟

نقول: نعم، هذا من تعليم الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ يَتَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، وهذا هو الإنصاف، الإنصاف أن تقول: أنا أو أنت مخطئ، ثم الخطأ والصواب يتبين، لأننا خصمان مثلاً، لا يمكن أن أحكم بقولي عليك، ولا أنت تحكم بقولك عليّ، فالحق إما معي أو معك، ويكون المرجح دليل من الخارج.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] في باب المناظرة أو باب المخاصمة فلا مانع، ونحن أعلم أن الله أعلم.

وكقوله: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] ومعلوم أن الله خير، ولا خير فيما أشركوا به.

وكقوله تعالى: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]  
هذا صحيح، فهو إما كاذب وإما صادق.

هذا هو الإنصاف، وليس الإنصاف أن يقول الواحد: القول قولي أنا، قولي هو الصواب، والقول الثاني خطأ، حتى يكون الحكم.

\*\*\*

- ١٠٣٢- دَعَا أَلَيْسَ اللَّهُ قَدْ أَبَدَى لَنَا  
حَقَّ الْأَدِلَّةِ؟ وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ
- ١٠٣٣- مُتَنَوِّعَاتٌ صُرِّفَتْ وَتَظَاهَرَتْ  
فِي كُلِّ وَجْهِ فَهِيَ ذُو أَفْنَانِ
- ١٠٣٤- مَعْلُومَةٌ لِلْعَقْلِ أَوْ مَشْهُودَةٌ  
لِلْحِسِّ أَوْ فِي فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ
- ١٠٣٥- أَسْمِعْتُمْ لِدَلِيلِكُمْ فِي بَعْضِهَا  
خَبْرًا أَوْ أَحْسَنْتُمْ لَهُ بَيِّنًا؟
- ١٠٣٦- أَيَكُونُ أَصْلُ الدِّينِ مَا تَمَّ الْهُدَى  
إِلَّا بِهِ وَبِهِ قُوَى الْإِيمَانِ
- ١٠٣٧- وَسِوَاهُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ مَنْ لَمْ يُحِطْ  
عِلْمًا بِهِ لَمْ يَنْجُ مِنْ كُفْرَانِ
- ١٠٣٨- وَاللَّهُ تَمَّ رَسُولُهُ قَدْ بَيَّنَّا  
طُرُقَ الْهُدَى فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
- ١٠٣٩- فَلَايِي شَيْءٍ أَعْرَضَا عَنْهُ وَلَمْ  
نَسْمَعُهُ فِي أَنْرٍ وَلَا قُرْآنِ؟
- ١٠٤٠- لَكِنْ أَنَا بَعْدَ خَيْرِ قُرُونِنَا  
بِظُهُورِ أَحْدَاثِ مِنَ الشَّيْطَانِ
- ١٠٤١- وَعَلَى لِسَانِ الْجَهْمِ جَاءُوا حِزْبُهُ  
مَنْ كُتِلَ صَاحِبِ بِدْعَةِ حَيْرَانَ
- ١٠٤٢- وَلِذَلِكَ اشْتَدَّ النَّكِيرُ عَلَيْهِمْ  
مِنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

- ١٠٤٣- صَاحُوا بِهِمْ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ بَلْ رَمَوْا فِي إِثْرِهِمْ بِثَوَاقِبِ الشُّهْبَانِ  
 ١٠٤٤- عَرَفُوا الَّذِي يُفْضِي إِلَيْهِ قَوْلُهُمْ وَدَلِيلُهُمْ بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ  
 ١٠٤٥- وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي خَفَاةِ جَهْلِهِ وَالْجَهْلُ قَدْ يُنْجِي مِنَ الْكُفْرَانِ

### الشرح

- ١٠٣٢- دَعَّ ذَا أَلَيْسَ اللَّهُ قَدْ أَبَدَى لَنَا حَقَّ الْأَدْلَةِ؟ وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ  
 ١٠٣٣- مُتَنَوِّعَاتٌ صُرِّفَتْ وَتَظَاهَرَتْ فِي كُلِّ وَجْهِ فَهِيَ ذُو أَفْنَانِ  
 ١٠٣٤- مَعْلُومَةٌ لِلْعَقْلِ أَوْ مَشْهُودَةٌ لِلْحِسِّ أَوْ فِي فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

المؤلف - رحمه الله - يقول: دَعَّ هذا النظر أو هذه المجادلة، وأسألك: هل قد أبدى الله لنا حقَّ الأدلة؟ لأنَّ الاستفهام في قوله: «أَلَيْسَ اللَّهُ؟» للتقرير.

والجواب: بلى، فقد بيَّن الله لنا الأدلة على وجوه متنوعة: أدلة عقلية، وحسية، وفطرية، فلهذا كان القرآن أحياناً يحيل على العقل، وأحياناً يحيل على الحسِّ المشاهد، وأحياناً يحيل على الفطرة.

فمثلاً: (البعث) أحال الله - سبحانه وتعالى - فيه على الشيء الواقع المُشَاهَد، فأخبر - سبحانه وتعالى - في سورة (فُصِّلَتْ) أنه يُنَزَّلُ الْمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ الْخَاشِعَةِ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، فهذا دليلٌ حسيٌّ نُشَاهِدُهُ.

ومثال الدليل العقلي قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ

فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ [ق: ١٥]، يعني: هل عجزنا عن الخلق الأول؟ فإذا لم نعجز فإن الخلق الثاني من باب أولى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

أما الفطرة فإنَّ الإنسانَ مجبولٌ بفطرته على أن يعرف ربَّه - سبحانه وتعالى - كما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ، أَوْ يَمَجَّسَانِهِ»<sup>(١)</sup>. ثُمَّ قَالَ - رحمه الله -:

١٠٣٥- أَسْمِعْتُمْ لَدَلِيلِكُمْ فِي بَعْضِهَا      خَبْرًا أَوْ أَحْسَنْتُمْ لَهُ بَيَانَ؟

ما الجواب؟

الجواب: لا، فأدلتهم التي استدلوا بها لا تستند على وحي، ولا على عقل، ولا على حسٍّ، ولا على فطرة.

١٠٣٦- أَيَكُونُ أَضْلُ الدِّينِ مَا تَمَّ الْهُدَى      إِلَّا بِهِ وَبِهِ قُوَى الْإِيمَانِ

١٠٣٧- وَسِوَاهُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ مَنْ لَمْ يُحِطْ      عِلْمًا بِهِ لَمْ يَنْجُ مِنْ كُفْرَانِ

هذا يردُّ به على المنطقيين الذين قالوا: إنَّ مَنْ لَمْ يُحِطْ عِلْمًا بالمنطق فليس على يقينٍ من أمره، وهذا المنطق يقول عنه شيخُ الإسلام - رحمه الله -: «قد كنتُ أعلمُ دائمًا أنَّ المنطق اليونانيَّ لا يحتاج إليه الذكيُّ، ولا ينتفع به البليد»<sup>(٢)</sup>. إذن لا خير فيه ما دام البليد لا ينتفع به والذكي لا يحتاج إليه، إذن فلا ينبغي للإنسان أن يُضَيِّعَ عمره فيه.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي هل يصل على عليه، برقم (١٢٩٢)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم (٢٦٥٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨٢/٩).

١٠٣٨- وَاللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ قَدْ بَيَّنَّا طُرُقَ الْهُدَى فِي غَايَةِ التَّبَيَّانِ

١٠٣٩- فَلَايِي شَيْءٍ أَعْرَضَا عَنْهُ وَلَمْ نَسْمَعُهُ فِي أَثَرٍ وَلَا قُرْآنٍ؟

قَوْلُهُ: «عَنْهُ» يعني: عن الدليل الذي استندوا إليه فيما سبق، وهو الاعتماد على العقل والجدل، لماذا أعرض الله ورسوله عنه فلم يستدلا به؟!

١٠٤٠- لَكِنَّا بَعْدَ خَيْرِ قُرُونِنَا بِظُهُورِ أَحْدَاثٍ مِنَ الشَّيْطَانِ

١٠٤١- وَعَلَى لِسَانِ الْجَهْمِ جَاءُوا حِزْبُهُ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ بِدَعَاةٍ حَيْرَانٍ

قَوْلُهُ: «أَحْدَاثٍ»، ويجوز أيضًا (إِحْدَاثٍ).

الجهم بن صفوان هو أصل التعطيل في الحقيقة، وهو تلميذ للجعد بن درهم، لكن نسبت المقالة للجهم، لأنه نشرها في العالم وأظهرها، فنسبت إليه.

١٠٤٢- وَلِذَلِكَ اشْتَدَّ النَّكِيرُ عَلَيْهِمْ مِنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

١٠٤٣- صَاحُوا بِهِمْ مِنْ كُلِّ قَطْرِ بَلِّ رَمَوْا فِي إِثْرِهِمْ بِثَوَاقِبِ الشُّهْبَانِ

١٠٤٤- عَرَفُوا الَّذِي يُفْضِي إِلَيْهِ قَوْلُهُمْ وَدَلَّيْلُهُمْ بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

١٠٤٥- وَأَخُو الْجَهَّالَةِ فِي خَفَارَةِ جَهْلِهِ وَالْجَهْلُ قَدْ يُنْجِي مِنَ الْكُفْرَانِ

المعنى: أن العلماء صاروا ينكرون على الجهم، وعلى كل من سار على نهجه من كل الأقطار، وعرفوا أن قولهم هذا يفضي إلى محاذير عظيمة، فيفضي إلى تعطيل الرب عز وجل وإلى كونه كالجماد لا يفعل، ولا يشاء، ولا يتكلم، ولا يُنزل شرعاً، فهو غاية كل بلاء.

قَوْلُهُ: «وَالْجَهْلُ قَدْ يُنْجِي مِنَ الْكُفْرَانِ» المعنى أَنَّ الإنسانَ قد يصل بعلمه إلى الكفر الذي ينجو منه الجاهل.

وذلك لأنَّ الجاهلَ مُتَمَسِّحٌ على فطرته، وليس عنده تحريف للقرآن، وهؤلاء الذين يدعون أنهم العلماء وأنهم العقلاء بلغ بهم الهوى إلى ما بلغ.

ولهذا تجد عوامَّ المسلمين خيرًا من هؤلاء المُعَطَّلَةِ مع ما عندهم من العلم، لكن لم يُوفِّقوا للخير، أدركوا العلم ولكن لم ينالوا به خيرًا، أعطوا علمًا، ولم يُعْطُوا ذكاءً.

بفضل الله تعالى وتوفيقه تمَّ المجلد الأول

ويليه بمشيئة الله تعالى المجلد الثاني

وأوله: فصلٌ في الردِّ على الجَهْمِيَّةِ المُعَطَّلَةِ، البيت رقم (١٠٤٦)

\*\*\*

رَفَع  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

فهرس الآيات

الصفحة	الآية
٢٠	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾
٢٠	﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ ﴾
٢٠	﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾
٢١	﴿ اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾
٢١	﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾
٢١	﴿ الْخَلِيقِ الْبَارِئِ ﴾
٤٧، ٢٢	﴿ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾
٣٢٥	
٢٢	﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾
٣٧، ٢٣	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾
٦١٧، ٣٨٨، ٣٧٠، ٣٤٣، ٣٣٠، ٢٧٢، ٨٣، ٦٧، ٦٣، ٤٤	
٢٣	﴿ فَلَا تَضُرُّوهُ بِاللَّهِ الْأَمْثَالِ ﴾
٢٣	﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾
	﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ۖ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ ﴿٣﴾
٢٨	﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾
٢٨	﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾
٣٨	﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعَظَمَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ..... ٣٨

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ..... ٤٠

﴿هَذَا سَدْحٌ كَذَّابٌ﴾ ..... ٤٠

﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ ..... ٤٢

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ..... ٤٢

﴿يَلْبِسْتَنِي أَنَحَدْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٣٧﴾ يَتَوَلَّى لِيَتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٣٨﴾

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ

خَذُولًا﴾ ..... ٤٢

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَلَمْلِقِيهِ﴾ ..... ٤٣

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ..... ٤٣

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّمُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ ..... ٤٥

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ..... ٤٥

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ ..... ٨٥، ٤٦

٤٧٩، ٤٥٤، ٣٠٦

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ..... ٨٥، ٤٦

٤٧٩، ٤٦٣، ٣١٢، ٣٠٦

﴿كَهَيْعَصَ﴾ ..... ٥٠

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَقٌ﴾ ..... ٥٠

﴿الرَّ﴾ ..... ٥٠

- ﴿ق﴾ ..... ٥٠
- ﴿ت﴾ ..... ٥٠
- ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾ ..... ٥٠
- ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ ..... ٥٠
- ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ ..... ٥١
- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ..... ٣٠١، ٥٢
- ٤٢١
- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ﴾ ..... ٣٠١، ٥٣
- ٤٢١
- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٦١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ ..... ٥٢١، ٥٣
- ﴿وَإِنَّهُ لَنفِي ذُرِّ الْأَوَّلِينَ﴾ ..... ٥٢١، ٥٣
- ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ..... ٥٣
- ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ..... ٥٦
- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ..... ٢٧٦، ٥٦
- ٦١٧
- ﴿تَفْرُجُ الْمَلِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ﴾ ..... ٥٦
- ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ..... ٥٦
- ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّوكَ إِلَىٰ عَلِيِّهِ﴾ ..... ٥٩
- ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِرُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ..... ٥٩
- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ..... ٥٩
- ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ..... ٦٠

- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ..... ٦١
- ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ..... ٦١
- ﴿مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَابِعًا لِلشَّرِيبِينَ﴾ ..... ٦٢
- ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ..... ٦٣
- ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ ..... ٦٤
- ﴿أَجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ ..... ٦٤
- ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا  
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ..... ٦٤
- ﴿أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ ..... ٦٥
- ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ  
تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ..... ٦٦
- ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ..... ٦٧، ٣٨٨
- ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ..... ٦٧
- ﴿هَذِهِ بَضَعْنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ ..... ٦٨
- ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ..... ٦٩، ٤٢٧
- ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَاقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ ..... ٦٩
- ﴿مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ..... ٦٩
- ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ ..... ٦٩
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ..... ٧٣
- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ ..... ٨٣، ٢٨٨
- ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ..... ٨٥

- ﴿ مَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأ هَادِي لَهُ ﴾ ..... ٨٥
- ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ نَحْوَكُمَا ﴾ ..... ٣٧٠، ٨٥
- ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ ..... ٩٢
- ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ..... ٩٢
- ﴿ حِكْمَةٌ بَلِيغَةٌ فَمَا تُعِنُّ الذُّرَّ ﴾ ..... ٩٥
- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴾ ..... ٩٥
- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ..... ٩٥
- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ..... ٩٥
- ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضَلُّوا ﴾ ..... ٩٥
- ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ ..... ٩٥
- ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ ﴾ ..... ٩٥
- ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ..... ٩٥
- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ..... ٩٩
- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ..... ٩٩
- ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ ..... ٩٩
- ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ ﴾ ..... ٩٩
- ﴿ رَبِّ فَانظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ..... ١٠٠
- ﴿ فَيُعَذِّبُكَ لِأَعْوَابِهِمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ..... ١٠٠
- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَن حَوْلَهُ أَلَا تَسْمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ..... ١٠٠

- ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي ﴾ ..... ١٠٠
- ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَذُرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ ﴾ ..... ١٠٠
- ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ ..... ١٠١
- ﴿ مُتَسْرِفُونَ ﴾ ..... ١٠١
- ﴿ وَءَايَاتُهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُودًا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَى ﴾ ..... ١٠١
- ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقِنْتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ ..... ١٠١
- ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ ..... ١٠١
- ﴿ رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى ﴾ ..... ١١١
- ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ ..... ١١١
- ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ..... ١١٥
- ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١١٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ ..... ١١٥
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ ﴾ ..... ١١٥
- ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ﴾ ..... ١١٥، ١١٩
- ﴿ وَسَتَلُونَا عَنْ الْجِبَالِ ﴾ ..... ١١٥
- ﴿ فَقُلْ يَلْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ ..... ١١٥
- ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ ..... ١١٥
- ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ﴾ ..... ١١٥
- ﴿ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ..... ١١٦
- ﴿ كَلَّمَآ نَضَعَتْ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ..... ١١٦، ١٢٠
- ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ ..... ١١٩



- ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ..... ١٣٤
- ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ أَنْفَى﴾ ..... ١٣٥
- ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ..... ١٣٥
- ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ..... ١٣٦
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ ..... ١٣٦، ٦٤٨
- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٧﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ..... ١٣٨
- ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ..... ١٣٨
- ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى﴾ ..... ١٣٩
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ مِنْ طِينٍ﴾ ..... ١٣٩
- ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى﴾ ..... ١٣٩
- ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ..... ١٤٤
- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ..... ١٥١
- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ..... ١٥١
- ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ..... ١٥٦
- ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ ..... ١٥٩
- ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ..... ١٦٠
- ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ..... ١٦٠
- ﴿يَتَأْتِيهَا الدِّينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ ..... ١٦٤
- ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ..... ١٧٠
- ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ..... ١٧١

- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ..... ١٧٢، ١٨٨
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ ..... ١٧٣
- ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ..... ١٧٦
- ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ..... ١٧٦
- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ..... ١٧٩
- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ .. ١٨٤
- ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ ..... ١٨٤
- ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ..... ١٨٥
- ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ ..... ١٨٦
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ ..... ١٨٧
- ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهْدِي إِلَّا أَن يَهْدَىٰ﴾ ..... ١٨٧
- ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ ..... ١٨٧
- ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ..... ١٨٧
- ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ... ١٨٨، ١٩١
- ٥٧١، ٢٢٢
- ﴿وَكَفَىٰ بَرِّيكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ..... ١٨٨
- ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾
- ﴿فَأَصْبِرْ﴾ ..... ١٩٠
- ﴿إِنَّ الْعَقَبَةَ لِلْمُنْقِيبِ﴾ ..... ١٩٠
- ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ... ١٩٤

- ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ..... ١٩٧
- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ..... ١٩٧
- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ ..... ١٩٧
- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ ..... ١٩٨
- ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَنًا﴾ ..... ١٩٨
- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ ءِيمَنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ ..... ١٩٨
- ﴿إِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِ ءِيبُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ..... ١٩٨
- ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ..... ١٩٩
- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ..... ١٩٩
- ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ..... ١٩٩
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ ..... ٢٠٠
- ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ ..... ٢٠٧
- ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ ..... ٢٠٧
- ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُوْمَرُ﴾ ..... ٢١١
- ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَآخِشُونِ﴾ ..... ٢١١

- ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ ..... ٢١٢
- ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ..... ٢١٨، ٢١٣
- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ..... ٢١٥
- ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ ..... ٢١٥
- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ..... ٢١٧
- ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ ..... ٢١٧
- ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ..... ٢١٨
- ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ..... ٢٢٠
- ﴿وَإِنَّمَا يَزْعُمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ..... ٢٢١
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ ..... ٢٢٣
- ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ ..... ٢٢٥
- ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ..... ٢٤٣
- ﴿وَمِمَّا خَطَبْتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذَلُّوا نَارًا﴾ ..... ٢٤٣
- ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا﴾ ..... ٢٥٩
- ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ ..... ٢٦٣
- ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ..... ٢٦٣
- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ..... ٢٦٣
- ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ..... ٢٦٣

- ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ..... ٢٦٣
- ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ..... ٢٦٦
- ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ..... ٢٦٦
- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ ..... ٢٦٧
- ﴿ إِبْرَاهِيمَ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ..... ٢٧١
- ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ ..... ٢٧٢
- ﴿ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ ..... ٢٧٢
- ﴿ وَتَقُولُوا سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ ..... ٢٧٢
- ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عِوَابَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ..... ٢٧٣
- ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى ﴾ ..... ٢٧٣
- ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ..... ٢٧٦، ٦١٧
- ٦٤٤
- ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ..... ٢٧٦
- ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾ ..... ٢٧٧
- ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ ..... ٢٧٧
- ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ ..... ٢٧٨
- ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ ..... ٢٧٨
- ﴿ وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخَلَفُوا فِيهِ لَئِن شَكَ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ..... ٢٧٩

- ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ..... ٢٨٢
- ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ ..... ٢٨٦
- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ ..... ٢٨٨
- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾ ..... ٢٨٨
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ .. ٣٠٢
- ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ..... ٣٠٣
- ﴿ إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ ..... ٣٠٣
- ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ..... ٣٠٣
- ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ ..... ٣٨٦، ٣٠٣
- ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ..... ٣٠٣
- ﴿ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ ..... ٣٠٣
- ﴿ لَا يَقُولُونَ ﴾ ..... ٣٠٥
- ﴿ لِقَوْمٍ يَنْفَكَرُونَ ﴾ ..... ٣٠٥
- ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ ..... ٣٠٥
- ﴿ وَنَدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْتَهُ بَيْنَهُمَا ﴾ ..... ٣٥٢، ٣٠٧
- ٤٨٢، ٤٦٨
- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ ..... ٣١٠
- ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرِ إِلَيْكَ ﴾ ..... ٣٢٩، ٣١٢
- ٤٥٤
- ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ ..... ٣١٣

- ٣١٣ ..... ﴿عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مَّتَّصِدًا مِّنْ خَشِيَةِ اللَّهِ﴾
- ٣١٣ ..... ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
- ٣١٣ ..... ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾
- ..... ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٣١٤ ..... ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِّيَمِينِهِ﴾
- ٣١٤ ..... ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
- ٣٢٣، ٣١٤ ..... ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾
- ٣٣١
- ٣١٨ ..... ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
- ٣٢٠ ..... ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾
- ..... ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ
- ٣٢٠ ..... ﴿لَكُمْ﴾
- ٣٨٧، ٣٢٠ ..... ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾
- ..... ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا
- ٣٢١ ..... ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾
- ٣٢١ ..... ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾
- ..... ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ
- ٣٢٢ ..... ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾
- ..... ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَنْصَرُّهُمْ تَرْهَقُهُمْ
- ٣٢٢ ..... ﴿ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾
- ٣٢٢ ..... ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾

- ٣٣١، ٣٢٣ ..... ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾
- ٣٢٦ ..... ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾
- ٣٢٧ ..... ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾
- ٣٢٧ ..... ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾
- ٣٢٧ ..... ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾
- ٣٢٨ ..... ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُونَ﴾
- ٣٢٨ ..... ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾
- ٣٢٨ ..... ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُونَ﴾
- ٣٢٩ ..... ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾
- ٣٢٩ ..... ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَيْنَارُكَ﴾
- ٣٣٢ ..... ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾
- ٣٣٥ ..... ﴿حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾
- ٣٣٩ ..... ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾
- ٣٥١ ..... ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَالنَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾
- ٣٦٢ ..... ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لِلَّهِ﴾
- ٣٦٢ ..... ﴿وَلِذَٰلِكَ ظَآئِفَةٌ مِنْهُمْ يَتَأَهَّلُ بِرَبِّ لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾
- ٣٦٣ ..... ﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾
- ٣٦٥ ..... ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾
- ٣٦٦ ..... ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَقَ﴾
- ٣٦٨ ..... ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾
- ٣٦٨ ..... ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

- ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ ..... ٣٧١، ٣٨٣
- ﴿وَلِيُصْنَعَ عَلَى عَيْفٍ﴾ ..... ٣٧١
- ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ..... ٣٧١
- ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ..... ٣٧٤
- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ..... ٣٧٥
- ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ..... ٣٧٦
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ..... ٣٧٦
- ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْتِنَا طَائِعِينَ﴾ ..... ٣٧٦
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ..... ٣٧٧
- ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ..... ٣٧٧، ٤٩١
- ﴿يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرْنَكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾ ..... ٣٨٠
- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ ..... ٣٨١
- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ..... ٣٨٢
- ﴿الْقِيَوْمُ﴾ ..... ٣٨٣
- ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ..... ٣٨٣
- ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ ..... ٣٨٥

- ٣٨٦ ..... ﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾
- ٣٨٦ ..... ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾
- ٣٨٦ ..... ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾
- ٣٨٦ ..... ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْاَيْسَرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾
- ٣٩٠، ٣٨٦ ..... ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾
- ٣٨٦ ..... ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾
- ٣٨٧ ..... ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾
- ٣٨٧ ..... ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾
- ٣٨٧ ..... ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
- ٣٨٨ ..... ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾
- ٣٨٨ ..... ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
- ٣٨٩ ..... ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾
- ٣٨٩ ..... ﴿يَقُولُونَ يَا فَوْهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾
- ٣٩٠ ..... ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾
- ٣٩٠ ..... ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾
- ٣٩٠ ..... ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْبٍ قَدِيرِينَ﴾
- ٣٩٠ ..... ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾
- ٣٩٠ ..... ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
- ٣٩٠ ..... ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾
- ٤٢٧، ٣٩٤ ..... ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ﴾

- ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ  
مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ ..... ٤٦٦، ٣٩٤
- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ... ٣٩٥
- ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ..... ٣٩٥
- ﴿ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴾ ..... ٤٠٠
- ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ﴾ ..... ٤٢١، ٤٠٢
- ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ ..... ٤٠٦
- ﴿ سَأَصْلِيهِ سَفَرٌ ﴿٣﴾ ﴾ ..... ٤٠٦
- ﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ..... ٤٠٧
- ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ ﴾ ..... ٤٠٧
- ﴿ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا ﴾ ..... ٤٠٧
- ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ ..... ٤٠٨
- ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ..... ٤٠٨
- ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَهَا إِلَىٰ مَرَمِيمَ ﴾ ..... ٤١٣
- ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ ﴾ ..... ٤١٣
- ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدِلِ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ ..... ٤١٦
- ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي تَوْجٍ مَحْفُوظٍ ﴾ ..... ٤٢٠
- ﴿ إِنَّكَ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ ..... ٤٢١
- ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ..... ٤٢٥
- ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ ..... ٤٢٧

- ﴿ وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ..... ٤٢٩
- ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ ﴾ ..... ٤٣٧
- ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ﴾ ..... ٥٥١، ٤٣٧
- ﴿ وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ..... ٤٣٩
- ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ ..... ٤٩٧، ٤٥٥
- ٥٨٦
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَرْجَيْنَا إِيَّاكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ..... ٤٥٥
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ ..... ٤٥٥
- ﴿ أَلَا تَكَلِّمُ ثَلَاثَ النَّاسِ لَيْسَ لِ سَوِيًّا ﴾ ..... ٤٥٥
- ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ﴾ ..... ٤٧٤، ٤٥٧
- ﴿ ت ﴿١﴾ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَعْجُونٌ ﴾ ..... ٤٥٧
- ﴿ الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ ..... ٤٥٧
- ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ ..... ٤٦٦
- ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ..... ٤٦٧
- ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ..... ٤٦٧
- ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ..... ٤٦٧
- ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ ..... ٤٦٨
- ﴿ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَ ﴾ ..... ٤٦٨
- ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَنْزَلْنَاهُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ..... ٤٦٨
- ﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ ..... ٤٧١

- ﴿ يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ..... ٤٧٣
- ﴿ آتَهُ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ..... ٤٧٤
- ﴿ آتَهُ ۝١ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ ..... ٤٧٤
- ﴿ الْمَصَّ ۝١ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ ..... ٤٧٤
- ﴿ كَهَيْعَتِ ۝١ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ ..... ٤٧٤
- ﴿ طَسَّرَ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ تُحْسِنُ ﴾ ..... ٤٧٤
- ﴿ طَسَّرَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴾ ..... ٤٧٤
- ﴿ آتَهُ ۝١ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ..... ٤٧٥
- ﴿ آتَهُ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ ..... ٤٧٥
- ﴿ آتَهُ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ ..... ٤٧٥
- ﴿ آتَهُ ۝١ نَزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ..... ٤٧٥
- ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ ﴾ ..... ٤٧٨
- ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ..... ٤٧٨
- ﴿ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ ﴾ ..... ٤٧٨
- ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴾ ..... ٤٧٨
- ﴿ قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٌ ﴾ ..... ٤٧٨
- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ ..... ٤٧٨
- ﴿ قَالَ أَلْقَاهَا لِيَأْمُرُنِي ۝١١ فَالْقَنَاهَا فِإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۝١٢ قَالَ خُذْهَا ﴾ ..... ٤٧٨
- ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ..... ٤٧٩
- ﴿ فَمَهْلِكِ الْكَافِرِينَ آمَهُلَهُمْ رُؤْدًا ﴾ ..... ٤٧٩

- ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ..... ٤٧٩
- ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ ..... ٤٧٩
- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ﴾ ..... ٤٧٩
- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ ..... ٤٧٩
- ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ ..... ٤٨٠
- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ..... ٤٨٠
- ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ..... ٤٨٠
- ﴿فَبَشِّرْنَهُ بَعْلَمٍ حَلِيمٍ﴾ ..... ٤٨٠
- ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ..... ٤٨٠
- ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ ..... ٤٨١
- ﴿يَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ ..... ٤٨١
- ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ..... ٤٨٢
- ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ﴾ ..... ٤٨٣
- ﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزَلَ أَخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ..... ٤٨٣
- ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ..... ٤٩١
- ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ ..... ٤٩١
- ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ..... ٤٩٤
- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ ..... ٤٩٧
- ﴿نَنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ﴾ ..... ٤٩٨
- ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ ..... ٤٩٨

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ يُعْشَىٰ لَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَآلِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ ٤٩٩
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ..... ٥٠١
- ﴿حَمِّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ..... ٥٠٦
- ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ..... ٥٠٦
- ﴿وَسَخَّرْ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَآ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ ..... ٥٠٦
- ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ ..... ٥٠٨
- ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ..... ٥٠٨
- ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ ..... ٥٠٩، ٥٥١
- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ ..... ٥٠٩
- ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ ..... ٥١٠
- ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ ..... ٥١٠
- ﴿وَإِنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ ..... ٥٢١
- ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ ..... ٥٢١
- ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ..... ٥٢١
- ﴿كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ ١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ ١٣﴾ تَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ..... ٥٢١
- ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ ..... ٥٢١
- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَابْتِغِ فُرْقَانَهُ ١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ ..... ٥٢٢
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ ..... ٥٢٦
- ﴿يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ ..... ٥٢٦
- ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ..... ٥٤٣

- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ ..... ٥٥١
- ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ..... ٥٥١
- ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ..... ٥٥١
- ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ..... ٥٥١
- ﴿ فَشَرِدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ ﴾ ..... ٥٥٢
- ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ ..... ٥٥٧
- ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ ..... ٥٦٣
- ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى ﴾ ..... ٥٦٣
- ﴿ رَبِّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ..... ٥٦٣
- ﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ..... ٥٦٣
- ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ ..... ٥٦٣
- ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ ..... ٥٦٥
- ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ ..... ٥٦٦
- ﴿ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ..... ٥٦٩
- ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ ..... ٥٧٢
- ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ ..... ٥٩٤
- ﴿ فَتَشْكُرُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ..... ٥٩٤
- ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ..... ٥٩٥
- ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ ..... ٦٠٧، ٥٩٥
- ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ ..... ٥٩٥
- ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ ..... ٦٠٨

- ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ..... ٦٠٩
- ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ..... ٦٠٩
- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ..... ٦١٧
- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ..... ٦١٩
- ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَيَذُرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ..... ٦٢٢
- ﴿وَمَا أوتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ..... ٦٢٥
- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ..... ٦٢٩
- ﴿فَأَمَّا يَا نَبِيَّكُمْ مَنِ هَدَىٰ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشقى﴾ ..... ٦٣٤
- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ..... ٦٣٤
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ..... ٦٤٢
- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ..... ٦٤٣
- ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ..... ٦٤٤
- ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ..... ٦٤٦
- ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ ..... ٦٤٦
- ﴿ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمْ يَشْرِكُونَ﴾ ..... ٦٤٦
- ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فاعْلَيْتِهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ ..... ٦٤٧
- ﴿أَفَعِيبَانَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ..... ٦٤٨
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ ..... ٦٤٩

## فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث
٢٢	«يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» .....
٢٣	«لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ» .....
٢٣	«وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ» .....
٣٥، ٣٢	«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» .....
٣٣	«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» .....
٣٤	«يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» .....
٣٥	«لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» .....
٣٧	«يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» .....
	«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ
٣٨	«مِنَ النَّفَاقِ» .....
٤١	«الْعِلْمُ لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ لِمَنْ صَحَّحَتْ نَيْتُهُ» .....
	«تَبَيَّضُ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ
٤٢	وَالْفِرْقَةِ الضَّالَّةِ» .....
٤٢	«أَزْوَاجُهُمْ: أَشْبَاهُهُمْ وَنُظَرَاؤُهُمْ» .....
٤٦	«لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ...» .....
٤٨	«الْكَيْفُ مَجْهُولٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ» .....
٤٨	«مَنْ سَبَّ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ» .....

- «يُحَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ» ..... ٥١
- لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ..... ٥٤
- «مَثَلُوا أَوْلَاءَ، وَعَطَّلُوا آخِرًا» ..... ٦٧
- «أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مُضَحِّحٌ بِالْجَعْدِ بْنِ  
دِرْهَمٍ» ..... ٤٦٩، ٨٩
- «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي» ..... ٩٢
- «قَطَعْتُ يَدَكَ لِسِرِّقَتِكَ، وَضَرَبْتُكَ لِفِرْيَتِكَ عَلَى اللَّهِ» ..... ١٤٦، ٩٣
- «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ  
خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ..... ١٠٢
- «الْإِيمَانُ بِضَعٍّ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ..... ١٠٢
- «الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ» ..... ١٠٥
- «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ» .. ١١٨
- «اللَّهُمَّ أَبْدِلْهَا زَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهَا» ..... ١٢٠
- «أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لِلْكَرْسِيِّ كَحَلَقَةِ  
أُلْقَيْتُ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ» ..... ١٢٨
- «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ» ..... ١٣١
- «فُضِّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا؟» ..... ١٣٥
- «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاءُ» ..... ١٥٠
- «أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ» ..... ١٦٣
- «ثَوْبِي حَجْرٌ، ثَوْبِي حَجْرٌ» ..... ١٦٤

- ١٦٥ ..... «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»
- ١٦٥ ..... النَّبِيِّ ﷺ نَهَى أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ.
- ١٦٥ ..... «وَيَحَ ابْنُ أُمِّ الْفَضْلِ، إِنَّهُ لَعَوَّاصٌ عَلَى الْهَنَاتِ»
- «لَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ
- ١٦٩ ..... إِلَيْهِ»
- ١٧٢ ..... «جِئْتِكَ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا يُحِبُّونَ الْحَيَاةَ»
- ١٧٣ ..... «هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِضْبَعٌ دَمِيَّتٍ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ»
- ١٧٤ ..... «مَا خَرَجْتُ لِأُبَارِزَ رَجُلَيْنِ»
- ١٧٦ ..... «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ»
- «نَاطِرُوا الْقَدْرِيَّةَ بِالْعِلْمِ، فَإِنْ أَقْرُوا بِهِ خُصِمُوا، وَإِنْ أَنْكَرُوا
- ١٧٧ ..... كَفَرُوا»
- «لَا يَمْنَعُكَ مِنْ قَضَاءِ قَضَيْتَ بِهِ الْيَوْمَ فَرَاجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ،
- ١٨٣ ..... وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ، أَنْ تُرَاجِعَ فِيهِ الْحَقَّ»
- «إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يُجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِضْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى
- ١٨٥ ..... إِضْبَعٍ... ضَحَكَ تَصْدِيقًا لَهُ»
- ١٨٨ ..... قَدْ شُجَّ وَجْهَهُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ
- ١٩٢ ..... «إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ»
- ما مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَمُوتُ وَهُوَ لَا يُؤْمِنُ بِهَا
- ١٩٣ ..... جَاءَ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ
- ١٩٦ ..... «بَلْ هُوَ الرَّأْيِيُّ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ»

- «لَوْ رَاجَعْتِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ»..... ١٩٦
- «وَمَا يُدْرِيكَ أَتَهَا رُفِيَةٌ»..... ١٩٦
- (أَكْثَرُ النَّاسِ شُكًّا عِنْدَ الْمَوْتِ أَهْلُ الْكَلَامِ)..... ٢١٥، ٢١٠
- «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ: أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ»..... ٢١٥
- «قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبِ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»..... ٢١٧
- «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»..... ٢١٨
- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»..... ٢٢٢
- «إِنَّهُ خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِئَةَ مَفْصِلٍ».. ٢٣١
- «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»..... ٢٦٥، ٢٥٩
- «لَتَسْبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»..... ٢٦٧
- «الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ»..... ٢٧٦
- «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»..... ٢٨١
- «فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».. ٢٨١
- «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»..... ٢٨٢، ٦٤٩
- «تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»..... ٢٩٠
- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَن جَلِيسُهُ..... ٢٩٠

- يُسَلِّطُ عَلَيْهَا رَجُلٌ مِنَ الْحَبْشَةِ، وَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَصَفًا دَقِيقًا،  
 ٣٠٢ ..... فيهدمها بجنوده، وينقضها حجرًا حجرًا .....  
 ٣٠٧ ..... «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...» .....  
 ٣١٠ ..... أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْحِجْرِ مِنْ قَلْبِ الْكَعْبَةِ .....  
 ٣١٠ ..... أُسْرِيَ بِهِ مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِيٍّ .....  
 «أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَتَطَّ، مَا مِنْ مَوْضِعٍ أَصَابِعِ مِنْهَا إِلَّا  
 ٣١٢ ..... وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ لِلَّهِ، أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ» .....  
 ٣١٤ ..... «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» .....  
 ٣١٦ ..... «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالتَّهَارَ» .....  
 «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ  
 ٣١٧ ..... مَا فِي يَمِينِهِ» .....  
 ٣٢٣، ٣١٧ ..... «أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْمُلُوكُ؟» .....  
 أن الله يضحك إلى الرجل يأتي ويقابل العدو ويقاتله، ويبيدي  
 ٣١٨ ..... إليه نحره، من أجل الوصول إلى الجنة .....  
 أن الله عز وجل يضحك للرجل يقوم من فراشه للتهجد .....  
 ٣١٨ ..... «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ» .....  
 ٣١٩ ..... «عَلِمَ يَوْمَ الْغَيْثِ يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ آزِلِينَ مُشْفِقِينَ، فَظَلَّ يَضْحَكُ،  
 ٣١٩ ..... وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» .....  
 ٣١٩ ..... «فَمَا قَدِمَ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ» .....  
 ٣٢٠ ..... «رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» .....

- «أَخْرِجْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ» ..... ٣٢١
- «أَنَا الدِّيَّانُ» ..... ٣٢١
- «إِنَّ اللَّهَ يَنْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، وَبِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ» ..... ٣٢٣
- «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ» ..... ٣٢٣، ٦٤٤
- فسر النبي ﷺ - وهو أعلم الناس بتفسير كلام الله - الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله - تبارك وتعالى - ..... ٣٢٧
- «كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» ..... ٣٢٨
- «كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ عِيَانًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» ..... ٣٢٨
- «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» ..... ٣٣٠
- «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» ..... ٣٤٠
- «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» ..... ٣٦٢
- «يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ» ..... ٣٦٢
- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ» ..... ٣٧٠
- «إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» ..... ٣٧١
- «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» ..... ٣٧٤
- «نعم، صدقوا، وما يصنع الشيطان بقلب خرابٍ؟!» ..... ٣٧٥
- «أَنَّ الْعَوْرَاءَ الْبَيِّنَ عَوْرَهَا لَا تَحْزِي» ..... ٣٧٩

- «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ» ..... ٣٨٢
- «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ» ..... ٣٨٨
- «إِنَّهُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» ..... ٣٨٨
- «إِنَّ مِنَ الْبَيَانَ لَسِحْرًا» ..... ٣٩٠
- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ» ..... ٣٩٧
- «وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا فَلْيُعِذْ بِهِ» ..... ٣٩٧
- «إِنَّ الْيَهُودَ افْتَرَقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» ..... ٤١٧
- «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» ..... ٤١٩
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبْهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ» ..... ٤٢٣
- وُلاة الأمور من الأمراء والسلاطين - فيما سبق - يخرجون بالضحايا في الخارج كما كان الرسول ﷺ يفعل ..... ٤٣٩
- «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ» ..... ٤٦٣
- «أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» ..... ٤٦٧
- «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَيْتَكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ» ..... ٤٦٩
- «مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ» ..... ٤٦٩
- «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» ..... ٤٧٣

- «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ  
بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» ..... ٤٨٢
- «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» ..... ٤٨٣
- «مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ» ..... ٥٠٤
- «أَنَّهُ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ» ..... ٥٥٨
- «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» ..... ٦٠٣
- «هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» ..... ٦١٧
- «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا» ..... ٦١٨
- «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» ..... ٦٢٩
- «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ» ..... ٦٣١
- «عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ» ..... ٦٣٢
- «قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ  
كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» ..... ٦٣٢
- «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ» ..... ٦٤٤
- «قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ دَائِمًا أَنَّ الْمَنْطِقَ الْيُونَانِيَّ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذَّكِيُّ، وَلَا  
يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَلِيدُ» ..... ٦٤٩

## فهرس الموضوعات والفوائد

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
١١	نبذة عن فضيلة الشيخ الشارح - رحمه الله -
١٩	مقدمة ابن القيم
٢٠	كُلُّ المصنوعاتِ تُقَرُّ له بالألوهية (بالعبودية)
٢١	إذا أثبتنا أن الخلق مصنوع، فهل نُثبت أن الله صانع؟
٢٢	لا شبيهة لله تعالى في أفعاله وصفاته وذاته
٢٢	أولاً: الفعلُ:
٢٢	ثانياً: الصفات:
٢٢	ثالثاً: الذات:
٢٣	التعبيرُ بنفي التمثيلِ أولى من وجوه:
٢٦	الهدى هو العلمُ النافعُ
٢٧	ابن القيم - رحمه الله - وقلمه السيال
٢٨	من مظاهر رفع ذكر النبي ﷺ
٣٠	حديث النزول
	إذا أراد عزَّ وجلَّ أن يُكرمَ عبداً شَرَحَ صدره لقبولِ ما وَصَفَ اللهُ
٣٠	به
٣١	الصحابة أحرصُ الناسِ على معرفةِ حقائقِ صفاتِ الله عزَّ وجلَّ

إذا عَلِمَ الإنسانُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَمِيعٌ تَقَرَّبَ إِلَى اللهِ بِكُلِّ قَوْلٍ ..... ٣١

إذا عَلِمَ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ تَعَرَّضَ لِمَغْفِرَتِهِ ..... ٣٢

ما يَنْبَغِي لِلإنسانِ إِذَا آمَنَ بِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ..... ٣٢

فِلاَحُ الإنسانِ وَسَعادَتُهُ، وَانْشِراحُ صَدْرِهِ هُوَ بِإِيْمَانِهِ ..... ٣٢

مَشْكَلةٌ تَقَعُ لِبَعْضِ النَّاسِ ..... ٣٥

قَوْلُهُمْ: دَعَوْنَا مِنَ البَحْثِ فِي الأَسْماءِ ..... ٣٦

لا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَدَعَ البَحْثَ فِي أَسْماءِ اللهِ وَصِفاتِهِ ..... ٣٦

أَهْلُ التَّعْطِيلِ مِنَ المُعْتزِلَةِ وَالْجُهمِيَّةِ وَالأشْعَرِيَّةِ وَغَيرِهِمُ ..... ٣٩

فَضَلَ خالِدِ بْنِ الوَلِيدِ وَأَبِي هَريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَالْفِرْقَ بَيْنَهُمَا ..... ٤٠

العِلْمُ لا يُدْرِكُ فَضْلَهُ إِلاَّ مَنْ تَأَمَّلَ ..... ٤١

فَصَّلُ ..... ٤٤

الكلامُ فِي الصِّفاتِ كالكلامِ فِي الذَّاتِ ..... ٤٤

التَّحْرِيفُ هُوَ التَّغْيِيرُ، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَنْواعٍ: ..... ٤٦

الأوَّلُ: تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ لا يُغَيِّرُ المَعْنى ..... ٤٦

الثَّانِي: تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ يُغَيِّرُ المَعْنى ..... ٤٦

الثَّالِثُ: التَّحْرِيفُ المَعنَوِيُّ ..... ٤٦

أَهْلُ التَّأويلِ جَنَوْا عَلَى النُّصوصِ مِنَ وَجْهَيْنِ: ..... ٤٧

الرَّوافِضُ لَهُمُ قاعِدةٌ باطِلةٌ تَقولُ: «مَنْ لَمْ يَكْرَهُ أبا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ

أَبْغَضَ عَلِيًّا» ..... ٤٩

نَحْنُ لا نَبْغِضُ آلَ البَيْتِ ..... ٤٩

- فَصْلٌ ..... ٥٠
- القرآنُ كلامُ الله تعالى مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ ..... ٥٠
- رفع القرآن هل هو رفعٌ حسيٌّ، أو حُكْمِيٌّ ..... ٥١
- قول الأشاعرة في القرآن ..... ٥٤
- تلاقي المعتزلة والأشاعرة ..... ٥٤
- صفةُ العُلُوِّ الذَّاتيِّ، والاستواءِ على العرشِ ..... ٥٥
- ما معنى البيئونة التي جاءت في كلامِ السَّلَفِ؟ ..... ٥٥
- العُلُوُّ ثابتٌ ..... ٥٦
- فَصْلٌ ..... ٦١
- تمثيل المعطلة من حيث رأيهم بالقرآن ..... ٦١
- المَثَلُ الأوَّلُ: ثِيَابُ الْمُعْطَلِ مُلَطَّخَةٌ بِعَذْرَةِ التَّحْرِيفِ ..... ٦٢
- المَثَلُ الثَّانِي: شَجَرَةُ الْمُعْطَلِ مَغْرُوسَةٌ ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ ..... ٦٤
- المَثَلُ الثَّالِثُ: شَجَرَةُ الْمُعْطَلِ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ..... ٦٥
- المَثَلُ الرَّابِعُ: الْمُعْطَلُ قَدْ اتَّخَذَ قَلْبَهُ لِيُوقَايَةَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ كَبَيْتِ  
العنكبوتِ ..... ٦٥
- المَثَلُ الخَامِسُ: مِصْبَاحُ الْمُعْطَلِ قَدْ عَصَفَتْ عَلَيْهِ أَهْوِيَةُ التَّعْطِيلِ  
فَطُفِيءَ وَمَا أَنَارَ ..... ٦٦
- المَثَلُ السَّادِسُ: قَلْبُ الْمُعْطَلِ مُتَعَلِّقٌ بِالْعَدَمِ ..... ٦٦
- المُمَثَّلُ مُعْطَلٌ مِنْ وُجُوهِ ثَلَاثَةٍ: ..... ٦٦
- المُعْطَلُ مُشَبَّهٌ مِنْ وَجْهَيْنِ ..... ٦٧

- ٦٨ ..... المثل السابع: نُقُودُ الْمُعْطَلِ كُلُّهَا زُيُوفٌ
- ٦٨ ..... المثل الثامن: الْمُعْطَلُ كَنَافِخِ الْكَبِيرِ
- ٦٩ ..... المثل التاسع: الْمُعْطَلُ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ سَفِينَةِ النَّجَاةِ
- ٦٩ ..... المثل العاشر: مَنْهَلُ الْمُعْطَلِ ﴿ كَسْرًا بِمِيقَعَةٍ... ﴾
- ٧٠ ..... بداية المنظومة
- ٨٠ ..... المُعْطَلَةُ يَتَحَدَّثُونَ لِلنَّاسِ حَدِيثًا يَظُنُّهُ الْغَيْبِيُّ صِدْقًا
- ٨٠ ..... كَذِبُ الْجَهْمِيَّةِ
- ٨٠ ..... حُسْنُ تَخَلُّصِ الْمُؤَلَّفِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
- ٨٠ ..... الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ
- ٨١ ..... الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ
- ٨٢ ..... جَحْدُ الصِّفَاتِ نَوْعَانِ: تَكْذِيبٌ، وَتَأْوِيلٌ
- ٨٣ ..... الصِّفَاتُ الْمَوْجُودَةُ
- ٨٤ ..... كَيْفَ يَكُونُ كَلَامُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ مَخْلُوقًا وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ؟! .....
- ٨٥ ..... الْقَوْلُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ يُبْطِلُ الشَّرِيعَةَ كُلَّهَا
- ٨٦ ..... كَيْفَ يَكُونُ لَهُ يَدَانِ؟
- ٨٧ ..... أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْكَلَامِ، وَبَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ؟
- ٨٧ ..... قَوْلُهُمْ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُحِبُّ
- ٨٨ ..... قَوْلُهُمْ: إِنَّ مَعْنَى الْخُلَّةِ الْفَقْرُ
- ٨٨ ..... أَصْلُ التَّعْطِيلِ: إِنْكَارُ الْخُلَّةِ وَالْكَلامِ
- ٩٠ ..... فَضْلٌ

- ٩٠ ..... ضلالِ الجَهْمِيَّةِ
- ٩١ ..... الظُّلمُ مُحَالٌ فِي حَقِّ اللَّهِ
- ٩١ ..... مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ فِي أفعالِ العِبَادِ
- ٩٢ ..... الردُّ على الجهمية
- ٩٤ ..... فَضْلٌ
- ٩٥ ..... اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ موصوفٌ بِالْحِكْمَةِ
- ٩٧ ..... الْمُعْتَرِلةُ وَالْجَهْمِيَّةُ يُنكرون صفاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
- ٩٨ ..... قولهم: إنَّ الإِيانَ هو الإقرارُ بِالرَّبِّ فقط
- ٩٩ ..... هل هم يُقرُّونَ بِالرَّبِّ، أو لا يُقرُّونَ؟
- ٩٩ ..... مشابهة أهل البدعة لليهود
- ٩٩ ..... اليهود يُغلُّونَ جِدًّا في النجاسات
- ١٠٠ ..... النصرارى يقدسون الصليب الذي يدعون أن عيسى صُلب عليه
- ١٠٢ ..... الإِيانَ عند أهل السُّنَّةِ
- ١٠٢ ..... دُخولُ إقرارِ القلبِ بالإِيانِ، وأدلة ذلك
- ١٠٤ ..... فَضْلٌ
- ١٠٦ ..... هل الفِعْلُ في حَقِّ اللَّهِ قَبْلَ الفِعْلِ كَمالٌ أو نَقْصٌ؟
- ١٠٦ ..... القُدْرَةُ ليست وَصْفًا زائِدًا عن ذاته
- ١٠٧ ..... عَقِيدَتُنَا القَوْلُ بِالتَّسْلُسِ ماضِيًا ومُسْتَقْبَلًا
- ١٠٨ ..... قولهم: الجنة والنار غير موجودتين الآن
- ١١١ ..... تجرؤات الجهمية

- التَّاسِبُ أَمْرٌ يُسَوِّغُ شَيْئًا لَا يَنْبَغِي فِي حَالِ عَدَمِ الْمُنَاسَبَةِ ..... ١١١
- فَصْلٌ ..... ١١٣
- الله سبحانه وتعالى يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ ..... ١١٣
- ابن القيم - رحمه الله - صَرَّحَ بِأَنَّ ابْنَ سِينَا كَافِرٌ ..... ١١٧
- الَّذِي يُنْكِرُ الْمَعَادَ الْجُحْمَانِي لَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ ..... ١١٧
- مَا هُوَ الْهَبَاءُ؟ ..... ١٢٥
- العرش غير الكرسي ..... ١٢٨
- المشهور أَنَّ الْكُرْسِيَّ هُوَ مَوْضِعُ قَدَمِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ..... ١٢٨
- فَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى هَذِهِ الْحَلِيقَةِ ..... ١٢٨
- أَجْسَامُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْأَرْضِ مَحْفُوظَةٌ مِنَ الدِّيدَانِ ..... ١٢٩
- الْأَرْوَاحُ لَا تَبْلَى ..... ١٣٠
- الإنسان إذا مات يرى روحه خارجةً مِنْ بَدَنِهِ ..... ١٣١
- الفرق بين أرواح الشهداء، وأرواح المؤمنين ..... ١٣٤
- كيفية بَعَثِ اللَّهِ الْوَرَى ..... ١٣٦
- فَصْلٌ ..... ١٤١
- يقول جهنم: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ فِعْلًا يَقُومُ بِهِ ..... ١٤٢
- الجَبْرُ هُوَ مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ ..... ١٤٣
- الإنسان فاعلٌ بإرادةٍ وفاعلٌ بِقُدْرَةٍ ..... ١٤٥
- قصة السارق مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ..... ١٤٦
- أصل الغاز الْمَسِيلُ لِلدَّمِوعِ ..... ١٥٢

- ١٥٤ ..... هل لازم المذهب مذهبٌ؟
- ١٥٥ ..... هل يمكن مفعولٌ بلا فعلٍ؟
- ١٥٥ ..... دلالة الكتاب والسنة على أن للإنسان فعلاً قائماً به
- ١٥٦ ..... أسماء الله - تبارك وتعالى - قديمة
- ١٥٦ ..... هل الاسم غيرُ المُسمَّى؟
- ١٥٧ ..... قول أهل السنة في الأسماء والصفات
- ١٥٨ ..... جهل الجهميَّة
- ١٦٣ ..... تبرّأ أهل الكتاب والسنة من أقوال الجهمية
- ١٦٥ ..... بعض أتباع عبد الله بن سبأ
- ١٦٧ ..... فصلٌ: في مُقدِّمة نافعة قبل التحكيم
- ١٧١ ..... العلة ليست بالسلاح، بل بحامل السلاح
- ١٧٢ ..... الداعي إلى الله لا بُدَّ أن يناله أذى
- ١٧٣ ..... اجعل سلاحك شيئين: كتاب الله والسنن التي ثبتت
- ١٧٤ ..... قصة مبارزة علي رضي الله عنه لعمر بن ود
- ١٧٦ ..... لا تخش من كيد المبتدعة ومكرهم
- ١٧٧ ..... بين معايبهم
- ١٧٨ ..... اشغل بعضهم ببعض
- ١٧٩ ..... لا تحمِل بلا سلاح
- ١٨١ ..... الجهل المركب
- ١٨٢ ..... البلاء كلُّ البلاء من الجاهل جهلاً مركباً

- ١٨٣ ..... كِتَابِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ.....
- ١٨٣ ..... أَهْمِيَّةُ كُتُبِ الْخِلَافِ.....
- ١٨٣ ..... النَّصَارَى يَقُولُونَ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ مَتَعَصِبُونَ لِدِينِهِمْ.....
- ١٨٥ ..... اجْعَلْ شِعَارَكَ خَشْيَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا الْإِنْتِصَارَ لِنَفْسِكَ.....
- ١٨٧ ..... اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْحَقُّ.....
- ١٨٧ ..... وَهُوَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ.....
- ١٨٨ ..... مَاذَا جَرَى لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُحَنِّ؟!.....
- ١٨٨ ..... لَا تَظَنَّ أَنَّ عَدُوَّكَ يَنَامُ دُونَ أَنْ يَحَاوِلَ الْقَضَاءَ عَلَيْكَ.....
- ١٨٩ ..... لَا بَدَّ مِنْ مِحْنَةٍ.....
- ١٩٠ ..... الْعَاقِبَةُ لِمَنْ.....
- ١٩١ ..... إِنَّ الْإِنْتِصَارَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ انْتِصَارٌ لِلرَّسُولِ ﷺ.....
- ١٩٥ ..... احْذِرْ رَوَّغَانَ الْمُبْتَدِعَةِ.....
- ١٩٥ ..... يَجِبُ أَنْ تَكُونَ دَائِرًا مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ وَفَعَلَهُ.....
- ١٩٦ ..... قِصَّةُ مَغِيثٍ وَبِرِيرَةٍ.....
- ١٩٧ ..... الشِّفَاءُ فِي الْقُرْآنِ.....
- ١٩٨ ..... غَيْرَ الْمُؤْمِنِ لَا يَرَى الشِّفَاءَ بِالْقُرْآنِ أَبَدًا.....
- ٢٠٢ ..... قِتَالِ حِزْبِ اللَّهِ لِأَعْدَائِهِمْ يَكُونُ بِالْأَعْمَالِ، وَبِالْكَتَائِبِ.....
- ٢٠٣ ..... الرَّدُّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ بِالسَّلَاحِ وَالْحَرْبِ.....
- ٢٠٤ ..... مَاذَا لَوْ عُرِضَتْ عَقَائِدُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِمَنْطِقِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ... ..
- ٢٠٥ ..... تَعْرِيفِ نَادِرٍ لِلشَّجَاعَةِ.....

- ٢٠٥ ..... شجاعة الأمراء
- ٢٠٥ ..... شجاعة العلماء
- ٢٠٦ ..... عالم الملة
- ٢٠٦ ..... عالم أمة
- ٢٠٧ ..... عالم دولة
- ٢٠٨ ..... ابدأ بمقارعة الأقران لا الحواشي
- ٢١١ ..... الواجب على الإنسان أن يصدع بالحق
- ٢١٤ ..... كيف حكّم الله على المبتدعة بالضلال؟
- ٢١٤ ..... النظر للمبتدعة بعين القدر
- ٢١٥ ..... النظر للمبتدعة بعين الشرع
- ٢١٦ ..... مقام المجادلة والانتصار للحق
- ٢١٨ ..... قلوبُ العباد بين أصابع الرحمن - عز وجل -
- ٢١٩ ..... احذر كمائن نفسك
- ٢٢١ ..... كيف فعلت هوازنُ في غزوة الطائف؟
- ٢٢٤ ..... فصل: وهذا أول عقد مجلس التحكيم
- ٢٢٤ ..... يجب على كل إنسان ألا يردّ قولاً إلا بعد وجود شيئين
- ٢٢٥ ..... الأول: «النقل الصحيح»
- ٢٢٥ ..... الثاني: «العقل الصريح»
- ٢٢٦ ..... الثالث: «فطرة الرحمن»
- ٢٢٧ ..... أهل وحدة الوجود، ورأسهم الخبيث ابن عربي

- ٢٢٩ ..... قولهم: إِنَّ الخَالِقَ والمخلوقَ شيءٌ واحدٌ.....
- ٢٣٢ ..... القَوَى في النفس تختلف.....
- ٢٣٣ ..... الكلام: اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ.....
- ابن عربي يرى أَنَّ هذه الوحدة كُلُّ، واختلافَ المشاهد وتكثُّرها
- ٢٣٤ ..... أجزاء.....
- ٢٣٦ ..... ابن سبَّعين، والتَّلمِسَانِي من القائلين بوحدة الوجود.....
- ٢٣٨ ..... أخبث العقائد.....
- ٢٤١ ..... مشابهة الاتحادية مع المجوس.....
- ٢٤٢ ..... الكفر عند الاتحادية.....
- ٢٤٤ ..... قولهم: إِنَّ موسى لم ينكر على الذين عبدوا العجل.....
- ٢٤٦ ..... كل الكفران جزءٌ يسيرٌ من كُفْرَانِ الاتحادية.....
- ٢٤٨ ..... فَصْلٌ: فِي قُدُومِ رَكْبِ آخَرَ.....
- ٢٤٩ ..... الجَهْمِيَّة الحُلُولِيَّة.....
- ٢٥٣ ..... فَصْلٌ: فِي قُدُومِ رَكْبِ آخَرَ.....
- ٢٥٥ ..... مُعَطَّلَةٌ مَحْضَةٌ.....
- ٢٥٦ ..... ما هو العدم؟.....
- ٢٥٩ ..... حديث يَرُدُّ على أهل التجسيم.....
- ٢٥٩ ..... يونس بن مَتَّى.....
- ٢٦٠ ..... ما قول المجسِّم؟.....
- ٢٦٥ ..... نهي النبي ﷺ أن يُفْضَلَ على يونس.....

- ٢٦٨ ..... فُضِّلَ: فِي قُدُومِ رَكْبٍ آخَرَ .....
- ٢٧٠ ..... الإنسانُ مُمَيِّهٌ نَفْسَهُ الشَّيْءَ الْمُسْتَحِيلَ .....
- ٢٧١ ..... حَكُّ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ، وَبَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ .....
- ٢٧٢ ..... مَا مَعْنَى: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؟ .....
- ٢٧٣ ..... ■ أَوَّلًا: لَمْ يَأْتِ فِي اللُّغَةِ أَنَّ (اسْتَوَى) بِمَعْنَى (اسْتَوَى) .....
- ٢٧٣ ..... ■ ثَانِيًا: مَخَالَفَةُ الْمَعْطَلَةِ وَالْمُمَثَّلَةِ لِإِجْمَاعِ السَّلَفِ .....
- ٢٧٣ ..... ■ ثَالِثًا: لَوَازِمُ قَوْلِهِمْ بِاطْلَعِ .....
- ٢٧٦ ..... قِصَّةُ الْإِمَامِ مَالِكٍ -رَحِمَهُ اللهُ- مَعَ مَنْ سَأَلَهُ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ .....
- ٢٧٧ ..... قِصَّةُ أَبِي الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيِّ مَعَ أَبِي الْمَعَالِيِّ الْجُوَيْنِيِّ .....
- ٢٨٠ ..... الدَّجَالُ يَبْقَى فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .....
- ٢٨٢ ..... الْفِطْرَةُ هِيَ أَوَّلُ الْخَلْقِ .....
- ٢٩٠ ..... مَاذَا تَفْعَلُ إِذَا اجْتَمَعْتَ بِمَبْتَدِعٍ؟ .....
- ٢٩٤ ..... اتِّهَامُ الْمَبْتَدِعَةِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ بِالتَّحْيِيزِ .....
- ٢٩٦ ..... الَّذِي يَحْمِي الْعَقِيدَةَ هُوَ الْعَمَلُ بِالْحَلَالِ، وَاجْتِنَابُ الْحَرَامِ .....
- ٣٠٢ ..... عَوْدَةُ الْقُرْآنِ لِلَّهِ عِزُّ وَجَلُّ وَتَفْسِيرَاتُهَا .....
- ٣٠٢ ..... الْمَعْنَى الْأَوَّلُ: الْعَوْدَةُ وَصَفًا .....
- ٣٠٢ ..... الْمَعْنَى الثَّانِي: الْعَوْدَةُ حِسًّا .....
- ٣٠٣ ..... كَيْفَ يُمَحَى الْقُرْآنُ مِنَ الْمَصَاحِفِ؟ .....
- ٣٠٤ ..... قَوْلُهُمْ: إِنْ الْعَقْلُ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَتَّصِفُ بِالْكَرَاهَةِ .....
- ٣٠٦ ..... تَحْرِيفُهُمْ: (وَكَوَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) .....

- رواية أنه ﷺ أُسْرِي بِهِ مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِيٍّ ..... ٣١٠
- هل الله عزَّ وجلَّ يُدْنِي النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُجْلِسَهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ؟ ..... ٣١٠
- حديث أَنَّ الْعَرْشَ لَهُ أَطِيطٌ كَأَطِيطِ الرَّحْلِ ..... ٣١١
- وَلَهُ يَمِينٌ، بَلْ زَعَمَتَ يَدَانِ ..... ٣١٣
- يَمِينُهُ مَلَأَى ..... ٣١٦
- إثبات الضحك لله عزَّ وجلَّ ..... ٣١٨
- الرَّضَى وَالغَضَبَ ..... ٣٢٠
- أهل التَّعْطِيلِ فَسَّرُوا الرَّضَى بِالثَّوَابِ ..... ٣٢٠
- هل الرَّضَى، وَالغَضَبُ، وَالضَّحْكُ، وَالعَجَبُ، مِنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ، أَوِ الدَّائِيَّةِ؟ ..... ٣٢١
- السَّاقُ ثَابِتَةٌ بِالسُّنَّةِ، فَهَلْ ثَبَتَ بِالْقُرْآنِ؟ ..... ٣٢٢
- حديث النزول ..... ٣٢٣
- هل ينزل بنفسه، أو ينزل بذاته؟ ..... ٣٢٤
- السؤال الأول: كيف ينزل؟ ..... ٣٢٥
- السؤال الثاني: هل يلزم حل النزول أن يخلو العرش من الربِّ ﷻ؟ .. ٣٢٥
- السؤال الثالث: هل النزول ينافي علوَّ الله؟ ..... ٣٢٥
- (الرحمة) إذا نزلت إلى السماء الدنيا، فماذا نستفيد منها؟! ..... ٣٢٦
- تواتر السُّنَّةِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ رُؤْيَا حَقِيقَةً حَسِيَّةً ..... ٣٢٨
- الفرق بين الرؤية في الدنيا والرؤية في الآخرة ..... ٣٢٩

- ٣٣٠ ..... إثبات القدم لله بالسُّنة
- ٣٣١ ..... إنكار المعطلة للصفات ومسالكتهم في ذلك
- ٣٣١ ..... المسلك الأول: الطعن في الأحاديث
- ٣٣١ ..... المسلك الثاني: التحريف
- ٣٣٧ ..... تناقض المعطلة في آرائهم في الصفات
- ٣٣٧ ..... الأشاعرة أثبتوا الأسماء، ولم يثبتوا من الصفات إلا سبعا
- ٣٣٩ ..... التخصيص يدلُّ على الإرادة
- ٣٤٠ ..... كُلُّ مُريدٍ فيما أن يكون حكيماً، وإما أن يكون سفيهاً
- ٣٤٠ ..... الرَّد على المعطلة بمقتضيات العقل
- ٣٤٠ ..... أولاً: بطلان الاعتماد على العقل وترك النقل
- ٣٤٠ ..... ثانياً: مخالفة منهجهم للعقل
- ٣٤١ ..... ثالثاً: اختلاف الناس في النظر العقلي
- ٣٤١ ..... قولهم: الإرادة تُثبتُّ بالعقل
- ٣٤١ ..... عقوبة المجرمين ومثوبة الطائعين دليلٌ
- ٣٤٣ ..... تناقض الأشاعرة
- ٣٤٣ ..... الرَّد على الأشاعرة
- ٣٤٤ ..... بطلان حججهم من عدة أوجه
- ٣٤٧ ..... قولهم: إما أن ينسلخ المرء من الدين، أو يصير مجسماً أو ممثلاً
- ٣٤٩ ..... وصية غير مقبولة
- ٣٥٤ ..... قبيلة «آل سنان»

- ٣٥٨ ..... الجهمية يُثبتون الأسماء، وينكرون الصفات
- ٣٦١ ..... **فَصْلٌ: فِي قُدُومِ رَكْبِ الْإِيمَانِ وَعَسْكَرِ الْقُرْآنِ**
- ٣٦٢ ..... أسماء المدينة المنورة
- ٣٦٥ ..... المعنى الأصلي للعبودية
- ٣٦٧ ..... يقول العلماء عن القطب: إنه نجمٌ خفيٌّ جدًا
- ٣٦٧ ..... المدار هو أمر الله ورسوله
- ٣٧١ ..... «وَهُوَ الْعَلِيُّ» أي: بذاته وصفاته
- ٣٧١ ..... علو صفاته
- ٣٧١ ..... السمع قد يكون من غير ذي أذن
- ٣٧٣ ..... هل يؤخذ الإنسان بحديث النفس؟
- ٣٧٥ ..... من أسماء الله تعالى: القدير
- ٣٧٦ ..... ومن أسمائه: القويُّ
- ٣٧٧ ..... مَنْ خَلَقَ الْإِرَادَةَ فِي الْإِنْسَانِ؟
- ٣٧٨ ..... الجبرية والقدرية إخوان في شيء، ولكنهم أعداء في شيء
- ٣٧٩ ..... عبارة (الْقَدْرُ قُدْرَةُ اللَّهِ)
- ٣٨٢ ..... **فَصْلٌ**
- ٣٨٤ ..... كُلُّ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ تَدُورُ عَلَى الْأَسْمِينِ: الْحَيِّ وَالْقَيُّومِ
- ٣٨٦ ..... الإرادة ودليلها
- ٣٨٦ ..... الإرادة: إرادة كونية، وإرادة شرعية
- ٣٨٧ ..... أصحابُ التعطيل يُنكرون الكراهة والرّضى والمحبة

- ٣٩١ ..... نوم العبد، هل هو كمالٌ أو نقص؟
- ٣٩٢ ..... دقة تعبير شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في (التدمرية)
- ٣٩٥ ..... هل كلام الله ككلام الناس بالحروف؟
- ٣٩٨ ..... انقسام الناس في الكلام إلى ثلاثة أقسام
- ٣٩٨ ..... مذهب المعتزلة في القرآن أنه مخلوق
- ٤٠٧ ..... هل الأمر هو عين النهي؟! .....
- ٤١٣ ..... قوله: «قَدْ غَلِطَ النَّصَارَى» .....
- ٤١٥ ..... مشابهة كلام المعتزلة في القرآن بكلام النصارى في عيسى .....
- ٤٢٣ ..... **فَصْلٌ: فِي مَجَامِعِ طُرُقِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَاخْتِلَافِهِمْ فِي الْقُرْآنِ** .....
- ٤٢٤ ..... مذهبُ الأشاعرة والكَلَابِيَّةِ .....
- ٤٢٥ ..... لماذا سُمِّي القرآنُ كلامَ الله؟ .....
- ٤٢٥ ..... الأول: مذهب الكَلَابِيَّةِ .....
- ٤٢٦ ..... الثاني: مذهب الأشاعرة .....
- ٤٢٨ ..... **فَصْلٌ: فِي مَذْهَبِ الْاِقْتِرَانِيَّةِ** .....
- ٤٢٩ ..... الاقترانية .....
- ٤٣١ ..... نون الأفعال الخمسة .....
- ٤٣٢ ..... الزاغوني: أحد علماء الكلام .....
- ٤٣٤ ..... قولهم: هل وجودُ الله عينُ حقيقته، أو خلافُ حقيقته .....
- ٤٣٥ ..... ما هو الكلام؟ .....
- ٤٣٥ ..... هل هناك فرق بين الحقيقة والوجود؟ .....

- ٤٣٦ ..... **فَصْلٌ: فِي مَذْهَبِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ** .....
- ٤٣٧ ..... القائلون بأن القرآن يتعلّق بمشيئة الله صنفان .....
- ٤٣٨ ..... الجهمية أتباع الجهم بن صفوان .....
- ٤٤١ ..... عمرو بن عبّيد وواصل بن عطاء .....
- ٤٤١ ..... الرافضة كانوا أول أمرهم مُشَبَّهة .....
- المعتزلة يوافقون الجهمية في نفي الصفات، لكن يخالفونهم في
- ٤٤٢ ..... مسألة الوعيد والأحكام .....
- ٤٤٤ ..... **فَصْلٌ: فِي مَذْهَبِ الْكِرَامِيَّةِ** .....
- ٤٤٨ ..... قولهم: الكلام قائم بالله، والفعل قائم بالله .....
- ٤٤٩ ..... تعطيل أفعاله وأقواله أشدُّ وأبطل من القول بالحلول .....
- ٤٤٩ ..... ابن القيم يدافع عن ابن كرام .....
- ٤٥٢ ..... **فَصْلٌ: فِي ذِكْرِ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ** .....
- ٤٥٣ ..... مكانة الإمام أحمد بن حنبل .....
- ٤٥٣ ..... قولهم: إنه يتكلّم بغير مشيئة .....
- ٤٥٧ ..... (طه) هل هو مشتق أو غير مشتق؟ .....
- ٤٥٧ ..... (يس) ليس من أسماء الرسول .....
- ٤٦١ ..... قولهم: هو بصير، والبصير غيره .....
- ٤٦٢ ..... هل يوصف غير الله بالقديم .....
- ٤٦٣ ..... الله متكلّم بالنقل والعقل والبرهان .....
- ٤٦٨ ..... قولهم: البخاري مُجَسِّمٌ .....

- ٤٧٣ ..... السور التي افتتحت بالأحرف الهجائية
- ٤٧٧ ..... فَصْلٌ: فِي إِزْمَامِهِمُ الْقَوْلَ بِنَفْيِ الرَّسَالَةِ إِذَا انْتَفَتَّ صِفَةُ الْكَلَامِ
- ٤٧٩ ..... من أين أخذنا أنه مُحَدَّث من الآية؟
- ٤٨٠ ..... هل يجوز أن نُسَمِّي شخصًا بـ(عبد المُخَبَّر) أو (عبد المُبَشِّر)؟
- ٤٨٤ ..... أنواع الوحي الآن ثلاثة:
- ٤٨٥ ..... فَصْلٌ: فِي إِزْمَامِهِمُ التَّشْبِيهِ لِلرَّبِّ بِالْحَمَادِ النَّاقِصِ إِذَا انْتَفَتَّ صِفَةُ الْكَلَامِ ..
- فَصْلٌ: فِي إِزْمَامِهِمُ بِالْقَوْلِ بِأَنَّ كَلَامَ الْخَلْقِ - حَقُّهُ وَيَاطِلُهُ - عَيْنُ كَلَامِ اللَّهِ
- ٤٨٩ ..... سَبْحَانَهُ
- ٤٨٩ ..... نفي الكلام يتضمن نفي الرسالة
- ٤٩٢ ..... أهل الاتحاد
- ٤٩٥ ..... خلاصة هذا الفصل
- ٤٩٦ ..... فَصْلٌ: فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ
- ٤٩٩ ..... هل يمكن أن نجعل الأمر من الخلق؟
- ٥٠١ ..... هل يوجد مصنوع بدون صنعة؟
- ٥٠٤ ..... من أراد الهدى فليتدبر القرآن
- ٥٠٥ ..... فَصْلٌ: فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ مَا يُضَافُ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى مِنَ الْأَوْصَافِ وَالْأَعْيَانِ
- ٥١٠ ..... الكلام كالعلم، والكلام كالحياة
- ٥١٢ ..... ما أضيف إلى الله بالإضافة أو بالجر بـ(من) ينقسم إلى قسمين
- ٥١٣ ..... فَصْلٌ
- ٥١٣ ..... ابن حزم الظاهري

- ٥١٤ ..... تحليل المؤلف لكلام ابن حزم
- ٥١٨ ..... القرآن الكريم تكلم الله عزَّ وجلَّ به
- ٥٢٢ ..... أكثر العلماء على أنَّ القرآنَ الكريمَ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ ....
- ٥٢٣ ..... القرآنُ كُلُّه كاملٌ من كُلِّ وجه .....
- ٥٢٥ ..... ما الجسم الذي يكون ممنوعاً عند المعطلة؟ .....
- ٥٣١ ..... **فَصْلٌ: فِي مَقَالَاتِ الْفَلَّاسِفَةِ وَالْقَرَامِطَةِ فِي كَلَامِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ -** .....
- ٥٣٢ ..... القرامطة .....
- ٥٣٣ ..... تصريح شيخ الإسلام وابن القيم بأنَّ ابن سينا كافرٌ .....
- ٥٣٤ ..... العوام لا يفهمون إلاَّ المحسوس .....
- ٥٣٨ ..... قولهم: إن الرسل كذبوا لمصالح الإنسان .....
- ٥٣٩ ..... نصير الدِّين الطوسي .....
- ٥٤٢ ..... الشَّيْخَان .....
- ٥٤٥ ..... مذهب ابن سينا وأتباعه والأثنايين .....
- ٥٤٦ ..... **فَصْلٌ: فِي مَقَالَاتِ طَوَائِفِ الْأَثْنَائِيَّةِ فِي كَلَامِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ -** .....
- ٥٤٧ ..... مذهب الأثنايين .....
- ٥٥٠ ..... المؤلف يردُّ على هذه المذاهب .....
- ٥٥١ ..... الجهمية يقولون: إنَّ الله متكلِّم .....
- ٥٥٢ ..... المغول .....
- ٥٥٤ ..... هل يصح أن يقال: هذا مبصر، والبصر مفقود منه؟ .....
- ٥٥٧ ..... قولهم: إنَّ الحوادث لا تقوم بالله .....

- ٥٦٠ ..... كلام الجهمية مخالفٌ للمعقول والمنقول والفطرة
- ٥٦٢ ..... الأشاعرة يقولون: كلام الله معنى قديم قام به كقيام الحياة والعلم
- ٥٦٥ ..... هل يمكن أن يكون الله عزَّ وجلَّ حيًّا ميتًا؟
- ..... مذهب الأشاعرة أنَّ الكلام ليس مسموعًا، ولا هو بحروف، ولا صوت
- ٥٦٥ .....
- ٥٧٢ ..... الخلاف بين الأشاعرة وبين المعتزلة والجهمية مبنيٌّ على أصلين ...
- ٥٧٣ ..... قولهم: لو قام به فعل لكان محلاً للحوادث
- ٥٧٤ ..... لا يمكن أن يوجد مفعول بلا فعل؟
- ٥٧٧ ..... اختلاف أهل الكلام في فعل الله: هل فعله مفعوله أو غيره؟
- ٥٨٣ ..... الكلام صفةٌ فعل
- ٥٨٥ ..... كلام جيد من الدارمي في الرد على الجهمية
- ٥٨٦ ..... الله متكلمٌ بكلامٍ هو فعله بحرفٍ وصوتٍ
- ٥٨٧ ..... رأي الكرامية
- ٥٨٨ ..... الإرادة هي المشيئة
- ٥٩٢ ..... هل الله عزَّ وجلَّ فقدَ الحياة في يوم من الأيام؟
- ٥٩٥ ..... القديم قد يكون غيره أقدم منه
- ٦٠١ ..... أهل السلطة المفتونون فتحوا المدارس للمبتدعة
- ٦٠٣ ..... مساعي المبتدعة في القضاء على أهل السنة
- ٦٠٧ ..... القديم عند الفلاسفة وفي اصطلاح المتكلمين
- ٦٠٨ ..... القهر والوحدانية

- فَصْلٌ: فِي اغْتِرَاضِهِمْ عَلَى الْقَوْلِ بِدَوَامِ فَاعِلِيَّهِ الرَّبِّ تَعَالَى وَكَلَامِهِ،  
 وَالْإِنْفِصَالِ عَنْهُ ..... ٦١٢
- التسلسل في الحوادث ..... ٦١٦
- إقرار زعمائهم ورؤسائهم بالخيبة وبالرجوع إلى الحق ..... ٦١٧
- للناس في التسلسل ثلاثة أقوال: ..... ٦١٨
- البحث في التسلسل في الماضي والمستقبل من فضول العلم ..... ٦٢٠
- هل خلق الكون في الأيام مأخوذ من القرآن؟ ..... ٦٢٩
- هل العرش سابق على خلق القلم أو العكس؟ ..... ٦٣٠
- فَصْلٌ ..... ٦٣٧
- القرآن مملوء بإثبات الأفعال لله عزَّ وجلَّ ..... ٦٣٨
- أهل التخيل الذين يرون أن اليوم الآخر ليس له حقيقة ..... ٦٤٠
- خطورة الجهل، وأهمية العلم ..... ٦٤١
- قولهم: مَنْ لم يدرك علم الكلام فلا يقين له في عقيدته ..... ٦٤٣
- الإنصاف في مسألة الكلام ..... ٦٤٦
- هل قد أبدى الله لنا حقَّ الأدلة؟ ..... ٦٤٨
- الرَّدُّ عَلَى المنطقيين ..... ٦٤٩
- فهرس الآيات ..... ٦٥٣
- فهرس الأحاديث والآثار ..... ٦٧٧
- فهرس الموضوعات والفوائد ..... ٦٨٥

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)